

ديوان شعر ابن عميد اللد

الجزء الأول

الإمام العلامة الفقيه المؤرخ اللغوي
عبد الرحمن بن عميد الله بن محمد بن السقاف
الحسيني الحضرمي الشافعي رحمه الله
١٣٠٠ - ١٣٧٥ هـ

اعتنى به وراجع تحقيقه
عيسى بن محمد بن عاتق السقاف

المنيرة للطباعة والنشر والتوزيع



مَكْتَبَةُ
لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

رابطہ بدییل
lisanerab.com

www.lisanarb.com

دیوان
شعر بن عبید اللہ

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

هاتف: ٠٣٩٤٦١٦٦ - ٠٣١١٥٤٢٥ - فاكس: ٠١٢٧٦٩٨٨

<http://www.Dar-Alamira.com>

e-mail: zakariachahbour@hotmail.com



ديوان شعر بن عبيد الله

الجزء الأول

الإمام العلامة الفقيه المؤرخ اللغوي
عبد الرحمن بن عبيد الله بن الحسين السقاف
الحسيني الحضرمي الشافعي رحمه الله

١٣٠٠ - ١٣٧٥ هـ

اعتنى به وراجع تحقيقه

عيسى بن محمد بن عاتق السقاف

الأمير

للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نبذة من ترجمة صاحب الديوان

بقلم نجله الشاعر والأديب

حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف^(١)

الذي قام بالإشراف على طبع ديوان والده

وقد تم طبعه في يوم الأربعاء التاسع من رمضان سنة ١٣٧٨هـ

هو الشاعر المفلق والثائر البليغ العالم العلامة المتبحر عبد الرحمن بن عبيد الله بن محسن بن علوي السقاف العلوي الحضرمي. ولد بقرية «علمبدر» في

(١) أديب وشاعر وفقه وخطيب ولد سنة ١٣٣٣هـ بحضرموت، وتلقى تعليمه على يد والده وعلى عدد من الشيوخ بمدينة سيئون وحفظ القرآن الكريم. ولع منذ مقتبل حياته بالشعر وأسس مع زملائه من شعراء مدينة سيئون (نادي القلم العلمي). أتاح له تنقله منذ مقتبل شبابه بين المدن اليمنية التعرف على عدد من الشخصيات الأدبية والسياسية. قال الشعر مبكراً وتناول شعره الأغراض المختلفة وقد غلبت على قصائده النزعة الرومانسية والحماسية. فهو يقول في قصيدة له سماها دولة العرب:

ما بال أمريكا وقد دانت إلى درك الشقاء شغفت بشر الخلق من شغفوا بقتل الأنبياء
سبحان من جعل التعالي سلماً للمنتهى

ويقول فيها أيضاً:

ياما أشد أسفي على الأمم المتحدة عاثت بها حكومة في أرضها منعقدة
داست على ميثاقها مجنونة معريدة

وقال في قصيدة فضيحة الدستور عندما أخرجت بريطانيا دستوراً لحكومة اتحاد الجنوب العربي التي شكلتها ومنها قوله:

إنسي لأسال هل هو الدستور كتبوا السنود له أم التنور
لا لا نريد الغل في أعناقنا فالليل ولئى والمسالك نور =

وكان من عشاق الحضرة النبوية؛ وآل البيت الطاهرين؛ وله في مدائحهم بدائع وروائع. منها ما حواه هذا الديوان من المدائح؛ وفيه يقول:

جَرَى فِيَّ مَجْرَى الدَّمِ صَادِقُ حُبِّهِمْ فَبُحْتُ وَإِنْ لَامَتْ وَشَاتِي وَعُذَّلِي
وكان عظيم الاهتمام بإصلاح وادي الأحقاف؛ والقضاء على ما أصابه من الفوضى والإستبداد والإجحاف؛ وما مُنِّي به أهله من الجهل والتفرُّق والخمول؛ فجهر بالدعوة لدولة الإسلام^(١)؛ في أواخر أيام الحرب العالمية الأولى. وكانت له صلة وثيقة بالقائد العثماني الكبير علي سعيد باشا؛ الذي احتل لحجاً في ذلك العهد. وقد جمع الوالد كثيراً من توقيعات أعيان الوادي؛ ومشايخه بالانضمام إلى الدولة العلية. ولما شعرت حكومة عدن الإنكليزية بذلك؛ وضعت جائزة لمن يغتاله؛ ولكن الله عصمه من كيدها.

وترى في قصائده الإماميات؛ توجُّعاً وأسفاً لما حلَّ بالوادي الحضرمي من نكبات أصابت أهله في دينهم ودنياهم. واستنجداً بالإمام يحيى؛ الذي كانت تربطه به رابطة قوية؛ وكان الإمام يحيى يجيبه على كتبه وقصائده بمثلها بحراً وروياً. ولما اغتيل الإمام؛ أقام عليه صلاة الغائب بمسجد سيؤون؛ ثم رحل إلى «تعز» لتعزية ابنه وخليفته الإمام أحمد بن يحيى.

ثم قصد بعدها الحرمين الشريفين؛ وكانت له فيهما مواقف محمودة لا يزال الحضارمة يعتزُّون بها كلما ذكرت.

وكانت هذه الرحلة آخر رحلاته الخارجية؛ ثم مرض بالحمى؛ وبينما هو جالس بين عُواده؛ أراد قراءة قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ فخنقته العبرات؛ حتى أشفقنا عليه؛ ثم أتمها بصوت متهدج؛ وبات يصابر الداء؛ حتى أسلم روحه فجر الخامس والعشرين من ربيع الثاني عام ١٣٧٥؛ ببلده بسيؤون.

(١) دولة الخلافة العثمانية وكان من أشد المناصرين لها.

فسارت النعاة بنعيه في طول الوادي وعرضه؛ وشيعت جنازته في مشهد
عظيم لم تشهد سيؤون أعظم منه في سابق عهدها؛ وأقيمت له حفلات تأيين كثيرة
في مختلف الجهات التي زارها؛ والبلاد التي وصل إليها تلاميذه؛ رحمه الله
وأجزل مثوبته.

وكان ﷺ يسأل ربّه أن يبارك في مؤلفاته وينتفع الناس بها؛ فاستجاب الله
دعاءه؛ حيث انتدب من أعيان الحرمين الشريفين؛ رجلاً كريماً وثرياً ووجيهاً؛
يقدر العلم وأهله؛ فطبع هذا الديوان قربة لله؛ ورغبة في تعميم النفع به. وقام
بضبطه وتصحيحه وشرحه وتنسيقه؛ أحد أفاضل الأدباء بمصر؛ إلى أول قسم
الاجتماعيات؛ ثم أتم ذلك إلى آخر الديوان؛ فضيلة الأستاذ الكبير المحقق؛
الشيخ حسنين محمد مخلوف؛ مفتي الديار المصرية السابق؛ وعضو جماعة كبار
العلماء بالأزهر.

فنسأل الله تعالى أن يبلغهم أقصى أمانهم؛ وأن يختم بالصالحات
أعمالهم؛ ونسأله تعالى أن يتغمد صاحب الديوان بسايغ رحمته؛ وأن يجمعنا به
في جنة المأوى؛ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

التعريف بالإمام عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (١٣٠٠ - ١٣٧٥هـ)

ولد الإمام عبد الرحمن بن عبيد الله بن محسن بن علوي السقاف في السابع والعشرين من رجب سنة ١٣٠٠هـ بمدينة سيؤون بلد بحضرموت .

ونشأ نشأة صالحة في كنف أسرته؛ وهي إحدى الأسر المشهورة بالعلم والكرم؛ واعتنى بتربيته والده الرجل الصالح العابد، الزاهد الورع، عبيد الله بن محسن والمتوفى سنة ١٣٢٤هـ، وتتلّمذ؛ وهو دون سن البلوغ؛ على الإمام العلامة عيدروس بن عمر الحبشي؛ صاحب الغرفة؛ المتوفى بها سنة ١٣١٤هـ؛ وكان تأثره به قوياً؛ وتعلقه به تاماً .

وقد اعتنى والده بتعليمه، وحرص على استصحابه للمجالس العلمية، المنتشرة في حضرموت تلك الأيام، كما اختار لتعليمه؛ نخبة من خيرة المدرسين، وعهد إليهم؛ تعليمه القرآن الكريم، والفقه والنحو؛ ومن المستغرب؛ أن بعض أساتذته أصبحوا فيما بعد؛ من تلامذته المواظبين على حضور دروسه!

مؤلفاته:

صنف ابن عبيد الله مصنفات تشهد له بالبراعة وعلو الكعب .

أولاً: مصنفاته الفقهية:

- ١ - كتاب (صوب الركام في عمدة الأحكام) مجلدان وهو مطبوع .
- ٢ - حاشية على كتاب (فتح الجواد بشرح الإرشاد).

- ٣ - حاشية على كتاب (منهاج الطالبين) للإمام النووي رحمته الله.
- ٤ - حاشية على تحفة المحتاج بشرح المنهاج لابن حجر الهيتمي.

ثانياً: مصنفاته في الحديث:

- ١ - بلابل التفريد فيما استفدناه من قراءة التجريد (مطبوع) يقع في ثلاث مجلدات. ولا يوجد منه إلا الجزء الأول. قال عنه الأستاذ الزركلي: هو أشبه بكتب الأمالي في ثلاثة أجزاء وقد صنفه أيام تدرسه للتجريد الصريح للجامع الصحيح (مختصر البخاري) للإمام العلامة الزبيدي الشرجي.
- ٢ - حاشية على الشمائل النبوية للإمام الترمذي.

ثالثاً: مصنفاته التاريخية:

- ١ - كتاب بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت (مخطوط) يقع في ثلاث مجلدات ضخام، قال عنه الزركلي مثنياً عليه: (وأتى فيه بعلم غزير، في تاريخ حضرموت وبيوتها وحكامها وأعلامها، إلى استطرادات في فنون مختلفة من أدب وحديث ونقد، إلى وثائق سياسية ومعاهدات وملحوظات).
- ٢ - إدام القوت أو معجم بلدان حضرموت (مطبوع).

رابعاً: مؤلفاته الأدبية النقدية:

- ١ - العود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي: من أحفل كتب الأدب بالفوائد والفرائد مع الأشعار والأخبار، مما يدل على ما يتصف به مؤلفه من سعة الاطلاع، مع رحابة الصدر في إيراد ما قد يتحاشى البعض من إيراده من النكت والنوادر، وقد يسوق بعد ما يورد من الشواهد؛ طرائف من الشعر أو القصص الحديثة.
- ٢ - هذا الكتاب ديوان ابن عبيد الله: ديوان حافل بأصناف وألوان القصائد وأرقها وأعذبها وأجزلها. وقد طبع في رمضان من سنة ١٣٧٨هـ، تحت نظر

وتصحيح الشيخ حسين مخلوف وبإشراف ابن الإمام السيد حسن بن عبد الرحمن السقاف كما توجد مجموعة أخرى مخطوطة من شعر الإمام ابن عبيد الله تقع في حوالي ٥٠٠ صفحة؛ وتمثل الجزء الثاني من هذا الديوان. قال عنه الشيخ حسين مخلوف: ديوان شعر وعلم وأدب وتاريخ وسير ودين وأخلاق.

٣ - معارضة البردة: طبعت بعد سنة ١٣٦٧هـ.

٤ - نسج البردة: على منوال بردة البوصيري وقد طبعت مؤخراً.

٥ - الرحلة الدوعنية: وهي عبارة عن رحلة منظومة . . وقد قام ابن عبيد الله بهذه الرحلة إلى مناطق دوعن سنة ١٣٦٠هـ . . وهي تعدّ من روائع أدب الرحلات.

٥ - مفتاح الثقافة أو النجم المضيء في نقد عبقرية الشريف الرضي وهو هذا الكتاب (مطبوع).

٦ - النقد العلمي الذوقي في الجواب عن أبيات شوقي: وهو جزء لطيف مخطوط يقع في ٣٢ صفحة ومطبوعاً في ٢٢ صفحة.

خامساً: محاضراته وخطبه:

كان الإمام ابن عبيد الله السقاف خطيباً مصقماً . . ومع ما ترى له من المؤلفات إلا أنه كان في الخطابة أعظم منه في الكتابة؛ وقد جمعت بعض خطبه وطبع بعضها ومنها:

١ - محاضرة في تحقيق الفرق بين العامل بعلمه وغيره وما يتصل بذلك من حدّ الولاية وحكم الإلهام؛ طبعه بمصر سنة ١٣٥٥هـ في ٣٢ صفحة بتقريظ العلامة أحمد المطاع الصنعاني.

٢ - كلمة عن العدالة والمساواة: ألقاها في درسه بسيؤون في ٩ ربيع الثاني سنة

١٣٧٢هـ.. بعد أن سُئل عن حكم الإسلام في ذلك، وكانت على البديهة
ارتجالاً بدون تحضير سابق!!

٣ - كلمة حول (تحديد الملكية): وهي ردٌّ على مقال للشيخ محمد عرفة نُشر
بمجلة الأزهر.. وتاريخها ١٦ ربيع الثاني ١٣٧٢هـ.

سادساً: الردود:

نذكر منها:

- ١ - النجم الدرّي في الردّ على السيد سالم الجفري.
- ٢ - نسيم حاجر في تأكيد قولي عن المهاجر.
- ٣ - السيف الحاد لقطع الإلحاد: طبع بعدن في شعبان ١٣٦٩هـ في ١٣٨
صفحة. وهو ردٌّ على كتاب توحيد الأديان.

مقدمة الناشر للطبعة الأولى (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه
والتابعين.

أما بعد فإننا نقدم للقراء الأكارم ديوان السيد عبد الرحمن بن عبيد الله
السقاف اليميني مشروحاً شرحاً مناسباً بذلنا فيه جهد الطاقة.

لقد حوى الديوان من الألفاظ أجزلها وأرصنها، ومن المعاني أبدعها
وأشرفها، ومن الأغراض ما يُعَدُّ به كتاب علم وأدب، ودين وأخلاق، وتاريخ
وسيرة.

لقد تضمن مادة لغوية واسعة؛ دلت على سعة اطلاع صاحبه على مكنون
اللغة؛ واستيعاب قواميسها؛ حتى لقد كنا في أثناء الشرح؛ نبحت عن الكلمة فلا
نجدها إلا في أمهات كتب اللغة، ثم يسترسل الشاعر؛ وقد تفوق القصيدة المثة
عدداً. ذلك لأنه طویل النَّفْس؛ قويُّ المَلَكَة الشعرية؛ طاهر المقاصد؛ نبيل
المرامي والأهداف؛ عالم بالدين والأدب وتاريخ آل البيت؛ خاصة، هاضم

(١) كتب هذه المقدمة المشرف على طباعة الديوان والذي تمت طباعته في شهر رمضان من سنة
١٣٧٨هـ وقد أشرف على ضبطه وتنسيقه أحد أفاضل الأدباء بمصر إلى أول قسم
الاجتماعيات؛ ثم أتم ذلك إلى آخر الديوان فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي
الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر. إلا أن الغريب أن أحداً من
المحققين لم يذيلها باسمه والأقرب أن الذي كتب هذه المقدمة هو فضيلة الشيخ حسنين
محمد مخلوف.

دواوين الشعراء الأقدمين؛ مما نوهنا عنه في ذيل الديوان في بعض المناسبات .

والسيد الشاعر شديد التعلق بالامتزاج الوجداني بالنبوي ﷺ . وقد كان ذلك له معيناً فياضاً؛ أكسبه امتداد القول؛ وحسن التعبير؛ ومدّه بجوٍّ رُوحِيٍّ لطيفٍ؛ لا يلبث أن يجتذب قارئه إليه .

ولا غرّو؛ فصاحب الشريعة الإسلامية ﷺ؛ نورُ الدنيا؛ والرائدُ الكريم إلى الأخرى . وحبُّ عترَةِ المصطفى؛ أجلُّ مظهر من ظاهر التقوى، وأعظم سبب من أسباب التمسك الأقوى بالافتداء به في العمل الصالح؛ بما جاء به كتاب الله وسنة رسوله رضي الله عنهم أجمعين .

كتبنا هذه المقدمة في أثناء القراءة والشرح؛ لمدح هذه النفوس الذكيّة الطاهرة . وشعرنا بانسراح صدر، ونشاط شديد، ورغبة في فهم أسرار هذا الشاعر العربي العظيم؛ وأحسنا بالسرور الفياض؛ أن نقضي وقتاً بين أزهار هذه الرياض، فأبعد الملل عن القراءة؛ وساعد على البحث وتقصى روائع هذا الشعر البليغ .

والديوان ينقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: مدائح النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته وأصحابه .

القسم الثاني: الاجتماعيات والصوفيات وما يناسبها .

القسم الثالث: التُركيّات .

القسم الرابع: الإماميات .

والله المسؤول أن يجعل هذا الديوان نافعاً لطلابه، مفيداً لقراءته؛ ما تعاقب

الليل والنهار .

مقدمة محقق الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم وبعد:

فهذه هي الطبعة الثانية للجزء الأول من ديوان الإمام عبد الرحمن بن
عبيد الله السقاف؛ وقد طبع هذا الديوان لأول مرة سنة ١٣٧٨هـ؛ أي قبل سبع
وخمسين سنة؛ بطريقة الطبع القديمة؛ ولم تبق من نسخ هذه الطبعة إلا ما هو
بعدد أصابع اليد؛ أو اليدين؛ بعد أن قضى عليها الزمن؛ فتلف معظمها؛
والتهمت دابة الأرض بقيتها.

وقد كنت متردداً في إعادة طبعه وتحقيقه؛ لأسباب؛ منها اعتقادي المتقدم
بأنه لن تتحصّل من دواوين الشعر فوائد علمية؛ ولا تحقيقات فكرية؛ كما كان
الأمر في كتب الإمام الأخرى ثم ثانياً؛ لكوني لا أميل كثيراً لقراءة الشعر؛
خصوصاً وأن الإمام ابن عبيد الله؛ يستخدم في شعره المفردات الصعبة؛
والكلمات الغريبة؛ والتي قال عنها محقق الطبعة الأولى من الديوان: إننا لا
نجدها إلا في أمهات القواميس؛ مما يزيد من صعوبة الاستمتاع بقراءة هذا
الديوان؛ خصوصاً في هذه الأيام الذي ضعف فيها الاهتمام باللغة العربية؛
فُنسيّت كلماتها الفصيحة؛ وجُهَلت تعبيراتها البليغة؛ وخيّم الجهل بأسرار اللغة
على معظم العرب.

لكنني عندما قرأت مقدمة الناشر للطبعة الأولى من هذا الديوان والتي قال
فيها: ولقد حوى الديوان من الألفاظ أجزلها وأرصنها؛ ومن المعاني أبدعها

وأشرفها؛ ومن الأغراض ما يعدُّ به كتاب علم وأدب ودين وأخلاق وتاريخ وسير؛ فقد شجعتني هذه العبارات على البدء في تحقيق الديوان؛ بعد فترة استرخاء وتردد استمرت لعدة أشهر.

ومما شجَّعني أيضاً على إعادة تحقيق الديوان وطبعه؛ ما نقله الخال حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله؛ والذي أشرف على الطبعة الأولى لهذا الديوان؛ نقلاً عن والده حيث قال: وكان ﷺ يسأل ربّه أن يبارك في مؤلفاته وينتفع الناس بها؛ فاستجاب الله دعاءه؛ حيث انتدب من أعيان الحرمين الشريفين؛ رجلاً كريماً وثرياً ووجيهاً؛ يقدر العلم وأهله؛ فطبع هذا الديوان قربة لله؛ ورغبة في تعميم النفع به. فكانت هذه العبارات من أقوى ما دفعني للاهتمام بإعادة تحقيق الديوان وإعادة طبعه؛ خصوصاً وقد توفرت لي؛ والله الحمد؛ الإمكانيات على تنفيذ رغبة الجدِّ وتحقيق أمنيته.

ومن الأمور الأخرى التي شجعتني على تحقيق هذا الكتاب وإعادة طبعه؛ ما تعرّضت له كُتب الإمام من هضم وإهمال؛ فقد بقيت كتبه العظيمة مخطوطة لأكثر من ثمانين سنة؛ ولم يهتم أحد بتحقيق بعضها إلا في الفترة الأخيرة؛ بل إن كثيراً ممن تعرضوا لدراسة الشعر في اليمن؛ لم يتكلموا عن الإمام ابن عبيد الله إلا بالنزر اليسير؛ بل وقد أهمل ذكره بالكلية صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين؛ مع كون الإمام من أشهر شعراء وعلماء حضرموت على الإطلاق؛ كما لم ينصفه الباحثون المتأخرون؛ بل ربما بنوا آراءهم على شعره؛ معتمدين على ما توفر لهم من المقتطفات الموجزة من شعره.

ولكنني عندما بدأت العمل في تحقيق الديوان؛ وجدت متعة عظيمة في قراءة قصائد الديوان؛ وأشرفت على واقع الحال في ذلك الزمن؛ وما جرى فيه من وقائع وأحداث؛ وعاشت حال الإمام وما تعرض له من قومه وأهل بلده؛ من أذية ومضايقات؛ بلغت إلى أقصى مدى؛ إضافة إلى ضعف حالته المادية؛ وتراكم ديونه. لكنه رغم ذلك؛ عاش عيشة طيبة؛ وكان كثير الإكرام للزوار والضيوف.

وقد عرفنا من هذا الديوان قوة شاعرية الإمام ابن عبيد الله؛ والتي أبرزتها بشكل واضح؛ تلك المباراة الشعرية بينه وبين الشاعر اليمني القاضي الحضرائي؛ والتي أثبتت لأهل حضرموت عبقرية الإمام ابن عبيد الله ونبوغه.

ونحن لا نحتاج إلى تدليل على هذا الكلام بأكثر مما قاله فيه الإمام المتوكل على الله يحيى حميد الدين مؤسس المملكة المتوكلية اليمنية والذي تبادل معه القصائد الشعرية والخطابات النثرية؛ والإمام يحيى كما كان ملك اليمن؛ فقد كان أيضاً من ملوك الكلام؛ وهو الشاعر الوحيد بين الحكام العرب؛ وقد قال في مدح الإمام ابن عبيد الله الشيء الكثير؛ ونقتطف منه قوله في إحدى رسائله: إلى محبنا الصادق، وابن العم بالنسب الملاصق، ذي القول العضب، واللسان الآخذ بمجامع القلب، الأجل العلامة وجيه الإسلام، والنخبة في آل باعلوي الكرام؛ عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف؛ ثم قال بعد السلام: فإنها وصلت البطاقة، المحتوية على محاسن الرشاقة، وفي طيها القصيدة الفريدة، والمديحة الخريدة، ولقد وقفنا منها على القول الحر، والمنطق الجزل، وأرتنا كيف يُدار كلام الحكم، وحكمة الكلام، وبأيّ عبارة تُساق ركائب الحِفاظ؛ وتُثار نيران الغيرة والعزيمة؛ المصونة عن آفة التردد، فلله درّكم من ناظم ثائر، تقف دون مداه أفكار البلغاء حواسر (انتهى).

وقبل أن نتحدث عن محتويات الديوان نتحدث قليلاً عن فريد عصره ووحيد زمانه الإمام العظيم عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف؛ والذي تشهد مؤلفاته وخطبه وسيرته؛ على عبقريته الفذة ونبوغه المدهش؛ وتمكنه من العديد من الفنون المختلفة؛ والعلوم المتنوعة؛ فهو في الفقه إمام؛ وما كتابه (صوب الركام في تحقيق أدلة الأحكام)؛ إلا شاهداً على بلوغه مرتبة كبار الفقهاء من أمثال الرملي وابن حجر الهيتمي؛ أما كتابه العود الهندي؛ فقد تحدّث عنه الأدباء وأثنى عليه الشعراء؛ بما يضعه في مرتبة الأمايي لأبي علي إسماعيل القالي؛ وبلغ الإمام ابن عبيد الله مرتبة عظيمة في النقد الأدبي في كتابه (النجم المضيء في نقد عبقرية الشريف الرضي) لم يبلغها في نظري أحد غيره؛ أما كتابه التاريخي الهام (إدام

القوت في ذكر بلدان حضرموت)؛ فهو معجم جغرافي تاريخي أدبي واجتماعي؛ في أسلوب جميل؛ وتفريع بديع؛ تفوق فيه على الهمداني وياقوت؛ ومع ذلك فإن إدام القوت ما هو إلا ملخص لموسوعته العظيمة؛ (بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت)؛ في ثلاثة أجزاء كبار وهي موسوعة تاريخية أدبية واجتماعية عظيمة؛ لكنها للأسف لا زالت رغم قيمتها العظيمة مخطوطة؛ ومهملة؛ ولا تحظى بالاهتمام المطلوب؛ كما يعتبر كتاب الإمام ابن عبيد الله العظيم؛ (بلا بل التغريد)؛ تحفة فريدة؛ جمع فيها فلسفة الغزالي؛ وآراء الفخر الرازي؛ ونظريات ابن خلدون؛ في قالب أدبي وعلمي عجيب. كما أدهشني الإمام في كتابه (السيف الحاد لقطع الإلحاد)؛ بأطلاعه الواسع على الأديان والعقائد والملل؛ وبنصاعة أفكاره الحديثة؛ وتحليلاته العجيبة؛ وتنبؤاته الصادقة. والغريب المدهش أن الإمام ابن عبيد الله الذي لم يطلب العلم في غير حضرموت؛ ولم يغادرها إلا لسفريات خارجية قصيرة؛ يملئ هذه الكتب المتنوعة؛ من ذاكرته الخارقة؛ سواء كانت علمية أو فقهية أو أدبية؛ ويورد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وآلاف من الأبيات الشعرية والنوادر الأدبية والدقائق الفقهية؛ وكأنما المصحف؛ وكتب الحديث؛ والكتب الأخرى؛ مشرعة أمامه يختار منها حيث يشاء.

كما كان الإمام ابن عبيد الله خطيباً موهباً يأتي في خطبه الارتجالية؛ ببديع المعاني وفصيح الكلام؛ ويورد من ذاكرته الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية؛ بلا جهد ولا تعب؛ وإذا تمنى أحدنا سماع خطب قس وسحبان؛ فإن خطب الإمام ابن عبيد الله؛ تغنيه عن الشوق لسماعها.

وكان الإمام ابن عبيد الله يلقي الدروس العلمية؛ ويأتي فيها بالعجب العجاب؛ وذكر الجد العلامة الفقيه علوي بن عبد الله السقاف دروس الإمام ابن عبيد الله الفقهية في المنهاج فقال^(١): فكان يعلق من حفظه على عبارات التحفة والأسنى والنهية والشبراملسي وعبد الحميد؛ ويستشكل؛ ويحل ما استشكله

(١) علوي بن عبد الله السقاف التلخيص الشافي صفحة ١٣٨.

المحشون؛ فكانت تلك الدروس والمجالس تذكّرنا بما يروى عن إمام الحرمين والغزالي والنووي والرافعي (انتهى بتلخيص).

ووصف الشاعر والأديب عبد القادر بن سالم خرد الإمام ابن عبيد الله؛ في مقدمة كتاب صوب الركام؛ فقال: من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل القرن الأول في الإسلام؛ أو أقرب شهماً بهم؛ فليُنظر إلى هذا الإمام؛ لقد أحرَّ الله ظهوره رحمة بأهل هذا العصر؛ لينظروا بأعينهم الشحمية هذا النوع من الرجال النادر الوجود؛ وليروا بين أظهرهم رجلاً يجمع بين العلم والزعامة؛ والتواضع والشهامة؛ والتقوى والإمامة، والسياسة والاستقامة، والجرأة والإقدام؛ والبلاغة والخطابة، واللطافة والمهابة، والوقار والقبول؛ والذكاء والنباهة والأخلاق؛ والمروءة والحلم والتسامح والإخلاص والعفة، كل هذا وغيره من الصفات الحسنة؛ مع كمال حليته؛ وحسن هيئته، وغزارة علمه؛ وفصاحة لسانه، وقوة حافظته، وسرعة بديهته، ودقّة ملاحظته؛ وحِدّة فهمه، وأصالة شاعريته، ورقة عاطفته، وشفافية روحانيته، وبُعد نظره، وحلاوة أسلوبه، وعلو هِمّته، وثبات شكيمته.

لا تجد مجلساً كمجلسه؛ يجمع بين الفوائد الغالبة؛ والنوادر العالية، والنكت الغريبة، والطرائف العجيبة؛ في مختلف أنواع العلوم والآداب والمعارف المتشعبة؛ حتى أن السامع لينسى نفسه ووقته؛ مستغرقاً بكلّيته في حضرة هذا الإمام؛ لما يلقى عليه من المعارف، وينثره من العلوم، ويستنبطه من المفاهيم؛ بأسلوب عذب شيق؛ في استرسال بليغ، يشد الانتباه ويلفت النظر.

ولقد رأيت كثيراً يستمعون إليه وهو يخطب ساعة زمنية كاملة؛ وربما أكثر، وهم يحدقون فيه أنظارهم مشدودة إليه أذهانهم، مندهشين من استرساله وبلاغته؛ مستعذبين لهجته وفصاحته، يتأملون هيئته العجيبة، وطلعته المهيبة، لا يشعرون بملل، ولا يعترِبهم تدمر ولا كسل، كل هذا وهم لا يكادون يفقهون حديثه، ولا يعرفون معنى ما يقول، فكيف بمن ذاق وعرف، وعام في بحره ومنه اغترف. (انتهى).

أما من الناحية السياسية؛ فقد كان الإمام ابن عبيد الله مؤيداً لدولة الإسلام العثمانية؛ وكان يشتعل حماساً لنصرة الدين والدفاع عن الإسلام والمسلمين؛ ويؤيد بكل ما أوتي من قوة؛ الدولة العلية؛ يفرح لانتصاراتها؛ ويحزن لنكساتها؛ ويعادي الأجانب ويكرههم لأجلها؛ ويحمل على كل من يناصر الأجانب؛ ومن يقف في صفوفهم ضد دولة الخلافة العثمانية.

بل وبلغت به الحماسة أقصى درجاتها عندما تقدم القائد التركي علي سعيد باشا؛ مع مجموعة من المجاهدين العرب؛ واحتلّ لحجاً بسرعة البرق؛ ثم اتجه نحو عدن لطرده الإنجليز؛ وبدأ الإنجليز يعدون العدة لمغادرتها؛ رغم ما عندهم من أسلحة وعتاد؛ لولا تغيّر رياح الحرب العالمية لصالح الإنجليز؛ وانهمز الأتراك؛ وإصدارهم الأوامر لجيوشهم المتفرقة بالبلاد؛ بالتوقف عن الحرب وإعلان الاستسلام.

وكان الإمام ابن عبيد الله على اتصال مستمر بالقائد التركي علي سعيد باشا في لحج؛ وكان يجمع له المؤيدين بحضرموت؛ ويطلب من أعيان حضرموت وسلطينها التوقيع على وثيقة البيعة للدولة العثمانية؛ التي أرسلها القائد العثماني للإمام ابن عبيد الله؛ وكان الإمام ابن عبيد الله يتمنى وصول الأتراك إلى بلده حضرموت؛ ليبعدوا عنها الأجانب؛ ويقيموا فيها العدل؛ وينشروا في ربوعها الأمان؛ وينصروا الشريعة؛ ويحفظوا الدين.

بل وبلغ الحماس بالإمام ابن عبيد الله أقصاه؛ عندما طلب من القائد التركي علي سعيد باشا المشاركة في الجهاد؛ كما جاء في هذا الديوان حين قال: وكنت استأمرته في السفر للجهاد؛ واستأذنت فيه الوالدة؛ فأذنت؛ مع أنني واحداً؛ ولا تصبر عني لحظة؛ ولكنها قالت: أمّا سبيل الله؛ فلا أقدر على منعك عنه؛ ولا عن حرمانك الشهادة؛ فعاد جوابه؛ بالكف وقال: إنّ الأصلح للإسلام بقاءك حيث أنت. (انتهى).

ثم لما انهارت دولة الخلافة؛ وبدت طلائع الإنجليز تتوافد على

حضر موت؛ وأخذت طائراتهم تطير في سمائها؛ تطلّع الإمام ابن عبيد الله لمن يساعده على إنقاذ حضر موت من هذا الخطر العظيم؛ الذي رأى فيه تهديداً للأخلاق والدين؛ ولم يجد أمامه سوى الإمام يحيى الذي استقلّ باليمن بعد هزيمة الأتراك؛ خصوصاً وقد أعجبه الدور الذي قام به الإمام المتوكل على الله؛ إسماعيل؛ من استنقاذه حضر موت؛ لَمَّا استنجده الأمير بدر بن عمر الكثيري. وقال الإمام ابن عبيد الله متحدثاً بإعجاب عن دور هذا الإمام: وبعد أن رواها بالدماء؛ وأنفق عليها من الذهب ما يوازي قطر السماء؛ دفعها برمتها له؛ لقمة هنيئة؛ وهدية سنّية؛ قانعاً منه بالدعوة المنبرية؛ ومشرطاً عليه الاعتصام بسنة خير البرية (انتهى).

ولهذا بدأت الاتصالات والقصائد بين الإمام ابن عبيد الله وبين إمام اليمن وملكها يحيى حميد الدين؛ وقد أعجب الإمام يحيى بفصاحة ابن عبيد الله وبلاغته وشعره؛ ووعدته بتحقيق رغبته وما كانت إلا استنقاذ حضر موت من أطماع الإنجليز. ولم يكن الإمام ابن عبيد الله يعرف على ما يبدو؛ أنّ الإمام يحيى لا يستطيع أن يواجه الإنجليز الذين خرجوا من الحرب منتصرين؛ فقد كان في وضع سياسي دقيق؛ لا يستطيع معه؛ أن يقوم بأي عمل ضدهم لا في حضر موت؛ ولا في غيرها من مناطق نفوذ الإنجليز؛ خصوصاً وأنه ما زال يرتب أوضاع اليمن الداخلية والخارجية؛ وتحيط به الكثير من التحديات والأخطار. كما أن الإمام يحيى لم يكن قادراً على ما يبدو على توضيح هذا الأمر؛ بشكل جلي؛ لابن عبيد الله؛ واكتفى بالاعتذار بغيوم السياسة. لذا اقتصر الأمر بينهما على تبادل الرسائل والقصائد وإرسال الوعود دون تنفيذ؛ مما أضجر الإمام ابن عبيد الله وآيسه من أي عمل يقوم به الإمام يحيى لأجل حضر موت.

وقد انتقد بعض المثقفين اليمنيين؛ التجاء الإمام ابن عبيد الله إلى الإمام يحيى وطلب نصرته؛ واعتبروا أن ذلك من العبث^(١)؛ حيث إنّ الإمام يحيى؛ كما

(١) د. أحمد هادي باحارثة الانتصاف لابن عبيد الله صفحة ٨٠ تريم للدراسات والنشر.

قالوا؛ لا يفعل شيئاً؛ ولعل هذا الكلام صادر من أشخاص لم يقرؤوا تاريخ
 حضرموت؛ ولم يستوعبوا حالتها الراهنة؛ ولم يعايشوا ظروفها الصعبة. فقد
 عاشت حضرموت في زمن الإمام ابن عبيد الله؛ أوضاعاً شبيهة بالأوضاع التي
 عاشها جده الزعيم محسن بن علوي السقاف (١٢١١ - ١٢٩٠هـ)؛ أيام الدويلات
 القبلية بحضرموت؛ مما دفع الزعيم محسن بن علوي السقاف؛ وبقية أعيان
 حضرموت وقتها؛ إلى طلب العون والنصرة من إمام اليمن؛ ولكن طلباتهم لم
 تحظ منه بالقبول.

ورغم عدم قيام الإمام يحيى بأي دور إيجابي في حضرموت؛ فإن أوضاع
 حضرموت السيئة لم تمنع بعد ذلك طائفة أخرى من كبار أعيان حضرموت على
 تكرار طلب العون والنصرة من الإمام يحيى؛ فهذا مثلاً الأستاذ المؤرخ محمد بن
 أحمد الشاطري؛ يثني على دولة الإمام يحيى؛ ويتمنى أن يشملهم حكمه؛ فقال
 في قصيدة سيرها للإمام يحيى:

ومن كان يحيى إماماً له	فهيها هيهات أن يرهبوا
أقام لهم دولة تنقى	فليست تصر ولا تحلب
وفازوا بأمنين في ظله	هم العدل والبلد المخصب
كما بائنتين حصرنا هنا	هما الجور والبلد المجذب

ثم يقول:

فقل للإمام عليه السلا	م قوموا بواجبكم واندبوا
ولا تتركونا على ما بنا	فنحن بنو العرب وهو الأب
وإنابه وبأبنائه	لنأمل أن يحصل المطلب

وكذلك فعل الأستاذ محمد بن هاشم بن طاهر؛ فهو يقول في قصيدة بعثها
 للإمام يحيى:

بلغ أمير المؤمنين سلامنا واذكر له قوماً إليه تقربوا

واشرح مآسي حضرموت وقل له مستقبل حلك ونار تلهب
 وإذا حبرت فقل له إن العدى صالوا على أهل الهدى وتغلبوا
 فأرأب بعزمك ذلك الصدع الذي قد كان من طول المدى لا يرأب
 واجمع شتات بني أبيك فإنهم في حالة واللّه ليست تعجب

ولعلي أتوقف أمام قصيدة السيد محمد بن هاشم؛ لأنه من المقربين من السيد أبي بكر بن شيخ الكاف؛ وما أظنه يتوجه لإمام اليمن بهذا الطلب دون موافقته؛ أو ربما أرسله بتوجيه منه؛ بعد أن خيَّب الإنجليز أمله؛ وقد كان يعتقد أنهم قادرون على حفظ الأمن بحضرموت؛ وتطويرها لتصبح مثل سنغافورة؛ فأدرك مؤخراً أنهم لم يفعلوا شيئاً لحضرموت؛ وأنَّ ضررهم أكثر من نفعهم؛ وأنَّ دولة الإمام يحيى أفضل منهم.

هذا ولما أيس الإمام ابن عبيد الله من نصرة الإمام يحيى؛ بقي يتطلع إلى منقذ لحضرموت؛ ولهذا راوده الأمل عندما وصل عبد الله فليبي من الحجاز إلى حضرموت؛ بأول رحلة سيارة عبر الربع الخالي؛ وظنَّ الإمام ابن عبيد الله أن يكون مقدم عبد الله فليبي؛ المقرب من الملك عبدالعزيز؛ إلى حضرموت؛ نتيجة الحديث الذي شافهه به الملك ابن سعود يوم اجتمع به في مقره بالمعابدة قبيل حج سنة ١٣٥٤هـ؛ فلقد قال له الملك عبد العزيز: إن حكومة الإنجليز أرسلت إليّ في رمضان من هذه السنة؛ من يفاوضني بشأن حضرموت؛ وانتهى الكلام على إرسال وفد يستفتي أهلها؛ أنتخب أنا بعض رجاله؛ وينتخب الأخ يحيى بعضاً؛ وتنتخب الحكومة الإنجليزية بعضاً؛ ثم يذهب كلهم وفداً؛ قال الإمام ابن عبيد الله: فسرتني هذا الكلام كثيراً؛ وبنيت عليه الآمال الطويلة العريضة؛ غير أن السياسة لا لون لها؛ وإنما تتكون بألوان الظروف.

وبالإضافة للدور السياسي الدولي الذي قام به الإمام ابن عبيد الله؛ فلقد قام أيضاً بدور مهم في محاولة إصلاح أوضاع حضرموت؛ وذلك بإنشاء الجمعيات؛ ووضع القوانين لها؛ ومراجعة السلاطين وتوجيههم؛ بل إنه حاول حتى إصلاح

أحوال الحضارمة في جاوة؛ ولكن أغلب محاولاته باءت بالفشل؛ حيث قام المعارضون له بإفساد جميع خططه للإصلاح. ويقول الإمام ابن عبيد الله عن ذلك:

جِرَاءُ قِيَامِي بِالنَّصِيحَةِ أَنْبِي إِذَا شِدْتُ بُنْيَانًا مِنَ الْمَجْدِ حَرَبُوا
يُرِيدُونَ أَنْ يُظْفُوا بِضَغْنِ نَفْسِهِمْ سِرَاجَ هُدَى يُذَكِّيهِ عِلْمٌ فَخَبُّوا

وتعرض ابن عبيد الله للكثير من المكائد والدسائس والأذى المتواصلة؛ وما ذلك إلا بسبب جرأته وصراحته؛ وإصراره على قول الحق مهما كان الثمن؛ بل وصل الأمر إلى معاداة السلاطين له؛ وفرض الإقامة الجبرية عليه في بيته؛ ومنع الناس من زيارته؛ كما غضبت عليه بريطانيا لمناصرتة الأتراك؛ ودعوته للتبعية لهم؛ فأعلنت جائزة لمن يغتاله أو يأتي به لهم حياً.

كما قاسى الإمام من تعامله الطيب مع الناس؛ وإسداء المعروف لهم؛ ثم إذا هم ينقلبون ضده؛ ويقفون في صف أعدائه؛ بل بلغ بهم الحال إلى تمنى موته؛ رغم أنهم يعرفون أنه لا يوجد بينهم من هو مثله.

وَيَهْوُونَ مُوتِي وَهُوَ مَوْتُ لِعِزِّهِمْ فَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا فِي اللَّيْلِ كَوَكْبُ
يُوالون أعدائي ويُقْضُونَ شِيعَتِي وَمَا زِلْتُ أَشْقَى فِي عُلاهِمْ وَأَنْصَبُ

والإمام ابن عبيد الله يحب بلده سيؤون ولا يرضى بها بديلاً؛ ولما اشتد الأذى عليه؛ وشرح ذلك للإمام يحيى؛ لم يقم الإمام يحيى بأكثر من دعوته للإقامة مع عائلته باليمن؛ مكرماً معزراً؛ لكن ابن عبيد الله أكبر ذلك الأمر؛ فهو لا يستطيع ترك حضرموت التي يقول فيها:

مِشَارْفُ مَا فِيهِنَّ لِلْعَيْنِ مَنْظَرٌ يَرُوقُ سِوَى شَيْءٍ مِنَ السُّدْرِ وَالنَّخْلِ
فَمَا زَرَعَهَا ذَاكَ وَلَا تَمَّ قَاطِنٌ بِهَا غَيْرَ شَاكٍ قَلَّةَ الْأَمْنِ وَالْعَدْلِ
وَلَكِنَّ فِيهَا نِشَاتِي وَوِلَادَتِي وَخَلَّفْتُ فِيهَا صِبْيَتِي وَبِهَا أَهْلِي

ثم إن الإمام يحيى لم يفعل بعد ذلك شيئاً لنصرة صديقه ابن عبيد الله؛ إلا

التوصية عليه لحكومة عدن؛ بعد عفوها على معارضيهما بعد انتهاء الحرب، ولعلَّ الإمام يحيى بدهائه وسياسته؛ يريد بهذه التوصية أن يظهر لابن عبيد الله؛ استمرار اهتمامه بأموره؛ وحرصه على شؤونه؛ ويريد في الوقت نفسه أن يوحى للإنجليز؛ بأنه لن يتصرف في مجال نفوذهم بحضرموت وغيرها من المحميات؛ إلاّ بمشاورتهم والترتيب معهم.

هذا وكان الإمام ابن عبيد الله؛ حميَّ الأنف؛ عزيز الجانب؛ كريماً؛ لا يقول الشعر كما يقوله الشعراء المحترفون؛ لأجل اكتساب الهدايا والهبات؛ ولكنه يقول الشعر للدفاع عن الإسلام ونصرة المسلمين. ولم يكن ذهابه لليمن واتصالاته ومراسلاته للإمام يحيى إلاّ لإصلاح حضرموت؛ وحفظ الأمن بها؛ وطرده الإنجليز منها؛ وحفظ الشريعة والدين كما يقول:

وما استنصرتهُ إلاّ لدينٍ خشيتُ عليه غاراتِ المغيرِ
ولن ترضى مروءتهم رجوعي على عقبى بلا مددٍ كبيرِ
ولمّا عرض الإمام يحيى عليه التزوُّج باليمن؛ وقدموا له جارية للتسرّي؛ رفض ذلك العرض لأنّ له هدفاً معيَّناً لا يحيد عنه؛ ولا يحب أن يشغله عنه شاغل.

بل وعندما قال الإمام قصيدته الرائعة أمام الأمير محمد بن علي الإدريسي بصيبيا؛ قال له الأمير: كل طلباتك مجابة؛ فلم يطلب ابن عبيد الله منه شيئاً؛ كما ذكره في بضائع التابوت؛ رغم أن كاهله كان مثقلاً بالديون.

كما كان الإمام ابن عبيد الله شديد الاهتمام بأمور المسلمين العامة؛ فنراه يتألم لأحداث طرابلس بليبيا؛ ويعترض على معاهدة الأتراك مع الإيطاليين وتخليهم عن الليبيين؛ كما كان شديد التألم مما يحدثه الأجانب بين المسلمين من فرقة وخلاف؛ وفرح الإمام ابن عبيد الله بالصلح بين الإمام يحيى والملك عبد العزيز آل سعود؛ لأنه حقن دماء المسلمين؛ وأفسد خطط الأجانب بالوقعة بين الحكام العرب؛ وقال يهنئ صديقه ابن الزبير لمشاركته في إبرام هذا الصلح:

صلح به نلت ودّ المسلمين فما في الأرض من مسلمٍ إلا لكم داعي
 خفنا على بيضة الإسلام من فتن تفضي لأجناس أضرار وأنواع
 رام الأجنب توسيع الفتوق فلم يبق امرؤ فيه دين غير مرتاع
 وكان الإمام ابن عبيد الله لا يترك المجال لأيّ متجاوز على الدين
 الإسلامي؛ ولا معترض على الأخلاق الإسلامية؛ ولهذا لم يسكت على الرد على
 الملحدين؛ وألّف كتاب السيف الحاد للرد على صاحب كتاب توحيد الأديان؛
 ولم يترك الرد على الشاعر المصري الذي تبرّع بالدفاع عن بغيّ مناقضاً لحكم
 الإسلام كما ورد في هذا الديوان.

والواقع أن من يقرأ شعر الإمام؛ أو كتبه؛ أو محاضراته؛ يدرك أن هذا
 الرجل يعيش في عصر غير عصره؛ لأن اللغة التي يتكلم بها؛ هي لغة الأصمعي
 وعبد الحميد والجاحظ والشريف الرضي؛ ولا يمكن أن يخطر ببال أحد أن هذا
 الرجل لم يغادر للتعلّم وطنه حضرموت؛ بل إنه كما يقول الإمام عن نفسه؛ أنه لم
 يتعلم شيئاً جديداً بعد أن تجاوز سن الخامسة والعشرين من عمره. فهذه اللغة التي
 يستعملها؛ لا يتكلم بها أحد في حضرموت؛ ولا توجد في أي مصنّف من مصنفات
 الحضارمة؛ القديمة ولا الحديثة؛ فمن أين أتى بهذه اللغة الفصيحة والمفردات
 الغريبة؛ وكأنّما هو قد حفظ أمهات قواميس اللغة. وقال المحقق المصري للطبعة
 الأولى من هذا الديوان: لقد تضمن الديوان مادة لغوية واسعة؛ دلت على سعة
 اطلاع صاحبه على مكنون اللغة؛ واستيعاب قواميسها؛ حتى لقد كنا في أثناء
 الشرح؛ نبحث عن الكلمة فلا نجدها إلا في أمّهات كتب اللغة (انتهى).

ولهذا ليس بمستغرب أن لا يفهمه أبناء زمانه؛ خصوصاً في حضرموت؛ لذا
 نجده يقول في إحدى قصائده:

فأنا اليوم سيئ الحال في الناس كلامي يحتاج إلى ترجّمان
 وهو أشبه ما يكون في هذا الحال؛ بالإمام الحداد الذي يقول:

واني مقيم في مواطن غريبة على كثرة الآلاف في جانبٍ وحدي

قريباً بعيداً كائن غير كائن وحيداً فريداً في طريقي وفي قصدي
 وإذا تمتعاً في قصائد الديوان؛ نجد أنها تقدم لنا تصويراً للحالة الاجتماعية
 والسياسية التي عاشها الإمام ابن عبيد الله في حضرموت؛ وتبين ما كان يتعرض له
 الإمام من قومه وجماعته؛ من معارضة ومناكدة؛ وما عامله به السلاطين
 والأعيان؛ من ظلم واضطهاد؛ برغم جهوده المخلصة لإصلاح مجتمعه وتطوير
 بلاده؛ ومحاولاته المتكررة تأسيس الجمعيات الإصلاحية؛ لكنه لم يلاق من قومه
 إلا التسويف والتخاذل؛ بل وأجمع الكثير من أهله وقومه؛ على معاداته وأذيته؛
 كما يقول في إحدى قصائده:

ما كنت أحسب أسرتي اندمجت على حسدي فكنت أشيم منها خُلْبًا
 ضيَّعت في إرشادها وقتي ولم أجد ابن عمي اللحَّ إلا عقربا
 أهوى الصلاح وأيننه من معشرٍ تبعوا الهوى وتفرقوا أيدي سبا
 لا ضير قد لقي الأذى من قومه جدِّي فعاش محسداً ومكذِّبا
 وكذلك الداعي الصدوق يحبه البعداء ويبغضه لعام الأقباء

كما يعطينا الديوان فكرة عن شخصية الإمام ابن عبيد الله؛ والتي هي من
 أسباب معاناته؛ فقد كان الإمام ابن عبيد الله شديد الجرأة والصراحة؛ عنيداً لا
 يحابي ولا يجامل؛ مهما كانت الظروف؛ ولا يسكت عن أي مخالفة يعتقدونها
 للشرع الشريف؛ مما أكسبه عداوة قومه؛ لكنه يعترف بأن الأمور تحتاج أحياناً إلى
 السياسة والمداراة؛ فيقول عن نفسه؛ عندما دُعِيَ للمشاركة في المفاوضات بين
 الدولتين الحضرميتين بالمكلا: لم يكن عندي من السياسة ما يحفظ لي به المكان
 عندهم؛ متى عدمتها من الجانب الثاني؛ بل صرت بصراحتي؛ وحرية فكري؛
 مبايناً للفريقين؛ وأخشى مع ذكري لما تدرَّج به مؤمن آل فرعون في دعوته؛ أن
 ينطبق عليّ ما جاء في معجم الأدباء لياقوت عن بعضهم؛ أنه لم يكن يلطف صدعه
 بالحق بتعريض؛ ولا يرفقه بتدريج؛ فأكبر عييه عند المنصف له؛ جهله بسياسة
 العلم التي هي أعوض من إتقانه (من مخطوطة بضائع التابوت الجزء الثاني).

وقد نصحه شيخه الشاعر العلامة أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب؛ في قضية الخلاف بين الإمام ومعارضيه؛ فقال له في كتاب سيره له من تريم ٢٠ شعبان ١٣٣٢هـ: يا أخي انظر في علم البديع^(١)؛ اجعل أغراضك كلها بذلك المعيار ومن ذلك النوع تظفر وتسلم (بضائع ص ٢٨٤ ج ٣).

ومن طبيعة الإمام ابن عبيد الله أيضاً؛ كراهيته لمجاوزة الحد في مدحه؛ وقد مدحه قوم؛ فرأى في مدحهم له مجاوزة للحد المعقول؛ فرد عليهم بقوله:

وَإِنِّي وَإِنْ قَابِلْتُ بِالشُّكْرِ فَعَلَّكُمْ أَعَاتِبُكُمْ نَوْعاً مَعَ البَسْطِ لِلْعُدْرِ
فَفِي قَوْلِكُمْ بَعْضُ الغَلْوِ وَلِيَتَّكُم وَقَفْتُمْ بِمَا قَلْتُوهُ عَنِّي عَلَى قَدْرِي

ورغم أن الإمام ابن عبيد الله كان يعيش في بيئة صوفية؛ إلا أنه لم يكن يوافق الصوفية في جميع مشاربهم؛ رغم احترامه لهم؛ ورغم أن والده من كبارهم؛ وكان يصف نفسه بأنه صوفي بالأقوال لا بالأفعال؛ ولعل ذلك بسبب تلزمه الفقه؛ لكنه لم يبلغ مبلغ ابن المقرئ صاحب الإرشاد؛ الذي كان شديد الوطأة على الصوفية؛ لكن ذلك ليس بمستغرب من ابن المقرئ؛ وهو يعيش في بلاد المذهب الزيدي المناوئ للصوفية؛ إضافة إلى اختلاف التصوف باليمن عنه بحضرموت؛ فلم يكن تصوف العلويين إلا عبارة عن أخلاق؛ وزهد وأعمال صالحة؛ بدون دروشة ولا رياضات؛ بما يشبه ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم.

بل ولا يستخدم الإمام ابن عبيد الله في مؤلفاته الألقاب الصوفية؛ إلا فيما ندر؛ فتراه لا يسمي شيخه الذي يكنُّ له عظيم الإعجاب والاحترام؛ وهو الحبييب العلامة عيدروس بن عمر الحبشي المتوفى سنة ١٣١٤هـ؛ إلا بالأستاذ الأبر؛ ويسمي بعض كبار الأولياء بالسيد العلامة؛ مما قد يوحي لمن لا يعرفه؛

(١) توجد في علم البديع أشياء مثل التورية والكناية والتلميح هو أن يشار في فحوى الكلام إلى قصة أو شعر، من غير أن يذكر صريحاً والهدف التدرج في الكلام والابتعاد عن صريح المخالفة الذي قد يثير النفور والعداوة.

بأنه ينتقص من مقامهم؛ أو يقلل من قدرهم؛ رغم أنه يكن لهم عظيم التقدير والاحترام.

وقد حاول واحد من شيوخ الصوفية؛ ومن أصدقاء وملازمي والده؛ وهو الشيخ حسن عوض مخدم المتوفى سنة ١٣٢٨هـ؛ حاول إرشاده إلى طريق التصوف. قال الإمام ابن عبيد الله: وكان أرسل لوالدي كتاباً؛ خصّني فيه بخطاب طويل؛ يحثني به على الزهد؛ والانتظام في سلك طريق الصوفية.

ومع أن للإمام ابن عبيد الله رسالة في مسألة التوسل؛ يبدو أن فيها شيئاً من الإنكار؛ إلا أن له بعض قصائد التوسل؛ ويفسر الإمام ابن عبيد الله ذلك بقوله^(١): وما أكثر ما يوجد التوسل في شعري؛ بالنبي ﷺ؛ وبقية الخمسة الأرواح تبعاً^(٢)؛ مع فرط تكيّفي بما في السياق السابق؛ من أن التوسل به ﷺ ليس كغيره؛ كما نقله ابن القيم وغيره عن ابن عبد السلام؛ لحديث الأعمى؛ وهو مروى عند أحمد والبيهقي والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وغيرهم. وذكره ابن تيمية في (القاعدة الجلية في التوسل والوسيلة)؛ ولم يقدر على تضعيفه بحال؛ بل ولا على إنكار الزيادة المشهورة فيه عند الطبراني والبيهقي؛ وقال في تلك الرسالة: إذا كان التوسل بالإيمان بالنبي ﷺ ومحبيه؛ جائزاً بلا نزاع.. فلم لا يحمل التوسل به على ذلك! قيل: من أراد هذا المعنى؛ فهو مصيب في ذلك بلا نزاع (انتهى).

ومن هنا يكثر التوسل في أشعاري؛ ويشد على القبورين إنكاري؛ لأنهم لا يقصدون ما أقصده؛ وإنما يأتون بصريح الإشراك والجهل؛ فالقرائن محكمة؛ والعلاقات معتبرة؛ والفروق بين الحقيقة والمجاز مرعية؛ وكلا جانبي الإفراط والتفريط مردود (انتهى).

(١) الإمام عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف؛ كتاب إدام القوت؛ دار المنهاج للنشر صفحة

(٢) أي السيدة خديجة والسيدة فاطمة والحسن والحسين والإمام علي رضوان الله عليهم أجمعين.

وإذا نظرنا إلى شخصية الإمام ابن عبيد الله؛ نجده شخصاً مهاباً؛ قويَّ العارضة؛ ذكي الفؤاد؛ ولكنه أيضاً سريع الانفعال؛ يتأثر بسرعة بما يسمعه من الكلام؛ وقد يتصرف بناءً على ذلك؛ ثم يندم على فعله؛ فنراه يصم صديقه الوزير حسين بن حامد المحضار في إحدى قصائده بالخيانة؛ لموافقته على المعاهدة التي أبرمها القعيطي والكثيري مع الإنجليز؛ رغم علمه بكرهية الوزير حسين بن حامد للإنجليز؛ وأنه هو الذي كان يشجعه على الاتصال بالأتراك في اليمن؛ ويدفع له أجرة البريد؛ كما افتعل الوزير حسين بن حامد حرباً صورية مع الكثيري حتى يعتذر للإنجليز عن المشاركة في قتال الأتراك في لحج. لكن ابن عبيد الله يندم على كلامه هذا؛ ويقول بعد ذلك في موقع آخر: وكان وزير القعيطي السيد حسين المحضار؛ صحيح الإسلام؛ يسعى لصالحه؛ وما انتفعت لحج إذ ذاك؛ إلا بالبضائع التي تردّها من المكلا؛ عن علمه؛ إلا أن وظيفته اقتضت بعض ما هناك؛ ووَدَّ لو تشدّد أهل حضرموت؛ ولكنهم سقطوا بمجيء الهزّة^(١).

كما أنه يشفق على قومه المعاندين له والمحاربين ضده؛ حين يقف بهم الطريق؛ ويصعب عليهم التحقيق؛ من ذلك ما ذكره الإمام عندما تحداهم أمام السلطان علي بن منصور وكانوا قد اجتمعوا في قضية هامة قال الإمام ابن عبيد الله: عند ذلك أمرهم السلطان بالكلام، فأرَمَ القوم^(٢)، وأظلم عليهم اليوم، وشَخَصَ البصرُ وبرق، واصفَرَّ وجه كل مريبٍ وعَرِقَ، ويبست الشفاه، واكفهرت الجباه، وسكنت الضجّة، ولما تبَيَّنَ الرشد من الغي؛ رجعنا عن النشر إلى الطي، وأدركتني لهم رِقَّة، وأشفقت عليهم من بعض المشقّة (انتهى).

وحكى الإمام أيضاً قصصاً كثيرة مشابهة لذلك؛ تبين رِقَّةه على خصومه عند وقوعهم في الشدة والحرَج؛ أو عند اعتذارهم؛ . وكان أصعب ما مرَّ عليه ما

(١) ربما يقصد بهذه الكلمة الضابط السياسي الإنجليزي إنجرامس.

(٢) قطعوا عن الكلام وعجزوا عنه.

ذكره في (الجزء الثالث من مخطوطة بضائع الثابوت ص ٣٢٩) حين قال: ثم ما رأيتني أشد انكساراً في نفسي؛ ولا أكثر استحقاراً لحالي؛ ولا أحرَّ ندماً على ما فرط مني؛ يوم تنازل الفاضل الجليل الحبيب عمر بن عبد الله بن محمد الحبشي؛ عن رئاسته ومنصبه؛ وجاء إلى منزلي لترضيّتي؛ مع ظني أنني المتجرّم عليه؛ إذ قلّما يعرض ذكره إلاّ أسأت القول فيه؛ وهترته؛ كما كانت الصديقة عائشة؛ تهتر يزيد بن قيس الأرجي؛ كلما عرض ذكره؛ وذلك لما يكثره عليه أصحابه عندي؛ فلم يكن منه إلاّ أن أدّبني في نفسي بجميل صنعه؛ وحميد تواضعه؛ تأديباً بليغاً؛ أرجو ذخره وبرّه؛ إذ قد بغّض إليّ الاغتياب؛ وتجدّد لي بسببه منه خالص المتاب؛ فجزاه الله عنا أفضل الجزاء؛ ثم قلّما يوقعني في الاغتياب إلاّ توهم المصلحة؛ إذا أبلغني جلسائي أمراً؛ اندفعت في الكلام عليه؛ حتى انغمس في ذلك عن طريق الوعظ؛ وما أشبه ذلك. أما التشنّي فقلما جرنني إلى الغيبة؛ منذ عرفت نفسي (انتهى باختصار بسيط).

وختاماً؛ فإن ما يعيب الطبعة الأولى لهذا الديوان؛ إغفال أسماء الأعلام؛ سواء منهم من قام بخدمة هذا الديوان؛ أو من مُدِّح أو ذمّ بقصيدة من قصائد الديوان؛ فلم نعرف اسم الأديب المصري الكبير الذي قام بمراجعته؛ والذي لم يواصل المهمة؛ فأكملها مفتي مصر السابق؛ الشيخ محمد حسنين مخلوف؛ بل ولم نعرف حتى أسماء الصحف العربية المشهورة التي أشير إلى أنها نشرت بعض قصائد الديوان.

كما لم يقم المحقق للطبعة الأولى من هذا الديوان؛ بأكثر من ترجمة معاني الكلمات؛ ووضع بعض التشكيل على بعض الكلمات. وكان غريباً عن الثقافة الحضرمية بعيداً عن معرفة الشخصيات والبلدان الحضرمية التي ورد ذكرها في الديوان.

وما هذا الديوان الذي بين يديك الآن أيها القارئ الكريم؛ إلاّ الجزء الأول من دواوين شعر الإمام؛ وبقي هناك جزآن مخطوطان؛ نرجو أن يجدا الطريق نحو التحقيق والتدقيق والطباعة.

وقد بذلت في تصحيح الأخطاء المطبعية الجديدة؛ وفي تحقيق بعض مواضع الديوان؛ وفي التعريف ببعض الأعلام؛ ما وسعني من الجهد؛ وأمضيت فيه وقتاً طويلاً؛ وأرجو أن يكون هذا الديوان إضافة مهمة للمكتبة العربية؛ وتوضيحاً للجانب التاريخي؛ لمرحلة مهمة من تاريخ حضرموت، كما أتمنى أن تعيد هذه الطبعة الجديدة للديوان؛ بعض الاعتبار؛ لهذا العبقري العظيم؛ الذي لم ينصفه قومه السابقون ولا اللاحقون.

علي بن محسن السقاف

٤ ربيع الثاني ١٤٣٦هـ

مقدمة صاحب الديوان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمدُكَ اللهم مُنْطِقَ اللسان، ومُعْدِقَ الإحسان، وموْرِقَ الأعْصان^(١)،
عاجزين عن شكرِكَ، فائزين من ذكرِكَ، عائدين من مكرِكَ، واقفين بوصيدِكَ،
خائفين من رصيدِكَ، ساجدين في صعيدِكَ، حافدين^(٢) من وعيدِكَ، سائلين منك
- يا باسِطَ الخير، ويا رابطَ الضَّيْر، ويا سائقَ المَير^(٣)، ويا رازقَ الطير - أن
تصلي وتسلم على نبيِّكَ الذي به رفضت الكُتْم^(٤)، وفضضت الختم؛ وفلقت
النور، وفتحت العور، وعلى آله؛ نجوم المهتدين، ورجوم المعتدين، وعلى
أصحابه؛ الموفين بذمته؛ المعروفين بالنصح لأُمَّته.

أمَّا بعد؛ فإن العلم مما استأثر به الله؛ وإن عرَضت دعاوى. وطالت
واستنتت الأعْوجِيَّة وجالت، وغير أنه جل شأنه أفاض النَّدَى، وأعطى كل شيء
خلقه ثم هدَى، وفتح للإنسان بقدر ما نفخ فيه من روحه، وقسم له من فتوحه،
فمن غَيَّبِيَّ امتلك الجهل عنانه، وما ارتفع عن القرد بنائه، ومن مدَّعِ اغتر بما
لديه، وظن البعيد بين يديه، فانطبق بعد التصحيف قول ابن الفارض عليه:
عجيبٌ لأهل الدَّيْرِ قد سكرُوا بها وما شربوا منها ولكنهم همُّوا
وَمِنْ كَامِلٍ؛ يهيم إذا شرب، ويتوقَّر إذا طرب، وكلما شرب نَهَلًا، عرف أنه

(١) في الأصل الأرسان.

(٢) حافدين: عاملين بنشاط في طاعتك من خشية وعيدك.

(٣) المير: مار الرجل عياله مَيرًا: أتاهاهم بالميرة وهي الطعام.

(٤) الكتم: الإخفاء.

ازداد جهلاً، يشرب ولا يرتوي، ويشتد ولا يستوي، فذلك الذي يتدرج إلى الكمال في طريقه، وهيئات؛ لا يبلغه حتى يشرق بريقه، إذ الإنسان لا يتناهى مدّه، إلّا إذا تمّ له حدّه، وكما أنّ البعوضة في زيّ الفيل، فالإنسان والكون سواء في التمثيل، والأمر مسلّم فلا حاجة للتفصيل، وإذا قيل إن فيه من الرّوح نفخة، وإنه مما سوى الله نسحة، فما هو السر؛ الذي به اشتدّت ذفته؛ ورجحت كفته، ليس إلّا النطق؛ الذي تفاوت البشر بمقداره؛ والحكمة التي هي مادته وقعيده داره، وهي من سماء الرّوح تُشرق، والروح دونها حجاب من الأنوار يُحرق، طالما ركبوا لاكتناهاه الخطر، فعادوا بخيبة الأمل ما انقضى له وطر، وإذا كان النطق بمادته هو المجال، والميزان الذي تتفاوت به الرجال، فما عن تفضيل الشعر مفرّ، وهو أولى ما سُقى ربّه على الطّفّر، وهل يكون الجمان؛ مركوماً، في مثل جماله؛ منظوماً؟ وانظر كيف لا يقدر صاحبه على كتبه؛ وإن أفضى به إلى شتمه. وكم سر يُخفيه عن حميم يُحفيه^(١)؛ متى قرضه عرضه للأنظار، ولم يخش ما افترضه في الإفشاء من المضار، وهذه بنفسها؛ خاصة الحبيب؛ كما قال في معناه الشاعر الأريب:

وَيَقْبِخُ مِنْ سِوَاكَ الْفِعْلُ عِنْدِي فَتَفْعَلُهُ فَيَحْسَنُ مِنْكَ ذَاكَ

وحسبك أن الخصائص لا تكون إلّا لنبّي كريم، ثم رأينا للشاعر ميزة وإن شط البون^(٢) حتى في التحليل والتحريم، فلو لم يرتفع به المرء؛ ويكرّم؛ لَمَا حلّ له من نحو الكذب؛ ما على غيره يحرم، ومن أنصح الأدلة على تفضيله؛ صرف سيد البشر ﷺ عن سبيله، لأنه وإن كان الذكر عليّاً والفرق جليّاً، ويستحيل أن يشبه بلاغة القرآن غيره؛ فإنه لا يمكن التشكيك إلّا به عند من قلّ خيره؛ ولو كان عليه السلام شاعراً؛ لكان للشبهة مجاز؛ فكونه أمياً لا يقرضه؛ أبلغ ما يكون في الإعجاز.

(١) يُحْفِيهِ: يبالغ في مودته.

(٢) البون: مسافة ما بين الشيتين.

وأما ما ينسب للشعر من المذام، فراجع إلى العلة التي انتشرت بأهله كالجذام، وهي التكسب القبيح، وبالغلو في المديح، وقد صاننا الله عن ذلك؛ فالساحة برا، وبيننا وبين الذل؛ إلا الله وحده؛ سبلاً وعرّة وأرض عراً.

ثم إن النفس؛ كما سلفت الإشارة؛ تستمد الإلهام من عالمها القديم، وتناجي به الضمائر في المهام كما يفعل النديم، فما يقوله الشاعر عن الوجدان إذا اهتز، يطبّق المفاصل لا جرم ويصيب المحزّ، وربما عثر بغيّب فكشف حجابيه؛ وهتف بما وراء المادة؛ فلم يعدم إجابته، ولكنه متى تكلف رثاً، وإذا كدّ فيه الطبع غثّ. وأصدق ما تهبّ النفوس لإرشاده، وتقفّ الشعور من إنشاده، ويعبّر بإحسانه، عن خاطر كل إنسان بغير لسانه، أو لم تر الرشيد؛ وهو جبار الأرض كيف حكّم لمنصور النميري في القرض؛ إذ نطق بحاله؛ وعبر عما في باله؛ أنه لم يبعد منالاً وإنما احتذى أمثالاً؛ وذلك حيث يقول:

وانك حين تُبْلِغهم أذاهم وإن ظَلَمُوا لُمُحْتَرِقِ الضمير
وخيره؛ ما يعجز النائر عن تحويره، ولا يقدر على تقديم شيء منه ولا تأخيره. وأبلغه؛ ما سهلت مبانیه، ووضّحت معانيه، فعرف بلا مهلة، وعلّق بالضمير، من غير روية ولا تكرير، بيد أن هذا لا تغلو قيمته؛ إلا عند من غزرت ديمته. فأما ما يقَرّ في الأفهام، ويُعرّف بعد الاستفهام، ويكون لفظه فخماً، ومعناه ضخماً، فإنه أعلى من السهل قدراً، وإن كان ذلك أنفد في القلوب سحراً. «وللناس فيما يعشقون مذاهب».

ولينفض يده من خيره؛ من ينظر إذا شعر في نظم غيره؛ فذلك الشاعر المخدول، والرابع المرذول، وقلّ من تكلف إلا ذلّ؛ إذ لا قيمة للردية ولا للمبتذل، وإنما هو من كبائر الذنوب؛ وعظام العيوب، حدّ صاحبه أن يُذال^(١)، ويُضرب في القدال^(٢)، ويُنفى مع الأندال.

(١) يذال: يهان.

(٢) القدال: ما بين نقرة القفا إلى الأذن.

ومما يمكن به للمرء أن يَزِنَ فضله؛ ويعرف نضله. ويرى مبلغ عارضته في القريض؛ اعتمادُ الصعب من القوافي والأعاريض، فمن كان فيها أجمل وأجزل فهو الفائز، ومن لم يكن إلا أثقل وأنزل فهو العاجز، فنشأة العتب على الأوائل بالتضييق، ليس إلا عن الضعف وعدم التحقيق، وذلك أن الفحل يذلل له الكلام وينقاد، ومع السهولة تَفَرَّقَ عليه^(١) الطباء فلا يدري أيها يصطاد. أو لا ترى مصاقع الخطباء يجزل كلامهم في البدائه؛ وربما ينزل لدى التحرير إذا ذهبت بهم الأفكار من المعاني في المتائه. ولقد جازف في تفریطه، من فضّل اليشكري^(٢) على امرئ القيس^(٣) في تمليطه^(٤). إذ الثاني قد مهّد السبيل، وعبّد الطريق، وعيّن الموضوع وأبلع الريق، وخاض البحر الغريق، الذي لا يدرك قعره، ولا يبصر عبّره، فلما استخرج الدرّ والتقط، وقارب أن يوصله إلى الشط، دفعه لليشكري ليبلغ به الساحل فقط. فما أخصب بعد المَحَل؛ إلا لَتَسْمِيَتِهِ^(٥) آثار الفحل.

وكنت من نعومة الأظفار أحس إلى قرضه بميل، وأسمع من مفكرتي^(٦) له دَوِيَّ السيل، فلم أجد من يقرع لي مَرُوتَه^(٧)، أو يصعد بي ذِرُوتَه، بل كان والذي رحمة الله عليه؛ يُقَرِّعُنِي بملامه؛ ويسمعني قارص كلامه، كلما رأني أعلل به نفسي، ولو بعد فراغي من درسي، فلم تنصرف نفسي عنه، وأحبُّ شيء إلى

(١) أي تصير فرقاً وأقساماً.

(٢) المنخل اليشكري شاعر جاهلي من أصدقاء النابغة الذبياني وعاصر حاتم الطائي وعترة وامراً القيس وكان له قصص معهم.

(٣) امرؤ القيس بن حجر الكندي أحد أشهر شعراء الجاهلية الذين منهم زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني والأعشى وهو أحد أصحاب المعلقات السبع.

(٤) يريد تزيينه وتحسينه واختيار السهل من القوافي.

(٥) المحل - الجذب، التسمت الاتباع.

(٦) الأولى: من فكرتي أو قلبي.

(٧) الحجر.

الإنسان ما مُنِعَ منه، ولم يكن عندي منه إلا نَتَبٌ غير كافية، ونُبْدٌ غير شافية، ولا وافية، سوى بعض دواوين الحضارمة، ولكنَّ أكثرها حَمِيْتُ منه^(١)؛ وتركيبها منحط؛ لأنهم بالأغلب لا ينظرون في شعر قط، على ما لهم فيه من المذاهب الكريمة، والمعاني الجسيمة. وأقسم ما رأيت شاعراً على ضعف عربيته، وعامية لهجته، أخف روحاً، ولا أوفر فتوحاً، ولا أحسن شارة، ولا أبعد إشارة، ولا أجمع فنوناً؛ ولا ألطف جداً ومجوناً، ولا أصفى زجاجة، ولا أرق دياجاة، ولا أسلم ذوقاً، ولا أكثر للمعاني سوقاً؛ ولا أقدر على تعبير؛ عن كل ما يسبح بالضمير؛ من جَدِّي المحسن؛ فإنه والله لكما قال أبو الطيّب^(٢):

تَفَكَّرُهُ عِلْمٌ وَسِيرَتُهُ هُدًى وباطنه دينٌ وظاهره ظَرْفٌ
قلما ينشئ قصيدة؛ إلا شكر وشكا، وضحك وبكى، وعلم وأرشد، وأغور وأنجد، وصوب وصعد، وقرب وبعُد، ووعظ وأنذر، ولاطف وبشر وتصرف في السياسة، وأوضح طرق الرياسة وقد قال أبو العتاهية:

لا يُصلِحُ النَّفسُ إذ كانت مصرَّفَةً إلا التنقُّلُ من حالٍ إلى حالٍ
وقال حبيب^(٣):

خذها مغرَّبَةً في الأرض آنسَةً بكَّل معنى غريب حين تغترَّبُ
الجِدَّ والهزل في توشيع لُحمتها والنبل والسخف والأشجان والطرب

(١) ابتعدت عنه وأنفت وفي الأصل حميني.

(٢) أبو الطيب المتنبّي، أحد أعظم شعراء العرب، له مكانة سامية لم تتح مثلها لغيره من شعراء العربية. فيوصف بأنه نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وهو شاعر حكيم وأحد مفاخر الشعر العربي وتطور معظم قصائده حول مدح الملوك. عاش أفضل أيام حياته وأكثرها عطاء في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب.

(٣) هو أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أحد أمراء البيان، ولد بجاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازته وقدمه على شعراء وقته فأقام في شعره قوة وجزالة، واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبّي والبحري.

وقال أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل السلمي المُرسِي:

تَنَقَّلْ فَلذَّاتِ الهوى فِي التَّنَقُّلِ وَرَدَّ كلِّ صافٍ لا تقف عند منهل
ويقرب منه في خفة الظلِّ؛ والسلامة من الغلِّ؛ وحلاوة الأسلوب؛ والأخذ
بمجامع القلوب؛ سيدي أحمد بن محمد المحضار؛ وما ذاك إلا لأطراح التصعُّ؛
والسير بسوق الطبيعة؛ وقد قال أبو الطيب:

أفضل ما يُطلب النجاءُ به الطبعُ وعند التعمق الرُّكُلُ
نعم؛ أفادني الشيخ محمد بن محمد باكثير في الشعر؛ جليل فوائد؛ وعادت
عليَّ مجالستي لسادن بيته؛ وموقد زيتته؛ الوالد أبي بكر بن شهاب^(١)؛ بجميل
عوائد. فبمذاكرته انفتق فكري؛ فاستحقَّ شكري؛ فعلى أثره جريت؛ ومن متحه
فريت؛ ويعقب ذلك اتسع الخرق على الراقع؛ واستن الضليع والضالع^(٢)؛
واختلط الحابل والنايل^(٣)؛ وأخذ يعسيل^(٤) في طريقنا الراكب والراجل. «والذئبُ
يعسيل في طريق الضيغم».

وقد جمعت ما اتفق لي من الأماديع في سادة الكون، ونشرته بالطبع راجياً
بواسع جاههم من الله العون. وكذلك ما قلته سابقاً في حافظ ذمامهم؛ وقائم
مقامهم؛ أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين؛ فقد أعلنته أستمطر رعد،
وأستنجز وعده، وأنشدته ذمامه، وأذكره كلامه^(٥).

(١) السيد أبو بكر بن شهاب، عالم موسوعي جامع مصلح وشاعر موهوب ولد في تريم
بحضرموت سنة ١٢٦٢هـ، وتوفي في حيدرآباد الدكن بالهند سنة ١٣٤١هـ.

(٢) استنَّ: جرى. الضليع: القوي والضالع ضده.

(٣) مثل يضرب في اضطراب الأمر.

(٤) عَسَل: مضى مسرعاً واضطرب في عدوه.

(٥) كان الإمام ابن عبيد الله قد تلقى وعداً من الإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن بمساعدته في
طرد الإنجليز عن حضرموت وجنوب اليمن واتصل ابن عبيد الله بالكثير من دويلات
الجنوب وقبائلها وأعيانها لأجل تجميع القوى ضد الإنجليز ولكن سياسة الإمام يحيى =

وما بي خوف أن يخيس بوعده فحاشاه لكن أهنا الخير عاجله
وقد وقع في طبع القسمن^(١)؛ أخطاء بائنة، وأغلاط شائنة، تضطرننا إلى
الاستئناف إن يسّر الله ثانية. لا سيما وأن الطبعة الأولى فانية، وأما المراثي
والنسيب؛ فقد جعلتها للإلهيات لدة، وأفردتها بمجموعة على حدة. وما سوى
ذلك أطرحت، لخوف من المعائب إذا شرحته؛ حتى ألحّ عليّ بضم منتشره؛ ونظم
منتشره؛ بعض من انحطّ نظر الأكابر عليه، ورنّت عيون أولياء الله إليه؛ فلبيت طلبه
جازماً؛ ورأيت أمره لازماً، وقابلت حكمه بالسمع، وكابدت من تفرّق المسودات
شدة في الجمع. وإني لأرجو من الله الإثابة، ومن الناظر دعوة مجابة؛ ولا شك
أن ما تعلق بخير العرب؛ معدود من جملة القرب؛ وقد جعلته في أبواب.

= تغيرت مع تغير ظروف الحرب بين تركيا ودول أوروبا فرأى أن من السياسة عدم الاستمرار
في ذلك ونصح الإمام ابن عبيد الله بالتوقف عن هذا الأمر لخطورته كما كتب الإمام ابن
عبيد الله ذلك بالتفصيل في كتابه المخطوط بضائع التابوت.
(١) لا أعرف شيئاً عن هذه الطبعة التي ذكرها الإمام وما أعرفه أن أول طبعة لكتابه هي التي
تولاها ابنه الشاعر الأديب حسن والتي طبعت في رمضان من عام ١٣٧٨هـ أي بعد وفاة
الإمام.

Handwritten text at the top left of the page.

18

Handwritten text line below the header.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

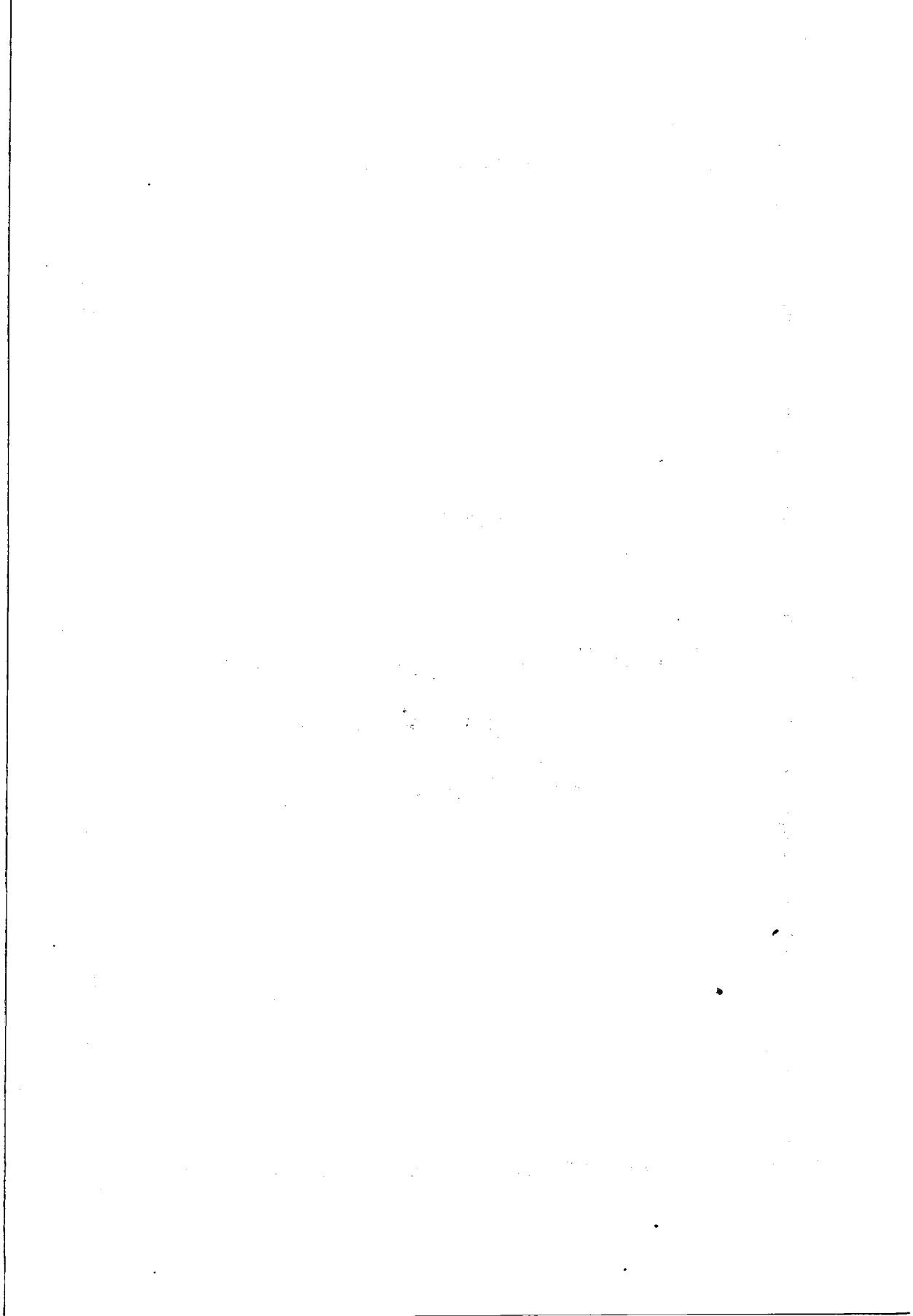
Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line in the upper section.

Handwritten text line at the bottom of the page.

الباب الأول

فيما كان من مديح الأرواح الطاهرة
وسادات الدنيا والآخرة
النبي ﷺ وآل بيته وأصحابه



القصيدة الأولى^(١)

لوالده وهو على فراش الموت

أنشأت هذه القصيدة في جمادى الأول سنة ١٣٢٤هـ وأنشدها للوالد يرحمه الله؛ وهو على فراش الموت؛ فسرّ منها كثيراً؛ وقال: ما أحسب أن لي عندك هذا كله^(٢)؛ واستهلّت دموعه؛ وجاشت بلابله؛ وقال لي: لقد أوجبت، وأما الفراق فحاصل؛ واستودعني الله؛ ودعا لي بدعوات حرّاً؛ وأوصاني وأجازني بما كان سيدنا الإمام الأبرّ؛ عيروس بن عمر أوصاه؛ وأجاز به قبيل موته. وبما أنها في أيام الحداثة، ومع شغل البال؛ فقد عدنا عليها مع هذا بشيء من التفتيح:

أيها البحرُ منك تُملئُ الدلاءَ ماؤك المذبُّ لأنام شفاءً
 أنت سرُّ الوجودِ أوجدك اللّه ولا آدمٌ ولا حـــــــــــــــــــــــــواءُ
 أنت للأنبياءِ أصلٌ وإن جئت أخيراً وكُلُّهم أبناءُ
 طربِ الكونِ إذ وُلدت سروراً بعد ما بَشَّرتُ بك الأنبياءُ

- (١) تشبه هذه القصيدة من ناحية غرضها وأسلوبها قصيدة البردة أو البراءة للإمام البوصيري والتي أنشأها مستشفعاً برسول الله في شفائه عندما أصابه الفالج ثم رأى البوصيري رسول الله ﷺ في المنام فمسح عليه وألقى عليه برده فاستيقظ من نومه سليماً معافى وبلغت أبياتها ١٣٠ بيتاً وقسمها كما قسم الإمام ابن عبيد الله هنا قصيدته هذه والتي تشفع في نهايتها بالرسول ﷺ في شفاء أبيه من مرضه.
- (٢) يشير إلى توسل الشاعر في آخر هذه القصيدة بالنبي ﷺ ويقصد شفاء والده من الداء العضال مما يدل على أنه بارّ شديد التعلق بأبيه.

واستنارَ الوجودَ إذ عمّه الجُودُ وجَلَّتْ للعالمِ النِّعماءُ^(١)
 ورَمَتْ كُلَّ ماردٍ يسرقُ السَّمْعَ بشُهْبٍ من النجومِ السماءُ^(٢)
 ورأى الفرسُ آيةً في انطفاءِ النَّارِ والقصرُ مالاً منه البناءُ^(٣)
 وأضاءت من الجزيرة فيه ليلةً قبل وضعِهِ ليلاءُ^(٤)
 يا هلالاً تُضيءُ منه قصورَ الرُّومِ بالشامِ أظلمتْهُ كَدَاءُ^(٥)
 مولدٌ كان للأضاليلِ نَسْخاً هكذا يَنْسَخُ الظلامَ الضياءُ
 جاء والشركُ يَمَلأُ الأرضَ جهلاً فتلاشتْ بِهِذِهِ الظُّلْماءُ^(٦)
 وَعَرَى الكَفَرَ منه بَيْنُ مُثِثٍ وبِالِ وَذِلَّةٍ وَبِإِلاءُ^(٧)
 مَحَتِ الجَهْلَ والجمودَ بنورِ العلمِ والمعقلِ طَلَمَةً زَهراءُ
 طَلَعَتْ نورُها له البدرُ يَغْنُو ما لإشراقها البديعِ انمحاءُ^(٨)
 طَلَعَتْ تَسْتَبِي النُّهَى بجمال من جلالِ عليه يَضْفُو رداءُ^(٩)
 لا تَمَلَى من وَجْهِه المِئينُ إِلَّا رَجَعَتْ وهي من سَناءِ عَشْواءُ^(١٠)

(١) جلّت النعماء: عظم قدرها.

(٢) مارد: شيطان خارج على الطاعة.

(٣) آية: أمراً عجباً وعلامة على أن حدثاً عظيماً سيأتي. القصر: إيوان كسرى.

(٤) ليلة ليلاء: شديدة صعبة والمراد أنه في ليلة الوضع خرج نور عظيم أضاء الكون ليلاً فكانت ليلة غريبة.

(٥) كدء: الثنية العليا بأعلى مكة.

(٦) تلاشي الشيء: ذهب واضمحلت.

(٧) عراه: أصابه. البين: الفرقة والبعاد. مُثِثٌ: مُفَرَّق. الوبال: سوء العاقبة. البلاء: الغم والمصيبة.

(٨) يعنو: يخضع.

(٩) يقال: استبى العدو بمعنى أسره. يضفو: يتسع ويصير كاسياً.

(١٠) تملى: أصله تملى أي تمتع. السنا: الضوء. العشواء: التي لا تبصر ليلاً.

قَسَمَاتٌ مِنْ حُسْنِهَا تَتَجَلَّى	آيَةُ الْعِرْمِ مَا عَلَيْهَا غِطَاءٌ ^(١)
قَسَمَاتٌ مِنْ تَحْتِهَا نَظَرَاتٌ	طَيِّبُهُنَّ الْحَيَاءُ وَالْأَرْزَاءُ ^(٢)
نَظْرَةٌ تَنْشُرُ الرُّفَاتَ وَأُخْرَى	فِي الْأَعَادِي بِطَوْلٍ مِنْهَا الرِّثَاءُ ^(٣)
وَدَّتْ الْجِنُّ حَضْنَهُ وَتَسَامَتْ	لِرَبَاءِ الْمَلَائِكَةِ الْأَمْنَاءُ ^(٤)
رَامَ كُلُّ بَأْسٍ أَنْ يَكُونَ لَدِيهِمْ	ثَاوِيًا لَا يُمَلِّ مِنْهُ الثَّوَاءُ ^(٥)
عَلِمُوا أَنَّهُ يَكُونُ لَهُ شَأْنٌ	عَظِيمٌ وَرُتْبَةٌ قَفَسَاءُ ^(٦)
وَاسْتَبَانُوا سِمَاتِهِ الْغُرَّ لَكِنْ	لَمْ يُسَاعِدْهُمْ بِذَلِكَ الْقَضَاءُ ^(٧)
وَأَبَتْ مِنْ رَضَاعِهِ كُلُّ ظَنُرٍ	لَيْسَ إِلَّا لِحِكْمَةِ ذَا الْإِبَاءِ ^(٨)
وَأَتَتْ جَدَّهُ فِتَاءُ بَنِي سَعْدِ	لِسِرِّ بِهِ هُمْ سُعْدَاءُ
قَدَّمَتْهَا سَعَادَةُ الْحَظِّ لَمَّا	أَخْرَتْهَا أَتَانُهَا الْعَجْفَاءُ ^(٩)
تَعَبَّتْ فِي السُّرَى فَخَلَّفَهَا	الْقَوْمُ ظَلِيحًا وَخَانَهَا الْإِعْيَاءُ ^(١٠)

- (١) القسامات: جوانب الوجه الجميلة. تتجلى: تظهر. الآية هنا: العلامة.
- (٢) الأرزاء: المصائب. يُعرف من وجه النبي ﷺ الخير والحياة لمن أطاع وآمن. والوعيد والعقاب لمن عصى وكفر.
- (٣) الرفات: الجسم المتفتت، وتنشره: تحييه. الرثاء: البكاء على الميت.
- (٤) حَضْنُ الصَّبِيِّ حَضْنًا: جعله في حَضْنِهِ وَرَبَّاهُ. رَبَا الصَّغِيرَ رَبَاءً: نشأ.
- (٥) رام: أراد. ثاويًا: مقيمًا: لَا يُمَلِّ مِنْهُ الثَّوَاءُ: يحبون إقامته بينهم.
- (٦) قعساء: ثابتة.
- (٧) استبان الأمر: تأمله حتى يتبين له: السمات: العلامات. الغرّ: الجميلة. لم يقدر الله أن يكل إليهم تربيته.
- (٨) أبي الشيء إباء: كرهه وامتنع منه. الظنر: المرضع.
- (٩) الأتان: الأنتى من الحمير. العجفاء: الهزيلة.
- (١٠) السرى: السير ليلاً. الظليح: المهزول. الإعياء: التعب.

وَاسْتَطِيرَتْ مَعَ الرَّجْوِجِ وَصَارَتْ لَا تُجَارَى كَأَنَّهَا الْعَضْبَاءُ^(١)
 لَحَظْتُهَا عِنَايَةَ اللَّهِ فَانزَا حَ شَقَاهَا وَزَالَ عَنْهَا الْعَنَاءُ
 بُورِغَتْ أَرْضُهَا وَدَرَّتْ لَدَيْهَا شَائِلُ أَرْضٍ رَغِيهَا جَذْبَاءُ^(٢)
 وَرَأَتْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادِ شَيْئاً يَبْهَرُ الْعَقْلَ مَا لَهُ إِخْصَاءُ^(٣)
 وَأَطَالَ النَّبِيُّ عِنْدَ بَنِي سَعْدِ مُقَاماً فَنَارَتْ الْبَطْحَاءُ^(٤)
 وَلَدَيْهِمْ مَلَائِكُ اللَّهِ شَقَّتْ صَدْرَهُ حَسْبَمَا رَوَى الْعُلَمَاءُ
 وَحَشَوُا قَلْبَهُ الشَّرِيفِ بِنُورِ لَاحٍ مِنْهُ السَّنَا وَشِيَمِ السَّنَاءِ^(٥)
 وَرَأَتْ مِنْهُ صِيبَةَ الْحَيِّ هَوَلاً يَنْتَنِي مِنْ أَقْلِهِ الْأَقْوِيَاءُ^(٦)
 لَبِيتَ شِعْرِي مَا الْخَطْبُ فِي حِينِ جَاءُوا أُخْتِ سَفْدٍ وَكُلُّهُمْ ضَعْفَاءُ^(٧)
 حِكْمَةُ اللَّهِ لِلْكَرَامِ امْتِحَانُ حَيْثُ كَانُوا وَلِلنَّامِ الرَّخَاءُ^(٨)
 ثُمَّ رَدَّتْهُ ظَنْرُهُ حِينَ خَافَتْ أَنْ يَنَالَ اغْتِيَالُ الْأَعْدَاءِ^(٩)
 وَلَقَدْ شَفَّهَا نَوَاهِ وَأَضْنَا هَا جَوَاهُ وَمَا الْأَهَا الْبُكَاءُ^(١٠)

(١) استطيرت: أسرعت الجري. العضباء: مشقوقة الأذن. وكانت ناقة النبي ﷺ تلتقب بالعضباء لنجابتها لا لتشق أذنها.

(٢) الشائل: الناقة التي جفت لبنها فشال ضرعها.

(٣) يبهر العقل: يعجبه ويدهشه. خوارق العاد: ما لم تجر العادة به.

(٤) المقام: المسكن والإقامة. البطحاء: مسيل واسع فيه دُقاق الحصى، ومنه بطحاء مكة.

(٥) السنا: الضوء والسناء الرفعة. شام الشيء: قدره وانتظره.

(٦) الهول: ما يخيف، يريد شجاعة النبي ﷺ وهو طفل. ينتني الأقوياء من العمل: يعدلون عنه.

(٧) لبيت شعري: الشعر: العلم أي لبيتني أعرف، والخطب: الأمر العظيم يستعمل في الشر وفي الخير.

(٨) امتحن: اختبر. الرخاء: هنا الإملاء والإمهال يريد: الله يبتلي عباده المؤمنين ليختبرهم ويملي ويؤخر العذاب للعاصين ثم يأخذهم بعقابه.

(٩) الظنر: المرضع. الاغتيال: الإهلاك.

(١٠) النوى: البعد. وشفها النوى: أنحلها وأضناها. الجوى: الحرقه وشدة الوجد. ما ألاها: ما ابتعد عنها وما فارقها.

وَأَنْتَوَتْ أُمَّةَ الْمَدِينَةِ يَسْرِي وَأَتَاهَا مِنَ الْمَنُونِ مَعَ الْعَوْدِ
 وَأَتَاهَا مِنَ الْمَنُونِ مَعَ الْعَوْدِ قَبْلَهُ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ الْكِبَاءُ^(١)
 وَأَتَاهَا مِنَ الْمَنُونِ مَعَ الْعَوْدِ قَبْلَهُ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ الْكِبَاءُ^(١)
 وَأَتَاهَا مِنَ الْمَنُونِ مَعَ الْعَوْدِ قَبْلَهُ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ الْكِبَاءُ^(١)
 وَأَتَاهَا مِنَ الْمَنُونِ مَعَ الْعَوْدِ قَبْلَهُ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ الْكِبَاءُ^(١)
 وَأَتَاهَا مِنَ الْمَنُونِ مَعَ الْعَوْدِ قَبْلَهُ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ الْكِبَاءُ^(١)
 وَأَتَاهَا مِنَ الْمَنُونِ مَعَ الْعَوْدِ قَبْلَهُ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ الْكِبَاءُ^(١)
 وَأَتَاهَا مِنَ الْمَنُونِ مَعَ الْعَوْدِ قَبْلَهُ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ الْكِبَاءُ^(١)
 وَأَتَاهَا مِنَ الْمَنُونِ مَعَ الْعَوْدِ قَبْلَهُ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ الْكِبَاءُ^(١)
 وَأَتَاهَا مِنَ الْمَنُونِ مَعَ الْعَوْدِ قَبْلَهُ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ الْكِبَاءُ^(١)
 وَأَتَاهَا مِنَ الْمَنُونِ مَعَ الْعَوْدِ قَبْلَهُ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ الْكِبَاءُ^(١)

- (١) الكباء: عود البخور. يسري في الجنوب أي في ربيع الجنوب.
 (٢) المنون: الموت. العود: الرجوع من المدينة. الرسول: ملك الموت. الأبواء قرية بين مكة والمدينة. المعنى أن السيدة آمنة أم النبي ﷺ ماتت بالأبواء وهي عائدة من عند أخواله بالمدينة.
 (٣) جنا: عطف. جده: يقصد عبد المطلب أي هو الذي رعى النبي وكفله.
 (٤) دانت: خضعت. استجهر الناس: جمعهم.
 (٥) القرم من الرجال: السيد المعظم. وعداه: يعد عنه.
 (٦) النجاء: الخلاص. يريد الشاعر: النجاة من العذاب يوم القيامة.
 (٧) الحصر: التضييق. يريد حصر النبي ﷺ في شعب أبي طالب وحماية عمه له.
 (٨) الوطفاء من السحب: التي تدلت ذبولها لكثرة مائها. في السنة التاسعة من عمر النبي سافر إلى الشام السفارة الأولى مع عمه أبي طالب فلما نزل الركب بصرى واشتدت الشمس جاءت غمامة أظلمت وحمته من حرارة الشمس.
 (٩) الهجير: شدة الحر. الشيماء: بنت حليمة السعدية أخت النبي من الرضاع رأت غمامة تقيه الهجير ﷺ.
 (١٠) الفيء: ما كان شمساً فنسخه الظل.

واجتلى منه كاهن الشام سراً ما به عن أولى العقول خفاء^(١)
 منظر نَمَّ بالحقائق حتى كاد يُغني عن الدليل الرواء^(٢)
 قال رُدُّوه لا تراه الأعداي إنهم في ضلالهم أشقياء^(٣)
 ثم هامت به خديجة لما وقر المال بيعة والشراء^(٤)
 ورَجَتْ من أشائر اليمُن فيه للحياتين أن يدوم العلاء^(٥)
 واقتضى الحزم أنها خطبته واطباها جماله الوصاء^(٦)
 رَغِبَتْ في الفلاح واللّه يهدي لهُدى من عباده من يشاء

(١) اجتلى الشيء: نظر إليه وعرفه. نَمَّ بالحقائق: أظهرها. الرواء بضم الراء: حسن المنظر. لما سافر النبي مع عمه أبي طالب إلى الشام ومرّ ببحري رأى الراهب بحيري فجعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده وسأله عن أشياء في نومه وهيئته وأموره فأخبره، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه. فقال بحيري لعمه أبي طالب: ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود؛ كأن لابن أخيك هذا شأن عظيم.

(٢) اجتلى الشيء: نظر إليه وعرفه. نَمَّ بالحقائق: أظهرها. الرواء بضم الراء: حسن المنظر. لما سافر النبي مع عمه أبي طالب إلى الشام ومرّ ببحري رأى الراهب بحيري فجعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده وسأله عن أشياء في نومه وهيئته وأموره فأخبره، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه. فقال بحيري لعمه أبي طالب: ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود؛ كأن لابن أخيك هذا شأن عظيم.

(٣) اجتلى الشيء: نظر إليه وعرفه. نَمَّ بالحقائق: أظهرها. الرواء بضم الراء: حسن المنظر. لما سافر النبي مع عمه أبي طالب إلى الشام ومرّ ببحري رأى الراهب بحيري فجعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده وسأله عن أشياء في نومه وهيئته وأموره فأخبره، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه. فقال بحيري لعمه أبي طالب: ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود؛ كأن لابن أخيك هذا شأن عظيم.

(٤) هامت به خديجة: تعلقت به ورغبت في الزواج منه لأمانته وصدقه ولما أخبرها به غلامها مسرة من مقابلة الكاهن له والبشارة برسالته وقد أحست في قلبها بما سيكون له من شأن عظيم. في هذه السفارة إلى الشام مع غلامها ربحت تجارتها ربحاً عظيماً.

(٥) اليمُن: البركة. الأشاير: العلامات. والحياتان: الدنيا والآخرة.

(٦) الحزم: العقل وحسن التصرف، اطباها: دعاها.

وَاسْتَمَرَ النَّبِيُّ فَوْقَ مِهَادِ الْعِزِّ يَزْدَادُ حُسْنُهُ وَالْبَهَاءُ^(١)
 كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُ نُورًا وَطَهْرًا وَصِقَالًا وَمَا هُنَاكَ صَدَاءُ^(٢)
 دَابُّهُ فِي حِرَا التَّحْنُثِ لِلَّهِ حَنِيفًا إِذَا لَهَا الْقُرْنَاءُ^(٣)
 لَمْ يَزَلْ شَأْنُهُ كَذَلِكَ حَتَّى جَاءَهُ الْوَحْيُ فَاسْتَتَمَّ الْهِنَاءُ
 غَطَّهُ الرُّوحُ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَفْرَأَ وَعَرَّتَهُ مِنْ غَطِّهِ الْعُرْوَاءُ^(٤)
 وَاسْتَجَابَتْ لَهُ حَدِيدَةٌ وَالثَّانِي أَخُوهُ الصَّحِيحُ مِنْهُ الْإِخَاءُ^(٥)
 فَعَتِيقُ كَذَا بِلَالٍ وَزَيْدٌ فَهُمْ السَّابِقُونَ وَالْأَتْقِيَاءُ^(٦)
 وَاقْتَفَى إِثْرَهُمْ فِئَامٌ مِنَ الْخَلْقِ كِرَامٌ وَسَادَةٌ نَجُوبَاءُ^(٧)
 وَتَسَنَّى بِحَمْرَةَ الشَّهْمِ وَالْفَارُوقِ بَعْدَ التَّكْثِمِ الْاِغْتِيَاءُ^(٨)
 بَعْدَ أَنْ صَالَتِ الْعُدَاةُ وَطَالَتْ وَتَوَالَى مِنْهُمْ عَلَيْهِ اِغْتِيَاءُ^(٩)
 حَيْثُمَا سَارَ لِلسَّعَادَةِ يَدْعُو يَتَلَقَّاهُ مِنْهُمْ الْاِیْذَاءُ^(١٠)

(١) المهاد: الفراش.

(٢) الصقال: الجلاء. صدا الحديد: وسخه. والمعنى أن الرسول ﷺ كان يزداد مع الأيام عقلاً ورأياً وذكاءً وجمال أخلاق. والمؤلف مدّ همزة صداً فقال: صداء.

(٣) دابّه: عادته. التحنث العبادة. يقصد بحرا غار حراء. حنيفاً: مائلاً إلى الحق.

(٤) غظه: أصل معناه: غطّسه في الماء ثم استعمل بمعنى حبس النَّفْسَ، وفي سيرة ابن هشام عتّه بالتاء أي حبس نفسه. والروح والوحي هو جبريل. عرته: أصابته. العرواء: رعدة الحمى.

(٥) يريد الشاعر بأخيه الصحيح منه الإخاء: سيدنا علي بن أبي طالب.

(٦) عتيق: لقب أبي بكر الصديق. زيد بن حارثة صاحب رسول الله ومولاه.

(٧) الفئام: الجماعة من الناس.

(٨) تسنّى: تيسّر وتسهّل. جهر الرسول الكريم بالدعوة وعاونه الصحابة بعد أن نزل قوله تعالى: ﴿فَأَصْلَحْ يَمَّا تُوْمَرُ﴾ فاعتلوا على المشركين.

(٩) صال عليه: وثب وسطا عليه. طالوا: تعاضموا. يريد أن قريشاً آذت النبي ﷺ. ومن العجب أن يريد لهم السعادة ويتلقى منهم الاعتداء.

(١٠) صال عليه: وثب وسطا عليه. طالوا: تعاضموا. يريد أن قريشاً آذت النبي ﷺ. ومن العجب أن يريد لهم السعادة ويتلقى منهم الاعتداء.

أَهْلُ نَضْفٍ أَوْ لَوْ الْأَبَاطِحِ إِلَّا مَعَ خَيْرِ الْوَرَى فَهُمْ سُفَهَاءُ^(١)
 نَابِذُوهُ وَتَابِعِينَ لِكَيْمَا يَفْتِنُوهُ فَخَابَ ذَاكَ الرَّجَاءُ^(٢)
 صِدْقُ دِينٍ بِهِ حَلَا الْمُرُّ فِي اللَّهِ لَدَيْهِمْ وَهَمَّةٌ شَمَاءُ^(٣)
 ثُمَّ أُسْرِيَ عَلَى الْبِرَاقِ وَكَمْ ضَمٌّ مِنْ الْآيِ ذَلِكَ الْإِسْرَاءُ^(٤)
 قَطَعَ الْبَيْدَ وَالطَّبَاقَ عَلاهَا وَانْجَلَى عِنْدَ وَضْفِهِ إِيْلِيَاءُ^(٥)
 جَاءَ بِالْمُنْعِزِ الْمُبِينِ فَمَا لِلشُّكِّ فِي قَلْبٍ مَنْ تَلَاهُ بَقَاءُ^(٦)
 وَانْتَفَى الرَّيْبُ عَنْ قُلُوبِ الْأَعَادِي فَبِوَلَكُنْمَا الشَّقَاءُ عِيَاءُ^(٧)

(١) النَّضْفُ. اسم بمعنى الإنصاف. أولو الأباطح: يريد سكان مكة وما حولها من منخفض الأرض.

(٢) نابذ الرجل صاحبه: خالفه وفارقه عن عداوة وكراهة. فتن فلاناً: أوقعه في الفتنة ومن معاني الفتنة الضلال والإثم.

(٣) الهمة السماء: العالية. يريد أن الذي حفظ النبي وأصحابه وجعلهم يتحملون الأذى هو إخلاصهم لله وللدين واعتقادهم أنهم على حق.

(٤) إسرء النبي: توجهه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس ورجوعه من ليلته. البراق: دابة تركبها الرُّسُل وقد ركبها محمد ﷺ. الآي: جمع آية وهي هنا المعجزة الدالة على قدرة الله. الطباق: جمع طَبَق. وكل سماء كالطبق للأخرى يريد أن البراق صعد بالنبي إلى السماء ليلة الإسرء ويسمى هذا الصعود المعراج ولما عاد أخبر بذلك قريشاً فلم يصدقوه وسألوه عن وصف بيت المقدس (إيلياء) فوصفه وصفاً دقيقاً صادقاً فكان موضع العجب.

(٥) إسرء النبي: توجهه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس ورجوعه من ليلته. البراق: دابة تركبها الرُّسُل وقد ركبها محمد ﷺ. الآي: جمع آية وهي هنا المعجزة الدالة على قدرة الله. الطباق: جمع طَبَق. وكل سماء كالطبق للأخرى يريد أن البراق صعد بالنبي إلى السماء ليلة الإسرء ويسمى هذا الصعود المعراج ولما عاد أخبر بذلك قريشاً فلم يصدقوه وسألوه عن وصف بيت المقدس (إيلياء) فوصفه وصفاً دقيقاً صادقاً فكان موضع العجب.

(٦) يقصد بالمعجز القرآن الكريم الذي أعجز العرب أن يأتوا بمثله أو بسورة منه. ومن تلاه وعرف بلاغته سلم بذلك.

(٧) الريب: الشك: مرض عياء: لا دواء له.

قَابَلُوا بِالْجُحُودِ بَغِيًّا وَظُلْمًا مَا رَأَوْا أَنَّهُ الْهُدَىٰ وَأَسَاءُ^(١)
فَأَرَادَ النَّبِيُّ طَيْبَةَ لَمَّا زَادَ مِنْ قَوْمِهِ عَلَيْهِ الْبِذَاءُ^(٢)
نَفَلَتْ مِنْهُمْ الْقُلُوبُ عَلَيْهِ وَاسْتَحَرَّ الْأَدَىٰ وَفَاضَ الْجَفَاءُ^(٣)
وَانْتَدَوْا يَرْتَأُونَ فِيهِ وَصَلَّتْ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَلِكَ الْأَرَاءُ^(٤)
وَأَرَادُوا أَنْ يُطْفِئُوا شَمْسَ فَضْلِ بَارِحَ الْحَقُّ مِنْ سَنَاهَا الْخَفَاءُ^(٥)
وَحَمُوهُ الْخُرُوجَ فَاِنْسَابَ يَخْتُو النَّدَىٰ رَبَّ مِنْ فَوْقِهِمْ وَهُمْ أَغْيَابُ^(٦)
وَانْتَحَى الْغَارَ مَاثِيًّا وَأَبُو بَكْرٍ وَجَبْرِيلُ حَوْلَهُ رُقَقَاءُ^(٧)
وَعَلَى قَرْنِهِ عَلَيَّ تَسْجَىٰ هَكَذَا هَكَذَا يَكُونُ الْوَفَاءُ^(٨)
ثُمَّ سَارُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَاللُّطْفِ الْإِلَهِيِّ سِتْرُهُمْ وَالْوِقَاءُ^(٩)
وَاقْتَفَوْا إِثْرَهُ وَفِي كُلِّ وَجْهِ حَاحُوا قَتْلَهُ وَبِالضَّمِيمِ بَاءُ^(١٠)
وَازْدَهَتْ لِلنَّبِيِّ طَابَةُ وَالْأَنْصَارُ وَالسَّابِقُونَ وَالنُّقَبَاءُ^(١١)

(١) الجحود: إنكار الشيء مع العلم به.

(٢) البذاء: السفاهة: أراد طيبة: هاجر إلى المدينة.

(٣) نفلت: فسدت، استحَرَ: اشتدَّ

(٤) انتدوا: اجتمعوا بدار الندوة. يرتؤون فيه: يدبّرون لهم أمراً.

(٥) بارح الحق من سناها الخفاء: ذهب الخفاء عن نور الحق فظهر. والعرب تقول: برح الخفاء إذا وضع الأمر.

(٦) حموه: منعه. حثا التراب عليه. وفي وجهه: قبضه ورماه به.

(٧) انتحى الغار: قصد.

(٨) تسجى: تغطى بالثوب.

(٩) الوفاء: الحفظ. اللطف الإلهي: كرم الله وعنايته وتوفيقه.

(١٠) اقتفى أثره: تبعه. باؤوا بالضميم: رجعوا مقهورين.

(١١) الزهر: الثَّيِّب. وازدهت: استعدت وفرحت بقدوم النبي. طابة: اسم من أسماء المدينة المنورة. استقبله الأنصار والسابقون من المهاجرين والنقباء الذين جعلهم النبي حين البيعة في مكة رؤساء على جماعتهم في تبليغ الإسلام لأهل المدينة.

كُلَّ يَوْمٍ يَضْحُكُونَ فِي الشَّمْسِ شَوْقًا لِّلْمُهَدَّى حَتَّى أُتْبِحَ اللَّقَاءَ^(١)
 مُلْتَقَى عَمَّ خَيْرُهُ الْكُونََ وَاخْتَصَّ بِأَسْنَا الْحِظْوِظِ مِنْهُ قَبَاءَ^(٢)
 طَيِّبَةٌ مِنْهُ أَيْبَعَتْ بِالْمَعَالِي كَيْفَ لَا وَالزُّلَالَ فِيهَا رِوَاءَ^(٣)
 لَيْتَ شِعْرِي وَالْقَلْبُ فِيهِ مِنْ الشُّوقِ إِلَى هَذِهِ الرَّبَا رَمَضَاءَ^(٤)
 هَلْ لِعَيْنِ رَمْدَاءٍ مِنْ حُرْقَةٍ الْبَيْنِ بِلَمْحِ الْعَقِيقِ يَوْمًا شِفَاءَ^(٥)
 أَوْ لِحَسْمٍ أَذَابَهُ الْحُبُّ وَالْوَجْدُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا ذَمَاءَ^(٦)
 وَقَفَّةً فِي حِمَى النَّبِيِّ لِرُوحِي مِنْ نَسِيمِ الْقَبُولِ فِيهَا غِذَاءَ^(٧)
 فَمَتَى تَقَطُّعُ الْقَدَافِدِ بِي وَجَنَاءَ كَالنُّونِ ضَامِرٌ قَنَوَاءَ^(٨)
 تَخْبِطُ الدَّوَّ وَالسَّرَابَ وَتَجْرِي فِي الْفَيَافِي كَأَنَّهَا الْهُوجَاءَ^(٩)

(١) ضحوا في الشمس: تعرضوا لحرها. المهدي: مقدم الهدايا يريد السعادة إلى الإسلام. أتبح اللقاء: تهيأ

(٢) أسنى: أرفع. قباء: أول مكان نزل فيه الرسول قرب المدينة وأسس به مسجد قباء.

(٣) أبيع الثمر: أدرك وطاب. الزلال: العذب السريع المرور في الحلق. ماء رواء كثير مروي. يريد أن القلب فيه حرارة واشتياق لهذه الربوع الشريفة.

(٤) يقصد وادي العقيق قرب المدينة: يتمنى الشاعر أن يرى مدينة الرسول ويعبر عن ذلك بأن عينه مصابة بالرمد بسبب البعاد ولا يشفيها إلا رؤية هذه البقاع الطاهرة.

(٥) اللذماء: بقية الروح في المذبوح: الشاعر يتفنن في التعبير عن تعلقه بزيارة المدينة.

(٦) الحمى: ما يدافع عنه ويحفظ. فإذا قدر للشاعر أن يزور النبي ويقف في حماه فإنه سيحظى بمدد رוחي كالنسيم المنعش فيه غذاء وراحة.

(٧) القفدند: الفلاة لا شيء فيها.

(٨) الوجناء: الناقة الشديدة الصلبة. النون: من أسماء الحوت يريد هي في الصحراء تسير كالحوت في البحر. الضامر: القليلة اللحم فتكون خفيفة في السير. الأقنى منتصب الأنف محدود به والأثنى قنواء.

(٩) الدو: الفقر. السراب: ما تراه نصف النهار عند اشتداد الحر كالماء وليس بماء. يريد الشاعر تسير الناقة سيراً شديداً في الفيافي والصحاري حتى في أوقات الشمس والحر التي يظهر فيها السراب. كأنها الهوجاء المجنونة من سرعة السير.

وَمَتَى تَجْتَلِي عُيُونِي الْمُصَلَّى فَاجْتَلَاهَا لِلْقَلْبِ نَعَمَ الْجِلَاءِ^(١)
 وَأَرَى النَّخْلَ وَالْحَدَائِقَ وَالْأَنْلَ بِهِجَاءَ تَجُودِهِ الرَّزْقَاءِ^(٢)
 وَالثَّنَايَا تَفْتَرُ نَحْوِي وَتَزُو ر عن الهجر والحفا الزُّورَاءِ^(٣)
 وَتَلُوخُ الدِّيَارِ لِلْوَالِهِ الصَّبِّ صَباحاً وَالْقُبَّةُ الْخَضْرَاءِ^(٤)
 حَيْثُ سِرُّ الْمَلِيكِ يَظْهَرُ وَالْعُفُّ رَأْنُ يَهْمِي وَيَسْتَفِيضُ الْعَطَاءُ^(٥)
 حَيْثُ وَحْيِي الْإِلَهِي يَنْزِلُ وَالْحَاجَاتُ تُقْضَى وَتُكْشَفُ الْعَمَاءُ^(٦)
 بُقْعَةً شَاءَتِ الْبِقَاعَ فَمَا أَرْضُ تُوَاوِي وَلَا تُسَامِي سَمَاءِ^(٧)
 يَا شَفِيْعَ الْأَنَامِ يَا مَنْ إِلَيْهِ يَوْمَ تَسْتَعْجِمُ الْوَفُودُ الْلِوَاءِ^(٨)
 يَا غِيَاكَ الطَّرِيدِ وَالْحِصْنَ وَالْكَهْفُ مِنْ الْبُؤْسِ لِي إِلَيْكَ التَّجَاءُ^(٩)
 يَا ثِمَالَ الْيَتِيمِ يَا غِيْثَ ذِي الْجَدِّ ب الَّذِي تَسْتَمِيحُهُ الْأَنْوَاءُ^(١٠)

(١) اجتلى: الشيء نظر إليه. الجلاء بكسر الجيم الكحل.

(٢) تجوده الزرقاء: ينزل عليه المطر فيورق ويخضر.

(٣) الزوراء: الناقة المعدة للسفر. الثنايا تفتري: يبين منها الضحك يريد السرور وحسن اللقاء. تزور: تتعد وتنحرف. وبين تزور والزوراء جناس. والحفا: المشي أو رقة الحافر من المشي.

(٤) الواله الصب: الذي استبد به العشق. القبة الخضراء: التي فوق القبر الشريف.

(٥) همى الماء: سال. العماء: الداهية والضرر. معنى البيتين أن الأماكن المطهرة التي بها النبي ﷺ فيها سر الإله من وحي وخير وتحل على العباد وقضاء الحاجات وكشف الكرب.

(٦) همى الماء: سال. العماء: الداهية والضرر. معنى البيتين أن الأماكن المطهرة التي بها النبي ﷺ فيها سر الإله من وحي وخير وتحل على العباد وقضاء الحاجات وكشف الكرب.

(٧) شاءت البقاع: غلبتها في الفضل فارضها وسماؤها مفضلة لوجود النبي فيها.

(٨) استعجم الرجل: سكت عجزاً. وفد: قدم: ورد أن النبي ﷺ يحمل اللواء يوم القيامة وتتبعه أمته.

(٩) الطريد: المطرود والهارب. الحصن والكهف: الملجأ والملاذ. يستعين بالرسول الكريم على ما سيذكره بعد.

(١٠) الثمال: الغياث الذي يقوم بالأمر ويقضي الحاجة. النوء: هنا المطر الذي يضرب به المثل في كثرة العطاء ليستمد منه.

يا افتقاري أدعوك مولاي يا مَنْ لا يَنالُ الجميلَ منه الثناء^(١)
 وبِعَلْيَاكَ أَسْتَفِيثُ لَضُرِّ بِأبي مِنْ مَساسِهِ البُرْحَاءِ^(٢)
 عِلَّةٌ أَوْسَعَتْهُ سَقْمًا وَضِعْفًا نَفِدَ الطَّبُّ عِنْدَها وَالإِساءُ^(٣)
 لَيْسَ إِلَّا نَدَاكَ يُبْرِيهُ مِمَّا مَسَّهُ فَهُوَ لِلِسِقَامِ دَوَاءُ^(٤)
 آسِهِ سَيِّدِي بِحُسْنِ ائْتِقَادِ إِنَّ قَلْبِي لَمَّا اغْتَرَاهُ هَوَاءُ^(٥)
 وَتَوَسَّلَ إِلَى إِلْهِكَ يَفِدِ بِهِ وَيَشْفِيهِ كِي يَزُولَ العِناءُ^(٦)
 فإلى نُضِجِهِ الصَّرِيحِ وإِحْيَا ءِ الصَّحِيحِ بِهِ الوَرَى قُفْرَاءُ^(٧)
 وافتقدنا فَنفي القلوبِ إلى جَدِّ وَاكَّ يا واسِعَ العِطَا حَوْجاءُ^(٨)
 وَعَلَيْكَ الصَّلَاةُ فِي كُلِّ آنٍ وَالتَّحِيَّاتُ ما لَهْنَ أَنْتَها^(٩)

(١) الجميل: الإحسان والمعروف. يا هنا للتنبيه. وترتيب الكلام: يا مولاي أدعوك لشدة حاجتي إليك وأنت فوق الثناء إذ إن جميلك لا تستطيع الألفاظ أن تحصي مداه أو تحصر مقداره.

(٢) الضر: المرض. البرحاء: شدة الأذى والمشقة. يستغيث الشاعر بجاه النبي ليتجلى على أبيه بالشفاء من مرض أسقمه.

(٣) الإساء: الأطباء. يريد: لم يفلح الطب والأطباء في علاج أبيه.

(٤) الندى: الكرم والعطف. أبرأ المريض يُبرئه: شفاه. وسهلت الهمزة فصارت ياء.

(٥) آسه: عالجه. افتقده: سأل عنه واهتم به. اعتراه: أصابه وحلّ به. قلبه هواء: أي ذهب عقله من شدة شغله بمرض أبيه قال تعالى: ﴿وَأَقْبَدْتَهُمْ هَوَاءً﴾ أي لا عقول لهم.

(٦) توسل إلى الله بوسيلة: اتجه إليه بالرجاء فإنك مقبول الدعاء. فدى الرجل الأسير استنقذه بمال. وفداه الله قبل منه الفدية ثم عفا عنه.

(٧) الناس محتاجون إلى حكمة والده ونصحه الخالص ثم هو محدث يحيى صحيح الحديث الشريف بالرواية.

(٨) افتقدناه: لا تخلنا من تجلياتك علينا؛ فنحن في أشد الحاجة إلى جدواك يا رسول الله.

(٩) الشاعر يصلي ويسلم على النبي صلاة دائمة وسلاماً دائماً أيضاً بدوام انتقال الرياح منه ﷺ إلينا بالريحان الطيب.

وشريفُ السلامِ ما أهدتِ الرياحانَ
وعلى صَخْبِكَ الَّذِينَ وَقَفُوا بِالْعِ
وعلى أَلِكِ النُّجُومِ اللُّوَاتِي
وعلى بِنْتِكَ البَتُولِ وَمَنْ ضَمَّ
ولأزواجِكَ التَّحِيَّاتِ تَثْرَى
سَيِّمًا أُمَّ قَاسِمٍ وَالْحُمَيْرِ الـ
وبهم منك نرتجي فضلَ عفوي
ويتمُّ المرادُ ديناً ودُنْيَا
هذه حاجتي وما لي طريقٌ
عنكم لأرضنا التَّكْبَاءُ^(١)
هَدَلَمَّا اكْفَهَرَّتِ الأَفْوَاءُ^(٢)
في الدِّيَاجِي بِهَا لَنَا الأَمْتِدَاءُ^(٣)
على الطُّهْرِ والعَفَافِ الكِسَاءُ^(٤)
كَلَّمَا عَاقَبَ الصَّبَاحَ المَسَاءُ^(٥)
لَاءِ لَمْ تَلْقَ مِثْلَهُنَّ النُّسَاءُ^(٦)
يَنْمَجِي مِنْهُ يَا إِلَهِي الحِطَاءُ
في سرورٍ وتَبَرُّدِ الأَحْشَاءُ^(٧)
قَطُّ إِلا مَدِيحَهُمُ وَالوَلَاءُ^(٨)

* * *

- (١) الشاعر يصلي ويسلم على النبي صلاة دائمة وسلاماً دائماً أيضاً بدوام انتقال الرياح منه ﷺ إلينا بالريحان الطيب.
- (٢) اكفهر السحاب تراكم واسود. أصحاب النبي كانوا على عهده وعلى ما سته إليهم وعلمهم لما اضطربت الآراء فهداهم الله إلى الطريقة المثلى.
- (٣) الدياجي: الظلمات. وآل النبي هداة الأنام.
- (٤) البتول: المنقطعة للعبادة. يطلق أصحاب الكساء على علي وفاطمة وابنيهما.
- (٥) تثرى: أصلها وترى بمعنى واحد بعد واحد.
- (٦) أم قاسم: السيدة خديجة زوج النبي، والحميرا: السيدة عائشة بنت أبي بكر.
- (٧) تبرد الأحشاء: كناية عن هدوء النفس واطمئنانها.
- (٨) الولاء: القرب والمحبة.

القصيدة الثانية

يا نبيّ الهدى

يا نبيّ الهدى إليك التّجائي أنت حصني من العنا والبلاء
 أظّ ظهري بعبيدِه وتلاشى كثرُ صبري وضاقَ صدري بدائي^(١)
 طالما رُمْتُ في المساعي نجاحاً وهو عَنِّي بِنَجْوَةٍ في الثّواءِ^(٢)
 شفّ جسمي وبَتَّ حبلَ سروري داءٌ وَجِدِ عَراً فأعيا إسائي^(٣)
 ضِفْتُ ذُرْعاً بما لَقِيتُ فجسمي في شحوبٍ مما تُكِنُّ حشائي^(٤)
 بين ضيقٍ وَخَيْرَةٍ وَقَعْتَ بي رَجُلٌ حَظِّي فأظلمتُ آرائي^(٥)
 يا حبيبي ويا طبيبَ سقامي ليس إلّا نَدَاكَ فيه شِفائي^(٦)
 فَعَسَى في المنامِ طيفُ خيالٍ منك يَفْرِي ضرايَ بالسّراءِ^(٧)

- (١) أظّ الرجل صوت: والظهر حدث له صوت عند انكساره. العباء: الحمل. تلاشى: ذهب
 (٢) بنجوة: بعيد بمعزل عنه. أي النجاح بعيد عنه.
 (٣) شفّ الجسم: نحل. بت الحبل: قطعه. الوجد هنا: الحب والتعلق الشديد بذات الرسول
 الكريم، إنه الذي فعل به كل ذلك. الإساء: الأطباء.
 (٤) ضاق بالأمر ذرعاً: لم يقدر عليه تُكِنُّ: تستر. الحشا: ما في البطن من الكرش والأمعاء.
 والحشاء مد للمقصور. كناية عن تعب نفسه.
 (٥) إنه يصور قلقه إذ لا يجد مخرجاً مما هو فيه من عناء.
 (٦) لقد وجد المخرج مما هو فيه من تعب بالالتجاء إلى الرسول الأكرم.
 (٧) فرى الرجل الشيء قطعه. الضراء ضد السراء. يريد أنه يأمل رؤية النبيّ في المنام فتقطع ما
 فيه من ألم وتحوله إلى سرور. وضراء مقصور من ضراء.

أو قُدومٌ إلى المدينة ذاتِ الفـ	خروالدُّخْرِ والبها والضياء ^(١)
والنخيلِ البهيجِ والأثلِ والبـ	ن وواديِ المعقيقِ زَيْنِ الرِّواءِ ^(٢)
بلدةٌ قَوْقها عودٌ من النور	مضيءٌ إلى عَنانِ السماءِ ^(٣)
ليسِ بِدَعاءٍ وفي ثراها نَبِيٌّ	من سَناءِ اسْتَمَدَّ قُرصُ دُكَّاءِ ^(٤)
وَجَدِيرٌ بأنْ يَذوبَ اشْتِياقاً	كُلُّ قلبٍ للقُبَّةِ الخُضراءِ ^(٥)
قَصَرَ الدهرُ من خُطايِ وطالت	فيه واحسرتنا ذبولُ خُطائي ^(٦)
وثناني الهوى وَرَغِي الأمانِي	عن مَراقِي العلى وِعماءِ ورائي ^(٧)
غيرَ أني عَليقت في جاه طه	بحبالِ وثيقَةٍ من رجاءِ ^(٨)
ورفعتُ اليدينِ صِفراً إلى اللـ	ه به في توَسُّلي ودُعائي ^(٩)
باكيِ العينِ ضارعِ الخدِّ أدلي	بانتسابِ وخدمةٍ وولاءِ ^(١٠)

(١) الذخر: ما يحتفظ به لوقت الحاجة..

(٢) البها: الحسن. يأمل أكثر من طيف الخيال في المنام وهو أن يوفق إلى القُدوم إلى المدينة المنورة التي بها قبر المصطفى ﷺ.

(٣) عنان السماء: ما يبدو لك منها إذا نظرت إليها. بدعاً: غريباً. الثرى: التراب. السنا: الضوء. دُكَّاء: من أسماء الشمس.

(٤) عنان السماء: ما يبدو لك منها إذا نظرت إليها. بدعاً: غريباً. الثرى: التراب. السنا: الضوء. دُكَّاء: من أسماء الشمس.

(٥) جدير: حقيق.

(٦) قصر الرجل الشيء جعله قصيراً. الخطأ والخطاء ضد الصواب. قصر الدهر من خطاه: لم يستطع السفر وتحقيق ما تمنى مع كثرة ذنوبه.

(٧) الأمانى جمع أمنية وهي ما يُرجى ويُرغب. الذي منعه عن تحقيق مراده بزيارة الرسول هو النفس ومآربها فإنها أماراة بالسوء. وجاء هنا بمعنى أمام.

(٨) رجل صفر اليدين: ليس بهما شيء مما يعتمد عليه. وتوسل به اتخذه وسيلة وصله.

(٩) ضارع الخد: ذليلاً.

(١٠) أدلى بانتساب: اتصل بنسب.

لِيَنْشَقَّ مِنْكُمْ رِيًّا وَيَشْفِي فُوَادًا فِي الْهَوَى قَاسَى صِعَابَهُ^(١)
 فَهَلْ يَسْخُو الزَّمَانُ بِطَيْبٍ وَضَلَّ لِمَنْ أَفْنَتْ مَحَبَّتُكُمْ شِبَابَهُ
 وَهَلْ تُظْفَى لَوَاعِجُ مُسْتَهَامٍ وَيَبْرُدُ قَلْبُهُ بِوُرُودِ طَابَهُ^(٢)
 وَتَحْمِلُهُ النِّجَابُ فِي سُرَاهَا إِلَى مَنْ شَرَّفَ الْمَوْلَى جَنَابَهُ^(٣)
 هُنَاكَ الْقُبَّةُ الْخَضْرَاءُ تَبْدُو مِنَ الْأَنْوَارِ تَغَشَاهَا سَحَابَهُ^(٤)
 فَتَضْطَرِبُ الْفَرَائِصُ مِنْ سَنَاهَا وَتَمْتَلِي الْقُلُوبُ مِنَ الْمَهَابَةِ^(٥)
 وَيَنْتَفِضُ الْمَحَبُّ إِذَا رَأَاهَا وَيُوقِنُ كُلُّ دَاعٍ بِالْإِجَابَةِ
 وَتَمَّ الْوَافِدُونَ لَهُمْ ضَجِيجٌ وَإِخْلَاصٌ وَصَدَقٌ فِي الْإِنَابَةِ^(٦)
 تَحْنُ لَهَا الْقُلُوبُ لِأَنَّ فِيهَا ضَرِيحَ الْمَصْطَفَى زَيْنِ الْعِصَابَةِ^(٧)
 نَبِيٍّ هَاشِمِيٍّ أَرْحِي مَلَائِكَةُ الْمُلَى خَدَمَتْ رِكَابَهُ^(٨)

(١) نشق الرائحة: شهما. ريًّا بفتح الراء الرائحة الطيبة.

(٢) الهوى اللاعج: المحرق. طابة: من أسماء المدينة المنورة. النجائب جمع نجيبة وهي الكريمة من الإبل. السرى: السير ليلاً والغرض السير عامة.

(٣) الهوى اللاعج: المحرق. طابة: من أسماء المدينة المنورة. النجائب جمع نجيبة وهي الكريمة من الإبل. السرى: السير ليلاً والغرض السير عامة.

(٤) يخيل للشاعر أن القبة الخضراء التي على القبر الشريف تغطيها سحابة مظللة كما ورد أن الرسول الكريم أظلمته سحابة من الشمس وهو صغير.

(٥) السنا: الضوء. الفرائص جمع فريضة وهي لحمة بين الثدي والكتف ترتعش عند الخوف. المهابة: الجلال. غرض الشاعر أن النفوس إذا وردت هذه الرحاب الكريمة أخذتها روعة الجلال وعظمة اللقيا.

(٦) ثم بفتح الثاء: هنالك. أناب إلى الله إنابة. رجع بالتوبة.

(٧) العصابة: الجماعة من الرجال اجتمعوا لأمر واتحدوا. يقصد أصحاب الرسول. زين العصابة: خيرهم.

(٨) الأريحية: خصلة يرتاح بها المرء إلى صنع المعروف وبذل العطايا وصاحبها أريحي.

القصيدة الثالثة

إليكم يشتكي

إليكم يشتكي مما أصابته مُجِبُّ هَامٍ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ^(١)
 براه الشوق والهجران منكم ولم يُبْقِ النَّوَى إِلَّا إِهَابَةً^(٢)
 سبأه جمالكم بيسير لحظ تَعَوَّذَ فِي رِمَائِتِهِ الْإِصَابَةَ^(٣)
 وسلطان الجمال له نُفُودٌ إذا نادى ولو ملكاً أجابته
 فيا أهل النقى رِقُّوا لَصَبِّ يُعَانِي فِي الْغَرَامِ بِكُمْ عَذَابَةً^(٤)
 يُسَلِّي بِالنَّهَارِ النَّفْسَ حَتَّى إذا أمسى تَغَشَّاهُ الْكَابَةَ^(٥)
 تُؤَزِّقُهُ الْحَمَائِمُ حِينَ تَشْدُو وإن مرَّ النَّسِيمُ بِهِ أَذَابَةً^(٦)
 فيفرق في الهواجس والأمانى وَيَعْدَمُ مِنْ تَقْلِبِهِ صَوَابَةً^(٧)
 يُسَائِلُ عَنْكُمْ الرُّكْبَانَ شَوْقاً لكم وَيُطِيلُ فِي النَّجْوَى خِطَابَةً^(٨)

- (١) بدأ القصيدة بالغزل على عادة الشعراء، ولكنه يرمز إلى التعلق بالذات المحمدية الشريفة.
 (٢) براه: هزله. الإهاب: الجلد.
 (٣)
 (٤) النقى: الكتيب من الرمل. يريد أهل المدينة. والغرض معروف.
 (٥) تغشاه: تُغْطِيهِ أَي أَدْرَكَهُ الْحُزْنَ لِلْفِرَاقِ.
 (٦) أزقه: أسهره وأقلقه. تشدو: تغني. أذابه: أساله يريد ضنا جسمه وهزاله.
 (٧) الهاجس: ما وقع في النفس واحتل مكان التفكير. الأمانى: الآمال. الصواب ضد الخطأ ومراده أنه يفقد توازن عقله.
 (٨) النجوى: السر بين اثنين.

ويومَ دعا إلى المولى ثَقِيْفاً فَرَدُّوا قَوْلَهُ وَأَبَوْا جَوَابَهُ^(١)
 وعَادَ وقد رَمَوْا رجلِيه يمشي بِنَعْلِ من دم جعلوا خِضَابَهُ
 ويوم سَلَى الجزور عليه أَلْقُوا وَيَلُّوا من نجاستها ثِيَابَهُ^(٢)
 هناك تَفَطَّرت كَبِيدِي وَجُدَا دَمُوعِي بالعقيق جَرَّتْ مَثَابَهُ^(٣)
 شَرِقْنَا بالدموع وما ذَخَرْنَا لِحَادِثَةِ سِوَى هذِي أنسكَابَهُ^(٤)
 وَمَنْ ذَا لا يذوبُ أَسَى لذكري رسولِ اللّهِ في تلك المَثَابَهُ^(٥)
 وما زالَ النبيُّ رَخِيَّ بِال يُوَالِي في رضا الباري ضِرَابَهُ^(٦)
 إلى أَنْ أذعنَ الكفرُ اعترافاً وَبَاءَ بخيبةٍ وَحَنَى رِقَابَهُ^(٧)
 رسولُ الله ناداكم مُجِبُّ بِحُسْنِ الوَدِّ يُدلي وَالقَرَابَهُ^(٨)
 إليكم بالنَّجَارِ لِحُسْنِ حَظِّ تَقَدَّمَ صَحَّحَ المولى انتسَابَهُ^(٩)

- (١) دعا الرسول ﷺ قبيلة ثقيف بالطائف إلى الإسلام فردوه رداً قبيحاً ورموه بالحجارة فسال الدم حتى صار كالخضاب لنعله.
- (٢) السلى: الجلدة التي يكون فيها الإنسان أو الحيوان في بطن أمه. من مكابد أهل مكة للإسلام وللنبي أن بعضهم انتهز فرصة سجوده في الصلاة ﷺ وألقى عليه سلى الجزور وهو ما ذبح من المواشي.
- (٣) تفتطرت الكبد: تشققت من الحزن، ودموعه جرت بدم أحمر كالعقيق ثاب الماء: اجتمع في الحوض. أي جرت دموعه بكثرة.
- (٤) شرق بالدمع حلّ به الشرق أي الغصة فكاد يموت. انسكاب الدم: انصبابه.
- (٥) الأسى: الحزن. المثابة هنا المنزل والمجتمع أي اشتداد ثقيف على النبي ﷺ وهجومهم عليه.
- (٦) يريد بالضراب الحرب والجهاد في سبيل الله.
- (٧) أذعن: خضع. باء: رجع.
- (٨) يدلي: يتصل.
- (٩) النجار: الأصل. صحح المولى انتسابه: إنه شريف ينتسب للنبي والدليل على ذلك شدة إخلاصه وجه كما يخلص الأقرباء بعضهم لبعض إذ أظهر الله ذلك فيه فصار نسبه صحيحاً حقاً.

إذا نام الأنامُ على الحشايا تَمَثَّلَ قائِماً يتلو كتابَه^(١)
 أجَلُ المرسلين عُلاً وقدرأ وأرجحهم وأوفرهم نجابَه^(٢)
 أتى والناسُ في ليلٍ بهيمٍ من الأوهام تاهوا في غيَابَه^(٣)
 ونورُ الحقِّ مستورٌ بجهل فزحزحَ من أشعتهِ حجابَه^(٤)
 وبالعلم الصحيح أنارَ بدرأ وعن وجه الرشادِ جَلا نِقابَه^(٥)
 بمعزمٍ صادقٍ وثباتِ قلبٍ يخوض اللُّجَّ لا يخشى عُبابَه^(٦)
 لنصر الدينِ سلَّ السيفَ حتَّى مَحَى الشُّركَ الصريحَ وفلَّ نابَه^(٧)
 يُمهجهُ يُخاطِرُ في المغازي إذا اشتدَّ الوغى سَبَقَ الصحابَه^(٨)
 وَقَدَّمَ نَفْسَه لَلهِ مهما تقاصرتِ الخُطَا يبغى ثوابَه
 تذكرتُ النبي غداةَ شجُّوا مُحَيَّاهُ وما خافوا عِقابَه^(٩)
 وفاطمةُ تعالجُه وتبكي

(١) الحشية: الفراش الحشو أي اللين. من خصوصيات النبي وجوب العبادة ليلاً وقراءة القرآن كما جاء في سورة (المزمل).

(٢) النجابة: الكرم والحس.

(٣) الليل البهيم: الشديد الظلمة. الأوهام: جمع وهم وهو ما يقع في الذهن من الخواطر يريد الخواطر الفاسدة التي لا تعتد على الحق. الغيابة من الجُبِّ: قعره. أي تاهوا في الضلال.

(٤) جعل الشاعر الحق كالبدر مغطى بحجاب هو الجهل فكشف النقاب بالعلم الصحيح والحجة الدامغة.

(٥) جعل الشاعر الحق كالبدر مغطى بحجاب هو الجهل فكشف النقاب بالعلم الصحيح والحجة الدامغة.

(٦) اللجج من البحر: الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه. العباب. الماء الكثير.

(٧) الشرك الصريح: التَّيْن: فلَّ الناب: شقه فلا نفع فيه.

(٨) المهجة: الروح ودم القلب. الوغى: الحرب.

(٩) المحيا: الوجه. يقصد ما حدث للرسول ﷺ في غزوة أحد من شج وجهه الشريف.

القصيدة الرابعة

فِيمَ التَّرِيثِ؟

فِيمَ التَّرِيثُ وَالْأَيَّامُ تُغْرِي بِي أَمْرَ لِي الْمَكْتُ فَاسْتَحْلَيْتُ تَغْرِيبي^(١)
 وهل يُعِينُ عَلَى حَرْبِ الزَّمَانِ سِوَى طَيِّ الْفِيَّافِي بِأَسَادٍ وَتَأْوِيبِ^(٢)
 أَهْكَذَا كُلُّ صَنْدِيدٍ تُعَاكِسُهُ أَيَّامُهُ وَيَفُوزُ الْفَسْلُ بِالطَّيِّبِ؟^(٣)
 فَاضْرِبْ بِطَرْفِكَ أَتَى شَيْئٌ تَلَقَّى أَوْلَى الْـ أَخْطَارِ فِي فِتْنِ هُوجٍ وَتَعْذِيبِ^(٤)
 تَلَقَّى اللَّئَامَ اللَّيَالِي وَهِيَ بِاسْمَةٍ وَالْأَكْرَمِينَ بِتَعْبِيسٍ وَتَقْطِيبِ
 وَانظُرْ إِلَى حَالِ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ وَمَا لَاقَاهُ فِي اللَّهِّ مِنْ حَرْبٍ وَتَكْذِيبِ

(١) الشاعر في هذه القصيدة يعارض المتنبي من حيث الوزن والقافية في قصيدته في مدح كافور الإخشيدي:

من الجآذر في زي الأعراب حمر الحلى والمطايا والجلابيب
 ويشير إليها في البيت الأخير (ما هيجت شيقاً حمرُ الجلابيب) التريث: التمهل والانتظار:
 أغرى العداوة بين القوم: ألقاها وأفسد بينهم. أمر المكث. صار مرأ لا يستساغ. يستفهم
 الشاعر استفهاماً إنكارياً بأنه لا داعي للإقامة على الألم والمتاعب وقد صارت الغربة محبة
 إليه.

(٢) التأويب سير النهار والنزول ليلاً. يريد الشاعر أن الذي يساعد على مغالبة الزمان والانتصار
 على صروفه إنما هو طي الفلوات مع قوم شجعان كالأساد ومع حركة السير والسفر.

(٣) الصنديد: السيد الشجاع. الفسل. الرديء الرذل.

(٤) الهوجاء جمع هوج: الريح الشديدة التي تقلع البيوت. الفتنة هنا الامتحان والعذاب
 والحرب. يقصد الشاعر ما لاقاه النبي وآل بيته من أذى.

بمدحك يا شفيح الخلق يرجو من الله الكرامة والإثابة^(١)
 وبالكبرى وبالمولى عليّ وبالفرعَيْن والزهرا الذوابة^(٢)
 يؤمل أن يفوز بكل خير وأن يؤتى بلا تعب كتابه^(٣)
 وأن يُغضى المني دنيا وأخرى وأن يتقبل المولى متابه
 أجل وسيلة للفوز أنتم بكم يستفتح الراجون بابه^(٤)
 وأنتم للمعلم أهر كنز فمن يهتف بكم يُذرك طلابه^(٥)
 صلاة الله تفشاكم ونفسي جميع الآل أقطاب الثقابه^(٦)



(١) الإثابة: الثواب والمجازاة الطيبة.

(٢) يريد بالكبرى: السيدة خديجة أول أزواج النبي وأم أولاده ما عدا إبراهيم. والفرعان الحسن والحسين عليهما السلام. الزهراء: السيدة فاطمة الزهراء أم الحسين. الذوابة: من كل شيء أعلاه أي أنها في أعلى مكانه.

(٣) يشير إلى قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابِهِ يَسْبِقُهُ فَأُولَٰئِكَ يَفْرَهُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُلَمُّونَ قَبِيلاً﴾ وإلى قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿فَأَنَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابِهِ يَسْبِقُهُ فَبِقَوْلِ هَٰؤُلَاءِ اقْرَبُوا بِكِنْيَةٍ﴾ وذلك يوم القيامة.

(٤) يريد آل بيت النبي الكريم.

(٥) هتف به: ناداه.

(٦) تفشاكم: تشملكم. الأقطاب جمع قطب وهو من القوم سيدهم. الثقابه بفتح النون مصدر نقب الرجل على القوم صار نقيباً ومقدماً عليهم.

وحيثُ لا وَخِي في شأنِ فِعَادَتُهُ فيه السكوتُ إذا أَدَى لَتَشْغِيبِ^(١)
 وقد أشار إلى الصَّديقِ أَوْنَةً إشارةً لم تكن نَصّاً بتهذيبِ^(٢)
 رآه بالكشفِ مولاها وَوَدَّ لها أبا الثُّرابِ اجتهاداً بعد تجريبِ
 لكنها انصرفتُ عنه لِمَضْلَحَةٍ له وللدين والشبان والشيبِ
 فإنهم لو أصابوا المُلْكُ ما بقي الذ سلُّ المَبَارِكُ حَيّاً في الأَعَارِبِ^(٣)
 إذ كُلهُ رَفَعِ من الدنيا إلى ضِمَّةِ والمُلْكُ رَفَعٌ وَمَرْهُونٌ بِتَقْلِيبِ^(٤)
 وكيف يَخْرُجُ عنهم إن سَمَوْا وَنَمَوْا وإنما هُوَ دُولَاتٌ بتمقيبِ^(٥)
 بدعوةِ المُضْطَفَى صِينَتْ سُلَالَتُهُ عن كُلهُ كَيْدٍ من الأعدا وتَأْلِيبِ^(٦)
 ملءُ النواحي أعاديبهم وقد أَمِنُوا والعُرْبُ تَأْمَنُ بين الضَّنْبِ والذَّيْبِ^(٧)
 يا أيها الخمسةُ الأرواحُ لي بكم تَعَلَّقُ جِئاني من قَبْلِ تَأْوِيبِ^(٨)
 وما سِوَى حُبِّكُمْ نَفْسِي تَلُوذُ به يوماً إذا سَمِعْتَ آياتِ تَرْهيبِ^(٩)
 يَجِيشُ صدري بِجَزَلِ الشعرِ في غَرَضِ فَتَذَكَّرُونَ قَأَنَسَ كَلَّ تَرْكِيبِ^(١٠)

= وغدير خم بناحية الجحفة. وروي أن النبي قام وأخذ بيد علي فقال: ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه.

(١) التشغيب: الهياج والفتنة.

(٢) هدب الشيء أخلصه من الشوائب وهنا هدب الكلام تهذيباً جعله صريحاً واضحاً.

(٣) الأعراب: جمع أعراب.

(٤) كما قال الشاعر: «ما طار وارتنفح إلا كما طار وقع».

(٥) صار الأمر دولة بضم الدال أي يتداولونه مرة لهذا ومرة لذاك.

(٦) التأليب: الاجتماع على الظلم والعداوة.

(٧) كناية عن أن الأعداء محيطون بهم.

(٨) الأرواح الخمسة الكرام: خديجة وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

(٩) تلوذ به: تلجأ إليه. الآيات: الدلائل. ترهيب: إخافة.

(١٠) الشعر الجزل: القوي البليغ. يجيش صدري: يتحرك. يفكر الشاعر أن يقول قصيدة في =

وَأَثَرَهُ بِنْتُهُ مَاتَتْ بَغُضَّتِهَا سَحَّحَتْ عَلَيْهَا الْأَذْيَابَ بِالشَّابِيبِ^(١)
 وَأَلَّهُ قَلْبَ الدَّهْرِ الْمَجَنِّ لِهِمْ وَمَسَّهُمْ بِمَشَقَاتٍ وَتَقْصِيبِ^(٢)
 تَوَاضَلُ الْحُزْنَ قَدْ أَنْسَى عَقَائِلَهُمْ مَسَّ الدَّهَانَ وَتَزْجِيجَ الْحَوَاجِيبِ^(٣)
 وَالْمُرْتَضَى بَعْدَهُ مَا زَالَ فِي مَضْضِ وَمَوْجِعَاتٍ وَأَيَّامٍ غَرَابِيبِ^(٤)
 مَا كَانَ ذَاكَ جِزَاءً لِلْوَصِيِّ وَلِـ كُنْ لِلْمَقَادِيرِ أَسْرَارًا بِتَرْتِيبِ^(٥)
 جَمِّ الْمَنَاقِبِ مَرْفُوعُ الْمَرَاتِبِ مَعْرُ فِ الْقَوَاضِيبِ وَالصُّمِّ الْأَنَابِيبِ^(٦)
 وَكُلُّ ذَلِكَ مَطْوِيٌّ عَلَى حِكْمِ يَصُونُهَا الْغَيْبِ مَلَأَى بِالْأَعَاجِيبِ
 تَشَادَقَ الْقَوْمُ فِي نَصِّ الْخِلَافَةِ هَلْ يَصِحُّ أَمْ لَا وَأَكْدُوا بَعْدَ تَنْقِيبِ^(٧)
 وَلِلنَّبِيِّ إِشَارَاتٌ نُقْرِئُهَا لِفَهْمٍ مِنْ لَمْ يُكَابِرْ بَعْضَ تَقْرِيبِ
 قَدْ رَشَّحَ الْمُرْتَضَى يَوْمَ الْغَدِيرِ لَهَا فَصَادَفَ الرَّايَ لَمْ يُقْبَلْ بِتَرْجِيبِ
 وَشَاءَ تَوْثِيقُهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ لَهُ فِي حُطْبَةِ قَالَهَا بَيْنَ الْأَصَاغِيبِ^(٨)

- (١) الغصة: ما اعترض في الحلق من الطعام والشراب والهم والحزن. سح الماء: اشتد انصبابه. الشؤبوب: الدفعة القوية من المطر.
 (٢) المجن: الترس. وقلب له ظهر المجن: تغير عليه. قض فلاناً: شدَّ يديه إلى عنقه.
 (٣) العقيلة: الكريمة المخدرة من النساء يراد بها المزوجة.
 (٤) المضض: المشقة الشديدة. الغرابيب: جمع غريب: شديد السواد. المرتضى هو سيدنا علي بن أبي طالب. وهو المراد بالوصي.
 (٥) المضض: المشقة الشديدة. الغرابيب: جمع غريب. شديد السواد. المرتضى هو سيدنا علي بن أبي طالب. وهو المراد بالوصي.
 (٦) جم: كثير. المناقب: المفازر. القواضب: السيوف القواطع. الصم الأنابيب: الرماح القوية.
 (٧) تشادقوا: تفاصحوا بالكلام في الخلافة بعد الرسول أنص على علي أم لم ينص؟. أكدوا بعد تنقيب: انقطعوا بعد البحث الكثير ولم يهتدوا لرأي.
 (٨) روي أن النبي ﷺ عند عودته من غزوة الحديبية قال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بغدير خم: (من كنت مولاه فعلي مولاه). وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة. =

القصيدة الخامسة

كَمْنَا إِلَى بَعْدِ الضُّحَى

كَمْنَا إِلَى بَعْدِ الضُّحَى فَأَطَلَّتْ وَأَخْفَتْ ضِيَاءَ الشَّمْسِ حِينَ اسْتَقَلَّتْ^(١)
 وَأَبْصَرْنَا خَوْدًا فَأَسْرَعْنَا نَحْوَهَا يُسَائِلُنَهَا حَتَّى تَوَارَتْ وَمَلَّتْ^(٢)
 صَبْرًا عَلَى لَفْحِ الْوَدِيقَةِ مِثْلَنَا وَلَمْ نَذِرْ بِالرَّمْضَاءِ حَتَّى تَوَلَّتْ^(٣)
 وَلَمْ نَسْتَفِيقْ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ الْهَوَى بِأَعْنَاقِنَا فَاسْتَسَلَمَتْ وَاسْتَدَلَّتْ^(٤)
 وَلَا شَيْءَ مِثْلُ الْحَبِّ يُغَيِّبُ إِسَاؤَهُ مَتَى دَبَّ فِي الْإِنْسَانِ لَمْ يَتَفَلَّتْ^(٥)
 نَعَرَّضْتُ لَا عَن غَرَّةٍ بَلْ لِأَنْبِي بِقُوَّةِ نَفْسِي وَائْتِقُ فَاضْمَحَلَّتْ^(٦)
 وَأَهْلُ الْهَوَى ضَلُّوا وَمَا اعْتَبَرُوا بِمَنْ قَضَى قَبْلَهُمْ كَالطَّيْرِ مِنْ حَيْثُ ضَلَّتْ^(٧)
 رَمَتْ فِي سُؤْدَاءِ الْفُؤَادِ سِهَامَهَا مِنَ اللَّفْظِ بَعْدَ اللَّحْظِ لَمَّا تَجَلَّتْ^(٨)

- (١) كمن: اختفى. أطلت: أشرفت ونظرت. استقلت: ارتفعت فظهرت وهكذا يبدأ الشاعر قصيدته بالغزل وتفنن فيه ما شاء ثم انتقل إلى آل البيت.
- (٢) الخود بفتح الخاء: الشابة الناعمة جمعها خود بضم الخاء. يسائلنها: يتحدثن إليها إعجاباً بجمالها لتفوقها عليهن
- (٣) الوديقة: شدة الحر نصف النهار. الكل شغل بجمالها الباهر عن ألم الحر.
- (٤) أخذ الهوى بأعناقنا: ملكتنا فخضعنا له.
- (٥) إسائه: طبه وعلاجه.
- (٦) الغرة: الغفلة. اضمحل الشيء: انحل وذهب.
- (٧) قضى: مات.
- (٨) السويداء من القلب: حبه. تجلت: ظهرت يريد أن يقول إنها أثرت في أعماق القلب من نظرتها النافذة ولسانها الحلو.

فِيكُمْ يَسِيلُ كَمَثَلِ الْمَاءِ مُنْحَدِرًا إِلَى الْقَرَارِ وَأَصْفَى حِينَ تَشِيْبُ (١)
 عَلَيْكُمْ مِنْ صَلَاةِ اللَّهِ أَبْلَغُهَا مَا هَيَّجَتْ شَيْقًا حُمْرُ الْجَلَابِيْبِ (٢)



= غرض من الأغراض ويعد لها العدة من أساليب فإذا تذكر آل البيت نسي ما كان فيه وانساق إلى مدحهم.

(١) التشيب: الغزل. إن شعره الوجداني في آل البيت الذي يسلك فيه مسلك الغزل أصفى من الماء يسيل إلى منحدره.

(٢) الشيق: المشتاق.

هَوَاهُمْ هَوَى مَا لِي سِوَاهُ وَسِيلَةٌ إِلَى الْفَوْزِ إِذْ بَغِضُ الْهَوَى نَوْعُ ضَلَّةٍ
 وَمِنْ لُطْفِهِمْ بِي لَا يَزَالُ خَيَالُهُمْ يُفَرِّجُ مِنْ كَرْبِي وَيُبْرِدُ غَلَّتِي (١)
 أَسَاسِي وَنَبْرَاسِي وَرَاسِي وَعُدَّتِي وَرُوحِي وَأَفْرَاحِي وَرَاحِي وَقَبْلَتِي (٢)
 وَفَخْرِي وَذُخْرِي وَاعْتِمَادِي وَعِضْمَتِي إِذَا النَّعْلُ فِي الدُّنْيَا أَوْ الدِّينِ زَلَّتِ (٣)
 أَوْلَيْكَ حَبْلُ اللَّهِ وَالْعُرْوَةُ الَّتِي بِهَا نِعْمَةُ الدِّينِ الْحَنِيفِي جَلَّتِ (٤)
 بِهِمْ سَلَخَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ إِهَابَهُ وَأَسْفَرَ صُبْحُ الْيَمَنِ عَنِ خَيْرِ مِلَّةٍ (٥)
 أَقَامُوا اعْوَجَاجَ الْجَاهِلِيَّةِ بِالْقَنَا وَبِالذُّكْرِ دَاوَوَهَا إِلَى أَنْ أَبَلَّتِ (٦)
 بِعَزْمِ سَمَاوِيٍّ يَزِيدُ مَضَاؤُهُ إِذَا قُلَّتِ الْبَيْضُ الْمَوَاضِي وَكَلَّتِ (٧)
 وَكَمْ كَابَدُوا فِي اللَّهِ مِنْ مِحْنَةٍ وَكَمْ لَهُمْ مِنْ دِمَاءٍ فِي الْمِيَادِينِ طَلَّتِ (٨)
 وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ قَاظَ ظَمَانَ عَارِيًّا لَهُ مِنْ نَسِيجِ الْفَخْرِ أَشْرَفَ حُلَّةٍ (٩)

(١) الغلة: شدة العطش.

(٢) النبراس: المصباح. الراح: من أسماء الخمر. قبلتي وجهتي.

(٣) عصمتي: أي آل البيت سبب بعدي عن المعاصي لأنهم رأس الدين والملة وقدوة الناس. زلت نعله كناية عن الخطأ إنهم ملجؤه في كل حال.

(٤) جلت: عظمت. الحنيف: الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه. والحنيفية: ملة الإسلام المائلة عن الباطل إلى الحق. آل البيت الحبل المتصل بالله. العروة من الدلو مقبضه يريد أنهم أداة الاتصال.

(٥) الإهاب: الجلد. أسفر: انكشف وأشرق. اليمن: البركة. القنا: الرماح. الذكر: القرآن. أبلت من المرض: شفيت واستقامت. المعنى: بآل البيت ذهبت الظلمات وجاء النور فأذهبوا عوج الجاهلية بالقرآن والجهاد.

(٦) الإهاب: الجلد. أسفر: انكشف وأشرق. اليمن: البركة. القنا: الرماح. الذكر: القرآن. أبلت من المرض: شفيت واستقامت. المعنى: بآل البيت ذهبت الظلمات وجاء النور فأذهبوا عوج الجاهلية بالقرآن والجهاد.

(٧) إن قوتهم من قوة الله نافذة ماضية في أحوال الأوقات التي تتكسر فيها السيوف وتكل عن الضرب في معمة القتال.

(٨) فاطم: مات.

(٩) ظلّ دمه: لم يؤخذ بثأره.

فيا ليت شِعْرِي هل دَرَّتْ أنها فَرَّتْ فُؤَادِي بِفَتَا كَيْ لِسَانٍ وَمُثَلَّةٍ^(١)
 وَمَنْ ذَا يُؤَدِّي لِي إِلَيْهَا رِسَالَةً وَقَدْ جَاوَزْتَ بُرْجَ السَّمَاءِ وَحَلَّتِ^(٢)
 وَأَخْشَى نُعَامِي بِي أَلَمْتُ لَأَنَّهَا عَلَيَّ مَا أَجْنَتَهُ الْجَوَانِحُ دَلَّتِ^(٣)
 وَلَا بَدُّ أَنْ تَنْمِي إِلَيْهَا شِكَايَتِي وَيُوشِكُ أَنْ تَرْنِي لضعْفِي وَعَلَّتِي^(٤)
 فَقَدْ رَبَطْتَنَا بِالْفَرَامِ قَرَابَةً يَحِقُّ لَهَا مِنْهَا افْتِقَادُ بَيْلَتِهِ^(٥)
 وَمَا ضَرَّنِي إِلَّا هَوَاها وَلَمْ أَكُنْ لِأَخْتَارَ لَوْلَاهَا عَلَى الصَّوْنِ بِذُلَّتِي^(٦)
 وَنَحْمِي عَيْوَنِي عَنْ سِوَاهَا دَمُوعَهَا وَإِنْ ذَكَرُوهَا اغْرُورِقْتُ وَاسْتَهَلَّتِ^(٧)
 نَعَمَ وَلَالِ الْبَيْتِ تَمَزُّجُهَا دَمًا وَتُرْسِلُهَا حَمْرَاءَ مِنْهُمْ وَقَلَّتِ^(٨)
 يُقَوِّمُ أَحْنَائِي لِذَكَرَاهُمْ الْجَوَى وَيُرْزِعُنِي وَجَدَّ بِحُكْمِ الْجَبَلَةِ^(٩)
 جَرَى حُبُّهُمْ مَجْرَى دَمِي فِي عُرُوقِهِ مِنَ النَّشْرِءِ وَاسْتَوْلَى عَلَيَّ بِجُمْلَتِهِ^(١٠)

(١) الشاعر هنا: يتمنى أن يعلم.

(٢) السماكان: الأعزل والرامح: نجمان نيران.

(٣) النُّعَامِي رِيحُ الْجَنُوبِ وَهِيَ رِيحٌ تَأْتِي مِنَ الْيَمَنِ. أَلَمٌ بِالْقَوْمِ: أَتَاهُمْ وَنَزَلَ بِهِمْ. أَجْنَتَهُ: سَتَرْتَهُ. الْجَوَانِحُ: الْأَضْلَاعُ وَهِيَ الَّتِي تَحْتَ التَّرَائِبِ مِمَّا يَلِي الصَّدْرَ كَالضَّلُوعِ مَا يَلِي الظَّهْرَ.

(٤) تَنْمِي: نَقَلَ. يَقُولُ: إِنَّهُ يَخَافُ رِيحَ النُّعَامِي الْحَارَةَ فَإِنَّهَا صُورَةٌ لِمَا بَيْنَ جَوَانِحِهِ مِمَّا أَحْدَثَهُ الشُّوقُ. وَلَا بَدُّ أَنْ تَنْقَلِ إِلَيْهَا مَا يَشْكُو فَيَكُونُ الْعَطْفُ وَالرِّثَاءُ مِنْهَا لضعْفِهِ وَعَلَّتِهِ.

(٥) الْاِفْتِقَادُ: السُّؤَالُ وَالْبَحْثُ. الْبِلَّةُ بِكسْرِ الْبَاءِ: الرِّزْقُ وَالْخَيْرُ. اجْتَمَعَ لِلشَّاعِرِ مَعَ الْحُبِّ الْقَرَابَةُ فَاسْتَحَقَّ الْعَطْفَ حَتَّى يَزُولَ مَا بِهِ.

(٦) الْبِلَّةُ: بِكسْرِ الْبَاءِ: مَا يَتَمَهَّنُ مِنَ الثِّيَابِ.

(٧) اغْرُورِقْتُ الْعَيْنَانِ: امْتَلَأَتَا بِالدمُوعِ. اسْتَهَلَّتِ الْعَيْنُ: دَمَعَتْ، لَا يَبْكِي إِلَّا عَلَيْهَا. وَعِنْدَ ذِكْرِهَا يَغْلِبُهُ الْبِكَاءُ.

(٨) تَخَلَّصَ الشَّاعِرُ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى ذِكْرِ آلِ الْبَيْتِ ﷺ.

(٩) الْأَحْنَاءُ جَمْعُ حَنُوٍ وَهُوَ مَا فِيهِ اعْوِجَاجٌ مِنَ الْجِسْمِ. الْجَبَلَةُ: الطَّبِيعَةُ وَالْخَلْقَةُ. يَرِيدُ: إِذَا ذَكَرَ آلَ الْبَيْتِ انْتَفَضَ مِنَ الْوَجْدِ وَالتَّلَقُّقِ بِهِمْ وَاعْتَدَلَتْ مَفَاصِلُهُ وَتَأَثَّرَ تَأَثَّرًا شَدِيدًا بِطَبِيعَةِ الْحَالِ.

(١٠) أَحْبَبَهُمْ مِنَ الصَّغْرِ فَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْحُبُّ اسْتِيلاءً شَدِيدًا.

فيا ذُرْوَةَ الْعَلْيَا وَيَا جَهَّةَ النَّدَى وَيَا خَيْرَ مَنْ ذَاتُ النُّجُومِ أَقَلَّتِ (١)
 وَيَا مَالِكِي الْجِوَاءِ الْعَرِيضِ وَمَنْ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ فِي الدَّارَيْنِ أَعْلَى مَحَلَّةٍ
 صَلُّوا نَجَلَكُمْ بَلْ قِنَّاكُمْ بِعَوَارِفِ تُخَلِّصُهُ مِنْ كُلِّ بُوسٍ وَخَلَّةٍ (٢)
 فَأَعْمَالُهُ سُودٌ وَأَيَّامُ دَهْرِهِ كَذَلِكَ قَدْ عَالَتْ مُنَاهُ وَعَلَّتِ (٣)
 وَحَلَّتْ عُرَى الْأَمَالِ فَاَنْقَبَضَ الرَّجَا عَنِ النَّفْسِ إِلَّا مَا يَشُدُّ بِقِلَّةِ
 وَطَاطَأْنَ مِنْ إِشْرَافِهَا غَيْرَ أَنَّهَا إِذَا زَارَهَا مِنْكُمْ خَيَالٌ تَسَلَّتِ (٤)
 فَلَا تَنْفُلُوا عَنِّي فَلَئِي ذِمَّةٌ بِكُمْ وَقُرْبَى إِلَى وَدِّ صَحِيحِ الْأَدَلَّةِ
 وَأَذْنَى التَّفَاتِ مِنْكُمْ يَكْشِفُ الْعَنَا وَيَجْعَلُنِي مِنْ أَهْلِ أَوَّلِ ثَلَاثَةٍ (٥)
 عَلَيْكُمْ صَلَاةُ اللَّهِ مَا سَارَ رَاكِبٌ يُرَاقِبُ فِي الظُّلْمَاءِ نُورَ الْأَهْلَةِ (٦)

= أقوى. قال ذلك بعد أن فاضل بين قول المجنون:

فلو تلتقي في الموت روجي وروحها ومن بين رمسينا من الأرض منكب
 لظلّ صدى رمسي وإن كنت رمة لصوت صدى ليلي يهش ويغرب
 وبين قول توبة:

ولو أن ليلى الأخيلى سلمت عليّ ودوني جنادل وصفائح
 لسلمت تسليم البشاشة أو رنا إليها صدى من جانب القبر صائح
 وقال: بتفضيل الأول؛ لأن تلاقي روحين ميّتين أعظم في جانب المبالغة من تلاقي حيّ وميت. أقول: وهذه زلة ظاهرة من الشيخ؛ لأنّ تلاقي الأرواح مع اختلاف العوالم أعظم وأخطر؛ بخلافه مع الاتفاق؛ ولهذا يشتد الوحي عليه ﷺ إذا جاءه جبريل بهيئته الملكية. ثم إن في قول توبة؛ التصريح باسم ليلي ونسبتها؛ مع حُسْنِ السبك وجودة اللفظ. فهو أفصح وأوضح وأبلغ من قول المجنون. انتهى قول المؤلف.

- (١) ذروة كل شيء أعلاه. أقلت: حملت. ذات النجوم كناية عن السماء.
- (٢) النجل: الولد أو النسل. القن: العبد الذي أبوه مملوك لمواليه فهو خالص العبودية. العوارف جمع عارفة: المعروف والعطية. الخلة: الفقر.
- (٣) غالى المنى: أضاعه وأهلكه. غلّ الرجل غلولاً: خان أو هو خاص بالمغتم.
- (٤) الإشراف: العلو.
- (٥) العنا: التعب والمشقة. الثلة: الجماعة من الناس إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾.
- (٦) يريد الصلاة دائمة عليهم لربطها بشيء طبيعي دائم من المخلوقات الحسية.

مَضَوْا كُلُّهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّ بِحَسْرَةٍ
فَأَوْلَهُمْ خَيْرُ النَّسَاءِ تَجَرَّعَتْ
مَنْيَّتُهَا صَارَتْ مُنَاهَا لِأَجْلِهَا
وَمِنْ بَعْدِهَا جَرَّ الْبَلَاءُ ذُبُولَهُ
بِهِمْ غَرَسُ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ اسْتَوَى فَلَمْ
لَهُمْ دَخَرَ اللَّهُ الْجِهَادَ وَزَادَهُمْ
وَلَا عَابَ فِيمَا نَالَهُمْ بَلْ لَهُمْ بِهِ
فَدَوْلَتْهُمْ مِنْ حِينِ طَارَتْ نَفْسُهُمْ

وَلَا قَوَامِنَ الدَّهْرِ اللَّتِيَا مَعَ اللَّتِي (١)
أَفَاوِيقُ مِنْ صَابِ الْأَذَى وَتَقَلَّتْ (٢)
تَعُدُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ (٣)
عَلَى إِلَيْهَا الصَّيْدِ الْكِرَامِ الْأَجَلِيَّةِ (٤)
يَذُوقُوهُ لِكِنَّ العُدَاةَ اسْتَعَلَّتْ (٥)
بِمَا ارْتَكَبَتْ أَعْدَاؤُهُمْ وَاسْتَحَلَّتْ (٦)
مَرَاتِبَ عَنْ مَرَقَاتِهَا العُصْمِ ذَلَّتْ (٧)
إِلَى الْمَلَا الْأَعْلَى وَبَاتَتْ وَظَلَّتْ (٨)

(١) وقع فلان في اللتيا والتي أي في الداهية.

(٢) خير النساء: يقصد السيدة فاطمة الزهراء. الفيقة: بكسر الفاء اللين يجتمع في الضرع بين الحلبتين؛ وجمعه أفواق وجمع الجمع أفاويق. تجريع الماء: شربه شيئاً فشيئاً. الصاب: شجر مُرّ، تقلت: تعذبت.

(٣) صارت تمنى الموت وتتعجله.

(٤) الصيد: السادة الكبار.

(٥) العداة جنوا ثمار ما غرسه الرسول الكريم.

(٦) الجهاد لهم وأبهة الحياة لخصومهم ولا عيب في ذلك بل لهم عند الله والناس مراتب أعلى لا يرقى إليها غيرهم. والعصم من ذوات الظلف جمع أعصم تسكن أعلى الجبل. ذلت: لم تستطع الوصول إلى مثل ما وصلوا إليه.

(٧) الجهاد لهم وأبهة الحياة لخصومهم ولا عيب في ذلك بل لهم عند الله والناس مراتب أعلى لا يرقى إليها غيرهم. والعصم من ذوات الظلف جمع أعصم تسكن أعلى الجبل. ذلت: لم تستطع الوصول إلى مثل ما وصلوا إليه.

(٨) كتب مؤلف الديوان على الهامش بعد هذا البيت: كان إنشاء هذه القصيدة حوالي سنة ١٣٤٢هـ؛ وكون قوة الروح بعد مفارقتها للجسد تزداد أيداً وشدة؛ هي نظرية فلسفية صحيحة لم أقلها في هذا البيت إلا عن تشبع بالبراهين الناصعة، ولكنني لا أذكر شيئاً مع الأسف من مصادرها أبداً حالة الإنشاء، وأحمد الله إذ رأيت اليوم وهو السادس عشر من ربيع الأول سنة ١٣٧٣ قول (المقري) في صفحة ٦٦ من نفع الطيب: فقد أجمعت الحكماء بل وأصحاب الشرع؛ بأن لاستلذاذ الأرواح وإدراكها بعد مفارقة الهياكل الجسمية شأناً =

وعليك الصلاة ما ألقح المز نُ بريحٍ من الجنوب رُخاء^(١)
 أَوْ سَرَتْ نَسَمَةٌ فَأَمَدَتْ لِرُوحِي مِنْ رِيَا حِينَكُمْ أَرِيحُ الْكِبَاءَ^(٢)
 أَوْ بَكَى شَيْقٌ وَكَسَّرَ صَبُّ فِي مَرَا قِي عُلاكَ أَيَّ الشَّنَاءِ^(٣)
 أَوْ شَكَ نَاهِلٌ إِلَيْكَ ظَمَأُ لَيْسَ يُرَوَى إِلَّا مِنْ الزَّرْقَاءِ
 أَوْ تَلَا الذِّكْرَ حَوْلَ قَبْرِكَ بَاكِ وَرَدَّ الْحَزْنَ خُدَّهُ بِالذَّمَاءِ^(٤)
 أَوْ أَجَابَ الْحَمَامُ نَوْحَ مُصَلِّ بِغِنَاءِ فِي الرُّوضَةِ الْقَنَاءِ^(٥)



(١) المزن: السحاب ذو المطر. ربح رخاء: لينة: الصلاة على النبيّ دائمة ما دامت هذه الأحوال الطبيعية التي خلقها الله وهي باقية أبداً فالريح تسوق البخار فيتكون المزن اللاقح أي المشبع بالماء وكذلك في بقية الأبيات من هذه القصيدة يريد الصلاة على النبيّ مستمرة دائماً.

(٢) الكباء: عود البخور. تتقل الرياح الطيبة إلى الشاعر من مقرّ الرسول الكريم.

(٣) شيق: مشتاق. أي حنّ المشتاق وبكى وكرر مدح صفات النبيّ العالية.

(٤) ورد: الخد جعله أحمر كالورد.

(٥) غنا: أصله غناء بكسر الغين. القنّاء من الرياض بفتح الغين الكثيرة الشجر.

القصيدة السادسة

لِمَنْ غَيْرِكُمْ

لِمَنْ غَيْرِكُمْ يَا سَادَتِي نَشْتَكِي الْبَثَّ
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّاكُمْ وَأَمَّا حُمَاتُنَا
 غَزَرْنَا اللَّيَالِي بِالْخَطُوبِ وَكَلِمًا
 فَهَلْ مِنْ خَلَاصٍ أَوْ مَنَاصٍ فَإِنَّا
 وَأَكْبَادُنَا حَرًّا وَقَدْ كَادَتِ الْعِدَا
 وَإِنَّا وَإِنْ كَانَ التَّجَلُّدُ شَأْنَنَا
 لَدَى غَيْرِكُمْ حُشْنٌ وَأَمَّا لَدَيْكُمْ
 صَلُونَا فَإِنَّا قَدْ بَعَلْنَا بِدَائِنَا
 هَلْمُوا فَإِنَّ السَّيْلَ قَدْ جَاوَزَ الرُّبَى
 وَمَنْ ذَا سِوَاكُمْ يَفْتَلُ الْخَبْلَ إِنْ رَثْنَا؟^(١)
 فَإِنَّ الثَّرَى مِنْ فَوْقِهِمْ دَائِمًا يُحْتَى^(٢)
 هَزَمْنَا لَهَا بَعْمًا أَجَدَّتْ لَنَا بَعْمًا
 حَيَازِيمُنَا مَلَأَى وَأَخْشَاؤُنَا لَهْيَ^(٣)
 لِمَا مَسَّنَا مِنْ حَرْبٍ أَيَامِنَا تُرْتَى^(٤)
 فَلَا بُدَّ مِنْ نَثِّ الْحَدِيثِ لَكُمْ نَثًّا^(٥)
 فَلَا وَضْفَ إِلَّا الذَّلَّ وَالْخُلُقَ الدَّمْنَا^(٦)
 وَلَا سِيَّمَا لَمَّا أَطَالَ بِنَا اللَّبْنَا^(٧)
 وَقَدْ عَاكَ فَاسْتَشْرَى الْفَسَادُ وَقَدْ أَغْنَى^(٨)

(١) البث: الغم الشديد. رث الثوب: بلي.

(٢) الثري: التراب. حتى التراب: قبضه ورماه به.

(٣) ناص الرجل مناصاً: تحرك أو فرّ. الحيازيم جمع حيزوم وهو الصدر. لهي: عطشى متعبة.

(٤) أكبادنا حرّاً: عطاش كناية عن المشقة. رثي لفلان: رحمه ورق له. بلغت بنا المشقة درجة

عنيفة حتى إن أعداءنا رقوا لحالنا كأنهم المصابون يستحقون الرثاء لألمهم وشفقتهم علينا.

(٥) شأننا: عادتنا. نث الحديث: أفشاه.

(٦) رجل أخشن الجانب: صعب لا يطاق وجمعه خشن. الدمث: السهل.

(٧) بعل: دهن ومخير. اللبث: الإقامة والمكث.

(٨) الزبية وجمعها زبي الرابية لا يعلوها الماء. وفي الأمثال: بلغ السيل الزبي: اشتد الأمر =

أَتْرَضُونَ أَنْ تَرْعَى اللَّيَالِي مُرُوجَنَا
 وَمِنْكُمْ لَنَا عَهْدٌ وَثِيقٌ نَحْكَمْتُمْ
 وَشَائِجٌ مِنْ قُرْبٍ وَحُبٌّ وَخِدْمَةٌ
 إِلَيْكُمْ بِهَا نُذَلِّي فَمُنُّوا بِلَخِظَةٍ
 ذَكَرْنَا لَكُمْ بَعْضَ الْقَضَايَا وَعِلْمُكُمْ
 عَجَزْنَا فَلَا الْأَوْلَى رَتَقْنَا فُتُوقَهَا
 تَقَطَّعَتِ الْأَسْبَابُ إِلَّا رَجَاؤُكُمْ
 وَعَادَتْ لَنَا الْأَمَالُ إِلَّا الَّذِي بِكُمْ
 فَمُدُّوا إِلَى اللَّهِ الْأَكْفَفَ ضَرَاعَةً
 فَجَاهُكُمْ الْجَاهُ الْعَرِيضُ وَكَيْفَ لَا
 كَمَا تَرْتَعِي حَوْلَ الْحَمَى الْإِبِلُ الرَّمَثَا^(١)
 مَرَائِرُهُ لَيْسَ السَّحِيلَ وَلَا الْوَلثَا^(٢)
 وَعَقْدِ ذِمَامٍ قَدْ أَمِنَّا لَهُ النَّكثَا^(٣)
 يُمْتُ بِهَا الْكَرْبُ الَّذِي عِنْدَنَا مَثَا^(٤)
 بِتَفْصِيلِهَا يُغْنِي فَلَا نُسْهَبُ الْبَحْثَا^(٥)
 وَلَا لِلَّتِي مِنْ بَعْدِهَا نُضْلِحُ الْحَرْثَا^(٦)
 وَكُلُّ سَمِينٍ مِنْ أَمَانِينَا غَثَا^(٧)
 تَعَلَّقَ مِنْهَا يَا بَنِي الْمُصْطَفَى غَرْثَا^(٨)
 لِيَكْشِفَ عَنَا النَّائِبَاتِ وَيَجْتَفَا^(٩)
 وَمِنْ سَيِّدِ الْكُونَيْنِ قَدْ حُرِّمَ الْإِزْنَا^(١٠)

- = وتفاقم لأن السيل لا يبلغ الزبي إلا إذا كان جارفاً شديداً جداً. عاث: أفسد. استشرى: زاد. أغشى السيل: اشتد وخلط الأشياء بعضها ببعض.
- (١) المرج أرض واسعة ذات كلاً: الحمى: ما يحمي ويدافع عنه. الرمث: مرعى من مراعي الإبل ينبت في السهل.
- (٢) المريرة: الحبل الشديد الفتل جمعها مرائر. السحيل: الحبل غير المبرم. الولث: العهد غير الأكيد.
- (٣) وشائج جمع وشيجة وهي عرق الشجرة. النكث: الانتقاض.
- (٤) مث اليد: مسحها. (٥) الإسهاب: الإطالة.
- (٦) رتق الفتق: أصلحه. حرث الأرض شقها وأثارها للزراعة. يشير إلى قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ يريد بالأولى: الدنيا. والتي من بعدها: الآخرة.
- (٧) السمين من اللحم: ضد الغث. غث الشاة هزلت فيصير لحمها رديئاً.
- (٨) الغرثى: الجائعة. وترتيب الكلام: عادت لنا الآمال غرثى إلا الذي تعلق منها بكم يا بني المصطفى.
- (٩) يجتث: يقطع ويزيل. الضراعة: التذلل.
- (١٠) الجاه العريض: العظيم.

عليكم لواء الحمد يخفق عندما
ويومئذ يشتد بالأمم الصدى
لكم حوض أزي كالحليب إساعة
لأئسنت جهدي أنكم أشرف الورى
ويئني لكم وذا إذا مر ذكركم
ومنكم لي الفخر الذي من جرائه
وقد حصلت لي في المنام بشارة
سقاني بكفيه الشريفيين شربة
لإلي ولي منها جميل عناية
عليكم صلاة الله ما لاح بارق
يصير ثبير كالهباء إذا انبتا^(١)
فتسقون من لم يعرف النصب والخبثا^(٢)
وأن لم يجاوز لا إماء ولا قرنا^(٣)
وأغلام قدرأ وجاهأ ولا جنثا^(٤)
ولو بين أولادي اجتويت به المكثا^(٥)
أقول ولم أكذب بفي الحاسد الأخثا^(٦)
برؤيا رسول الله في الروضة الوغثا^(٧)
حقيقتة ليست محالاً ولا ضغثا^(٨)
يشارك في خيراتها الذكر الأنثى
وما العيس سارت في الفلا تحمل الشعثا^(٩)



- (١) لواء الحميد: عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وييدي لواء الحمد ولا فخر. ثبير: جبل بمكة. انبت: تفرق.
- (٢) أهل النصب: الذين عادوا سيدنا علياً كرم الله وجهه ووقعوا في آل البيت.
- (٣) الأري: العسل. القرث: ما في الكرش. للنبي ﷺ حوض يوم القيامة يشرب منه طائفة من المؤمنين.
- (٤) حنث في يمينه: لم يبر بها. وحلف باطلاً.
- (٥) اجتوى: كره يقصد إذا كان في حال سرور مع أولاده ثم مر بخاطره ذكر آل البيت كره الإقامة بين أولاده ليرحل حيث آل البيت النبي ﷺ.
- (٦) من جرائه: من أجله. الأخشاء مفردة خشي بكسر الخاء وهو ما يخرج البقر أو نحوه من بطنه (بفي الحاسد الأخثا) أي بغمه. دعاء عليه.
- (٧) الروضة الوغثاء: التي يصعب السير فيها.
- (٨) المحال: المستحيل. الضغث: قبضة حشيش مختلط الرطب باليابس وأضغاث أحلام: الرؤيا التي لا يصح تأويلها لاختلاطها.
- (٩) لاح: أضاء. بارق: سحاب ذو برق. العيس: كرائم الإبل. الأشعث: المغبر جمعه شعث.

القصيدة السابعة

بِقَلْبِي جَوَى

بِقَلْبِي جَوَى مِنْ حَرِّهِ بَتُّ أَلْهَتْ أَصَابِرُ لَمْ أَنْفُتْ وَدَوُ الصَّدْرِ يَنْفُتُ^(١)
 وَلَوْ قُلْتُ شَيْئاً فِي النَّسِيبِ لَحَقَّ مَا أَكَابِدُهُ لَكُنْني خِفْتُ أَحْنْتُ^(٢)
 عَلَيَّ لِأَضْحَابِ الْكِسَاءِ أَلْبِيَّةٌ وَلَسْتُ وَنُمُ اللّهِ لِلْعَهْدِ أَنْكُتُ^(٣)
 حَلَفْتُ بِأَنْ لَا أَمْدَحَ الدَّهْرَ غَيْرَهُمْ أَمُوتُ عَلَيْهَا ثُمَّ أَحْيَا وَأَبْعُتُ^(٤)
 لَهُمْ بَيْنَ أَخْنَائِي هَوَى كُلُّ لَاعِجٍ يَزُولُ وَهَذَا يَسْتَمِيرُ وَيَنْكُتُ^(٥)
 وَمِنْهُمْ لَنَا عِرٌّ وَجَاهٌ وَحُرْمَةٌ وَهُمْ ذُخْرُنَا يَوْمَ الْعَظَائِمِ تَخْدُتُ^(٦)
 نَطِيبُ بِحُبِّ الطَّيِّبِينَ وَحَسْبُنَا بِذِمَّتِهِمْ طَيْباً فَمَنْ شَاءَ يَخْبُتُ^(٧)

(١) الجوى: الحرقه وشدة الوجد من عشق أو حزن. لهت الرجل: ارتفع نفسه وتتابع من الإعياء. نفث المصدر: رمى بالنفاثة من فيه.

(٢) النسيب: الغزل. حُق له أن يفعل كذا أي كان فعله حقيقةً به. حنت في يمينه: لم يبر بها والغرض أنه لو تغزل بمن يهواه لكان عذابه حقاً. لكنه يخشى العواقب ولا يضمن أن ما يقوله يستطيع تحمله فعلاً لمشقة عليه.

(٣) الألية: اليمين والحلف. وايم الله. أقسم أنه على العهد دنيا وأخره ألا يمدح غير آل البيت.

(٤) الألية: اليمين والحلف. وايم الله. أقسم أنه على العهد دنيا وأخره ألا يمدح غير آل البيت.

(٥) الأحناء: الجوانب: هوى لاعج محرق.

(٦) الحرمة: الذمة، وما وجب القيام من حقوق الله وحرمة التفريط فيه أي نحن في حمايتهم.

(٧) خبت الشيء: ضد طاب. من كان مع آل البيت فهو طيب ومن جانبهم فهو خبيث.

بِهِمْ قَدَرْنَا يَغْلُو وَكُلُّ فَضِيلَةٍ لَهَا حَاسِدٌ يُؤْذِي ذَوِيهَا وَيَرْفُثُ^(١)
 وَكَمْ حَاسِدٍ يُؤَلِي جَمِيلًا لِأَنَّهُ يَبُثُّ وَعَنْ سِرِّ الْمُحَسَّدِ يَبْحَثُ^(٢)



(١) رفث: تكلم بالفحش. بث الحديث نشره تضمن البيت الأخير معنى قول أبي تمام:
 وإذا أراد الله نضر فضيلة طويت أتاح لسان حسود

(٢) رفث: تكلم بالفحش. بث الحديث: نشره؛ وتضمن البيت الأخير معنى قول أبي تمام:
 وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

القصيدة الثامنة

قِفِي وَتَلَطَّفِي

- قِفِي وَتَلَطَّفِي وَسَلِّي وَمُوجِي وَرِيثِي بِالسَّرَى إِنْ لَمْ تَعُوجِي ^(١)
 فِي الْمَغْنَى مُعْنَى دُو ضُلُوعٍ مِنْ الزُّفْرَاتِ عَادَتْ غَيْرَ عُوجٍ ^(٢)
 تُعَبِّرُ عَنْ نُؤَادٍ مُسْتَهَامٍ وَعَنْ كَبِيدٍ مُقَرَّحَةٍ هَدُوجٍ ^(٣)
 وَحَشَوُ حَشَائِهِ بِاللَّيْلِ وَجَدُّ وَكُلُّ زَمَانِهِ لَيْلٌ دَجُوجِي ^(٤)
 تَمَلَّكَهُ الْهُوَى بِشِرَاكِ لَفْظٍ وَمَنْ لَخِظَ بِمَا نُوجِي وَفُوجِي ^(٥)
 تَحَرَّشَ بِالْهُوَى وَالْحُبِّ يُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى الْوَعْرِ الزَّلُوجِ ^(٦)

(١) ماج الناس: تحركوا باضطراب كالأمواج؛ والغرض أنه يريد منها أن تلم به ولو سريعاً كالموج. ريثي: من راث الرجل: أبطأ أي إن لم تجودي بالزيادة وتعرجي علينا؛ فلا أقل من أن تتمهلي في السير حتى نراك. والسرى في الأصل: السير ليلاً ويراد به هنا مطلق السير.

(٢) المغنى: المنزل؛ أي من شدة أنفاسه الحارة التي تخرج من صدره؛ اتسعت ضلوعه حتى تخيل أنها تغيرت عن طبيعتها في العوج وتمددت أو صارت مستقيمة.

(٣) هُدُوج: من هُدج ويقال تهْدَج صوت فلان: تقطع في ارتعاش فأكباده مقرحة مريضة.

(٤) الحشا والأحشاء: الكرش والأمعاء. ليل دجوجي: شديد الظلمة.

(٥) الشراك: سير النعل والشرك آلة الصيد. فالهوى نصب شركة لا شراكه. هكذا تقول كتب اللغة التي بأيدينا عن الشراك والشرك. ناجي: صاحبه: تحدث معه في السر. فاجأ الأمر فلاناً: عاجله.

(٦) تحرش به: تعرض له. الوعر: الزلوج: السريع الانزلاق من السهام.

- جَرَى زَمَنَ الشَّبِيبَةِ فِيهِ شَأَوٌ وَحَثَّ جَوَادَةَ مِلءِ الْفُرُوجِ^(١)
 وَذَلَّ لَهُ عَلَى شَرَفٍ وَالْأَ فَمَنْزِلُهُ بِمَنْطِقَةِ الْبُرُوجِ^(٢)
 وَهَمَّتْهُ تَذُوبٌ لَهَا الرِّوَاسِي فَكَيْفَ تَمُوقُّهَا كُرَّةُ الثَّلُوجِ^(٣)
 عِصَامِي تَفَرَّدَ بِالْمَعَالِي وَشَفَّ عَلَى الْأَعَادِي بِالْفُلُوجِ^(٤)
 فَمَا فِي غَيْرِهِ فَكُرِّ لِعَيِّ جَفَاهُ النُّومُ فِي لَيْلِ شَجُوجِي^(٥)
 وَمَا لِلْمَشْكَلاتِ سِوَاهُ يَهْوِي إِلَيْهِ الْحَائِرُونَ عَلَى الْوَسُوجِ^(٦)
 نَمَّتْهُ حَرَائِرٌ وَرِجَالٌ صِدْقِي إِلَى غَيْظِ الْخَوَارِجِ وَالْعُلُوجِ^(٧)

(١) الشأو: الغاية والأمد. وعدا الفرس شأوا: أي طلقا. الفروج هنا جمع فرج؛ وهو سعة ما بين أرجل الفرس؛ كناية عن سرعة السير. يريد أنه أطاق الهوى في زمن الشاب بقدر استطاعته.

(٢) أصل معنى المنطقة ما يشده الإنسان على وسطه؛ واستعيرت لغير ذلك مما يقارب المعنى؛ والمراد: مدار البروج وهي صور نجوم فيها مدار السيارات. لقد ذلَّ الشاعر لمحجوبه واحترس لنفسه فقال: على شرف يعني ذلَّ مع عزة نفسه وعلو أصله. لا جرم قد ذلَّ لمحجوبٍ منزلهُ منطقة البروج؛ هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كما تدل عليه الآيات الآتية.

(٣) الرواسي: الجبال الثوابت مثل خصوم الإمام كمثل كرة الثلج ما أسرع ما تذوب.

(٤) العصامي: من كان الفضل في ظهوره لنبوغته وعمله؛ فذلك في ميزان الحياة أفضل من أن يفتخر بالعظم الرميم وحده؛ ولا يمنع أن يكون شريف الآباء والأمهات؛ واستعملت هذه اللفظة في هذا المعنى بعد أن مدح النابغة الذبياني عصام بن شهيرة؛ حاجب النعمان بن المنذر بقوله:

نفس عصام سودت عصاماً وعلمته الكر والإقداما

شف الشيء هنا بمعنى زاد. الفلوج: جمع فلج وهو الغلبة

(٥) العي هنا: الذي عجز عن الأمر. شجوجي: الرجل المفرط الطول.

(٦) الوسوج. البعير المسرع في سيره.

(٧) نما فلاناً إلى أهله: نسبه إليهم. الحرّة: ضد الأمة والكريمة من النساء. الخوارج: يريد بهم

الذين خرجوا على سيدنا عليّ كرم الله وجهه وأرضاه. العلوج: جمع علج: الرجل الضخم من كفار العجم وبعض العرب يطلق العلج على الكافر مطلقاً.

مُرْدِي سَيْفِهِ مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَمُرْدِي الْكَافِرِينَ عَنِ السُّرُوجِ ^(١)
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو تُرَابٍ قَرِيحُ الرَّبِّ صَدَّامُ الثُّبُوجِ ^(٢)
 نُكَاثِرُ بِالْوَصِيِّ وَإِنْ فَخَرْنَا أَتَيْنَا بِالنُّبُوءَةِ وَالْمُرُوجِ ^(٣)
 وَبِالْكُبْرَى وَبِالْحُسَيْنِ أَيْضاً وَبِالزَّهْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ النَّشُوجِ ^(٤)
 بِهِمْ نَأْوِي إِلَى كَهْفِ حَرِيرِزٍ عَلَى رَعْمِ الْمُكَابِرِ وَاللُّجُوجِ ^(٥)
 بِهِمْ وَشَجَّتْ عَلَانُونا وَأَمَّا مَرَاتِبُنَا فَنَاصِعَةُ النَّفُوجِ ^(٦)
 هُنَا بِالْخَمْسَةِ الْأَرْوَاحِ تَعْلُو مَرَاتِبُنَا وَفِي يَوْمِ الْخُرُوجِ ^(٧)
 وَتَنْدَفِعُ الْأَذْيَابُ وَالْبَلَايَا وَيُكْفِي كُلُّ مَكْرُوهِ وَحُوجِ ^(٨)
 عَلَيْهِمْ مَا أَنْبَرَى بَرَقَ صَلَاةٍ وَمَا رَعَتِ الْبِهَائِمُ فِي الْمُرُوجِ ^(٩)
 وَمَا عَنَّتْ عَلَى الْبَانَاتِ وَزُقُ وَمَا هَبَّتْ رِيَاحُ غَيْرِ هُوجِ ^(٩)



- (١) مردی: مهلك. يريد بالسروج سروج الخيل في الحرب فهو شجاع يقتل الظالمين والكافرين.
 (٢) القرية الغالب والقرية المقارع وهو المضارب لقرنه. الشج: ما بين الكاهل إلى الظهر. وأتباع الأكام أعاليها؛ وركب ثبج البحر أي أمواجه العالية؛ وجمع الشج ثبوج؛ فمعنى صدام الثبوج: يصد الأعداء الأعداء فيقهرهم.
 (٣) كاتر الرجل غيره: غالبه في الكثرة. من مواضع فخرنا انتسابنا للإمام علي. وإذا أردنا المفاخرة فميدانها فسيح؛ فمننا محمد بن عبد الله الذي عرج به إلى السماء.
 (٤) التوج في اللغة التي استبان حملها.
 (٥) الكهف: الشق في الجبل وفلان كهف: ملجؤهم. ليج: عند في الخصومة فهو لجوج.
 (٦) وشجت: تماسكت وتمكنت. ناصعة: بيضاء واضحة. نفجت: ظهرت.
 (٧) يوم الخروج: البعث من القبور.
 (٨) الصلاة عليهم دائمة بدوام ظهور البرق ورعي البهائم في المروج.
 (٩) البانات جمع بان والبان جمع بانه: شجر معتدل القوام لين ورقه. الوراق: الحمامة التي لونها الرماد. الرياح الهوج: جمع أهوج الشديدة الهبوب.

القصيدة التاسعة

خَطَرَ الحَبِيبُ

خَطَرَ الحَبِيبُ بِسْرُو فَارْتَا حَا واستاف مِن ذُكْرَاهُ عِظْرًا فَا حَا (١)
 وَأَرَادَ إِخْفَاءَ الهَوَى فَوْشَى بِهِ دَمَعٌ جَرَى بِخُدُودِهِ سَفَا حَا (٢)
 وَعَزَا مَدَامِعَهُ لِعِلَّةِ عَيْنِهِ ولأجلِ إِيهَامِ الوُشَاةِ تَصَا حَى (٣)
 وَالْحَبُّ لَا تَخْفَى سَرَائِرَ أَهْلِهِ إِلَّا إِذَا سَتَرَ الدُّجَى الإِضْبَا حَا (٤)
 رَقَّ الحِجَابُ فَلَوْ أَلَمَّ بِعَاشِقِي طَيْفٌ لَتَمَّ بِهِ الصَّفَاءُ فَبَا حَا (٥)
 شَأْنُ الهَوَى تَعَبٌ وَمَنْ يَغْلَقُ بِهِ يَغْدَمُ مِنَ الأَسْرِ المُهِينِ سَرَا حَا (٦)
 فإِذَا وَرَى فِي النَفْسِ صَارَ كَأَنَّهُ مَاءٌ يَخَالِطُ فِي الزَّجَاجَةِ رَا حَا (٧)

(١) السر: موضع السر وهو القلب. استاف: شم.

(٢) وشى به: نتم عليه ودل. سفح الدمع: أرسله.

(٣) عزا: نسب. تصاحى: تظاهر بالصباح من وجع عينيه.

(٤) الدجى: الظلمة. السرائر جمع سريرة وهي السر. الحب لا يخفى كما لا يستر الظلام نور الصباح.

(٥) لفرط الصفاء بين العاشقين لا يكاد أن يكون لهما حجاب ساتر والصفاء مظهر من مظاهر النور والإخلاص حتى لو أن طيف المحبوبة زاره في المنام لدل الصفاء عليه فباح بسرّه. وطالما ألم الصوفية بهذه الدقائق من معاني الحب الإلهي.

(٦) من شأن الحب التعب فإن المحب أسير مثقل لا يرجى انطلاقه من الأسر.

(٧) ورت النار اتقدت. وهذا معنى دقيق أيضاً؛ فإن الهوى إذا اشتد تفاعل في النفس كتفاعل الماء والخمر وفيه إشارة إلى أن لون الماء والخمر قريب من لون النار المشتعلة. أشعل النار فانقدحت. أي اشتد الهوى.

بفؤاده أنقَدَحَ الهَوَى مِنْ نَظْرَةٍ عَرَضْتُ فَكَانَتْ لِلْبَلَى مُفْتَا حَا^(١)
 مَنَعَتْ مَحَاجِرَهُ الْكِرَى فَإِذَا شَدَّتْ وَزُقُّ الْحَمَامِ عَلَى الْخُمَائِلِ نَا حَا^(٢)
 وَإِذَا بَدَا بَرَقُ نَوَاهِمٍ أَنَّهُ بِنْتِهَامَةٍ لِلْعَاشِقِينَ أَلَا حَا^(٣)
 فَيَبِيْتُ مِنْ كَلْفِ الْغَرَامِ مُسَهِّدًا مُضْنِي كَثِيرَ وَسَاوِسٍ مُلْتَا حَا^(٤)
 وَيَظَلُّ خَفَّاقَ الْفُؤَادِ إِذَا غَدَا رَكْبُ الْحِجَازِ مَسَافِرًا أَوْزَا حَا^(٥)
 بَرَزُوا فَذَابَ مِنَ الْجَوَى لودَاعِهِ وَحَدَا بِهِمْ حَادِي الرَّحِيلِ فِصَا حَا^(٦)
 يَهْوِي مِنَ الْخُرْقِ الَّتِي فِي جَوْفِهِ أَنْ لَوْ أَعَارَتْهُ الْقَطَاةُ جَنَا حَا^(٧)
 ذَهَبَ الرَّفَاقُ وَخَلَّفُوهُ بِحَسْرَةٍ وَسَقَوْهُ مُرَّ الْفُرْقَةِ الذَّبَّاحَا^(٨)
 يَا لَيْتَنِي مَعَهُمْ لِأَنْشَقَ مِنْ شَذَا نَجِدُ نَسِيمًا يُنْعِشُ الْأَرْوَاحَا^(٩)
 وَأَشَمَّ رَائِحَةَ السَّعَادَةِ عِنْدَمَا نَرِدُ الْمَدِينَةَ بِالرَّكَابِ صَبَا حَا
 وَأَرَى دِيَارَ الْوَجِيِّ وَالْأَرْضَ الَّتِي فِيهَا الْمَلَانِكُ يَمْلُونُ السَّاحَا^(١٠)

(١) البلى: الفناء

(٢) طار النوم من عينيه؛ فإذا غنت الحمام لتذكر إلفها؛ حركت شجونه فراح وبكى.

(٣) ألح؛ كلاح؛ بدا وظهر. إذا برق البرق خيل إليه أنه آت من تهامة تذكرة للعاشقين.

(٤) الكلف: الحب المفرط. مسهداً: سهران. مضنى: مثقل من المرض. الوسواس هنا: أفكار

الشر التي تتردد في القلب. التاح: عطش والغرض الفناء. البلى: الفناء.

(٥) خفق الفؤاد: اضطرب. غدا في الصباح وراح في المساء أي أتى أو ذهب. إنه يحن ويشتاق

إلى أهل الحجاز إذا تذكرهم.

(٦) الجوى: شدة الحزن. فلما حدا الحادي للجمال بالرحيل لم يطق المحب الصبر فصاح.

(٧) الحرقه: الحرارة. القطاة طائر في حجم الحمام صوته (قطا قطا). يريد أن يطير فيلحق

بأحابه.

(٨) الذبّاح: وجمع في الحلق وصيغة المبالغة منه الذبّاح بتشديد الباء.

(٩) نشق: شم. الشذا: ذكاء الرائحة الطيبة. ينعش الأرواح: يريحها. وينشطها.

(١٠) يريد المدينة المنورة.

وَأَعْفُرَ الْخُدَّيْنِ حَوْلَ صَرِيحٍ مَنْ
 خَيْرِ النَّبِيِّنَ الَّذِي بَسَنَائِهِ
 بِالطَّبْعِ يُذْرِكُ صِدْقَهُ مَنْ جَاءَهُ
 وَجْهٌ عَلَيْهِ مِنَ الْمَهَابَةِ وَالْبَهَا
 جَمَعَ الْمَحَاسِنَ عِفَّةً وَنَزَاهَةً
 وَزَهَادَةً وَعِبَادَةً وَتَوَاضَعًا
 يَحْنُو وَيَدْعُو لِئَعْدَا مِنْ بَعْدِهِ
 وَأَتَتْ مَلَائِكَةُ الْجِبَالِ لِنَضْرِهِ
 لَوْلَاهُ مَا انْكَشَفَتِ الظُّلَامُ لَنَا وَلَا
 لَوْلَاهُ مَا فَاضَ العِطَاءُ وَلَا مَرَّتْ
 لَوْلَاهُ مَا جَرَّتِ الدِّمُوعُ وَلَا طَوَّتْ

بِوَجُودِهِ امْتَلَأَ الْوُجُودُ قَلَاحًا^(١)
 قَدْ فَسَّرُوا الْمَشْكَاءَ وَالْمِضْبَاحًا^(٢)
 يَوْمًا وَشَاهَدَ وَجْهَهُ الْوَضَّاحَا
 نُورٌ يَرُدُّ النَّاطِرَ الظَّمَّاحَا^(٣)
 وَشِجَاعَةً وَمَرَاجِمًا وَسَمَاحَا^(٤)
 ثَبِيمٌ بِهَا اندَحَرَ الصَّلَالُ وَطَاحَا^(٥)
 أَجْرُوا دِمَاءَهُ وَأَنْخَنُوهُ جِرَاحَا^(٦)
 فَعَفَا وَكَانَ إِذَا أُغِيظَ أَشَاحَا^(٧)
 عَرَفَ الْأَنَامُ الْوَاهِبَ الْفَتَّاحَا
 كَفَّ الْجُنُوبِ مِنَ السَّحَابِ لِقَاحَا^(٨)
 حُمُرُ الْمَطِيِّ مَهَامِهَا وَبِطَاحَا^(٩)

(١) يتبرك الشاعر بالأرض الطيبة حتى يعفر خديه بترابها.

(٢) السناء: الضوء. المشكاة: الكوة غير النافذة في الحائط يوضع فيها المصباح - يشير إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كِشَافُورٌ فِيهَا يَضِيحُ﴾ ونور النبي مستمد من نور الله.

(٣) المهابة: الجلال. البها: الحسن والظرف. طمح بصره إليه: امتد وارْتَفَعَ؛ لا يستطيع أحد أن يديم بصره إليه من شدة مهابته ونوره بل يرتد البصر ويكل.

(٤) السماع: الكرم والالطف.

(٥) دحره فاندحر: أقصاه وأبعده. طاح: هلك.

(٦) أنخنته الجراح: أضعفته. مراحم الرسول فاقت الحد فقد بالغت قريش في إيذائه وقابلهم بقوله: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

(٧) أشاح بوجهه عن الشيء: نحاه وأبعده.

(٨) مري الراعي الناقة: مسح ضرعها لتدر. لقمحت المرأة والنخلة لقاها: حملت. لولا محمد عليه الصلاة والسلام ما فاض عطاء ولا نزل مطر.

(٩) الجمال الحمر من أجودها. المهمة: المفازة البعيدة الأطراف. البطاح: الأرض الواسعة التي فيها دقاق الحصى ولا تخفاضها جرى فيها السيل.

- يا صاحب الآي التي قد أوضحت
خُلِقَ أَرَقُّ مِنَ النَّسِيمِ وَخِلْقَةُ
نَطَقَ الْجَمَادُ بِصِدْقِهِ وَالْجِدْعُ مِنْ
وَيَنْفُثُهُ عَذْبَ الْأَجَاجِ وَكَفُّهُ
وَكَلَامُهُ أَخْلَى مِنَ السَّلْوَى بِهِ
وَحَدِيثُهُ نِعْمَ الدَّوَاءُ بِرَاحِهِ
وَلَنَا الْأَسَانِيدُ الْعُلَى فِيمَا رَوَى الـ
وَمَدِيحُهُ قُوَّةُ الْقُلُوبِ وَرُوحُهُ
إِنْ غَابَ عَنِ عَيْنِي فَقَلْبِي شَاهِدُ
- طُرُقُ السَّعَادَةِ وَالهُدَى إِضَاحًا^(١)
بِجَمَالِهَا قَدْ أَعْيَتِ الْمُدَّاحَا^(٢)
أَلَمِ النَّوَى مَلَأَ الْبِقَاعَ نُوحَا^(٣)
تُجْدِي وَتَارَاتِ تَسِيلُ قَرَا حَا^(٤)
رَاضَ النَّفُوسَ النَّافِرَاتِ جِمَا حَا^(٥)
نَسَلُوا إِذَا عَزَّ اللَّقَاءُ كَفَا حَا^(٦)
سَرَاوُونَ عَنْهُ مَسَانِدًا وَصِحَا حَا^(٧)
بِمَجِيئِهَا ذَهَبَ الْعَنَا وَانزَا حَا^(٨)
بِحَضُورِهِ وَلِذَا غَدَا مُرْتَا حَا^(٩)

(١) الآي جمع آية: وهي جملة من القرآن.

(٢) أعيتهم: لم يستطيعوا أن يبلغوا بمدحهم ما تجمل به الرسول الكريم من محاسن.

(٣) نفت نفثاً: نفخ مع قليل من الريق. الأجاج: الماء الشديد الملوحة. تجدي: تعطي. القراح من الماء الخالص. من معجزات النبي الكريم شهادة الجماد بصدقه وحنين جذع النخلة له بالنواح؛ ولما نفت في الماء الملح صار عذباً. وكفه ﷺ سالت بالماء العذب الحلو.

(٤) نفت نفثاً: نفخ مع قليل من الريق. الأجاج: الماء الشديد الملوحة تجدي: تعطي. القراح من الماء الخالص. من معجزات النبي الكريم شهادة الجماد بصدقه وحنين جذع النخلة له بالنواح ولما نفت في الماء الملح صار عذباً. وكفه ﷺ سالت بالماء العذب الحلو.

(٥) السلوى: طائر أبيض كالسماني اشتهر لحمه بالحلاوة. فحديث الرسول يقرب الجامع من الناس خاضعاً مطيعاً.

(٦) كفاحاً: مواجهة. الراح: الخمر.

(٧) والأسانيد الصحيحة ناطقة بشمائل المصطفى ﷺ والأسانيد الصحيحة في الإسلام جعلته أصح الأديان إذ لا توجد هذه الأسانيد في غيره.

(٨) إن النفوس لترتاح بمدح النبي؛ فهو قوتها وعماد حياتها فإذا استحضر الإنسان شخص النبي أحس كان روحه حاضرة تجلب السعادة والطمأنينة وهدوء النفس.

(٩) إن النفوس لترتاح بمدح النبي فهو قوتها وعماد حياتها فإذا استحضر الإنسان شخص النبي أحس كان روحه حاضرة تجلب السعادة والطمأنينة وهدوء النفس.

- شَمَلَ الْوَقَارُ وَضَاءَتِ الْأَنْوَارُ وَالـ
 أَسْرَارُ قَدْ مَلَكَتْ لَنَا الْأَقْدَاحَا (١)
 كَأَنَّ تَرَشَّفَتِ النَّفُوسُ مُدَامَهَا
 فَسَرَتْ وَهَرَّتْ دَبِيبُهَا الْأَشْبَاحَا (٢)
 يَا أَشْرَفَ الثَّقَلَيْنِ يَا مَنْ ذَكَرُهُ
 قَدْ شَرَّفَ الْإِنْجِيلَ وَالْأَلْوَا حَا (٣)
 بِكَ يَا ابْنَ أَمْنَةٍ نَقُومُ بِذُلِّنَا
 نَرْجُو مِنَ اللَّهِ الْحَيَا السَّحَّاحَا (٤)
 فَأَسْأَلُ لِأَمْتِكَ الضَّعِيفَةَ رَحْمَةً
 تُحْيِي الْمَوَاتَ وَتَذْفَعُ الْأَتْرَاحَا (٥)
 إِنَّ الْعَزِيزَ الْقَدِيرَ هَانَ مَقَامُهُ
 وَأَلْحَّ بِالنَّاسِ الْغَلَا إِنْجَاحَا (٦)
 وَتَقَطَّعَتْ مِنَّا الْحَبَالُ وَمَالْنَا
 عَمَلٌ بِهِ نَرْجُو إِلَهَ نَجَاحَا (٧)
 كَسَدَتْ بِضَاعَتُنَا وَأَنْتَ عَزِيزُنَا
 وَقَرْنَا الْمَكِّيَالَ وَالْأَرِيَا حَا (٨)
 يَا كَعْبَةَ الْأَمَالِ يَا مَنْ جُودُهُ
 يَرْوِي الْعِطَاشَ وَيَغْمُرُ الْمُتَمَتَّاحَا (٩)
 أَنْتَ الْوَسِيلَةُ يَا أَبَانَا وَالَّتِي
 لَقِيتَ لِفُرْقَتِكَ الْجَمَامَ مُتَاحَا (١٠)

(١) شمل الوقار: عم. السرّ جمعه أسرار: لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن وهو محل المشاهدة.

(٢) المدام: من أسماء الخمر. دبّ ديبياً: سرى. الشبح. ما بدا لك شخصه.

(٣) الثقلان: الجن والإنس. لقد وصف النبي ومن تبعه في التوراة والإنجيل فكان تشريفاً لهما. والألواح: ألواح موسى.

(٤) الحيا السحاح: المطر الكثير. يستشفع بالنبي ﷺ أن يجيء الخير ويدفع الله الضيق.

(٥) الموات من الأرض: ما لا نفع فيه لجذبه. الأتراح: ضد الأفراح.

(٦) اشتداد الغلاء؛ أذل العزيز؛ وتقطعت الروابط؛ ولم نعمل من الطاعة ما يرضي الله حتى يخفف عنا البلاء.

(٧) اشتداد الغلاء أذل العزيز وتقطعت الروابط ولم نعمل من الطاعة ما يرضي الله حتى يخفف عنا البلاء.

(٨) كسدت البضاعة. بارت كناية عن إدبار الزمن. وأنت عزيزنا: إشارة إلى سيدنا يوسف في مصر.

(٩) غمر الماء الشيء: غطاه. امتاح فلان الماء: اغترفه.

(١٠) أراد الشاعر أن يقرب عطف النبي على أمته فخاطبه (يا أبانا) ومن أعطف من الآباء! =

خَيْرُ النِّسَاءِ الْحَرَّةُ الزَّهْرَاءُ الَّتِي قَلَّدَتْهَا دُرَّرَ الْفَخَّارِ وَشَاحَا^(١)
 وَالْقَانِتُ الْأَوَّابُ قُطِبُ الْحَرْبِ وَالـ مِخْرَابٌ أَغْنَى الْمُرْتَضَى الْجَحْجَاحَا^(٢)
 وَابْنَاكُمُ الْحَسَنَانِ أَنْتُمْ حُجَّةُ الـ رَحْمَنِ يَغْمُرُ فَضْلُكُمْ مِنْ لَاحَا^(٣)
 فَتَفَقَّدُونَا سَادَتِي وَسَلُّوا لَنَا مِنْ رَبَّنَا التَّوْفِيقَ وَالْإِصْلَاحَا^(٤)
 وَعَلَى ضَرَائِحِكُمْ سَلَامٌ فَضْلُهُ يَغْشَى الصَّحَابَةَ بُكْرَةً وَرَوَّاحَا^(٥)



- = ووسيلتنا أيضاً السيدة فاطمة عليها السلام التي حزنت حزناً عميقاً لوفاة أبيها حتى صار الموت مهياً لها قريباً؛ فلم يمض وقت طويل حتى لحقت بأبيها.
- (١) قلده الشيء جعله كالقلادة في العنق. الوشاح: شبه قلادة من جلد عريض يرصع بالجواهر. إنما هي مقلدة فخار الدين والنسبة الشريفة.
- (٢) القانت: المطيل الصلاة. الأواب. النائب. الجحجاح: السيد.
- (٣) لاح السفر فلاناً: غيره وأضمرة. إنهم ملجأ القاصدين. الحجة: البرهان. النبي وآله حجة الله لأنهم دعاة دينه وبرهان يقينه.
- (٤) فتفقدونا: اهتموا بأمرنا. يغشى الصحابة: يغمره.
- (٥) فتفقدونا: اهتموا بأمرنا. يغشى الصحابة: يغمره.

القصيدة العاشرة

فَدَيْتُكَ

فَدَيْتُكَ هَلْ عَلِمْتَ بِمَا جَرَى لِي عَدَاةَ الرُّكْبِ قَبْلَ لَنَا أَنَاخَا؟^(١)
 أَمَرٌ مَوْشِشْتِي وَأَطَارَ نومي أَسَى لَوْ كَانَ فِي طِفْلِ لَشَاخَا^(٢)
 وَأُقْسِمُ مَا النِّجَائِبُ يَوْمَ زَمْتُ لِعَقْلِ عَمِيدِكُمْ إِلَّا فِخَاخَا^(٣)
 تَرَادَفَتِ الْهُمُومُ عَلَيْهِ حَتَّى تَمَنَّى أَنَّهُ فِي الْأَرْضِ سَاخَا^(٤)
 يَخَافْتُ كَيْ يُكَاتِمَكُمُ نَشِيجَا يُذِيبُ الصَّخْرَ وَجَدَاً لَوْ أَصَاخَا^(٥)
 لِأَجْلِ قُلُوبِكُمْ أَخْفَى وَلَمَّا خَلَا بِالرُّكْبِ أَرْعَجَهُ صُرَاخَا^(٦)
 وَأَرْقَهُ الْعَشِيَّةَ سَاقٌ حُرٌّ بَكَى شَجْوَاً وَلَمْ يَفْقِدْ فِرَاخَا^(٧)
 عَلَى عَهْدِ الْوَفَا دُومُوا فَنَائِي عَلَيْهِ لَا أَطِيقُ لَهُ أَنْفَسَاخَا^(٨)

- (١) فديتك: دعاء للسامع. أناخ الركب: أبركوا الجمال استعداداً للرحيل، الأسى: الحزن.
- (٢) فديتك: دعاء للسامع. أناخ الركب: أبركوا الجمال استعداداً للرحيل، الأسى: الحزن.
- (٣) النجبية: الكريمة من الإبل. زَمَ البعير: خطمه وشد زمامه. العميد المعمود: من أضناه العشق. الفخ: آلة تطبق بغتة على ما يقع فيها؛ يصاد بها الطير والحيوان؛ جمعه فخاخ. لقد صار عقله أسيراً لترك الأحباب يوم الفراق.
- (٤) ساخ في الأرض: خسفت به.
- (٥) خفت بصوته: خفضه. نشج الباكي غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب. أصاخ الرجل لمن يكلمه: استمع وأصغى.
- (٦) لقد سافر مع الركب وترك الأحباب فلم يطق صبراً فأزعج الركب بصراخه.
- (٧) ساق حر: ذكر الحمام.
- (٨) انفسخ العقد انفساخاً: انتقض عليه؛ أي على العهد.

وَصَبْرًا فَالتَّلَاقِي عَن قَرِيبٍ بِحُرْمَةٍ مِّنْ بِهِ الطُّغْيَانُ بَاخَا^(١)
 بِهِ وَبِبِنْتِهِ وَأَبِي تُرَابٍ يُعَجِّلُ رَبُّنَا عَيْشًا رَخَاخَا^(٢)
 عَسَى بِذِمَامِهِمْ دُنْيَا وَدِينَا نَفُورٌ وَنَرْتَوِي عَذْبًا نُقَاخَا^(٣)
 عَلَى أُرُوجِهِمْ مِنَّا سَلَامٌ زَكِيٌّ مِّنْ شَذَاهُ الْعِطْرُ فَاخَا^(٤)



(١) الطغيان: الكفر والظلم. باخ: فتر وهمد.

(٢) الرخاخ: العيش الناعم الواسع.

(٣) النقاخ: الماء العذب البارد الصافي.

(٤) فاخ العطر: انتشر.

القصيدة الحادية عشرة

ذَكَرَ الْعَقِيقَ

ذَكَرَ الْعَقِيقَ فَجَاشَ مِرْجَلُ وَجْدِهِ وَتَسَاقَطَتْ قَطْرَاتُهُ فِي خَدِّهِ^(١)
 وَالْحُبُّ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَقَلَّمَا ذَكَرَ النَّوَى إِلَّا وَرَى مِنْ زُنْدِهِ^(٢)
 فَتَحَنُّ إِنْ ذُكِرَ الْفِرَاقُ لِفَقْدِهَا أَرَبًا وَإِنْ جَهِلْتَ حَقِيقَةَ فَقْدِهِ^(٣)
 بِالْبَيِّنِ تَشْعُرُ وَهِيَ لَا تَذْرِي بِمَنْ تُذْرِي الدَّمْعَ عَلَى الرَّبُوعِ لِبُعْدِهِ^(٤)
 وَإِذَا تُنَوِّشِدْتَ الْمَائِرُ هَرَّهَا طَرَبٌ يُذَكِّرُهَا بِسَابِقِ عَهْدِهِ^(٥)
 سِرٌّ يَحِلُّ عَنِ الْمَبَارَةِ وَضَفُّهُ فِي النَّفْسِ مُسْتَتَرٌ بِمَظْهَرِ ضِدِّهِ^(٦)

(١) العقيق: الوادي. جاش المرجل: تحرك وغلى.

(٢) النوى: الفراق. ورى الزند: خرجت ناره.

(٣) فتحن أي النفوس. الأرب: الحاجة.

(٤) أذرت العين الدمع: صبته.

(٥) المائرة: المكرمة. تناشد القوم الأشعار: أنشدها بعضهم بعضاً. تنوشدت المائر: تداول الناس الحديث في المدح.

(٦) جلّ وصفه: لم يمكن. الراقي: الصاعد في السلم؛ أي السلم المعنوي. الغفل: الذي لا فطنة له. القصد: طريق الرشد. المشرفي: السيف: الغمد: غلافه. كد الرجل في العمل: اشتد. المهدي: سرير الطفل. درج: مشي أي نشأ. الكّل: عدم تحقيق المنظور. الملاء الأعلى: الملائكة المقربون.

جعل الشاعر مكان الغزل في أوائل هذه القصيدة بحثاً في حقيقة النفس الإنسانية عند أعلى المعرفة وأنها جاءت إلى الأشباح من عالم الأرواح؛ فإذا مات الإنسان عادت من حيث بدأت. فظلام الجسد حاجب لنور الروح وقد يظهر ثم يختفي؛ والإنسان في ذلك لا يدري حقيقة نفسه؛ فهي سرّ من أسرار الله. وليس الروح الجسد في الحياة إنما هو سرّ الوجود.

يَخْفَى عَلَى الْفَطْنِ اللَّبِيبِ وَرَبِّمَا
فَأَلْمَرَّةُ مُخْتَجِبٌ بِهِ كِلِ جِسْمِهِ
وَالرُّوحُ فِي الْجَسَدِ الْكَثِيفِ عَنِ الْعُلَى
هُوَ قَيْدُهَا لَكِنَّهَا لِحَوَارِهِ
وَالْإِنْفُ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ لِأَجْلِهِ
وَخَنِيبُهَا أَبَدًا لِأَوَّلِ مَوْطِنِ
وَلَرُبَّمَا غَلِطَتْ فَظَنَّتْ غَيْرَهُ
فَصَلَّتْ عَنِ الْمَلَأِ الْعَلِيِّ لِحِكْمَةِ
فَنَوَى الْمُتَيِّمِ رَحْمَةً إِذْ وَضَلَهُ
يَتَذَوَّقُ الرَّاقِي حَلَاوَةَ شَهْدِهِ^(١)
عَنْ سِرِّهِ وَمُنْقَلٌ عَنْ قَضِيهِ^(٢)
مَخْبُوسَةٌ كَالْمَشْرِفِيِّ بِغَمْدِهِ^(٣)
أَلِفَتْ فَيُوجِشُهَا تَمَزُّقُ بُرْدِهِ^(٤)
رَضِيَتْ بِمَا تَشْقَى بِهِ مِنْ كَدِّهِ^(٥)
دَرَجَتْ هُنَاكَ عَلَى النَّعِيمِ بِمَهْدِهِ^(٦)
سَبَبَ الْحَزِينِ وَكَلَّمَهَا مِنْ بُعْدِهِ^(٧)
فِيهَا مِنَ الْمَلِكِ الْفَلَاحِ لِعَبْدِهِ^(٨)
يَخْلُو إِذَا سَبَقَتْ مَرَارَةٌ صَدُّهُ^(٩)

(١) النوى: الفراق. إذ إنما تكون حلاوة الوصل بعد الصد. وبضدها تتميز الأشياء.

(٢) جلّ وصفه: لم يمكن. الراقى: الصاعد في السلم أي السلم المعنوي. الغفل: الذي لا فطنة له. القصد: طريق الرشد. لمشرفي: السيف: الغمد: غلافه. كدّ الرجل في العمل: اشتد. المهدي: سرير الطفل. درج: مشى أي نشأ. الكلّ: عدم تحقيق المنظور. الملاء الأعلى: الملائكة المقربون.

جعل الشاعر مكان الغزل في أوائل هذه القصيدة بحثاً في حقيقة النفس الإنسانية عند أعلى المعرفة؛ وأنها جاءت إلى الأشباح من عالم الأرواح فإذا مات الإنسان عادت من حيث بدأت. فظلام الجسد حاجب لنور الروح وقد يظهر ثم يختفي والإنسان في ذلك لا يدري حقيقة نفسه فهي سرّ من أسرار الله. ولبس الروح الجسد في الحياة إنما هو سر الوجود.

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

(٧)

(٨)

(٩)

وعلى الحقيقة لا حبيب لمُهجة
 رَبُّ الوجودِ وواهبُ الجودِ الذي
 هُوَ مَضْرُ الأفضالِ ما مِنْ ذرَّةٍ
 بكماله شَهِدَتْ بوالغِ آيِهِ
 وَتَقاصَّرَتْ عن كُنْهِهِ فِكْرُ الورى
 سُبحانَ مَنْ رَفَعَ السَّماءَ وزانها
 حِكْمٌ يَزِيدُ بها اليقينُ أَلَّا تَرى
 والبحرُ فيه من العجائبِ جَمَّةٌ
 كَرَمٌ يَفِيضُ على الخلائقِ مالُهُ
 بِإِزَادَةِ حَصىِ ابنِ آدَمَ بِالنُّهى
 وَأَجَلٌ نِعْمَتُهُ لَنَا وَأَعزَّنَا
 لُطْفٌ مِنَ الرَّحْمَنِ بِغِثْتُهُ لَنَا
 إِلَّا الَّذي عَنَتِ الوُجُوهُ لِمُجْدِهِ^(١)
 عَمَّ الوَرى سُبْحانَهُ وَبِحَمْدِهِ
 إِلَّا وَقَدْ عُمِرَتْ بِسَابِغِ رِفْدِهِ^(٢)
 فِي الكونِ فَاعترفَ المَدِينُ بِجَحْدِهِ^(٣)
 وَالعقلُ بآءٍ بِعَجْزِهِ عَن حَدِّهِ^(٤)
 وَمَحَى الظلامَ مِنَ الصَّباحِ بِوَفْدِهِ^(٥)
 لِلنَّبِيِّ تَحْفِيزُهُ زَمَاجِرُ رَغْدِهِ^(٦)
 فَتَنفَكَّرُوا فِي جَزْرِهِ مِنْ مَدُّهِ
 حَضْرُ فَلَا تَفْنَى دَوَائِرُ عَدِّهِ^(٧)
 وَهداهِ بِالرُّسُلِ الكِرَامِ لِرُشْدِهِ^(٨)
 بِمُحَمَّدِ بَدْرِ الكِمالِ وَقَرْدِهِ
 بِإِجابَةِ سَبَقَتْ لِذَعْوَةِ جَدِّهِ^(٩)

(١) عنت: خضعت وذلت. خرجت قائل الشعر من الحديث عن أسرار النفس وهو من مطالب الصوفية إلى العشق الإلهي.

(٢) الذرة: جزء من أجزاء الهباء المنبث في الفضاء. الرغد: العطاء. الرغد السابغ: المتسع التام.

(٣) الآى جمع آية: عجائب صنع الله. الجحد: إنكار النعمة والجحد أيضاً إنكار الحق مع العلم.

(٤) كنه الأمر حقيقته. باء بعجزه: اعترف. حد الرجل الشيء حَدًّا: وصفه وصفاً يحيط بمعناه، ويميزه عن سواه.

(٥) الوفد: مجيء الصباح.

(٦) الحكمة: ما وافق الحق، وصواب الأمر وسداده. اليقين: الإيمان. حفزه: دفعه من خلفه. الزمجرة هنا: صوت الرعد.

(٧) دوائر الحساب: عملياته.

(٨) دعوة جده: يريد دعوة سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل كما جاء في سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا وَأَنْبَتْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

خَيْرُ النَّبِيِّينَ الَّذِي عَرَضَتْ لَهُ الدُّ نِيَا فِقَابِلَهَا بِآيَةِ زُهْدِهِ^(١)
 وَأَمَاطَهَا عَنْ نَفْسِهِ بُغْضاً لَهَا وَطَوَى الْحِجَارَةَ فَوْقَ مُتْرَفِ جِلْدِهِ^(٢)
 وَزَوَى زَخَارِفَ زَهْرِهَا عَنْ عَيْنِهِ ثِقَّةً مِنَ الْبَارِي بِصَادِقِ وَغْدِهِ^(٣)
 مَعَ آلِهِ اخْتَارَ الطَّوَى كَرَمًا وَلَمْ يَهْتَمَّ فِيهَا بِالْمَعِاشِ وَرَغْدِهِ^(٤)
 صَبْرًا يَقُولُ لِابْنَتِهِ خَيْرِ النَّسَا لَمَا اشْتَكَّتْ شُحَّ الزَّمَانِ بِرَفْدِهِ^(٥)
 وَنَدَاهُ فَوْقَ النَّاسِ يَهْمِي غَيْثُهُ فِي الْكَوْنِ عَمَّ بِغُورِهِ وَبِنَجْدِهِ^(٦)
 مَا حِيَ الظَّلَامَ وَمَوْضِحَ الْأَحْكَامِ بِالْبَيْضِ الرَّقَاقِ عَلَى سَوَابِقِ جُرْدِهِ^(٧)
 يَلْقَى الْعِدَا وَبَنْضِرِهِ رِيحُ الصَّبَا تَجْرِي وَجَبْرَائِيلُ قَائِدُ جُنْدِهِ^(٨)
 نَسُجُ الْحَدِيدِ لَبُوسُهُ وَأَسِنَّةُ الْخَطِي فِي الْهَيْجَا بَرَاثِنُ أُسْدِهِ^(٩)
 جَمُّ الْمَنَاقِبِ ذِكْرُهُ لِقُلُوبِنَا أَهْنَى مِنَ الْمَاءِ الزُّلَالِ وَبَرْدِهِ^(١٠)

(١) الآية هنا: البرهان والدليل.

(٢) أَمَاطَ الدُّنْيَا: أَبْعَدَهَا. مُتْرَفُ جِلْدِهِ: أَي الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ خَشُونَةَ الْحِجَارَةِ.

(٣) زَوَى: أَبْعَدَ. الزَّخَارِفُ جَمْعُ زَخْرَفٍ: الذَّهَبُ وَالزَّيْنَةُ. زَهْرَةُ الدُّنْيَا: بِهَجَّتِهَا وَحَسَنَهَا. وَرَدَّتْ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ تُشِيرُ إِلَى مَتَاعِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾. ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾... إلخ.

(٤) الطَّوَى: الْجُوعُ. الرِّغْدُ: طَيْبُ الْعَيْشِ وَاتِّسَاعُهُ.

(٥) الرِّقْدُ: الْعَطَاءُ.

(٦) هَمَى الْغَيْثُ: كَثُرَ. الْغُورُ: ضِدُّ النَّجْدِ. أَي عَمَّ كَرَمَ الرَّسُولِ كُلِّ مَكَانٍ؛ فَهُوَ يَحْرَمُ ابْنَتَهُ وَيُعْطِي النَّاسَ.

(٧) مَا حِيَ الظَّلَامَ: مَزِيلَ ظِلَامِ الْجَهْلِ. لِبَيْضِ الرَّقَاقِ: السَّيْفِ. الْأَجْرَدُ مِنَ الْخَيْلِ: الْقَصِيرُ الشَّعْرَ وَالَّذِي يَسْبِقُ غَيْرَهُ.

(٨) إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾.

(٩) اللَّبُوسُ: مَا يَلْبَسُ وَالِدْرَعُ. الْخَطِي: الرَّمْحُ. الْهَيْجَا: الْحَرْبُ. الْبَرِثِنُ: مِنَ السَّبَاعِ وَالطَّيْرِ بِمَنْزِلِ الْإِصْبَعِ مِنَ الْإِنْسَانِ جَمْعُهُ بَرَاثِنُ. يَرِيدُ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ كَانُوا شَجْعَانًا فِي الْحُرُوبِ.

(١٠) جَمُّ الْمَنَاقِبِ: الْكَثِيرُ الْمَفَاخِرِ وَالْأَعْمَالِ الْعَظِيمَةِ.

عالي المراتبِ صاحبُ الحوضِ الذي يُشقى غليلُ الظامئينَ بوزده^(١)
يَسْقِي الوُفُودَ المُرتَضَى ولَمَائِهِ لُونُ الحليبِ إلى لُبُونَةِ زُبْدِهِ^(٢)
طوبى لشاربهِ وَمَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ يَكُونُ هُنَاكَ عُرْضَةً طَرْدُوهُ^(٣)
صِيَتْ مِنْ الشرفِ المُصَفَّى ذَاتُهُ فَمَكَارُمُ الأَخْلَاقِ مَطْلَعُ سَعْدِهِ^(٤)
قَسَمًا بِهِ مَا مَرَّ بِرِيحِ الصَّبَا إِلَّا وَحَيَّانِي بِرِيَّا رَنْدِهِ^(٥)
وَخَيَالُهُ نُضْبُ العِيَانِ وَحُبُّهُ مِلءُ الصَّمِيرِ وَقَدْ عَلِقْتُ بِعَهْدِهِ^(٦)
أَذْلِي إِلَيْهِ بِنَسْبَةٍ وَبِخِدْمَةٍ أَصْبَحْتُ مُنْتَظِمًا بِهَا فِي عَقْدِهِ^(٧)
أَنَّى يَضْبِعُ مَنْ اسْتَجَارَ بِرُكْنِهِ وَيُضَامُ صَبٌّ مُخْلِصٌ فِي وُدِّهِ؟^(٨)
فِي ذِمَّةِ البَارِي وَحِرْزِ أَمَانِهِ مَنْ كَانَ خَيْرُ الخَلْقِ عَاضِدَ زَنْدِهِ^(٨)
فِيهِ تَوَسَّلْنَا لِكُلِّ مُهِمَّةٍ وَبِصَهْرِهِ وَبِإِنْتِهِ وَبِوُلْدِهِ

(١) الغليل: شدة العطش.

(٢) يريد بالمرتضى سيدنا علي بن أبي طالب.

(٣) الطوبى: مؤنث الأطيب وهي السعادة والخير. الذين في قلوبهم مرض: المنافقون المخادعون.

(٤) مطلع السعد: ما يتفاءل به من خير: مصداقاً لقول النبي ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

(٥) الرند: شجر طيب الرائحة. العهد: الذمة والميثاق. الشاعر مستغرق بمواطفه الكريمة في الذات المحمدية حتى إنه ليحس إذا مرت به ريح الصبا اللينة الآتية من الشرق وهي منعشة لطيفة أن راحة نفسه رَوْح من الرسول بل تحية منه. إذ خيال النبي مائل له وكلّ تفكيره فيه.

(٦) الرند: شجر طيب الرائحة. العهد: الذمة والميثاق. الشاعر مستغرق بمواطفه الكريمة في الذات المحمدية حتى إنه ليس إذا مرت به ريح الصبا اللينة الآتية من الشرق وهي منعشة لطيفة أن راحة نفسه رَوْح من الرسول بل تحية منه. إذ خيال النبي مائل له وكلّ تفكيره فيه.

(٧) أنى يضيغ؟ استفهام معناه النفي أي لا يضيغ. الركن: العز والمنعة.

(٨) الزند: العود الأعلى الذي تقدح به النار. وعاضد الزند: قطعة من الشجر الصالح لا يدخل النار. وذلك كناية عن رعاية الرسول الكريم وحياطته له.

فَاغْنُوا بِنَا يَا سَادَتِي فَالْدَهْرُ قَدْ أْبْدَى الَّذِي يُخْفِي لَنَا مِنْ حَقْدِهِ
 وَأَزَعُوا ذِمَامَ سَلِيلِكُمْ بِعِنَايَةِ تَحْمِيهِ مِنْ ضُرِّ الزَّمَانِ وَجَهْدِهِ^(١)
 وَأَضْمُوا لِقِصَّتِهِ وَلَبُّوا صَوْتَهُ فَضْلاً فَحَاشَا بِرُكُومِ عَن رَدِّهِ
 وَسَلُّوا لَهُ التَّوْفِيقَ طَوَلَ حَيَاتِهِ وَالْعَفْوَ عِنْدَ نَزْوِلِهِ فِي لَحْدِهِ
 وَتَقَبَّلُوا مِنْهُ التَّحِيَّةَ كَلِمَا ذَكَرَ الْعَقِيقَ فَجَاشَ مِرْجَلُ وَجْدِهِ^(٢)



(١) السليل: الولد والنسل.

(٢) المرجل: القدر من النحاس. جاش المرجل: غلى.

القصيد الثانية عشرة

لآلِ رَسُولِ اللَّهِ

لآلِ رَسُولِ اللَّهِ فِي خَاطِرِي وَدَّةٍ تَلِينُ الْعُرَى بَيْنَ الْوَرَى وَهُوَ يَشْتَدُّ
هَوَى لَمْ يَقِفْ بِي عِنْدَ حَدِّ وَلَمْ يَكُنْ كِمَثَلِ هَوَى الْمَخْدُودِ يَضْبُطُهُ الْحَدُّ^(١)
بِهِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِي تِمَارِجَتْ عِظَامِي وَلَا لَحْمٍ عَلَيْهَا وَلَا جِلْدُ
وَلَوْ لَا خِيَالٌ لَا يَنْبُ زِيَارَةٌ بِهِ يَنْظُوِي مَا بَيْنَ أَرْوَاجِنَا الْبُعْدُ^(٢)
لَأَخْرَقَ أَحْشَائِي بِزَيْرَانِهِ الْجَوَى وَقَطَعَ قَلْبِي مِنْ لَوَاعِجِهِ الْوَجْدُ^(٣)
وَإِنْ بَعُدَتْ دَارِي وَسَطَّ بِي النَّوَى فَرِيًّا تَمَنِّيهِمْ عَلَيَّ كَيْدِي بَرْدُ
كَأَنِّي لِذِكْرِ الْمَصْطَفَى وَوَصِيهِ وَسِبْطِيهِ وَالزَّهْرَا مِنْ الرِّقَةِ الزُّبْدُ^(٤)
لِذِكْرَاهُمْ تَهْتَزُّ رُوحِي وَيَنْتَشِي فُوَادِي وَيَنْدَى مِنْ مَدَامِعِهِ الْخُدُّ
أَحَادِيثُهُمْ لِلنَّفْسِ أَشْهَى مِنَ الْمُنَى وَأَخْبَارُهُمْ لِلذُّوقِ أَنَّى جَرَتْ شَهْدُ^(٥)
نُحْسٌ كَأَنَّا عِنْدَ ذِكْرِ الَّذِي جَرَى لَهُمْ وَضَعْنَا بَيْنَ أَنْبَابِهَا الْأَسَدُ

(١) المحدود: ما له حدود تعينه.

(٢) غب الرجل عن القوم: جاء زائراً يوماً بعد يوم. الجوى: شدة الوجد من عشق أو حزن. الهوى اللاعج: المحرق. الوجد: شدة الحب.

(٣) غب الرجل عن القوم: جاء زائراً يوماً بعد يوم. الجوى: شدة الوجد من عشق أو حزن. الهوى اللاعج: المحرق. الوجد: شدة الحب.

(٤) المعنى أنه يكاد يذوب لشدة تأثره من الذكرى.

(٥) الشهد: العسل. ما دام لم يعصر من شمعه.

وَعِنْدَيْهِ تَحْمَى الْمَعَاطِسُ غَيْرَةً
 وَهَيْهَاتَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ نَجْلُ حُرَّةٍ
 أَوْلَيْكَ رُوحَ الْكَوْنِ وَالْحُبَّةُ الَّتِي
 وَهُمْ عِلَّةُ الْإِبْجَادِ لِلْخَلْقِ ثَانِيًا
 مَحَى هَدْيُهُمْ لَيْلَ الضَّلَالِ فَأَبْصَرَتْ
 أَمْثَلُهُمْ فِي فِكْرَتِي وَشِعَارُهُمْ
 جَلَالَ إِلَهِي عَلَيْهِمْ وَهَيْبَةً
 وَمَا تَمَّ سُلْطَانٌ وَلَا تَمَّ دَوْلَةٌ
 أَمْتُ إِلَيْهِمْ بِالنَّجَارِ وَخِدْمَةٌ
 أَمِنْتُ بِهِ كَيْدَ الزَّمَانِ وَغَدْرَهُ
 وَجَلَّ الْعِدَا وَمَنْ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُمْ
 وَلَا فَاضِلٌ فِي الْعُرْبِ إِلَّا وَقَوْمُهُ
 وَلَا ذَنْبٌ إِلَّا الْحَقُّ لِي فَوْجُوهُمْهُمْ
 فَقُلْ لَهُمْ ارْزَعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ وَارْزِدُوا
 وَكُونُوا كَمَا شِئْتُمْ وَطَوَّلُوا أَوْ اقْصُرُوا
 وَسَيَانَ عِنْدِي سَخَطُهُمْ وَرِضَاهُمْ

تَكَادُ بِهَا مِنَّا الْجَوَانِحُ تَنْقَدُ^(١)
 يُوَالِي الْأَلَى عَادُوهُمْ قَبْلُ أَوْ بَعْدُ
 بِهَا افْتَضَحَ الطُّغْيَانُ وَاتَّضَحَ الرُّشْدُ
 وَهُمْ نُقْطَةُ الْبَيْكَارِ وَالْجَوْهَرُ الْفَرْدُ^(٢)
 بِهِ الْعُمِّيُّ وَاسْتَهْدَتْ بِأَنْوَارِهِ الرُّمْدُ
 وَقَاءٌ وَأَنْوَارٌ مُلَازِمَتُهَا الرُّهْدُ
 سَمَاوِيَّةٌ يَنْمَاعُ مِنْهَا الصِّفَا الصَّلْدُ^(٣)
 وَلَكِنْ جَبْرِيلَ الْأَمِينَ لَهُمْ جُنْدُ
 وَمِنْهُمْ عَلَى غَيْظِ الْعِدَا صَحَّ لِي عَهْدُ^(٤)
 وَتَمَّ عَلَى عِلَاتِهِ لِي بِهِ الْمَجْدُ^(٥)
 وَيَبِينِي لَوْ صَحَّحْتُ مَنْاسِبُهُمْ جَدُّ
 عِدَاهُ وَأَوْلَادُ الْحَرَامِ لَهُ ضِدُّ
 لَدَى قَوْلِهِ مِنْ شِدَّةِ الضَّمِيمِ تَسْوَدُ^(٦)
 وَخَلْوُهُ يَغْلِي فِي ضُدُورِكُمْ الْخَفْدُ^(٧)
 فَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ رَغْمِ أَنْفِكُمْ بُدُّ^(٨)
 وَمَنْ قُرْبِهِمْ خَيْرٌ لِي الْبُعْدُ وَالصَّدُّ

(١) المعاطس: الأنوف. الجوانح. الأضلاع: انقَد الشيء: انشق طولاً.

(٢) البيكار: آلة لتعيين أقطار الأجسام المستديرة. الجوهر الفرد. أصغر الأجزاء الذي تنتهي إليه قسمة الجسم البسيط.

(٣) ينماع: يذوب. الصفاة: الحجر العريض الأملس وجمعه صفا. الصلد: الصلب.

(٤) النجار: الأصل والحسب. مت إليهم: توسل وتقرب.

(٥) العلات: الأحوال والشؤون المتنوعة. (٦) لدى قوله: الضمير يعود للحق.

(٧) رغا البعير: ضجَّ وصوت: أزيد البحر: قذف بالزيد. أرغى الرجل وأزيد: فار غضبه وتوعد.

(٨) آنف: جمع أنف. رغم الأنف: الذل.

مَشَائِمُ كَذَّابُونَ ذَمُّنَاؤُهُمْ كما أَنَّهُمْ مِنْ نَقْصِهِمْ عَيْبُهُمْ حَمْدُ^(١)
 إِذَا غِبْتُ عَابُونِي وَلَكِنْ رِبْقَهُمْ يَحِفُّ عَلَيْهِمْ هَيْبَةٌ عِنْدَمَا أَبْدُو
 كِلَابٌ لَهَا خَلْفِي نُبَاحٌ وَإِنَّمَا تُبْضِضُ مَهْمَا جَاءَهَا الْأَسَدُ الْوَرْدُ^(٢)
 وَمَا مَسَّنِي مِنْ بَعْدِ طَوْلِ اجْتِهَادِهِمْ لِضُرِّي أَدَى لَكِنْ يَغْنِظُهُمْ ارْتِدَاؤُا
 وَفِي ذِكْرِهِمْ عَارٌّ عَلَيَّ لِأَنَّهُمْ وَإِنْ كَثُرُوا حَسّاً فَمَنْ هُمْ إِذَا عُدُّوا؟
 لِيَصْنَعَ مَا شَاءَ الْأَعَادِي فِلَائِنِي عَلَيَّ بِفَضْلِ اللَّهِ مِنْ حِفْظِهِ بُرْدُ^(٣)
 وَبِالْخَمْسَةِ الْأَرْوَاحِ أَعْلَى وَسَيْلَةٍ إِلَيْهِ وَبِالْأَسْتَاذِ فِي الْفَتْحِ أَعْتَدُ^(٤)
 وَفِي كُلِّ حَالٍ لَيْسَ لِي غَيْرُ جَاهِهِمْ عَقَدْتُ بِهِ الْأَمَالَ فَاسْتَوْتَقَّ الْعَقْدُ
 وَلَا غَرَوُا إِنْ طَالَتْ إِلَيَّ الْفُوزُ بِي يَدٌ لَهَا خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ قَاطِبَةً زُنْدُ^(٥)
 وَلِلْعَارِفِ الْمُحَضَّرِ أَرْفَعُ قِصَّتِي وَأُضِدُّهُ قَوْلِي وَفِيهِ لَهُ النَّقْدُ^(٦)
 خَلِيفَةُ أَصْحَابِ الْكِسَا وَارثُ الْهُدَى وَمَنْ لِلْعَلَى وَالِدَيْنِ مَنَزَلُهُ مَهْدُ^(٧)
 عَلَيْهِمْ جَمِيعاً رَحْمَةُ اللَّهِ مَا بَدَا عَمَامٌ وَمَا أَبْكَأهُ بِالضَّحِكِ الرَّغْدُ^(٨)

(١) الشؤم: ضد البركة. والشؤوم الذي يجلب الشر ويمنع الخير. جمعه مشائم.

(٢) الأسد الورد: الجريء.

(٣) الأصل: ليصنعن على حد قول الشاعر: لاتهنن الفقير... إلخ.

(٤) الفتح: النصر. أعتقد: أدخل في حسابي بركة الأستاذ وأستعين به. والأستاذ هو الإمام

عيدروس بن عمر الحبشي

(٥) لا غرو: لا عجب. قاطبة: جميعاً. الزند: موصل طرف الذراع بالكف. ومن كانت يده

تستمد القوة من زند الرسول المبارك الشجاع ﷺ فله البشر والفوز.

(٦) نقد الكلام: وزنه وتقديره. والعارف المحضار هو العلامة الشهير مصطفى بن أحمد

المحضار (١٢٨٢ - ١٣٧٤هـ) كان آية في الكرم والعبادة ونبيل الأخلاق؛ حفر قبره قبل

وفاته بأكثر من ثلاثين سنة وقرأ فيه أكثر من عشرة آلاف ختمة؛ وكان عالماً حكيماً أديباً

ظريفاً وكان الإمام ابن عبيد الله يستشيره في كثير من الأمور.

(٧) المهدي: الموضع يعد للطفل لكي ينام فيه. وهو هنا يصف الحبيب مصطفى المحضار.

(٨) الغمام: السحاب. الرعد يضحك بصوته ليكي السحاب؛ فما ألطف هذا التعبير.

القصيدة الثالثة عشرة

زَارَتْ وَقَدْ جَنَّحَ الظَّلَامُ

زَارَتْ وَقَدْ جَنَّحَ الظَّلَامُ بِلا حِذَا عُظْلاً مُنْقَبَةً فَنَمَّ بِهَا الشَّدَا^(١)
 فَسَلَّلْتُ رَوْعَتَهَا وَقَلْتُ أَلَا ائْتَلِجِي لا ضَيْرَ مِنْ عُدَالِنَا إِلَّا أَدَى^(٢)
 فَتَهَلَّلْتُ فَرِحاً وَأَسْفَرَ وَجْهَهَا والليلُ مُسْبِلُ سِثْرِهِ فَتَشَرَّدَا^(٣)
 فَرَأَيْتُ مَا مَلَأَ الْعَيُونَ مَحَاسِنَا وَشَجَى الْفُؤَادَ فَكَأَدَ أَنْ يَتَفَلَّدَا^(٤)
 شَمْسُ الضُّحَى أَبْصَرْتُ فِي جَوْفِ الدُّجَا والرَّيْمُ يَخْطِرُ فِي الْخَلَى وَالْجُنْبُذَا^(٥)
 فِي صَدْرِهَا أَثْمَارُهُ وَيَخْذُهَا أَزْهَارُهُ وَكَأَنَّ فِيهِ زُمْرُذَا^(٦)

- (١) جنح الظلام: أقبل. بلا حذا: حافية حتى لا يقطن إليها أحد. العُظْل من النساء: الخالية من الحلي إما لأنها استغنت بجمالها عن الحلي وإما للخوف من أن يسمع صوت الحلي. منقبة: ذات نقاب. نمّ: أعلن وباح. الشدا: ذكاء الرائحة الطيبة.
- (٢) الروعة: الفزع والخوف. ائلجي: اهذي واطمئني. لا ضرر. اقتبس من قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذَى﴾ أي إلا ضرراً يسيراً لا أهمية له.
- (٣) تهلل الوجه: تلاًلاً من السرور. أسفر وجهها: أشرق. تشرَّد الليل: انتشر ظلامه وتفرق؛ وجاء في «القاموس المحيط» فشرذ بهم من خلفهم بالذال المعجمة قراءة الأعمش، وقال ابن جني: لم يمر بنا في اللغة تركيب شرذ، وكان الذال بدل من الدال.
- (٤) شجى الفؤاد: أثر فيه أو أطربه. يتفلذ: يتقطع من العشق.
- (٥) الريم: الظبي. يخطر: يتمايل. الجنبذ: نوع من الحجارة الكريمة من صنف الياقوت يسمى حب الرمان. الزمرد: لغة في الزمرد. فهو شفاف جداً حتى يخيل للناظر أن فيه خضرة الزمرد.
- (٦) الريم الظبي. يخطر: يتمايل. الجنبذ نوع من الحجارة الكريمة من صنف الياقوت يسمى =

وِبَثَّرَهَا مَاذِي ظَلَمٍ كَالظَّلَى فِي السَّرِّ لَكِنْ لَا صُدَاعَ وَلَا قَدَى ^(١)
 أَلَقْتُ مَقَادَتَهَا إِلَيَّ لِوَعْلَمِهَا أَنَّ الْعَفَافَ عَلَى هَوَايَ اسْتَحْوَذَا ^(٢)
 بِثَنًا وَلِيَّاهَا بِأَسْعَدِ لَيْلَةٍ لَمْ تُلَفْ شَائِبَةٌ إِلَيْهَا مَنفَذَا ^(٣)
 لَمْ أَنْسَهَا أَبَدًا وَإِنْ كَانَ الْجَوَى مِنْهَا يُوجِّجُ بَيْنَ جَنْبَيَّ الْجَدَا ^(٤)
 كَادَتْ تَمَلِّكُنِي فَأَدْرِكُ مُهَجَّتِي حُبُّ النَّبِيِّ وَالْوِ فَاسْتَنْقَذَا
 مَلَكَتْ مَحَبَّتُهُمْ جَمِيعَ جَوَانِحِي فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ اكَتَفَيْتُ عَنِ الْغَدَا
 وَإِذَا اكْفَهَرَّ لِي الزَّمَانُ رَأَيْتُنِي رَخَوَ الْخَنَاقِ بِحُبِّهِمْ مُتَلَدَا
 أَنَّى تَعُولُ نَوَائِبُ الْحَدَثَانِ مَنْ أَضْحَى بِوِاسِعِ جَاهِهِمْ مُتَعَوِّدَا؟ ^(٥)
 شَرَفٌ قَدْ انْتَعَلَ الثَّرِيَّا وَازْتَدَى الْمَرِيخَ وَالْجُوزَاءُ كَانَتْ مِشْوَدَا ^(٦)
 وَأَرْوْمَةٌ كَرُمَتْ فَأَفْرَعَتْ الْهُدَى وَبِنُورِهَا غَسَقُ الضَّلَالِ تَشَدَّدَا ^(٧)
 جَمَعَتْ إِمَامَ الْمُرْسَلِينَ وَبِنْتَهُ وَابْنَيْهِمَا وَأَبَا الثَّرَابِ الْجَهْبِدَا ^(٨)
 وَفُرُوعَهُمْ مِنْ كُلِّ دَفْرٍ لَا يَرَى هَبْوَاتِهِ لَيْتُ الشَّرَى إِلَّا خَدَا ^(٩)

= حب الرمان. الزمرد: لغة في الزمرد. فهو شفاف جداً حتى يخيل للناظر أن فيه خضرة الزمرد.

(١) الماذي: العسل. الظلم: شدة بياض الأسنان. تراها من شدة الصفاء كأن الماء يجري فيها. القذى: ما يقع في الشراب من وسخ يجعله غير مرغوب في شربه. السر: يقصد به التأثير الخفي في النفس.

(٢) استحوذ عليه: غلبه واستولى عليه.

(٣) لم تلاف: لم تجد. الشائبة: الدنس والعيب. منفذاً: طريقاً.

(٤) الجذا: مثلث الجيم: جمع جذوة وهي القطعة من الجمر.

(٥) أنى: كيف؟ تعول: تهلك.

(٦) الثريا والمريخ والجوزاء: كواكب في السماء. المشوذ: العمامة.

(٧) الأرومة: أصل الشجرة: ويستعار للحسب. الفسق. الظلام. تشدذ: تفرق.

(٨) الجهبذ: الناقد البصير.

(٩) دفر: شجاع. الهبوات: غبار الحرب. الشرى: طريق كثير الأسود. خذا ويخذو: استرخى.

شُمَّ المَعَاطِسِ لَمْ يُقَرُّوا بِاغْيَاً حَتَّى يَمُوتُوا دُونَهُ أَوْ يُؤْخَذَاً^(١)
 صَبَرُوا فَكَانُوا لِلرَّمَاكِ دَرِيَّةً فِي نُضْرَةِ الإِسْلَامِ كَيْ لَا يُنْبَذَاً^(٢)
 غَيْظَ العِدَاِ وَسِمَامُ أَحْزَابِ الرَّدَى وَالْحُجَّةُ الكُبْرَى عَلَى مَنْ شَعُوذَاً^(٣)
 يَا سَادَتِي يَا مَنْ فَوَادِي دَارُهُمْ لَا تَتْرُكُوهُ مِنَ الكُرُوبِ مُجَدَّدَاً^(٤)
 وَخُذُوا بِشَأْرِي مِنْ عُدَاتِي إِنْهُمْ قَدْ صَارَ حُونِي بِالعِدَاوَةِ وَالبَدَاً^(٥)
 وَبِكُمْ أَلُوذٌ وَلِي ذِمَامٌ مِنْكُمْ أَفْتَتْرُكُونِي عُرْضَةَ البَلَوَى كَذَا
 وَلَكُمْ مَدَائِحُ قُلْتُهَا فِيكُمْ إِذَا أذِنَ الحَسُودُ لَهَا أَقْرَّ وَحَبَّدَاً^(٦)
 وَمِنَ الذَّنَابِي مَنْ يُمَتِّي نَفْسَهُ فَإِذَا نَظَّمْتُ رَوَائِعِي فِيكُمْ هَدَى^(٧)
 وَمِنَ المُحَالِ بُلُوغٌ مِذْحَتِكُمْ وَإِنْ وَشَخْتُ بِالدَّرْرِ القَوَافِي الشُّمْدَاً^(٨)
 وَعَلَيْكُمْ الصَّلَوَاتُ مَا طَوَّتِ الفِلا بِالشَّعْبِ نَاجِيَةً مَرَاعِيهَا الغِذَاً^(٩)



- (١) الأشم: المرتفع قصبة الأنف من استواء أعلاها والمعاطس: الأنوف أقر: خضع وأذعن.
- (٢) همم دريئة للرماح: يعرضون أنفسهم لطعناتها. ينبذ: يتعرض للزوال.
- (٣) شعوذ وشعوذة: لعب يرى الإنسان منه ما ليس له حقيقة كالسحر.
- (٤) مجدذ: مقطوع.
- (٥) البذاء: السفه.
- (٦) أذن: استمع.
- (٧) الذنابي: ذنب الطائر. هذى هذياناً: تكلم بغير المعقول.
- (٨) الشمد جمع شامذ: القوافي البليغة المتمثلة فكراً ورأياً
- (٩) الشعب: الطريق بين الجبال. ناجية: سريعة. مراعيها الغذا: ترعى رعياً يشبعها وينمي جسمها.

القصيدة الرابعة عشرة

لا تُنْكروا

لا تُنْكروا مَرَّ النسيمِ العَاطِرِ ذِكْرُ الأَجْبَةِ قد جَرَى في خَاطِرِي
رَقَّ الحِجَابُ فما تُجِنُّ ضَمَائِرِي يَبْدُو بَدُونِ تَأْمَلٍ في ظَاهِرِي^(١)
وَالْحُبُّ أَلْطَفُ مَا يَكُونُ طَبِيعَةً فَبِئْسَ حَتَى بالخِيَالِ الزَائِرِ
ما الطَّيِّبُ مِنْ نَفْسِي وَلَكِنْ زَارَنِي طَيِّفٌ تَضَوَّعَ مِنْهُ رَيًّا حَاجِرِ^(٢)
مَعْنَى تَجَسَّمِ لِلضَّمِيرِ عَلَى النَّوَى فَكَأَنَّ مَنْ أَهْوَى يَلُوحُ لِنَاظِرِي
لَوْلَاهُ لَأَنْفَطَرَ الفُؤَادُ مِنَ الجَوَى طَوْعاً لأَحْكَامِ العَرَامِ الجَائِرِ
والبَيْنُ مَجْلَبَةٌ الشَّقَاءِ بِهِ اكْتَسَتْ أَيَّامُنَا العَرَاءُ ثوبَ دِياجِرِ^(٣)
وَاللَّهِ ما ذُكِرَ العَقِيقُ وَأَهْلُهُ إِلَّا وَسَّالَ مَذَابُهُ بِمَحَاجِرِي^(٤)
أَتَعَرَّضُ الرُّكْبَانَ مِنْ طَرَبِي إِلَى أَخْبَارِهِ مَهْمَا عَلِمْتُ بِصَادِرِ^(٥)
فإذا ظَفِرْتُ بِهِ سَرْتُ حَالِي لَهُ وَاسْتَفْجَلْتُهُ عَنِ الكَلَامِ بَوَادِرِي^(٦)

(١) تجن: تحفى

(٢) الحاجر: ما يمسك الماء من شفة الوادي، فتنبت فيه الأزهار البرية الذكية.

(٣) الدياجر: الظلمات.

(٤) المحاجر: العيون.

(٥) طريق صادر: يصدر بأهله عن الماء. قد أعلم أن من غاب عائد من سفره. ولكني من طربي وسروري بالحديث عنه أسأل عنه المسافرين.

(٦) سرت حالي له: يريد عرف شدة تعلقي به. البوادر: الدموع.

وَعَدَتْ لَوَاعِجُنَا الرِّكَابَ فَأَبْطَأَتْ بِالسَّيْرِ هَازِنَةً بِرَجْرِ الرَّاجِرِ^(١)
عَجَباً لِنِغْلَظَتِهِ وَرِقَّةِ طَبْعِهَا وَنِبَاهَةِ فِيهَا وَلُظْفِ مَشَاعِرِ^(٢)
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالتَّمَنِّي بَاطِلٌ بِمُحَالِهِ تَرْتَاخُ نَفْسُ السَّاهِرِ^(٣)
هَلْ لِي إِلَى الْبَلَدِ الْأَمِينِ زِيَارَةٌ تَحِيًّا بِهَا رُوحِي وَيَسْعَدُ طَائِرِي^(٤)
وَتَقَرُّ لِي عَيْنِي وَتَبْرُدُ غُلَّتِي وَأَشْمُ عَرَفَ سَعَادَةٍ وَبَشَائِرِ^(٥)
وَيَخْفُ مِنْ أَثْقَالِهِ ظَهْرِي بِحِطِّ الرَّحْلِ فِي حَرَمِ النَّبِيِّ الطَّاهِرِ^(٦)
حَيْثُ الْوُفُودُ مِنَ الْمَلَائِكِ وَالْوَرَى فِي زَحْمَةٍ عِنْدَ الضَّرِيحِ الرَّاهِرِ
وَهُنَالِكَ الْعِبْرَاتُ تُرْسَلُ وَالثَّرَى يُرْوَى بِدَمْعِ الْخَاشِعِينَ الْمَاطِرِ^(٧)
حَيْثُ الْحَمَامُ لَهُ لَدَى شُبَاكِهِ زَجَلٌ يُهَيِّجُ حُزْنَ كُلِّ مُجَاوِرِ^(٨)
وَالنَّاسُ بَيْنَ مُرْتَلٍ مُتَدَبِّرٍ آيِ الْكِتَابِ وَبَيْنَ بَاكِ ذَاكِرِ
وَمُمرِّغٍ فِي الثَّرْبِ صَفْحَةً خَدُّهُ وَمُرْدِدٍ حَمْدَ الْإِلَهِ وَشَاكِرِ
تِلْكَ الْمَوَاقِفُ لَا تَمَثِّلُهَا النُّهَى إِلَّا بِشَوْقٍ فِي الْقُلُوبِ مُخَاوِرِ^(٩)
فَإِذَا تَصَوَّرْنَا الْوُفُودَ وَحَالَهُمْ وَوُودَ طَيْبَةَ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ

- (١) الركاب: الإبل. زجره: أراد منعه عن الشيء. انتقلت عدوى الرقة وشدة التأثر إلى الجمال فتأنت في السير ولم تعبا بإزعاج المسافرين لها لتسرع.
(٢) يعجب الشاعر من غلظة الإنسان ورقة طبع الحيوان إذ إنه رثى لحاله فتأنى في السير.
(٣) إنه يسهر ويعز عليه النوم لما شغله من الشوق إلى البلد الأمين حتى ليخيل إليه أنه لن تتحقق أمانيه ولكن نفسه ترتاح إذ يملؤها التفكير فيما أحب.
(٤) الطائر هنا: الحظ.
(٥) قرت عينه: سعد واستراح. الغلة: العطش. العرف: الرائحة الطيبة.
(٦) ويخف من أثقاله ظهري: كناية عن راحة النفس وزوال العناء.
(٧) العبرات: الدموع. الثرى: التراث.
(٨) الزجل: الصوت.
(٩) النهى: العقول. المخامر. مخالط القلوب. تمثلها: أصل الفعل تمثلها حذف التاء الأولى.

فَتَحَّتْ عِزَالِيهَا الشُّؤُونََ مِنَ الْهُوَى
فَكَأَنَّ صَدْرِي بَيْنَ لِحْيَيْ ضَيْغَمٍ
فَعَسَى إِلَى بَلَدِ الْهُدَى لِي عَوْدَةٌ
وَعَسَى يُسَاعِدُنِي الزَّمَانُ بِهَمَّةٍ
فَأَوَاصِلُ الْغَدَوَاتِ بِالرُّوحَاتِ لَا
حَتَّى تَلُوحُ الْقُبَّةُ الْخَضِرَاءُ
فَإِذَا بَدَأَ لِلنَّاطِرِينَ سَنَاءُهَا
سَكَنُوا كَأَنَّ الطَّيْرَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ
فَإِذَا دَنَتْ بِهِمُ الْمَطِيُّ تَسَاقَطُوا
وَأَتَوْهُ بَيْنَ مُقَصَّرٍ مِنْ حَظْوِهِ
وَهَنَاكَ أَدْخُلُ بَانَكَسَارِي بَادِيًا
وَأَعُوْجُ لِلْهَادِي أَخَاطِبُهُ بِتَسْلِيمِي
مِنِي السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ وَدَّهَ

وَعَرِقْتُ فِي بَحْرِ الْهُيَامِ الرَّآخِرِ^(١)
وَكَأَنَّ قَلْبِي فِي قَوَادِمِ طَائِرِ^(٢)
فِيهَا أَتُورُ بِفَيْضِ جُودِ غَامِرِ
تَمْضِي عِزَائِمُهَا مَضَاءَ الْبَاتِرِ^(٣)
أَخْشَى الظَّلَامَ وَلَا سُمُومَ الْهَاجِرِ^(٤)
وَالْبَلَدُ الْمُكَلَّلُ بِالْجَمَالِ الْبَاهِرِ^(٥)
وَجَمُّوا لِسُلْطَانِ الْوَقَارِ الْقَاهِرِ^(٦)
رَهَبًا وَهُمْ فِي ضَجَّةٍ وَزَمَاجِرِ^(٧)
لِدُخُولِ مَسْجِدِهِ الْأَعْرَّ السَّافِرِ
لِعَظِيمِ هَيْبَتِهِ وَبَيْنَ مُبَادِرِ^(٨)
بِتَحِيَّةِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ الْفَاطِرِ^(٩)
وَحَاجَاتِي خِطَابِ الْحَاضِرِ^(١٠)
كَنْزِي لِعَاجِلَتِي وَيَوْمِي الْآخِرِ

- (١) العزلاء: فم الدلاء الذي يسقط منه الماء والجمع العزالي بفتح اللام وكسرهما وأرسلت السماء عزاليها إشارة إلى شدة وقع المطر على التشبيه بنزوله من أفواه المزادات.
- (٢) اللحي: الفك. الضيغم: الأسد. قوادم الطائر: عشر ريشات في مقدم جناحه.
- (٣) الباتر: السيف. مضى السيف: قطع.
- (٤) الهاجر: نصف النهار عند اشتداد الحر.
- (٥) تلوح: تظهر. المكمل: المزين.
- (٦) وجموا: سكنوا.
- (٧) الرهب: الخوف.
- (٨) المبادر: المسرع.
- (٩) الفاطر: الخالق. يريد بتحية الملك الصلاة.
- (١٠) عاج: مال.

مِنِّي السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ عِنْدَهُ يَتَكَرَّمُ الْمَوْلَى بِرِيحِ الْخَاسِرِ
 مِنِّي السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ ذَكَرَهُ الْمُحْمُودُ فَخُرُّ مَنَائِرٍ وَمَنَابِرِ
 مِنِّي السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ مَدَحُهُ فِي الذِّكْرِ أَغْنَى عَنِ مَدِيحِ الشَّاعِرِ^(١)
 يَا ابْنَ الْعَوَاتِكِ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا جَدِّي حَنَانًا لِلضَّعِيفِ الْخَائِرِ^(٢)
 لِأَسِيرِ أَشْجَانٍ إِلَى عَلِيَّائِكُمْ يُذِلِّي بِثَابِتِ ذِمَّةٍ وَأَوَاصِرِ^(٣)
 قَلَبَتْ لَهُ الْأَيَّامُ ظَهَرَ مَجْتَهَا وَلِحِظِهِ انْكَشَفَتْ بَوَاجِهُ بَاسِرِ^(٤)
 وَبِضْذِرِهِ غَرَضٌ كَفَانِي عِلْمُكُمْ عَنْ ذِكْرِهِ فَمَحَلُّكُمْ بِسَرَائِرِي
 لَا زَلَّتْ يَا نُورَ الْوُجُودِ وَرُوحَهُ مِنَّا تُحَيَّا بِالسَّلَامِ الْوَافِرِ
 وَعَلَيْكَ صَلَّى اللَّهُ مَا رَقِصَتْ إِلَى سُوحِ الْحِجَازِ نَجِيبَةً بِمُسَافِرِ
 وَعَلَى صَحَابَتِكَ الْأَجَلَّةِ حَافِظِي عَهْدِ الْوَفَا مِنْ كُلِّ حُرِّ صَابِرِ
 وَعَلَى وَصِيِّكَ وَالْوَزِيرِ الْمُرتَضَى غَيْظِ الْعِدَا وَقَذَا عِيُونِ الْكَافِرِ
 جَمَّ الثُّبَاتِ وَصَادِقِ الْوَثْبَاتِ فِي يَوْمِ اخْتِدَامِ تَجَالِدِ وَتَشَاجِرِ
 الْكَاشِفِ الْكُورِبَاتِ عَنْ خَيْرِ الْوَرَى بِالْمَشْرِفِيَّةِ وَالْقَوِيمِ الشَّاجِرِ^(٥)
 هَلْ قَالَ غَيْرُ أَبِي الثُّرَابِ أَنَا لَهَا لَمَّا تَحَدَّى الْقَوْمُ فَارِسُ عَامِرِ^(٦)
 وَبِضْرِبَةٍ مِنْ ذِي الْفَقَارِ لِمَرْحِبِ شَالَتْ نَعَامَتُهُ كَأَنْسِ الدَّابِرِ^(٧)

(١) الذكر: القرآن.

(٢) العاتكة: المرأة تسكر الطيب. والعواتك في جدات النبي ﷺ تسع.

(٣) الأواصر: الروابط.

(٤) المجن بكسر الميم وفتح الجيم: الترس. ومن أمثال العرب قلب له ظهر المجن أي استعد لحربه. باسر: عابس.

(٥) الشرفية: السيوف. الشاجر: الرمح.

(٦) فارس عامر: هو عمرو بن عبدود.

(٧) ذو الفقار: سيف الإمام. شالت نعامة: مثل يضرب للفرار.

مَنْ غَيْرُهُ خَلَفَ النَّبِيَّ بِفِرْشِهِ
وَمَنْ الْمَلَاذِمُ لِلنَّبِيِّ مُدِ اشْتَكَى
وَحَدِيثُ سُدَّوَا بَابُ كُلِّ غَيْرِهِ
فَعَلِيهِ بِعَدِكَ يَا بَنَ آمَنَةَ مِنْ
وَعَلَى خَدِيجَةَ وَالْمَصُونَةَ بِنَتِّهَا
وَعَلَى الْحُسَيْنِ وَصِنُوهُ وَبَنِيهِمَا
وَعِدَاهُ تَرَضُّدُ قَتْلُهُ بِخَنَاجِرِ
حَتَّى تُؤْفِي وَهُوَ خَيْرٌ مُوَازِرِ
حَقُّ رَوَايَةِ كَابِرٍ عَنِ كَابِرِ
الْمُضْنَى صَلَاةٌ لَا تُحَدُّ لِحَاصِرِ^(١)
أَمَّ النَّتَاجِ الطَّيِّبِ الْمُتْكَائِرِ
سُقْنِ النَّجَاةِ أَمَانَ كُلِّ مُحَاذِرِ



(١) لا تحد لحاصر: لا يحدها حصر ولا عدد.

القصيدة الخامسة عشرة

في الروضة الشريفة

وهذه القصيدة كان إنشاؤها في ذي القعدة من سنة ١٣٥٤هـ بالمدينة المنورة؛ وتكرر إنشادها بالروضة الشريفة بجانب القبر الأعطر؛ ولكن بصوت خافت؛ حتى اطلع عليها بعض العلماء المصريين؛ واسمه فيما أتذكر (محمد عبد الله دراز) فشجعتني على قراءتها أمام الضريح؛ فقامت وإيائه في جمع من الناس؛ وأنشدناها بعقب السلام؛ من غير تهيب؛ ولم يعترضنا أحد، وحصل من الخشوع ما نتمنى أن يكون عنوان الإجابة، وكان ذلك حين الوداع، وكله بعقب الاعتمار والرجوع من مكة؛ كما يُعرف منها؛ ثم عدنا للحج نسأل الله القبول^(١).

هَيْبَةً تَبْدُو وَسِرِّيَّ ظَهْرُ وَشِدَاً يَنْذُكُو وَتَوَرَّيْبَهُرُ
هذه طيبة والهيبة من فَوْقَهَا ظَاهِرَةٌ لَانْكَرُ

(١) في هذه السنة حج الإمام ابن عبيد الله وحضر المأدبة التي أقامها الملك عبد العزيز يرحمه الله لكبار الحجاج وممن حضرها الدكتور محمد حسنين هيكل والحاج أمين الحسيني والأمير شكيب إرسلان والشيخ حسن البنا والاقتصادي المصري الكبير طلعت حرب الذي جاء للحج لأول مرة على طائرة مصرية وتكلم الإمام ابن عبيد الله ارتجالاً في هذه الجلسة بعدما تكلم قبله عدد من كبار الأدباء العرب فعلق على خطب من سبقه وندد بالأدباء الذين افتتنوا بأدب الغرب ولم يحفلوا بأدب العرب وقال: هاتوا ما شئتم من أدب الغرب أتكم بعشرات الأمثال عليه من أدب العرب وما انتهى من خطبته حتى حملوه على الأعناق تكريماً له واعترافاً بفضله وأدبه وغزارة علمه وقال الشيخ خالد باخشب وهو من المعمرين الذين حضروا هذا المجلس أن الملك عبد العزيز قال لابن عبيد الله: بارك الله في الأرض التي أنجيتك.

هذه قُبَّةٌ خَيْرِ الْأَنْبِيَا
 مَشْهُدٌ يَسْبِي النَّهْيِ سُلْطَانُهُ
 ها هنا فَبِضُّ الْعَطَايَا وَالرُّضَا
 رَوْضَةٌ مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ إِلَى
 وَلِذَا يَوْضَعُ فِي الْحَشْرِ عَلَى
 ها هنا جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ أَتَى
 بُقْعَةً تَهْوِي لَهَا الْأَلْبَابُ مِنْ
 وَإِذَا لَاحَ مِنَ الصُّبْحِ سَنَاءٌ
 بُقْعَةً مِنْ دُونِهَا الْعَرْشُ كَمَا
 بَلْدَةٌ حَضْبَاؤُهَا دُرٌّ وَمَا
 مَثَلُوا الْأَصْحَابَ يَمْشُونَ بِهَا
 دَبَعَتْ أَقْدَامُهُمْ تُرْبَتَهَا
 بَلْدَةٌ مَشْهُودَةٌ مَأْتُورَةٌ
 لَا يَرَى الْخَيْبَةَ فِي طَيْبَةِ مَنْ
 يَتَفَشَّاهَا شُعَاعٌ أَخْضَرُ
 مَا رَأَى النَّاسُ إِلَّا كَبَّرُوا
 حَاجَةٌ تُفْضَى وَذَنْبٌ يُنْفَرُ
 جَنِبَهَا سِرُّ الْحَيَاةِ الْمُنْبَرُ
 رُبُوعَةٌ مِنْهَا يَسِيلُ الْكَوْثَرُ
 هَاهُنَا الْمُزْمَلُ الْمُدْتَرُّ^(١)
 كُلُّ إِقْلِيمٍ بِشَوْقٍ يَفْهَرُ^(٢)
 فَاحٌ مِنْهَا فِي الْوُجُودِ الْعَبْهَرُ^(٣)
 نَقَلَ الْإِجْمَاعَ قَوْمٌ قَرَّرُوا^(٤)
 تُرْبُهَا إِلَّا فَتِيقٌ أَزْفَرُ^(٥)
 حَوْلَهُ وَالْآنَ مِنْهُمْ زَمَرُ^(٦)
 فَلِذَا مِنْهَا يَضُوعُ الْعَنْبَرُ^(٧)
 مَنْ أَتَاهَا زَائِرًا لَا يَخْسَرُ^(٨)
 جَاءَ يَرْتَادُ النَّدَى فَاسْتَبْشِرُوا

(١) إشارة إلى وصف الله لنبيه وندائه إياه ﴿يَأْتِيَا الرَّزِيلُ﴾ ﴿يَأْتِيَا الْمُدْتَرُّ﴾ المزمّل. أصله المتمزّل من تمزّل في ثيابه إذا تلخف بها. المدثر: أي المتدثر وهو لابس الدثار وهو الثوب الذي يكون فوق الشعار مما يلي البدن.

(٢) تهوى: تميل.

(٣) العبير: النرجس أو الياسمين.

(٤) دون هنا: بمعنى فوق. العرش: كرسي الله تعالى الذي وسع السماوات والأرض.

(٥) الحصباء: الحصى. الفتيق من المسك: ما خلط بالعنبر. الأذفر: قوى الرائحة.

(٦) زمر: جماعات. يَضُوعٌ: يتشر.

(٧) زمر: جماعات. يَضُوعٌ: يتشر.

(٨) مشهودة: يحضرها أهل السماوات والأرض. مأتورة: مفضلة.

بَلْدَةٌ حَتَّى عَلاَقَاتِ الْهَوَى لِلمُجَبِّينَ بِهَا لَا تَخْطُرُ
 فَلَقَدْ عَايَنْتُ مِنْ حَرِّ الْجَوَى لِأَعْبَاءِ حُرْقَتِهِ مَا تَنْفُرُ
 أَتَقَلَّى مِنْ تَبَارِيحِ النَّوَى وَإِذَا نَامَ خَلِيٍّ أَسْهَرُ^(١)
 لَمْ يَدْعِنِي الشَّوْقُ إِلَّا وَالْهَاءُ كَبِدٌ تُشْوَى وَعَيْنٌ تُمَطِّرُ^(٢)
 غَيْرَ أَنِّي مُذْ رَأَيْتُ الْبَيْتَ لَمْ يَبْقُ فِي نَفْسِي لَشَيْءٍ خَطِرُ^(٣)
 حَرَمٌ مَا فِيهِ إِلَّا طَائِفٌ أَوْ مُصَلٌّ أَوْ مُنِيبٌ بِجَارُ
 أَوْ نَشِيجٌ أَوْ عَجِيجٌ أَوْ دُعَا مَنْظَرٌ مِنْهُ يَذُوبُ الْحَجَرُ^(٤)
 مَوْرِدٌ عِدٌّ وَعَذْبٌ سَائِغٌ كُلُّ وَفِدٍ عِنْدَهُ مُخْتَضِرُ^(٥)
 وَعَطِيَّاتٌ غَزِيرٌ جُودُهَا وَهَبَاتٌ مَدُّهَا لَا يَجْرُزُ
 وَغَمَامٌ فَائِضٌ رَوَّادُهُ بِأَقَاصِي الْأَمَانِي تَضْدُرُ^(٦)
 وَسَوَاءٌ فِيهِ مَخْبُوكُ الْقَوَى وَالْفَقِيرُ الْعَاجِزُ الْمُخْتَقِرُ
 حِكْمَةٌ بِالْغَنَةِ فِي ضَوْئِهَا يَتَرَاءَى لِلْعَقُولِ الْمَحْشَرُ
 ثُمَّ وَاصَلْنَا السُّرَى حَتَّى وَشَى بِشِذَا وَادِي الْعَقِيقِ الْإِذْخِرُ^(٧)
 ثُمَّ لَمَّا ظَهَرَتْ لِي طَابَةٌ كَادَ قَلْبِي عِنْدَهَا يَنْفَطِرُ^(٨)
 حِزْتُ لَا أَذْرِي أَبْقَظَانَ أَنَا أَمْ رُؤْيَى مَا قَدْ جَرَى يُغْتَبِرُ

(١) أتقلّى: أتعذب. مثل الطعام الذي ينضج في المقلّى على النار. تباريح النوى: شدائد الفراق.

(٢) الواله: الذي ذهب عقله من شدة الحزن.

(٣) ليس لشيء خطر: اهتمام.

(٤) نشج الباكي نشيجاً: غص بالبكاء في حلقه من غير انتخاب. العجيج: رفع الصوت.

(٥) العِدّ: الماء الجاري الذي لا ينقطع. محتضر: حاضر.

(٦) كل من جاءه يصدر عنه مقصّي الحاجات.

(٧) الإذخر: نبات طيب الرائحة.

(٨) ينفطر: يتشقق من شدة التأثر لرؤية معالم المدينة المنورة.

فَلَقَدْ شَاهَدْتُ مَا رَوَعْتُهُ عَنْ لِسَانِي وَجَنَانِي تَكْبُرُ^(١)
 قُبَّةٌ مِنْ فَوْقِهَا نُورُ الْهُدَى لِعَمُودِ الصَّبْحِ لَا بَلْ أَظْهَرُ
 وَتَمَّ مَا لَاحَتْ عَرْتَنَا هَمزةٌ طَفِقَ الدَّمْعُ لَهَا يَنْتَثِرُ
 وَأَنْتَشَى الرَّكْبُ وَكَمْ مِنْ مُهْجَةٍ طَرِبَتْ لَمَّا تَجَلَّتْ تَقْطُرُ^(٢)
 وَجَدِيرٌ كُلُّ مَا صَارَ فَمَا مِثْلُهُ فِي الْأَرْضِ يَبْدُو مَنْظَرُ^(٣)
 يَا رَسُولَ اللَّهِ حَاوَلْتُ الثَّنَا فَإِذَا بِالمَدْحِ عَنْكُمْ يَفْضُرُ
 وَعَرْتَنِي مِنْ سَنَاكُمُ اخْذَةً فَغَدَتْ عَنِّي القَوَافِي تَنْفِرُ^(٤)
 أَنْتُمْ رُوحُ المَعَالِي وَالنَّدَى أَنْتُمْ سِرُّ الْهُدَى الْمُغْتَصِرُ^(٥)
 زَيْنْتُمُ الْإِسْلَامَ وَالدُّنْيَا كَمَا زَيَّنْتَ كُفَّتَ الْجِيَادِ الْغُرُرُ^(٦)
 نِعْمَةٌ مِنْ عَالِمِ الْقُدْسِ انْجَلَّتْ وَتَدَلَّتْ فَاخْتَوَاهَا بَشَرُ^(٧)
 وَضِيَاءٌ دُونَهُ الشَّمْسُ الَّتِي مِنْ سَنَاهَا يَسْتَمِدُّ الْقَمَرُ
 شَرَفٌ صَخْمٌ مِعْرٌ بِاذِخْ ضَاقَ عَنْهُ الْحَدُّ لَا يَنْحَصِرُ^(٨)
 مَظْهَرُ الْإِحْسَانِ وَالْحُسْنِ الَّذِي مِنْهُ فَاضَتْ لِمَعَانِي الصُّورُ^(٩)

(١) الروعة هنا: ما يدهش مما يسر النفس ويهزها. الجنان: العقل.

(٢) المهجة: الروح. تقطر: تذهب وتفنى.

(٣) جدير: حقيق.

(٤) عرتني: حصلت لي. السنا: الضوء. الأخذة بضم الهمزة: رقية تأخذ العين ونحوها كالسحر. يريد بالقوافي الشعر. تنفر: تشرد.

(٥) المعتصر: الخالص أو الموقوف عليكم.

(٦) الكميث من الخيل ما خالط حمرة سواد. الغرر: جمع غرة وهي بياض في جبهة الفرس.

(٧) عالم القدس: عالم الطهارة. بشر: يقصد الرسول الكريم.

(٨) باذخ: عال.

(٩) الصور والأعمال الحسية دالة دلالة كاملة على المعاني السامية ومترجمة عنها. فالرسول ﷺ دلت مظاهره على ما أضمرته نفسه من كل معاني السمو والأخلاق الشريفة الكريمة.

غَرِقَ الْفَهْمُ مِنَ الْحَيْرَةِ فِي وَصْفِكَ الْأَسْمَى الَّذِي لَا يُقَدَّرُ
 رُتْبَةً لَا يَرْتَوِي الْفِكْرُ لَهَا وَالنُّهَى عَنْ شَأْوَهَا تَنْحَدِرُ^(١)
 مَا لَعَلِّي قَائِلٌ فِي مَدْحِكُمْ بَعْدَمَا قَدْ رَتَلْتَهُ الشُّورُ
 وَيُؤَدِّي أَنْ أُطِيلَ الْقَوْلَ عَنْ مَا بِأَحْشَائِي وَلَا أُخْتَصِرُ
 غَيْرَ أَنِّي سَاوَرْتَنِي دَهْشَةٌ صِرْتُ مِنْهَا وَاجِمًا لَا أُجْسِرُ^(٢)
 يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا عَبْدُكُمْ وَابْنُكُمْ جَاءَ بِكُمْ يَسْتَنْصِرُ
 مَسَّهُ الدَّمَرُ بِضُرٍّ وَأَذَى وَمَشَقَّاتٍ وَجَهْدٍ يَفْسُرُ
 وَتَلَقَّاهُ بِوَجْهِهِ بِاسِيرٍ لَمْ تَكْذِبْ مِنْهُ تَغِيبُ الْغَيْرُ^(٣)
 وَبِحَظِّ قَلَمٍ سَارَ إِلَى وَجْهَةِ الْعَلِيَاءِ إِلَّا يَفْتُرُ
 وَلَقَدْ ضَاقَتْ بِحَالِي حَيْلَتِي وَسِوَى حُبِّي لَكُمْ لَا أُذْخِرُ^(٤)
 يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِي غَيْرُكُمْ أَنْتُمْ السَّمْعُ لَنَا وَالْبَصَرُ
 وَلَكُمْ جَاءَ عَرِيضٌ عِنْدَ مَنْ يَكْشِفُ الْبَلَوَى فَلَا تَعْتَدِرُوا
 أَتَرُدُّونِي وَكَغَبٌ فَايِرُ وَأَنَا بِالْعَظْفِ مِنْكُمْ أَجْدَرُ^(٥)
 وَأَمَّا دِيحِي بِمَا فَخِرٍ وَلَا مِنْتَ فِيكُمْ لَعَمْرِي أَشْعَرُ
 وَمِنَ النَّسْبَةِ وَالْخِذْمَةِ لِي ذِمَّةٌ صَادِقَةٌ لَا تُخْفَرُ^(٦)
 وَلِسُكَانِ الْبَوَادِي فِي الْقُرَى مَذْهَبٌ يُرَوَى وَشَأْنٌ يُذْكَرُ

(١) الشأو: الغاية والأمد والعقل. لا يستطيع الإحاطة بما للنبي من أوصاف شريفة.

(٢) ساورتني: حلت بي. واجمًا: صامتًا.

(٣) غيبت: انقطعت.

(٤) ذخر الشيء: خبأه لوقت الحاجة.

(٥) كعب: يقصد كعب بن زهير بن أبي سلمى الذي مدح النبي ﷺ بقصيدته المشهورة (بانة

سعاد) لما اعتذر من رسول الله ﷺ وأعلن الإسلام.

(٦) خفر العهد: نقضه.

وَدَاكُم بِالْعَطَا مَبْسُوطَةٌ دُونَهَا كُلُّ عُبابٍ يَرْخَرُ^(١)
 وَلَمِنْ كُنَّا أَسَانَا فَلَكُمْ قَدْ حَقَنْتُمْ مِنْ دِمَاءٍ تُهْدَرُ^(٢)
 بِكَ نَسْتَسْقِي وَمَا زَالَ الْخِيَا لِمَنْ اسْتَسْقَى بِكُمْ يَنْهَمِرُ^(٣)
 فَاطْلُبُوا اللَّهَ لَنَا رُحْمَى بِهَا كُلُّ كَسْرٍ عِنْدَنَا يَنْجَبِرُ
 وَمُعَاوَاةً وَرِزْقاً وَإِسْمَاءً فِي هَنَاءٍ مِنْ حَلَالٍ يَنْفُرُ
 وَلِحَاجَاتِي قِضَاءً عَاجِلاً وَلَا مَالِي نَجَاحاً يُثْمِرُ
 وَمَتَاباً صَادِقاً يُنْحَى بِهِ مِنْ كِتَابِ الذَّنْبِ مَا يُسْتَظَرُ^(٤)
 وَتَبَاتاً سَاعَةَ السَّوْقِ وَفِي يَوْمٍ يَأْتِي لِسُؤَالِي مُنْكَرُ
 فَلَقَدْ فَرَّطْتُ حَتَّى ذَهَبَتْ مَيْعَةُ الْعُمُرِ وَوَأَقَى الْكِبَرُ^(٥)
 فَمَسَى عَارِفَةٌ مِنْ جُودِي غَمْرَةُ الْغَيِّ بِهَا تَنْحَسِرُ^(٦)
 وَتَنَالُ الْخُضْمَ مِنْهَا نِقْمَةً ظَهْرُهُ مِنْ هَوْلِهَا يَنْكَسِرُ^(٧)
 تَفَقُّاً الْعَيْنَ وَتَخْشَوْ جَوْفَهُ كَمَدّاً زَيْرَانُهُ تَسْتَمِرُ
 فَلَقَدْ جَاوَزَ حَدَّ الْأَعْتِدَا وَتَوَلَّاهُ الْغَيُّ الْأَشْرُ^(٨)
 كَمْ تَجَلَّلْتُ لِإِزْغَامِ الْعِدَا فَطَغَى الْمَاءُ فَلَا مُضْطَبَّرُ
 أَكْثَمُ الشُّكُوى وَأَمَّا عِنْدَكُمْ فَبِإِغْلَازِي لَهَا أَفْتَخِرُ
 فَاسْأَلُوا الْجَبَّارَ يَرْمِيهِمْ بِمَا يَقْطَعُ الدَّابِرَ أَوْ يَنْزَجِرُوا

(١) العباب: كثرة الماء. زخر البحر: طما وارتفعت أمواجه.

(٢) حقن الدماء: منع الشخص أن يقتل. أهدر دم فلان: أجاز قتله.

(٣) الحيا: المطر. ينهمر. ينزل بكثرة.

(٤) يستطر: يسطر ويكتب.

(٥) ميعة العمر: قوة الشباب ونشاطه. مأخوذ من جريان الماء. ماع يميع: سال.

(٦) الغي: الضلال. الغمرة: الشدة. انحسرت: انكشف.

(٧) النقمة: ضد النعمة.

(٨) الغوي: الضال. الأشر: المرح والبطر. الغوي الأشر: يريد أن الشيطان استبد به.

الْوَحَا يَا سَيِّدَ الْكَوْنِ الْوَحَا
 يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرِ اللَّهَ لَنَا
 وَعَلَيْكَ اللَّهُ قَدْ حَوَّلَنَا
 يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا مَنْ آيَهُ
 وَسَوَاءٌ بَعْدَ مَا قَدْ بَهَّرَتْ
 أَيُّ شَيْءٍ بِمَعْدِ أُمَّيْ أَتَى
 وَعَلَيْكُمْ صَلَوَاتٌ كُلَّمَا
 وَتَحِيَّاتٌ ذِكْرِي عَرَفُهَا
 وَمَنْ الْأَوْلَادِ وَالْأَهْلِ عَلَيَّ
 وَيُحَيِّبُكُمْ وَيُنْهِي شَوْقَهُ
 وَهُوَ قَدْ طَوَّقَنِي فِي حُبِّكُمْ
 فَاسْأَلُوا الرَّحْمَنَ يُعْطِيهِ الْمُنَى
 أَشْرِكُونَا فِي نَوَامِي جُودِكُمْ
 وَلِأَهْلِي وَلَاؤُلَادِي وَمَنْ
 وَاسْتَمِيعُوا لَنَا مَرْحَمَةً
 شَنَّفُوا الْكَاسَاتِ لِي كَيْ يَرْتَوِي

إِنَّنِي مِنْ مُدَّةٍ أَنْتَظِرُ^(١)
 فَالْخَطَايَا لَيْلُهَا مُعْتَكِرُ^(٢)
 فَاتَيْنَاكَ لَهَا نَسْتَعْفِرُ
 بَيْنَنَا مَلْمُوسَةٌ وَالنُّذُرُ
 آمَنَ الْقَوْمُ بِهَا أَوْ كَفَرُوا
 بِفَصِيحِ الْقَوْلِ لَوْ يَدَّ كَرُوا
 ثَلَيْثٌ لِلنَّاسِ عَنْكُمْ سِيرُ
 وَسَلَامٌ نَفْحُهُ يَنْتَشِرُ
 رُوْحِكَ الْأَعْلَى سَلَامٌ أَعْظُرُ
 بِإِسَانِي ابْنُ الْإِمَامِ الْأَنْوَرُ
 بِأَيَادِ سَابِغَاتِ تُشَكِّرُ
 إِنَّهُ لِلْمَوْلِمِ نِعْمَ الْوَزْرُ^(٣)
 فَإِلَيْهَا كُنَّا مُفْتَقِرُ
 يَتَوَلَّانِي لَدَى اللَّهِ اذْكُرُوا
 كُنَّا مِنْ فَيْضِهِ نَنْقَمِرُ^(٤)
 كُلُّ مَنْ وَالَيْتُ مِمَّا أَسَارُ^(٥)

(١) الوحى: الإسراع.

(٢) معتكر: شدد الظلمة.

(٣) الوزر: الملجأ.

(٤) استماحه: استعطفه أو طلب منه الشفاعة.

(٥) شنف الجارية جعل لها شنفا وهو القرط الأعلى. سار الشارب في الإناء: أبقى بقية. إذا كانت الكاسات التي أشرب منها مترعة مليئة فإن البقية بعد شربي تكفي كل من كان على مذهبي في حبكم.

وَيَقِينِي أَنَّنِي فِي جَاهِكُمْ
فَانْعَمِي يَا نَفْسُ عَيْنًا إِنَّهَا
وَتَمَلِّي بِالْحَبِيبِ الْمُضْطَفَى
قَبْرُهُ هَذَا وَذَا مَسْجِدُهُ
مِثْلَ قَيْسِ الشَّيْبَرِ إِنْ لَمْ نَرَهُ
يَسْمَعُ النَّجْوَى وَقَدْ أَبْنَثْتُهُ
بَرَدَ الْقَلْبُ عَلَى زُورَتِهِ
وَأُذِيلَ النَّخْسُ وَانزَاخَ الْعَنَا
وَتَوَلَّى اللَّهُ بِالْحَفِظِ فَلَا
وَصَلَاةَ تَتَوَالَى لَكَ يَا
وَعَلَى أَزْوَاجِكَ الرِّضْوَانُ مَا
وَضَجِيْعَيْكَ وَأَضْحَابِكَ وَالْأَلِ
وَكَذَا أَلِ الْكِسَا خَيْرُ النَّسَا

بِنَقْضِي لِي مِنْ إِلَهِي الْوَطْرُ^(١)
تَمَّتِ النُّعْمَى وَوَلَّى الْخَذْرُ
فَهُنَا الْعَيْنُ وَهَذَا الْأَثْرُ
وَهُنَا مَنْزِلُهُ وَالْحُجْرُ
فَلَهُ عَمْرِي إِلَيْنَا مَنْظَرُ
مَا بِأَخْشَائِي وَبِأَخِ الْمُضْمَرِ^(٢)
وَانجَلَى الْكَرْبُ وَزَالَ الضَّرْرُ
وَصَفَا الْوَقْتُ وَغَابَ الْكَدْرُ
ضَمِيرَ مَنْ أَعْدَيْنَا إِنْ مَكَّرُوا
مَنْ بِهِ سَادَتْ وَزَادَتْ مُضَرُّ
جِثْنِ فِي إِثْرِ الْعَشَايَا الْبُكْرُ
وَالْأَتْبَاعِ مَهْمَا كَثُرُوا
وَبَنُوهَا وَأَبُوهُمْ حَبِيدُرُ



(١) الوطر: المأرب والحاجة.

(٢) النجوى: السر.

القصيدة السادسة عشرة

فَهَمَّتْ عَنِ الْبَرْقِ

فَهَمَّتْ عَنِ الْبَرْقِ الْإِشَارَةَ وَالرَّمْزَا وَهَمَّتْ لِبُعْدِ فِي الْبِشَارَةِ وَالْمَغْزَى ^(١)
 أَلَاخَ وَأَوْحَى أَنْ هَلُمَّ لِرَوْضِ مَنْ تُحِبُّ فَإِنَّ الْوَعْدَ قَدْ شَارَفَ النَّجْرَا ^(٢)
 دَعَانِي وَلَكِنَّ الدِّيَامِيمَ دُونَهُ فَإِنَّ الْجَوَى مِنْ شَخْطِهِ خَاطِرِي أَزَا ^(٣)
 وَحِينَئِذٍ أَدْرَكْتُ سِرَّ التَّوَائِهِ وَأَخْفَقَ ظَنِّي مُذْ تَحَقَّقْتُهُ لُنْرَا ^(٤)
 كَذَلِكَ حَالُ الْعَاشِقِينَ أُمُورُهُمْ تَلَوَّى وَتَارَاتُ الزَّمَانِ بِهِمْ تَهْرَا ^(٥)
 أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْهَوَى فَهُوَ بِالنُّهَى لَعَمْرُ الدَّمَى أَضْرَى مِنَ الذَّنْبِ بِالْمَغْزَى ^(٦)
 وَأَيُّ امْرِئٍ يَخْلُو مِنَ الْحَبِّ قَلْبُهُ أَلَمْ تَرَهُ حَتَّى الْجَمَادُ بِهِ اهْتَرَا ^(٧)
 وَلَكِنَّهُمْ شَتَّى فَمِنْ هَابِطٍ بِهِ إِلَى الدَّرَكِ الْأَدْنَى وَمِنْ صَاعِدٍ عَرَا

- (١) هام بالمحجوب: اشتد تعلقه به. المغزى من الكلام: مقصده والمراد منه.
- (٢) ألاح: أضاء وتلألأ. أوحى: ألهم. شارف: قارب.
- (٣) مفازة ديمومة: دائمة البعد. أَرَّ خاطري: هيج نفسي. شحطه: بعده.
- (٤) اللغز من الكلام: ما يُعَمَّى به أو ما كان المراد غير ظاهر منه.
- (٥) تلوى: أصله تلوى أو تتعطف وتثنى. يريد تتعقد. تارات: مرات؛ أي أحوال الزمان. تهزا: أصله تهزا بالهمزة.
- (٦) الهوى يجترئ على العقول اجترأ أشد من اجترأ الذئب على المعيز ويحلق الشاء بالدمى جمع دمية وهي الصورة من العاج تشبه بها المرأة البالغة الحسن.
- (٧) لفرط حب الشاعر يتخيل أن الحب أثر في كل شيء حتى الجماد ودليله على ذلك تحرك الجماد فإنما هو من أثر الحب كما يرى.

وَلَا عِزًّا إِلَّا فِي هَوَى اللَّهِ وَخَدَهُ
 نَبِيَّ الْهُدَى بَحْرِ النَّدى كَاشِفِ الرَّدى
 أَجَلُ الْوَرَى شَانًا وَأَوْجَهُهُمْ إِذَا
 وَطَاشَتْ مِنَ الرَّوْعِ الْقُلُوبُ وَجَاشَتْ الـ
 مَقَامَ تَذُوبِ الشَّمِّ مِنْ عَظْمِ هَوْلِهِ
 وَلِلْمُضْطَفَى فِيهِ الشَّفَاعَةُ وَالْعُلَى
 وَلا بِنْتِهِ الْقَدْرُ الْجَلِيلُ وَكَيْفَ لَا
 يُقَالُ لِأَهْلِ الْجَمْعِ غُضُّوا جُفُونَكُمْ
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْقَى مِنَ الْكَوْنِ الرَّطْمَا
 وَنَجْلَاهُمَا الرَّيْحَانَتَانِ اللَّذَانِ مِنْ
 نَجْهَمَتِ الدُّنْيَا لَهُمْ وَتَسَوَّرَتْ
 وَأَبْنَاؤُهُمْ مِنْ كُلِّ طَّلَاعٍ أَنْجِدِ
 مَسَاعِيرُ لَا يَقْضُونَ حَتْفَ أَنْوْفِهِمْ
 وَحُبِّ الَّذِي هَانَتْ بِهِ اللَّاتُ وَالْعُرَى
 بِرَغَمِ الْعِدَا قَدْ جَزَّ أَمْرَاسُهُ جَزًّا^(١)
 تَطَايَرَتِ الْأَلْبَابُ وَاشْتَدَّتِ الْأَرْزَا
 كُرُوبٌ وَلَا مَنْجَى يُعِيدُ وَلَا حِرْزًا^(٢)
 وَكَمْ مِنْ وُجُوهِ فِيهِ يَوْمَئِذٍ تُخْزَى
 تَنَاهَى وَغَايَاتُ الْكِمَالِ لَهُ تُعْزَى^(٣)
 وَبِالنَّصِّ عَنْهَا رَبُّهَا أَذْهَبَ الرَّجْزَا^(٤)
 لِيَتَغَبَّرَ فِي وَفْدِ يَرُوعِ النَّهَى طِرَازَا^(٥)
 سِوَى الْمُرتَضَى الرَّاقِي مِنَ الشَّرَفِ النَّشْرَا^(٦)
 مُصَابِنَهُمَا وَهِيَ الْعُلَى أَعْوَزَ الْخِرْزَا^(٧)
 عَلَيْنَهُمْ بَلَابِيهَا وَحَقُّهُمْ ابْتِزَا^(٨)
 لَدَى الرَّوْعِ لَا يَلْتَاثُ بَلْ يَسْبِقُ الرَّكْزَا^(٩)
 وَلَكِنْ كِرَامًا فِي مَجَالِ الْوَعَى جُرْزَا^(١٠)

(١) جزّ: قطع. الأمراس: الحبال.

(٢) طاشت: اضطرت. يعيد: يحمي. يريد يوم القيامة.

(٣) تعزى: تنسب.

(٤) الرجز: العذاب والرجس. وأما النص فقولته تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

(٥) الطرز: الشكل والهيئة.

(٦) يريد بالريحانتين الحسن والحسين. الوهي: الشق. خرز الجلد. ثقبه بالمخرز وخاطه.

(٧) تجهمت الدنيا لهم: استقبلتهم بوجه عابس. تسور الحائط: تسلقه وصعد عليه. ابتز: سلب.

(٨) أنجد: جمع نجد، وطلاع أمجد: مجرب للأمور يعلوها ويقرها. الروع: الفرع. يريد

الحرب. الثالث: اختلطت الأمور عليه. الركب: الطعن بالرمح.

(٩) المساعير: جمع مسعار وهو ما تحرك به النار: مات حتف أنفه: مات على الفراش لا في

ساحة الحرب. يقال أرض جُرْز: قطع نباتها أو أكل. إنهم يقضون في ميدان الحرب.

أَوْلَيْتَكَ حِزْبُ اللَّهِ كَمْ هَالِكٍ بِهِمْ وَكَمْ مُخْلِصٍ فِي وَدَّهِمْ بِالنَّبَا يُجْرَى ^(١)
 تَرَاهُمْ يَطِيعُونَ هُنَا أَوْ غَدًا إِذَا أَرَزْنَا إِلَى الْمَأْمُولِ مِنْ جَاهِهِمْ أَرَزَا؟ ^(٢)
 بِحُرْمَةِ أَصْحَابِ الْكِسَا يَذْهَبُ الْأَسَى مَتَى حَزَّ نَضْلُ الْبَأْسِ صَدْرَ الرَّجَا حَزًّا ^(٣)
 رَبَّطْتُ بِهِمْ حَبْلِي وَأَرَبْتُ عُقْدَتِي وَأَعَدَدْتُهُمْ لِلْأَزْلِ فِي عُسْرَتِي كَنْزًا ^(٤)
 وَإِنِّي لَأَرْجُو اللَّهَ غُفْرَانَهُ بِهِمْ وَإِنْ كَانَ شَأْنِي فِي عِبَادَتِهِ الْعَجْزَا
 فَإِنَّ رِضَا الْبَارِي مَنْوُوطٌ بِحُبِّهِمْ وَلِلنَّاسِ جُزْءٌ مِنْ هَوَاهُمْ وَلِي أَجْزَا ^(٥)
 أَأْظَمًا وَهُمْ رِيِّي وَرِيْقِي وَبُلْفَتِي وَلَا جُودَ إِلَّا مِنْ مَنَابِيهِمْ نَزَا ^(٦)
 أَمِنْتُ عَلَى الْأَمَالِ مِنْ كُلِّ عَثْرَةٍ لِأَنِّي قَدْ أَمْسَكْتُ مِنْ مَدْحِهِمْ غَرَزَا ^(٧)
 وَطَابَتْ بِهِمْ نَفْسِي وَأَفْرَخَ رَوْعُهَا وَبَلَّ صَدَاهَا مَرُّهَا وَدَّهْمَ مَرًّا ^(٨)
 مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى تَحِبَّةً يُضَوِّعُ رِيَاهَا أَوْلَى الصُّحْبَةِ الْغُرَّا ^(٩)



(١) هالك بهم: بسبب عداوتهم.

(٢) أرز: انضم إلى الشيء وانحاز إليه. استفهام للنفي؛ أصله أتراهم.

(٣) الأسى: الحزن. حز: قطع. النصل: حديدة السهم والسيف والسكين. البأس: الحرب.

(٤) أرب العقدة: أحكمها. الأزل: الشدة.

(٥) منوط: معلق ومتوقف.

(٦) البلغة: قوام العيش.

(٧) الغرز: ركاب الرحل من جلد؛ أي تمكنت من التعلق بهم والانتفاء إليهم بمدحي.

(٨) أفرخ الروع: انكشف أي ذهب الخوف. مَرُّ الشراب: مَصَّهُ. بل الصدى: أذهب العطش.

(٩) الملاء الأعلى: الملائكة المقربون. يَضَوِّعُ رِيَاهَا أَوْلَى الصُّحْبَةِ: يستنشقون روائحها الطيبة.

الغز: جمع غاز وهو المحارب.

القصيدة السابعة عشرة

هَذِي مَلَاعِبُهُ

هَذِي مَلَاعِبُهُ وَتِلْكَ كِنَاسُهُ مِنْ حَوْلِهَا ضَرَبَ الْخِيَامَ أَنْاسُهُ^(١)
 حَيْثُ الْمَوَاضِي وَالْعَوَالِي شُرْعٌ وَالْمَوْتُ تُذَكِّي نَارَهُ حُرَّاسُهُ^(٢)
 وَقَفَ الشَّجِي مُفَكِّراً فَتَضَاعَفَتْ حَسْرَاتُهُ وَتَصَاعَدَتْ أَنْفَاسُهُ^(٣)
 وَتَنَكَّرَتْ أَحْوَالُهُ وَتَقَطَّعَتْ آمَالُهُ وَتَغَيَّرَتْ أَحْسَاسُهُ^(٤)
 وَتَخَرَّصَ الْأَسِي وَلَا مَسَّ وَلَكِنَّ الْهَوَى صَغَبٌ يَشُقُّ مِرَاسُهُ^(٥)
 هِيَ فِكْرَةٌ قَدَحَتْ بِخَاطِرَةِ الْهَوَى لَا تُنْكِرُوهُ فَإِنَّ ذَا وَسْوَاسُهُ^(٦)
 مَا بِالْفَتَى مِنْ جِنَّةٍ لَكِنْ بِهِ لَدُنُ الْقَوَامِ جَمِيلُهُ مَيَّاسُهُ^(٧)
 الشَّمْسُ تَغِيْطُ مِنْهُ ضَوْءٌ جَبِيْنُهُ وَالرَّوْضُ يَحْسُدُهُ النُّعْمَةُ أَسُهُ^(٨)

(١) الكناس: مأوى الطيب.

(٢) المواضي: السيوف. العوالي: الرماح شرع: مسددة موجهة. أذكي النار: أوقدها. لا يستطيع العاشق زيارتها لأنها عزيزة يحرسها قومها بالرماح والسيوف.

(٣) الشجى: المشغول والحزين.

(٤) أحساس: جمع حس.

(٥) تخرص: قال بالحدس والظن. الأسى: الطيب. مس: أي مس من الجن. يشق مراسه: يصعب علاجه.

(٦) قدحت: أشعلت. الوسواس. مرض يختلط به الذهن.

(٧) الجنّة: مس من الجن. لدن القوام مياسه: جسم طري العود يتمايل.

(٨) الغبطة: تمنى مثل النعمة. الآس: شجر أوراقه دائمة الخضرة.

فَصَحَّ الْجَدَايَةَ وَالْمَهَاءَ بَطْرَفِهِ أَلْ
بَهَرَ الْعُقُولَ جَمَالَهُ فَجَلَالَهُ
كَمْ عَاشِقِي ذَابَتْ حُشَاشَتُهُ أَسَى
فَكَانَهُ الظُّهْرَ البَثُولُ بِمَوْقِفِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لَا يُغْنِي أَمْرُو
فَتَمُرُّ فَاطِمَةَ هُنَاكَ بِمَوْكِبِ
بَيْتٌ مِنَ الشَّرَفِ الْأَيْلِ عِمَادُهُ
بَيْتٌ صَرِيحُ الذِّكْرِ أَعْلَنَ فَضْلَهُ
لِمَ لَا يَسُودُ وَأُمُّهُ الرَّهْرَاءُ الَّتِي
رُوحُ السِّيَادَةِ وَالسَّعَادَةِ ذَاتُهَا
رَوْضٌ سَقَاءٌ مِنَ النُّبُوَّةِ مَاؤُهَا
يَا بِنْتَ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ بِهِ
فَتَّانٍ لَمَّا فَاتِهَنَّ نُعَاسُهُ^(١)
وَاللَّوْ إِنْ حَسَرَ اللَّثَامَ لِبَاسُهُ^(٢)
لَمَّا بَدَأَ لِلنَّاسِ أَطْرَقَ رَأْسُهُ^(٣)
تَشْتَدُّ كُرْبَتُهُ وَيُودِي بِأَسُهُ^(٤)
شَيْئاً وَذُو التَّقْصِيرِ يَغْظُمُ بِأَسُهُ^(٥)
مِنْ آلِ بَيْتِ طَهَّرَتْ أَرْجَاسُهُ
وَمِنَ الْفَضَائِلِ شُبِّدَتْ آسَاسُهُ
كَرُمَتْ أَرْوَمَتُهُ وَطَابَ نُحَاسُهُ^(٦)
فِي ثَوْبِهَا الْعِزُّ انْطَوَتْ أَجْنَاسُهُ^(٧)
سِرُّ النُّقَى نُورُ الْهُدَى نِبْرَاسُهُ
عَذَّبَتْ مَشَابِيهُهُ فَطَابَ غِرَاسُهُ
أَنْدَحَرَ اللَّعِينُ وَذَلَّ مِنْهُ شِمَاسُهُ^(٨)

- (١) الجداية: الغزالة. المهاء: البقرة الوحشية. الطرف: العين. النعاس: فترة في العيون أو السن. المعنى أنه فاق الغزالة الرشيقه والبقرة الوحشية التي يضرب بها المثل في سعة العيون بجمال عينيه عند قرب انطباقهما.
- (٢) اللثام: ما على الفم من نقاب. وحسر اللثام: كشفه. فإذا ذهب اللثام حلّ محله الجلال والهيبة.
- (٣) الحشاشة: بقية الروح في المريض والجريح.
- (٤) الطهر: النقاء من الدنس. البتول هنا: المنقطعة للعبادة التاركة لزخارف الدنيا. الكربة والبأس: الشدة. وهكذا انتقل الشاعر وأحسن التخلص من الغزل إلى مدح آل البيت.
- (٥) يوم لا يغني امرؤ شيئاً: يوم لا يغني أحد عن أحد شيئاً فكل إنسان وعمله.
- (٦) صريح الذكر: نص القرآن. الأرومة والنحاس: الأصل.
- (٧) في ثوبها العز: كناية عن ملازمته لها.
- (٨) يريد باللعين: الشرك أو الشيطان وقد خضع وضعف شره أو ذهب.

وَقَرِينَةَ الْبَطْلِ الَّذِي اَنْدَحَرَ الرَّدَى بِقِرَاعِهِ وَتَجَدَّمَتْ أَمْرَاسُهُ^(١)
هَذَا سَلِيلُكَ قَدْ أَحَاطَ بِهِ الْعَنَا لَوْلَا رَجَاكَ لَقَبِلَ ضَاعَ قِيَّاسُهُ^(٢)
كَثُرَتْ عَلَيْهِ مَصَارِعُ الْأَمَالِ كَم رَامَ النِّجَاحَ فَمَا وَرَى مِقْبَاسُهُ^(٣)
جَمُّ الْعَيُوبِ مِنَ الذُّنُوبِ قَدْ امْتَلَأَ وَاسْوَدَّ مِنْ آثَامِهِ قِرْطَاسُهُ
يَعِظُ الْأَنَامَ وَمَا تَأَثَّرَ قَلْبُهُ مَنَعَتْ تَأَثُّرَهُ بِهِ أَذْنَانُهُ
ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ وَكَادَ لِمَا جَنَى يَهْوِي بِهِ إِثْرَ الْهَوَى خَنَاسُهُ^(٤)
لَكِنَّ طَيْفًا مِنْكَ أَنْعَمَ عَيْنُهُ وَحَشَا حَشَاهُ مَسْرَّةً إِبْجَاسُهُ^(٥)
نَهَضَ الرَّجَاءُ بِهِ وَزَالَ بِهِ الشَّقَا عَنْهُ وَبَدَّلَ بِالْغِنَى إِفْلَاسُهُ
أَخْبَيْتِ مُهَجَّتَهُ بِزُورِكَ فِي الْكُرَى فَتَعَهَّدِيهِ بِمَا بِهِ إِيْنَاسُهُ
وَتَقَبَّلِي هَذَا الْكَلَامَ وَقَلَّ فِي عَلَيَاكُمْ دُرُّ الْكَلَامِ وَمَاسُهُ
وَاجْزِي مُحَرَّرَهُ ثَوَابًا وَإِفْرَأَ لِيْنَآلَ فَضْلَ عَطَائِهِ جُلَاسُهُ



(١) القِرَاع: الضرب في الحرب؛ فقد ذهب بسيدنا عليّ الردي والأذى عن المسلمين. تجدّمت أمراسه: تقطعت حباله.

(٢) سليلك: نسلك. يريد نفسه. ضاع قياسه: ضاع قدره.

(٣) للمقباس: الشعلة: من النار كالقيس. ما وري مقباسة: لم توقد ناره. كناية عن ضياع الأمل.

(٤) الخناس: الشيطان.

(٥) الطيف: الخيال الطائف في المنام. أنعم عينه: سره. حشا: ملأ. الإيجاس: حديث النفس.

القصيدة الثامنة عشرة

بأسرته كل ينادي

بأسرته كل ينادي لدى البأس
 بكم أحتمي من كل سوء وأنتمي
 إلى الله في تفريج كربتي توجّهوا
 وفي دحر أعدائي وإكبات حسدي
 فقد رام إذلالني وناصبني العدا
 سلوا الله يشفي منه غيظي بملّة
 ويشغل عني جسمه وفؤاده
 ويوقعه في حفرة من مهانة
 فلي ذمّة منكم تسورها ولم
 أما ساءكم هنك الحريم وجوره
 إلى الله أذعو بالبراهين وهو لي
 وما لي سواكم قط يا خيرة الناس
 إليكم فهل ترضون ضيمي وإبلاسي^(١)
 وفي نيل آمالي وفي جلب إيناسي
 وفي كب من يبغي اهتضامي على الرأس^(٢)
 عدو مبين جاهل قلبه قاسي^(٣)
 تعاجله في رأسه مالها آسي^(٤)
 بضر وإسقام وغم ووسواس
 ويملاً كفيه بفقر وإفلاس
 يبال وأنتم سادة الكون حراسي^(٥)
 على الحق جوراً لا يحد بمقياس
 يعاكس عدواناً يتمويه خناسي^(٦)

(١) أبلس في أمره إبلاسا: تحير وأنكر وحزن.

(٢) الذي في كتب اللغة التي بأيدينا كبت العدو كبتاً: أخزاه وأذله؛ وليس فيها أكتبت إكباتاً.

كبت الرجل الإناء: قلبه على رأسه وكبت الرجل على وجهه: صرعه.

(٣) ناصبه العدا: قاومه وعاداه. والعدا مقصور العدا مصدر عادي ومعادة.

(٤) الآسي: الطيب.

(٥) تسور الحائط: تسلقه وصعد عليه. أنتم حراسي يا سادة الكون.

(٦) التمويه إظهار الكذب بصورة الحق. الخناس: الشيطان.

وَمَا لِي مَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ لِأَنِّي
فَأَرْفَعُ لِلْبَارِي الشُّكَايَةَ مُخْلِصاً
وَأَذِلِّي إِلَيْهِ بِأَنْكَسَارِي وَذَلَّتِي
نَبِيَّ الْهُدَى وَالْمُرْتَضَى وَبَنِيهِمَا
وَلِيَّ حُبُّهُمْ دِينٌ أَرُومٌ ثَوَابُهُ
عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ التَّحِيَّةُ مَا أَتَنَى
وَحَيْدٌ مُقِيمٌ بَيْنَ جُمَّلَةٍ نَسْنَسِ
دُعَائِي وَمُضْطَرّاً أَصْعَدُ أَنْفَاسِي
وَبِالْخَمْسَةِ الْأَرْوَاحِ نُورِي وَمِقْبَاسِي^(١)
وَفَاطِمَةَ الرَّهْمَاءِ هُمْ جَبَلِي الرَّاسِي
مِنَ اللَّهِ فِي هَذِي الْحَيَاةِ وَأَرْمَاسِي^(٢)
مُحِبٌّ بِذِكْرَاهُمْ كَمُرْتَشِفِ الْكَاسِ



(١) المقياس: الشعلة من النار كالقبس.

(٢) الأرماس: القبور. يريد بعد الموت.

القصيدة التاسعة عشرة

تَوَهَّمَنِي قَرِيرًا

تَوَهَّمَنِي قَرِيرًا بِالْفِرَاشِ عَلَى شَوْكِ الْقَتَادِ بِلَا انْتِقَاشِ^(١)
وَأَنَّ عَزِيمَتِي لَأَنْتَ وَأَنْتِي رَيْمَتْ الدُّلَّ فِي لَيْنِ الْمَعَاشِ^(٢)
وَأَعْظَيْتُ الْهَضِيمَةَ ثَنِي حَبْلِي وَلَذْتُ إِلَى الْهَزِيمَةِ فِي الْهَرَاشِ^(٣)
وَحَاشَا أَنْ تَلِينَنَّ عُرَى كَرِيمٍ تَلَزَّمَنَّ بِالْمَعَالِي وَهُوَ نَاشِي^(٤)
وَلَكِنِّي صَبَرْتُ عَلَى الْأَلَاقِي لَتَشْتَدَّ الْقَوَادِمُ مِنْ رِيَاشِي^(٥)
وَلَأَقْبِتُ الْخُطُوبَ رَحِيبَ صَدْرٍ وَزَاحَفْتُ الرِّمَانَ رَيْطَ جَاشٍ^(٦)
وَمَا قَصَّرْتُ فِي طَلَبٍ وَلَكِنْ أَرَا عِي بُظَّةَ سَيْرِ الْمُسْتَجَاشِ^(٧)

(١) قرير: مستقر ثابت. القتاد: شجر صلب له شوكة حجناء. وفي المثل دون ذلك خرط القتاد أي لا ينال إلا بمشقة عظيمة. انتقش الشوكة: أخرجها.

(٢) رثم الشيء: أحبه وألفه.

(٣) الهزيمة: الظلم. وفي الأصل الهزيمة. المعنى أسلم نفسه للظلم كالدابة التي يضم صاحبها حبلها إليه فتتقاد. الهراش: المقابلة.

(٤) حاش: معاذ الله. لا يمكن. تلين العروة: تضعف الروابط. ناشي: أصله ناشئ بالهمزة أي صغير. أخذ نفسه بالمعالي والمكارم وهو ناشئ فمثله لا يقبل الضيم. لم نجد في كتب اللغة التي بأيدينا تلزم بل لزمت والتزم.

(٥) الألاقي: الشدائد. القوادم: عشر ريشات في مقدم الجناح يعتمد عليها في الطيران.

(٦) ريط الجاش: شديد القلب شجاعاً.

(٧) استجاش فلاناً: أناره وطلب منه جيشاً ومدداً.

وَأَحْرَزْتُ النُّهُوضَ لِيَوْمِ صِدْقٍ يَكُونُ الْجَوُّ مُعْتَكِرَ الْخَوَاشِي (١)
 وَتُمْتَحَنُ الْأَسَافِلُ بِالْأَعَالِي وَتَشْتَنِلُ الْأَجَادِلُ بِالْخَشَاشِ (٢)
 وَفِي جَآءِ النَّبِيِّ وَمَنْ يَلِيهِ أَرْجِي حُسْنَ عَاقِبَةِ أَنْكِمَاشِي
 بِنَضْرٍ فِيهِ أَوْصَالُ الْأَعَادِي تَطَايِرٌ مِثْلُ أَجْنِحَةِ الْفَرَاشِ (٣)
 وَفِيهِ وَفِي سُورُونَ أَبِي تُرَابٍ عَرَاءٌ مِنْ أَدَى الْفِتَنِ الْغَوَاشِي (٤)
 فَكَيْفَ نَضِيقُ وَالْدُّنْيَا تَلَوَى لِأَشْرَفِ رَاكِبٍ وَأَعَزِّ مَاشِي (٥)
 فَمَا سَلِمُوا وَهُمْ خَيْرُ الْبَرَايَا مِنْ الْبَلَوَى وَلَا مِنْ قَوْلِ وَاشِي
 لَقَدْ وَقَعُوا بِثَالِثَةِ الْأَثَافِي وَلَاقُوا فِي الْهُدَى لَدَغَ الرَّقَاشِ (٦)
 وَبَاعُوا الْأَهْلَ وَالْأَمْوَالَ فِيمَا يُؤَيِّدُهُ وَضَحَّوْا بِالْحُشَاشِي (٧)
 وَزَالُوا عَنِ مَوَاطِنِهِمْ وَلَاذُوا عَلَى كُرُوهِ بِيَثْرِبَ وَالنَّجَاشِي
 وَمَا وَهَنُوا وَمَا زَالُوا بِضَرْبٍ دِرَاكٍ لِلْأَعَادِي أَوْ نِقَاشِ (٨)
 فَأَشْرَقَتِ الْحَقِيقَةُ مِنْ بَيَانٍ تَلَاهُ الطَّعْنُ نَضَاحَ الرَّشَاشِ (٩)

(١) اعتكر الجو: تغير، وفلان في الحرب على خصم حمل. الحواشي: النواحي، الجوانب. يريد أن يكون الجو صالحاً للحرب.

(٢) الأجادل: جمع أجدل وهو الصقر. الخشاش: حشرات الأرض.

(٣) الأوصال: الأعضاء. تطاير: أصله تتطاير.

(٤) الفتن: جمع فتنة وهي الضلال والإثم. الغواشي: جمع غاشية وهي هنا الغطاء والغرض أن الفتن عامة.

(٥) تلوي: تتلوى وتتثنى محذوف التاء الأولى. لنا أسوة بسادة الناس وأشرافهم فلا نضيق بأذى الدنيا.

(٦) الأثافية: أحد الحجارة التي توضع عليها القدر. ورماء بثالثة الأثافي أي بشر عظيم. رقاش كسحاب: الحية.

(٧) الحشاش: بقية الروح في المريض والجريح.

(٨) دراك: متلاحق. ناقشه نقاشاً: جادله وحاوره.

(٩) النضاح: الغزير من المطر. الرشاش: ما تطاير وتفرق من الماء.

- وَهَرَّ الْأَرْضَ ذُلَّ جَبَوشِ كَسْرِي وَقَيَصَرَ مِنْ هُجُومِ أُولِي الْحِفَاشِ^(١)
- سَأْمُضِي فِي طَرِيقَتِهِمْ بَرَاحاً إِلَى قُلَلِ الْمَكَارِمِ غَيْرِ خَاشِي^(٢)
- وَأَنْظُرُ فُرْصَةً وَبِحَوْلِ رَبِّي سَأَكْشِفُ هَذِهِ الْمِحْنَ الْعَوَاشِي
- أُنَازِعُ فِي الْمَقَادَةِ صَرْفَ دَهْرِي وَمِنْهُ رَأَيْتُ آتَارَ ارْتِهَاشِ^(٣)
- وَقَرُظَ الْمَيْلِ عُنْوَانُ اغْتِدَالِ وَطُولِ النَّوْمِ مَجْلَبَةُ ارْتِعَاشِ^(٤)
- وَإِنْ كَانَ الَّذِي انْدَمَجَتْ عَلَيْهِ طِبَاعُ الْقَوْمِ دَاعِيَةً انْدِهَاشِ
- وَأَفْسَدَ شَنِيبَهُمْ حَسَدٌ وَلَوْمْ وَسَارَ مِنَ الشَّبَابِ إِلَى النَّوَاشِي^(٥)
- فَإِنَّ خِلَالَ هَذَا الْخُبْثِ تَبْدُو أَشَائِرَ بَشَّرَتْ بِالْانْتِيَاشِ^(٦)
- كَذَا الْأَيَّامُ فِي خَيْرٍ وَشَرٍّ تَجَارِي وَالتَّامِ وَانْتِفَاشِ^(٧)
- وَإِنْ كَثُرَ الْأَعْرَءُ فِي عُدَاتِي كَمَا كَثُرَ الطُّبَاءُ عَلَى خِدَاشِ^(٨)
- فِي الضُّعْفَاءِ لِي أَمَلٌ كَبِيرٌ وَمَا إِلَّا بِهِمْ صَرْبُ الْكِبَاشِ^(٩)

(١) الحفاش جمع حفش: وهو البيت الصغير أو رديء المتاع.

(٢) البراح: الأرض الواسعة أي لا يعوقني شيء. القلة من كل شيء أعلاه. غير حاش: غير خائف.

(٣) المقادة: أي لا أنقاد لنواب الزمان فأذل. ارتهاش: ارتعاش. فقد تغلبت عليه وهزمته.

(٤) النفس ميالة للتغيير فإذا غالى الإنسان في شيء كان ذلك غير طبيعي وهو أمانة على صيرورته إلى الاعتدال وكذلك طول النوم غير طبيعي وهو مجلب اليقظة.

(٥) الناشئة: السحابة أول نشتها، يريد الصغار.

(٦) الأشائر: الدلائل. الانتياش: تناول الشيء وإظهاره.

(٧) تجاري القوم: جروا معاً وأصله تتجاري. والتتام وانتفاش: اجتماع وتفرق

(٨) يشير إلى قول الشاعر كما في اللسان. تكاثرت الطبء على خداش فما يدري خداش ما يصيد والذي نحفظه في البيت خراش بالراء يقول: فليكن أعدائي أقوياء أعزة؛ كما اجتمعت الطبء أمام خداش متماثلة فما يدري أيها يصطاد.

(٩) الضعفاء: أتباع الأنبياء يقويه الله فيهمون الأقوياء. وهو جواب الشرط.

فإن عشنا وساعدنا رفيقاً من التوفيق ماضٍ غير رأشي^(١)
 فيا ونل العدا مني وبشرى لضبّ ذحولهم بالاختراش^(٢)
 وما لي غير نضر الدين حاج وقهر المفسدين ولا أحاشي^(٣)
 وقد أنزلت حاجاتي بربي ليقضيها كما قضى الأراشي^(٤)
 ولي في الخمسة الأزواج حب جرى في سائري حتى مشاشي^(٥)
 بهم أستمنطر الرحمن ربي ومنهم لم يزل ري العطاش
 وتحت لوائهم أزجو أمانى لدى الأهوال والعقل المطاش^(٦)



(١) غير راش: غير لين.
 (٢) الذحل وجمعه ذحول: الثأر. احترش الضب احتراشاً: صاده.
 (٣) حاج: حاجة ومقصد. لا أحاشي: لا أستني.
 (٤) الأرش: الذية التي تدفع على الجرح وغيره وجمعها أروش. وقضاها: قضاها ودفعها.
 (٥) المشاش: جمع مشاشة وهي رأس العظم.
 (٦) المطاش: من أطاش. والطيش هو الفزع والاضطراب.

القصيدة العشرون

هَوَى صَانِنَا

هَوَى صَانِنَا فِيهِ الْعَفَافُ عَنِ الْفَحْشَا وَإِنْ مَلَأْتُ مِنَّا لَوَاعِبُهُ الْأَحْشَا
 وَوَضِلُّ عَلَى طُولِ التَّوَى أَنْعَمْتُ بِهِ فَجَاءَتْ تُغَيِّرُ الْبَدْرَ بِاللَّيْلِ إِذْ يَغْشَى ^(١)
 فَبِتْنَا كَمَا شَاءَ الْهَوَى نَجْتَنِي الْمُنَى أَفَانِينَ لَا نُضْفِي لِوَاشٍ وَإِنْ وَشَى ^(٢)
 غَنِينَا بِرَشْفِ الثُّغْرِ عَنْ صَرْخِدِيَّةٍ لَهَا لَهَبٌ تَرْوِي بِرُؤْيْتِهِ الْعَطْشَى ^(٣)
 ثَمَلْنَا وَمَا قُلْنَا لِنَشْوَتِنَا قِي فِي فَلَا عَيْبَ فِي الْأَسْرَارِ نَحْذَرُ أَنْ تُفْشَى ^(٤)
 لَنَا الصَّوْنُ فِي الدُّنْيَا أَمَانٌ وَفِي غِدٍ نَلُوذُ بِخَيْرِ الْمُرْسَلِينَ فَلَا نَخْشَى
 إِذَا غَيَّرَ الْبَارِي النُّظَامَ وَرَكَّبَ الْ عِظَامَ وَجَاءَتْ وَهِيَ مِنْ هَيْبَةِ دَهْشَى ^(٥)
 وَطَاشَتْ مِنَ الْخَوْفِ الظُّنُونُ وَغَارَتْ الـ عَيْونَ وَجَشَّتْ مَاءَ آمَاقِهَا جَشَا ^(٦)
 لَا تَفْصَى الْعُرَى مِمَّا جَرَى ثَمَّ وَالْوَرَى تَرَاهَا إِلَى سَامِي الذَّرَى زُمْرًا جَهْشَى ^(٧)

(١) أغاره: حملة على الغيرة. يغشى: يغطي بظلمته.

(٢) المنية: ما يتمناه المرء والجمع منى. أفانين: أنواع. الواشي: النمام. وشى: كذب.

(٣) صرخد: بلد بالشام ينسب إليه الخمر. لها لهب: أي لون الخمر كلون اللهب.

(٤) ثمل: سكر. يريد بالنشوة تجدد السكر.

(٥) جاءت النفوس يوم القيامة.

(٦) طاشت الظنون: اضطربت وتحيرت. جشت: نقت. الآماق: جمع موق وهو مؤخر العين

مما يلي الصدغ. لم تبق العيون ماء في الآماق

(٧) تفصى العرى: تنفصل الروابط ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهين﴾ ثم: هناك جهش: فزع وقدهم بالبكاء.

هناك يَخْرُ ابنُ العواتِكِ ساجِداً
ولا يَسْتَوِي حتى يَجَابَ دُعاؤُهُ
أَيَفْقُلُ عن خُدَامِهِ وَعِيالِهِ
نَبِيٌّ بَرَأَهُ اللَّهُ لِلخَلْقِ رَحْمَةً
لَهُ الفضلُ حتَّى أن مَوْضِعَ قَبْرِهِ
لِمَهْجَرِهِ تَهْوِي القلوبُ لِأنَّهُ
فيا ليتَ شِعْرِي هل يُبَلِّغُنِي المُنَى
دياراً عليها للملائِكِ رَحْمَةً
دياراً يَطيبُ العيشُ فيها لِأنَّهُ
بلاذٌ إليها مِنْ شَرِيفِ مَقَامِهَا
حبيبي رسولَ اللَّهِ ناداكِ وامِقٌ
تُحارِبُهُ الأيامُ في كلِّ حالَةٍ
فهل أنتَ يا مولاي راحمٌ عَبْرَةٌ
وسامِعٌ شَكْوَى مُخْلِصٍ لكَ وَدَّةٌ

وَيُلْهِمُهُ اللَّهُ المَحامِدَ في الإنْشا^(١)
فَتَنْتَعِشَ الآمالُ حينئذٍ نَعْشا
عَدَاةٌ يُوافونَ المَهالِكِ والبَطْشا
وأَسْعَدَ حتَّى الجِنَّ والطَّيْرَ والوَحْشا
كما قيل في تَخْصِيصِهِ يَفْضَلُ العَرْشا
بِهَ أَبْداً حَيٍّ وتَشْتاقُ لِلْمُنْشا^(٢)
دياراً يَمْشُ العَفْوَ فيها الخَطَا مَشا^(٣)
بأنوارِها في الليلِ يَسْتَضِيحُ الأَعْشا^(٤)
عليه سَلامُ اللَّهِ فيها بَنى العُشا
على الراسِ والعينينِ يَلْزَمُ أن يَمْشَى
أناخَ عليه الدهرُ يَخْذِشُهُ خَدْشا^(٥)
وتَنْهَشُهُ حياثُ آفاتِها نَهْشا
ويثُ به مُضْناكُ خَاطِرُهُ يُخْشى^(٦)
يؤمِّلُ مِنْ هامي مَواهِبِكَ الرِّشا^(٧)

- (١) العاتكة: طيبة الرائحة؛ وجدات النبي ﷺ الملقبات بالعواتك تسع. ألهمه الله: أوحى إليه أو ألقى في روعه. يريد بالإنشاء النشأة الأخرى (يوم القيامة) والمحامد جمع محمداً: ما يحمد عليه صاحبها ويشني عليه. يخر النبي ﷺ ساجداً لله راجياً الشفاعة لأمة.
- (٢) تهوى القلوب: تميل وتتعلق. والمهجر: مكان الهجرة «المدينة». والمراد بالمنشا «مكة المكرمة».
- (٣) مش الرجل يده: مسحها بشيء لتنظيفها. الخطأ: الذنب؛ أي إن زيارة دار الهجرة من أسباب الغفران.
- (٤) استصبح: أوقد المصباح ليرى. الأعشى: من لا يبصر ليلاً.
- (٥) الروامق: المحب. أناخ عليه الدهر: حلّ به البلاء. خدشة: جرحه.
- (٦) العبرة: الدمعة. البث: الغم الشديد. الخاطر هنا: القلب. حشا فلاناً بسهمه: أصاب حشاه.
- (٧) الهامي: الماء السائل الكثير. الرش: المطر القليل.

أَنْظَتْ بِكَ الْأَمَالَ فَاْمُنُنْ بِلِحْظَةٍ يُمَهِّدُ لِي الْبَارِي بِهَا لُظْفَهُ فَرَشَا^(١)
 فَمَا لِي إِلَّا أَنْتَ وَابْنَاكَ وَالَّذِي لَهَاذِمُهُ أَشْوَى مِنَ الْحَيَةِ الرَّقْشَا^(٢)
 وَبِضْعَتِكَ الزَّهْرَاَ الَّتِي ذَابَ قَلْبُهَا لِفَقْدِكَ وَاخْتَارَتْ عَلَيَّ إِثْرَكَ النَّعْشَا^(٣)
 خُذُوا لِي بِثَارِي مِنْ زَمَانِي وَأَهْلِيهِ فَقَدْ أَضْمَرُوا لِي الْمَكَرَ وَالشَّرَّ وَالغِيْشَا
 وَكَادُوا وَلَكِنِّي عَلَيَّ بِجَاهِكُمْ مِنْ اللَّهِ أَحْرَاسٌ تُهَابٌ وَلَا تُرْشَى^(٤)
 عَلَيْكُمْ صَلَاةُ اللَّهِ مَا غَبَسَ الدُّجَى وَمَا افْتَرَّ بَرْقٌ بِالْغَمَامِ وَمَا طَشَا^(٥)



(١) ناط به الآمال: علقها عليه.

(٢) اللهزم: الماضي من الأسنة. أشوى: أشد أذى. الرقشاء: ذات نقط سود وبيض وهي من أخبث الحيات.

(٣) بضعته: جزء منه. النعش: سرير لميت وهو عليه.

(٤) كاد عدوه: مكر به. لا ترشى: لا تقبل رشوة فترك حمايته.

(٥) غبس الليل: ظلامه. طشت السماء: رشت.

القصيدُ الحادية والعشرون

رَامَ التَّقَاظَ الدُّرَّ

رَامَ التَّقَاظَ الدُّرَّ مِنْ أَلْفَاظِهَا فَرَمَتْ سَوَادَ فَوَادِهِ بِلِحَاظِهَا^(١)
 فَكَأَنَّ نُورَ الْوَرْدِ مِنْ وَجَنَاتِهَا نَارٌ تُذِيبُ حَشَاءَهُ بِشُؤَاظِهَا^(٢)
 هِيَ لِحْظَةٌ سَلَبَتْ حِجَاهُ وَلَفْظَةٌ مَا زَالَ مُنْتَشِياً بِفَضْلِ لِمَاظِهَا^(٣)
 لَوْ أَنَّهُ عَرَفَ الْهُوَى مِنْ قَبْلِهَا مَا سَامَ مُهْجَتَهُ بِسُوقِ عَكَازِهَا^(٤)
 وَلَمَّا تَصَدَّى عَنْ رِضَى لِبَلِيَّةٍ بَعَلَتْ بِهَا الْحَذَّاقُ مِنْ إِلْطَاظِهَا^(٥)
 وَعَلَى التَّعَايِي قَدْ تَكُونُ وَسِيلَةً لِسَعَادَةِ الْأَرْوَاحِ وَاسْتِيقَاظِهَا^(٦)
 فَالْنَفْسُ تَكْسِبُ بِالْمَحَبَّةِ رَقَّةً تُضْغِي بِهَا لِلنُّضْحِ مِنْ وُعَاظِهَا
 طَرُقَ الْجَمَالَ إِلَى الْكِمَالِ كَحَالَةِ الْأَزْهَارِ يُفْضِي نَمْرَهَا لِلْفَاظِهَا^(٧)

(١) اللحاظ: مؤخر العين مما يلي الصدغ أي بنظرتها.

(٢) المعروف في كتب اللغة التي بأيدينا الحشى وقد مد الشاعر المقصور. الشواظ: لهب لا دخان فيه.

(٣) الحجا: العقل. اللماظ: الشيء يذاق.

(٤) سام: عرض للبيع. سوق عكاظ: من أعظم أسواق العرب في الجاهلية، كان العرب يجتمعون فيها كل سنة يتبايعون ويتفاخرون ويتناشدون الشعر. وسوق عكاظ بمرحلة من عمل الطائف على طريق اليمن.

(٥) بعل: دهش وتحير. الحذاق: جمع حاذق وهو الماهر. الإلطاظ: الإلحاح.

(٦) تعايا الأمر عليه: أعجزه ولم يهتد لوجه مراده.

(٧) الجمال وسيلة الكمال فإذا بلغت المقصد فاطرح الوسيلة. ومثل ذلك الأزهار تفضي إلى الإثمار فإذا أثمرت ذبلت وذهب جمالها. اللفاظ: جمع لفاظة طرح الشيء.

فاضرف عَنِ الْخُودِ الْهُوى وَاعْلَقَ بِمَنْ
 خَيْرِ النَّبِيِّنَ الَّذِي لَأَنْتَ بِهِ الْأَ
 فَصَفْتَ مَوَارِدُهُ عَلَى رَغْمِ الْعِدَا
 وَعَنْتَ لِمَلَّتِهِ الْأَنَامُ بِأَسْرِهِا
 وَيُثْوِرُو الْعَرَبُ اهْتَدَتْ مِنْ عَيْبِهَا
 كَأَنْتَ بِمَذْرَجَةِ الشَّقَاءِ فِجَاءِهَا
 فَسَمَتْ بِهِ مَعَ ضَعْفِهَا حَتَّى انْتَحَتْ
 فَتَزَلَّزَلَتْ مِنْهَا الْعُرُوشُ وَتُكَّسَتْ
 شَرَفٌ عَظِيمٌ مِنْ مَهَابَتِهِ الْعِدَا
 شَرَفٌ إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ وَاللَّهُ
 يُنَجِّي النَفُوسَ هَوَاهُ يَوْمَ فَوَاطِظِهَا^(١)
 يَامَ لِلْإِسْلَامِ مِنْ إِغْلَاطِهَا^(٢)
 مِنْ كُلِّ ظَامِيءٍ مُهْجَةٍ مُنْتَاطِظِهَا^(٣)
 مِنْ ذِي دِمَائَتِهَا إِلَى جَوَاطِظِهَا^(٤)
 وَيَهْدِيهِ ائْتَلَفْتُ بِإِثْرِ شِطَاطِظِهَا^(٥)
 بِسَعَادَةِ نَظْمَتِ جَمِيلِ أَحَاطِظِهَا^(٦)
 تُضَلِّي مَلُوكَ الْأَرْضِ مِنْ أَقِيَاظِهَا^(٧)
 غَلَبُ الرُّؤُوسِ لِبَاسِهَا وَعِظَاطِظِهَا^(٨)
 رَجَعَتْ بِشِدَّتِهَا عَلَى أَرْعَاطِهَا^(٩)
 كَالْعَيْنِ مِنْهُ مُحَاطَةٌ بِجِحَاطِظِهَا^(١٠)

- (١) الفواظ: الموت. في البيت حسن تخلص من الغزل إلى مدح النبي وآله.
- (٢) أغلظ له القول: كلمه كلاماً عنيفاً. والغلظ: الأرض الخشنة الصلبة وجمعه أغلاظ.
- (٣) المهجة: الروح: صفت موارده: تيسر أمر الإسلام وانتشر مع وقوف الأعداء وتجمعهم وهم في ظماً إلى الشر.
- (٤) عنت: خضعت. ذو الدمانة: السهل كريم الخلق. الجواظ: الضخم المختال الكثير الجلبة في الشر.
- (٥) الغي ضد الرشد. الشظاظ: العود الذي يدخل في عروة الجوالق ليشد به. هو الدين والألفة نتيجة له.
- (٦) أحاط: جمع حظ أي نصيب.
- (٧) القيط: شدة حر الصيف وجمعه أقياظ.
- (٨) الغلباء: من القبائل العزيزة الممتنعة وجمعها غلب. لباسها: لباسها أي شدتها وقوتها. العظاظ: الشدة والغلبة.
- (٩) أرعاط: جمع رُعظ هو من السهم مدخل النصل فيه. رجعت بقوتها على نصالها فأهلكت نفسها.
- (١٠) الجحاط: محجر العين.

لُذُّ بِالنَّبِيِّ وَبِنْتَيْهِمَا فَبِهِمْ أَمَانُ الْخَلْقِ يَوْمَ كَظَاظِهَا^(١)
 وَأَبِي تُرَابٍ صَاحِبِ الْإِلْهَامِ مُرُ دِي الْهَامِ مُنْسِي الشُّوسِ وَضَفَّ حِفَاظِهَا^(٢)
 شَهِدَتْ لَهُ الْأَخْبَارُ بِالتَّجِيلِ وَالتَّ فَضِيلِ وَأَسْأَلُ مُنْصِفِي حُفَاظِهَا
 فَعَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالبَرَكَاتُ مَا طَوَّتِ الْفَلَا الْأَنْضَا عَلَى أَوْقَاظِهَا^(٣)



(١) كظه كظاظاً: ملاءه همأ. يوم الكظاظ: يوم القيامة.
 (٢) ألهمه الله: ألقى في روعه. مردي: ملك. الهامة: الرأس من كل شيء وهام القوم: رئيسهم والجمع هام. الأشوس: المتكبر وجمعه شُوس. الحفاظ: الأنفة والحمية.
 (٣) الأنضا: أصله الأنضاء جمع نضو وهو المهزول من الإبل وغيرها. على أوقاظها: على حالاتها من الإعياء والعجز عن النهوض. يقال: وقظه أثقله؛ وجمل وقيط: أي مثبت لا يقدر على النهوض. أي ما طوت هذه النوق المهازيل الفلاة على ما بها من عجز وإعياء. وعادة ثلها أن تقطعها في أطول زمن. وفي الأصل أوقاظها بالفاء ولم نجده في كتب اللغة.

القصيدة الثانية والعشرون

شُغُولٌ

شُغُولٌ هَلْ تَوُؤَلُ إِلَى فَرَاعٍ فَقَدْ غَيَّرَنَ مِنْ هَمِّ صِبَاغِي^(١)
 أبيتُ مُوزَّعَ الأفكارِ غَمًّا يَذُوبُ لِحَرِّ لَوَعَتِهِ دِمَاغِي
 كأنَّ الزُّهْرَ عَيْنٌ تَسْتَبِينِي بِرَوْنِقِهَا أبيتُ لَهَا أَنَاغِي^(٢)
 وما حُبُّ الجَمالِ أَطالَ لِيَلِي وَلَكِنْ جَدَّ دَهْرِي فِي مَضَاغِي^(٣)
 وَلِي بِالخَمْسَةِ الأَزْوَاحِ جَاءَ مِنْ المَوْلَى بِهِ أَرْجُو بِلَاغِي^(٤)
 عَسَى بِذَمَائِهِمْ لِلحَالِ قَلْبٌ كحالِ الجِلْدِ يُدْرَجُ فِي الدِّبَاغِ^(٥)
 يُعَاجِلُنِي الكَرِيمُ بِفَيْضِ فَضْلِ أَرَى عَيْشِي بِهِ حُلُوَ المَسَاغِ
 وَيَنمُرُنِي وَأَوْلَادِي بِلُطْفِ وَيَكْبِتُ كُلَّ ذِي حَسَدٍ وَبَاغِ



(١) الصباغ: ما يلون به الثوب.

(٢) سبى العدو واستباه: أسره، الرونق: الحسن، ناغاه: كلمه بما يعجبه.

(٣) المضاع: المضغ وما يمضغ.

(٤) البلاغ: بلوغ المأمول وتحقيق الرجاء.

(٥) الذمام: الحرمة. يدرج: يطوي. أي عسى ينقلب الحال بسرّ حرمتهم فيطوى ويذهب العسر

كما يذهب حال الجلد في الدباغ ولا يبقى لحاله الأول أثر. يقال: أدرج الشيء في الشيء

طواه وأدخله. وأدرج الميت في القبر أدخله.

القصيدۃ الثالثة والعشرون

مَرَّتْ لِيَالِي الشَّقَا

مَرَّتْ لِيَالِي الشَّقَا وَالْوَجْدُ يَنْلَعُهُ يُضْبِيهِ غَانِ رَخِيمُ اللَّفِظِ أَلْتُنُهُ^(١)
يَكْفِيهِ مَا عِنْدَهُ مَا لِلْهَوَىٰ وَلَهُ؟ أَسْتَبِيهِ الدُّمَىٰ وَالدهرُ يَمْضُغُهُ؟^(٢)
إِلَى الْعُلَى سَعِيُهُ وَالْحِظُّ يَدْفَعُهُ لَكِنَّ هَمَّتَهُ الشَّمَا تُبَلِّغُهُ
وَالْمَجْدُ يُعَشِّقُ لَوْلَا مَا يَعْنُ لِمَنْ يَهْوَاهُ مِنْ مَحَنِ هُوجٍ تُرَوِّغُهُ^(٣)
أَلَا تَرَاهُمْ أَلُوفًا فِي مَدَارِجِهِ وَلَنْ تَرَىٰ غَيْرَ أَفْرَادٍ تُسَوِّغُهُ^(٤)
مَا فِي مُعَاكَسَةِ الْأَيَامِ مَنْقَصَةٌ فَالْحُرُّ يَفْدُغُهَا يَوْمًا وَتَفْدُغُهُ^(٥)
هَذِي بِحَيْرَتِهَا وَأَذْكَرُ إِذْ أَنْدَقَتْ بِشَرِّهَا لِأَعْرُ الْخَلْقِ تَفْرُغُهُ^(٦)
لِأَلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ شِدَّتِهَا وَعَيْنُهَا لِكِلَابِ النَّارِ تَرْفَعُهُ^(٧)

- (١) تلغ رأسه كمنع شقه. أصبت الجارية فلاناً: شاقته ورجعته إلى الصبا. الغانية: المرأة تستغني بجمالها عن الزينة. والمعنى على ذلك ولكنه استعمل الضمير للمذكر. رخييم الصوت: لينه رقيقه. الألف: الذي بلسانه تحول من حرف إلى حرف. وقد يكون طريفاً في النساء.
- (٢) الدمى جمع دمية: التمثال الجميل يقصد الحسنات. اجتمع عليه عذابان؛ التعلق بالجمال ومصائب الدهر.
- (٣) يعن: يعرض. محن هوج: مصائب عنيفة. تروغ: تجعله يحيد عنه.
- (٤) في مدارجه: في طرقه. سوغ الشيء: أباحه وسوَّغ له كذا: أعطاه إياه والمراد تحصل عليه.
- (٥) فدغ: شدخه.
- (٦) النحيزة: الطبيعة. تفرغه: تقصده.
- (٧) ترفعه: تتمتع بخيره وخصبه.

كم مِنْ سِلَاحٍ لِأَعْدَاءِ الشَّرِيعَةِ فِي
 وَكَمْ تَجَنَّثَ عَلَيْهِمْ وَاجْتَرَتْ وَلَكُمْ
 حُكْمٌ مِنَ اللَّهِ مَطْوِيٌّ عَلَى حِكْمِ
 يَا مَعْدِنَ الْجُودِ يَا رُوحَ الْوُجُودِ بِكُمْ
 وَاسْتَفْحَلَ الدِّينُ وَاشْتَدَّتْ قَوَائِمُهُ
 أَنْتُمْ وَسَيْلَتُنَا فَارْتُوا لِحَالَتِنَا
 مِنْ هَوْلٍ مَا نَابَهُ صَارَ الْغَيُورُ أَسَى
 فَاغْنُوا بِهِ فَهُوَ وَادِيكُمْ وَمَا بَرِحَتْ
 وَاسْتَمَطَرُوا اللَّهَ لِي مِنْ غَيْثِ رَحْمَتِهِ
 وَأَنْ يُزِيلَ عَنِ الْقَلْبِ الْكُرُوبَ وَأَنْ
 وَأَنْ يُوَفِّقَنِي لِلصَّالِحَاتِ وَأَنْ
 لَا زَلْتُمْ ذُخْرَنَا فِي كُلِّ نَائِبَةٍ

دِمَاءٍ أَطَهَرَ خَلْقِ اللَّهِ تُولِغُهُ^(١)
 وَشَى عَلَيْهِمْ قَبِيحُ الْقَوْلِ صَيِّغُهُ^(٢)
 بِاللُّطْفِ مَهْمَا أَكْفَهَرَ الْأَمْرُ يَصْبِغُهُ^(٣)
 تَنَبَّهَ الْحَقُّ لِلطُّغْيَانِ يَدْمَغُهُ^(٤)
 وَاسْتَحْصَفْتُ يَا حُمَاةَ الْمَجْدِ أَرْسَغُهُ^(٥)
 فَالْجَوْرُ فِي قَطْرِنَا أَغْيَا تَبَيِّغُهُ^(٦)
 يَغْضُهُ فِيهِ عِنْدَ الْأَكْلِ سَيِّغُهُ^(٧)
 أَقْدَامُ نَسْلِكُكُمْ الْمِيمُونَ تَدْبِغُهُ^(٨)
 حُسْنَى تَدُومُ وَفَضْلًا مِنْهُ يُسَيِّغُهُ
 يَمْجِي الْهُمُومَ الَّتِي بِاللَّيْلِ تَلْدَعُهُ
 يَصُونُ صَدْرِي مِنَ الشَّيْطَانِ يَنْزَعُهُ
 عَلَيْنُكُمْ مِنْ سَلَامِ اللَّهِ أَبْلَغُهُ



- (١) أولغ الرجل كلبه: سقاه وجعل له شيئاً يلغ فيه.
- (٢) تجنى على فلان: ادعى عليه ذنباً لم يفعله. وشى عليهم: كذب وزخرف الكلام. الصيغ: الكذاب المزخرف حديثه.
- (٣) اكفهَرَ الجو: تَغَيَّرَ وتكدر. يصبغه الله باللطف: يجعل العواقب حسنة ويحول الشر إلى خير.
- (٤) يدمغه: يغلبه ويبطله.
- (٥) استحصفت: استحكمت وقويت. أرسغ: جمع رسغ: مفصل ما بين الساعد والكف.
- (٦) تبَيَّغَ عليه الأمر: اختلط. صعب تدارك مضار الجور.
- (٧) السَيِّغُ: السهل المدخل من الطعام والشراب. من هول ما حلَّ بالشاعر من ألم صار يرثي لحاله كل من عرف شأنه حتى إن الغيور من الحزن يقف الماء في حلقه، ويصبح ما ساغ وجرى في الحلق يحدث غصة وموتاً.
- (٨) هو واديكُم: سائر في طريقكم ومذهبكم. تدبغه: تحدث أثرها فيه؛ يريد أن النسل الهاشمي المبارك مقيم بوادي حضرموت.

القصيدة الرابعة والعشرون

تَذَكَّرَ الْمُنْحَنَى

تَذَكَّرَ الْمُنْحَنَى وَالرَّوْضَةَ الْأَنْفَا وَعَهْدَ أَنْسٍ بِجِرْعَاءِ الْجَمَى سَلْفَا^(١)
 وَالْحِزْجَ وَالْبَانَ وَالْخَيْفَ الشَّرِيفَ وَأَصْد حَابِ الْحُجُونَ وَجِرَانَ الصَّفَا الظَّرْفَا^(٢)
 وَالْحِجْرَ وَالْبَابَ وَالْبَيْتَ الْعَتِيقَ مَعَ الـ سِثْرِ الَّتِي مَاؤَهَا لِلشَّارِبِينَ شِفَا^(٣)
 وَالرُّكْنَ مُسْتَوْدَعَ الْمِيثَاقِ مِنْ قَدَمِ وَبُقْعَةً قَامَ فِيهَا سَيِّدُ الْحُنْفَا^(٤)
 وَكَمْ بِأَجْيَادٍ جَادَتْهَا السَّحَابُ مِنْ شَمُولِ أَنْسٍ أُدِيرَتْ فِي كُووسٍ صَفَا^(٥)

(١) في هذه الأبيات الخمسة يذكر الشاعر أماكن في الأرض المقدسة بمكة والمدينة. وهذا الأسلوب يسمى في شعر الشريف الرضي: الحجازيات؛ لأنه أكثر منه وقلده فيه الشعراء وأطالوا؛ وإن لم يروا الأماكن ولا عاشوا فيها؛ وذلك من أثر الوجدان. المنحني: منعطف الوادي. الروضة الأنف: التي لم يرعها أحد؛ أي التي بقي نبتها وعشبتها فحسن منظرها؛ لعله يريد بها روضة مسجد النبي ﷺ لقوله: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة». الجرعاء: الكثيب جانب منه رمل وجانب منه حجارة.

(٢) الحيزج: جانب الوادي أو منعطفه. البان: شجر معتدل القوام لين. الخيف: ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء. ومنه سمي مسجد الخيف بمنى. الحجون: جبل بمكة فيه مقبرة. الصفا: جبل بمكة يتدلى منه السعي بين الصفا والمروة.

(٣) الحجر: الجزء الذي لم تبنيه قريش من الكعبة ويسمى حجر إسماعيل ويقع من جهة الميزاب. الباب: باب الكعبة. البيت العتيق: الكعبة. البثر: بثر زمزم.

(٤) الركن: الذي فيه الحجر الأسود. مستودع الميثاق: العهد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ٢٢١﴾ وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٢٢﴾ وبقعة قام فيها سيد الحنفاء: مقام إبراهيم ﷺ أبي الأنبياء. الحنفاء: جمع حنيف وهو المائل عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق.

(٥) أجياد: محلة بمكة.

فهاج أشواقه التذكارُ وانفصمت
واستنجد العين من حزنٍ فما ذرقت
وبات يرعى نجوم الليل من أرق
وزادته كلفاً قيل الرفاق له
رام الذهب فلم تسمع صوارفه
متى تبلى غني البطحاء يعملة
لهفي إذا ربت ركب القوم مرتجلاً
يا أيها الطائر الغادي إلى بلد
نُب في السلام على سكانها ولكي
وقل تركزت صريع الشوق في حرق
وانشد يثرب قلباً طار من زمن
في لوعة من تباريح الغرام إذا
في روضة من رياض الجنة ازدلفت

عُرَى تَصْبُرُهُ مُذْ أَنْسَ التَّلْفَا
لَأَنَّ مَدْمَعَهَا مِنْ نَوْجِهِ نَزْفَا^(١)
يَشْكُو الْجَوَى وَالنَّوَى وَالْوَجْدَ وَالْأَسْفَا
هَيْبَى حُمُولِكَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَزْفَا
فَقَالَ لَيْتَ بَرِيدَ الْمَوْتِ بِي هَتْفَا^(٢)
عَنْسُ شَمْرَدَلَةَ تَطْوِي النَّوَى الْقُدْفَا^(٣)
إِلَى الْحِجَازِ يَخَوْضُ الدَّوَّ مُعْتَسِفَا^(٤)
نُورُ الْجَلَالَةِ يُلْقَى فَوْقَهَا سُقْفَا^(٥)
يَرْتُوا لَهُ اشْرَحَ لَهُمْ مِنْ حَالِهِ طَرْفَا
مِنَ النَّوَى بِرِدَائِ الْهَمِّ مُلْتَحِفَا
حَوْلَ الضَّرِيحِ بِهِ صِدْقُ الْهَوَى وَقْفَا
عَنِّي الْحَمَامُ وَحَنَّ الْخَاشِعُونَ هَفَا^(٦)
لِلْمَتَّقِينَ فَرِزْدَهَا رَبَّنَا شَرْفَا^(٧)

(١) نزت البئر: لم يبق من مائها شيء.

(٢) صوارفه: الدوافع له. يقال صرف فلاناً عن وجهه: رده ودفعه. البريد: الرسول. هتف نادى. إنه يفضل الموت على الحياة.

(٣) البطحاء: الوادي الواسع يقصد أرض مكة المكرمة. اليعملة: النجبية من الجمال. عنس: سمينة تامة الخلق. الشمرذلة: الفتية الحسنة الخلق السريعة. فلاة قذف ونوى قذف: أرض بعيدة مترامية الأطراف.

(٤) يقول المحزون: يا لهف نفسي عليه. واللهف: الحزن والأسف. الدو: القفر من الأرض. اعتسف الطريق: سار فيه بلا روية لعجلته ورغبته في قطع الطريق بلهفة وعجلة.

(٥) يلقى سقفاً أي كالسقف ممتداً.

(٦) اللوعة: الحرقه في القلب من حب وغيره. تباريح الغرام: شدته. الخاشع: الخاضع للذليل لله: هفا الفؤاد: خفق وذهب.

(٧) ازدلفت: أدنيت وقربت.

القصيدة الخامسة والعشرون

إِذَا شِمْتُ

إِذَا شِمْتُ مِنْ نَجْدٍ وَمِيضِ بَرِيقٍ تَنَائَرَ مِنْ عَيْنَيَّ عَقْدُ عَقِيقٍ ^(١)
 وَإِنْ وَكَمْتُ يَوْمًا بَطْشِ غَمَامَةٍ أَكَادُ لِشَوْقِي أَنْ أَغْصَّ بِرِيقِي ^(٢)
 أَشْمُ رِيَّاحِينَ الْحِجَازِ وَهَا أَنَا بِوَادٍ لِسُوءِ الْحِظِّ عَنْهُ سَحِيقٍ ^(٣)
 بِأَيِّ يَدٍ أَجْزِي النَّسِيمَ فَإِنَّهُ أَتَى حَامِلًا لِي مِنْهُ نَشْرَ فَتِيقٍ ^(٤)
 إِلَيْكَ حَمَامَ الْأَيْكِ عَنِّي فَلَيْسَ لِي جَوَابٌ إِذَا غَنَيْتَ غَيْرَ شَهِيْقٍ ^(٥)
 تَهَيِّجُ أَشْجَانِي وَقَلْبِي مِنَ الْجَوَى وَطَوِيلِ النَّوَى فِي شِدَّةٍ وَحَرِيقٍ ^(٦)
 كَفَانِي وَجَدُّ مِنْهُ ذَابَتْ حُشَايَتِي عَدَاةً وَدَاعِي رُفْقَتِي وَفَرِيقِي
 فَقَلْبِي وَرَكَّبُ يَمْمُوا نَحْوَ طَيْبَةٍ مَنَارِ الْهُدَى سَارًا مَعًا بِطَرِيقِي
 وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي بَعْدَمَا أَزْمَعُوا السَّرَى سِوَى جَسَدٍ بِالْأَنْمِحَاقِ خَلِيقٍ ^(٧)

- (١) شام البرق: نظر إليه ليعرف من أين يأتي المطر؟ ومض البرق: لمع خفيفاً ولم ينتشر في نواحي الغيم. يذكره من نجد أحبابه فيبكي بدم أحمر متناثر كعقد من العقيق.
- (٢) وكف الماء والدمع: سال قليلاً. الطش: المطر القليل: غصّ ويغصّ بالماء أو الطعام: وقف في حلقه فلم يكده يسيغه.
- (٣) السحيق: البعيد. (٤) الفتيق من المسك: ما خلط بالعنبر.
- (٥) الأيك: الشجر الملتف الكثير. شهيق: تردد بالبكاء في صدره. إليك عني: ابتعد عني فإن غناءك يذكرني الأحباب وأحن إليهم فأشهب.
- (٦) تهيج: تهيج وتثور. الجوى: حرقه العشق.
- (٧) السرى: السير ليلاً، وقد يراد مطلق السير. أزمعوا: عزموا بشدة، الانمحاق: الفناء: خليق: حقيق.

تَنَكَّرَتِ الدُّنْيَا وَضَاقَ فَضَاؤُهَا وَأَظْلَمَ فِي عَيْنِي كُلُّ أُنَيْقٍ^(١)
 وَثَمَّةٌ رُوْحِي فِي مَسَارِحِ أُنْسِهَا تُسَامُ وَتَأْوِي فِي ظِلَالِ وَرِيْقٍ^(٢)
 وَمَنْ لِي بِأَنْ أَسْمَى إِلَى أَشْرَفِ الْوَرَى فَأَشْكُو مِنْ صَرْفِ الزَّمَانِ وَضَيْقِي؟^(٣)
 وَأَعْلَنَ بَنِي حَوَلٍ قَبْرِ مُحَمَّدٍ نَسِيٍّ رَوْفٍ بِالْأَنَامِ شَفِيْقٍ
 كَرِيْمٍ رَحِيْمٍ يُفْجِزُ الدَّهْرَ جُودَهُ مُفِيْدٍ بِتَصْدِيْقِ الرَّجَاءِ حَقِيْقِي
 تَوَجَّهَ رَسُوْلَ اللهِ فِي كَشْفِ كُرْبَتِي وَرِقٌّ لِيَصَبَ فِي الْغَرَامِ غَرِيْقِي
 أَسِيْرٌ ذُنُوْبٍ أَوْثَقْتُهُ بِقَيْدِهَا حَنَانِيْكَ سَلِّ قُلْ كَيْفَ حَالُ رَقِيْقِي
 يَمُتُّ إِلَى عَلِيَّائِكُمْ بِوِلَادَةِ وَعَهْدِهِ وَإِنْ أَخْنِي الزَّمَانُ وَثِيْقِي
 وَحَسْبِي قَلِيْلٌ مِنْ نَدَاكَ وَقَدْ كَفَى الصَّدَّ حَابَةً مِنْ كَفِّبِكَ نَزْرُ سَوِيْقٍ^(٤)
 عَلَيْنِكَ صَلَاةُ اللهِ مَا دَرَّ شَارِقٌ وَأَوْضَا فِي الدُّنْيَا كَعَقْدِ عَقِيْقٍ^(٥)
 صَلَاةُ تَعْمُ الصَّخْبَ وَالْأَلَّ كَلَّهُمْ خُصُوصاً أبا السُّبْطَيْنِ خَيْرِ صَدِيْقِي
 وَلِيٍّ رَسُوْلِ اللهِ وَارِثِ سِرِّهِ بِغَيْرِ انْتِقَاصٍ مِنْ مَقَامِ عَتِيْقِي^(٦)



- (١) الأنيق: الحسن المعجب.
- (٢) ثمة: هنالك. المسرح: مكان المرعى. تسام: تُخْرَجُ المرعى. في ظلال وريق: في ظلال شجر ذي ورق. يريد إن كنت معذباً بالبعد عنهم فإن روعي سعيدة بقربهم.
- (٣) الاستفهام هنا معناه التمني. من لي: من يعينني؟
- (٤) السويق: الناعم من دقيق الحنطة والشعير. استفاض أن النبي ﷺ أطعم النفر الكثير من الطعام القليل في منزل جابر. ومرة أطعم أكثر من ثمانين رجلاً من أقراص الشعير. وهما من معجزاته الباهرة.
- (٥) دَرَّ قرن الشمس: ظهر. شارق: الشمس حين تشرق.
- (٦) ولي رسول الله: الإمام علي. عتيق: لقب الخليفة الأولى سيدنا أبي بكر.

القصيدة السادسة والعشرون

مَا لِقَلْبِي

مَا لِقَلْبِي وَالْفِرَاقِ إِتَهُ مُرُّ الْمَذَاقِ
 لَسَعَ الْأَحْشَاءَ وَجَدَّ هَلْ لِهَذَا اللَّسَعِ رَاقِي؟^(١)
 كَلِمَا رُمْتُ سُلوًا زَادَ مِن شَوْفِي اخْتِرَاقِي
 كَيْفَ أَسْلُوُ وَشُؤُونِي قُرَّحْتُ مِنْهَا مَاقِي^(٢)
 وَاسْتَبَانِي الْوَجْدُ حَتَّى بَلَّغْتُ رُوحِي التَّرَاقِي^(٣)
 شَابَ فُوْدِي وَفُوَادِي ذَابَ مِنْ حَرِّ اشْتِيَاقِي^(٤)
 أَنَا فِي الْمِشْقِ إِمَامٌ ضَلَّ مِنْ رَامٍ لِحَاقِي^(٥)
 أَنَّهُكَ الْجِسْمَ سَقَامٌ وَضَنَّي وَمَا أَلَاقِي
 ذُبَلْتُ حَالِي وَأَمَّا رَمَقُ الرُّوحِ قَبَاقِي

(١) اللسع: اللدغ من العقرب أو الحية. الراقي: من يصنع الرقية وهي العوذة التي تعودوا أن يصنعوها للشفاء.

(٢) الشؤون: جمع شأن مجرى الدمع إلى العين. قَرَّحَهَا: جرحها وشقها. المَاقِي: جمع موق وهو طرف العين مما يلي الأنف.

(٣) استباني: سباني وملكني. التراقي: جمع ترقوة وهي عظم يصل ما بين ثغرة النحر والعاقد من الجانبين. بلغت الروح التراقي: كاد يموت.

(٤) الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن.

(٥) إمام: مثال أو متقدم على العاشقين.

والذي أوسع ضُرِّي سُقْمُ هَاتِيكَ الحِداقِ^(١)
 أوِعدُونِي وامْطَلُونِي إِنْ وَعَدْتُمْ بِالتَّلاقِي^(٢)
 أوْمُرُوا الطَّيْفَ يَزُونِي فَهُوَ مِنْ حَتْفِي وَاقِي^(٣)
 مَا عَلَيْكُمْ لَوْ مَنَنْتُمْ لِي يَوْمًا بِالْوِفاقِ
 وَسَقَيْتُونِي رَجِيقًا عُنُقْتُمْ مِنْ كَفِّ سَاقِي
 وَأَبْخَثْتُمْ لِي رَشْفَ الثَّنِيرِ مِنْ بَعْدِ العِناقِ
 وَمَحَوْتُمْ ذَنْبَ دَهْرٍ سَامَنِي ضَرَّ الفُراقِ^(٤)
 مِنْ مُجِيرِي مِنْ زَمَانٍ أَنَا مِنْهُ فِي وَثاقِ^(٥)
 لَيْسَ لِي إِلَّا نَبِيٌّ قَدْ عَلَا ظَهَرَ البُراقِ^(٦)
 وَرَقِي المِعْرَاجِ حَتَّى جازَ أَسْمَاكَ الطَّباقِ^(٧)
 أَفْضَلَ الرُّسُلِ وَأَعْلَا هُمْ بِحُكْمِ الاتِّفاقِ
 أَحْمَدُ المَخْتارُ تاجُ الـ أَضْفِيارَبِّ المَراقِ^(٨)

(١) سقم الحداق: يريد جمال العينين بفتورهما.

(٢) مطل فلاناً بدينه: سوفه الوعد بالوفاء مرة بعد مرة. أوعد قد تستعمل بمعنى وعد في الخير. يفضل الوعد مع المطل على القطيعة التامة.

(٣) الحتف: الهلاك.

(٤) سام فلاناً الأمر: كلفه إياه وألزمه؛ وأكثر ما يستعمل في الظل والشر.

(٥) الوثاق: ما يشد به من حبل أو نحوه.

(٦) السمك: السقف. علا ظهر البراق: في الإسراء من مكة إلى بيت المقدس، ورقى المعراج من بيت المقدس حيث عرج به إلى السماوات.

(٧) السمك: السقف. علا ظهر البراق: في الإسراء من مكة إلى بيت المقدس، ورقى المعراج من بيت المقدس حيث عرج به إلى السماوات.

(٨) المراقي: مواضع الصعود؛ واحده مرقى. رب المراقي: صاحبها أو مستحقها. وهو سيد الأنبياء الذين اصطفاهم الله واختارهم من خلقه.

جَاءَ وَالشُّرْكَ بِهَيْمٍ حَالِكَ مُلْقِي الرُّوَاقِ^(١)
 فَجَلَّ الظُّلْمَةَ بَدْرٌ مِنْهُ زَاهِي الاِثْتِلاَقِ^(٢)
 وَرَمَى الكُفْرَ بِأَبْطَا لِ عَالِي الجِرْدِ العِتَاقِ^(٣)
 رَأَبُوا الصَّدْعَ مِنَ الإِسْلَامِ بِالبَيْضِ الرِّقَاقِ^(٤)
 وَأَتَانَا بِكِتَابٍ هُوَ فِينَا أَلْيَوْمَ بَاقِي
 أَخْجَمَتْ يَوْمَ تَحَدِّي عَنْهُ فُرْسَانُ السُّبَاقِ^(٥)
 وَاسْتَبَّأُوا أَنَّهُ الحَقُّ وَلَجُّوا فِي الشَّقَاقِ^(٦)
 يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي ضَاقَ مِنْ بُغْدِي خِنَاقِي^(٧)
 أَوْثَقْتَنِي سَيِّئَاتِي عِنْدَمَا سَارَ رِفَاقِي
 أَنَا فِي أَسْرٍ دُنُوبِي رَبِّ عَجَّلْ بِأَنْطِلاَقِي
 لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تُبَارِي بِي فِي البِيدِ نِبَاقِي^(٨)
 وَتُدِيلُ اللّهُ رِقِّي عَنْ قَرِيبٍ بِعَتَاقِي^(٩)

(١) بهيم حالك: أسود شديد السواد كالليل الشديد الظلمة. الرواق: الستر، أي مرخ ستره وظلمته.

(٢) الاثتلاق: اللمعان.

(٣) الجرد العتاق: الخيل القوية الأصيلة.

(٤) الصدع: الشق. ورأبه: أصلحه. البيض الرقاق: السيوف.

(٥) تحدها في فعله: باراه ونازعه الغلبة. وقد تحدى الرسول بلغاء العرب بالقرآن وبسورة منه فعجزوا.

(٦) لجوا في الشقاق: عندوا في الخصومة.

(٧) ضاق خناقه: كاد يهلك.

(٨) تبارى: تسابق حتى تصل قبل غيرها إلى المدينة وهي سائرة في البادية.

(٩) أدال الله فلاناً نصره وأخذ له من عدوه وجعل الدولة له. يقصد بالرق ما هو فيه من بعد، وبالعتاق ظفره برؤية ساكني طيبة فهو السعادة له، كأنه انتقل من الرق.

سَاكِنِي طَيْبَةَ شَوْقِي لَكُمْ فَوْقَ الْمَطَاقِ^(١)
وَعَرَامِي بِحِمَاكُمْ شِيمَةً لَا بِاخْتِلَاقِ^(٢)
غَايَةَ الْأَمَالِ تَقْبِي لِي ثَرَاكُمْ وَأَنْتِشَاقِي^(٣)
وَأَرْتَشَفِي عَذْبَ مَاكُمْ وَاضْطَبَاجِي وَأَغْتَبَاقِي^(٤)
وَعَلَى طَه سَلَامٌ مَا رَقِي الْعَلْيَاءَ رَاقِي
وَعَلَى السُّبُظِينِ وَالزَّهْرَاءَ وَمَلْحُودِ الْعِرَاقِ^(٥)



(١) المطاق: الطاقة والقدرة.

(٢) شيمة: جبلة لا اختلاق ولا تكلف فيها.

(٣) الثرى: التراب الندي. الانتشاق: الشم.

(٤) ارتشف الماء: بالغ في مصه. ماكم: ماؤكم. اصطحب: شرب الصبوح وهو ما أصبح عند القوم من شراب فشربوه. اغتبق: شرب الغبوق وهو شراب العثبي.

(٥) يريد بملحود العراق. علي بن أبي طالب عليه السلام وقبره في النجف الأشرف.

القصيدة السابعة والعشرون

أَطَارَ الْكَرَى

أَطَارَ الْكَرَى بَثُّ مَدَى الدَّهْرِ مَالِكِي أَظْلُ وَأُنْسِي فِي دُجَى مِنْهُ حَالِكِي^(١)
 تُكَلِّفُنِي شَيْبَ الْغُرَابِ عَزِيمَتِي وَتَسْلُكُ بِي الْوَعْرَ الْبَعِيدَ الْمَسَالِكِي^(٢)
 دِيَامِيمُ فِيهَا تَعْرِفُ الْجَنُّ مَا تَرَى بِهَا غَيْرَ مَنْجُودٍ وَأَثَارَ هَالِكِي^(٣)
 وَذَلِكَ إِجْرِيَّايَ لَا أَنَا تَارِكُ طَلَابَ الْمَعَالِي وَالْأَذَى لَيْسَ تَارِكِي^(٤)
 يُدَافِعُنِي عَنِ مُرْتَقَى الْمَجْدِ مَعَشْرُ بِحِيلَةٍ نَمَّامٍ وَفَرَبَةِ آفِكِ^(٥)
 وَهَذَا مُحَالٌ لَا يَلِيْقُ بِشَيْمَةِ تَرَى فِيهِ إِهْدَارَ الدَّمَاءِ السَّوَالِكِي^(٦)
 يُسِيغُ الشَّجَا غَيْرِي وَيُغْضِي عَلَى الْقَدَى لِيَأْمَنَ مِنْ كَيْدِ اللَّيَالِي الْقَوَاتِكِي^(٧)

(١) الكرى: النوم. البث الغم الشديد. الدجى الحالك: الظلام الشديد.

(٢) كلفه شيب الغراب: طلب منه المستحيل. الوعر من الأمكنة: الشديد ضد السهل. المسلك: الطريق.

(٣) فلاة ديمومة: دائمة البعد. عزفت الجن: صوتت. إن تقابل التيارات الهوائية في الأدوية يحدث صوتاً يزعم العرب أنه صوت الجن فيبتعدون عن هذه الأمكنة ويتحامون القرب منها. منجود: متعب من السير في النجد. آثار هالك: بقايا ميت.

(٤) الإجرى: الوجه الذي تجري عليه والخلق والطبيعة.

(٥) الفرية: الكذب. الآفك: الكذاب.

(٦) الشيمة: الطبيعة والخلق. الدماء السوافك: السائلة. وإهدارها: إباحتها.

(٧) الشجا: ما يعترض في الحلق من عظم وغيره. ويسيفه: يبلعه كناية عن الرضا بالذل. القذى: ما يقع في العين وفي الشراب من تبن ونحوه. وغض العين على القذى. كناية عن احتمال الضيم مع عدم الشكوى.

وَتَأْتِفُ نَفْسِي خَطَّةَ الْخَسْفِ مَوْرداً
 سَجَايَا كِرَامِ حَلَّقَتْ بِي وَعُنْصُرُ
 أُمُومَةٍ صِدْقٍ قَابَلَتْهَا أُبُوءَةٌ
 وَتَجَلَّيْنِيهِمَا الْمَسْمُومِ وَالضَّيِّعِمِ الَّذِي
 وَفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ وَمَنْ مَرَّ عُمْرُهَا
 وَمَنْ دَرَجُوا مِنْ وَكْرِهِمْ مِنْ أَيْمَّةٍ
 نُجُومُ الْهُدَى مِنْ بَأْسِهِمْ يَنْمُجِي الرَّدَى
 بِهِمْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ أَشْرَقَ نَوْرُهَا
 لِذِكْرَاهُمْ فَوْقَ الْمَنَائِرِ نَشْوَةٌ
 أَوْلَيْكَ أَبَائِي بِوَأَسِعِ جَاهِهِمْ
 وَاسْتَمَطَّرَ الرَّحْمَنَ لِي وَلِشَيْعَتِي
 وَلَوْ كَانَ بَيْنَ الْحُورِ فَوْقَ الْأَرَائِكِ^(١)
 إِلَى شَرْفِ سَامِي الذَّرَى مُتَشَابِكِ^(٢)
 تَلَاقَتْ عَلَيَّ الْكَرَّارِ وَابْنِ الْعَوَاتِكِ
 قَضَى ظَائِمًا بِالطَّفِّ بَيْنَ السَّنَابِكِ^(٣)
 وَلَيْسَ لَهَا فِي الْمُضْطَفَى مِنْ مُشَارِكِ^(٤)
 بِبَاسِ مُلُوكٍ فِي لِبَاسِ مَلَائِكِ^(٥)
 وَتَعْنُو الْعِدَا مِنْ فَتْكِهِمْ فِي الْمَعَارِكِ^(٦)
 عَلَيَّ النَّاسِ مِنْ بَظَحَاءِ أُمِّ الْمَنَاسِكِ^(٧)
 تَهْرُ شُعُورَ الْمُؤْمِنِ الْمُتَمَاسِكِ
 أَوْمَلُ فِي الدَارَيْنِ حَلَّ الشَّبَائِكِ
 بِحُرْمَتِهِمْ فَضَلَ النَّدَى الْمُتَدَارِكِ^(٨)

(١) الخطة: الطريقة. الخسف: الظلم. الورد: المنهل وموضع الورد. الحور: الحور العين جمع حوراء. الأريكة: سرير منجد فاخر. تأتف نفسي الهوان ولو كان بين ما أعده الله لأهل الجنة من الحور العين والأرائك وهذا مبالغة في إباء الضيم.

(٢) نسب متشابك بين أم وأب كريمين اتصالاً بسيدنا رسول الله ابن العواتك. وسيدنا علي الكرار على أعداء الإسلام في الحروب. فالشاعر شريف الأب والأم.

(٣) السنيك وجمعه سنابك: طرف مقدم الحافر. يريد بالمسموم سيدنا الحسن وبالضيغم أي الليث في الحرب سيدنا الحسين فقد مات عطشان بين أرجل الخيل. قريباً من عين ماء تسمى الطَّفَّ بجوار الكوفة.

(٤) يريد خديجة عليها السلام.

(٥) درج: مشى وسار. الوكر: عش الطائر أيًا كان. سادة آل البيت في عزة الملوك وطهارة الملائكة، منذ كانوا.

(٦) تعنو: تخضع.

(٧) المنسك: مكان النسك أي العبادة وأم المناسك مكة.

(٨) بحرمتهم: بما لهم من العهد أو المهابة. المتدارك: المتتابع.

فَهُمْ عُرْوَةُ الرَّاجِي وَقَبْلَةُ قَاضِيهِ وَهُمْ مَلْجَأُ الْعَافِي وَكَنْزُ الصَّعَالِكِ
عَلَيْهِمْ صَلَاةُ اللَّهِ مَا عَبَسَ الدُّجَى وَمَا افْتَرَّ عَنْ ثَغْرِ مِزْنِ الْبَرِّ مِنْ ضَاحِكِ



القصيدة الثامنة والعشرون^(١)

بِجَاهِكِ يَا أُمَّ الْبَتُولِ

بِجَاهِكِ يَا أُمَّ الْبَتُولِ تَوْسَلِي وَيَالْحُرَّةَ الرَّهْرَاءِ وَسَيِّدَنَا عَلِي^(٢)
 وَيَابْنَيْهِمَا السَّبْطَيْنِ فِي كُلِّ كُرْبِيَّةِ إِلَى اللَّهِ أَذْعُو بَانَكْسَارِي فَتَنْجَلِي
 هُمْ وَرَسُولُ اللَّهِ ذُخْرِي وَعُدَّتِي وَحِضْنِي إِذَا جَارَ الزَّمَانُ وَمَغْفَلِي^(٣)
 وَمَنْ بِحَمَاهُمْ لَأَذْفَهُوَ عَنِ الْأَذَى بَمَنْجِي وَعَنْ كَيْدِ اللَّيَالِي بِمَغْرَلِ
 أَأَخْشَى وَلِي مِنْهُمْ ذِمَامَ مَهَانَةٍ؟ وَأَسَى وَقَلْبِي مِنْ مَحَبَّتِهِمْ مَلِي؟^(٤)
 جَرَى فِيَّ مَجْرَى الرُّوحِ صَادِقُ حُبِّهِمْ فَبُخْتُ وَإِنْ لَامَتْ وَسَاتِي وَعُدَّلِي
 إِذَا ذُكِرُوا فَاصْتُ دُمُوعِي صَبَابَةً وَدَبَّتْ حُمَيَّا الشُّوقِ فِي كُلِّ مَفْصَلِ^(٥)
 يُورِّقُنِي شَدْوُ الْحَمَامِ وَيَنْتَشِي فَوَادِي إِذَا أَنْسْتُ تَغْرِيدَ بُلْبُلِ^(٦)
 وَأَعْرِفُ أَنَّ الرِّيحَ مِنْ حَيْهِمْ سَرَتْ إِذَا هِيَ جَاءَتْنَا بِمِسْكِ وَمَنْدَلِ^(٧)
 وَيَتْلُو لَنَا الرَّأْيَ حَدِيثًا جَرَى لَهُمْ فَتَعْنَادُ قَلْبِي حَسْرَةً كُلَّمَا تُلِي

(١) قلتها في شعبان من سنة ١٣٣٥ هـ.

(٢) البتول السيدة فاطمة وأما السيدة خديجة عليها السلام.

(٣) المعقل: الحصن.

(٤) ذمام: عهد وميثاق. مهانة: ذلة. أسى: أحزن.

(٥) الصبابة: أشد الحب أي من الصبابة. الحميا: جدة الخمر.

(٦) أرقه: أبعد عنه النوم. الشدو: الغناء. ينتشي فوادي: يزداد نشاطه وحركته أي غناء الحمام

وشدو البلبل لأليفه يذكرني بهم إذ هم أحبتي.

(٧) المندل: عود الطيب الذي يتبخر به.

تَحَرَّكَنِي أَخْبَارُهُمْ وَتَهَزُّنِي
وَهُمْ نُصَبُ عَيْنِي لَا يَزَالُ خَيَالُهُمْ
فِي سَادَةِ تُثَلَّى مَنَاقِبُ فَضْلِهِمْ
وَيَا صَفْوَةَ الْبَارِي وَيَا مَطْلَعَ الْهُدَى
وَيَا مَنْ لَهُمْ جِبْرِيلُ بِالنَّصْرِ خَادِمٌ
سَلِيلُكُمْ جَاشَتْ مِنْ النَّمِّ نَفْسُهُ
لَهُ نَفْسٌ حُرٌّ لَا تَلِينُ وَحَالُهُ
وَأَمَّا لَدَيْكُمْ فَأَلْخُضُوعُ شِعَارِهِ
فِيَا زِينَةَ الدُّنْيَا وَيَا مَنَبَعَ النَّدَى
أَتَرْضَوْنَ ضُرِّي وَاهْتِضَامِي وَأَنْتُمْ
وَحَالِي لَا يَخْفَى وَمُجْمَلُ قِصَّتِي
وَكُلُّ الَّذِي أَشْكُو يَزُولُ بِلَحْظِكُمْ
تَنَكَرَ لِي دَهْرِي وَضَاعَتْ سِيَّاسَتِي
وَضِغْتُ بِأَحْوَالِ الزَّمَانِ وَأَهْلِيهِ
بَذَلْتُ لَهُمْ نُضْجِي رَجَاءَ صَلَاحِهِمْ
أَرِيدُ لَهُمْ نَيْلَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْمَتِيمِ وَالْخَلِي^(١)
لَزَيْمِي أَنِّي سِرْتُ فِي أَيِّ مَنْزِلِ^(٢)
عَلَى النَّاسِ فِي آيِ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
وَيَا مَنْ لَهُمْ بَيْنَ الْوَرَى الشَّرَفُ الْجَلِي
وَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْمَجْدِ مِنْ مَنْصَبِ عَلِي
فَجَاءَ لَكُمْ يَشْكُو بِدَاعِي التَّنْذُلِ^(٣)
لَدَى الضَّرِّ حَالِ الصَّابِرِ الْمُتَحَمِّلِ
وَيَقْبُحُ عِنْدَ الْأَهْلِ غَيْرُ التَّنْذُلِ
وَيَا مَلْجَأَ الْعَافِي وَعَوْتَ الْمُؤَمِّلِ
عَمَادِي وَرُكْنِي وَاعْتِصَامِي وَمُوْتَلِي^(٤)
جَلِي لَدَيْكُمْ وَاضِحٌ كَالْمُفْضَلِ
إِلَيْهِ فَلَا يَحْتَاجُ أَدْنَى تَأْمَلِ
وَأَمْسَيْتُ فِي لَيْلٍ مِنَ الْفِكْرِ أَلِيلِ^(٥)
وَقَاسَيْتُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ كُلَّ مُشْكَلِ
وَأَفْنَيْتُ قِرْطَاسِي وَأَتَعَبْتُ مِقْوَلِي^(٦)
وَهُمْ يُضْمِرُونَ الْمَكْرَ وَالسَّيِّئَاتِ لِي

(١) المتيم: الذي استعبده الحب.

(٢) نصب عيني: ماثلون أمام عيني.

(٣) السليل: النسل. حاشت نفسه: دارت للغثيان.

(٤) المؤتل: الملجأ.

(٥) ليل أيل: شديد الظلمة.

(٦) المقول: اللسان.

فِيالْخُمْسَةِ الْأَزْوَاحِ وَالْأَنْفُسِ الَّتِي بِهَا بَاهِلَ الْكُفَّارَ أَفْضَلُ مُرْسَلٍ ^(١)
وَبِالْعِثْرَةِ الْأَبْرَارِ مِنْ كُلِّ مُخْلِصٍ لِمَوْلَاهُ قَوَامِ الدُّجَى مُتَبَتَّلٍ ^(٢)
دَعْوَتِكَ يَا مَوْلَايَ يَا وَاسِعَ الْعَطَا وَيَا فَائِضَ الْمَعْرُوفِ يَا بَرًّا يَا وَلِي
أَبْنِي وَقَمِ بِي وَاحِمِنِي وَتَوَلَّنِي وَجُدْ بِعَطَاكَ الْجَمِّ لِي وَتَفَضَّلِ
وَبَلِّغْنِي الْآمَالَ يَا رَبَّ كُلِّهَا وَعَجِّلْ إِلَهِي بِالْمُنَى لَا تُؤَجِّلِ
وَكُنْ لِي وَأَوْلَادِي مُعِينًا وَنَاصِرًا وَصَلْنَا وَوَأَصِلْنَا وَبِالْعِلْمِ جَمَلِ
وَضُنَّا عَنِ الْبِأْسَاءِ وَالذُّلِّ وَالشَّقَا بِجِأِهِ وَإِقْبَالِ وَمَجْدِ مُؤْتَلٍ ^(٣)
وَغِظِ حَاسِدِينَا وَازِمِهِمْ بِمَصَائِبِ مِنَ الْبُوسِ تُضْمِي مِنْهُمْ كُلَّ مَقْتَلٍ ^(٤)
وَجَدَّدْ لَنَا الْأَفْرَاحَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَرِشْنَا بِحِظِّ دَائِمِ الْوَقْتِ مُقْبِلٍ ^(٥)
وَحُظَّنَا وَلاِحِظَّنَا بُلْظِفِكَ وَاسْقِنَا مَعِينِ غَوَادٍ مِنْ أَيَادِيكَ هُظِّلٍ ^(٦)
وَسَرِّ مِنَ التَّوْفِيقِ لِي مَا يَقُودُنِي لَعْفِ جَزِيلٍ عَنْ أُخْبِرِي وَأُولِي
وَهَبْ كُلَّ رَاجٍ مِنْ مُجِبِّي قَضَدَهُ فَبَابِكَ لِلطَّلَابِ غَيْرُ مُقْفَلِ

(١) باهل الكفار: أي لا عنهم؛ إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَدُو مَا جَاءَكَ مِنَ الْقُرَى فَقُلْ مَا تَدْعُ أَبْنَاءَكَ وَأَبْنَاءَكَ كُفْرًا وَنِسَاءَكَ وَأَنْفُسَكَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ نبتهل: نبتاهل وبتلاعن. بأن نقول بهله الله على الكاذب منا ومنكم. والآية نزلت في محاجة نصارى نجران للنبي ﷺ، ولما دعاهم إلى المباحلة امتنعوا، وقالوا: إنه والله النبي المبشَّرُ به في التوراة والإنجيل، ولو باهلناه لم يبق نصراني على وجه الأرض.

(٢) العترة: نسل الرجل وعشيرته الأذنون. الدجى: الظلام. متبتل: منقطع إلى العبادة.

(٣) المؤتل: ما له أصل قديم.

(٤) أصمى الصائد الطير: رماه فقتله مكانه وهو يراه.

(٥) رأسه: نفعه وأعانه وأغناه.

(٦) المعين: الماء الجاري على وجه الأرض. الغوادي: جمع غادية: مطرة الصباح. هطل:

جمع هاطل: المطر العظيم القطر.

وَتَبَّتْ لِسَانِي بِالْجَوَابِ مَتَى أَتَى نَكِيرٌ وَوَارَنِي رِفَاقِي بَجَنْدَلٍ^(١)
 وَوَدَّعَنِي الْأَخْبَابُ مَا بَيْنَ صَابِرٍ وَرَاضٍ وَمَفْجُوعِ الْفُؤَادِ وَمُغُولٍ^(٢)
 دَعَاؤُكَ يَا مَوْلَايَ فَاَنْظُرْ لِفَاقَتِي وَفَقْرِي يَا مَنْ بِالْغِنَى جُودُهُ مَلِي
 وَقَدَّمْتُ جَاءَ الطَّيِّبِينَ وَسَيْلَةً فَحَاشَاكَ مِنْ رَدِّي وَتَقْطِيعِ أَحْبَلِي
 فَشَفَّنُهُمْ يَا رَبِّ وَأَقْضِ حَوَائِجِي وَرَقَّةَ فُؤَادِي وَأَنْفِ عَنِّي تَحْمَلِي^(٣)
 وَجُدْ لِإِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ بِنُضْرَةٍ وَفَتْحِ عَلَى الْأَعْدَاءِ أَغْرَ مُحَجَّلِي^(٤)
 وَدَمَّرْ جِيوشَ الْإِنْكَلِيزِ وَحَرْبَهُمْ وَشَتَّتْ بِهِمْ فِي كُلِّ صُقْعٍ وَنَكَلٍ^(٥)
 بِحُرْمَةٍ مَنِ شَرَّفْتُ شِعْرِي بِذِكْرِهِمْ فِزَانٍ بِمَدْحِي فِيهِمْ كُلِّ مَخْفَلٍ^(٦)
 عَلَيْهِمْ صَلَاةُ اللَّهِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَمَا أَقْتَرَّ ثَغْرَ الْبَارِقِ الْمُتَهَلَّلِ^(٧)



- (١) نكير أحد الملكين السائلين في القبر. الجندل: الصخر.
 (٢) المفجوع: الذي أصابته مصيبة بما هو عزيز عليه. أعول: رفع صوته بالبكاء.
 (٣) رفة الله فلاناً: ألان عيشه. ورقه نفسه: أراحها. تحملي: ما أحمله من الأوزار.
 (٤) الغرة: بياض في جبهة الفرس قدر الدرهم، ومن الهلال طلعتة، والأغر من الخيل ما كان في جبهته غرة. المحجل: ما كان في قوائمه بياض. أغر محجل: كناية عن الشهرة.
 (٥) دمرهم: أهلكهم. شتت: فرق. الصقع: الناحية. نكل: عاقبهم عقوبة تجعلهم عبرة لغيرهم.
 (٦) الحرمة: المهابة والذمة.
 (٧) البارق: سحاب ذو برق. تهلل: تلالأ.

القصيدة التاسعة والعشرون

بِعَرِيضِ جَاهِ

بِعَرِيضِ جَاهِ الْمُضْطَفَى نَتَوَسَّلُ وَإِلَى النِّجَاةِ بِحُبِّهِ نَتَوَصَّلُ
 وَبِبَنَاتِهِ وَبِأُمَّهَا وَبِرِزْوَجِهَا وَأَبْنِيهِ نَرْجُو أَنْ يُحَلَّ الْمُشْكِلُ
 ثَانِي سَطُورِ الْقَلْبِ إِخْلَاصِي لَهُمْ وَذِي وَتَوْجِيهِدِ الْإِلَهِ الْأَوَّلُ
 مَالِي سِوَى حُبِّي لَهُمْ عَمَلٌ وَلَا لِي غَيْرُهُمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ مَعْقِلٌ^(١)
 لِي ذِمَّةٌ مِنْهُمْ صَحِيحٌ عَقْدُهَا وَمَنْ اسْتَدَمَّ بِرُكْنِهِمْ لَا يُخَذَلُ^(٢)
 هُمْ دَوْحَةٌ مَاءٍ بِالنُّبُوءَةِ أَضْلُهَا فَوُجُوهُهُمْ أَبَدًا بِوَيْهَاتِهِمْ^(٣)
 شَرَفَتْ أَنْفَافٌ عَلَى النُّجُومِ وَجَاوَزَتْ غَايَاتِ شَاهِدَةِ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ^(٤)
 هُمْ لِلْوُجُودِ عَلَى الْحَقِيقَةِ رُوحُهُ لَوْلَاهُمْ مَا الْكَوْنُ إِلَّا هَيْكَلٌ^(٥)
 وَهُمْ الْأَمَانُ مِنَ الْعَذَابِ هُنَا وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْخَلَائِقُ تَجْفَلُ^(٦)
 هُمْ حُجَّةُ الْبَارِي وَسَلُّ عَمَّنْ دَعَا يَوْمَ الْمَبَاهِلَةِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ^(٧)

(١) معقل: حصن.

(٢) استدم: طلب الذمة والعهد.

(٣) الدوح: الشجر العظيم. تهلل: تشرق.

(٤) أناف: زاد. شاهده الكتاب المنزل: يريد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَنْتُمْ عَلَى اللَّهِ بِأَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى﴾.

(٥) الهيكل: عظام الجسم، أي ما الكون لولاهم إلا هيكل من غير حياة ولا روح.

(٦) تجفل: تشرد.

(٧) الحجة: البرهان والدليل المقنع. الحديث عن المباهلة في القصيدة السابقة. بالبيت رقم

(١٣) من (١٢٤).

هل جاء غير محمدٍ ووزيره
ووزاتهم غير النساء كساؤها
مَرَأَى بِهِ الْأَرْضُ أَقْشَعَرَّتْ وَالْوَرَى
فَهُنَالِكَ انْكَشَفَ الْغُبَارُ وَكَادَتْ الـ
سِرُّ قَوَى الثَّقَلَيْنِ مِنْهُ تَفْسَخَتْ
بُهْتُوا لِمَعْنَى لَاحٍ مِنْهُ لَوْ أَنْجَلَى
وابنيه فاندَهشَ العِدَا إِذْ أَقْبَلُوا
نُوبٌ بَدَتْ فِيهِ الرَّقَاعُ مُرَحَّلٌ^(١)
ضَعُفَتْ بِحَمْلِهِمْ عَلَيْهَا الْأَزْجُلُ^(٢)
صُمُّ الصَّلَابِ مِنَ الْوَقَارِ تَرَزَّلُ^(٣)
أَنْى تُكَيِّفُهُ الْعُقُولُ الذُّهْلُ^(٤)
وَتَأْمَلُوهُ لِكِبْرُوا وَلَهْلَلُوا^(٥)

(١) المرحل من الثياب: الذي فيه تصاوير الرحال.

(٢) اقشعرت: اهتزت وتزلزلت.

(٣) الصم الصلاب: الجبال الغليظة المحجرة.

(٤) الثقلان: الجن والإنس. تفسخت: تقطعت. تكيفه: تصوره. الذهل جمع ذاهل: وهو الغائب عن الرشد.

(٥) بهت: دهش وتحير. كبر: قال: الله أكبر. هلل: رفع صوته بقول: لا إله إلا الله. وعلت الإمام ابن عبيد الله في الهامش على هذا البيت بقوله: يقال لا معنى للتلهيل لأن الجمال إنما ينطق الأفواه بالتسبيح. قال بشار:

تلقي بتسبيحه من حسن ما خلقت وتستفز حشا الرائي بإرعاد
والجلال إنما ينطق الأفواه بالتكبير. قال المثنبي:
كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس منها المشرق
وقال:

صغت السوار لأيّ كف بشرت بابن العميد وأي عبد كبراً
وإنما صار التلهيل شعاراً في تشيع الجنائز فما معناه؟ قلت: المراد لو أنهم زادوا عما كان
منهم في تأمله لا اعتنقوا الإسلام. واستهلوا بالشهادة التي لا بد منها لصحته؛ فالأمر كما قال
البحثري يصف وفد الروم عند المتوكل:

نظروا إليك فقدسوا ولو أنهم نطقوا الفصيح لكبروا ولهلوا
والله يعلم أن إنشائي لهذه القصيدة كان قبل اطلاعي على بيت البحثري بزمان طويل، لأنها
من قدامى قصائدي. وشبهه بيت البحثري قول أبي الطيب:

وَمُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهُ سَاعَةً رَأَى سَيْفَهُ فِي كَفِّهِ فَتَشْهَدًا
وبعد اطلاعي على بيت البحثري أبدلت لفظ لأعظموه وهللوا بقولي: لكبروا ولهلوا. =

فَتَذَكَّرُوا ذَاكَ الْمَقَامَ وَصَوَّرُوا
فَكَأَنَّمَا طَهَّ وَصَفُوهُ إِلَهِي
مَا مَرَّ ذِكْرُهُمْ بِخَاطِرِ مُؤْمِنٍ
جَبَلَتْ لِيُودِهِمُ النَّفُوسُ فَحُبُّهُمْ
قَسَمًا بِطَيِّبَةٍ مَن مَّحِبِّ مَا جَرَى
وَلَقَلَّمَا ذُكِرَتْ مَنَازِلُ يَنْثَرِبِ
وَيَهْرُزْنِي ذِكْرُ الْعَقِيبِي كَأَنَّنِي
وَإِذَا شَدَّتْ وَزُقُ الْخَمَامِ رَأَيْتَنِي
نَضَبُوا إِذَا ذُكِرَ الْحِجَارُ لِأَنَّا
وِيهِمْ نَعُودُ مِنَ الزَّمَانِ وَجَوْرِهِ
وَنَحْنُ إِن ذُكِرَ الْعِرَاقُ وَكَيْفَ لَا

بِعُقُولِكُمْ مَا ضَمَّ ذَاكَ الْمَخْفِلُ
شَمْسٌ تَحْفُفُ بِهَا بَدُورٌ كَمَلُّ
إِلَّا انشأني وذمومعه تتسلسلُ
في كلِّ قلبٍ مُوَحَّدٍ مُتَغَلِّغِلُ^(١)
ذِكْرُ اللَّوَى إِلَّا عَدَا يَتَمَلَّمُ^(٢)
إِلَّا وَنَمَّ بِنَشْرِهِنَّ الْمَنْدَلُ^(٣)
مِن شَوْقِي سَاكِنِهِ قَطَا مُتَبَلِّلُ^(٤)
كَيْدِي تَذُوبُ أَسَى وَعَيْنِي تَهْمَلُ^(٥)
بِالسَّاكِنِينَ بِسُوجِهِ نَتَجَمَّلُ^(٦)
وَعَلَيْهِمْ عِنْدَ الْخُطُوبِ نَعْوَلُ
وَأَبُو تَرَابٍ فِي ثَرَاهُ مُجَنْدَلُ^(٧)

= وأي إنسان مسلم أو غيره لا يقول: إني أحق به منه، ثم ذكرت بعد هذا قوله في مدح المتوكل:

يُرْعَنُ مِنْكَ إِلَى وَجْهِ يَرَيْنَ لَهُ جَلَالَةَ يُكْثِرُ التَّسْبِيحَ رَائِيهَا
(انتهى تعليق الإمام ابن عبيد الله).

ويقول الشارح: إن المتوكل استسقى للمسلمين فنزل المطر غزيراً فاجتمعت الوحوش من البادية وسارت وراءه كأنها تعلن الطاعة (ارجع إلى ديوان البحري).

- (١) تغلغل: تعمق في الدخول.
- (٢) اللوى: ما التوى من الرمل.
- (٣) المنديل: عود الطيب الذي يتبخر به.
- (٤) القطة: طائر في حجم الحمام. فإذا تبلل ارتعش ريشه وتحرك حركة شديدة.
- (٥) شدت: غنت الحمامة الوراقاء: التي لونها كلون الرماد. هملت العين: فاضت.
- (٦) نصبو: نميل ونحن. السوح: جمع ساح، فضاء بين دور الحي. تجمل الفقير: تصبر ولم يظهر المسكنة والذل.
- (٧) أبو تراب: كنية سيدنا علي. جندل الرجل: صرعه على الجدالة وهي الأرض. كناية عن الموت مقتولاً.

قُظِبُ الْحُرُوبِ وَزِينَةُ الْمِحْرَابِ نَقًّا فِ الرُّؤُوسِ الْيَلْمَعِي الْفَيْصَلُ^(١)
 ذُو الْبَاسِ مَوْلَى النَّاسِ قَدْ صَحَّحَتْ لَهُ يَوْمَ الْغَدِيرِ وَلَايَةً لَا تُنْفَرُ^(٢)
 سَاقِي الْكُؤُوسِ غَدَاً إِذَا اشْتَدَّ الظَّمَا وَالشَّمْسُ تَلْفَحُ وَالْمَرَاضِعُ تَذْهَلُ^(٣)
 وَالْحَلْقُ يَوْمِيذٍ تَفَصَّصَتِ الْعُرَى مَا بَيْنَهُمْ وَهَنَاكَ عَزَّ الْمَوْئِلُ^(٤)
 إِلَّا ابْنَ أَمْنَةٍ يَقُومُ مُشَقِّمًا وَلِسَوَاؤُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ يُظَلَّلُ
 يَا مَنْ بِطَيْبِهِمُ الْإِرَادَةُ قَدْ قَضَتْ وَإِرَادَةُ الرَّحْمَنِ لَا تَتَبَدَّلُ
 يَا مَنْ لَهُمْ فِي الْحَالَتَيْنِ عَلَى الْوَرَى شَرَفَتْ تَمَنَاءُ السَّمَاءِ الْأَعْرَلُ^(٥)
 رَقُوا عَلَى الْمُضْنَى الَّذِي بِذِمَامِهِ يُذَلِّي وَبِالنَّسَبِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ^(٦)
 فَفَوَادُهُ جَمُّ الْهُمُومِ وَظَهْرُهُ مِمَّا جَنَاهُ مِنَ الْخَطَايَا مُثْقَلُ^(٧)
 عَثَرَتْ بِهِ الْأَمَالُ وَالْأَعْمَالُ لَا سَبَبٌ وَلَا أَدَبٌ بِهِ يَتَعَلَّلُ^(٨)
 لَكِنَّهُ رَبَّطَ الْحَبَالَ بِكُمْ فَأَبُو ابِ الرِّضَى فِي وَجْهِهِ لَا تُفْقَلُ
 وَأَمَامَ نَجْوَاهُ الْمَدِيحُ أَتَى بِهِ فَصَلُوهُ بِالْكَرَمِ الْغَزِيرِ وَعَجَّلُوا^(٩)

(١) نقاف: من النقف وهو هشم الرأس: اليلمعي: الألمعي وهو الذكي. المتوقد الفؤاد الذي إذا لمع له أول الأمر عرف آخره. الفيصل: الفاصل بين المتخاصمين بالحق.

(٢) يوم الغدير. غدير خم وهو موضع بالجحفة بين مكة والمدينة. ويروى أن الرسول ﷺ قال فيه: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

(٣) يوم القيامة يسقى من نهر الكوثر حينما يشتد العطش. تلفح: يشتد حرها. تذهل: تغفل عن رضيعها من شدة الهول.

(٤) تفصّمت العرى: تقطعت الروابط. المائل: الملاذ والملجأ.

(٥) السماء الأعزل: نجم في السماء.

(٦) المضنى: المعذب. الذمام: الذمة والمهد. يدلي: يتصل ويتقرب.

(٧) جم: كثير.

(٨) عثر: زلّ وكبا. تعلل بالشيء: أبدى الحاجة وتمسك بها.

(٩) النجوى: الحاجة التي يرجو نجاحها، وتستعمل النجوى في السرّ بين اثنين.

فالأزجيَّة شأنكم والحُرُّ مَنْ
 ولأنَّتم بابُ المكارمِ والنَّدَى
 بِكُمْ إلى الرَّحْمَنِ يَرْفَعُ حَاجَهُ
 فَتَدَارِكُوهُ بِدَعْوَةِ مَفْبُولَةٍ
 وَسَلُوا لَهُ مِنْ رَبِّهِ نَيْلَ الْمُنَى
 وَسَعَادَةَ كُنْبَرَى وَحِظًا بَاهِرًا
 وَيَعُودُ بِالْحُسْنَى عَلَى أَوْلَادِهِ
 وَالْعَفْوَ عَنْهُ إِذَا أَنَاخَ بِهِ الْقَضَا
 وَطَوَّوهُ فِي أَكْفَانِهِ مِنْ بَعْدِمَا
 وَخَلَّتْ مَنَازِلُهُ وَأُفِرِدَ بِالثَّرَى
 بِكُمْ إِلَى الْبَارِي أَلُوذُ وَفَضْلُهُ
 فَاقْبَلْ دُعَائِي يَا كَرِيمُ فَإِنِّي
 وَعَلَى النَّبِيِّ وَيَنْتِهِ وَوَصِيَّهُ
 يَنْشَى خَدِيجَةَ وَالصَّحَابَةَ فَضْلُهُ

يُوفِي لِمَادِحِهِ الثَّوَابَ وَيُجْزِلُ^(١)
 مَنْ جَاءَهَا مِنْ غَيْرِكُمْ لَا يَدْخُلُ
 فَعَسَى بِجَاهِكُمْ الْمَطَالِبُ تَحْضُلُ
 وَتَعَطُّمُوا وَتَلَطَّفُوا وَتَمَضَّلُوا
 وَبُلُوعُ غَايَةِ مَا إِلَيْهِ يُؤْمَلُ
 بِوَجُودِهِ يَنْزَرُّنُ الْمُسْتَقْبَلُ
 وَلَا إِلَهَ وَلَا مَنْ يُوَالِي يَشْمَلُ
 وَبَكَى أَحَبُّهُ عَلَيْهِ وَأَعْوَلُوا^(٢)
 قَدْ حَنَّنُوهُ وَطَيَّبُوهُ وَعَسَّلُوا^(٣)
 وَأَتَى الْمَلَائِكَةَ الْكِرَامَ لِيَسْأَلُوا
 لِلرَّاعِيَيْنِ بِصِدْقِ قَضْدٍ يُبْذَلُ
 لَكَ مُسْتَكِينٌ ضَارِعٌ مُتَذَلُّ^(٤)
 وَأَبْنَيْهِمَا مِنَّا السَّلَامُ الْأَفْضَلُ
 وَالْآلَ مَا جَارَى الْخَمَامَ الْبَلْبُلُ^(٥)



(١) الأريحية: خصلة يرتاح بها المرء إلى صنع المعروف وبذل العطايا. يجزل: يكثر.

(٢) أعول: رفع صوته بالبكاء.

(٣) الحنوط: كل ما يطيب به الميت خاصة أو يذر عليه تجفيفاً لرطوبته، يقال حنطه: أي فعل به ذلك.

(٤) استكان: خضع وذلل.

(٥) يغشى خديجة: يشملها. البلبل: طائر حسن الصوت.

القصيدة الثلاثون

يا رَبَّنَا

أنشأها حينما ختم أولاده عبد القادر وحسن^(١) القرآن في حدود سنة ١٣٤٣هـ:

(١) عبد القادر وحسن هم أكبر أبناء الإمام من أميين مختلفتين وللإمام من الأبناء؛ من عرفناه باسم جديد؛ وأظنه لقبه؛ وهو شقيق عبد القادر؛ الذي اشتهر بلقبه قيدان؛ وكان شاعراً وأديباً لكنه هاجر إلى جاوا في مقتبل شبابه لكسب العيش وتزوج هناك وأنجب أولاداً وبناتاً ولم يعد إلى حضرموت وتوفي بجاوة وكانت له كثير من القصائد الجيدة كما شابه أباه في الجرأة وخفة الروح أما حسن فقد كان أقرب أولاد الإمام شيئاً بأبيه؛ وله خمسة أشقاء وهم محمد وعيدروس وأحمد الذي عرف بلقبه؛ امدو وقد عملوا بالوظائف الحكومية وتوفوا جميعاً كما توفي للإمام اثنان من الأبناء في بداية شبابهما وللإمام أيضاً ست من البنات. وقد ولد ابنه الشاعر والأديب والفقير والخطيب حسن في سنة ١٣٣٣هـ وتلقى تعليمه على يد والده وعلى عدد من الشيوخ بمدينة سيؤون. وقد ولع منذ مقتبل حياته بالشعر. وأسس مع زملائه من شعراء مدينة سيؤون (نادي القلم العلمي) وأتاح له تنقله منذ مقتبل شبابه بين المدن اليمنية لكسب الرزق التعرف على عدد من الشخصيات الأدبية والسياسية. وقال الشعر مبكراً وتناول شعره الأغراض المختلفة وقد غلبت على قصائده النزعة الرومانسية والحماسية. فهو يقول في قصيدة له سماها دولة العرب:

ما بال أمريكا وقد دانت إلى درك الشقاء شغفت بشر الخلق من شغفوا بقتل الأنبياء
سبحان من جعل التعالي سُلماً للمنتهى

ويقول فيها أيضاً:

ياما أشد أسفي على الأمم المتحدة عاثت بها حكومة في أرضها منعقدة
داست على ميثاقها مجنونة معربة

صدر ديوانه الأول (ولائد الساحل) في سنة ١٩٤٣م وتضمن قصيدة درب السيف التي =

يَا رَبَّنَا بِمُحَمَّدٍ وَيَالِهِ
 يَدْعُوكَ ذُو أَمَلٍ يَجِيشُ بِبَالِهِ
 مَا فِي الْقُلُوبِ يَجُولُ عِنْدَكَ ظَاهِرٌ
 وَالْمَجْدُ وَالْفَضْلُ الْعَمِيمُ الْبَاهِرُ
 بِالْخَمْسَةِ الْأَرْوَاحِ أَصْحَابِ الْكِسَا
 وَبِهِمْ يُلَيِّنُ قَلْبُهُ مَهْمَا قَسَا
 بِأَبِي الْبَثُولِ وَرُؤُوجِهَا خَيْرِ الْبَشَرِ
 وَتَعُوذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَا وَمِنَ الْأَشْرِ
 وَبِجَاهِ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ نَتَوَسَّلُ
 وَلَنَا الْمُنَى بِوَلَائِهَا يَتَحَصَّلُ
 وَخَدِيجَةَ الْكُبْرَى لَنَا نِعْمَ السَّنْدُ
 وَهِيَ الَّتِي رُزِقَ النَّبِيُّ مِنْهَا الْوَلَدُ
 وَبِسَيِّدَتَيْنِ تَبَوَّأَ أَعْلَى الشَّرْفِ
 وَإِذَا جَرَى ذِكْرُ الْمَفَاخِرِ وَالشَّرْفِ
 مِنَّا لَهُمْ وَدُّ تَمَازِجَ بِاللُّحُومِ
 وَيَحْزُرِيهِ وَيَجْنُدِيهِ وَرِجَالِهِ
 يُغْنِيهِ عِلْمُكَ عَنْ صَرِيحِ سُؤَالِهِ^(١)
 يَا مَنْ لَهُ الْمُلْكُ الْعَظِيمُ الْقَاهِرُ^(٢)
 بَلَغَ فَقِيرَكَ مُنْتَهَى آمَالِهِ
 يَرْجُو نَوَالِكَ فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْمَسَاءِ
 حَاشَا عَرِيضُ نَدَاكَ عَنْ إِهْمَالِهِ
 وَيَبَالِيهِمْ نَرْجُو كِفَايَةَ كُلِّ شَرٍّ^(٣)
 وَمِنَ الزَّمَانِ وَمِنَ تَنَكُّرِ حَالِهِ^(٤)
 وَإِلَى النَّجَاةِ بِوُدِّهَا نَتَوَسَّلُ
 وَنَدُومُ طَالِعُنَا عَلَى إِقْبَالِهِ
 مِنْ بَحْرِهَا الطَّامِي يَفِيضُ لَنَا الْمَدْدُ
 هِيَ قُرَّةُ الْهَادِي وَأُمُّ عِيَالِهِ
 لِمُعْلَاهُمَا زُحَلٌ تَضَاءَلٌ وَاعْتَرَفَ^(٥)
 كَانُوا ضِيَاءً فِي سَمَاءِ جَلَالِهِ
 وَمَحَبَّةٌ ذَابَتْ لِكَثْرَتِهَا الشُّحُومِ

= اعتبرها النقاد رائدة في الشعر العربي الحديث وقد عمل في الثمانينيات الهجرية مدرساً بالمملكة العربية السعودية لسنوات قليلة وشارك أثناءها بالكتابة في جريدة المنهل السعودية ثم عاد إلى حضرموت سنة ١٣٨٤هـ وعمل بالتدريس حتى وفاته في سنة ١٤٠٦هـ.

(١) يجيش بياله: يتحرك ويتردد. البال: الحاطر والنفس.

(٢) يجول: يخطر.

(٣) خير البشر: صفة لأبي البتول.

(٤) الأشر: البطر. تنكر حاله: تغيره.

(٥) الغرفة: الغلّة. يريد أعلى مكانة. وتبوأها: سكنها وحلّ فيها. زحل: كوكب سيار يضرب به

المثل في البعد والعلو. تضاؤل: صغر.

وَالرُّوحَ فَوْقَ دِيَارِهِمْ أَبَدًا تَحُومُ
 هُمْ دُخْرُنَا وَبِهِمْ عَلَى الْأَعْدَا نَضُومُ
 وَبِهِمْ إِلَى الشَّرَفِ الْأَيْبِلِ لَنَا الْوُضُومُ
 ظَهَرَ الَّذِي تُخْفِي الضَّغَائِنُ مِنْ خَبْتُ
 ذَهَبْتُ بِأَجْمَعِهَا دَسَائِسُهُمْ عَبْتُ
 مَا سَاءَهُمْ مِنِّي سِوَى صِدْقِ كَسَدُ
 وَمَجَابَةِ مَلَائِكَةِ بَوَاطِنُهُمْ حَسَدُ
 يَا رَبِّ بِالْأَعْتَابِ عَبْدُكَ مُنْكَسِرُ
 وَعَوَارِفًا تَحْشُو جَوَانِحَهُ بِسِرِّ
 كُنْ لِي وَأَوْلَادِي مُعِينًا حَافِظًا
 وَلَمَّا تُدَبِّرُهُ عُدَاتِي دَاجِضًا
 وَقَرَّ جَوَائِزُهُمْ وَرِشَهُمْ يَا كَرِيمُ
 يَا مَلْجَأَ الْعَافِي وَيَا كَنْزَ الْعَلِيمِ

وَالْقَلْبُ لَا يَنْفَكُ مِنْ بَلْبَالِهِ^(١)
 وَلَمَّا نُؤْمَلُهُ بِحُرْمَتِهِمْ حُضُومُ^(٢)
 نَلْنَا بِهِمْ مَا النَّجْمُ دُونَ مَنَالِهِ^(٣)
 وَبِجَاهِهِمْ كَيْدُ الْعُدَاةِ لَنَا انْتَكْتُ^(٤)
 وَازْتَدَّ طَائِرُهُمْ بِأَشَامِ قَالِهِ^(٥)
 وَظَهَارَةٌ فِي الْعِرْضِ أَيْضًا وَالْجَسَدُ^(٦)
 وَالْحُرُّ مَحْسُودٌ بِقَدْرِ كَمَالِهِ
 يَرْجُوكَ يَا فَتَّاحَ تَبْسِيرِ الْعَسِيرِ
 وَتَعُودُ بِالْحُسْنَى عَلَى أَظْفَالِهِ^(٧)
 وَبِعَيْنِ لُظْفِكَ يَا لَطِيفُ مَلَا حِظًا
 وَمِنْ التَّقَى اكْسُ بَنِي نُوْبَ جَمَالِهِ^(٨)
 وَارْحَمْ تَعَرُّضَهُمْ لِجُودِكَ يَا رَحِيمُ^(٩)
 يَا مَوْئِلَ الْعَانِي الطَّرِيدِ الْوَالِهِ^(١٠)

- (١) حام على الشيء: دار حوله. البلبال بفتح الباء: شدة الهم وحديث النفس. وهو المراد وأما بكسر الباء فالهياج والحركة.
- (٢) صال على قرنه: سطا عليه وقهره.
- (٣) الأئيل: الأصيل - نلنا مرتبة أعلى من النجم.
- (٤) خبت: ما لا خير فيه. انتكت: انقلب.
- (٥) الطائر هنا: الحظ. الشؤم: ضد البركة. الفأل ما به يتوجه للرجل كأن يرى شيئاً أو يسمع شيئاً فيظنه بشير خير أو نذير شر.
- (٦) كسد: بار عندهم. النجابة: حسن القول والفعل.
- (٧) بسر: بنفحة من أسرارك.
- (٨) داحضاً: أي مبطلاً. يقال دحضت حجته: أبطلتها ودفعتها.
- (٩) رِشُهُمْ: ادخل عليه السرور.
- (١٠) العافي: طالب المعروف. العاني: الخاضع والعبد.

قَدْ أَحْتَمُوا الْقُرْآنَ يَزْجُونَ الْعَطَا فَاَنْظُرْ لِصُنْعِهِمْ كَأَفْرَاحِ الْقَطَا^(١)
 وَأَكْشِفْ بِفَضْلِكَ عَن قُلُوبِهِمُ الْغِطَا وَامْنُنْ عَلَيْهِمْ بِالنُّوَالِ وَوَالِهِ^(٢)
 وَأَقِرَّ عَيْنِي يَا مُهَيِّمِنُ بِالْمُتَنُوحِ قَدَلَايِلُ الْإِقْبَالِ قَدْ ظَهَرَتْ تَلُوحِ
 وَأَفْعَلُ بِقَوْمِي مَا فَعَلْتَ بِقَوْمِ نُوحِ عَجَلْ لِكُلِّ مُنَافِقٍ بِنِكَالِهِ^(٣)
 فَلَقَدْ طَغَوْا وَبَعَوْا وَمَانُوا وَافْتَرَوْا وَعَلَى شَرِيْعَتِكَ الْمُطَهَّرَةِ اجْتَرَوْا^(٤)
 قَبَضُوا أَرْزَمَتَهَا قَبَاعُوا وَاشْتَرَوْا وَالْحَقُّ أَدْنُ بَيْنَهُمْ بِزَوَالِهِ^(٥)
 وَعَلَى النَّبِيِّ وَاللَّهِ مَنَا السَّلَامِ مَا لَاحَ بَدْرٌ فَاَنْجَلَى مِنْهُ الظَّلَامِ
 أَوْ مَرَّ ذِكْرُهُمْ فَزَانَ بِهِ الْكَلَامِ أَوْ حَنَّ مُشْتَقًا إِلَى أَظْلَالِهِ^(٦)
 مَنْ ذَا يُفَاخِرُنَا وَبَيْتٌ فَخَارِنَا سَامَ أَنْفَ عَلَى النُّجُومِ طَوِيلُ^(٧)
 فِيهِ النَّبِيُّ وَبِنْتُهُ وَبَنُوهُمَا وَالْمُرْتَضَى وَخِنَامُهُ جِبْرِيلُ



- (١) أحتموا: في قاموس اللغة ختم القرآن: قرأه من أوله إلى آخره؛ وبالعامية الحضرمية ختم القرآن أي حفظه كله عن ظهر قلب. أفراخ القطا: صغار هذا الطائر.
- (٢) واله: تابعه.
- (٣) نكل بغلامه: صنع به صنيعاً يحذر غيره منه إذا رآه، والنكال: ما نكلت به غيرك.
- (٤) طغى: أسرف في المعاصي والظلم. بغى: تجاوز الحد. مان: كذب. افترى فلان الكذب: اختلقه.
- (٥) أزمة: جمع زمام. قبضوا على زمام الشريعة: كانوا منفذيها والمسؤولين عنها لأنهم حكام.
- أذن بينهم: نادى. بزواله، بالذهاب والانتضاء.
- (٦) الأطلال: ما بقي من آثار ديار الأحباب.
- (٧) أناف: زاد.

القصيد الحادية والثلاثون

إلى الغراء

أنشأها في شعبان من سنة ١٣٣٧هـ:

إلى الغراء ما سررت النعمامى نُحَمِّلُهَا التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا^(١)
 فَنُوبِي فِي الزُّبَارَةِ عَنْ مُجِبِّ إِذَا ذَكَرَ الْعَقِيْقَ بَكَى وَهَامَا^(٢)
 تَفِيضُ دُمُوعُهُ وَيَطِيرُ شَوْقَا إِلَى مَنْ طَنَّبُوا نَمَّ الْخِيَامَا^(٣)
 يُنَاغِي النَّجْمَ فِي ظُلَمِ اللَّيَالِي وَتَحْمِيهِ الصَّبَابَةُ أَنْ يَنَامَا^(٤)
 أَلَا يَا أَرْجَحَ الثَّقَلَيْنِ وَزَنَا وَيَا مَنْ عَزَّ قَدْرًا أَنْ يُسَامَى^(٥)
 وَيَا عَوْتُكَ الصَّوْرِيخِ إِذَا دَعَا وَيَا كَنْزَ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى^(٦)
 سَلِيْلُكَ يَا بِنَّ آمِنَةَ يُنَادِي وَيَنْشُدُكَ الْقَرَابَةَ وَالذَّمَامَا
 وَهَذَا هُوَ يَسْتَجِيرُ بِكُمْ وَحَاشَا لِجَارِكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ يُضَامَا
 وَقَدْ عَضُّتُهُ أَنْيَابُ اللَّيَالِي وَكَابَدَ مِنْ حَوَادِثِهَا عِظَامَا
 وَيَبِيْنَ ضُلُوعِهِ رَمَبَّ لِأَمْرِ يُحَاذِرُ أَنْ يُمِيطَ لَهُ اللَّثَامَا^(٧)

(١) الغراء: من أسماء مدينة الرسول. النعمامى: ربح الجنوب. سرى: سار ليلاً والمراد مطلق السير.

(٢) العقيق: واد قرب المدينة. هام: اشتد عشقه.

(٣) طنّب البيت: شده بأطنابه ومفردها طُنَّبُ: حبل طويل يشد به البيت ثم: هنالك.

(٤) ناغاه: كلمه كلاماً يعجبه ويفهمه. الصبابة: شدة الوجد. تحميه: تمنعه. أرقته الصبابة فسهر

الليالي وحيداً يناغي النجوم.

(٥) الثقلان: الجن والإنس.

(٦) الصريخ هنا: المستغيث.

(٧) الرهب: الخوف. أماط اللثام: كشفه. اللثام ما على الفم من النقاب.

فَكُنْ حِضْنًا لَهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ حَصِينًا لَنْ يُنَالَ وَلَنْ يُرَامَا
 إِلَهِي بِالنَّبِيِّ إِلَيْكَ أَدْعُو فَهَبْنِي الْخَيْرَ وَالنَّعَمَ الْجَسَامَا
 وَلَا حِظْنِي بِفَضْلِكَ وَاخِم رُكْنِي وَعَجَّلْ مِنْ عُدَاتِي الْإِنْتِقَامَا
 وَشَتَّتْ شَمْلَهُمْ وَأَفْصِمْ عُرَاهِمَ وَمَكَّنْ مِنْ نُحُورِهِمُ السُّهَامَا
 وَنَكَّلْ بِالَّذِي يَبْغِي اهْتِضَامِي وَيُضْمِرُ لِي الْمَسَاءَةَ وَالْخِصَامَا
 وَعَامِلْنِي وَأَوْلَادِي بِلُطْفٍ تَذُودُ بِهِ الْمَخَاوِفَ وَالسَّقَامَا^(١)
 وَهَبْنَا مِنْ عَطَاكَ نَدَى كَثِيرًا وَإِحْسَانًا لَنَا يَجْرِي دَوَامَا
 وَحَظًّا وَافِرًا وَجَمِيلَ عَفْوٍ بِهِ تَمْحُو الْخَطَايَا وَالْآثَامَا
 فَإِنَّا فِي الْمَائِمِ قَدْ رَتَعْنَا وَقَارَفْنَا الْمَعَاصِي وَالْخَرَامَا^(٢)
 وَلَكِنَّ الْخَبِيبَ لَنَا شَفِيعٌ إِلَيْكَ بِجَاهِهِ نَرْجُو السَّلَامَا
 فَصَلِّ عَلَيْهِ مَا هَبَّتْ نَسِيمٌ وَمَا مَرَّتِ الْجُنُوبُ لَنَا غَمَامَا^(٣)
 وَمَا أَهْدَى لَنَا رِيَاءَهُ ضُبُحٌ وَمَا فَاحَتْ بِوَادِيهِ الْخُرَامَى^(٤)
 صَلَاةً عَرَفُهَا يَبْدِي عَبِيرَا نَعْمُ الْآلِ وَالصَّخْبَ الْكِرَامَا^(٥)
 وَأُمَّ بَنِيهِ وَالْحَسَنَيْنِ أَيْضًا وَفَاطِمَةَ وَحَيْدَرَةَ الْهُمَامَا^(٦)

(١) تذود: تدفع. السقام: المرض.

(٢) رتع في المكان: أكل وشرب ما شاء في خصب وسعة. قارف الشيء: خالطه. والإمام هنا على طريقة أسلافه يذم نفسه باقتراف المحرمات والتقصير في الواجبات طلباً للرحمة والمغفرة.

(٣) مرى الراعي الناقة مسح ضرعها لتدثر. الغمام: السحاب. أي الريح تسقط المطر من الغمام كفعل الراعي حينما يحاول إدراك اللبن من الضرع.

(٤) الريا: الرائحة الطيبة. الخزامى: نبت زهره يضرب به المثل في الطيب.

(٥) عرفها: رائحتها. نديت الأرض: أصابها الندى. العبير: أخلاط من الطيب.

(٦) أم بنيه: السيدة خديجة. حيدرة: من أسماء الأسد. سمي به سيدنا علي لشجاعته. الهمام: السيد الشجاع.

القصيدة الثانية والثلاثون

هَذِي مَأْتِرُهُمْ

واستوقفني مرة دارُ حبيب؛ اندرست آثاره واستعجمت^(١) أخباره؛ فطَفِقتُ
أَكْرَرُ قولَ الشُّبلي^(٢) (هذه دارهم وأنت محب. إلخ) حتى هاجت الشجون؛
وسالت الشؤون؛ فأخذت معناه؛ وأطلقت عنان جواد القريظ؛ وتشرفت بمدح
صاحب الجاه العريض؛ وقلت ذلك في رجب؛ من سنة ١٣٣٨هـ:

هَذِي مَأْتِرُهُمْ وَأَنْتَ مُتَيِّمٌ فَعَلَامَ يَجْمُدُ فِي مَحَا جِرْكَ الدَّمِ^(٣)
لَوْ صَحَّ شَوْقُكَ لَمْ تَذُقْ طَعْمَ الْكَرَى إِنَّ الْغَرَامَ هُوَ الْعَنَا وَالْمَعْرَمُ^(٤)
حَمَلِ النَّسِيمُ عَنِ الْأَجْبَةِ مَنْدَلًا مِنْ عَرْفِهِ أَرْجَ الرُّضَى يَتَنَسَّمُ^(٥)
إِنَّا نَدِينُ بِحُبِّهِمْ وَنَفُوسِنَا فِي جَوْهِمْ رَغْمَ الْبِعَادِ تَحُومٌ
لَوْلَا الْخِيَالُ لَذَابَتْ الْأَحْشَاءُ مِنْ مَضَضِ الْهَوَى فَهُوَ الشَّدِيدُ الْمَوْلَمُ
لَطَفٌ مِنَ الْبَارِي يَقْرُبُ بُعْدَهُمْ بِزِيَارَةِ الطَّيِّبِ الَّذِي يَتَجَسَّمُ^(٦)

- (١) استعجم الرجل: سكت عجزاً، واستعجمت الأخبار: انقطعت ولم نعرفها.
(٢) الشبلي: هو أبو بكر دُلف بن جحدر الصوفي المشهور، البغدادي المولد والمنشأ. ينسب
إلى شبلة من بلاد خراسان، وكانت وفاته ببغداد سنة ٣٣٤هـ.
(٣) المتيم: الذي استعبده الحب
(٤) الكرى: النوم. العناء: التعب. المغرم: الغرم ضد الغنم.
(٥) المندل: عود الطيب الذي يتبخر به. العرف: الرائحة. الأرج: الطيب. من بالهم: في
خاطرهم. خيموا: نصبوا الخيام
(٦) تجسّم: صار ذا جسم؛ وكذلك الخيال في المنام.

طَوَّتْ الْأَمَانِيَّ النَّوَى فَكَانَ مِنْ أَهْوَاهُ عِنْدِي حَاضِرٌ يَتَكَلَّمُ
 وَاهَاً لِفِكْرَةِ مُسْتَهَامٍ شَيِّقٍ يَقِظُ إِذَا اعْتَكَرَ الدُّجَى تَقَسَّمَ^(١)
 فَوْقَ الثَّرِيَا هَمُّهُ وَحُظُوظُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَزَمَانُهُ يَنْهَجُّمُ^(٢)
 وَقَفْتُ بِهِ الْأَمَالَ مَوْقِفَ حَيْرَةٍ طَوْرًا تَنْوَرُ بِهِ وَطَوْرًا تُثْهِمُ^(٣)
 وَغَدَا تَجَاذِبُهُ الشَّجَاعَةُ وَالْحِجَى هَذَا يُوَخِّرُهُ وَتِلْكَ تُقَدِّمُ^(٤)
 لَمْ يُثْنِ هِمَّتَهُ بِكَاءٍ حَبِيبَةٍ كَلًّا وَلَا أُمَّ تُلْبِخُ وَتُفْسِمُ^(٥)
 لَكِنَّهُ نَظَرَ الْعَوَاقِبَ فَارْتَأَى أَنَّ التَّرِيثَ فِي الْحَقِيقَةِ أَحْزَمُ
 نَدَمُ الْعَجُولِ قَضِيَّةٌ مَعْهُودَةٌ وَأَخْوَا التَّأْنِي دَائِمًا لَا يَنْدَمُ^(٦)
 لُذَّ بِالثَّبَاتِ وَلَا تَضِيقُ ذِرْعًا وَإِنْ حَرَبَ الزَّمَانَ فَلَطْفُ رَبِّكَ أَعْظَمُ^(٧)
 وَتَأَمَّلَ الْأَيَّامَ فِي وَثْبَاتِهَا فَشَوْنَهَا عِبْرٌ لِمَنْ يَتَفَهَّمُ
 فَلرُبَّمَا قَلِقَ الْفَتَى لِعَظِيمَةٍ وَلَهُ بِهَا انْدِمَجَ الْهَنَا لَوْ يَعْلَمُ^(٨)
 لِلْغَيْبِ سِرًّا لَا يُدَاعُ وَهَذِهِ سَيَرُ اللَّيَالِي فِي الْوُجُودِ تُتْرَجَّمُ
 فَامْسَلًا فَوَادَكَ بِالْيَقِينِ فَإِنَّ مَا سَبَقَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ أَمْرٌ مَبْرَمُ

(١) واهأ: كلمة تلهف وحسرة. شيق: مشتاق.. اعتكر الدجى: اشتد الظلام. تقسم الشيء: تجزأ وتفرق.

(٢) يتجهم: يستقبل بوجه عابس.

(٣) غار: أتى الغور وهو كل ما انحدر مغرباً عن تهامة. اتهم: أتى أرض تهامة. والأمال تغور به. وتتهم: أي لا تستقر على حال.

(٤) الشجاعة تدعوه إلى الإقدام؛ والعقل الراجح يدعوه إلى الإحجام لأن الظروف التي يشير إليها لم تنهياً بعد.

(٥) تليخ: تبدو وتعرض لمنعه وتلخ عليه.

(٦) يشير إلى الحكمة المأثورة: في التأني السلامة وفي العجلة الندامة.

(٧) حرب الزمان فلاناً: سلبه ماله وتركه بلا شيء.

(٨) اندمج في الشيء: دخل فيه.

بَرَدَ الْفُؤَادُ لِعَلِمِهِ أَنَّ الَّذِي
وَتَنَفَّسَتْ عَنِّي الْكُرُوبُ وَكَيْفَ لَا
خَيْرُ النَّبِيِّينَ الَّذِي بِمَعْلُومِهِ
سِرُّ الْوُجُودِ وَمَنْبَعُ الْجُودِ الَّذِي
كَهْفُ الْعُفَاةِ وَمُضْدَرُّ الْإِحْسَانِ
لَوْلَاهُ مَا اتَّضَحَ الْهُدَى وَمَحَى الرَّدَى
فَوُجُودُهُ فِي الْكَوْنِ أَنْضَلُ نِعْمَةٍ
هُوَ رَحْمَةُ الْبَارِي وَمَظْهَرُ فَضْلِهِ
قَدْ كَانَ مَبْعُوثُهُ وَدِينُ الْكُفْرِ فِي
عَجْمُوا كِنَانَتَهُ وَرَأَمُوا صَدَّهُ
حَمَلَ الْأَذْيَةَ فِي الْإِلَهِ وَلَمْ تَلِنْ
وَدَعَا الْعَشِيرَةَ لِلنَّجَاةِ فَأَعْرَضُوا
وَتَفَنَّنُوا فِي ضُرِّهِ لَكِنَّهُ

يُقْضِي الْأُمُورَ الْعَدْلُ فِيمَا يَحْكُمُ^(١)
وَوَسَّيَلْتَنِي فِيهَا الشَّفِيعُ الْأَكْرَمُ
وَيَفْضَلُهُ شَهَدَ الْكِتَابُ الْمُحْكَمُ
يُثْرِي بِسَيِّبٍ مِنْ نَدَاهُ الْمُعْجَمُ
عَلَّقْتُ بِهِ آمَالَهُ لَا يُحْرَمُ^(٢)
نُورٌ بِهِ تُغْرَى الْعُلَا يَتَبَسَّمُ
لِلْخَلْقِ جَادَ بِهَا الْكَرِيمُ الْمُنْعَمُ
لَوْلَاهُ مَا عَرَفَ الْهَدَايَةَ مُسْلِمُ
عُرْسٍ فِقَامَ عَلَى بَنِيهِ الْمَأْتَمُ^(٣)
عَنْ قَضِيهِ الْمَيْمُونُ وَهُوَ مُصَمَّمُ^(٤)
عَرَمَاتُهُ مِنْ هَوْلٍ مَا يَتَجَشَّمُ^(٥)
عَنْ قَوْلِهِ وَاسْتَهْرَؤُوا وَتَدَمَّمُوا^(٦)
جَبَلٌ رَسَا فِإِذَا أَسَاؤُوا يَحْلُمُ^(٧)

(١) برد الفؤاد: هداً واطمأن.

(٢) كهف: ملجأ. العفاة: جمع عاف وهو طالب المعروف.

(٣) الضمير في بنيه يعود إلى دين الكفر. انقلب سرور الكفار إلى حزن بمبعثه ﷺ.

(٤) عجم العود إذا عضه ليعلم صلابته من خوره. الكنانة جعبة للنبل من جلد أو من خشب. كان العرب يعضون السهام التي في الكنانة ليجربوا صلابتها أتصلح للاستعمال أم لا؟ ومنه قول الحجاج بن يوسف الثقفي حين أقامه عبد الملك بن مروان أميراً على العراق: «إن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه؛ نشر كنانته بين يديه، وعجم عيدانها؛ فوجدني أمرها عوداً؛ وأصلبها مكسراً؛ فرماكم بي» من خطبته في أهل العراق، أي امتحنني فوجدني أهلاً لذلك. مصمم: عازمٌ عزمًا أكيداً.

(٥) تجشم الأمر: تكلفه على مشقة.

(٦) تدمم: استنكف.

(٧) رسا: ثبت.

لَقِيَ الْمَتَاعِبَ وَالْمَصَاعِبَ مِنْهُمْ وَقَدِ اسْتَجَابَ لَهُ عَلِيٌّ وَالَّتِي
وَعَدَتْ لَهُ أَحْقَادُهُمْ تَنْضَرَمُ^(١) وَتَلَاهُمْ الصَّدِيقُ فِي تَضَدِّيقِهِ
لِفَخَّارِهَا يَتَأَخَّرُ الْمُتَقَدِّمُ^(٢) صَبَرُوا عَلَى الْبَلْوَى فَأُوتُوا نُصْرَةً
وَالْقَدْ أَسْلَمَ بَعْدَهُ وَالتَّوَامُ^(٣) مِثْلُ بِفِكْرِكَ حَالَهُمْ يَوْمَ الْوَعَى
غَلْبَاءُ تُسَلِّبُهَا السُّيُوفُ وَتَلْحَمُ^(٤) وَالنَّاسُ بَيْنَ مُضْرَجٍ بِدِمَائِهِ
وَالْحَيْلُ نَضْهَلُ وَالنُّبَارُ مُقْتَمُ^(٥) وَالْمُضْطَفَى فِيهِمْ يُنَاشِدُ رَبَّهُ
وَالْبَيْضُ تَشْكُلُ وَالْأَسِنَّةُ تُعْجِمُ^(٦) وَادْكُرْ مَصَارِعَ آلِهِ فَهُمْ الْأُولَى
وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ وَالْمَلَائِكُ تَحْدِمُ فَلَطَّالَمَا حَزِنَ النَّبِيُّ لِجَعْفَرٍ
يَتَقَدِّمُونَ إِذَا الْفَوَارِسُ أَحْجَمُوا وَبَكَى عُبَيْدَةَ يَوْمَ بَدْرٍ قَبْلَهُمْ
وَلِعَمِّهِ وَهُوَ الْكَمِيُّ الْمُفْلَمُ^(٧) هَذَا الْكَمَالُ قَلُوا أَحَلَّ بِمَظْهَرٍ
عَيْنَاهُ تَذْمَعُ وَالْفَوَادُ مُسَلَّمُ^(٨) لَأَتَى إِلَيَّ أَخْلَاقِهِ يَتَّظَلَّمُ^(٩)

(١) تنضم: تشتعل وتلتهب.

(٢) يريد السيدة خديجة، ومفاخرها عظيمة في الجاهلية والإسلام.

(٣) الفذ: الفرد. التوام: المولود مع غيره في بطن واحد. يريد أن الناس بعد الصديق بادروا إلى الدخول في الإسلام أفراداً وجماعات.

(٤) غلباء: قاهرة. أسدى الثوب: أقام سداً وهو ما مُدَّ من خيوط الثوب في النسيج، وألحم الناسج الثوب: نسجه عرضاً؛ نصرة قاهرة حاكتها سيوفهم.

(٥) مقتم: مائل إلى السواد لتكاثره.

(٦) مضرج: ملطخ. البيض: السيوف. الأسته: الرماح. شكل الكتاب يشكله: ضبطه بالحركات. أعجم الكتاب يعجمه: نقطه. يريد أن السيوف تضرب، والرماح تطعن بسنانها.

(٧) يريد جعفر بن أبي طالب؛ فقد قتل في موقعة مؤتة من أعمال البلقاء بالشام، وعمه يريد حمزة بن عبدالمطلب؛ فقد قتل في غزوة أحد. الكمي: المعلم الشجاع المشهور.

(٨) عبيدة بن الحارث كان من الصحابة، ومن آل البيت استشهد في بدر.

(٩) كل ما يصدر عن النبي ﷺ ينبئ عن الكمال والعظمة النفسية؛ فهذه العاطفة الرقيقة في البكاء على قتل أصحابه وأهله في سبيل الله تدل على التأثر القلبي الذي لا يغلب، وهي =

يَا لَيْتَنَا كُنَّا تَقَدَّمَ عَهْدُنَا لِيَعْمَنَا غَيْثُ الرِّضَا وَالْمَنْنَمِ
وَنَفُوزَ مِنْهُ بِرُؤْيَاةِ الْوَجْهِ الَّذِي تَعْنُو الشُّمُوسُ لِضَوْوِهِ وَالْأَنْجُمِ
جَمُّ البَشَاشَةِ لَا عُبُوسَ يَشِيئُهُ فَتَرَاهُ يَضْحَكُ وَالْقَنَا يَتَحَطَّمُ^(١)
مِمَّ لِي وَبَيْنَ جَوَانِحِي نَارُ الْجُوى أَتَى لِأَخْمَصِهِ الْمُشْرِفِ أَلْتَمِ^(٢)
إِنَّا إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ نَذُوبٌ مِنْ طَرَبٍ فِيظَهَرُ مَا نُحِنُّ وَنُكْتَمُ
مِقَّةً تَمَشَّتْ فِي العِظَامِ دَلِيلُهَا عَبْنُ مُسَهَّدَةٍ وَدَمْعُ مُسْجَمِ^(٣)
مَلَآتْ مَحَبَّتُهُ الْوُجُودَ بِأَسْرِهِ حَتَّى الْجَمَادُ يُجِبُّهُ وَالْأَعْجَمِ^(٤)
وَالْفَضْلُ يُعَشِّقُ وَالْمَحَاسِنُ كُلُّهَا فِيمَنْ بِهِ شَرَفَ الخَطِيمِ وَرَمَزُمِ^(٥)
حُسْنٌ وَإِحْسَانٌ وَمَجْدٌ بِاذِخِ وَخَلَائِقٌ عُرِّ وَدِينٌ قِيَمِ^(٦)
نَشْتَاقُهُ وَلَيْسَ حُرْمَانَا وَجْهَهُ فَحَدِيثُهُ لِلطَّلَابِينَ الْمَوْسِمِ^(٧)
سَعِدَتْ بِرُؤْيَاةِ الصُّحَابِ وَنَحْنُ فِي مَا حَصَلُوهُ مِنَ السَّعَادَةِ نُسْهِمِ^(٧)

= مظهر النفس الشريفة الكريمة (ولو في الكلام حرف يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط) ومعنى الجملة فرضي مستحيل؛ فلو قال النبي أو فعل ما يخل بمظهر من مظاهر الكمال؛ لما أمكن ذلك؛ فأخلاقه الشريفة تأباه، ولو كان الكمال شخصاً لرفع ظلامته إلى أخلاق المصطفى التي بلغت الغاية في الكمال، وأبت أن يحدث ذلك، فلا يتأتى أن يصدر عن المصطفى ما ينقص عن مظاهر الكمال.

- (١) القنا: الرماح. يتحطم: يتكسر. يضحك في وقت الشدائد والحروب لثقتة بنصر الله.
- (٢) الجوانح: أوائل الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر. الجوي: شدة الوجد. الأخمص ما لا يصيب الأرض من باطن القدم. ألتم: أقبل. من لي؟ من يمكنني ويسمح لي استفهام للتمني.
- (٣) المققة: الحب. مسهدة: لا تام. مسجم: سائل.
- (٤) الأعجم: الحيوان الأعجم. كما جاء في معجزاته عليه الصلاة والسلام.
- (٥) باذخ: عال. قيم: قويم.
- (٦) الموسم: المجتمع؛ لأنه معلم يجتمع إليه الناس، ويطلق في أيامنا على الزمن الذي يظهر فيه الفرح والسرور وانسراح القلب.
- (٧) أسهم لفلان في كذا جعل له سهماً ونصيباً.

بِسْمَاعٍ مَا نَثَلُوهُ مِنْ أَحْبَابِهِ
وَيَفْضَلِ إِسْنَادِ الْمَلَا حَصَلَتْ لَنَا
فَلْنَا الْأَسَانِيدُ الْعَلِيَّةِ فِي الَّذِي
كُتِبَ قِرَاءَتُهَا لِإِذْرَاكِ الْمُنَى
تُكْفَى بِهَا الْبَلْوَى وَيُسْتَمَعُ الدُّعَا
يَا أَشْرَفَ الثَّقَلَيْنِ يَا مَنْ جَاءَهُ
يَا مَنْ يَلُودُ بِهِ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ
إِنَّا نَمُتُّ إِلَى عُلَاكَ بِرِئْسَبَةِ
فَانظُرْ إِلَيْنَا إِنْنَا فِي حَالَةٍ
قَلَبَ الزَّمَانُ لَنَا الْمَجَنَّنَّ وَمَا رَعَى
وَبَعَى الْقَرِيبُ وَدُو الصَّدَاقَةِ مَا وَفَى
وَأَصَابَ أُمَّتَكَ الْفَلَاءُ فَعَيْشُهَا
فَاسْتَسْقِ رَبِّكَ لِلْعِبَادِ فَإِنَّهُ
وَاسْأَلَهُ مِنْ أَفْضَالِهِ رُحْمَى لَنَا

(١) الملا: عليّة القوم وأشرفهم. إسناد الملا: إسناد رواة الحديث.

(٢) العلم اللدني: هو علم إلهامي غير كسبي سمي بذلك أخذاً من قوله تعالى في قصة الخضر وموسى وفتاه ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا لَيْنَةً رَحِمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَظَنَّانُهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ أي من عندنا بطريق الفيض والإلهام. واستعملت لذن استعمالاً اصطلاحياً في هذا المعنى فقيل: (العلم اللدني).

(٣) نمت: نتصل ونتقرب.

(٤) المجن: الترس وقلب له الدهر ظهر المجن: ناصبه العداوة.

(٥) رجم فلاناً: رماه بالحجارة حتى قتله، العواتك: جداته ﷺ.

(٦) أودى بهم: أهلكهم. الجذب: ضد النخب. عام أعود: طويل لامتناع خصبه.

فَلَقَدْ تَنَكَّبْنَا الطَّرِيقَ عَنِ الْهُدَى وَأَمَامَنَا الْأَمْرُ الْمَهُولُ الْمُبْهَمُ^(١)
 أَجْرَيْتَ طَرْفَ صَبَايَ مِلءَ فُرُوجِهِ فِي اللَّهْوِ حَتَّى ابْيَضَّ فَوْدِي الْأَسْحَمُ^(٢)
 وَالْآنَ بَيْنَ يَدَيَّ جَاءَ (مَحَمَّدٍ) وَبِجَاهِهِ يَرْجُو الْخَلَاصَ الْمُجْرِمُ
 كُنْ لِي بِعَفْوِكَ وَاقْضِ حَاجِي كُلَّهَا يَا رَبِّ إِنَّكَ بِالسَّرَائِرِ أَعْلَمُ
 وَأَطْلُ حَيَاتِي فِي هَذَا يَا وَاسِعَ الْإِلَهِ إِخْسَانٍ وَاجْمَلَهَا بِحُسْنِي نُحْتَمُ
 وَالظَّفَ إِذَا عَرِقَ الْجَبِينُ وَضَمَّنِي كَفَنَ كَأَنِّي فِي اللَّفَائِفِ مُخْرِمُ
 وَأَحْبَبْتَنِي يَبْكُونُ حَوْلَ جَنَازَتِي وَبَنِي أَيْتَامٍ وَزَوْجِي أَيْمُ
 وَاحْفَظْ جُيُوشَ الدِّينِ وَأَنْصُرْ أَهْلَهُ نَصْرًا بِهِ حِزْبُ الضَّلَالَةِ يُرْغَمُ^(٣)
 وَعَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ وَوَصِيِّهِ مِنَّا صَلَاةٌ لَا يَجِفُّ بِهَا فَمُ
 مَا سَارَ مُشْتَاقٌ يَوْمٌ دِيَارَهُمْ وَشَدَّتْ بِمَدْحِهِمُ الْحُدَاةَ وَزَمَرُمَا^(٤)



(١) تنكب فلان الطريق: تجنب سواء السبيل. المهول: المفزع. المبهم: الخفي المجهول: يفرح من المستقبل. لا يدري ما الله فاعل بهم بعد تصويره الحاضر بهذه الصورة الفظيعة؟
 (٢) الطرف: الكريم العتيق من الخيل. الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن. الأسحم: الأسود. ملء الفروج: ما بين أرجل الخيل من الاتساع.
 (٣) يرغم: يذل ويهان.
 (٤) يوم: يقصد. شدا: غنى. الحداة: جمع حاد وهو الذي يسوق الإبل بالغناء. زمزما: تابعا في الغناء.

القصيدة الثالثة والثلاثون

لآل الكِسا

لآل الكِسا بَيْنَ الضُّلُوعِ غَرَامٌ وَفِي غَيْرِهِمْ نَظْمِي الْقَرِيضَ حَرَامٌ
 وَلَيْسَ لِرُوحِي رَاحَةٌ غَيْرُ ذِكْرِهِمْ إِذَا مَرَّ يُظْفَى مِنْ حَشَايَ ضِرَامٌ^(١)
 وَلَوْلَا جِوَارٌ مِنْهُمْ لِي وَذِمَّةٌ لَنَالَ الْعِدَا مَا دَبَّرُوهُ وَرَأَمُوا
 فَقَدْ بَدَّلُوا فِي الْكَيْدِ لِي فَوْقَ جُهْدِهِمْ وَقَامُوا وَفِيهِمْ شِرَّةٌ وَعُغْرَامٌ^(٢)
 وَلَمْ يَفْقَدُوا إِلَّا عَلَى الْهَجْرِ وَحْدَهُ وَسَيَّانَ وَضَلَّ مِنْهُمْ وَصِرَامٌ^(٣)
 بِإِثْمِ الْجَفَا بَاؤُوا وَلَسْتُ بِهَجْرِهِمْ أُبَالِي وَمَا فِي هَاجِرِي كِرَامٌ^(٤)

* * *

(١) الضرام: لهب النار واشتعالها.

(٢) الشرة: النشاط. العرام: الشراسة والأذى.

(٣) الصرام: القطع.

(٤) الإثم: الذنب. باء به: رجع.

القصيد الرابعة والثلاثون

إِذَا غَنَّتْ

إِذَا غَنَّتْ مِنَ الْوَادِي حَمَامَةٌ جَرَى دَمْعِي كَمُنْهَلِ الْغَمَامَةِ^(١)
 وَإِنْ هَبَّ النَّسِيمُ أَهِيمٌ وَجَدًّا إِلَى مَنْ حَيَّمُوا فِي شِعْبِ رَامَةٍ^(٢)
 مَتَى يَبْدُو لَنَا عِلْمُ الْمُصَلَّى وَنَشَقُّ مِنْ نَسَائِمِهِ خُرَامَةٍ^(٣)
 وَتَبْدُو قُبَّةً مُلِئَتْ جَلالًا عَلَيْهَا التُّورُ فِي الدَّاجِي عَلَامَةٍ^(٤)
 لَنَا شَوْقٌ إِلَى سُكَّانِ نَجْدٍ بِحُرْقَتِهِ حَمَى جَفْنِي مَنَامَةٍ^(٥)
 فَهَلْ تَفْضِي النُّفُوسُ لَهَا مَرَامًا بِرُؤْيَةِ سَادَةٍ سَكَنُوا حَيَامَةٍ
 إِذَا ذُكِرَ الْعَقِيقُ يَذُوبُ قَلْبِي وَذِكْرُ الْمُصْطَفَى يُذَكِّي غَرَامَةٍ^(٦)
 نَبِيٍّ قَدْ بَرَاهُ اللَّهُ نُورًا لِأَهْلِ الْأَرْضِ أَشْرَفَ مِنْ تِهَامَةٍ^(٧)
 وَأَعْطَاهُ الْمَرَاتِبَ وَالْمَرَازِبَا وَآتَاهُ الْمَنَاقِبَ وَالشَّهَامَةَ^(٨)

(١) الغمامة: السحابة. انهلت: اشتد نزول ماؤها.

(٢) أهيم وجدًا: يشتد تعلقي. الشعب: ما انفرج بين جبلين. رامة: موضع بالبادية.

(٣) من معاني العلم: ما ينصب في الطريق ليهتدي به، والحد بين الأرضين: ومصلى النبي ﷺ خارج سور المدينة في غربها. الخزامى نبت زهره أطيّب الأزهار. واحدته خزاماة.

(٤) الداجي: الليل المظلم.

(٥) حمى: منع.

(٦) العقيق: واد قرب المدينة. يذكي: يزيد.

(٧) براه: برأه وخلقه. أشرف: أطل. أقبل.

(٨) المنقبة: العقل الكريم، والمفخرة جمعها مناقب. الشهامة: ذكاء الفؤاد، وإصابة الرأي.

وَأَيْدُهُ بِزَنْفَمَتِهِ وَأَعْلَى
 أَجَلُ الْمُرْسَلِينَ بِلا نِزَاعٍ
 لَهُ الْمَجْدُ الْمُؤْتَلُ وَالْمَعَالِي
 إِذَا اشْتَدَّ الْأَذَى وَصَلُوا إِلَيْهِ
 فَيَجْثُو سَاجِدًا لِلَّهِ يَدْعُو
 نَبِيًّا لَا يُطِيقُ الْمَرْءُ وَضْفًا
 بِظَلَمَتِهِ يَصِيرُ اللَّيْلُ صُبْحًا
 كَانَ جَبِينَهُ قَمَرٌ مُزِيرٌ
 تَدُلُّ عَلَيْهِ هَيْبَتُهُ الْأَفَاقِي
 تَوَاضَعَتِ الْمُلُوكُ لَهُ خُضُوعًا
 لَهُ الْآيَاتُ أَغْلَامًا كِتَابٌ
 تَحْدَى الْمُشْرِكِينَ فَمَا اسْتَطَاعُوا
 بِجَاهِ السَّيِّدِ الْمَخْبُوبِ نَرْجُو
 وَبِالزُّهْرَاءِ وَبِالْخَسَنِينَ أَيْضًا
 نُؤْمَلُ أَنْ تَنَمَّ لَنَا الْأَمَائِي
 وَتَنْمُرَنَا الْكَرِيمُ بِفَضْلِ جُودِ

بِلا اسْتِثْنَا لِمَخْلُوقٍ مَقَامَهُ
 إِذَا اجْتَمَعُوا وَظَيَّفْتُهُ الْإِمَامَةَ
 وَفِي يَوْمِ الْحِسَابِ لَهُ الرَّعَامَةَ
 لِأَنَّ لَهُ الشَّفَاعَةَ فِي الْقِيَامَةِ
 فَيُؤَلِّبُهُ الْفَضِيلَةَ وَالْكَرَامَةَ^(١)
 لِرِفْعَتِهِ وَإِنْ وَشَى كَلَامَهُ^(٢)
 لِنَظَرِهِ وَإِنْ أَبْقَى لِشَامَهُ
 يُضِيءُ إِذَا الدُّجَى أَرْحَى ظَلَامَهُ
 فَيَغْرِقُهُ وَإِنْ لَيْسَ الْإِمَامَةَ^(٣)
 وَذَلَّ الْكُفْرُ مِنْ بَعْدِ الْعَرَامَةَ^(٤)
 مَتَى يُثَلَّى تَطَامِنُ كُلُّ هَامَةَ^(٥)
 مُعَارِضَةً وَبَاؤُوا بِالنَّدَامَةَ
 مِنْ اللَّهِ السَّمَادَةَ وَالسَّلَامَةَ
 وَمَنْ رَوَى مِنْ الْأَعْدَا حُسَامَةَ^(٦)
 بِدُنْيَانَا وَفِي دَارِ الْإِقَامَةَ
 يُبَلِّغُ كُلَّ ذِي قَضِي مَرَامَةَ

(١) جثا: جلس على ركبتيه.

(٢) وشى: زخرف وأبدع.

(٣) الأفاعي: يريد الرجل الغريب الآتي من نواح بعيدة. والآفاق: النواحي والنسبة إليها أفقي بضميتين ويفتحين وتصرف الشاعر فيه بما ترى.

(٤) العرامة: الشدة.

(٥) الآيات هنا: المعجزات. تطامن الرجل: انحنى. الهامة: الرأس.

(٦) يريد علياً كرم الله وجهه.

فَهُمْ غَوْثُ الطَّرِيدِ لِمَنْ دَعَاهُمْ أَجَابُوا صَوْتَهُ وَشَفَّوْا سَقَامَهُ
 بِكُمْ يَدْعُو سَلِيلُكُمْ وَيَأْوِي إِلَى إِحْسَانِكُمْ فَارْعَوْا ذِمَامَهُ
 وَوَالُوا مَنْ يُوَالِيهِ وَعَادُوا عِدَاهُ وَأَبْفَضُوا مَنْ كَانَ ضَامَهُ^(١)
 فَقَدْ مُلِئَتْ جَوَارِحُهُ وَدَادَا وَخَامِرَةُ الْهُوَى حَتَّى عِظَامَهُ
 وَأَخْلَصَ فِي مَحَبَّتِكُمْ وَفِيكُمْ بِصِدْقِ عَزِيمَةِ قَوَى اغْتِصَامَهُ^(٢)
 تَشَبَّثَ مِنْكُمْ بِوَثِيئِي عَهْدِ بِحَوْلِ اللَّهِ لَا يَخْشَى انْفِصَامَهُ
 وَمَنْ يَغْلِقْ بِذِمَّتِكُمْ فَأَنْسَى تُطِيقُ حَوَادِثُ الدَّهْرِ اهْتِضَامَهُ؟
 وَإِنْ مَسَّتْهُ تَارَاتُ اللَّيَالِي بِمَكْرُوهِ فَأَنْتُمْ فِي الْمَلَامَةِ
 وَحَاشَا أَنْ يَضَامَ لَكُمْ نَزِيلٌ وَجَبَّارُ السَّمَاءِ فَرَضَ اخْتِرَامَهُ^(٣)
 بِحُبِّكُمْ عَسَى الْبَارِي يُحَسِّنُ لَهُ حَتَّى يُرَافِقَكُمْ خِتَامَهُ^(٤)
 عَلَى أَرْوَاجِكُمْ مِنَّا صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ أَلَدٌ مِنْ الْمُدَامَةِ^(٥)



(١) ضامه: ظلمه وقهره.

(٢) اعتصم به: تمسك.

(٣) يشير إلى أمر الله باحترام العلماء قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وما جاء في السنة بذلك

(٤) يحسن: يحسن ختامه حتى يرافقكم. سكن الفعل من غير جازم للضرورة..

(٥) المدامة: الخمر.

القصيدة الخامسة والثلاثون

خَيَالٌ مِنَ الْأَحْبَابِ

خَيَالٌ مِنَ الْأَحْبَابِ بِاللَّيْلِ وَافَانِي
وَدَكَّرَنِي الْعَهْدَ الَّذِي مَا نَسِيْتُهُ
رَأَيْتُ كَأَنَّا طَائِرُونَ لِحَضْرَةٍ
إِلَى مَهْبِطِ التَّنْزِيلِ وَالْبَلَدِ الَّذِي
طَوَيْنَا الْفَلَاحَ وَخُدًّا إِلَى سَادَةِ الْمَلَا
فَلَمَّا وَرَدْنَاهَا أَقْشَعَرَتْ شُعُورُنَا
وَأَذْهَشْنَا نُورَ الْوَقَارِ كَأَنَّمَا
وَجِينُذُ زَادَ الْعَجِيجُ وَأُخْرِسَ الـ

فَرَوَّحَ رُوحِي بِالْوِصَالِ وَأَخْيَانِي
وَهَيَّجَ أَشْوَاقِي وَبَعَثَرَ أَشْجَانِي^(١)
عَلَى فَلَكَ الْمَرِيخِ تَسْمُو وَكِيَوَانَ
لِجَبْرِيلَ تَطْوِافٌ بِهِ وَلِرِضْوَانَ
بِأَجْنِحَةِ الشُّوقِ الْمَبْرَحِ فِي آنٍ^(٢)
لِهَيْبَةِ سُلْطَانٍ هُنَالِكَ رَبَّانِي
فُصِّلْنَا عَنِ الدُّنْيَا إِلَى عَالَمٍ ثَانِي
نَشْبِجُ وَرَوَيْنَا الثَّرَى بِالدَّمِ الْقَانِي^(٣)



(١) المريخ: نجم من السيارات وهو أقربها للشمس. كيوان: زحل وهو من الكواكب التي يضرب بها المثل في البعد والعلو.

(٢) الوخذ: الإسراع بخطو واسع. سادة الملأ: سادة الناس. برح به الشوق: آذاه أذى شديداً. الآن: الوقت الحاضر. يريد في أسرع زمن من غير ركبان.

(٣) عج القوم: ضجوا وأجلبوا. نشج الباكي نشيجاً: غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب. الدم القاني: الشديد الحمرة.

القصيدة السادسة والثلاثون

أَبِيْتُ مِنَ الْهُوَى

أَبِيْتُ مِنَ الْهُوَى قَلِقَ الْوَضِيْنِ غَزِيْرَ الدَّمْعِ مُنْتَقِعَ الْجَبِيْنِ^(١)
يُدَافِعُنِي الْفَرَامُ عَلَى فِرَاشِي مُدَافِعَةَ الزَّوَآخِرِ لِلْسَّفِيْنِ^(٢)
زَجَرْتُ لَهُ الْحَمَامَ فَطَارَحْتَنِي قَرِيضَ الشَّقْوَى بِالنَّعْمِ الْحَزِيْنِ^(٣)
فَبَعَثَرَلِي تَرْمُمَهَا شُجُونِي وَأَظْهَرَ حُسْنَ لَهْجَتِهَا دَفِيْنِي^(٤)
أَزَدْتُ بِهَا السُّلُوَ فَأَقْصَدْتَنِي مَرَامِيهَا فَقُلْتُ لَهَا دَعِيْنِي^(٥)
فَقَدْ قَطَعْتَ بِالْتَرَجِيْعِ قَلْبِي فَحَسْبُكَ قَدْ كَفَانِي مَا يَلِيْنِي^(٦)
أَسْأَلُهَا أَلْعُشَّاقِ طِبُّ فَقَالَتْ مَا لَهُمْ غَيْرُ الْحَزِيْنِ
وَهِيَ هَاتِ السُّلُوَ لِمُسْتَهَامِ يُرَوِّعُ بِالنَّوَى فِي كُلِّ حِيْنِ^(٧)
كَأَنَّ اللَّيْلَ يَطْلُبُنِي بِدِيْنِ فَيُلْزِمُنِي الْوَفَا خُلُقِي وَدِيْنِي

- (١) الوضين: بطن عريض يكون للهودج كالحزام للسرّج. انتقع لونه: تغير لأمر أصابه كالحزن ونحوه وهو منتقع. الجبين: ناحية الجبهة إلى الصدغ.
(٢) الزواخر: البحار العظيمة. السفين: جمع سفينة.
(٣) زجر الطير: رماه بحصاة فإن ولّاه في طيرانه ميامنه: تفاعل به؛ أو مياسره تطير؛ لما حرك الطائر رد عليه بنوح كأنه يطارحه الشعر في موضوع واحد وهو الشوق إلى الأحباب.
(٤) ترنم الحمام وحرك أحزاني وأظهر ما كمن من وجدي.
(٥) أقصدتني: أصابتنِي.
(٦) يليني: يملك أمري ويستبد بي.
(٧) النوى: البعاد. يروع: يهدد ويفزع.

فَأَزْحَصُ فِي الْغَرَامِ عَزِيزَ دَمْعِي وَأَبْدِلُ فِي الْهَوَى جَلْدِي بِلَيْبِي
 وَأَخْلَعُ فِي الصَّبَابَةِ ثُوبَ صَبْرِي وَأَسْتَخْذِي خُذُوَ الْمُسْتَكِينِ^(١)
 فَهَلْ لِظْلَامِ هَذَا اللَّيْلِ بَدْرٌ وَهَلْ يُفْضِي إِلَيَّ فَجْرٌ مُبِينِ^(٢)
 وَهَلْ يَسْخُو الزَّمَانُ بِطَيْبٍ وَضَلِ أَلَدُّ لَنَا مِنَ الْمَاءِ الْمَعِينِ^(٣)
 وَهَلْ تَطْوِي الْقِفَارَ بِنَا رِكَابٌ فَتُوصِلَنَا إِلَى الْبَلَدِ الْأَمِينِ
 بِلَادُ تُرْبِهَا مِنْكَ وَأَمَّا حَصَاهَا فَهِيَ أَشْبَهُ بِالرَّقِينِ^(٤)
 بِلَادُ الْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ فِيهَا نَبِيُّ اللَّهِ ذُو الدِّينِ الْمَتِينِ
 أَجَلُ الْمُزْسَلِينَ بِلَا نِزَاعٍ فَرِيدُ الدَّهْرِ مُنْقَطِعُ الْقَرِينِ
 سَنَامُ الْمَجْدِ عِرْنِينَ الْمَعَالِي جَلِيلُ الشَّانِ ذُو الْقَدْرِ الْمَكِينِ^(٥)
 مِنَ الْمَلَكُوتِ غُنْصُرُهُ تَدَلَّى وَصُورَ بَعْدُ مِنْ مَاءٍ وَطِينِ^(٦)
 بِبَعَثَتِهِ أَضَاءَ الْكَوْنِ نُوراً وَصِينَ الدِّينِ بِالْحِضْنِ الْحَصِينِ
 وَبَاءَ الشُّرْكَ بِالْأَوْصَابِ يَبْكِي عَلَى الْأَنْصَابِ بِالْحَفْنِ السَّخِينِ^(٧)
 أَتَى وَالْكَفْرُ مُفْتَكِرُ النَّوَاحِي فَنَاصَبَهُ الْخُصَامَ بِلَا مُعِينِ^(٨)

(١) استخذي: أخضع.

(٢) أفضى إليه: وصل وانتهى.

(٣) الماء المعين: السائل على وجه الأرض.

(٤) الرقین: الدرهم يشبه حصاها في البياض.

(٥) السَّنام: الجديّة على ظهر البعير. العرنين من الأنف: ما تحت مجتمع الحاجبين، ومن كل شيء أوله. وعرائن الناس: أشرافهم وساداتهم.

(٦) الملكوت: السلطان والعظمة يريد من الملاء الأعلى.

(٧) باء: عاد ورجع. الشرك: عبادة غير الله كالأصنام والأوثان وغيرهما. الوصب وجمعه أوصاب: المرض والوجع الدائم. الأنصاب: كل ما عبد من دون الله. السخين: الحار. يريد يدمع العين الحار: لو صور الشرك شخصاً لكان حزينا خائب الرجاء بسبب بعثة الرسول الأمين.

(٨) مفكر النواحي: مختلط الطرق وكلها ضلال. ناصبه: قاومه وعاداه.

فَطَفَّرَهُ الْمَلِيكَ بِرِيحٍ نَضْرٍ
وَبِالْإِخْوَانِ أَيَّدَهُ فَكَانُوا
وَبِالْآيَاتِ مِنْ خُلُقِي عَظِيمٍ
وَمَنْ نَمَدٍ يَجِيئُ بِرِيٍّ جَبِيئٍ
وَمِنْ حَجَرٍ يُكَلِّمُهُ وَجِدْعٍ
إِذَا كَانَ الْجَمَادُ يَجِنُّ وَجَدًّا
نَعَمْ نَشْتَأِقُ طَيِّبَةَ وَالْمُصَلَّى
إِذَا دُكِّرُوا تَفِيضُ دَمًا عُيُونِي
وَأَصْوَاتُ الْحُدَاةِ تَهْيِجُ حُزْنِي
أَكَادُ أَدُوبٌ لِيَكَنَّ الْأَمَانِي
وَلَوْلَا طَيِّفٌ مِّنْ أَهْوَاهُ عِنْدِي

وَبِالْقُرْآنِ وَالرَّأْيِ الرَّزِينِ
لِمَلَّتِهِ الشَّرِيفَةُ كَالْعَرِينِ^(١)
وَمِنْ عَذْبٍ يَفِيضُ مِنَ الْيَمِينِ^(٢)
وَبُورِكَ فِي الْعِنَاقِ وَفِي الْعَجِينِ^(٣)
بَكَى يَوْمَ الْعَرُوبَةِ بِالرَّيْنِ^(٤)
لِفُرْقَتِهِ فَمَا بَالَ الْبَنِينِ^(٥)
وَحُبِّ الدَّارِ مِنْ أَجْلِ الْقَطِينِ^(٦)
وَبُرْزَعِجْنِي غَرَامًا يَفْتَضِينِي^(٧)
وَأَجْهَشُ عِنْدَ تَكْبِيرِ الْأَذِينِ^(٨)
تَعَلَّةٌ صَاحِبِ الْقَلْبِ الرَّهِينِ^(٩)
لَأَشْرَقْنِي النَّوَى بِدَمِ الْوَتِينِ^(١٠)

(١) العرين: مأوى الأسد.

(٢) الآيات: المعجزات. ومنها نبع الماء من بين أصابعه.

(٣) التمد: موضع كالحوض يجتمع فيه ماء السماء فيشرب به الناس زمناً. جاشت العين: فاضت بالماء. العناق: الأنثى من أولاد المعز قبل استكمالها الحول. بارك الله في الماء واللحم والعجين الذي يخبز فكان فيه الكفاية. وكان من المعجزات.

(٤) يوم العروبة: يوم الجمعة؛ وهو من أسمائه في الجاهلية. الرنين: الصوت. يريد بالجدع جذع النخلة الذي كان يستند إليه ﷺ وهو يخطب.

(٥) كسر النون في جمع المذكر السالم لغة (البنين).

(٦) القطين: أهل الدار.

(٧) اقتضى الحال كذا: استدعاه واستوجبه.

(٨) أجھش: أفزع هاماً بالبكاء. أصوات الحداة تذكرني بالسفر إلى الأرض المقدسة، وتكبير المؤذن يلهني شوقاً إلى الحرم النبوي الشريف.

(٩) الأمانى: جمع أمنية وهي ما يتمناه الإنسان. التعلة: ما يتعلل به ويتلهى ويُسْغَل. الرهين: المرهون المقيد.

(١٠) أشرقني: أغصني. النوى: البعد. الوتين: عرق القلب يجري الدم منه إلى العروق جميعها.

فَفِي زَوْرِ الْخِيَالِ لَطِيفٌ مَعْنَى بِهِ يَهْفُو الْمَجْبُ مِنْ الْأَنِينِ^(١)
يُحَيِّيَنِي التَّسِيمُ بِعَرَفِ مَسْكَ وَيُثَجِّفُنِي بِنَشْرِ الْيَاسَمِينِ
فَأَنْشَقَ عِظَرَ طَيِّبَةٍ مِنْ شَذَاهُ وَيَجْلُو الْغَمُّ عَنْ صَدْرِي الْمَرِينِ^(٢)
وَأَحْفِيهِ الْمَسَائِلَ عَنْ نَبِيِّ أَتَى الثَّقَلَيْنِ بِالْحَقِّ الْيَقِينِ^(٣)
وَأَنْشَدُهُ فُوَاداً هَامَ عَنِّي هُنَالِكَ بَيْنَ غِرْلَانٍ وَعَيْنِ^(٤)
وَأودِعُهُ السَّلَامَ إِلَيْكَ يَا مَنْ أَلُوذُ بِرُكْنِهِ الصَّخْمِ الرَّكِينِ
وَأَجَعَلَهُ الْوَسِيلَةَ فِي ابْتِهَالِي إِلَى الْبَارِي وَحُرْمَتُهُ صَمِينِي^(٥)
بِهِ وَبِبَنْتِهِ أَزْجُو نَجَاتِي وَبِالسُّبُطَيْنِ وَالْحَبْرِ الْبَطِينِ^(٦)
وَأَلْتَمِسُ الْجَوَائِزَ وَالْعَطَايَا بِجَاهِهِمُ الْعَرِيضِ الْمُسْتَبِينِ
وَعَافِيَةً مِنَ الْمَوْلَى وَعَفْواً لِنَفْسِي وَالْجَلِيسِ وَلِلْخَدِينِ^(٧)
فَهُمْ دُخْرِي وَسِلْسَلَةُ انْتِسَابِي لَهُمْ أَغْلَى مِنَ الْعَقْدِ الثَّمِينِ
وَحَاشَا أَنْ أَضَيِّعَ وَهُمْ مَلَازِي وَمَا قَدْرِي لَدَيْهِمْ بِالْمُهِينِ^(٨)
أَيَغْمُرُ جُودَهُمْ كَغَبَابِ بِمَدِي وَيَجْرُزُ عَنْ سَلِيلِهِمُ الْقَمِينِ^(٩)

(١) الخيال: ما يأتي في المنام. يهفو من الأنين: يخف توجهه.

(٢) الشذا: الرائحة. المرين: المغلوب المغطى عليه بالغموم.

(٣) أحفى فلاناً يُخفيه: سأله فأكثر عليه الطلب.

(٤) العين. بكسر العين: بقر الوحش، لاتساع عيونها شبه بها.

(٥) الحرمة: الذمة والعهد.

(٦) يريد بالحبر البطين: سيدنا علياً.

(٧) الخدين: الصاحب.

(٨) المهين: الحقير.

(٩) يريد كعب بن زهير الشاعر الذي مدح النبي ﷺ بقصيدته المشهورة (بانة سعاد) فغمره

النبي بجوده، وأهدى إليه برده، القمين: الحقيق بالتقدمة وكيف لا وهو سليلهم.

وَلِي فِيهِمْ بِلا مَنْ عَلَيْهِمْ مَدَائِحُ أُخْرَسَتْ مَنْ يَفْتَفِينِي^(١)
عَلَى أَرْوَاحِهِمْ مِنِّي صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ مِنَ الْبَلَوَى يَقِينِي



(١) يفتفيني: يتبع أثري. المن: عدّ الإحسان والتعير به. لذلك احترس الشاعر.

القصيدة السابعة والثلاثون

طَفِقَتْ تُعَيَّرُ

طَفِقَتْ تُعَيَّرُ أَذْهَمِي بِحِرَانِهِ وَهِيَ الَّتِي أَمَرَتْ بِفَضِّ عِنَانِهِ^(١)
 أَنَّى يَثُيْبُ غُرَابٌ لَيْلٍ مُتَبِّمٌ طَلَعَتْ جِيَادُ الشُّهْبِ فِي مَيْدَانِهِ^(٢)
 وَقَصْدَنْ مِنْ نَهْرِ الْمَجْرَةِ مَوْرِدًا لِلشُّرْبِ حِينَ ظَمِئَتْ مِنْ غُدْرَانِهِ^(٣)
 فَحَمَى عَلَيْهِنَّ الْمَنَاهِلَ شَبِيقٌ لَمَّا حَمَيْنَ النَّوْمَ عَنْ أَجْفَانِهِ^(٤)
 صَبَّ لِخَفْقِي الْبَرْقِ يَهْفُو قَلْبُهُ عَنْ صَدْرِهِ وَيَذُوبُ مِنْ لَمَعَانِهِ^(٥)
 وَإِذَا اسْتَهَلَّ مِنَ الْغَمَائِمِ صَيْبٌ سَأَلْتُ شُؤُونََ عَقِيقِهِ وَجُمَانِهِ^(٦)

(١) الأدهم: الأسود من الخيل. حرنت الدابة: تعاصت عن الأنقياد. العنان: سير اللجام. وفضه: فكه.

(٢) المتبم: من استعبده الحب. طَلَع: غمز في مشيه وعرج. الشهب: النجوم. أي لا أمل في انقضاء الليل إذا كانت نجومه لا تتحرك إلا ببطء كأنها لا تريد السير أو كأن جيادها عرجت في الميدان فلا تستطيع السبق. لما جعلها خيلاً جعل لها ميداناً.

(٣) المجرة: منطقة في السماء فيها نجوم كثيرة لا يميزها البصر، وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء. لذلك سماها العرب نهرًا وأدخلوه في التشبيه والاستعارة. ولما جعل للنجوم خيلاً جعل لها ورداً لتشرب، ولما لم تجد الماء حين ظمئت قصدت نهر المجرة لتشرب من غدْرانهِ.

(٤) حمى: منع. شبيق. مشتاق. لما كانت النجوم سبباً في سهره وحرمانه النوم انتقم منها بحرمانها موارد الماء.

(٥) هفا القلب: ذهب وطار: هذا المحب إذا رأى لمع البرق تأثر قلبه، وذاب لأنه آت من ناحية الأحباب، وقد تذكر أيامه معهم وأنسه بهم.

(٦) الصيب: السحاب ذو المطر. العقيق: فصوص حمر. الجمال: اللؤلؤ. إذا نزل المطر ظن =

وَإِذَا تَطَارَحَتِ الْخَمَائِمُ سَجَعَهَا
مَلَكَ الْغَرَامِ فُوَادَهُ مِنْ نَظْرَةِ
لَا شَيْءٍ مِثْلُ الْحُسْنِ فِي جَذْبِ النَّهْيِ
كَتَمَ الْجَوَى حَتَّى دَنَا يَوْمَ النَّوَى
أَزِفَ الرَّحِيلُ فَلَا تَسَلُ عَمَّا وَرَى
وَمَضَى الرَّفَاقُ وَمَا قَضَى مِنْ عَزْمِهِ
فَمَتَى يُحَلُّ عَقَالُهُ وَبُدَالٍ مِنْ
وَمَتَى تُبَلِّغُهُ الْمَطِيئُ بِنَصِّهَا
بَلَدٌ يَخِرُّ الْمُسْتَهَامُ إِذَا أَنْجَلَى
بَلَدٌ تَطُوفُ بِهِ مِلَائِكَةُ الْعُلَى
بَلَدٌ تُنَازِلُكَ الْمَهَابَةُ عِنْدَمَا
بَلَدٌ يَشُوبُ الْمُؤْمِنُونَ دُمُوعَهُمْ

كَادَتْ تَطِيرُ الرُّوحُ عَنْ جُثْمَانِهِ^(١)
أَمْسَى بِهَا كَالْمُضْنِ فِي خَفْقَانِهِ
كَأَلَّا وَلَا كَالْبَيْنِ فِي أَشْجَانِهِ
وَهَتِ الْقُوَى فَمَجَزَنَ عَنْ كِثْمَانِهِ^(٢)
فِي جَوْفِهِ بِالنَّأْيِ مِنْ نِيرَانِهِ^(٣)
غَرَضًا وَأَوْثَقَةَ النَّوَى بِمَكَانِهِ^(٤)
مَذْمُومِ سُومِ الْبُعْدِ سَعْدُ قِرَانِهِ^(٥)
بَلَدًا يَفُوحُ الْمِسْكُ مِنْ كُثْبَانِهِ^(٦)
نُورُ الْجَلَالِ لَهُ عَلَى أَدْقَانِهِ
لِتَشَمَّ عَرَفَ الطَّيْبِ مِنْ رِيحَانِهِ
تَبْدُو مَنَازِلُهُ لِرِفْعَةِ شَانِهِ^(٧)
بِدِمَائِهِمْ شَوْقًا إِلَى سُكَّانِهِ^(٨)

= أن السحاب آت من جهة الأحياب فبكى لبعده بدمع كالدم في لونه وكاللؤلؤ في صفائه.

(١) سجع الحمام: غناؤه وترديده. غناء الحمامات تذكر إلفها؛ يذكره أحيابه فيكاد يموت.

(٢) الجوى: حرقه الوجد؛ فقد كتّمها حتى قرب يوم الفراق فضعفت قواه فأعلن سره.

(٣) أزف الرحيل: اقترب. ورى: اشتعل: النأي: البعاد.

(٤) رحل رفاقه، وما استطاع أن يبلغ غرضه وقيده البعاد بمكانه.

(٥) أدال الله لهم من عدوهم: جعل لهم النصر عليه. لقد كان بعده عن أحيابه عذاباً وشوماً وإنه ينتظر اليوم الذي تكون فيه الغلبة للسعد. أي يسعد بعد بؤس وفيه إشارة إلى ما كان يعتقد. العرب من نسبة السعادة أو الشقاوة إلى الكواكب فمن منازل القمر سعد السعود. يكون من حظه فيقرن به.

(٦) نصها: سيرها السريع. الكتيب وجمعه كتيبان: التل من الرمل.

(٧) نازل خصمه: قاومه. إذا بدت منازل المدينة المنورة للقادمين عرضت المهابة لهم أي أحسوا بالهبة لعظمة دار الهجرة ورفعة شأنها.

(٨) يشوب: يخلط وفي الأصل يشيب ولا معنى له هنا.

بَلَدٌ يَهْرُ النَّاسَ يَوْمَ وُرُودِهِ جَذَلٌ كَمَا لَعِبَ النَّسِيمُ بَبَانِهِ^(١)
 بَلَدٌ يَوُدُّ النَّجْمُ لَوْ حَضَبَاؤُهُ كَانَتْ مَحَلَّ الدَّرِّ مِنْ تَيْجَانِهِ^(٢)
 بَلَدٌ سَقَى مَاءَ النُّبُوَّةِ غَرَسَهُ فَتَفَرَّعَ الْإِيمَانُ مِنْ أَغْصَانِهِ
 بَلَدٌ تَدِيرُهُ الْخَيْبُ (مُحَمَّدٌ) وَاخْتَارَهُ وَأَحَبَّ شُمَّ رِعَانِهِ^(٣)
 وَدَعَالَهُ وَلِسَاكْنِيهِ لِأَنَّهُمْ آوَوْهُ لَمَّا زِيدَ عَنِ أَوْطَانِهِ^(٤)
 مَثَلٌ بِفِكْرِكَ مَشِيَهُ بِعِرَاصِهِ فِي هَالَةٍ مِنْ صَالِحِي إِخْوَانِهِ^(٥)
 وَجُلُوسَهُ مَعَهُمْ وَطِيبَ حَدِيثِهِ وَوُرُودَهُمْ مِنْ قَيْضِ عَذْبِ بَنَانِهِ^(٦)
 وَتَرَدُّدَ الرُّوحِ الْأَمِينِ عَلَيْهِ بِالتَّنْزِيلِ وَالتَّبَجُّحِ مِنْ سُلْطَانِهِ^(٧)
 مَا الْحَالُ إِذْ يَتْلُو بِقَلْبٍ خَاشِعٍ لِلْمُؤْمِنِينَ الْآيِ مِنْ قُرْآنِهِ^(٨)
 يَتْلُوهُ رَطْبًا بَيْنَهُمْ وَدُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهِ مِنْ أَخْرَانِهِ^(٩)
 فَهُنَالِكَ الرَّقْرَاتُ تَغْلُو وَالْجَوَى يَغْلُو لِمَا عَرَفُوهُ مِنْ بُرْهَانِهِ^(١٠)
 لِيهِ مُعْجِزَةٌ أَقْرَبُ بِصِدْقِهَا حَتَّى أَوْلُو الشَّنَّانِ مِنْ أَقْرَانِهِ^(١١)

(١) الجذل: الفرخ. البان: الشجر المعروف أي لعب بأغصانه.

(٢) الحصباء: الحصى الصغار.

(٣) تديره: اتخذه دار له. الرعان جمع رعن: أنف يتقدم الجبل. وشما: عاليها.

(٤) زيد: أبعد.

(٥) العراص جمع عرصة: البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء. الهالة: الدائرة النيرة التي تظهر أحياناً حول القمر.

(٦) من معجزاته ﷺ نبع الماء من بين أصابعه.

(٧) الروح الأمين: جبريل. السلطان: القدرة التي جعلها الله لجبريل.

(٨) الآي: الآيات.

(٩) يتلوه: رطباً: إثر نزوله.

(١٠) يغلو: يزيد. برهانه: حججه القاطعة.

(١١) الشنآن: البغض. أقرانه: قومه المعاصرون له. يشير إلى سجود بعض المشركين لبلاغة القرآن.

كَمْ جَاحِدٍ مِنْهُمْ أَصَاحَ فَمَا انْتَنَى
 ذَاكَ الَّذِي مَلَكَ الْعُقُولَ وَالْجَمَّ الْـ
 مَلَأَ النُّفُوسَ سَمَاعُهُ مِنْ غَيْرِهِ
 يَا أَشْرَفَ الثَّقَلَيْنِ يَا مَنْ ذُكِرَهُ
 يَا مَنْ لَهُ الْجَاهُ الْعَرِيضُ هُنَا وَفِي
 يَا صَاحِبَ الْحَوْضِ الَّذِي يَرْوِي إِذَا اشْتَدَّ
 وَافَاكَ ذُو أَمَلٍ بِإِلَا عَمَلٍ سِوَى
 وَيَذِمَّةٍ وَبُنُوءٍ يُذَلِّي فَمَا
 أَيْعُودُ مَنْ أَلْقَى إِلَيْكَ رَجَاءَهُ
 كَلَّا فَإِنَّ اللَّيْثَ يَحْمِي خَيْسَهُ
 وَمَنْ اسْتَدَمَّ بِجَاهِكَ السَّامِي فَلَا
 نَدْعُوكَ بِكَ الْمَوْلَى وَبِالْقَرْمِ الَّذِي
 وَبِإِنْتِكَ الزَّهْرَاءُ وَبِالْكُبْرَى وَبِإِلَا
 نَعْمَ الْوَسِيلَةَ أَنْتُمْ الدَّاعِي بِكُمْ
 فَتَدَارَكُوا الْمُضْنَى بِلِحْظَةِ رَحْمَةٍ

إِلَّا كُمُرْتَشِفٍ سُلَاقَةَ حَانِهِ^(١)
 فُصْحَاءَ بِالْأَخْجَارِ فَضْلُ بَيَانِهِ^(٢)
 طَرَبًا فَكَيْفَ سَمَاعُهُ بِلِسَانِهِ
 يَخْلُو وَيَجْلُو الْقَلْبَ مِنْ أَدْرَانِهِ
 يَوْمَ يَهُوُّ الْخَوْفُ مِنْ دِيَانِهِ
 تَدَدَّ الظُّمَاءُ النَّاجُونَ مِنْ كِمْرَانِهِ
 حُبٌّ تَمَكَّنَ مِنْ صَمِيمِ جَنَانِهِ^(٣)
 يَجْنِيهِ يَلْزَمُكَ الْوَفَا بِضَمَانِهِ^(٤)
 مُتَعَثِّرَ الْأَمَالِ مِنْ حِرْمَانِهِ
 وَالْحُرُّ يَحْفَظُهُ انْتِهَاكَ أَمَانِهِ^(٥)
 يَخْشَى بِحَوْلِ اللَّهِ مِنْ خِذْلَانِهِ^(٦)
 رَوَى مِنَ الْأَعْدَاءِ شِبَابَةَ سِنَانِهِ^(٧)
 حَسَنِينَ تَرْجُو الْجُودَ مِنْ مَتَانِهِ
 يَجْنِي ثِمَارَ الْفَوْزِ مِنْ أَفْنَانِهِ^(٨)
 يَقْضِي بِهَا الْبَارِي جَمْعَ لُبَانِهِ^(٩)

(١) أصاح: استمع. السلافة: الخمر.

(٢) أجمعهم بالأحجار: كناية عن أنهم عجزوا عجزاً تاماً عن معارضته.

(٣) الجنان: القلب.

(٤) من لازم البتوة غرم الآباء جنابة الأبناء.

(٥) الخيس: غابة الأسد. أحفظه: أغضبه. انتهك حرمة: تناولها بما لا يحل. وانتهاك الأمان: إزالته.

(٦) استدم به: اتخذته ذمة وعهداً.

(٧) القرم من الرجال المعظم: يريد الإمام علياً. الشبابة: الحد.

(٨) الأفنان: الغصون.

(٩) اللبان: الحاجات.

وَسَلُوا لَهُ وَلَا إِلَهَ مِنْ رَبِّهِ التَّؤْفِيقَ وَالتَّأْيِيدَ طُولَ زَمَانِهِ
 وَسَعَادَةَ الدَّارَيْنِ وَالْحُسْنَى إِذَا عَرِقَ الْجَبِينُ وَضَمَّ فِي أَكْفَانِهِ^(١)
 وَلَئِنْ تَعَاظَمَ بِالتَّجْرِي ذَنْبُهُ فِدْلَالُهُ يُفْضِي إِلَى عُفْرَانِهِ^(٢)
 وَعَلَيْكُمْ الصَّلَوَاتُ وَالْبَرَكَاتُ مَا نَفَضَ الصَّبَاحُ الْعِظْرَ مِنْ أَرْدَانِهِ^(٣)
 وَأَتَى بِرَبِّكُمْ عَلِيلُ نَسِيمِهِ فَاسْتَفَاهُ الْمُشْتَقُّ وَقَتَّ أَدَانِهِ^(٤)

أبيات في البيت النبوي

جُزِيَا زَمَانٌ فَإِنَّ عِنْدِي جَنَّةً هِيَ صَفْوَةُ الرَّحْمَنِ لَا تَنْسَانِي^(٥)
 طه وفاطمة البتول وأمهها وَعَلِيَّ الْكَرَّارُ وَالْحَسَنَانِ
 شَادَتْ عِنَايَةً رَبَّنَا لِفَخَارِنَا بَيْتَ آلِهِ تَنْضَاءُ الْأَكْمَانِ
 فِيهِ النَّبِيُّ وَبِنْتُهُ وَوَصِيئُهُ وَابْنَاهُمْ وَخَتَامُهُ الْقُرْآنُ



(١) عرق الجبين: كناية عن ساعة الاحتضار.
 (٢) التجري: الإقدام وأصله التجرؤ. الدلال: يقال: له عليه دالة ودلال أي جراءة بسبب منزلته عنده.
 (٣) أردان جمع ردن: مقدم كم القميص.
 (٤) استفاه: شمه.
 (٥) لا أبالي بك أيها الزمان ما دامت لي هذه الجنة.

القصيد الثامنة والثلاثون

أَبِيْتُ يَنْشُرُنِي

أَبِيْتُ يَنْشُرُنِي وَجَدِي وَنَظْوِينِي يُمَيِّئُنِي الْيَأْسُ وَالْأَمَالُ تُخَيِّبُنِي ^(١)
 فَوْجُ الْوَسَاوِسِ فِي مَوْجِ الْهَوَاجِسِ فِي أَوْجِ الْحَنَادِسِ يُلْقِيَنِي فَيَقْلِبُنِي ^(٢)
 لَوْ كَانَ لِلْحَبِّ لَوْنٌ لَأَعْتَمَدْتُ لَهُ طَبًّا وَلَكِنَّهُ أَغْيَا بِتَلْوِينِ ^(٣)
 طَوْرًا يُحَلِّقُ بِي جَوًّا وَيَهَيِّطُ بِي طَوْرًا وَأَوْنَةً أُخْرَى يُمَنِّبُنِي ^(٤)
 لَهُ غَرَائِبُ تَسْتَهْوِي الْعُقُولَ وَلَا يَزِمِي إِلَى كُنْهَهَا فِكْرٌ بِتَخْوِينِ ^(٥)
 يَجُورُ لَكِنَّهُ عَدْلٌ سِبَاسَتُهُ نَجْرِي عَلَى كُلِّ جَبَّارٍ وَمُسْكِينِ ^(٦)
 شَرِيعَةٌ لَيْسَ فِيهَا فُرْقَةٌ وَلَهَا عِلْمٌ دِرَائَتُهُ مِنْ غَيْرِ تَلْقِينِ ^(٧)
 وَدَوْلَةٌ مَالَهَا حَامٌ مُهَيِّمَةٌ عَلَى النَّفُوسِ بِتَأْيِيدٍ وَتَمَكِينِ ^(٨)

(١) الوجد: الحزن. الوسواس: أحاديث الشيطان. الهواجس: خواطر السوء. الحنادس: الظلمات. وأوجها: بلاغها غايتها. الإلقاء: الطرح. يقليني: من قلاه أي أنضجه في المقلبي.
 (٢) الوجد: الحزن. الوسواس: أحاديث الشيطان. الهواجس: خواطر السوء. الحنادس: الظلمات. وأوجها: بلاغها غايتها. الإلقاء: الطرح. يقليني: من قلاه أي أنضجه في المقلبي.
 (٣) اللون: صفة الشيء وهيئته التي تميزه عن غيره. طبا: علاجاً. أعيا: أعجز. بتلوين: بكثرة تلونه وأطواره.

(٤) يميني: يبعث في نفسي الأمل بتحقيق الأمان.

(٥) تستهوي: تستميل. الكنه: الحقيقة. تخمين: حدس وظن.

(٦) يجور: يظلم.

(٧) شريعة: طريقة وخطة. التلقين: الإفهام بالمشافهة.

(٨) حام: حاكم يسيرها. مهيمنة: مسيطرة حافظة.

وَثَوَّةٌ أَضْلُهُا ضَعْفٌ وَلَا عَجَبٌ إِذْ كُلُّ ذِي شِدَّةٍ فِي الْأَضْلِ مِنْ لَبِنِ
 شَوْسُ الْبَهَائِلِ فِي حُكْمِ الْهَوَى رَثَمُوا لِلذَّلِّ تَحْتَ إِسَارِ الْخُرْدِ الْعَيْنِ^(١)
 لِيَّ فِي الْحُبِّ سِرٌّ لَا يُكَيِّفُهُ الْوَدَّ إِنْسَانٌ مَا دَامَ فِي ذَا الْقَالِبِ الطَّيْبِي
 وَفِيهِ لِلْمَرْءِ بِالتَّوْفِيقِ مَذْرَجَةٌ إِلَى السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ
 وَرُبَّمَا طَارَ ذُو الذُّوقِ السَّلِيمِ بِهِ إِلَى مَحَبَّةٍ يَغْسُوبِ النَّبِيِّينِ^(٢)
 سِرُّ الْوُجُودِ وَرُوحُ الْجُودِ مَنْ قَرَنَ الْوَدَّ بَارِي اسْمُهُ بِاسْمِهِ فِي كُلِّ تَأْذِينِ
 حُلُوُ الْخَلِيقَةِ وَضَاحُ الْحَقِيقَةِ مَخْمُودُ الطَّرِيقَةِ مَخْدُومٌ بِجَبْرِينِ^(٣)
 ضَوْءُ الزَّمَانِ وَمِفْتَاحُ الْأَمَانِ عَلَى الْوَدَّ أَذْيَانٌ مِلَّتُهُ امْتَارَتْ بِتَنْبِينِ
 لُبُّ اللَّبَابِ لَهُ فَضْلُ الْخِطَابِ وَفِي يَوْمِ الضَّرَابِ يُجَلَّى فِي الْمَيَادِينِ^(٤)
 زَاكِي النَّبَاتِ وَمَعْلُومُ الثَّبَاتِ لَدَى نَشْرِ الرُّفَاتِ وَتَفْرِيقِ الدَّوَابِينِ^(٥)
 لَهُ وَلَا بِنْتِهِ الزُّهْرَا الَّتِي اشْتَمَلَتْ مِنْ يَوْمِ مَاتَ عَلَى حَزِّ السَّكَاكِينِ^(٦)
 وَلِلْوَصِيِّ وَلِلْسَبْطَيْنِ عَارِفَةٌ مِنَ التَّحِيَّاتِ فِي كُلِّ الْأَحْيَابِينِ^(٧)
 يَا سَادَةَ الْكَوْنِ مَا لِي غَيْرُ ذِمَّتِكُمْ أَرْجُو بِهَا الْعَوْنَ فَأَلْيَامُ تَرْمِينِي

(١) شوس: ذور عظمة وسمو. جمع أشوس. البهاليل: السادة. رثموا للذل: خضعوا له. إسار: أسر. الخرد جمع خريدة. المرأة المصونة ذات الحياء. العين جمع عيناء. حسنة العيون وفي الأصل الهدى وهو تصحيف.

(٢) اليعسوب هنا: الأصل العظيم. وكسر نون جمع المذكر لغة.

(٣) حلو الخليفة: جميل الطبع. جبرين: لغة في جبريل.

(٤) اللب: الخالص من كل شيء. الضرائب: الحرب. يجلي: يسبق ويفوز.

(٥) الزاكي: النامي على الخير والصلاح. الرفات: كل ما تكسر وبلي؛ يريد بعث الأجسام. تفريق الدوابين: إعطاء الخلق صحائف أعمالهم.

(٦) احتوت على أشد الحزن والألم.

(٧) عارفة من التحيات: تحيات تليق بهم.

وَقَظْرَةٌ يَا أَجَلَ الْخَلْقِ مَرْتَبَةً مِنْكُمْ هُنَا وَعَدَا فِي الْحَشْرِ تَرْوِينِي ^(١)
 أَثْقَلْتُ ظَهْرِي بِأَثَامِ صَحَائِفِهَا لَوْلَا شَفَاعَتِكُمْ كَانَتْ بِسِجِّينِ ^(٢)
 بِجَاهِكُمْ أَسْأَلُ اللَّهَ اللَّطَائِفَ فِي عَمْرِي وَأَزْجُو نَجَاتِي يَوْمَ تَكْفِينِي ^(٣)
 فَلَا حِظُونِي وَأَوْلَادِي وَغَائِبَتِي يَا مَنبِعَ الْفَضْلِ يَا شُمَّ الْعَرَانِينِ ^(٤)

* * *

(١) نظرة منكم في الدنيا والآخرة تملأ قلبي إيماناً وطمأنينة.

(٢) السجين: كتاب جامع لأعمال الفجرة.

(٣) يوم تكفيني: يوم مماتي.

(٤) غاشية الرجل: من ينتابه من زواره وأصدقائه. شم: جمع أشم: المرتفع. العرانيين: جمع

عرنين: الأنف. شم العرانيين: كناية عن السيادة وعلو المقام.

القصيدة التاسعة والثلاثون

سَلُوها لِمَاذَا؟

سَلُوها لِمَاذَا عَادَ جِدًّا مُجُونُها وَقَطَّطَ صَفَاءَ الْاَلْتِمَامِ دُجُونُها^(١)
 وَمَا بِاَلِها صَبَّتْ سِياطُ عَذابِها عَلَي مُهَجَّةٍ مِنْ قَبْلُ كَانَتْ تَصُونُها
 تَجَنَّتْ عَلَيها بِالصُّدُودِ وَمَا دَرَتْ بِأَنَّ الْجَفَا وَالْبُعْدَ فِيهِ مَنُونُها^(٢)
 تَقُولُ لَها رُوجِي طَلِيقَةَ غَضَبِي وَقَدْ اُزْتُقْتُها بِاَلْاِواخِي جُفُونُها^(٣)
 عَلَي اَمَلٍ يَهْفُو بِهِ اَلْيَاسُ عِنْدَها تَخالِبُها طُولَ اللَّيالي ظُنُونُها^(٤)
 تَجَمَّلُ بَيْنَ النَّاسِ لا عَن جِلادَةٍ وَسَاعَةَ ما تَخْلُو يُجَنُّ جُنُونُها^(٥)
 وَلَكِنْ خَبالٌ قَدْ يَزُورُ بِسُخْرَةٍ عَلَي عَدَوايَ الدَّارِ مِنْهُ سُكُونُها^(٦)
 خَبالٌ مِنَ اَلْاُوجِ الْمُقَدَّسِ زارَها فَسالَتْ سُرُوراً بَعْدَ حُزْنِ شُؤُونُها^(٧)
 مِنَ اَلْخَمْسَةِ اَلْاَشْباحِ هَبَّتْ لِروِجِها نَسائِمُ فاهْتَرَّتْ حِياةً غُصُونُها

(١) الجد: ضد الهزل. المجون: خلط الجد بالهزل. الدجون: كثرة الضباب والإظلام: أي

لماذا تغيرت عما كانت عليه من انبساط وصفاء؟

(٢) تجنت عليها: ادعت على المهجة ذنباً لم تفعله وعاقبتها بالصدود. المنون: الموت.

(٣) الأواخي جميع أختية: عود يدفن طرفاه في الأرض ويبرز كالحلقة تربط به الدابة. قيدتها: نظراتها عن الانطلاق.

(٤) يهفو به: يذهب به.

(٥) تجمل: تتجمل: أي تتكلف الصبر. الجلادة: الجلد. جُنّ جنونه: زال عقله أو فسده.

(٦) السحرة: أول السحر، والسحر متنفس الصبح. العداوة: البعد.

(٧) الأوج: المنزل الرفيع. الشؤون: مجاري الدموع.

هُمُ الْغَايَةُ الْقُضْوَى لَهَا مِنْهُمْ الْمُنَى إِذَا اشْتَدَّتِ الْبَلْوَى وَمِنْهُمْ حُصُونُهَا
هُمُ الْعُضْبَةُ الْعَلِيَاءُ عَنْ قُذْفَاتِهَا تَحَطَّمُ مِنْ عُضْمِ الْوُعُولِ قُرُونُهَا^(١)
هُمُ النَّفْرُ الْبَيْضُ الَّذِينَ وَجُوهُهُمْ نُصُولُ الْمَوَاضِي أَخْلَصَتْهَا قُبُونُهَا^(٢)
بَنُو خِنْدَفٍ هَامُ الْمَعَالِي وَهَاشِمٌ لَعَمْرُ أَبِي أَسْمَاعِهَا وَعُيُونُهَا^(٣)
حَتَّى مَجْدُهُمْ فِي وَجْهِ كُلِّ مُفَاخِرٍ لِأَنَّ الْعُلَى فِيهِمْ تَلَاقَتْ قُنُونُهَا^(٤)
يَهُمُ تَأْتِسِي الْأَبْطَالُ فِي مَاقِطِ الْوُغْيِ إِذَا عَضَّتِ الشَّمَّ الْكُمَاءُ زُبُونُهَا^(٥)
مَنَاجِيدُ بَسَامُونَ إِمَّا تَعَثَّرَتْ بِأَسَدِ الشَّرَى مِنْ آلِ جَلْوَى أُمُونُهَا^(٦)
تَجَافَوْا عَنِ الدُّنْيَا وَقَدْ وُطِئَتْ لَهُمْ وَذَلَّتْ نَوَاصِيهَا وَلَا نَتْ مُتُونُهَا^(٧)

- (١) قذفاتها: ما أشرف من رؤوس الجبال جمعه قذفة. الوعول جمع وعل: حيوان له قرون متشعبة وذنب قصير جداً يسكن قلال الجبال. الأعصم من ذوات الظلف وجمعه عصم: ما في ذراعيه أو في إحداهما بياض.
- (٢) النفر البيض: أنقياء العرض أو الشرفاء. قال حسان بن ثابت في آل جفنة ملوك الشام: (بيض الوجوه كريمة أحسابهم) وقال الكمي بن زيد الأسدي شاعر آل البيت: إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نابني أتقرب النصول: جمع نصل: وهي حديدة السيف. المواضي: السيوف. القيون: جمع قين: الحداد صانع السيوف وجاليها. وهو تشبيه.
- (٣) بنو خندف: خندف: هي زوجة إلياس بن مضر من أجداد النبي ﷺ ومن بنيتها بنو هاشم وهم منهم بمنزلة الأسماع والعيون من الرأس.
- (٤) حتى التراب في وجهه حثيا: قبضه ورماه به. الفنون: الأغصان والفروع.
- (٥) تأتسي: تقتدي. المأقط: المضيق في الحرب. الوغى: الحرب. الشم: الأعلي. الكماء جمع كمي: الشجاع. الحرب الزبون: التي يتدافع فيها أهلها لكثرتهم.
- (٦) مناجيد: نصراء لمن استنصرهم. بسامون: لا تعبس وجوههم. أسد الشرى: الشجعان. والشرى: خيس الأسد. جلوى: اسم فرس عريقة. وآلها: نسلها. الأمون: الفرس التي أمنت العثار.
- (٧) تجافوا عن الدنيا: ابتعدوا عن مغرياتها وقد مهّدت لهم. النواصي: يريد الرؤوس. المتون: الظهور.

وَلَا مُسْلِمٌ إِلَّا تُطَوَّقُ جِيدُهُ لَهُمْ ذِمَّةٌ بُشْرَى لِمَنْ لَا يَخُونُهَا ^(١)
 لِنَصْرِ الْهُدَى جَابُوا الْبِلَادَ وَلَمْ تَعُقْ عَزَائِمَهُمْ فِيحُ الْفَلَا وَحُرُونُهَا ^(٢)
 وَعَادَتْهُمْ الْأَوْطَانُ فِيهِ فَقَلَّمَا ثَوُوا بِلَدَةً إِلَّا اقشَعَرَّتْ بَطُونُهَا ^(٣)
 فَأَوْلُهَا أُمُّ الْمَنَاسِكِ أَوْحَشَتْ لِمُقْدَانِهِمْ بَظْحَاؤُهَا وَحَجُونُهَا ^(٤)
 وَلَمْ يَبْرَحُوا مِنْ بَعْدِهَا فِي مَتَاعِبِ بَدَارِ اغْتِرَابٍ لَا يَرِيحُ شَطُونُهَا ^(٥)
 وَفِي حَالِهِمْ سَلْوَى لِمَنْ وَقَفَتْ بِهِ عَلَى الضَّرِّ مِنْ سُودِ اللَّيَالِي حَرُونُهَا ^(٦)
 إِذَا كَانَ هَذَا حَالٌ مَنْ كَلَّمَا مَشُوا عَلَى حَضْبَةٍ وَدَّ السَّمَاءُ يَكُونُهَا ^(٧)
 فَأَحْرَى بِنَا أَنْ لَا نَضِيقَ إِذَا التَّوَتْ لَنَا عَقْدُ الدُّنْيَا وَطَالَ شَفُونُهَا ^(٨)
 وَهَيْهَاتَ مِنَّا شَأُوهُمْ فَصُدُّورُهُمْ عَدَاةَ الدَّوَاهِي لَا تَضِيقُ سُجُونُهَا ^(٩)
 أَوْلَيْكَ قَوْمٌ كَالرَّوَاسِي رَكَانَةٌ وَأَلْبَابُنَا صُغْرَى كَثِيرٌ فُتُونُهَا ^(١٠)
 تَطِيشُ لِأَذْنَى حَادِثٍ غَيْرَ أَنَّهَا لَهَا رَحِمٌ مِنْهُمْ عَلَيْهَا رُكُونُهَا ^(١١)

(١) الجيد: العنق. تطوق الذمة جيده: في عنقه عهد يلزمه الوفاء به.

(٢) الفيح جمع أفيح: الواسع. الحزن: ما ارتفع وصعب من الأرض.

(٣) عادتهم الأوطان: تجافت عنهم. ثووا بلدة: نزلوا بها للإقامة. اقشعرت بطونها: كناية عن نبوها بهم.

(٤) أم المناسك: مكة المكرمة. أوحشت: وجدت وحشة. البطحاء: الأرض المنخفضة الواسعة. الحجون: جبل بمكة.

(٥) يريح: يعود ويرجع. شطونها: بعيدها. يريد وصف دار الغربة بأنها لا يعود من ذهب إليها إلى وطنه.

(٦) الحرون: الدابة التي إذا استدرّ جريها وقفت.

(٧) السماء: الحصى: الحجارة. يكونها: يكون في مكانها ابتغاء الشرف.

(٨) الشفون: النظر بمؤخر العين بغضاً أو تعجباً.

(٩) الشأو: الغاية والأمد. الدواهي جمع داهية: الأمر المنكر العظيم. الصدر في الكتمان والتحمل كالسجن الذي يحجز ما بداخله.

(١٠) الرواسي: الجبال الثوابت. ركانة: ثباتاً وتمكناً. فتونها: افتنانها بالوساوس.

(١١) الطيش: النزق والخفة. الرحم: القرابة. ركونها: اعتمادها.

- وَكَمْ فِي عُلَاهُمْ مِنْ أَمَادِيحٍ لِي بِهَا تَنَافَسُ أَبْكَارُ الْمَعَانِي وَعُونُهَا^(١)
 نَجْرٌ عَلَى كَفِّ وَحَسَّانَ ذَيْلِهَا إِذَا أَنْشِدْتَ تَسْبِي النُّفُوسَ لِحُونِهَا^(٢)
 أَأْظَمًا وَهُمْ عِدَى الْخَسِيفِ وَقَطْرَةٌ لِعُلَّةِ قَلْبِي مِنْ نَدَاهُمْ تُمُونُهَا^(٣)
 تَدِيفٌ لِي الْأَيَّامُ مَرَّ دُعَافِهَا فَتَخَلُّو بِذِكْرَاهُمْ لَدَيَّ غُضُونُهَا^(٤)
 وَمَا لِي سِوَاهُمْ قَطُّ ذُخْرًا إِذَا غَلَّتْ مَرَاجِلُ أَفْكَارِي وَهَاجَتْ شُجُونُهَا^(٥)
 وَلَمْ يُعْطِنِي نَصْفًا زَمَانِي وَضَاقَتْ أَلْ أَمَانِي بِنَفْسِ أَرْهَقَتِهَا دُيُونُهَا^(٦)
 وَلَكِنِّي فِي جَاهِهِمْ أَسْأَلُ الَّذِي إِلَيْهِ النَّوَاصِي أَنْ تُفَكَّ رُهُونُهَا^(٧)



- (١) العوان من النساء: التي كان لها زوج والبكر ضدها. مدح آل البيت بمدائح كثيرة بها تتناقش أبكارها وهي المعاني التي لم يسبق إليها في مديحهم وعونها وهي التي طرقها الشعراء قبله.
- (٢) تجر ذيلها: تفتخر لبلاغتها وتفوقها عليهما. يريد باللحون هنا الأساليب والمعاني. تسبي: تمتلك وتأسر.
- (٣) العبد: الماء الجاري الذي لا ينقطع. الخسيف من الآبار: التي تحفر في صخر فلا ينقطع ماؤها لكثرتة. مان الرجل عياله يمونهم: قام بكفائتهم وعالهم.
- (٤) تديف: تخلط. الذعاف: السم الذي يقتل من ساعته. الغضون: يريد النواصب.
- (٥) المرجل: القدر من النحاس. الشجون: الأحزان.
- (٦) النصف: الإنصاف. أرهقتها: حملتها ما لا تطيق.
- (٧) إليه النواصي: الملك المطلق له تعالى.

القصيدة الأربعةون

كَلَّمَا شَارَفْتُ

كَلَّمَا شَارَفْتُ بِإِلْيَاسٍ سُلوًا هَاجِنِي بَرْقِ كَحَيَّاتٍ تَلَوَى ^(١)
 بَاتَ يُمَلِّي نَبْضَهُ لِي قِصَّةً زَادَ مِنْ عَجْمَتِهَا الشُّوقُ غُلُوًا ^(٢)
 لَيْسَ بِذَعَا خَبَرُ الْبَرْقِ وَلَكِنِّي لَمْ أَدْرِ شَحْطًا أَمْ دُنُوًا ^(٣)
 طَالَ لَيْلِي وَجَفَا جَفْنِي الْكِرَى وَغَدَتَ مِنْ أَدْمِعِي الْقَاعُ تَرَوَى ^(٤)
 حَسَرَاتٌ أَوْزَيْتُ جِسْمِي ضِنًا مِنْهُ قَدْ كَادَتْ بِي الْأَرْضُ تُسَوَى ^(٥)
 وَظُنُونٌ فَكَّرْتِي فِيهَا ارْتَمَتْ وَأَلْحَتْ بِي رَوَاحًا وَغُدُوًا ^(٦)
 إِنَّمَا خَفَّفَ مِنْ عِبءِ النَّوَى زَائِرٌ يَظْوِي مَرُورًا وَدَوًا ^(٧)
 جَاءَنِي وَالْعَيْنُ يَفْظِي طَيْفٌ مَنْ جَاوَزَ الْكُرْسِيَّ وَالْعَرْشَ غُلُوًا ^(٨)

(١) شارف: قارب. هاجني: حركني.

(٢) نبه: حركته. العجمة: الإبهام والخفاء. غلواً: شدة.

(٣) شحطاً بغداً. ليس غريباً أن يخبره البرق الآتي من ناحية الأحباب بقصتهم ولكنه لا يدري: أقربت زيارتهم أم لا يزال البعاد نصيبه؟

(٤) الكرى: النوم: القاع: أرض واسعة مطمئنة مستوية قد انفرجت عنها الآكام. تروى: أصله تروى: تشرب وتشبع.

(٥) الضنى: الهزال والتعب. الأرض تسوى به: كناية عن الموت.

(٦) ألحت: ألحقت. رواحاً وغدواً: مساءً وصباحاً.

(٧) عبء النوى: ثقل البعاد. المروراة: الأرض لا شيء فيها. الدو: الفقر.

(٨) يريد النبي ﷺ.

سَادَةٌ طَوْلُهُمُ الْعَادِي لَهُ
 غُرَّرَ زَاهِرَةٌ مِنْ نُورِهَا
 كُلُّ أَرْضٍ وَطَيْتَتْ أَقْدَامُهُمْ
 مَا رَأَى الْكُونُ عَلَى طَوْلِ الْمَدَى
 حَمْسَةٌ مِنْ حُسْنِ حَظِّي أَنْ لِي
 فَازَ قِدْحِي فِي حَيَاتِي فَعَدْتُ
 جَاهُهُمْ وَاسِطَةَ الْأَلْطَافِ لِي
 وَبِهِمْ أَظْمَعُ فِي مَخْوِ الْحَطَا
 حُبُّهُمْ مَا بَيْنَ لَحْمِي وَدَمِي
 لَيْسَ إِلَّا وَدَّهْمُ أَرْجُو بِهِ
 ضَاعَ فِي اللَّهْوِ زَمَانِي إِنَّمَا الْقُرْبُ
 كُلُّ طَوْلٍ جَاءَ فِي الْغُبْرَاءِ بَوًّا^(١)
 قَارَبَ الْإِنْصَافَ مَنْ جَارَ عُثْوًا^(٢)
 فِي نَرَاهَا بِالدُّجَى تُشْرِقُ جَوًّا^(٣)
 بَشْرًا فِي وَضْفِهِمْ مِنْ عَهْدِ حَوًّا^(٤)
 ذِمَّةٌ مِنْهُمْ وَتَكْفِينِي سُمُومًا
 كُلُّ أَيَّامِي بِهِمْ سَعْدًا وَعَوًّا^(٥)
 كَلَّمَا اسْتَمَطَّرْتُ مِنْ مَوْلَايَ نَوًّا^(٦)
 وَمِنْ الْفِرْدَوْسِ أَرْجُو الْمُتَبَوًّا^(٧)
 مَانِعٌ حَتَّى عَنِ الْعَظْمِ الْخُلُومًا
 بَعْدَ مَوْتِي مَدْخَلَ الْجَنَّةِ نَوًّا^(٨)
 مِنْهُمْ مَانِعٌ لَيْتَ وَلَوْ^(٩)

(١) الغبراء: الأرض. البو: جلد الحمار يحشى تبناً أو نحوه فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدثر. يشير إلى ما روي أنه ﷺ ما ماشى أحداً إلا أطلاله وكان عبد المطلب وابنه العباس وابنه عبد الله وابنه علي من أطول الناس قامه وأن غيرهم بالنسبة إليه كالبو بالنسبة للناقة في الطول والفخامة.

(٢) الغرة من الهلال طلعت: جار عتوا: تعدى مجاوزاً الحد. من نور هذه الغرر الزاهرة كاد يعود إلى الإنصاف والحق من تجاوز في تعديه الحد في الكفر والطغيان.

(٣) الثرى: التراب: الدجى: الظلام. تُشرق جواً: تضيء أجواؤها من نورهم.

(٤) حوا: حواء أم بني الإنسان.

(٥) القدح: سهم الميسر. يضرب به المثل لمن فاز ونجح. سعد وعواء: من منازل القمر.

(٦) اللطف من الله: التوفيق والعصمة. النوء: المطر.

(٧) المتبوأ: المنزل.

(٨) ليس ما أرجوه إلا ودهم. جاء تَوًّا: قاصداً لا يعرجه شيء.

(٩) ليت ولو: أذاتان للتمني. قربه من آل البيت عوضه عن تمني ما فاته من المحب.

لَحْظَةٌ مِنْهُمْ إِذَا صَحَّتْ بِهَا شَرَفِي يَزْكُو وَيَزْدَادُ نُمُوءًا^(١)
 وَتَقِينِي أَنَّهُمْ لَنْ يُهْمَلُوا نِي وَهُمْ قَدْ عَلَّمُوا النَّاسَ الْخُنُوءًا
 صَلَوَاتُ اللَّهِ تَغْشَى سُوحَهُمْ مَا سَعَى رَكْبٌ إِلَيْهِمْ أَوْ تَنَوَّى^(٢)



(١) يزكو: يزيد ويعظم.

(٢) سوحهم: نواحيهم، وتغشاها: تحل بها تنوي الركب إليهم: قصد.

القصيدة الحادية الأربعون

إِذَا كَانَ شَكِّي

وكان لي أليفت أيام الصبا لم أشعر إلا والمنزل به نبأ؛ فاشتدّ ألمي وأطربني
قول الشاعر - إذا كان شكّي في الفراق يرؤني إلخ - لموافقته حالتي؛ فأخذته؛
ورأيت سيّد الخليفة؛ هو المحبوب على الحقيقة؛ فجعلت القصيدة في حضرة؛
وفيها ذكرت حتم البخاري؛ لأنّ إنشائها كان في رجب من سنة ١٣٢٤هـ.

إِذَا كَانَ شَكِّي فِي النَّوَى يَبْعَثُ الشَّجْوَا فَكَيْفَ وَهُمْ بِالْبَيْنِ قَدْ أَعْلَنُوا النَّجْوَى (١)
تَنَاجَوْا وَزَمُّوا الْعَيْسَ لَيْلًا وَأَضْحَرُوا فَذَرَّتْ رِيَّاحُ الْوَجْدِ عَنِّي الْكُرَى ذُرْوَا (٢)
وَزَادَ الْجَوَى لَمَّا بَدَثَ لِي نَارُهُمْ تَأَجَّجُ حَوْلَ الرَّكْبِ سَاطِعَةَ الْأَضْوَا (٣)
فَبِثُّ مِنَ الْأَشْجَانِ وَالْعَيْنُ دَمْعُهَا سُؤُونَ وَأَخْشَائِي بِنَارِ الْهَوَى تُكْوَى (٤)
وَأَخْنَى عَلَيَّ الْحُزْنَ يَهْصِرُ بَانَتِي وَغَادَرَنِي مِنْ فَرَطٍ وَجِدِي بِهِمْ نَضْوَا (٥)
وَأَوْقَعَنِي حُكْمُ الْهَوَى فِي بَلِيَّةٍ وَلَكِنَّهَا هَانَتْ بِنَشْوَتِهِ الْبَلْوَى (٦)

(١) النوى: البعاد. الشجو: الحزن. البين: الفراق. النجوى: السر.

(٢) تناجوا: تساروا. زم البعير: خطمه وشد زمامه. أضر القوم: برزوا إلى الصحراء. ذرت الريح الشيء ذرأ: طيرته. الكرى: النوم.

(٣) تأجج أصله تتأجج: تلتهب.

(٤) الأشجان: الأحزان. السؤون: مجاري الدموع إلى العين.

(٥) أخنى عليّ الحزن: أتى عليّ وأهلكني. يهصر: يكسر. بانه مفرد بان: شجر معروف. غادرني: تركني. نضوا: هزبلاً.

(٦) النشوة: أثر السكر من نشاط وانتعاش.

أَرَانِي شَقَائِي فِي الْمَحَبَّةِ رَاحَةً
وَأَتْرَعَ لِي مِنْ رَاحِهِ أَكْؤُوساً مَحْتٌ
فَكَيْدْتُ أَجِيْزُ الْاِتِّحَادِ مُذْ اجْتَلَلْتُ
لِمَادَا وَرُوحِي بِأَلْوَصَالِ قَرِيْرَةٍ
فَمَا لِي وَذُمُّ الْبَيْنِ وَالْحُبُّ حَاضِرٌ
وَصَالَ بِهِ لِلنَّازِحِينَ تَعِلَّةٌ
هُوَ الْحُبُّ يُغِيْبِي الْمَاهِرِينَ عِلَاجُهُ
وَلَكِنَّ نَفْسِي تُؤْنِسُ الْأَنْسَ فِي الْفَنَاءِ
خُلَاصَةٌ شَأْنِي أَنْزِي تَارَةً أَرَى
أَلَمْ تَرْنِي جَلْدًا عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
رَضِيْتُ عَنَائِي فِي غَرَامِي وَلَمْ أَقْلُ
وَمَا كَانَ مُرًّا عَادَ مِنْ أَجْلِهِ خُلُوعًا
بِهَزَّتْهَا عَنْ نَاطِرِي هَيْكَلِي مُخَوًّا^(١)
عِيُونِي فِي مِرَاةِ ذَاتِي مَنْ أَهْوَى^(٢)
يُذِيْبُ حَشَايَ النَّأْيُ أَوْ كَيْدِي تَجْوَى؟^(٣)
لَدَيَّ وَمَا لِي وَالتَّبَرُّمُ وَالشُّكْوَى^(٤)
مِنَ الْجَوْرِ إِلَّا أَنَّهُ نَاقِصُ الْجَدْوَى^(٥)
فَهَيْهَاتَ فِي حَالِ التَّفَرُّقِ أَنْ يُذْوَى^(٦)
وَتَذْرِي بِعَيْبِ الصَّدِّ إِنْ أَيْسَتْ صَخْوًا^(٧)
نَعْمِيًّا وَأُخْرَى مِخْنَةً عَذْبَةَ اللَّأْوَاءِ^(٨)
وَأَيُّ فَنَى وَمِثْلِي عَلَى حَمْلِهِ يَفْوَى؟
عَدَاةً اسْتَقَلَّتْ عَيْسُهُمْ لَيْتَنِي خُلُوعًا^(٩)

- (١) أترع: ملأ. الراح: الخمر. هيكله: شخصه وذاته. سقاه من الراح كؤوساً محت عن ناظره رؤية ذاته. واجتلى في مراتها محبوبه فلم ير فيها سواه؛ فكاد يجيز اتحاد ذاته بذات محبوبه.
(٢) أترع: ملأ. الراح: الخمر. هيكله: شخصه وذاته. سقاه من الراح كؤوساً محت عن ناظره رؤية ذاته. واجتلى في مراتها محبوبه فلم ير فيها سواه فكاد يجيز اتحاد ذاته بذات محبوبه.
(٣) النَّأْيُ: البعاد. تجوى: تمرض من العشق. استبعد أن يصيبه ذلك مع سروره بالوصول في الخيال.
(٤) الحُبُّ: المحبوب. يعجب لدم الفراق مع أن حبيبه حاضر لديه مع سروره. تبرّم: تضرجر.
(٥) تعلقة: مشغلة وتسلية. النازح: البعيد عن الديار. الجور: ظلم الهوى والحُب. الجدوى: الفائدة. عاد الشاعر إلى نفسه فرأى أن هذا الوصول وإن تسلى به قليل الجدوى عنده.
(٦) يعى: يعجز. يدوي: يعالج.
(٧) تُؤْنِسُ الْأَنْسَ: تحس به. نفسه تشعر بالأنس والارتياح في حالة الفناء في المحبوب، وتدرك ثقل الصد والهجران في حالة الصحو والعود إلى عالم المادة.
(٨) المِخْنَةُ: البلية التي يمتحن بها الإنسان. اللَّأْوَاءُ: الضيق والشدة.
(٩) استقلت العيس: ارتحلت الجمال. خلوعاً: خالياً من الغرام.

لَقَدْ أَرْمَعُ السَّيْرَ الرَّفَاقُ فَنُوقُهُمْ تَمِيسُ عَلَى الْبَيْدَاءِ مِنْ شَوْقِهَا زَهْوًا^(١)
 تَزِفُ بِهِمْ مِثْلَ الرَّثَالِ كَأَنَّهَا بَوَآخِرُ فِي الدَّأْمَاءِ تَجْرِي بِهِمْ زَهْوًا^(٢)
 تَصَافِحُ بِالْأَعْنَاقِ كِيرَانُهَا وَلَا تِكَلُّ عَنْ الْإِرْقَالِ بَلْ تُذِمُّنُ الْعَدَوَا^(٣)
 بَرَاهَا سُرَاهَا وَالْبُرَى قَدْ تَقَطَّعَتْ وَمَا فَتَيْتُ تَطْوِي بِشَيْغِلِهَا الدَّوَا^(٤)
 عَدَتْ مِثْلَ نُونَاتِ الطُّرُوسِ وَمَا وَنَتْ وَقَدْ كَرَبْتِ مِنْ طُولِ مَا عَطِشْتَ تَتَوَى^(٥)
 أَرَى سَفَهَا حُدُوَ الْحُدَاةِ لِأَنَّهَا بِخَمْرَةَ حُبِّ الْمُصْطَفَى فِي السَّرَى نَشْوَى^(٦)
 فَلَا تَعْجَبُوا مِنْ وَخْدِهَا فَأَمَامَهَا بِلَادٌ إِلَيْهَا يَأْرِزُ الدَّيْنُ وَالْهُدَى^(٧)
 بِلَادٌ بِأَنْوَارِ الْجَمَالِ تَكَلَّلَتْ وَفِي كُثْبِهَا الْإِيمَانُ يَنْبُتُ وَالْتَفْوَى^(٨)
 بِلَادٌ لَهَا فَخْرٌ عَلَى كُلِّ بَلْدَةٍ تَرَى النُّورَ فِيهَا بِالْذُّجَى يَمْلَأُ الْجَوَا^(٩)
 فَكُلُّ فَخَارٍ فِي جَمَاهَا مُخَيِّمٌ وَحَسْبُكَ أَنْ الْغُشَّ عَنْ سُوحِهَا يُزَوَى^(١٠)
 وَكُلُّ عَلَاءٍ ضَمَّهُ ذَلِكَ الْمَثْوَى^(١١)

(١) أرمع: عزم عزمًا أكيدًا. تميس: تتبختر. الزهو: التيه.

(٢) تزف: تسرع. الرثال جمع رأل: فرخ النعام. البواخر: السفن الجارية. الدأماء: البحر. رهوًا: جريًا لينًا كأنها ساكنة.

(٣) الكيران جمع كور: الرجل. لا تكل عن الإرقال: لا تنقطع عن الإسراع بل تواصل السير السريع.

(٤) السرى: السير ليلاً ويراد به مطلق السير. براهها: هزلها. البري جمع برة: الحلقة من النحاس تكون في أنف البعير. التبغيل: نوع من سير الإبل فيه سعة. الدوًا: الفقر.

(٥) صارت لهزلها مستديرة كالنون في الورق. ما ونت: ما فترت، كربت: قربت. تتوى: تهلك.

(٦) من السفه حدو الحداة للإبل السائرة إلى المدينة لأنها منتشية بحب المصطفى ﷺ فهي لذلك نشيطة مسرعة.

(٧) الوخد: نوع من السير السريع. زهت: افتخرت. جنة المأوى: الإقامة الدائمة في الآخرة.

(٨) يارز: يلجأ. الكثب جمع كثيب: مجتمع الرمل.

(٩) تكللت بالأنوار: أحاطت بها الأنوار. الدجى: الظلام. يريد الليل.

(١٠) سوح جمع ساح. يزوى: يجمع بعيداً عنها.

(١١) المثوى: المنزل.

إِلَيْهَا يَجْنُ الْمُؤْمِنُونَ وَمَا لَهُمْ
فَلَا بَدْعَ إِنْ طَرْنَا بِرِيشِ غَرَامِنَا
تَخَيَّلْتُ مَشِيَّ الْمُضْطَفَى بَيْنَ آلِهِ
وَمَا كَانَ جِبْرَائِيلُ يَتْلُوهُ بَيْنَهُمْ
فَسَحَّتْ بِمَرْجَانٍ مِنَ الدَّمْعِ مُقْلَتِي
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ زَمَانِي مُسَاعِدٌ
وَهَلْ أَمْتَطُ يَوْمًا إِلَى ذَلِكَ الْجَمِي
لَعَمْرُكَ لَا أَقْضِي حُقُوقَ (مُحَمَّدٍ)
نَبِيِّ بَرَاهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ رَحْمَةً
تَحَلَّى عَنِ الدُّنْيَا وَلَوْ شَاءَ مَلَكُهَا
نَبِيِّ بِهِ الْإِسْلَامُ أَضْبَحَ أَهْلًا
أَتَى وَرِياضُ الْكُفْرِ تَزْهَى زُهُورَهَا

لِفَرْطِ جَوَاهِمٍ لَا قَرَارَ وَلَا سَلْوَى^(١)
إِلَيْهَا وَإِنْ ذُبْنَا مِنَ الشُّوقِ لَا عَزْوَا^(٢)
وَأَضْحَابِهِ فِي رَوْضِهَا النَّاضِرِ الْأَحْوَى^(٣)
مِنَ الْوَحْيِ تَهْتَرُ الْقُلُوبُ لَهُ رَبْوَا^(٤)
وَكَادَتْ حَشَائِي مِنْ لَوَاعِجِهَا تُسْوَى^(٥)
أَرَى هَذِهِ الْفَيْفَاءَ مَا بَيْنَنَا تُظْوَى^(٦)
جَوَادًا قَصِيرَ الظَّهْرِ يُعْزَى إِلَى جَلْوَى^(٧)
وَلَوْ جِئْتُهُ سَغِيًّا عَلَى الرَّأْسِ أَوْ حَبْوَا^(٨)
وَأَسْعَدَ مَاتَاهُ الْخَضَارَةَ وَالْبَدْوَا^(٩)
لَسَارَ إِلَى حَيْثُ انْتَحَى عَسَجِدًا رَضْوَى^(١٠)
وَرَبْعَ الشَّقَا لَمَّا بَدَا فَجْرُهُ أَقْوَى^(١١)
فَمَا بَرَحْتُ مُذْ أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ تَذْوَى^(١٢)

(١) لفرط جواهرهم: لشدة حبههم. سلوى: مشغلة.

(٢) لا غرابة إذا طرنا إليها من شدة الغرام. ولا عجب إذا ذبنا من عظم الشوق.

(٣) الناضر من النبات: الشديد الخضرة. الأحوى: الذي اشتدت خضرته حتى صارت أقرب إلى السواد.

(٤) ربوا: متفخخة من شدة الاهتزاز.

(٥) سخّ الدمع: اشتد انصبابه. بمرجان: بدمع لونه كالمرجان الأحمر. المقلة: العين.

(٦) الفيفاء: المفازة لا ماء فيها.

(٧) الحمى: الحرم النبوي. قصر الظهر: كناية عن أنه مريح. يُعزى: ينسب. جلوى: فرس كريم معروف.

(٨) الحبو: الزحف.

(٩) برأه: خلقه. مأتاه: مجيئه.

(١٠) لسا: لمشي جبل رضوى ذهباً إلى حيث أراد ﷺ من ملك الدنيا لكنه لم يرد ذلك.

(١١) فجره: صبغه. ربع الشقاء والكفر أصبح خرباً لما بعث الرسول ﷺ.

(١٢) تزهى زهورها: تهتز أو تحسن. شمسه: شمس النبي. تذوى: تذيل.

أَقَامَ قَنَاةَ الدَّيْنِ وَاسْتَلَّ عَضْبَهُ
فَفِي كُلِّ أَنْ يَثْرُكَ الْخَيْلَ حُسْرًا
وَتُعْنِي عَنِ الْجَيْشِ اللَّهُامِ مَهَابَةً
فَدَانَتْ لَهُ الْأَعْرَابُ خَشِيَةً بِاسِهِ
وَنَامَ جَبَانُ الْقَلْبِ فِي ظِلِّ أَمْنِهِ
نَبِيٌّ بَرَاهُ اللَّهُ لِلْحُسْنِ نُسْحَةً
وَأَتَاهُ مَا لَمْ يُوتِهِ قَطُّ مُرْسَلًا
وَأَوْجَدَ قَبْلَ الْكُونَ أَنْوَارَ ذَاتِهِ
وَمَيَّرَهُ رَبُّ الْوَرَى بِخَصَائِصِ
وَفِي لَيْلَةِ الْمُنْعَرَجِ نَادَاهُ رَبُّهُ
وَأَيَّدَهُ بِالْمُنْجِرَاتِ فَكَمْ هَمَّتْ
وَجَاءَ بِقُرْآنٍ مَجِيدٍ كَأَنَّهُ
تَحَدَّى بِهِ أَهْلَ الْبَيَانِ فَأَحْجَمُوا
لَقَدْ عَلِمُوا صِدْقَ الرَّسُولِ وَأَيَّقُنُوا
وَوَاصَلَ فِي تَدْمِيرِ أَعْدَائِهِ الْعَزْوَا^(١)
يُتَابِعُ فِي الْكُفَّارِ غَارَاتِهِ الشُّعْوَا^(٢)
عَلَيْهِ مِنَ الْبَارِي تَلِينٌ لَهَا الصَّفْوَا^(٣)
وَأَذَعَنْتِ الْأَقْيَالُ إِذْ رَأَتْ السِّطْوَا^(٤)
وَسَارَتْ مَعَ السَّرْحَانِ فِي الْأَكْمِ الْأَرْوَى^(٥)
تَجِلُّ عَنِ الْأَشْكَالِ سُبْحَانَ مَنْ سَوَى
وَأَغْطَاهُ مِنْ كَنْزِ السَّعَادَةِ مَا يَهْوَى
فَصَوَّرَ مِنْهَا آدَمًا وَكَذَا حَوَا
فَوَدَّتْ بِأَنْ تُلْفَى نِعَالًا لَهُ الْعَوَا^(٦)
بِغَيْرِ حِجَابٍ وَازْتَقَى الْغَايَةَ الْقُضْوَى
أَصَابِعُهُ مَاءً بِهِ جَيْشُهُ يَرْوَى^(٧)
بِأَفْوَاهِنَا مِنْ حُسْنِ تَرْكِيبِهِ الْحَلْوَا
وَقَالُوا مَقَالًا فِي مَضَاهَاتِهِ لَعْوَا^(٨)
وَلَكِنَّمَا الشَّيْطَانُ بِالْعِ فِي الْإِغْوَا^(٩)

(١) القناة هنا: القامة. استل غضبه: استل سيفه القاطع يريد إقامة دين الإسلام.

(٢) يترك الخيل حسرًا: مصابة بالإعياء والتعب. كناية عن البلاء في الحرب. الغارة الشعواء: المتفرقة في أمكنة مختلفة حتى تنخن في العدو.

(٣) الجيش اللهم: العظيم. الصفواء: الصخرة الصلبة الملساء.

(٤) البأس: الشدة والحرب. أذعنت: خضعت. الأقيال جمع قيل: وهو الملك أو دون الملك الأعلى؛ كان يلقب به بعض ملوك اليمن. السطو: القهر بالبطش.

(٥) السرحان: الذئب. الأكم جمع أكمة: التل. الأروى: إناث الرعول وهي التيوس الجبلية.

(٦) العوا: كوكب من منازل القمر. تلفى: تكون.

(٧) همت العين: صبّت دمعها.

(٨) أحجم: كف ونكص: المضاهاة: المشاكلة والمشابهة. اللغو من الكلام: ما لا قيمة له.

(٩) الإغواء: الإضلال.

وَهَيْهَاتَ أَنْ تَقْوَى عَلَى لَمَحِ نُورِهِ
 جَرَتْ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ بِالسَّبْقِ لِلْأَلَى
 حَظُوظٌ قَضَتْ لِلسَّابِقِينَ بِشُرْبِهِمْ
 فَطَوْبَى لَهُمْ قَدْ صَدَّقُوهُ وَهَاجِرُوا
 وَشَادُوا ضُرُوحَ الدِّينِ بِالْبَيْضِ وَالْقَنَا
 وَصَانُوهُ عَنِ أَيْدِي الضَّيَاعِ فَهَذِهِ
 أَحَادِيثُ تَزْهَى بِالسَّبْدِ كَأَنَّهَا أَلْ
 صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ قَدْ قَرَأْنَاهُ نَزْتَجِي
 لَنَا طَرِيقُ نَزْوِيهِ مِنْهَا عَدِيدَةٌ
 بِفَضْلِ أَبِي الشُّبَلِيِّ إِسْنَادُنَا عَلَا أَلْ
 فَيَا حَاتِمَ الرُّسُلِ الْكِرَامِ وَخَيْرَهُمْ
 وَيَا شَافِعِي يَوْمَ الْقِيَامِ وَمَنْ لَهُ

عُيُونٌ مِنَ الْفَجَارِ عَنِ رُشْدِهَا عَشْوًا^(١)
 بِهِ انْتَبَهُوا مِنْ رَفْدَةِ الشَّكِّ وَالْأَهْوَا
 هَنِينًا زُلَالَ الْحَقِّ مِنْ كَفِّهِ صَفْوًا^(٢)
 إِلَيْهِ وَلَا هَابُوا الْأَذْيَةَ وَالْعَدْوًا^(٣)
 وَأَبَدُوا مُحْيَا الشَّرْعِ بِالْعِلْمِ وَالْفَتْوَى^(٤)
 أَحَادِيثُهُ الْغَرَاءُ مَا بَيْنَنَا تُزْوَى
 مُمْدَامٌ إِذَا تُثَلَّى أَوْ الْمَنْ وَالسَّلْوَى^(٥)
 بُلُوعُ الْمُنَى وَالْحَلِّ مِنْ عُقْدَةِ الْأَسْوَى^(٦)
 تَجَلُّ عَنِ الْإِحْصَاءِ وَالسَّنْدُ الْأَقْوَى^(٧)
 أَسَانِيدَ مِنْ غَيْرِ انْتِحَالٍ وَلَا دَعْوَى^(٨)
 فِعَالًا وَأَعْلَاهُمْ لَدَى رَبِّهِ شَأْوًا^(٩)
 لِيَوَاءِ الثَّنَا وَالْحَمْدِ وَالْعِزِّ وَالْبَأْوَا^(١٠)

(١) لمح نوره: النظر إليه باختلاس البصر. عشوا: عشوا لا تبصر.

(٢) الزلال من الماء: الصافي العذب. الماء الصفو: الخالص من الكدر.

(٣) طوبى لهم: العيش الطيب لهم، أو حسنى لهم. العدو: الاعتداء.

(٤) الصروح: القصور. وشادوها: بنوها. البيض والقنا: السيوف والرماح. المحيا: الوجه. إبداؤه: إظهاره.

(٥) تزهى: تحسن. المدام: من أسماء الخمر. المن: الطل ينزل على الشجر ويحلو وينعقد كالعسل. السلوى: الطائر المعروف بالسماطي.

(٦) الأسواء: الشرور.

(٧) تجل عن الإحصاء: تعظم عنه.

(٨) أبو الشبلين: سيدنا علي. علا الأسانيد: فاقها.

(٩) الشأو: الغاية والمنزلة.

(١٠) البأواء: الفخر.

سَلِيلُكَ أَنْشَا فِي عُلَاكَ قَصِيدَةً مَحَبَّرَةً بِأَلْمَدْحِ تَوُطَّعَةَ النَّجْوَى ^(١)
تَفَضَّلَ عَلَيْهَا بِالقَبُولِ فَإِنَّهَا عَلَى قَزَلٍ جَاءَتْكَ تَسْتَمِطِرُ الجَدْوَى ^(٢)
وَمَا تَبْلُغُ الأشْعَارُ؟ وَالذُّكْرُ نَاطِقٌ بِفَضْلِكَ لَكِنْ فِي فُؤَادِي لَكَ العَلْوَا ^(٣)
أَبَتْ هِمَّتِي جَدْوَى سِوَاكَ وَأَنْزَلَتْ بِبَابِكَ مَاوَى الفُضْلِ حَاجِي وَالرَّجْوَا ^(٤)
مَدَدْتُ يَدِي صِفْرًا وَحَاشَا تَرُدُّهَا وَجُودُكَ يَا مَوْلَايَ يَسْتَحْقِرُ الأنْوَا ^(٥)
لَقَدْ فَازَ كَعْبٌ وَهُوَ قَاصٍ بِبُرْدَةٍ فَمَنْ عَلَى الأَذْنَى بِمَا يُذْهِبُ الأَدْوَا ^(٦)
وَصَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَلَاخَ وَمِیْضٌ فِي كَنهُورِهِ خَفْوَا ^(٧)
وَسَارَتْ إِلَيْكَ العِيسُ تَمْرُحُ فِي الفَلَا كَمَا مَرَحَتْ فِي الحَرْبِ نَاقَتُكَ القُصْوَا ^(٨)



- (١) التوطئة: التمهيد. النجوى: السر، والغرض القرب الشديد لأنه لا يسر الإنسان إلا إخصاؤه.
- (٢) القزل: التبخر في المشي. الجدوى: العطية.
- (٣) الذكر: القرآن. العلوا: القصة العالية الرفيعة. وفي الأصل: العين المعجمة وهو غير مناسب.
- (٤) الرجوا: الرجاء والأمل.
- (٥) صفرا: خالية. الأنواء جمع نوء: يريد هنا المطر.
- (٦) كعب بن زهير مدح الرسول ﷺ فمنحه بردته وهو ليس من ذوي قرابته. الأدوية: الأمراض.
- (٧) لاح وميض: ظهر لمعان خفيف. الكنهور من السحاب: قطع كالجبال. خفوا: ظهوراً من خفا الشيء ظهر.
- (٨) القصواء: اسم لناقة النبي ﷺ.

القصيدة الثانية والأربعون

مَا الْكَوْنُ؟

وهذه الأبيات لا تليق إلا بأهل البيت أولى الشرف العبد^(١)؛ والمجد الذي ما له نِدْ^(٢)؛ إلا أن فيها تجوزاً بقصر الممدود. وهو إن جاز للشاعر؛ فالمقتدر مؤاخذ به؛ ما لم ينضم إليه معنى جزل؛ فيُعْتَفَرُ؛ وليست هذه هناك؛ ولكنها على البديهة من رأس القلم^(٣).

مَا الْكَوْنُ إِلَّا ضُورَةٌ وَجَمَالَكُمْ مَفْنَاهُ
 فَلَنَنْغِيرَنَّ مُتَيِّمًا فِي حُبِّكُمْ لَمْنَاهُ^(٤)
 مَا لِلْكَلامِ وَوَضْفَكُمْ؟ وَأَقْلُهُ أَفْنَاهُ^(٥)
 مِمَّا لَكُمْ بِقُلُوبِنَا لَمْ نَرْضَ مَا قُلْنَا
 وَكَذَلِكَ الْمَعْنَى الْعَظِيمُ يَجِلُّ عَنْ مَبْنَاهُ^(٦)
 قَسَمًا بِكُمْ مِنْ وَاِمِيقِي هَجْرَانُكُمْ أَضْنَاهُ^(٧)

(١) العد: أصله الماء الجاري الذي لا ينقطع.

(٢) ند: نظير.

(٣) رأس القلم: كناية عن السرعة.

(٤) المتيم: من استعبده الحب.

(٥) أقل الوصف أفنى الكلام أي لا يحيط الكلام بمفاخركم.

(٦) يجل: يعظم. المبني: اللفظ المركب.

(٧) الوامق: المحب. أضناه: هزله وأضعفه.

لَخَيَالِكُمْ مِنْ بَرْدِهِ عَنِ وِزْدِهِ أَغْنَانَا^(١)
 مَلَكَ الْقَرَامُ زَمَامَهُ وَفُؤَادَهُ وَمُنَانَا^(٢)
 فَلَمِنْ تَنَاءَتْ دَارُهُ فَخَيَالِكُمْ أَذْنَانَا^(٣)
 لَكِنَّهُ طَالَ الْمُنَى فَمَتَى يَذُوقُ جَنَانَا^(٤)
 يُذَكِّي الْحَمَامُ شُجُونَهُ فَيَذُوبُ إِنْ غَنَانَا^(٥)
 كَالْبَانِ يَخْفِقُ كَلَّمَا مَرَّ النَّسِيمُ نِنَانَا^(٦)
 رِقُوا عَلَيْنِهِ فَإِنَّهُ فِي الْحُبِّ طَالَ عِنَانَا^(٧)
 فَلَقَّ السَّنْبِيحُ فُؤَادَهُ وَتَقَوَّمَتْ أَحْنَانَا^(٨)
 أَفَلَا تَرَوْنَ قَرِيبَهُ وَقِفَالَكُمْ وَنِنَانَا^(٩)
 حَاشَا بِخَيْبٍ لَهُ بِكُمْ أَمَلٌ يَلُوحُ سِنَانَا^(٩)



- (١) خيال الأحبة في المنام أو في اليقظة أحدث في نفسه راحة كراحة الماء الزلال البارد فهو لذلك يستغني بالخيال عن ورد الماء.
- (٢) الزمام: المقود. مناه: ما يتمناه ويرجوه.
- (٣) تناءت: بعدت. أدناه: قربه.
- (٤) الجني: ما يتناول من الشجرة ويجني.
- (٥) أذكي النار: أوقدها. الشجون: الأحزان، ويذكيها: يلهيها.
- (٦) يخفق: يحركه الريح. ثناه: لواه في ك ناحية.
- (٧) عناه: تبعه.
- (٨) نشج الباكي نشيجاً: غص بالبكاء في حلقة من غير انتحاب. وقلق فؤاده: شقه. الحنو: ما فيه اعوجاج من البدن وجمعه أحناء ويريد الأضلاع. تقومت: اعتدلت فإذا اشتد البكاء اتسع الصدر وازدادت حركته، فكأن الأضلاع اعتدلت بعد اعوجاج.
- (٩) يلوح: يبدو ويظهر. السنأ: الضوء.

القصيدة الثالثة والأربعون

وَمُعْتَرِضٍ قَالِ

وَمُعْتَرِضٍ قَالِ مِنْ غَيْرِ نُورٍ عَهْدُنَاكَ حَزْبًا لِأَهْلِ الْغُرُورِ^(١)
 تَشُدُّ النُّكَيْرَ لِحَزْبِ الْقُبُورِ فَمَا لَكَ تَنْقِضُ هَذَا الصَّنِيعِ
 فَقُلْتُ اسْتَمِعْ حُجَّتِي يَا بَغِيضُ وَكَيْفَ تَقَاسُ الدُّرَى بِالْحَضِيضِ؟
 عَلَى أَنْ مَنْ كَانَ جَزَلَ الْقَرِيضُ يِرَاعِي الْمَجَازَ لِأَجْلِ الْبَدِيعِ
 لِكُلِّ مَقَامٍ شَرِيفٍ رَجَاءُ وَمَا لِلْبِرَازِينَ هَذَا الْمَجَالُ^(٢)
 وَحَرْبِي لِأَهْلِ الدِّعَاوَى سِجَالُ وَمَا لِلْمِرَائِينَ مِثْلِي قَرِيعُ^(٣)
 وَمَا فِي مَنَاجَاةٍ مَا جِي الظَّلَامِ وَلَا فِي التَّوَسُّلِ لِي مِنْ مَلَامِ^(٤)
 وَرَاجِعِ كَلَامِ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ غَزِيرِ الْمَعَارِفِ شَيْخِ الْجَمِيعِ^(٥)
 وَآلِ الْكِسَا مِنْهُ مِنْ غَيْرِ لِي وَمَا فِي مَدِيحِي لَهُمْ قَطُّ غَيِّ^(٦)

(١) من غير نور: من غير بصر وعلم. الغرور: الخداع والباطل.

(٢) البراذين: من الخيل، ما كان من غير نتاج العراب.

(٣) سجال: السجل: الدعاوى سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء.

(٤) مع أن الإمام ابن عبيد الله يناهض الصوفية في بعض الأحيان إلا أنه قال عن نفسه في بعض كتبه: إنه صوفي بالقول لا بالفعل وله في التوسل رسالة مخطوطة وإلى هذا الكلام يشير في بيته

(٥) سلطان العلماء العز بن عبد السلام (٥٧٧ - ٦٦٠هـ) المصري الشافعي والصوفي حرض الناس والحكام ضد التتار الغزاة

(٦) لي: قتل وثني.

وإن أنا خاطبتُ خاطبتُ حيً وهل يُمتَرى في حياة الشفيغ
وهذي الإشاراتُ تكفي الفطينَ ومن لم تُفِده ففي فيوطينَ
وشوْط الأدلة عندي بَطِينُ وحسبُك هذا لثلاثِ تضيغ^(١)

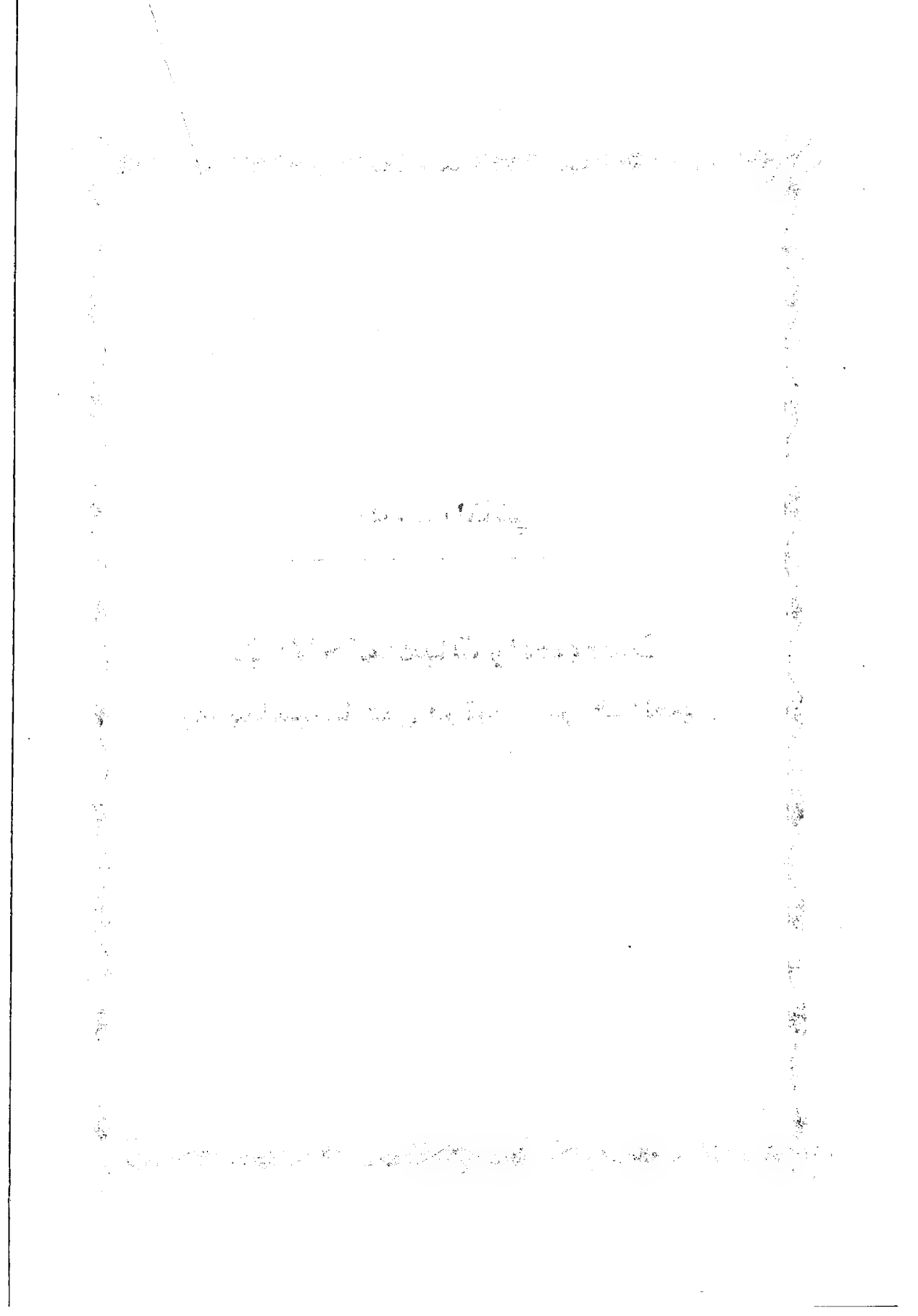


(١) بطين: بعيد.

Vertical line on the left side of the page.

الباب الثاني

في الاجتماعيات والصوفيات
وما يناسبهما على ترتيب حروف المعجم



THE UNIVERSITY OF CHICAGO

PHYSICS DEPARTMENT

REPORT OF THE

COMMISSION ON THE

REVISION OF THE CURRICULUM

القصيدة الأولى

كُشِفَ الْغَطَا

كان إنشاؤها وقت ما قامت ضجة مُدَّعي الولاية؛ لافتتاحهم بتدريسنا في
الشمائل النبوية سنة ١٣٣٢هـ.

كُشِفَ الْغَطَا وَأَنْزَاخَتِ الْأَثْوَابُ فَالْحَقُّ أَبْلَجُ مَا عَلَيْهِ حِجَابٌ^(١)
وَوَضَّحَ الرِّشَادُ بِذِكْرِ هَدْيِ مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْعِبَادِ فَثَابَتِ الْأَلْبَابُ
وَالصَّدْقُ تَنْتَظِمُ الْقُلُوبَ سِهَامُهُ وَالغَيْشُ مِنْ أَنْوَارِهِ يَنْذَابُ^(٢)
مَا زِلْتُ بِالْحَجَجِ الْبِوَالِغِ مَعْلَنًا دُونَ الْحَقِيقَةِ وَالْوَرَى أَحْزَابُ^(٣)
فَمَخَالِفُونَ إِذَا نَطَقْتُ بِسُنَّةِ شَرِقُوا وَزَادُوا فِي الْعِنَادِ وَعَابُوا^(٤)
وَإِذَا حَضَرْتُ يُبْصِضُونَ وَإِنَّمَا يَفْرُونَنِي بِشِفَارِهِمْ إِنْ غَابُوا^(٥)
يَتَطَلَّبُونَ لِي الْعَيُوبَ بِزُورِهِمْ لَكِنَّهُمْ فِي سَغِيهِمْ قَدْ خَابُوا
شَرَفَتْ تَزِلُّ الْعُصْمُ عَنْهُ وَمَفْخَرٌ جَادَتْ بِهِ الْأَكْسَابُ وَالْأَنْسَابُ^(٦)
وَجَمِيعُهُمْ إِمَّا غَلِيظٌ جَاهِلٌ أَوْ مِظْلَمٌ التَّارِيخُ أَوْ كَذَّابٌ

(١) أبلج: واضح ظاهر.

(٢) ينداب: يذوب ويضمحل.

(٣) دون الحقيقة: أقل منها. ومع ذلك عابوا فما بالكم لو أعلنتها كلها.

(٤) شرقوا: عُصُوا.

(٥) يبصصون: يتملقون. يفرونني: يقطعونني. بشفارهم: بمداهم. يمزقون عرضي بحدة الستهم.

(٦) العصم: الوعول.

أو ذو غُرُورٍ من بياني للورى
 والفرقة الأخرى تُقَرَّبَانَّ ما
 عرَفْتُهُ معرفة البنين فَعِنْدَهَا
 كَتَمْتُهُ من بعد اليقين لأنها
 وصفارُ أحلامٍ إذا سمعوا الهدى
 لكن إذا سمعوا الخرافات التي
 من أيِّ بابٍ ذا التَّوَهُّمِ جاءهم
 مَنْ قال: قال الله قال رسوله
 فلينظر العقلاء فيما قلته
 وليبحث الطلابُ بحثاً جيداً
 ولقد عرَفْتُ نبوغَ بعضهم بما
 من غيرةٍ وشجاعةٍ أدبيةٍ
 بدءاً كمثلى يَضدِّعون وما تُنى
 بيتٌ ركزتُ من الجهادِ عموده

سِيرَ النبيّ ضلاله ينجابُ^(١)
 أشدو به بين الأنام صوابُ^(٢)
 علمٌ ولكن بالدهان يشابُ^(٣)
 من لؤمٍ أولى الفرقتين تهابُ
 ودعاهم داعي الرشاد أجابوا
 يهذي بها بعض اللئام ارتابوا
 وشهودٌ قولي سنةً وكتابُ
 سُدَّتْ عَلَى أعدائه الأبوابُ
 ولئن غلِطتُ فإِنِّي أوَّابُ^(٤)
 ورجاي أن لا يُدهنَ الطلابُ^(٥)
 نَمَّتْ به الأخلاقُ والآدابُ^(٦)
 فيهم وفيهم يُوجدُ الهَيَّابُ
 عزماتهم عتبٌ ولا كِذَّابُ
 وهم إذا صلَّحوا له الأطنابُ^(٧)



- (١) ينجاب: ينكشف بياني.
 (٢) أشدو به: أترنم به.
 (٣) بالدهان يشاب: بالتفاق يخلط.
 (٤) أوَّاب: رجاع توَّاب.
 (٥) يدهن: ينافق.
 (٦) نمت به: أظهرته.
 (٧) ركزت: أقيمت.

القصيدة الثانية^(١)

شُكْرًا أُقَدِّمُهُ

وهذه قدَّمْتُها لقوم؛ نصَّبوا أنفُسَهُم للاحتساب ونصر الحق؛ ولكنَّهم مع الأسف لم يفوا بما تعهدوا به؛ لغلبة الدَّهان وضعف الإرادة؛ وأخذتْهم العزة بالإثم؛ حتَّى عن الجواب بوصولها؛ وبلغني أن بعض متشاعريهم؛ أغار على معانيها وطائفةٍ من ألفاظها. وعَهْدُ إنشائها قديم يرجع إلى حوالي سنة ١٣٣٣هـ.

شُكْرًا أُقَدِّمُهُ أَمَامَ خُطَابِي لَجَمَاعَةِ الْأَدْبَاءِ وَالْكِتَابِ

(١) علق بعض الباحثين الذين قرأوا هذه القصيدة بسطحية شديدة مثل الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابه (الشعر المعاصر في اليمن) وقد ظن أن ابن عبيد الله يتحدث في هذه القصيدة عن قضية المرأة البغي وأسهب في مدح البناء الشعري لمأساة البغي معتمداً على مفهومه السطحي الخاطيء وهو لا يعرف شيئاً عن المجتمع الحضرمي المحافظ الذي عاش فيه الإمام ابن عبيد الله والذي ينعدم فيه البغاء والسرقه وشرب الخمر، وعلق الدكتور أحمد هادي باحارثة فقال: لكن بالاطلاع على هذه القصيدة كاملة نجد أن ابن عبيد الله لا يتناول فيها قضية البغاء وليس في كلماتها ما يدل على أن الفتاة المتخيلة بغي فهو يستعمل تلك الفتاة الحسنة رمزاً للشريعة الإسلامية التي هجرها أهلها المسلمون كما تدل عليه أبيات لاحقة من القصيدة (انتهى من كتاب الانتصاف لابن عبيد الله للدكتور أحمد باحارثة ص ٦٦ - ٦٨ باختصار) وأقول: إنني أستغرب هذا الأمر مع أن شارح الديوان أشار إلى أن الإمام يكنى بالغانية عن الشريعة الإسلامية وما تعرضت له من أهلها. بل إن الإمام حمل في القصيدة الخامسة والعشرين بهذا الباب على شاعر مصري معاصر نشر قصيدة يعطف فيها على بغي ويعتذر لفحشها ويعترض على توعددها بالجزاء. فغضب الإمام ابن عبيد الله ولم يصبر وقال: وأخذتني حدة تليق بمؤمن (أي من هذه الأبيات المشؤومة) ورد عليه بالقصيدة التي مطلعها: وضح الحق ولم يخف الطريق (القصيدة ٢٥).

المخلصين السائرين بهممة
 المصلحين المسرعين إلى العلى
 الناهضين إلى المكارم بعدما
 لهفي لغانية تصيح وما لها
 تيكى بقارعة الطريق ووجهها
 عثر الزمان بها وأعد حظها
 فكأنني لما وقف جبالها
 وطفقت أسألها دخيلة أمرها
 فتلعثمت خجلاً ولم تقدر على
 وبقيت أخفيها وبعد تجلدي
 قلت اشرحي لي ما لقيت فليس في
 قالت عقيلة سادة أختي بها
 هضم وإفلاس وبأس فوق ما
 ترثي أحببها وتندب أهلها
 وعزيمة للفضل والآداب
 الراجحي الأحلام والألباب
 كسدت وأضحت نزرة الخطاب^(١)
 من ناصر حتى يرّد جواب^(٢)
 كالبدري يسترّه رقيب سحاب
 فتبدلت من بعد صون حجاب^(٣)
 ورأيت هيئتها شرفت بصاب^(٤)
 ونشيجها يعلو فيلهب مابي^(٥)
 ردّ الجواب وأكبرت إغصابي^(٦)
 قالت إليك فلو علمت مصابي^(٧)
 شكواك من بأس ولا من عاب^(٨)
 صرف الزمان وصب سوط عذاب^(٩)
 منيت به من فرقة الأحباب
 والكل رهن جنادل وتراب^(١٠)

(١) كسدت: بارت.

(٢) لهفي: كلمة تحسر على فانت. غانية: يرمز بها إلى الشريعة الغراء.

(٣) فتبدلت: تركت التصون.

(٤) شرفت: غصت. بصاب: بمر وأصله الشجر المر.

(٥) نشيجها: بكاؤها.

(٦) أكبرت: أعظمت.

(٧) أحفيها: أحملها على القول.

(٨) عاب: عيب.

(٩) العقيلة: الكريمة المخدرة. أختي بها: أهلكتها وفي اللغة أختي عليهم: أهلكتهم. فالباء

بمعنى على. صرف الزمان: حادثه.

(١٠) جنادل: حجارة القبر.

مَرَأَى تَذَوُّبٌ لَه الْقُلُوبُ وَتَنْشِي الْأ
مَرَأَى نَفَى عَنِّي الرُّقَادَ وَلَمْ أَجِدْ
وَقَدَحْتُ زَنْدَ الرَّأْيِ لِاسْتِنْقَاذِهَا
وَعَيَّبْتُ فِي شَأْنِي بِهَا حَتَّى انْجَلَى
فَأَقَمْتُهَا وَحَمَلْتُهَا فِي رَحْلِهَا
:حَضْرَاتِ عَشَّاقِ الْمُحَامِدِ وَالثَّنَا
وَالْمُنْعِمِشِيِّ الْأَمَالِ مِنْ عَشْرَاتِهَا
مِنْ كُلِّ شَهْمِ الْمَمِيِّ مَخْلَصٍ
حُرِّ يَقُولُ الْحَقَّ غَيْرَ مَقْصَرٍّ
هَذِي الشَّرِيعَةَ لَمْ نَجِدْ إِلَّاكُمْ
قَدْ صرَّحْتَ بِشَكَاتِهَا فَاضْفَوْ لَهَا
وَتَخَذُوا لَهَا بِالثَّارِ مِنْ سَاءِهَا
أَحْيُوا الشَّرِيعَةَ إِنَّهَا قَدْ أُذْنِفَتْ
وَالصَّدُوقُ فَارِقٌ رُوْحَهُ وَالْحَقُّ قَدْ
شُكِرِي لَكُمْ وَقَفَّ إِذَا أَيَّدْتُمْ
وَنَصَرْتُمْ الْأَخْلَاقَ بِضَحْكَ ثَغْرُهَا

جَفَانٌ عَنْهُ بِأَذْمِجِ أُسْرَابٍ^(١)
لِعَزَائِهَا سَبَباً مِنَ الْأَسْبَابِ
مِنْ بُؤْسِهَا وَحَسَبْتُ أَلْفَ حَسَابٍ^(٢)
رَأْيِي يَلُوحُ عَلَيْهِ نَوْرُ صَوَابٍ
وَبِهَا دَفَعْتُ إِلَى شَرِيفِ جَنَابٍ
وَالوَاضِحِي الْأَنْسَابِ وَالْأَحْسَابِ
وَمُرْمِي الْأَثَارِ إِثْرَ خَرَابٍ
لَلَّه لَا وَكَلِّ وَلَا هَيَّابٍ^(٣)
فِي نَشْرِ دَعْوَتِهِ وَغَيْرِ مُحَابِي
كَهْفاً لَهَا يَا ظَاهِرِي الْأَثْوَابِ^(٤)
فَلَطَّالِمَا دُفِعْتُ عَنْ الْأَبْوَابِ
وَعَدَا عَلَيْهَا يَا أَسْوَدَ الْغَابِ
مِنْ دَائِهَا وَتَهَيَّأْتُ لَذَهَابٍ^(٥)
عَطَّى الدِّهَانَ جَبِينَهُ بِنِقَابٍ^(٦)
الدِّينَ الْحَنِيفَ بِسُنَّةٍ وَكِتَابٍ
وَالْحَقُّ يَنْصَعُ نَابِذَ الْجَلْبَابِ^(٧)

(١) أسراب: كثيرة وأصل السرب القطيع من الظباء ونحوها.

(٢) زند الرأي: أصل الزند ما يُقدح به المنار.

(٣) وكَلِّ: عاجز ضعيف.

(٤) هنا يوضح الإمام القضية لمن صعب عليه فهم الكناية وإدراك التورية.

(٥) أذنت: ثقلت.

(٦) الدهان: النفاق.

(٧) ينصع: يتضح ويظهر. نابذ الجلباب: طارحاً ما يستره ويخفيه.

فَلَكُمْ بذا الشكرُ الجزيلُ من الورى وبه من المولى أجلُّ ثوابِ
وَلَكُمْ به الذكرُ الجميلُ مَخْلُدٌ يُحيي محاسنكم مدى الأحقابِ
وَلَكُمْ به البركاتُ في الأحوالِ والـ أموالِ والأعمارِ والأعقابِ
شرفٌ به الدنيا تدينُ مألُهُ من بعدها طوبى وحسنُ مآبِ
رُدُّوا لنا حِلْفَ الفضولِ ووَضُّحُوا الـ أحسابَ وانفُوا ريبَةَ المرتابِ^(١)
ثم الصلاةُ على النبيِّ محمَّدِ وعلى الوصيِّ القانتِ الأوابِ
وعلى البَنولِ وأمِّها وفروعِها وعلى جميعِ الآلِ والأصحابِ



(١) حلف الفضول: حلف عقده قبايل من قريش على أن لا يتخاذلوا ويسمون المطيبين.

القصيدة الثالثة

غُرَابَانِ زَارَا

وسببها أنني لما فرغت من تسويد كتابي «صوب الرُّكَّام في تحقيق الأحكام» سنة ١٣٥٠هـ؛ وأنا مغترب لخدمة العلم بمسيلة آل شيخ؛ خرجت أرتاد مكاناً للنزهة؛ فسَنَح لي غُرَابَانِ أَسْفَاً^(١) إلى الأرض، ثم وقفا مني مَرْبُطَ الْمُهْر؛ وسارا قريباً باعتدال؛ ثم طارا إلى بيتِ خراب وأخذَا يَنْقُرَانِ فيه؛ وترتَمَا لي قبل ذلك بالنعيب؛ فكاد يدركني ما يقع في النفوس بحكم الطبيعة، غير أنني صرفته إلى التِّيَامُنْ، وجاءني رسول ساعتئذ من الفاضل الجليل السيد أحمد بن عمر بن يحيى؛ يستدعينا من الغد للحضور إلى سفح مولانا محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى، وأدب بمناسبة الختم مأدبة فاخرة، وظللنا يوماً سعيداً ذهب نحسُه، وغامت شمسُه، وكفَّرَ ما صنع أمسُه، ووجدنا من انشراح الصدر وانتعاش الرُّوح في ذلك السفح المبارك؛ ما تنسنا به رَيًّا القبول^(٢) كما أشرنا إليه في القصيدة؛ وهي هذه:

هذا وزاد الإمام على ما سبق في ختام كتابه صوب الرُّكَّام ما يلي: وذكرت قصة جرت لي من نحو ربيع قرن بالتقريب؛ وهي أنني رأيت كأنَّ غراباً عظيم الجثة وقع إلى الأرض؛ وكلمني بلسانٍ فصيح؛ والتمس صداقتي؛ وأرادني على الطيران؛ فاعتذرت بعدم الجناح، فطار بي هو إلى الجو؛ وأراني له ثمة جنوداً كثيرة من إخوانه، وعقد معي حلفاً وثيقاً، ثم هبط بي إلى الأرض؛ وخالطني في

(١) أسفاً: دنيا في الطيران.

(٢) الرِّيَّا: الريح الطيبة.

تلك الأثناء من الأريحة والانبساط ما لا تدركه العبارة. فقصصت الرؤيا لمن حضرني بالعشي من غد تلك الليلة، وجلهم من شربة الشاهي فقط، كما هو الغالب عندنا على أبناء السادة، فلم يزيدوا على التضحك والتعجب.. وكان الشيخ أحمد بن عبد الله بن محمد عباد؛ قاضي مرخه؛ حاضراً فلم يتكلم، وفي اليوم الثاني؛ أبرد لي من الغرفة بكتاب؛ عبّر فيه رؤياي بما سرّني وأنقني، وهي له؛ لأنه أول عابر، واعتذر عن الكلام في المجلس؛ بأنّ الخطاب كان غير موجّه إليه؛ ونعى على أولئك المتعجبين فعلهم، وأتى بما يثلج خاطري، وعنه أخذت مبدأ عيافتي في القصيدة الآتية.

وبعد مدة من الزمان وجدت خطه؛ وأظنه بتاريخ ١٣٢٦هـ؛ وهذا ما يتعلق بتعبير هذه الرؤيا ومنه:

وقد حضر الفقير مجلسكم أنتم والحبائب؛ وقصصت الرؤيا التي أنت رأيت؛ ولم يجب الحاضرون إلا بالضحك، وقد فهمت في الحال تعبيرها؛ ولم أجزم أعبرها أدياً معكم؛ وحياءً من الحاضرين؛ لمّا رأيت توجه الإخبار إليهم؛ وبقي ذلك في خاطري؛ حتى وصلت بيتي؛ فكتبت الرؤيا وما أدركه فهمي القاصر من تعبيرها؛ وقد عنّ لي أن أكتب نقل ذلك لكم؛ فأعلم؛ وأنت أعلم: أنّ الطائر المذكور وهو الغراب؛ طائر مبارك مذكور في كتاب الله؛ ولولا شرفه على الطيور؛ لما بعث الله غراباً يبحث في الأرض؛ تعليماً لابن آدم؛ ليريه كيف يوارى سوءة أخيه، فكان تعليم الدفن للأموات بواسطة الغراب. وثانياً: لو قيل أنه ملك أرسله الله في صورة غراب؛ فلا يتصور في الذهن أن يصور الله الملك بصورة حيوان مشوم؛ فهذا دليل ثاني على شرفه، وثانياً: أنه أرسله لابن نبي الله نوح ولم يخصه برسالته إلا وله شرف على غيره وخاصية لم تقع لسواه. وأما من جهة السواد فإنه يدل في الرؤيا على سؤدد الرأي؛ كما عبر به زين العابدين وابن سيرين، وأما طابع ارتفاعكم إلى السماء فتدل على علوكم وسموكم، وأما اعتذاركم عن ذلك بعدم الأجنحة؛ فدليل ظاهر على عدم المساعد لكم؛ لأن المساعد كالجنح؛ يعين لك على ما أنت بصدده، وأما عهده لكم؛ فهذا دليل

على طول عمرك سيدي، لأنه من أطول الحيوان عمراً، وجعل العهد تأنيساً لكم لمناسبة طبيعية بينكم وبينه؛ لأنه قليل المعاشرة لغيره من الطيور؛ حَسَنَ الجوار لمن جاوره؛ وعنده من العلم بصلاح الهواء وفساده؛ ما ليس عند غيره؛ حتى أنه لا يطير في جو الأرض التي فيها وباء، وهو كثير الحزم؛ حتى أنه لا يكاد يصطاد، بخلاف غيره من الطيره (انتهى) ..

غُرَابَانِ زَارَا دَاعِيَاً يَتَنَفَّرُ يقولان بُشْرَى طَالِعِ النَّحْسِ يَنْفَرُ
 وَقَدْ غَتَّيَا لِي بِالنَّعِيبِ عَلَى الْهِنَا ومثلي مَنْ يَدْرِي اللَّحُونَ وَيَطْرُبُ^(١)
 وَطَارَا إِلَى بَيْتِ خِرَابٍ إِشَارَةً إلى أَنْ مَا يُبْنَى عَلَى الظُّلْمِ يَخْرُبُ
 وَسَارَا قَرِيباً بِاعْتِدَالِ عِلَامَةٍ على قُرْبِ عَدْلِ عِنْدِهِ الْجَوْرُ يَنْضَبُ^(٢)
 يُبَشِّرُنِي صَوْتُ ابْنِ دَايَةَ مَثَلَمَا تَسْرُبْنُو لِهَبٍ إِذَا عَنَّ ثَعْلَبُ^(٣)
 لئن زَجَرُوا الْغُرَابَانَ لِلشُّومِ إِنَّهَا على الضدِّ فِي زَجْرِي وَزَجْرِي مُجَرَّبُ
 أليس صَمِيمُ الْقَلْبِ وَالْعَيْنِ مَثَلَهَا وَحَسْبُكَ بَرَهَاناً لِرَأْيِ يُصَوَّبُ^(٤)
 أما كَانَ تَاجَ الْمَصْطَفَى يَوْمَ فَتَحِهِ لِأُمِّ الْقُرَى ذَاكَ السَّوَادِ الْمُحَبَّبُ؟
 أَلَمْ تَكُنْ طَوْلَى الدَّوْلَتَيْنِ اكْتَسَمَتْ بِهِ وَلَمْ تَكُنْ لَوْلَا فَضْلُهُ فِيهِ تَرْغَبُ؟^(٥)
 أليس مَدَادُ الْعِلْمِ فِي مِثْلِ صَبْغِهَا أَمَا تَحْتَهُ سِرٌّ عَظِيمٌ مُنْقَبُ؟^(٦)
 بَلَى وَلَقَدْ صَادَقْنَ خَتْمِي مَوْلَفًا بِهِ كُلُّ ذِي صَدْرِ سَلِيمٍ سَيُعْجَبُ

(١) النعيب: الصوت.

(٢) ينضب: يذهب في الأرض.

(٣) ابن داية: أصله ابن داية لقب للغراب. لوقوعه على داية البعير الدبسر وهي فقار كاهله فيما بين الكتفين لينقرها. بنو لهب: قبيلة من العرب مشهورة بالعيافة وزجر الطير.

(٤) مثلها: مثل الغرابان في السواد.

(٥) طولى الدولتين: الدولة العباسية حيث استمرت ستمئة سنة واستمرت الأموية ثمان وثمانين سنة.

(٦) منقب: محجب بالنقاب. يريد أسرار العلوم.

فبَشَّرَنَ قَلْبِي وَالتَّبَاشِيرُ جَمَّةٌ وَكُلُّ سِوَاهَا وَحْدَةٌ لَيْسَ يُكْذَبُ^(١)
 بِأَنَّ لَهُ صَيْتاً يَطِيرُ وَأَنَّهُ كَأَعْمَارِهَا يَبْقَى وَمَا سَاءَ يَذْهَبُ^(٢)
 وَأَكَّدَ ظَنِّي فِي رَجَاءٍ قَبُولِهِ لَدَى اللَّهِ عَيْدٌ كَانَ إِذْ تَمَّ طَيْبُ
 دَعَانَا مُحِبُّ الْعِلْمِ يَوْمَ خَتَامِهِ لَسْفُحِ بِهِ مِنْ وَابِلِ الْفَضْلِ صَيْبُ^(٣)
 فَجِينَا مِنَ الْخَيْسَافِ نَشْتَدُ زُمْرَةً وَجَاءَ مِنَ الْعَنَاءِ فِي الصَّبْحِ مَوْكِبُ^(٤)
 فَظَلَّلْنَا بِهِ يَوْمًا سَعِيدًا سَمَاوُهُ عَلَيْنَا بَهْتَانِ الْمَسْرَاتِ تَسْكُبُ^(٥)
 كَمَا شَاءَتِ الْأَهْوَاءُ عَلَى أَسْبَغِ الْقَرَى وَأَحْلَى حَدِيثِ وَالْمَشَائِمِ غَيْبُ^(٦)
 لَدَى سَيِّدِ دَاعِيِ الْإِلَهِ بِجَاهِهِ يُجَابُ وَرَاجِي جُودِهِ لَيْسَ يُخْجَبُ
 وَهَبَّ نَسِيمٌ عَاطِرٌ كَلِمَا انْبَرَى تَجَلَّتْ لَنَا أُمُّ الْمَنَازِلِ يَثْرِبُ^(٧)
 كَأَنَّ عَنِ الدُّنْيَا انْفَصَلْنَا أَوْ انْظَوْتُ عَلَيْنَا مِنِّي أَوْ أَنَّ ذَاكَ الْمُحْصَبُ^(٨)
 فَيَا رَبَّ حَقُّ مَا رَجَوْنَا وَأَجْرِنَا عَلَى خَيْرِ مَا عَوَّدْتَ وَالْعَيْشُ مُخْصَبُ^(٩)
 وَقَابِلُ بَغْفَرَانٍ جَزِيلٍ ذُنُوبِنَا فَمَا زَلْتَ تَعْفُو يَا كَرِيمٌ وَتُذْنِبُ
 وَعَجَّلْ بِنَصْرِ الشَّرِيعَةِ إِنِّهَا عَلَى الضَّيْمِ مِنْ أَعْدَائِهَا تَتَقَلَّبُ
 تَعَدَّوْا جِمَاهَا وَاسْتَهَانُوا بِقَدْرِهَا وَظَلَّتْ مَعَدُّ عَن هُدَاهَا وَيَغْرُبُ^(١٠)

(١) فبشّرَنَ قلبي: أي أن الأغرابة بشرته بالخير وهناك تباشير جمّة أخرى به لا تكذب واحدة منها فما بالك مجتمعة.

(٢) ما ساء يذهب: ما قبح لا يبقى. (٣) صيب: غيث.

(٤) الخيساف والغناء: موضعان هناك (الغناء هي تريم). نشتد: نسرع. زمرة: جماعة.

(٥) الهتان: السحاب الماطر. تسكب: تصب.

(٦) أسبغ القرى: أوسع وأكرم الضيافة.

(٧) يثرب: من أسماء المدينة المنورة.

(٨) المحصب: الشعب الذي مخرمه إلى الأبطح بين مكة ومنى.

(٩) أجرنا: سيرنا. مخصب: رغيد طيب ناعم.

(١٠) ظلت: ضلت.

فسادٌ وعدوانٌ وجهلٌ وذلةٌ
وقد ألجم الإدهانُ آلَ محمدٍ
كأن لم يكونوا مِن عليٍّ ولم يمتِ
ويا ليتهم كانوا كفافاً ولا جنى
ولولا افتراقُ بينهم عمُّ شره
ألحوا ولجوا في بَعَادٍ وبِنَصَةِ
ويروى عن الحدادِ مصداقُ قولنا
وإن حَاضِرَ في الإضلالِ بَعْضُ فإنها
يريدونه من غيرِ أبوابِهِ وهَلْ
يقولونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَإِنْ تَشِمُ
سِرَاعٌ إِلَى مَا فِيهِ ضُرٌّ بقدرِ ما
فَهُمْ فِي اضْطِرَابٍ مِنْ عُبَابٍ مَذَاقُهُ
عَلَى مَتْنِهِ تَطْفُو الخزايا وعكسها
لِسُوقِ الملاهي والسِّفَافِ بَيْنَهُمْ

لها الدينُ يبكي والمروءةُ تندبُ
فما رثتُ مَنْ لِلَّهِ يَرْضَى وَيَغْضَبُ^(١)
لهم في قِرَاعِ الجورِ جدٌ ولا أبُ^(٢)
على الدِّينِ منهم كاشحونَ وأجلبوا^(٣)
لأوشكُ صدعُ كان بالجورِ يُرَابُ^(٤)
فقد نَشَبُوا في حَبْلِ عَيٍّ وَأَنْشَبُوا^(٥)
لهم إن تمارى جاهلٌ يتَحَرَّبُ
أمانِيَّ آراءٍ بهم تتشعبُ
مع التَّركِ للأسبابِ يَأْتِي المسبَّبُ؟
وميضُ وعودٌ منهمُ فهي حُلْبُ^(٦)
بَفَرُونَ عما فيه نَفْعٌ مُرْتَبُ
أجاجٌ ولكنَّ للسِّفاهينِ يَعْدُبُ^(٧)
كرامُ السِّجايا فهي في القَمَرِ تَرُسُبُ
رَواجٌ ولكنَّ لَيْسَ لِلْحَقِّ مَشْرَبُ

(١) الإدهان: يريد نفاق قومه مع شرف نسبتهم، ريت: أصله رأيت.

(٢) قراع الجور: محاربة الظلم والبغي.

(٣) كفافاً: لا يعادون ولا يصادون. كاشحون: مضمر العداوة. أجلبوا: تجمعوا وتألّبوا على الدين.

(٤) يُرَاب: يصلح. أي أن الصدع الذي أحدثه الجور كان وشيكاً أن يصلح لولا ذلك الافتراق الفاحش الذي عم شره.

(٥) نَشَبُوا: ابتدؤوا في التعلق بجبل الضلال وأنشبووا تعلقوا به.

(٦) تَشِمُ: تنظر. من شام البرق إذا نظر إليه أين يقصد وأين يقع المطر؟ وميض: لمعان. حُلْبُ: مطعمة مُخلفة.

(٧) العباب: معظم السيل أو موجه. أجاج: شديد الملوحة والحرارة. للسِّفاهين: جمع سِفاهٍ الذي مفرده سِفِيَّةٌ وهو الجاهل.

ولما رأوني رافع الصَّوتِ بالدعا
يُقرُّونَ بالإجماعِ لي بتفردِي
جزاءً قيامي بالنَّصيحةِ أني
يريدونَ أن يُطفِّقوا بظغْنِ نفوسِهِم
ويَهوِّونَ موتي وهو موتٌ لِعِزِّهِم
يُوالونَ أعدائي ويُقضونَ شيعتي
يقولونَ لي وارثُ فتأبي أبوتِي
وعِرضُ كعِينِ الديكِ ما فيه نِقْطَةٌ
عفاةٌ به في الناسِ أعطسُ شامخاً
على حين لا عِرضُ بلا مثنويَّة
وغايثُهُم أن يكذبوا ومتى افتروا
يعيبونني غيباً وفي كلِّ مشهَدِ
ومن يكُ في شكِّها أنا ذا وما
وذلكَ تاريخي نقيٌّ وحجَّتِي
إذا لم أجبَ عن كلِّ قولٍ بقاطعِ
وكيفَ أحابي في الشريعةِ والمدى

إليه تحامؤني كأنني أجربُ
وما لي فيهم قطُّ سهلٌ ومرحَبُ
إذا شدتُ بُنياناً من المجدِ خربوا
سراجَ هدى يُذكيه علمٌ فحُيِّبوا^(١)
فليسَ لهم إلاي في الليلِ كوكبُ
وما زلتُ أشقى في علاهم وأنصبُ^(٢)
وأضلي وطبعي والطبيعةُ أغلبُ^(٣)
وسلَّ هل لظعنٍ صادقٍ في مذهبُ^(٤)
كأنني على حسنِ اعتدالٍ مُشدَّبُ^(٥)
لأعدائنا إلا بعارٍ مخضَّبُ^(٦)
أقولُ تعالوا قابلونني فيهرَّبوا
أقوم ولا أنسى التحدي وأخطبُ
أخافُ ولي من ناصعِ الحقِّ مركبُ
يخرُّ صريعاً دونها المتعصَّبُ
فلا عُدنَ بي الأمثالُ للناسِ تُضربُ
قريبٌ وللايام نابٌ ومخلَّبُ^(٧)

(١) بظغن: يظعن أي بحقد.

(٢) أنصب: أتعب.

(٣) فتأبي أبوتِي: في الأصل أموتي وهو تصحيف.

(٤) نقطة: سواد أي أنه نقي ناصع.

(٥) مشدب: مهذب مصلح.

(٦) مثنوية: ليس عرض لأعدائنا إلا مخضَّب بعار بل إستثناء.

(٧) المدى: منتهى الأجل.

بُنُصْرَتِهَا أَبْغَى رِضَا اللَّهِ حِينَ لَا
أَرَحْتُ ضَمِيرِي فَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْعَنَا
وإِنْ مَسَّنِي مِنْهُمْ أَدَى فَهُوَ هَيِّنٌ
بَعْدْتُ بِفَضْلِي عَنْهُمْ قَدَرًا مَا دَنَا
وَقَدْ كُنْتُ فِي عَهْدِ الْمَرَايِجِ نَافِذًا إِلَّا
وَمَنْ عَجِبَ أَنَّ الْأَسْوَدَ تَهَايُنِي
وَمَا زَالَ لِي بِاللَّهِ جَلٌّ ثَنَاؤُهُ
عِلَاءٌ بِلَا جَنْدٍ وَلَا رِيحِ دَوْلَةٍ
سَامِضِي بِرَاحًا لَا ضَرَاءَ إِلَى الْعُلَا
وَلِي قَلَمٌ كَالْمَشْرِفِيِّ وَمَقُولٌ
وَمَا أَنَا وَخُدِي فِي شِكَاَتِي فَكُلُّ مَنْ
عَلَى أَنَّهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ صَفَا
لَزِيمُ الْمِبْرَاتِ الَّذِي أَنْجَبَتْ بِهِ
نَدِيمُ الْمَعَالِي وَالْمَعَارِفِ بَيْنَمَا
بَعِيدُ الْمَدَى جَمُّ النَّدَى ذُو عَزِيمَةٍ
رَيْبُ الْمَغَايِيرِ الْحَسِيبُ الَّذِي انْجَلَى

يُرى فِي السُّورَى إِلا مَرَأً مُدْبَدَبٌ
وَكُلُّ أَمْرِي يَبْنِي رِضَا النَّاسِ يَتَّعِبُ
وَلَا شَيْءَ إِلا الْعَارُ وَالذَّنْبُ يَضْعُبُ
رِفَاقُ الْخَنَا وَالشُّكْلُ لِلشُّكْلِ يُجَذَّبُ
رَادَةٌ أَمَّا الْيَوْمَ فَالْدَهْرُ أَشِيبُ^(١)
وَيَعْدُو عَلَى قَدْرِي ابْنُ أَوَى وَأَرْنُبُ
عَلَى هَامَةِ الشُّغْرَى خِبَاءٌ مُطَنَّبُ^(٢)
عَلَى قُلَلِ الشُّمِّ الدُّرَى يَتَوَثَّبُ^(٣)
وَفِي نَصْرِ دِينِ اللَّهِ لَا أَتَهَيَّبُ^(٤)
يُذِيبُ الصِّفَا أَنَاءَ أُمْلِي وَأَكْتُبُ^(٥)
تَفَرَّدَ بِالْعَلِيَاءِ يُودَى وَيُقْصَبُ^(٦)
مِنَ الدَّهْرِ لِي حَرٌّ كَرِيمٌ مَهْدَبُ
سَلِيلَةُ عَبْدِ اللَّهِ وَالْفَخْلُ مُنْجِبُ
قُصَارَى أُولِي الْأَمْوَالِ مَلْهَى وَمَلْعَبُ
تَزِيدُ مَضَاءً كَلِمَا عَنِّ مَطْلَبُ^(٧)
بِهِمَّتِهِ مِنْ حَالِكِ الْجَهْلِ غَيْهَبُ^(٨)

(١) المراجيح: العلماء يريد كبار السادة الذين يعرفون له قدره. يشكو من تغيير حاله بتغير العهد.

(٢) خباء: بناء من وبر أو صوف أو شعر. مطنب: مشدود بالجمال. قد أعلاه الله ورفعهم عليهم.

(٣) براحاً: جهازاً أو ظاهراً. لا ضراء: لا استخفاء.

(٤) الصفا: الأحجار الصلدة الضخمة. آناء: وقت وحين.

(٥) يقصب: يُقطع.

(٦) مضاء: نفاذاً.

(٧) المغايير: الشديدي الغيرة على الحق. غيهب: ظلام.

نسيبِي في ودِّ بعيْدُ قرابَةٍ على أننا لِلْخُمْسَةِ العُرُّ نُنْسَبُ
 وَأزكى صَلَاةٍ بِالسَّلَامِ تَمَارَجَتْ يُخَصُّ بِهَا منا الحَبِيبُ المَقْرَبُ^(١)
 وَسِبْطَاهُ والزَّهْرَا وَسَائِرُ صَحْبِهِ وَحَيْدَرَةُ الشَّهْمِ الشِّجَاعُ المَدْرَبُ



(١) الحبيب: الرسول ﷺ. المقرب: من ربه عزَّ وجلَّ.

القصيدة الرابعة

تَفَتَّحَ لِي

تَفَتَّحَ لِي فِي النَّفْسِ سِرٌّ مُحَجَّبٌ به انحلَّ إشكاليّ وزال التّعجبُ
فَمِنْ صُغْرِ نَفْسِ الْمَرْءِ يَرْتَاخُ قَلْبُهُ ومن عَظَمِهَا يَلْقَى الْأَذْيَا وَتَتَعَبُ
وَذَلِكَ أَنَّ الْجِسْمَ ضِدٌّ لِلظَّفِيهَا تطيرُ به نحو العلى وهو يزسُبُ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْجِسْمِ إِلَّا كَقَدْرِهِ مِنَ النَّفْسِ أَوْ أَدْنَى انْتَفَى مَا يُعَذَّبُ
يَعِيشُ الصَّغِيرُ النَّفْسِ فِي الذَّلِّ وَادِعَاً رَخِيّاً وَيَشْقَى فِي النِّعَمِ الْمَهْدَبُ^(١)
وَلَوْلَا صِغَارُ النَّفْسِ لَمْ تَصْلِحِ الْوَرَى ولم تعمُر الدنيا ولم يَضْفُ مُشْرَبُ
وَقَدْ كَانَ خَيْرُ النَّاسِ يُوعَكُ جِسْمُهُ كما يوعَكُ الْإِنْسَانُ مِنَّا وَيَنْصَبُ
وَقَالَ لَهُ اضْبِرْ رَبُّهُ مِثْلَمَا مَضَى أولو العزمِ فِي صَبْرٍ يَشُقُّ وَيَضْعُبُ
وَمَرَّ عَلَيْهِ الْعُمُرُ وَهُوَ مَقْسَمٌ يَنَارِزُهُ قَوْمٌ وَقَوْمٌ يَكْذِبُ
وَلَا نُضِلُّ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا بِرُوحِهِ وما كونها فِي الْجِسْمِ إِلَّا تَغْرُبُ^(٢)
وَفِي اللَّخْدِ بَعْدَ النَّاطِقِيَّةِ مَيِّتٌ فما الموتُ إِلَّا لِلْكَمَالِ مُقَرَّبُ^(٣)

(١) وادِعَاً: ساكناً. رخيّاً: رخيّ البال لا يهتم بأمر. يشير إلى قول أبي الطيب:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

(٢) ما حلول الروح في الجسم إلا تغرب منها عن عالمها الأعلى.

(٣) الإنسان «الذي تعريفه حيوان ناطق» هو في الواقع حيوان ميت وقد كرر الشاعر هذا المعنى

إذ قال في قصيدة أخرى:

لا غرو فالإنسان في تعريفه الموت التمام =

لذِلكَ كانَ المرْتَضَى مِنْ يَقِينِهِ يَجِنُّ لَهُ كَالطَّفْلِ فِي الثَّدْيِ يَرْغَبُ^(١)
 فِيا رَبَّنَا بِالمِصْطَفَى وَوَصِيِّهِ أَعِنَّا عَلَيِ الأَيامِ فَالدَّهْرُ قُلْبُ
 وَمُنَّ لَنَا بِالحَفِظِ وَاشْفِ مِنْ الأَدَى بَنِينًا وَهَبْنَا ما نُحِبُّ وَنَظْلُبُ



= ويموته ترجع روحه إلى عالمها الأكمل ولذلك كان علي عليه السلام يحسن إليه كما يحسن الطفل إلى ثدي أمه وذلك من يقينه بهذه الحقيقة.

(١) الإنسان «الذي تعريفه حيوان ناطق» هو في الواقع حيوان ميت وقد كرر الشاعر هذا المعنى إذ قال في قصيدة أخرى:

لا غُرو فالإنسان في تعريفه الموت التمام
 ويموته ترجع روحه إلى عالمها الأكمل ولذلك كان علي عليه السلام يجنُّ إلى الموت كما يجنُّ الطفل إلى ثدي أمه وذلك من يقينه بهذه الحقيقة.

القصيدة الخامسة

يلوحُ بَدْرُ الأمانِي

أنشأها في سنة ١٣٥١هـ.

يَلَوْحُ بَدْرُ الأمانِي لِي وَيَخْتَجِبُ
 وَلَمْ تَزَلْ هَمِّي لِلْعَزِّ طامِحَةً
 وَالْعَجْزُ شَرٌّ وَنَيْلُ المَجْدِ مُرْتَبِطٌ
 وَالْعَزْمُ مَجْلَبَةٌ التوفيقِ وَهُوَ مَتَى
 وَقَلِمَا اجْتَمَعَتْ هَذِي لذي شَمَمٍ
 تِلْكَمُ مَراقِي العُلَى مَنْ جازَها كَمَلَتْ
 فَمَا يُؤَخِّرُ أَهْلَ الفُضْلِ إِنْ حُرِمُوا
 وَهَلْ يَضُرُّ المَجْلَى مِنْهُ سَبَقاً
 وَهَذِهِ سِيرُ الأَبْطالِ يَمْلِكُها
 لَكِنَّهُمْ كالأرواسِي لا يُحَرِّكُهُمْ
 وَمَنْ تَلِنَ فِي الحُطُوبِ الهُوجِ نَيْتُهُ
 وَمَا عَلِيٌّ سِوَى فِعْلِ الذي يَجِبُ
 وَطَرَفُها دائِماً فِي شَوِطِهِ يَثِبُ
 بِالجِدِّ فَالْفَوْزُ مَرهونٌ بِهِ التَّعَبُ
 طالَتْ قَوادِمُهُ لَمْ يَبْعُدِ الطَّلِبُ^(١)
 إِلا تَسامَتْ بِهِ فِي الرُفَعَةِ الرُّتَبُ
 لَهُ وَإِنْ شَطَّ مَظْلُوبٌ فَلا عَجَبُ
 ثَمَّارَ أَعمالِهِمْ أَوْ فَاتَهُمْ أَرْبُ
 يَوْمَ الرِّهانِ وَقَدْ دانتَ لَهُ القَصَبُ^(٢)
 مِنَ الرِّمانِ الأذَى وَالوَيْلُ وَالْحَرْبُ^(٣)
 عَضْفُ الرِّياحِ وَلا يُثْنِيهِمُ اللَّجْبُ^(٤)
 فَمَا لَهُ بِالعُلَى أَنْسٌ وَلا نَسَبُ^(٥)

- (١) القوادم: أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح وضدها الخوافي. يريد متى اشتد وقوي.
 (٢) المجلى: السابق الأول في الحلبة. دانت له القصب: أحرز قصب السبق الذي به يظهر الغلب.
 (٣) الحرب: السلب.
 (٤) الرواسي: الجبال. عصف الرياح: هبوبها الشديد. اللجب: الصياح.
 (٥) الهوج: الشديدة العاتية. نيته: عزيمته.

وَقَدْ أَخَذْتُ عَلَى نَفْسِي تَسْمَتَهُمْ
 وَقَدْ قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْ بَنِي وَطَنِي
 إِنْ غَبْتُ عَابُوا بِمَا لَا يَعْرِفُونَ وَإِنْ
 وَالْحُطْبُ سَهْلٌ وَمَا لِلْقَوْمِ مَنْزِلَةٌ
 لَمْ يَعْرِفُوا الْحَقَّ كِي يَمْتَازَ عِنْدَهُمْ
 فِي عُرْفِهِمْ مَبْلُغَ الدِّينِ الرُّسُومُ فَمَا
 وَالْمَنْكَرَاتُ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ بَلَا
 يَشْتَدُّ وَاحِدُهُمْ لِلشَّاةِ يُسَلِّبُهَا
 وَإِنْ تَهَجَمَ سُورُ الشَّرْعِ مَا حَبَقَتْ
 لَا وَزَنَ عِنْدَهُمْ لِلْمَكْرُمَاتِ وَلَا
 يُصَوِّبُونَ وَإِنْ أَخْطَا مَقَالَتَهُ
 فَهَلْ يُعَلَّقُ فِي أَمْثَالِهِمْ أَمَلٌ
 كَلًّا وَلَكِنِّي بِالنَّشْءِ أَرِيظُهُ
 وَلَنْ يَحُورَ النَّجَا إِلَّا إِذَا انْحَرَقَتْ
 وَكَيْفَ يَخْلُصُ مِنْ قَيْدِ الْجَمُودِ وَلَمْ
 عَلَى الْمَكَارِهِ جَاءَ النَّاسُ أَوْ ذَهَبُوا^(١)
 لِأَنَّ دِينَهُمُ التَّمْوِيهُ وَالْكَذِبُ
 حَضَرْتُ هَابُوا وَطَاحَتْ تِلْكَمُ الْحُطْبُ
 عِنْدِي فَسَيَّانَ إِنْ أَنْنُوا وَإِنْ قَصَبُوا^(٢)
 بِهِ الَّذِي صَحَّ مِمَّنْ مَسَّهُ الْوَصْبُ^(٣)
 إِلَّا عَلَيْهَا الرِّضَا مِنْهُمْ أَوْ الْعَضْبُ
 نَاهٍ وَلَا نَاصِرٍ لِلدِّينِ يَحْتَسِبُ
 غَيْظًا وَيَكْثُرُ مِنْهُ الْهَجْرُ وَالصَّخْبُ^(٤)
 عَنَزَ كَأَنَّهُمْ مِنْ غِرَّةٍ خُشِبُ^(٥)
 إِجْلَالًا إِلَّا لِمَنْ فِي جَيْبِهِ نَشْبُ^(٦)
 حَتَّى إِذَا قَالَ عَنِ شَعْبَانَ ذَا رَجْبُ
 وَهُمْ لَجَلُّ الْبَلَايَا عِنْدَنَا سَبَبُ؟
 فَهُوَ الْمَنَاظُ إِذَا لَمْ يُعْده الْجَرْبُ
 لَهُ الْعَوَائِدُ وَأَنْشَقَّتْ لَهُ الْحُجْبُ
 بِأَلْفِ سِوَى رِمَمٍ وَالْخُلْطَةُ الْعَطْبُ^(٧)

(١) تسمتهم: الاقتداء بأولئك الأبطال الذين نالتهم الشدائد كما نالتني دون مبالاة برضا الناس أو غضبهم.

(٢) قصبوا: قطعوا الثناء والتودد.

(٣) الوصب: المرض.

(٤) الصخب: شدة الصياح.

(٥) ما حبقت عنز: الحبق. ضراط المعز وقد يستعمل في الناس. يريد أنهم لم يعملوا أدنى شيء من شدة غفلتهم.

(٦) نشب: مال.

(٧) الخلطة العطب: خلطة من لا خير فيهم؛ هي المهلكة.

لكن أحاديث موسى عبرة ومتى
 وَقَدْ تَأَثَّرَ نَهْجَ الْحَقِّ عَنْ نَظَرِ
 وآية من كتاب الله تنشلهم
 ولم أزل باذل النضح الثمين ومن
 والخلف نيرانه بيني وبين أولي
 حرب عوان ولكنني أصارحهم
 وعند وزن كلامينا بمعدلة
 فالحق أبلج والتمويه منكشف
 والمترفون عداة الخير إن بعدوا
 تيقظوا أيها النشء الجديد بلا
 وأمضوا بغير التفات لئوشاة ولا
 والدين صونوا كما كانت أوائلكم
 تحت القساطل ماأثوا في حمايته

جاء الأوان همت بالرحمة الشحب^(١)
 في الجاهلية آباء لهم نجب^(٢)
 إن صادفت هممة يهفو بها الطرب^(٣)
 لديه شك فهذي بيننا الكئب
 التلبس منذ زمان وهي تلتهب
 وما بغير اغتياب عندهم سلب^(٤)
 ولو بدون ترو تنتفي الرب^(٥)
 والصفير يمتاز عند الحك والذهب^(٦)
 فهو الهدى وأسيتوا الظن إن قربوا^(٧)
 تطرف وانهضوا لله واغتصبوا
 تستيتسوا إن سعو بالكيد أو نصبوا^(٨)
 فإنهم فيه ما لأنوا ولا هربوا
 ولم تصددهم الأموال تنتهب^(٩)

- (١) أحاديث موسى فقد خالط فرعون وتربى في بيته ومع ذلك نجاه الله من كفره وخلصه من شره. همت: سألت.
- (٢) تأثر نهج الحق: تتبع آثاره آباء لهم كرام في الجاهلية.
- (٣) تنشلهم: تخرجهم عما كانوا فيه.
- (٤) سلب: هو ما يؤخذ في الحرب من المقتول؛ أي أنهم لا يقدرين على شيء من أمره سوى اغتيابه وهو شأن العاجزين.
- (٥) ولو بدون ترو: أي ولو كان بأول نظرة فما بالك إذا كان بعد التأمل.
- (٦) أبلج: واضح ظاهر. الصفير: النحاس.
- (٧) عداة الخير: جمع عاد وهو العدو أي هم أعداء الخير: إن بعدوا عنكم فهو الهدى لكم وإن قربوا منكم أسيتوا الظن بهم لأن دأبهم معادة الحق وكراهة الخير.
- (٨) نصبوا: أي الإشرار والحبائل.
- (٩) القساطل: جمع قسطل وهو الغبار الساطع.

وَلَا تُبَالُوا بِقُطَّاعِ الطَّرِيقِ وَإِنْ سُلِّتْ عَلَى هَامِكُمْ فِي نَصْرِهِ الْقُضْبُ^(١)
وَقُوا الْكَلَامَ وَكُونُوا فِي الذَّمَامِ وَفِي خَوْفِ الْمَلَامِ عَلَى مَا كَانَتِ الْعَرَبُ



(١) سلت القضب: السيوف القواطع.

القصيدة السادسة

عذيري

عذيري من الخمسين حلت بعفوتي
 وبيض بمرأى العين سود لدى النهى
 وفضل أديم لاح لي من وذيلة
 فضول بلا فضل ونور بلا بها
 على أنني لم أعط فضل مقادتي
 فلا يشمت الأعداء فالضرع حافل
 لقد طار عن فودي الغراب وإنما الع
 فما خانني صنع المشيب بلمتي
 ولا غض حتى من عنان صبابتي
 ومن موجعات الدهر تنقض قوتي^(١)
 تحكمن في رأسي ووجهي بسطوة^(٢)
 ضحى فاستحالت ظلمة منه ضحوتي^(٣)
 وركض على شهباء تجري لهوة
 لضعف ولم تقصر عن المجد خطوتي
 وما فات مما في الإنا غير رغو
 راب تراني واثبأ كل صهوة^(٤)
 ولا فل من عزمي ولا من فتوتي^(٥)
 ولا ريت من بيض الدمى نوع جفوة^(٦)

(١) عذيري من الخمسين: هات للخمسين سنة عذراً فيما فعلت بي. حلت بعفوتي: نزلت بساحتي..

(٢) وبيض: ومن شعرات بيض.

(٣) وذيلة: مرآة يريد ما رأى في المرآة من تجاعيد وجهه وشبهه.

(٤) طار عن فودي الغراب: ذهب عن فودي الشعر الأسود - العراب: الخيل التي ليس فيها عرق هجين.

(٥) بلمتي: هي الشعر يلتم بالمنكب. فل: كسر.

(٦) الدمى: يريد النساء.

وَلَا ذَلَّلْتُ هُوجُ الْخَطُوبِ مطامحي
 حُسَامٌ يَمَانِيٌّ يَزِيدُ مَضَاوَهُ
 قُيُونُ امْتِحَانِ زَنْ مَرَأَى فِرِنْدَهُ
 تَقَلَّبْتُ فِي خِضْبِ الزَّمَانِ وَبُوسِهِ
 جَلِيدٌ حَمِيٍّ الْأَنْفِ لَمْ تَرْقُ رَيْبَةٌ
 قَرِيبٌ لَدَى السَّرَاءِ لَيْتُنْ جَانِبُ
 فَلَمْ يَنْتَقِضْنِي الْفَقْدُ حَبَّةً خَرْدَلُ
 وَرَاجَعْتُ أَعْمَالِي فَلَمْ أَرْ نُقْطَةً
 وَلَكِنهَا فَضْلٌ وَنُبْلٌ وَعِيفَةٌ
 وَقَوْرٌ إِذَا خَفَّ الْحَلِيمُ وَرَابِطُ
 وَإِنْ نَالَتْ الْأَيَّامُ مَنِّي بِحَرْبِهَا
 وَفِيهَا جَرَى لِلْمَرْتَضَى وَلزَوْجِهِ
 فَلَا تَضْحَكِ الْأَيَّامُ إِلَّا لِسُقْلَةٍ
 فَكَمْ كَابَدُوا فِي الْحَقِّ مِنْ مَحْنَةٍ وَكَمْ
 وَلَوْلَاهُمْ مَا قَامَ لِلدَّيْنِ قَائِمٌ
 وَلَكِنْ جِهَادٌ فِيهِ تَسْتَبِقُ الطُّلَى

وَلَا قَرَعَتْ سَوْدُ الْمَصَائِبِ مَرَوَّتِي^(١)
 إِذْ رَقَّ جِسْمًا عَادَ مَأْمُونٌ نَبْوَةٌ^(٢)
 وَأَعَدَّدْتَهُ لِلْفَتْكَ فِي كُلِّ هَبْوَةٍ^(٣)
 فَمَا عَلِقْتُ مِنِّي اللَّيَالِي بِهَفْوَةٍ
 لِدِينِي وَلَا عِرْضِي وَلَا لِمُرَوَّتِي^(٤)
 وَفِي حَالَةِ الضَّرَاءِ تَشْتَدُّ نَخَوَاتِي
 وَلَا زَادَ فِي الْوُجُدِ آثَارَ نَشْوَةٍ^(٥)
 تَمَسُّ بِتَارِيخِي النَّقْيِي لِمَصْبُوءَةٍ^(٦)
 صَعِدْتُ بِهَا فِي الْمَجْدِ أَمْنَعُ ذُرُوءَ
 لَدَى الْهَوْلِ لَا تَنْحَلُّ لِلخَطْبِ حَبُونِي
 إِذَا فَنِي خَيْرِ النَّبِيِّينَ أُسُوتِي
 وَأَوْلَادِهِ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ سَلَوَاتِي
 وَلَا تَلْتَقِي الْأَبْطَالُ إِلَّا بِعُنُوءَةٍ
 لَقُوا مِنْ بَلَايَا كُلِّ مَنَسَى وَعُدُوءَةٍ
 وَلَا أَضْبَحَ الْإِسْلَامُ رَوْضًا بِرَبْوَةٍ
 وَأَجْسَادُهَا بَعْدَ احْتِجَاجٍ وَدَعْوَةٍ^(٧)

(١) هوج الخطوب: الأحداث الشديدة. والهوج في الأصل الشديدة الهبوب من جميع الرياح -

مروتي: صخرتي. والمرو في الأصل أصلب الحجارة وواحدته مروة.

(٢) مضاوّه: نفاذه وقطعه.

(٣) قيون: جمع قين وهو الحداد. فرنده: وشيه. هبوة: غبرة. يريد الحرب.

(٤) مروّتي: مروّتي.

(٥) الوجد بالضم: ضد الفقد.

(٦) لصبوة أي: لأجل جهلة الفتوة. متعلق بقوله تمس.

(٧) تستبق الطلى: تتسابق الأعناق إسراعاً إلى العدو.

حُرُوبٌ إِذَا عَضَّتْ رِحَاهَا ثِفَالَهَا
أَذَلُّوا لَهَا تَحْتَ الْقَسَاطِلِ أَوْجَهَا^(١)
أَوْلَعَكَ آبَائِي وَعَزِّي وَسُؤْدُدِي
جَرَى فِي عُرُوقِي حُبُّهُمْ وَبِجَاهِهِمْ
إِذَا زَارَنَا مِنْهُمْ خَيْالٌ تَضَوَّعَتْ
سَآمِضِي عَلَى آثَارِهِمْ جُهِدَ طَاقَتِي
فَفِينَا خُلُوفٌ مِنْ بَنِيهِمْ تَنَكَّبُوا
مَذَامِيمٌ لَا بَغِيَاءَ أَهَانُوا وَلَا هُدَى
وَيَا لَيْتَهُمْ كَانُوا كَفَافًا وَلَا اغْتَدَوْا
مَنَاسِبُ عَنْ مَرَقَاتِهَا الطَعْنُ يَرْتَمِي
يَعُدُّونَ إِعْلَانِي الصَّوَابَ جَرِيمَةً^(٢)
فَمَا تَمَّ غَيْرُ الْهَامِ فِي كُلِّ لَهْوَةٍ^(٣)
يَشُقُّ الدُّجَى فِيهَا ضِيَاءَ النُّبُوَّةِ^(٤)
وَفَخْرِي وَذُخْرِي وَاعْتِصَامِي وَقُدُوتِي
لِي الْأَمْنُ فِي الدَارَيْنِ مِنْ كُلِّ شِقْوَةٍ
رُبَانَا بِأَزْكَى مِنْ أَرِيحِ الْأَلْوَةِ^(٥)
وَإِنْ صَدَّيْ شَعْبِي وَقَوْمِي وَإِخْوَتِي
طَرِيقَتَهُمْ ظَلَمًا لِحَقِّ الْأُبُوَّةِ^(٦)
أَعَانُوا وَلَكِنْ فِي رِضَا كُلِّ شَهْوَةٍ
وَلَا فَتَحُوا لِلشَّرِّ أَشْأَمَ كُورَةٍ^(٧)
وَلَكِنَّهُمَا الْأَعْمَالُ ضِدُّ الْبُنُوَّةِ^(٨)
وَيَفْرُونَنِي أَنْ كُنْتُ عَنْهُمْ بِنَجْوَةٍ^(٩)

(١) ثفالها: جمع ثفال ككتاب وهو جلد أو نحوه يوضع تحت الرحي يقع عليه الدقيق. وهو مثل لشدة الحرب. وفي حديث عليّ وتذقهم دق الرحي بثفالها أي تذقهم دق الرحي للحب إذا كانت مثقلة ولا تثقل إلا عند الطحن. اللهوة: بفتح اللام وضمها ما يلقي في فم الرحي من الحبوب للطحن.

(٢) أذالوا: أهانوا واسترخصوا في سبيلها أوجها إلخ: القساطل: غبار الحرب.

(٣) تضوعت: فاحت. رباناً: جمع ربوة يريد رياضنا. أريح: رائحة. الألوة: بفتح الهمزة وضمها العود يتبخر به.

(٤) خلوف: جمع خلف وهو من لا خير فيه.

(٥) كفافاً: لم يحسنوا ولم يسيئوا. الكوة: الثقب في الحائط وجمع المفتوح كوات والمضموم كوى.

(٦) مناسب: أنسابهم شريفة عالية تنقطع المطاعن دونها ولكن أعمالهم سيئة ضد من ينتسبون إليه.

(٧) يفرونني: يقطعونني. أن كنت: لأن كنت. بنجوة: بمكان بعيد رفيع.

تَفَرَّبْتُ عُقْرَ الدَّارِ فِيهِمْ فَجَلُّهُمْ يَقُولُونَ تَعْساً لَا لِعَاً عِنْدَ كِبَوْتِي ^(١)
وَكَمْ قَتَلُوا لِي فِي الْغَوَارِبِ وَالذُّرَى وَكَمْ رَوَّجُوا مَيْنَاً لِكَيْدِي بِرِشْوَةٍ ^(٢)
فَلَمْ يَجِدُوا بِالْعَجْمِ فِي الْعُودِ مَغْمِزاً وَلَا هِمَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ بِرِخْوَةٍ ^(٣)
وَكَمْ قَدْ تَحَدَّيْتُ الْمَرَاتِينَ فَاثْنَوَا وَهَابُوا كِفَاحِي فِي الْجِدَالِ بِجَلْوَةٍ
وَكَمْ بَدَعَةٍ أَحْيَوْا وَكَمْ سُنَّةٍ مَحْوَا فَقَدْ لَيْسُوا الْإِسْلَامَ مَقْلُوبَ فِرْوَةٍ
وَمَا لِي سِوَى حُسْنِ انْتِظَارِي عِنَايَةً مِنْ اللَّهِ لِي مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ وَقُوَّةٍ
وَوَعْدٍ مِنَ الْمُؤَلَى الْإِمَامِ بِنَجْدَةٍ عَدَا نَجْرُهَا مِنِّي عَلَى قَابِ غَلْوَةٍ ^(٤)
وَبِالْخَمْسَةِ الْأَزْوَاجِ اسْتَجَلِبُ الْمَنَى وَأَسْتَدْفِعُ الْبَلَوَى فَهُمْ خَيْرُ عُرْوَةٍ



(١) عقر الدار: وسطها وأصلها. تعساً: هلاكاً وعتاراً. لا لِعَاً: لا انتعاش لك من كبتك: يقول العرب في الدعاء عليه: تعساً لا لِعَاً له.

(٢) قتلوا: يقال ما زال يقتل من فلان في الذروة والغارب أي يدور من وراء خديعته؛ والقتل: اللي. والغارب: مقدم السنام؛ والذروة أعلاه؛ والأصل فيه أن الرجل إذا أراد أن يؤنس بعيره الصعب ليزمه وينقاد له جعل يمر يده عليه ويمسح غاربه ويقتل وبره حتى يستأنس ويضع فيه الزمام. ميناً: كذباً وبهتاناً.

(٣) بالعجم في العود: يقال: عجم العود إذا لآكه للاختبار. برخوة: لينة سهلة.

(٤) قاب غلوة: قدر رمية سهم.

القصيدة السابعة

أئِنُّ من الأيامِ

أئِنُّ من الأيامِ يقرَعَنَ مَرَوْتِي ولم أوتَ إِلَّا من قبيلِ مَرَوْتِي ^(١)
لدى فُسحةِ الإمكانِ يمنَعني الحيا وتأخذُ من حَزَمي دواعي أبوتِي
فكم سَنَحَت لي فُرصةً لو نَهَزْتُها سَدَدتَ مجالَ الضَّيْمِ من كلِّ كُوةِ
وكم نازعثنِي رَغَبِي في اغتِنامِها فيأبى وفائي لِلعلَى فَضَمَ عُرْوَتِي
فإما ارتماضٌ في احتِفاظِ بشيمَتِي وإما انتِصافٌ شَرَطه قلبُ فَرَوْتِي ^(٢)
يُسيءُ عدُوِي ثم يَعْصِرُ عينه فأغضِي له عن كلِّ جُزْمٍ وهَفْوَةٍ ^(٣)
ويقلِبُ لي ظهرَ المِجَنِّ متى رأى سَبيلاً إلى هَضُومي وإعلانِ جَفَوْتِي ^(٤)
أهمُّ إذا لانتَ قَناتي وأنثني عنِ الثارِ ما أَحسَسْتُ يوماً بِقُوَّةِ
فلا أنا حينَ العَجْزِ باردُ خاطرِ ولا أنا في الإمكانِ بالغِ شَهْوَةٍ ^(٥)
تحيَّرْتُ في نفسي فإنَّ قُلْتُ إنها حلُومٌ فقد أدَّت لِضُرِّي وشِفَوْتِي
وإنَّ قُلْتُ من ضَغفِ الإرادةِ قَصُرْتُ عليَّ نصوصُ الحلمِ والعَفْوِ حُطَوْتِي

(١) مَرَوْتِي الأولى: حجاتي. مَرَوْتِي: مروءتي.

(٢) ارتماض: احتراق: يقال رمضت قدمه احترقت من الرمضاء وهي الحجارة الحامية من حر الشمس.

(٣) يعصر عينه: كناية عن شدة البكاء اعتذاراً.

(٤) المِجَن: الترس وقلب ظهر المِجَن يضرب مثلاً لمن كان لصاحبه على مودة ثم حال عن ذلك.

(٥) الإمكان: القدرة.

نَعَمْ لَا يَجُوزُ الْعَفْوُ إِلَّا لِمَنْ بِهِ
 كَمَا بِاللَّئَامِ الْفَتْكُ أَوْلَى لِأَنَّهُمْ
 وَفِي الْفَضْلِ يَوْمِ الْفَتْحِ وَالْعَدْلِ فِي بَنِي
 وَلَكِنَّهَا تُبْقِي مِنَ اللَّبْسِ عُقْدَةً
 فَهَلْ نَتَنَاسَى الْجِلْمَ مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِمْ
 وَكَمْ جَرَّ جِلْمُ الْمَرْتَضَى عَنْ خُصُومِهِ
 وَلَيْسَ بِخَافٍ حَالُهُمْ عَنْهُ وَهُوَ مَنْ
 فَيَا عِلْمَاءَ النَّفْسِ هَذِي قَضِيَّتِي

يَفِيءُ إِلَى ظِلِّ الْهُدَى وَالْفُتُوَّةِ^(١)
 إِذَا لُوِينُوا جَاؤُوا بِظَلْمٍ وَنُخْوَةٍ
 قُرَيْظَةٌ مِنْ طَه لَنَا خَيْرُ أُسْوَةٍ
 لِأَنَّ الْكِرَامَ الْيَوْمَ عَنَا بِنَجْوَةٍ
 وَنَرْمِي بِفَضْلِ الصَّفْحِ فِي قَعْرِ هُوَّةٍ
 بَلَاءٌ وَأَفْضَى بِالْمَسَاعِي لِكَبْوَةٍ
 عَلِمْنَا مِنْ صِدْقِ الظُّنُونِ بِذُرْوَةٍ
 فَجِيئُوا مِنْ التَّفْصِيلِ فِيهَا بِصَفْوَةٍ



(١) يفيء: يرجع ويعود.

القصيدة الثامنة

مُنَى كُلِّ امْرِئٍ

مُنَى كُلِّ امْرِئٍ أَنْ يَسْتَرْبِحَا وَأَنْ يَرِدَ الْهِنَا أَبْدَأُ صَرْبِحَا
 وَلَا يَرْضَى عَنِ الْأَيَّامِ إِلَّا إِذَا سَأَقَتْ لَهُ حَقّاً رَبِّبِحَا
 وَأَسْلَسَتْ الْقِيَادَ لَهُ وَأَجْرَتْ غَدَاةَ الزَّجْرِ طَائِرُهُ سَنِيحَا^(١)
 كَأَنَّ لَهُ عَلَى الْمَلَكُوتِ عَهْدًا وَحَقًّا فِي تَحْكُمِهِ صَحِيحَا
 يُمَنِّي نَفْسَهُ بَبُلُوغِ شَأْوٍ عَلَى طَوْلِ اللَّيَالِي مَا أُتِيحَا^(٢)
 هِيَ الدُّنْيَا يُفَدِّيهَا بَنُوهَا وَتَأْبَى أَنْ تُنِيلَ الْمَسْتَمِيحَا^(٣)
 كَعَنْزِ السُّوءِ يَغْذُوهَا بِقَتِّ مَرْبِيهَا فَتَتْرَكُهُ نَطِيحَا^(٤)
 أَبَتْ أَنْ يُفْلِتَ الْإِنْسَانُ إِلَّا هَزِيمًا أَوْ قَتِيلًا أَوْ جَرِيحَا
 فَرُوكَ لَيْسَ يُدْرِكُ خَاطِبُوهَا وَإِنْ كَلَّفُوا بِهَا أَملاً نَجِيحَا^(٥)
 وَغَابَتْهَا لِنَاكِحِهَا الرَّزَايَا وَإِنْ مَدَّتْ لَهُ أَجْلاً فَسِيحَا
 مَعَارِكَ لَيْسَ لِلْمَعْتَاكِ مِنْهَا نَجَاءً إِلَّا إِذَا وَرَدُوا الضَّرِيحَا^(٦)

(١) الطائر السنيح: هو الذي يجري عن يمينك إلى يسارك والعرب تتيامن به.

(٢) ما أنيح: ما تيسر وما سهل.

(٣) المستميح: طالب العطاء.

(٤) ألفت: نبات تعلق به الدواب.

(٥) الفروك: المرأة تكره الرجل.

(٦) نجأ: نجا. الضريح: القبر أو الشق في وسطه.

وَقَدْ تَشَرَّتْ مَعَائِبُهَا بِنَطْقِي وَكَمْ سَمِعُوا وَقِيداً فِي هَوَاهَا
 وَكَمْ سَمِعُوا وَقِيداً فِي هَوَاهَا وَلَكِنَّ الْهَوَى خِصْمٌ مَبِينٌ
 وَلَكِنَّ الْهَوَى خِصْمٌ مَبِينٌ وَمَنْ لَمْ يُغْنِهِ فِيهَا عِيَانٌ
 وَمَنْ لَمْ يُغْنِهِ فِيهَا عِيَانٌ وَكُلُّ يَشْتُمُ الدُّنْيَا مَقَالاً
 وَكُلُّ يَشْتُمُ الدُّنْيَا مَقَالاً وَأَيُّ جَمَى حَمَاهُ عَزِيزٌ قَوْمٍ
 وَأَيُّ جَمَى حَمَاهُ عَزِيزٌ قَوْمٍ وَكَمْ مَتَمَرِّزٌ بِجَلَالِ مُلْكِي
 وَكَمْ مَتَمَرِّزٌ بِجَلَالِ مُلْكِي وَمَا رَقَصَ الْجَهْلُ عَلَى غِنَاءِ
 وَمَا رَقَصَ الْجَهْلُ عَلَى غِنَاءِ وَمَا نَيْلُ السُّعُودِ بِمَسْتَحِيلِ
 وَمَا نَيْلُ السُّعُودِ بِمَسْتَحِيلِ فَمِنْ قَبْلِ الْفَتَى يُؤْتَى وَإِلَّا
 فَمِنْ قَبْلِ الْفَتَى يُؤْتَى وَإِلَّا لَهُ مِنْ تَسِيلُ بِهَا الْغَوَادِي
 لَهُ مِنْ تَسِيلُ بِهَا الْغَوَادِي عَلَى حَبْلِ الذَّرَاعِ الْخَيْرُ مِنْهُ
 عَلَى حَبْلِ الذَّرَاعِ الْخَيْرُ مِنْهُ وَكَمْ عِدَّ خَسِيفٍ ضَلَّ عَنْهُ الْعَدُ
 وَكَمْ عِدَّ خَسِيفٍ ضَلَّ عَنْهُ الْعَدُ وَعَيْسٍ أَوْقَرَتْ مَاءً وَحَبَّأً

- (١) الوقيد: الميت بالوقد وهو الضرب بخشب ونحوه أي سمعوا أخباره.
- (٢) بعلة العوالي: بالرمح التي تهتز بأيدي الحماة وتضطرب.
- (٣) نيح: بكى عليه.
- (٤) تضوع ريحا: تفوح رائحتها الزكية.
- (٥) الغوادي: السحب. شام بارقها: تنظره أين يصب مطرها.
- (٦) على حبل الذراع: في المثل هو على حبل ذراعك أي ممكن لك وقريب منك يريد أن الخير قريب من الإنسان. فيحا: واسعة بعيدة.
- (٧) العد: بكسر العين؛ الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع كماء العين. الخسيف: البثر التي تحفر في الحجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة. نضياً: يرشح بالماء القليل.

وكم مُتَسَّنِمِ الهَضْبَاتِ شَمًّا
وتحتَ زِعَالِهِ مَا قَدْ تَمَنَّى
وأعلامُ السَّعَادَةِ ظَاهِرَاتٌ
فِي الإِيمَانِ وَالإِسْلَامِ طِبُّ
مَتَى رَسَخَ اليَقِينُ بِقَلْبِ شَخِصٍ
فَمِنْ مَلِكٍ لِقَلْبَتِهِ حَبِيسٍ
هُوَ المَلِكُ العَظِيمُ وَقَلَّ أَنَّا
وما بَلَغَ الذُّرَى إِلَّا طَلِيحًا^(١)
ولِكنْ أُغْوِزَ الحِطَّ المُرِيحًا^(٢)
لِذِي عَيْنَيْنِ إِلَّا أَنْ يُشِيحًا^(٣)
لِكُلِّ ضَنْئِي وَإِنْ أَعْيَا المَسِيحًا^(٤)
فَلَنْ يُبْقِيَ لهُ جَفْنًا قَرِيحًا
وَصَغْلُوكَ بِهِ يُلْفَى سَرِيحًا^(٥)
نَرَى أَحَدًا بَدُولَتِهِ شَحِيحًا



-
- (١) شَمًّا: شماء أي عالية. طليحاً: بالغ الإعياء.
(٢) أُغْوِزَ: أخوج إلى الحظ المريح.
(٣) يُشِيح: يعرض.
(٤) طِبُّ: علاج للجسم والروح.
(٥) سَرِيحًا: طليقاً.

القصيدة التاسعة

رِيمٌ تَحْرَشُ

رِيمٌ تَحْرَشُ بِالنُّفُوسِ فَقَادَهَا وَرَمَى الْقُلُوبَ بِسَهْمِهِ فَاضْطَادَهَا^(١)
ضَرَبَتْ عَشَائِرُهُ الْخِيَامَ عَلَى الذُّرَى وَرَمَتْ بِمَدْرَجَةِ الْهَوَى أوتَادَهَا^(٢)
سَنَحَ الْعَشِيَّةَ بَيْنَ أَتْرَابٍ لَهُ فِي جَوْلَةٍ حَوْلَ الْغِيَاضِ اعْتَادَهَا^(٣)
يَخْتَالُ بَيْنَ سُهُولِهَا وَخُرُزُونِهَا فَيَكَادُ يُنْطِقُ بِالسَّلَامِ جَمَادَهَا
مَلَأَتْ مَحَاسِنُهُ الْجَوَانِحَ لَوْعَةً وَشَكَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْغَرَامِ فزَادَهَا^(٤)
مِنْ نَظْرَةٍ عَجَلَى تَبَيَّغَ بِي الْجَوَى لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَا قَدَحْتُ زِنَادَهَا^(٥)
فَلَقَدْ فَقَدْتُ رَكَانَتِي وَرِصَانَتِي وَأَبَتْ عُيُونِي مُذْ رَأَتْهُ رُقَادَهَا^(٦)
مَا لِلْغَرَامِ وَلِمَةِ رَحْلِ الدُّجَى عَنْهَا وَشَقَّ ضَحَى الْمَثِيبِ سَوَادَهَا^(٧)
لَكِنَّهُ ذَهَبَ الْخَبَارُ بِدَوْلَةٍ فِيهَا اسْتَبَّتْ عُفْرُ الْفَلَا آسَادَهَا^(٨)

(١) ريم: ظبي.

(٢) بمدرجة الهوى: بمسلكه وطريقته.

(٣) الغياض: جمع غيضة وهي الأجمة.

(٤) لوع: حرقة.

(٥) تبغ بي الجوى: غلبي الهوى. يقال تبغ به الدم غلبة.

(٦) ركانتي: وقاري ورزانتي.

(٧) لمة: الشعر يلم بالمنكب.

(٨) استبت: استمالت واستهوت. عفر الفلا: نوع من الطباء وهو أضعفها عدواً. يريد أنها

سادت فيها الألفة وعم الأمن.

حيث التقت شيمُ العروبة عفةً
وملاحةً وصباحةً وفصاحةً
حيث انجلت كنسُ الدُمي وكأنما
بين المأسد لا تزالُ قباؤهم
بشبا الأسننة والضبى بسطوا بها
هي فطرةُ الله التي بقيت على
ولقد أقولُ لِمَاذلينَ تعاطموا
هل تُنكرون من البداوة عرَّها
أو تجحدون من المكارم حظَّها
أنى وقد ملأ الزمانُ بعلمها
وتضمَّن التاريخُ بعضَ حديثها الـ
أولم تكن أسَّ العروبة؟ فانظروا
أو ما بها انفتحت عقولُ أولي النهى
لكن لسوء الحظِّ جاء جماعةً
سلبوا العروبة زيتها وحليَّها

وندى أذالَ طرافها وتلاذها^(١)
وشجاعةً عرف الكماءُ جلاذها
ربطوا بأجنحة الغمام عمادها^(٢)
يتتبعون من السماء عهادها^(٣)
ظلَّ الأمان وسوروا أعدادها
سوق الطبيعة لا نجا من كادها^(٤)
هذي الصفات وجوزوا أضدادها
أو تجهلون ذمارها وعنادها^(٥)
أو تكتمون من الفصيح عتادها^(٦)
أمم البسيطة غوزها ونجادها
سايي ومثلها لكم وأعادها
لنتاجها وتأمّلوا أولادها
أو لم تكن أصل العلى ومهادها؟
يتطقلون فأشمثوا حسادها
أفيسلبون بإثر ذلك ضادها؟

(١) أذال: امتن طريفها وتليدها فأضاعه في المكرمات.

(٢) عهادها: جمع عهد وهو أول المطر الموسمي وهو كناية عن الرحمات الإلهية والكرامات الربانية.

(٣) الشبا: حد كل شيء. الأسننة: جمع سنان وهو نصل الرمح. الضبا: الظبي جمع ظبّة كثبة. وهي حدّ السيف أو السنان ونحوه. أعدادها: جمع عد وهو الماء الدائم الذي لا انقطاع له كماء العين. أي حموا مياهها.

(٤) هي: أي العروبة.

(٥) ذمارها. ما يلزم حفظه وحمايته. عنادها: إباءها وذلك أثر قوتها.

(٦) عتادها: ما أعدته للتخاطب من الألفاظ.

فَلَقَدْ سَرَى شَرَّ التَّفَرْنِجِ بَيْنَهُمْ وَنَحَوْا مَنَاهِجَ فِي الْكِتَابَةِ جُلُّهَا
 وَأَفْنَوْا نَفَائِسَ وَقَتَهُمْ عَبَثًا وَقَدْ وَلَكُمْ فَتَى مِنْهُمْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ
 وَمِثْلَ الْغَرَابِ وَقَدْ تَشَبَّهَ بِالْقَطَا لَا مِشِيَةَ الْغُرَبَانَ أَتَقَنَّ حِفْظَهَا
 يَتَأَثَّرُونَ هَوَى النُّفُوسِ وَلَا نَجَا وَتَمَسَّكَتْ بِرِسُومِهَا وَبِدِينِهَا
 مِنْ قَبْلُ دَانَ لِهَذِهِ اللَّغَةِ الْعِدَا وَلَكُمْ رَوْؤًا لِرِجَالِهَا فِيمَا مَضَى
 وَالْيَوْمَ يَغْزُوهَا الْبِنُونُ بِكَيْدِهِمْ أَخَذُوا عَنِ الْعُجْمِ الْقَشُورَ فَأَغْضَبُوا
 قَالُوا نَكَثَرُ قُلُّهَا أَوْ لَمْ تَكُنْ ظَنُّوا بِهَا مِنْ جَهْلِهِمْ أَوْ عَذْرِهِمْ
 أَفِيحْسَبُونَ مَعَ الْمَجَازِ بِأَنْ عَذْرًا لَكُمْ مِنْهَا وَعَفْوًا عَنْكُمْ
 وَبِشُومِهِ قَعَدُوا لَهَا مِرْصَادَهَا وَتَلَّتْ عَلَيَّ رَغَمَ الْبَيَانَ رَشَادَهَا
 ظَنُّوا بِأَنَّهُمْ أَرْتَقُوا أَطْوَادَهَا قَدْ كَانَ نَافِذَ فِكْرَةٍ وَقَادَهَا
 وَأَتَى مَذْبَذَبَ سِيرَةٍ مَيَّادَهَا^(١) كَلَّا وَلَا صِفَةَ الْقَطَاةِ أَجَادَهَا
 إِلَّا إِذَا عَصَّتِ النُّفُوسُ مِرَادَهَا وَاسْتَعَدَّبْتَ فِي حِفْظِهِ أَنْكَادَهَا^(٢)
 لَمَّا رَأَوْا حَسَنَاتِهَا وَمُقَادَهَا مِنْ حِكْمَةٍ لَمْ يَنْكُرُوا إِسْنَادَهَا
 فِي عُقْرِهَا وَيُضَايِقُونَ بِلَادَهَا أُمَّ اللِّغَاتِ وَهَيَّجُوا أَحْقَادَهَا
 تُغْنِي عَلَيَّ طَوِيلَ الْمَدَى رُؤَادَهَا فَقَرَ الْكَلَامِ فَحَاوَلُوا إِمْدَادَهَا
 مَا اخْتَرَعَ الْأَجَانِبُ سَوْفَ يُفْنِي زَادَهَا لَا تُصْلِحُوهَا وَاخْتَذَرُوا إِنْسَادَهَا

* * *

(١) ميادها: مضطربها أو مائلاً فيها وكان الأصل منادها وهو تصحيف.

(٢) أنكادها: الأمور العسرة الصعبة.

القصيدة العاشرة

تَعَاثِبَنِي

ولما وصلتُ «فلينبمغ»^(١) سنة ١٣٣٠هـ؛ وجدتُ في الأنوف حميةً، وفي النفوس أريحيةً، شجعتني بمساعدة السيد محمد بن عبد الرحمن المنور؛ على الدعوة لتأليف حزب^(٢) بالنشرة الآتية في حرف اللام من هذا الباب، وإثر ذلك حصل التوجه إلى «بتاوي» وعقدت المجالس للبحث في الموضوع؛ وأنشدت هذه

- (١) فلينبمغ: إحدى مدن جاوة مهجر الحضارة وكذلك بتاوة. وبتاوة هو الاسم القديم لجاكرتا.
- (٢) ليس معنى هذا الكلام أن الإمام ابن عبيد الله كان يسعى إلى تأليف حزب سياسي ولكنه كان ميالاً إلى تجميع الكلمة وتوحيد الجهود لإصلاح حضرموت وفي الدعوة إلى الله ونشر العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهداية الضال وإرشاد الغوي ورعاية المحتاج ومساعدة الفقراء والمساكين بحضرموت وقد سبق أن أسس مثل هذا الحزب ببلده سيؤون ولكن تقاصرت همم المؤسسين بحضرموت وتخاذلت قواهم مما أدى إلى فشل هذه الفكرة النبيلة؛ ولهذا لما قدم الإمام جاوة؛ ورأى في الأنوف حمية وفي النفوس أريحية؛ طمع في تجميع كلمة العرب بجاوة؛ للقيام بإصلاح أحوال وطنهم حضرموت؛ لكنه اكتشف أن أهل جاوة تصرفوا بأكثر مما فعله أهل حضرموت ودخلت فيهم السياسة وربما لم يعلم الإمام؛ بأن المستعمر الهولندي لن يسمح بشيء مما رغب فيه؛ حيث إنه كان يبذل الجهود لإضعاف العرب؛ وتفريق كلمتهم؛ والتحرش فيما بينهم؛ لهذا فشلت هذه الجمعية وانتهى أمرها. ونرى أن الإمام قد حذرهم في هذه القصيدة من فتنة تقع بينهم أن تخاذلوا وتراجعوا وبالفعل وقعت الفتنة بعد ذلك بين حزبي الإرشاد والرابطة العلوية؛ وحاول الإمام ابن عبيد الله في زيارة أخرى لجاوة التوسط بين العرب المختلفين وبذل في سبيل ذلك أقصى جهده وغاية استطاعته فلم يوفق لأسباب كثيرة شرحتها في كتابي الاستزادة من أخبار السادة بتفصيل؛ واستقيت كثيراً من معلوماتي في هذه القضية من الجزء الأول من مخطوطة الإمام ابن عبيد الله بضائع الثابوت في تنف من تاريخ حضرموت. (محقق إعادة الطباعة).

القصيدية في بعضها؛ فاهتز القوم ودبت الغيرة فيهم؛ وحميت أنوفهم؛ واتفق الأعيان من عدنان ومن قحطان^(١) على الانضمام لذلك الحزب؛ وفعلاً وضعوا إمضاءاتهم على وثيقته التحضيرية، ثم ما لبث النفاثون في العقد؛ أن الصقوا بمؤسس الحزب التهم السياسيّة؛ وهو منها براءً، وعنهما بعيدٌ؛ فإنه علنة لا يضر غير ما يظهر؛ من وجوب انضمام العقلاء لإصلاح وطنهم؛ على الخطة التي رسمها القرآن وفصلتها كتب الشافعية المعتمدة، وقد تأثر البعض من تلك الأراجيف؛ وترامت بهم الظنون في ميادين الأوهام؛ واتفق الاستعجال بالرجوع إلى حضرموت، ولكنه لم يذهب أثر هذه الهزة أدراج الرياح، بل اشتملت منه النفوس على القدر الكافي للإلحاق، فهو على الإطلاق؛ أول حجر في أساس النهضة الحضرمية؛ إذ لم ينتجوا إلا ما ألقته؛ ولم يدخلوا إلا ما فتحته، وسائل من حضر ومن غاب؛ ومن مدح ومن عاب؛ فإنها لم تعقد الجمعيات إلا بعده؛ ولا أنشئت المدارس إلا بعقبه، غير ما وقع من الجمعية الضئيلة التي عقدناها قبل ذلك بـ «سيؤون» في حدود سنة ١٣٢٥هـ تحت رئاستي، وكان من مستشاريها السادة محضار بن عبد الله الحبشي؛ ومحمد بن طه بن محسن؛ وأحمد بن محضار بن علوي؛ وعبد الله بن حسين بن محسن؛ وعبد الله بن شيخ بن محمد؛ وحسين بن سقاف آل السقاف؛ وعلوي بن عبد الله المشهور، وكان ذلك في عهد الوالد علوي بن عبد الرحمن السقاف^(٢)؛ فقرره وارتضاه؛ وأمرني بإحضار قانونها؛ ليمضي عليها بالانضمام إليها، غير أنني أكبرته عن ذلك، ولكن تلك الجمعيات لم تسلم من أولي الأغراض؛ الذين فرقوا الحضرميين بعد ألفتهم؛ وشقوا عصاهم بعد اجتماعهم؛ وملؤوا تلك الصدور السليمة بالأحساد؛ كي يصطادوا في الماء العكر؛ ويسودوا بالتفريق بين الناس؛ وابتغوها عوجاً.

(١) من المهاجرين.

(٢) علوي بن عبد الرحمن السقاف (١٣٢٨ - ١٣٥٧هـ) كان فقيهاً عالماً عابداً زاهداً تولى القضاء اثني عشر عاماً إلى وفاته وعاش فقيراً وولد وتوفي ببلدة سيؤون من حضرموت.

وأكثرُ من قتل في الذرّوة والغارب لفشلنا؛ هُم من أصحابنا العلويين؛ حسداً وبغياً وظلماً وتعدياً، ومن جملة من تعرض للحزب؛ وطعن في النشرة الآتية في حرف اللام؛ الفاضل السيد حسن بن علوي بن شهاب^(١) رحمه الله في جريدته الوطن؛ وما كان طعنه عن وجدان؛ ولكن تزلفاً إلى بعض منتحلي الولاية الكاذبة؛ والجاه المنفوخ؛ القاعدين للإصلاح بكل مرصد؛ كما أخبرني هو بكل صراحة؛ إذ اقتفاني إلى «بتاوي»؛ وهناك قابلني وجاء يزورني؛ وابتدأني بالمصالحة وبدهني بقول أبي الطيب:

ومرادُ النفوسِ أصغرُ من أن نتعادي فيه وأن نتفاني
فأحمدت أخلاقه ولا أنساها، وقد تولى الردّ عني؛ رئيس العلماء؛ سيّد
العلويين وقاضي القضاء بالمهاجر؛ بقية السلف الداعي إلى الله؛ الوالد عثمان بن
عبد الله بن يحيى رحمة الله عليه؛ في منشورين طبع أحدهما لخصوص الرد عما
تكلموا به علينا. والثاني للذّبّ عنا وعن طريقنا والذّب عن غيرنا أيضاً؛ ووزّعهما
على الناس. فجزاه الله عنا وعن الحقيقة أفضل الجزاء.

وهذه هي القصيدة؛ وكان إنشاؤها في أوائل ربيع الأول من سنة ١٣٣٠هـ
بتاوي؛ وقد نشرها بعضهم ناقصة محرّفة؛ كما شاء غرضه؛ وزين له هواه. وهذا
هو الأصل بنصّه وفصّه ولا عبرة بما خالفه.

تُعَاتِبُنِي الْعَوَاطِفُ وَالضَّمِيرُ فَأَنْهَضُ لِلصَّلَاحِ وَلَا نَصِيرُ
وَأَرْجُو الْعَوْنَ مِنْ كِبْرَاءِ قَوْمِي فَيَقْتُلُ هِمَّتِي الرَّجُلُ الْكَبِيرُ
إِذَا فَاوَضْتُهُمْ فِي الْأَمْرِ يَوْمًا أَجَابُوا ذَا مُحَلٍّ مَا يَصِيرُ

(١) حسن بن علوي بن شهاب (١٢٦٨ - ١٣٣٢هـ) ولد بتريم وتلقى فيها علومه ثم رحل إلى سنغفورا ليدبر أملاك والده الواسعة وتنقل بينها وبين جاوة وكان له نشاط أدبي وصحفي ملموس أسس صحيفة الوطن وترأس صحيفة الإصلاح وصحيفة الإمام وكتب في الصحف المصرية كالمؤيد والمنار وله كتاب نحلة الوطن الذي حمل فيه حملة شديدة على الأوضاع بحضرموت وانتقد فيها العلماء والأعيان بشدة أثارت عليه غضب الجميع وتوفي بتريم.

وكلُّ القومِ لا تستثنِ فرداً
 تقدمتِ البلادُ فويحَ قومي
 يمعزُّ عليّ أنا في جمودِ
 وأنَّ العالمينَ بكلِّ أرضٍ
 أرى الوطنَ العزيزَ يزيدُ نقصاً
 حَبَّتْ نارُ العلومِ به وكانت
 وصوِّحَ فيه بستانُ المعالي
 وكدرَ جوّه الصافي ظلامٌ
 وأشربتِ القلوبُ به دهاناً
 تعَظمني المصابُ فذادَ نومي
 ولي قلبٌ يذوبُ أسى وفكرٌ
 ففضلتُ الرجيلَ ومنَ خلفي
 تكادُ قلوبُهُم وكذلكِ قلبي
 تجثمتُ النوى للقاءِ قومٍ
 بهم شرقتُ عواصمُ أرضِ جاوا
 قدمتُ عليهم بِشكاةٍ أمّ
 بلادكمُ التي فيها ربيتمُ

على الأطماعِ همّهم تدورُ
 متى يتقدمُ البلدُ الأخيرُ؟^(١)
 يموتُ به التيقُّظُ والشعورُ
 يسIRON الأمامَ ولا نسيرُ
 وباعِي عن تداركه قصيرُ
 كما علمَ الأنامُ لها الظهورُ
 وأذوى روضها الزاهي النضيرُ^(٢)
 من الأوهامِ يُزجيه الغرورُ^(٣)
 فمائمٌ انتقادٌ أو نكيرُ^(٤)
 وأرقتني وأعوزني السّميرُ^(٥)
 إذا ما دارَ في هذا يجيرُ
 صدورُ ما يفارقها الرّفيرُ
 تذوبُ من الصبابة أو تطيرُ
 لوصفِ حفيظهم صيتٌ كبيرُ
 فهم يبروِجها زهراً تُزيرُ
 عليها قد تنكّرتِ الأمورُ
 غدتُ والشرُّ فيها مستطيرُ

(١) وَيَح: كلمة رحمة.

(٢) صَوِّح: تمّ ييسه. أذوى: في اللغة: ذوى البقل ذَبِل. وأذواه الحر أذبله. أما أذوى اللازم فلم نطلع عليه.

(٣) يزجيه: يسوقه ويدفعه.

(٤) دهاناً: نفاقاً.

(٥) فزاد: فمنع ودفع. أعوزني السّمير: جعلني في حاجة إليه.

وكانت جنةً تزهو ربّاهما
وكانت للوجوه الغرّ مهّداً
وهما هم في ضرائحها رُقودٌ
وللعلماء فيها كان سوقٌ
على جُلّ البلاد لها شُفوفٌ
ألا دُو غيرةً يبكي لما قد
جديرٌ أن يموت الحرّ غبناً
أترضون الضياع لها وأنتم
أترضون العقوق وفيه عابٌ؟
ألا يهتزُّ للإحسان عودٌ؟
لماذا تجمّون إذا تركتكم
عسى بسماحكم تحيا فتضحى
وأبنية المدارس شاهقات
وحكم الله بالإنصاف ماضٍ
وحزبُ الحق يغلبُ كل باغٍ
وأعضاء اللجان على ونام
يدورُ الرأي بينهم وكلُّ
فلّموا شملَ أرضيكم وإلا
وان يحتج إلى تعبٍ قليلٍ

يُزيحُ بها ظلامَ الليل نورُ
بهم أبدأ لها طرفت قريزُ
تفوحُ بنشرهم فيها القبورُ
وشأنٌ بينَ أهلها خطيرُ
وتكريمٌ فليس لها نظيرٌ^(١)
جَرى فيها ومدمته غزيرُ؟
ولكن أئنّه ذاك الجديرُ؟
بنوها ما لها منكم مُحيرُ؟
وما في برّها شيءٌ عسيرُ
وبينَ يديكم المائل الوفيرُ
بلادكم فضائلها تَبورُ
لأنهارِ الحياة بها خريزُ
تناوحها الحدائق والرّهورُ^(٢)
فلا قاضٍ ولا والٍ يَجورُ
لصيحته إذا نادى صريرُ
به اشتمل المعارض والمشيرُ
يدورُ مع المصالح إذ تدورُ
فإني بالشّئات لكم نذيرُ
فإنّ الخيرَ في العقبى كثيرُ

(١) شفوف: زيادة فضل.

(٢) تناوحها: تقابلها.

وإنّ دَامَ التَّخَاذُلُ والتَّوَانِي فَإِنَّ أَمَامَكُمْ فِتْنًا تُمُورًا^(١)
وَعَفُورًا أَيَهَا الْفُضْلَاءُ إِمَّا جَرَى مِنِّي تَجْرًا أَوْ قُصُورًا
فَلَمْ أَجْهَرْ بِهَذَا الْقَوْلِ إِلَّا وَبَيْنَ جَوَانِحِي قَلْبٌ غَيُورًا
وقد كثر في القصيدة تعاقب الواو المضموم ما قبلها؛ والياء المكسور ما قبلها؛ وهو جائز عند أهل القوافي؛ لكنني أكرهه وأتنزه عنه الآن.



(١) تمور: تموج وتضطرب.

القصيدة الحادية عشرة

إِلَامٌ وَأَنْتُمْ

والْقَصِيدَةُ التَّالِيَةُ عَلَى أَثَرِ حَادِثَةِ هَيَّجَتِ الْغَيْرَةَ؛ وَاسْتِثَارَتِ الْحِفَافِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ حَصَلَ الدِّفَاعُ عَنِ قَضِيَّةٍ؛ بِالْحَقِّ الصَّرِيحِ الْمُؤَيَّدِ بِالْمَعْتَمَدِ مِنَ الْمَذْهَبِ؛ فَلَمَّا انْقَطَعَتْ بِالْخَصْمِ الْحِبَالُ؛ لَجَأَ إِلَى الْاِحْتِيَالِ، وَتَذَرَّعَ بِبِذْلِ الْمَالِ، وَتَغَلَّبَ بِذَلِكَ عَلَى الشَّرِيعَةِ؛ حَتَّى كَسَرَهَا جَهَاراً. وَبَعْدَ الْاِسْتِعْدَاءِ بِرِجَالِ الدِّينِ؛ لَمْ يَزِدْ أَوْلُو شِجَاعَتِهِمْ أَنْ قَالُوا: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا مِنْكَرٌ فَأزَلُّهُ، وَأَخْلِدِ الْبَاقُونَ إِلَى الْحَيِّدَةِ وَالسُّكُوتِ. وَمِنْهُمْ مَنْ ارْتَاحَ لِذَلِكَ؛ حَباً لِلانْتِقَامِ مِنَ الْمُدَافِعِ عَنِ الْحَقِّ^(١).

وِغَيْبِهَا^(٢)؛ خَرَجَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلُوبِيِّينَ وَطَلَبَةَ الْعِلْمِ؛ وَفِيهِمْ الْمُسَاعِدُونَ عَلَى كَسْرِ الشَّرِيعَةِ؛ فَتَعَرَّضَهُمْ بَعْضُ الْقَبَائِلِ بِالْإِهَانَةِ وَالْأَذَى؛ وَالسَّبِّ وَالشَّتْمِ؛ وَالتَّخْوِيفِ وَالتَّهْدِيدِ؛ وَلَمْ يَنْتَطِحْ فِي ذَلِكَ عَنزَانٌ؛ وَكَانَ ذَلِكَ فِي حُدُودِ سَنَةِ ١٣٣٦هـ؛ فَقُلْتُ:

إِلَامٌ وَأَنْتُمْ يَا بَنِي الْمِصْطَفَى الرَّأْسُ تَنَامُونَ حَتَّى يَعْظُمَ الْخَطْبُ وَالْبَاسُ^(٣)
بَيْنَ غَيْرِكُمْ يَا مَظْهَرَ الْحَقِّ وَالْهَدَى إِذَا لَمْ تَذُبُوا عَنْهُمَا يَهْتَدِي النَّاسُ
لَقَدْ دَرَسَتْ سُبُلُ الْعُلَى وَتَنَكَّرَتْ فَأَثَارُهَا بَعْدَ الْعِمَارَةِ أُدْرَاسُ^(٤)
وَلَمْ يَبْقَ مِنْ شَرَعِ النَّبِيِّ سِوَى اسْمِهِ بَلَى وَمَدَادٌ فِي الزَّوَايَا وَقِرطَاسُ

(١) يقصد الإمام نفسه.

(٢) أي بعدها بيوم.

(٣) البأس: البأس أي الشدة.

(٤) أدراس: جمع درس وهو الطريق الخفي. يريد آثارها اختفت بعد الظهور.

لقد هتك الجهَّاءُ سِتْرَ حريمِهِ
وقد نَجَمَت في قُطْرِكُم حيثُ إنكم
دُجى الجهلِ والطغيانِ ألقى رِواقَهُ
بأجدادِكُم للذَّين قَرَّتْ عيونُهُ
على عهدِهِم كانت رجومُ نجومِهِ
بِهِم زانتِ الأيامُ حتَّى كأنَّها
تراهِم إذا ما الليلُ أرخى سُدولَهُ
خلانقُهُم زُهرٌ وما في جُيوبِهِم
مراجيحُ سَبَّاقونَ في كلِّ غايَةٍ
ملائكَةٌ في سَمَتِهِم ولدى الوغى
عليهِم من البارِى الوقارُ وكيفَ لا
إلى المِلا الأعلى بِهِم يصعدُ الهُدَى
وتمَّ شرابُ القربِ تُجلى كؤوسُهُ
حُظُّوا بالهنا بعد المتاعبِ والعنا
على مالِهِم يبكي الغَيورُ بحسرةٍ

وَأنتمُ لَهُ «يَهديكُم اللّهُ» حُرَّاسُ
سَكْتُم ضَلالاتُ تزيِدُ وأرجاسُ^(١)
فهلُ لظلامِ الجهلِ والبغىِ نِبراسُ؟^(٢)
وشيدتُ لأركانِ الشريعةِ آساسُ
تُذِيبُ العِدا نيرانُها كلما جاسوا^(٣)
عليهِم من الله التحيَةُ أغراسُ
قياماً لَهُم باللّهِ سلوى وإيناسُ
كما قد أتى في مُحكمِ الذِّكرِ أدناسُ
عَطارفَةٌ عُرِّمِيا مِينُ أكياسُ^(٤)
لُبُوثُ الشَّرَى والمشرَفِياتُ أخياسُ^(٥)
وهِم بالنَّهى في حضرةِ القُدسِ جُلاسُ
فِيشَمَلُهُم من ذلكِ النورِ مِقْباسُ^(٦)
وطوبى لمن وافاه من بينهم كأسُ
وما بالمُنَى يُستخرجُ التَّبَرُّ والماسُ
تصعَّدُ منها بالحرارةِ أنفاسُ^(٧)

(١) أرجاس: مائم جمع رجس.

(٢) رواقه: جوانبه.

(٣) جاسوا: طافوا خلال الدور في الغارة.

(٤) مراجيح: حلما. عطارفة جمع غطريف وهو السيد الشريف أو السخي السري. أكياس:

جمع كيس كجيد وهو الفطن المتوقد.

(٥) الشرى: جبل بتهامة كثير السباع. المشرفيات: سيوف معروفة. أخياس: ملتفة؛ جمع خيس

وأصله الشجر الملتف.

(٦) الهدى: في الأصل الهوى وهو تصحيف. مقياس: قيس وهو شعلة نار تقتبس من معظمها.

(٧) مالهم: مالهم وآخر أمرهم.

هدمتم بناءً شيدوه وما يكُم
 وإلا افتراق بينكم عم شره
 وجراثومة الداء الدهان هو الذي
 فهلاً حكيمً ثاقبُ الفكرِ مخلصُ
 بني المصطفى هُتوا فقد طال نومكم
 لهذا تجرّى الأردلونَ عليكم
 تعدّى حماكم واستهانَ بقدركم
 هلّموا فإنّ الشرَّ أضرمَ ناره
 هلّموا فإنّ الليثَ يحمي عرينه
 ألسنتم أباة الضّيم من آل هاشم
 عليّ وخير المرسلينَ وجعفرُ
 عليهم صلاة الله ما افتترَ بارقُ
 وما رنحت أخبارهم من يؤدّهم

لعمري إلا الحقدُ والخوفُ واليأسُ
 به الضُّرُّ أنواعٌ لديكم وأجناسُ
 تفرَّغ منه الشرُّ وانتشرَ اليأسُ^(١)
 لَمَّا مسَّ أهلَ البيتِ من عِلَّةٍ يأسُو^(٢)
 وما قامَ فيكم للشريعةِ قسطاسُ^(٣)
 وآسفكم قومٌ مشائيمُ أنكاسُ^(٤)
 أناسٌ هم واللّه في الأصلِ نسناسُ
 أليسَ لكم «أحياكم الله» إحساسُ؟
 وقوموا كما قد قامَ عمرو وجساسُ
 بأهلكمُ انجابتُ من الكفرِ أغلاسُ؟^(٥)
 وحمزةُ والسَّبَطانُ والقَرْمُ عباسُ^(٦)
 وما ابتَسَمَ الريحانُ والوردُ والآسُ
 وما اهترَّ غضنُّ في الخمائلِ مياسُ^(٧)



(١) الدهان: النفاق.

(٢) يأسو: يأسو أي يداوي.

(٣) قسطاس: ميزان.

(٤) آسفكم: أغضبكم. أنكاس: ضعفاء.

(٥) أغلاس: جمعه غلس وهو ظلمة آخر الليل.

(٦) القرم: السيد المعظم.

(٧) رنحت: هزت ومالت. الخمائل: جمع خميلة وهي الشجر الكثير المجتمع الملتف. مياس:

مائل من التحرك.

القصيدة الثانية عشرة

لقد لآخ (١)

لقد لآخ لي برقٌ جَلَّتْهُ الحنادسُ فهاجتُ بأحشائي المُنَى والهواجِسُ^(٢)
 وطرتُ إلى علوِّ بأجنحةِ الهوى وإن ظنَّ بي السَمَّارُ أَنِّي جالسُ
 فُصِلْتُ عن المحسوسِ بالروحِ فانتَهتُ إلى حيثُ تجلَّى للمعنى العرائسُ^(٣)
 هناك تلاقثُ بي على غايةِ الصِّفا كرامُ السجايا والعَواني الأوانِسُ
 وشقَّ حجابُ البينِ لي عن أجبَّةِ تناءثُ بهم عني عُقابُ شوامِسُ^(٤)
 ولم يَطوِ عني أنسٌ من غيَّبَتَهُمُ علينا على رغمِ الأنوفِ الرَوامِسُ^(٥)
 فقرَّتْ بهم والعينُ يقظى بلابلي وعاد إلى التأميلِ حزانُ آيسُ^(٦)
 وفاز على طولِ التنائيِ بِبِلَّةِ يدبُّ الحيا منها ويخضَّرُ يابسُ^(٧)

(١) يصف الإمام في هذه الأبيات حالة حصلت له من الحالات التي يذكرها الصوفية بانطلاق الروح خارج الجسد ويقولون بكون الروح دائماً ميالة إلى خالقها بالملا الأعلى وقد تكلم عن هذه الحالة ابن خلدون في مقدمته وتكلم الإمام ابن عبيد الله في كتابه بلابل التغريد عن مثل هذه الحالات التي تنطلق فيها الروح إلى ما وراء الغيب وقال: إنها تسبقها بوارق ولمعات وإنها نادرة الحدوث إلا في من وصل للمراتب العالية من السلوك.

(٢) الحنادس: جمع حندس وهو الظلمة أو الليل المظلم.

(٣) المعنى: المتعب المضنى.

(٤) شوامس: جمع شموس وهو النفور أو الصعب.

(٥) الروامس: جمع رمس وهو القبر.

(٦) حزان: كثير الحزن للبعد. وفي الأصل حزان بالراء وهو تصحيف.

(٧) الحيا: الخصب.

ولكنَّها حالٌ سريعٌ زوالها
 إذا سنحت في غفلةِ الدهرِ مرةً
 حُداءٌ رمى في قلبٍ صبٍ مهزَّةً
 ومَن ذا الذي لا ينتشي من صواحٍ
 وفي النفس سرٌّ إن تبدى تبسَّمتُ
 هي الرُّندُ لا تعطي ضياءً لمُدليجٍ
 إلى الميلاً الأعلى تميلُ بطبعها
 إذا شِمنَ من حيِّ السعادةِ لمعةً
 وحاشا جنابُ القدسِ تغشاه طامثٌ
 فدُونَ التهانِي موجِشاتٌ تنائفُ
 فَمَن رامها فليترك العجزَ نجوةً
 وعن زورها من ظلمةِ الطبعِ حارسُ
 أغارَ عليها صرفُهُ المتشاورسُ^(١)
 على لطفِ ذوقٍ فاستتَبَّ التجانسُ^(٢)
 تبيتُ لأنواعِ اللحونِ تمارِسُ^(٣)
 تُغورُ الأمانِي والليالي عوابِسُ
 إذا لم تساعِده عليها القوابِسُ^(٤)
 وتهتَرُ لولا أنهنَّ حبائِسُ
 تشوِّفها كرتٌ عليها الوسائِسُ
 أجلُ أو دَبيءٌ للردِّ ذيلةٍ لايسُ^(٥)
 ونيرانُ حربٍ تصطليها الفوارِسُ^(٦)
 فكلُّ بما تأتي يدهُ مقايِسُ^(٧)

(١) المتشاورس: المتغيظ الغاضب.

(٢) مهزة: تحركاً ونشاطاً يقال: هز الحادي الإبل هزيراً نشطها بحدائه.

(٣) صواح: جمع صادحة أي رافعة صوتها بالغناء.

(٤) المدليج: السائر من أول الليل. القوابس: جمع قابس بمعنى مقبوس وهو شعلة النار المقبوسة من معظمها.

(٥) طامث: حائض.

(٦) تنائف: واسعة بعيدة الأطراف.

(٧) بهامش الأصل ما نصه: في مقاييس هذا والبيتين بعده تغيير حركة الدخيل وهو الحرف الذي قبل الروي من الكسر إلى الفتح والضم وهو جائز عند الخليل مطلقاً أي سواء كان الروي متحركاً أو ساكناً ورخص القاضي أبو الفضل جوازه بالروى المتحرك وهو الأقوى فما هنا على قولهما جائز غير معيب كما يعرف ذلك من عمدة ابن رشيق. وما جاء في منهل الورد من خلاف ذلك مبني على المرجوح الذي ذهب إليه الأخفش. واختار ابن القطاع كالخليل خلافة. وقد قال سيد الشعراء المتأخرين:

لعل خيال العامرية زائر فيسعد مهجور ويسعد هاجر =

وفي نَيْلِهَا يَحْلُو المَرِيرُ وَيَسْهَلُ الـ
 وَمِنْ عَجَبِ أَنْ المَطَامِعِ فِي الذُّرَى
 فَفِي الزَادِ قَلٌّ وَالطَّرِيقُ بِعَيْدَةٍ
 تُعَاتِبُنِي أُمُّ العَلَى وَتَقُولُ لِي
 وَقَدْ ذُبْتُ وَجَدًّا مِنْ نَوَاهَا وَشَقَّنِي
 وَمَا بِي مِنْ خَيْرٍ سِوَى حُبِّ خَمْسَةٍ
 وَعَسِيرٌ وَيَزْهَوُ بِالْكَرَامِ التَّنَافُسُ
 وَأَنْ الخُطَا فِي سِيرِهَا تَتَقَاعَسُ^(١)
 وَمَعْفَاءُ المَوْمَاءُ وَاللَّيْلُ دَامَسُ^(٢)
 إِلَى كَمْ تَلُظُّ المَهْرَ وَالبِنْتُ عَانِسُ^(٣)
 هَوَاهَا وَلَكِنِّي عَنِ الحَقِّ نَاعَسُ^(٤)
 كَرَامٍ لَهُمْ خَيْرُ النَّبِيِّينَ خَامَسُ



= ثم قال :

إذا سل سيف الدولة السيف مصلتاً تحكم في الآجال ينهي ويأمر

(١) تتقاعس: تتأخر.

(٢) الموماء: الفلاة ومعفاء: هلكة من العفاء؛ وهو الدروس والهلاك وذهاب الأثر؛ يريد
 والفلاة مهلكة فوصف الطريق بالبعد وأنها صحراء مهلكة للسائر فيها، وفي الأصل معفي
 وهو تصحيف.

(٣) تلط المهر: تجرده وتمنعها حقها منه. عانس: طال مكثها في بيت أهلها بلا زوال حتى
 خرجت من عداد الأبقار.

(٤) شقني هواها: هزلني وتخلتني.

القصيدة الثالثة عشرة

كلُّ ليلٍ

أنشأت هذه القصيدة في سنة ١٣٥٥هـ؛ وسببها ما بلغني عن جماعة من العلويين؛ أنهم خاضوا في التاريخ؛ فتخبطوا وتهضموا جدّي المحسن^(١) ورفعوا من قدر من لم يسع بقدمه، عن جهلٍ بعضهم، وعن حسدٍ آخرون، وعن خسة ومصانعة لأعداء الفضيلة؛ فريقٌ ثالثٌ. ولولا أنهم من المتحرشين بالعلم؛ لما نبست ببنت شفة في الردّ عليهم؛ لما أخذته على نفسي من التلزم بالسنة في الإعراض عن الجاهلين. وقد عارضت بها قصيدة شوقي^(٢)؛ نابغة مصر فيما عارض فيه البحترى فقلت:

كلُّ ليلٍ وكلُّ مطلعِ شمسٍ فيه للناظرينَ أفيدُ دُرْسِ
عبرةٌ للعقولِ تُتلى وآيا تُتجلى من أوجِ قهرٍ وقُدْسِ
بين عزٍّ وبين هُونٍ مطايا الد هر تجري وبين سغدٍ ونحسِ

(١) محسن بن علوي بن سقاف بن محمد السقاف (١٢١١ - ١٢٩٠هـ) كان فقيهاً وقاضياً وزعيماً سياسياً تميّز بالحكمة وصواب الرأي وكان من المؤسسين للدولة الكثيرة التي أسسها السلطان غالب بن محسن الكثيري وبذل الزعيم محسن لأجلها جميع الجهود لتثبيت أركان هذه الدولة واستمرارها ثم تولى نصح سلاطينها وإصلاحهم وكان محباً للفقراء والمساكين عطوفاً عليهم ساعياً لمصالحهم وولد وتوفي بسيون من حضرموت. وفي هذه القصيدة شرح الإمام تاريخ اليمن وحضرموت ومن تعاقب عليهما من الدول مع وصف حالها إلى أن انتهى إلى الدولة التي شارك جدّه المحسن في تأسيسها.

(٢) المعارضة في الشعر معناها أن تعجب الشاعر قصيدة لشاعر آخر فينشئ قصيدة على وزنها وقافيتها وغرضها.

إِنَّمَا الْمَلِكُ وَالْمَرَاتِبُ فِيهِ فَلَئِن تَوَزَّعُوهَا بِخُلْسٍ^(١)
 دَوْلٌ هَكَذَا تَقَلَّبُ مِنْ نَجْدٍ وَمَجْدٍ إِلَى انْحِطَاطٍ وَنَكْسٍ^(٢)
 وَإِلَى الْعَدْلِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ نُجْحًا وَحُبُوطًا فَإِنَّهُ خَيْرُ تُرْسٍ^(٣)
 سَائِلِ الدَّارِ عَنْ بَنِيهَا وَعَمَّنْ قَدْ طَوَّنْتَهُمْ مِنَ الْقُرُومِ بِرَمْسٍ^(٤)
 فَعَسَى أَنْ تُجِيبَ عَنْهُمْ فَتُشْفِي بِصَحِيحِ الْحَدِيثِ نَمْلَةً نَفْسِي^(٥)
 فَلَقَدْ كَادَتِ الْحَقَائِقُ تَخْفَى بَيْنَ غَالٍ وَذِي ضَفَائِنِ رِجْسٍ^(٦)
 يَحْشُرُ الْأَوَّلُ الْمَدِيحَ لِمَنْ يَهْوَى كَمَا يَشْتَهِي الْغَلَوُ بِحَدْسٍ
 وَالْبَفِيضُ الْأَخِيرُ لَا يَتَّقِصِي أَنْتَرَ الْمَكْرُمَاتِ إِلَّا بِطَمْسٍ^(٧)
 وَخَسِيسٌ يَقُولُ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ وَيَبِيعُ الذَّمَّ حَتَّى يَفْلَسَ
 وَرَوَايَاتُ هَوْلَاءِ لَدَى التَّانَا رِيخٌ رَدٌّ بِالنَّصِّ فِي كُلِّ طَرَسٍ^(٨)
 إِنَّمَا تُقْبَلُ الرِّوَايَةُ مِنْ عَدُوِّ لِخَيْرٍ مُهَذَّبِ الرَّأْيِ نَدْسٍ^(٩)
 غَيْرَ أَنْ الْجَزَافَ مِنْهُمْ يُوَدِّي لِارْتِيَابِ لَدَى الْبَعِيدِ وَلَبْسِ
 فَطَلَبْنَا مِنَ الدِّيَارِ حَدِيثًا يَقْطَعُ الشُّكَّ عَنْ عِيَانِ وَحْسِ
 وَعَسَى أَنْ يَقُومَ لِلصُّدُقِ قَوْمٌ مِنْ بَنِيهَا أَوْلَى النَّجَارِ الْأَمْسِ

(١) بخلس: باختلاس ومخاتلة.

(٢) نكس: هو قلب الشيء على رأسه.

(٣) النجح: النجاح والظفر - الترس: ما يتوقى به من السلاح.

(٤) القروم: السادة العظاماء. الرمس: القبر.

(٥) نملة نفسي: علتها وأصل النملة بثرة تخرج في الجسد بالتهاب واحتراق.

(٦) رفس: قدر أي ذي قدر.

(٧) بطمس: بمحو لآثارها.

(٨) طرس: صحيفة.

(٩) ندس: فيهم فطن.

حَدَّثِينَا عَنِ التَّبَاعِ إِذْ كُنْتَ عَلَى عَهْدِهِمْ بِحُلَّةِ عُرْسٍ^(١)
 وَلَمَنْ تَخْبَيْنَ مَا ادَّخَرُوهُ مِنْ كَنْوِزٍ غَطُّوا عَلَيْهَا بِكَيْسٍ؟^(٢)
 وَصِيفِي كِنْدَةَ الْمَلُوكِ فَيَا رَبِّ كَرِيمٍ فِيهِمْ وَيَا رَبِّ جَبْسٍ^(٣)
 قَادَةَ الْحَرْبِ وَالْكَلَامِ وَلَكِنْ لَا يُبَالُونَ فِي الْمَلَامِ بِغَمْسٍ^(٤)
 وَاذْكَرِي مِنْ أَشْعَةِ الدِّينِ مَا شَقَّ دُجَى جَاهِلِيَّةٍ كَانَ يُغْشَى^(٥)
 وَصِيفِي الْأَعُورَ الَّذِي ثَارَ لِلْحَدِّ قَى عَلَى زَعْمِهِ بِشَدَّةٍ وَطَسٍ^(٦)
 وَاشْرَحِي مَا دَهَاكَ مِنْ بَاسٍ مُعْنٍ فَحَلِّ شَيْبَانَ مِنْ إِسَارٍ وَحَسٍ^(٧)
 وَيَكَاذُ الْقِيَامِ بِالثَّارِ لَوْلَا خَالِدُ الذَّلِّ لِلْمَصِيبَةِ يُنْسِي
 وَاَنْظِرِي مَا جَرَى مِنْ ابْنِ زِيَادٍ ثُمَّ مِنْ آلِ بِنْتِيسٍ وَرَسٍ^(٨)
 فَبَطَّبِعِ الظَّرُوفِ لِأَبَدٍ أَنْ يُخِيءَ سَوَاهِ مِنْ نَهْضَةٍ وَمَنْ قَصِرَ نَجْسٍ^(٩)
 وَاذْكَرِي هَجْرَةَ ابْنِ عَيْسَى وَمَا سَا مِنْ أَفَاعِيلِ كُلِّ قَلْبٍ وَنَكْسٍ^(١٠)
 شَادَ مُجَدِّدًا فَكَادَ أَنْ يَتَدَاعَى

(١) التابع: التابعة ملوك اليمن واحدهم تبع. قيل: كان ملك اليمن لا يسمى تبعاً حتى يملك حضرموت وسبأ وحمير.

(٢) بكيس: بتراب.

(٣) كندة: أبو حي من اليمن. جبس: لثيم ويطلق على الرديء أو الجبان.

(٤) بغمس: بغمس أنفسهم فيما يلام عليه.

(٥) يغشى: يغطيهم ويسترهم. (٦) وطس: وطأة.

(٧) إسار: أسر. حس: قتل. معن: معن بن زائدة الشيباني وهو من أجواد العرب.

(٨) بنس ورس: بسعاية وكذب. والنس من النسيسة وهي السعاية. والرس: خبر لم يصح؛ وأهله هم الذين يتدثون الكذب ويوقعونه في أفواه الناس ومنه قول الحجاج لآخر: أمن أهل الرس والنس أنت؟

(٩) هجرة: لعله يشير إلى هجرة الإمام أحمد بن عيسى الذي سيأتي له ذكر في قصده التوسل به. بقصر نجس: ربما يقصد إحلاله السنة ومحاربه العقائد الفاسدة في حضرموت.

(١٠) قل: خيس الدين. نكس بالكسر: ضعيف.

وَالصَّلَاحِي سَابِقاً قَدْ طَوَاهَا
 ثُمَّ جَاءَتْ مِنْ بَعْدِهِ دَوْلَةُ الْغِ
 وَخِلَالَ الْغَيْومِ لِعَبْدِ اللَّ
 زَانِهِ الْأَمْنُ وَالرَّخَاءُ فَقَلُّ مَا
 فَلَقَدْ كَانَ عَهْدُهُ أَكْثَرَ الْأَيَّامِ
 وَابْنُ مَهْدِيٍّ اسْتَوَى فَوْقَ عَرْشِ
 ثُمَّ جَاءَتْ بَنُو رَسُولٍ وَكَانُوا
 وَالسُّيُومِ وَأَحْوَالُ نَهْدِ
 فَبَنُو ظَنَّةٍ يَقُومُ لَهُمْ كُرُ
 وَابْنُ مَسْعُودٍ الْعَفِيفُ بِهِ الْفَنَاءُ
 وَغَدَّتْ فِي حَبَائِكِ الْعَشْبِ تُرْهَى
 وَلِبَدٍ مِنَ الْمَحَاسِنِ مَا أَدْنَاهُ
 دَوْخَ الْأَرْضِ بِالْقَنَا وَالْمَوَاضِي

بِاللَّهَامِ رَمَى الْجِرَارَ بِدَغْسٍ^(١)
 زَبِزْنَ جِيلَهَا الْمَرِيدَ الْأَخْسَ^(٢)
 هِ مُلْكٌ مِنَ الثُّقَى فَوْقَ أَسْ
 شَتَّتْ فِي عَاهِلٍ مِنَ الْعِلْمِ مَكْسِي
 خَيْراً مَنْ غَيْرِ جَوْرِ وَمُكْسٍ^(٣)
 الْمُلْكِ فِيهَا مِنْ دُونَ ضَرْبٍ وَحَبْسِ
 بَعْيُونَ لَوْلَا الْحَبُوظِيُّ نَعْسٍ^(٤)
 فِي اضْطِرَابٍ مَا بَيْنَ بَرِّ وَنُكْسٍ^(٥)
 سِيَّمُ جَدِّ بِهَا وَيَقْعَدُ كُرْسِي
 طَابَتْ بِفَضْلِ عَدْلِ وَغَرْسِ
 كَالْعَرُوسِ انْجَلَّتْ بُوْشِي الدَّمَقْسِ^(٦)
 أَمْنُ السَّرَاةِ مِنْ غَيْرِ عَسِ^(٧)
 وَيَشْمُ لَدَى الْكَرْيَهَةِ شُكْسٍ^(٨)

- (١) اللهام: الجيش الكثير العدد. الحرار: الأراضي ذات الحجارة النخرة السود الدعس: الطعن. مبالغة في شدة القتال.
- (٢) الزنجيل: الضعيف البدن. المرید: الخيث المتمرد الشرير. الأخس: الأردل.
- (٣) مكس: جباية. يريد من غير مظالم.
- (٤) عيون نعس: نائمت.
- (٥) نكس: بالضم عود في المرض.
- (٦) حبائك العشب: طرائقه الحسنة الجميلة. بوشي: نقش حسن: الدمقس: الحرير.
- (٧) السراة: سراة الطريق أي متنه ومعظمه أو السراة المعروفة في اليمن كما ذكره في اللسان. عس: طوف بالليل لتعقب أهل الريبة.
- (٨) القتا: الرماح. المواضي: السيوف القواطع. بشم: سادة ذوو أنفة جمع أشم - الكريهة: الحرب. شكس: سئ الخلق للأعادي.

والمَمُودِيُّ نَالَ عَزّاً ومَجْداً
 وأجَابَ الإمامَ صَوْتٌ صَرِيحٌ
 وأتت يافعٌ بأعقاب هذا
 وجرث بينهم خطوبٌ أعادت
 واستقامتُ أمورهم حينَ كانوا
 ثمَّ حادوا عن الطريقي وعادوا
 وفشَّتْ بينهم خلائقٌ سوءٌ
 فأنقَضُوا في روايةٍ مثلتها
 وبأنقَاضهم أقامَ القمبيط
 وأتى غالبٌ بتدبيرٍ جَدِي
 فاستتَبَ الأمانُ حيناً من الدهر
 في مَراحِ الدُمَى ومَثوى الغواني
 سالفَ الأمرِ ثم بَاءَ بِعَكْسِ
 بالمفاويرِ من بَكِيلٍ وَعَنَسِ^(١)
 في ليالٍ على الكثيريِّ عُمَسِ^(٢)
 حربَ دُبَيانٍ في مداها وَعَبَسِ^(٣)
 من لباسِ الوفا بسابغِ لَبَسِ
 لاختلافِ قضى عليهم بِتَعَسِ^(٤)
 نَبَّهتُ من حِفاظِ شُوسٍ وشُمَسِ^(٥)
 قادةَ العلمِ والهدى مثلَ أمَسِ
 بيَ له قَلعةٌ ظَلاها بِكَلَسِ^(٦)
 للأباطيلِ والفسادِ بِكُنَسِ^(٧)
 وطابَ الأورودُ للمتَحَسِي^(٨)
 صانها اللهُ من أذى كلِّ رِكْسِ^(٩)

(١) صريح: مستغيث. بكيل: في القاموس حي من همدان. عنس: مخلاف باليمن يقال له مخلاف عنس.

(٢) عمس: شديدة الظلمة.

(٣) ديبان: قبيلة منها النابغة الشاعر. عبس: قبيلة مشهورة وكانت بينهما حروب ووقائع مشهورة.

(٤) بتعس: انحطاط وعثور أو هلاك.

(٥) خلائق: خصال. حفاظ: حمية وغضب. شوس: ذوو غضب جمع أشوس. شمس: جمع شمس وهو صعب الخلق.

(٦) بكلس: ما تظلى به الحوائط كالجص.

(٧) بكنس هو كسح القمام عن وجه الأرض يريد أنه أزال الأباطيل والمفاسد.

(٨) للمتحسي: للشارب في مهلة.

(٩) الدمى: يريد النساء الغواني. ركس: جمع من الناس. ويقصد هنا بلدة سيؤون عاصمة الكثيري.

- مهْدُ ظَرْفٍ وَدَارُ أَنْسٍ وَفَضْلِ
وَمِرَاعِي هَوَى وَمَلْعَبُ حُخْسٍ^(١)
ثُمَّ لَمْ يُحْمَدِ الْمَاءُ لظَلَمِ
سَاءَهُ إِذْ رَمَى ضَعِيفاً بِنُهْسٍ^(٢)
وَلِئِنْ شَوَّهَ الْحَقِيقَةَ مَخْتَانٌ
يَكِيدُ الْعُلَى بِغَمَطٍ وَبُخْسٍ^(٣)
فَاسْأَلُوا الدَّارَ عَنْ مَسَاعِيهِ فِيهَا
إِنَّ لِلدَّارِ أَلْسُنًا غَيْرَ حُرْسٍ
ذَلِكَ السَّيِّدُ الَّذِي مِنْ سَمَاءِ
الْمَجْدِ يَأْوِي إِلَى مَنَازِلِ قُفْسٍ^(٤)
شَرَفٌ بَاذِخِ الْفُرُوعِ عَلَى هَامِ
السَّهَاءِ يَكْبِتُ الشَّنَاءَ وَيُخْسِي^(٥)
بِحَرِّ عِلْمٍ وَطَوْؤُدِ حَلْمٍ رَكِيئٌ
حَيْثُ أَرَسَى مَقَاطِعَ الْفَخْرِ يُرْسِي^(٦)
حِكْمَةً كُتُّهُ وَخَيْرٌ وَظَرْفٌ
وَصَلَاحٌ مِنْ غَيْرِ دَلْسٍ وَوَلْسٍ^(٧)
مَا رَأَتْ مِثْلَهُ الْبِلَادُ بِعَيْنِيهَا
عَظِيمًا وَلَا حَكِيمًا يَوْسِي^(٨)
كَابِدَ الضَّرِّ وَالْمَشَقَاتِ رِخْوَ الْبَالِ
بِالْمِصْطَفَى جَمِيلَ الثَّنَاسِي^(٩)
جَانِبٌ مِنْهُ لَا يُرَامُ وَأَمَّا
لِلْمَسَاكِينِ فَهَوَ لَيْئِنَ لِلْمَجْسِ^(١٠)

(١) حُخْسٌ: ظباء أو بقر وحشي.

(٢) لم تستمر العلاقة الطيبة بين الزعيم محسن بن علوي السقاف وسلاطين آل كثير لظلمهم الناس ومنها حادثة التعدي على مسكين وقطع أذنه لأنه اشتكى منهم جهاراً في المسجد فغضب الزعيم محسن من هذه الحادثة وخطب في في الناس منفعلاً ومعتزضاً وكانت هذه الحادثة سبباً لوفاة.

(٣) مختان: خائن. (٤) قُفْسٌ: ثابتة رفيعة.

(٥) السهأ: كوكب خفي من بنات نعش: يكبت الشنأة يرد الأعداء بغيظهم. جمع شائء - يخسي: أي يقول لهم أحسؤوا.

(٦) أرسى: أثبت يريد أراد إرساءها. يرسي: يثبتها. وفي الأصل ترسي بالتاء وهو تصحيف.

(٧) دلس: خديعة، وولس: خيانة سمع أعرابي يقول لامرئ قرف بسوء فيه مالي فيه ولسٌ ولا دلسٌ أي ما لي فيه خيانة ولا خديعة.

(٨) يوسي: يداوي.

(٩) رخو البال: ناعم البال.

(١٠) المجس: مكان الجس واللمس.

للأيامى وللإتامى حنوٌ
 نيرُ الفكرِ سالمُ الذوقِ يهفُو
 في مطارِ العُلَى يخلُقُ بالفك
 مُصلِحُ الأمةِ العظيمُ وداعيها
 كلما قام في المحافلِ أَلَوَى
 وله في القربى ما يفضّلُ المادى
 فيه ضَعْفٌ وإنما فيه لطفٌ
 ونفوذٌ إلى الضمائرِ حتّى
 تتلاقى به الفنُونُ فحقُّ
 يا حليفَ الجهادِ قم تَرَمًا شَيِّ
 خانه الحظُّ فاستبيحَ جَمَاهُ
 وتذكّرْ ما قلتَ فيمن سَيَبغي
 فلقد شاعَ وانتجى الناسُ فيه

منه يَسْتَلُّ كلَّ بثٍ ومَسٍّ (١)
 قلبه عند كلِّ ذكْرٍ وجَرْسٍ (٢)
 رَفِيْلَتَدُّ باتِّصالٍ وأنسٍ
 إلى الرُّشدِ حيثُ تغدو وتمسي
 بأخي وائلٍ وأذرى بئُسٍّ (٣)
 بالعذبِ من مراشفٍ لعسٍ (٤)
 وسخاءٌ يَدُرُّ من غيرِ بَسٍّ (٥)
 من نفوسٍ تعمودتُ ما يُقسى
 مع هذا عليه أعقدُ خمسي
 بذتٍ للحقِّ في انهدامٍ ودَرْسٍ
 ورماءُ البلاءِ من كلِّ جنسٍ
 علّه أن يَبَرَّ من غيرِ وكسٍ (٦)
 لاقتضاءِ الزمانِ لكن بهمسٍ (٧)

(١) بث: حزن. مس: تعب يصيهم.

(٢) جرس: صوت.

(٣) أخي وائل هو سحبان؛ وقس هو ابن ساعدة الأيادي. وهما أشهر الخطباء عند العرب ويقال إن الجد محسن إذا خطب أمسك الناس فلم يجعلهم يذهبون إلى دكاكينهم وإشغالهم لفرط استحسانهم لكلامه.

(٤) المادى: خالص العسل الأبيض أو جيده. مراشف: مواضع الرشف وهو المص. لُغس: جمع العس وهو الذي في شفثيه سواد وهو مما يستحسن.

(٥) بَسٌّ: هو التلطف بالناقة لأجل أن تدر بأن يقال لها بسُّ بس تسكيناً لها.

(٦) وكس: نقصان.

(٧) انتجى الناس: تناجوا فيما بينهم في شأنه همساً. وهو هنا يشير إلى السلطان بحضرموت والذي بغى وبدأ الناس يتكلمون عليه ولكن بهمس وسرية.

وعليك السَّلام من نجلِكَ الشَّاكي الذي مَسَّه الزَّمانُ بِضِرْسٍ^(١)
سارَ في نهجِكَ القويمَ ولكنْ خانَهُ قومُهُ بِغِشٍّ وَدَسٍّ
حارَبوا الله بالتَّعدِّي عليه وهو من لطفه على خيرِ جِلْسٍ^(٢)
كلما غابَ يفتَرُونَ عليه وإذا جاءَ لم يَفوهُوا بِنَبْسٍ^(٣)
ردَّهُم عنه طُهر قلبٍ وعرضٍ وخلالَ كمثلِ مندوفِ بُرْسٍ^(٤)
وتولَّاه بالعناية مولاة فذلَّتْ له معاطِسُ حُمْسٍ^(٥)
فاسألِ الله أن يديمَ له النُّعمى معافى من شرِّ جنِّ وإنْسٍ



(١) بضرس: أحد الأضراس المعروفة.

(٢) وهو من لطفه: أي وهو من لطفه تعالى به على أفضل بساط لم يضره ذلك التعدي عليه.
الحلس: بساط البيت.

(٣) بنبس: أقل كلام.

(٤) برس بالكسر والضم: القطن.

(٥) معاطس: أنوف. حمس: شجعان أشداء.

القصيدة الرابعة عشرة

سُوقُ الْفُضَيْلَةِ

وهذه في وصف بعض حال الممّوهين؛ ووجوب الاعتماد على الشريعة؛
والاطراح لما عداها.

سُوقُ الْفُضَيْلَةِ فِي أَيَّامِنَا رُحْصَا كَأَنَّ مَا فِيهِ مِنْ دُرِّ الْكِمَالِ حَصَى
لَا حِطَّ إِلَّا لِأَبْنَاءِ السَّفَاحِ وَمَنْ نَمَثُهُ أُمَّ حَصَانٍ كَابَدَ الْعُصْصَا^(١)
مَا زَالَتِ النَّاسُ قَبْلِي يَشْتَكُونَ لِمَا يَلْقَوْنَ مِنْ قِلَّةِ الْأَحْرَارِ وَالْخُلْصَا
وَالْيَوْمِ أَطْلَبُ إِنْسَانًا فَأَعْوَزَنِي وَلَمْ أَجِدْ غَيْرَ وَحْشٍ تَلْبَسُ الْقُمْصَا
فَهَلْ حَقِيقَةُ هَذَا الْجِيلِ ثَابِتَةٌ أَمْ لَا فِإِشْكَالُ هَذَا الْأَمْرِ قَدْ عَوُصَا^(٢)
مَا لِلزَّمَانِ قَدْ اسْتَشْرَى الْفَسَادُ بِهِ وَالْخَيْرُ فِيهِ عَلَى أَعْقَابِهِ نَكْصَا^(٣)
غَنِيمَةُ الْمَرْءِ بَعْدُ النَّاسِ عَنْهُ فَلَا تَفْرُحُ بَاتٍ وَلَا تَحْزَنُ لِمَنْ شَخْصَا^(٤)
وَلَا يَفْرُكُ زِيَّ النَّسِكِ مِنْ أَحَدٍ فَكَمْ تَنْسَكُ دَجَّالًا لِيَفْتَنِنَا
يَمْشِي الْهُونَنَا بِشَيْءٍ فِي عِمَامَتِهِ كَأَنَّهُ الرَّوْقُ لَكِنْ فِي امْتِدَادِ عَصَا^(٥)
كَأَنَّمَا هُوَ حَاوٍ لَا تَفَارِقُهُ رَقَطَاءُ يُغْوِي بِهَا مَنْ عَقَلُهُ نَقْصَا

(١) حصان: عفيفة.

(٢) عوصا: صار عويصا صعبا.

(٣) استشري: ليج وكثر وجد بلا فتور. نكص: رجع أدراجه.

(٤) شخصا: شخص يبصره عند الموت فلم يطرف.

(٥) الروق: القرن.

مُمُوَّةٌ يذُكَّرُ الْأَخْيَارَ مَنْتَهَرًا بذكرهم من صغار الأنفس الفُرَصَا
 يَرُوي غَرِيبَ كَرَامَاتٍ بِلَا سَنَدٍ وربما اختلق الأخبَارَ وَالْقِصَصَا
 خَلُّوا الْخِرَافَاتِ وَالْأَحْلَامَ إِنَّ لَنَا ديناً قويمًا من الأوهامِ قَدْ خَلَصَا
 مَا فِي شَرِيعَتِنَا وَهُمْ وَلَا شُبَّةٌ لكن عزائمُ صدقٍ مازجتُ رُخَصَا
 وَهَذِهِ سِيرَةُ الْهَادِي وَسَنَّتُهُ من حَادٍ عَنْهَا وَلَوْ قِيدَ الْبِنَانِ عَصَى (١)
 خَيْرِ النَّبِيِّينَ مِنْ شُبَّاكِهِ لُنْهَى أهل النُّهَى قَدْ غَدَا مِنْ حَبِّهِ قَفَصَا
 لَهُ وَلِلْمَرْتَضَى مِنَّا التَّحِيَّةُ مَا غَنَّى الْحَمَامُ وَمَا بَانَ النَّقَا رَقَصَا (٢)
 وَمَا هُدِيَ الرُّكْبُ بِالرَّيْحِ النَّسِيمِ وَمَا أَنْضَى الدَّلِيلُ بِأَنْوَاعِ الْخُدَا الْقُلُصَا (٣)



(١) قيد البنان: قدر الإصبع.

(٢) بان النقا: البان شجر يسمو ويطول في استواء ينبت في الهضب. والنقا: كثيب الرمل.

رقصا: تحرك وتمايل.

(٣) أنضى الدليل: أهزل الدليل النوق بأنواع الحداء لحملها به على الجد في السير.

القصيدة الخامسة عشرة

أَسْأَلُهُمْ سِرًّا (١)

أسأَلُهُمْ سِرًّا هل البرقُ أَوْمَضَا وهل من شُعَاعٍ فوق كَاظِمَةٍ أَضَا؟^(٢)
 إذا الليلُ أَدَجَى بات طرفي يَشِيمُهُ إلى أنْ بدتْ لي لَمَعَةٌ من سَنَا الرِّضَا^(٣)
 تجلَّى بها للقلبِ نورٌ قضى بهِ من الرُّوحِ والرَّيحانِ والأَنْسِ ما قَضَى
 كزورة طيفٍ أو كَنَغْبَةِ طائرٍ أَلَمَّ ولما غابَ ضاقَ بي الفَضَا^(٤)
 بوجدانه آنستُ للعينِ قُرَّةً وأودتْ بي الأَحْزَانُ من بعد ما مَضَى
 وأقتلُ ما كان الجوى لِمَتَّيْمٍ أشارَ له محبوبه ثمَّ أَعْرَضَا^(٥)
 نزلتُ عَلَى حكم الغرامِ ولم أَجِدْ لجامحِ فكري في الصَّبَابَةِ مَرَكْضَا^(٦)
 وأمراضَ أحشائي النَّوى غيرَ أَنِّي جَهِلْتُ الذي هاجَ الشَّجونَ وأمْرَضَا^(٧)

(١) في هذه القصيدة نوع من الفلسفة والتفكير في أمور الحياة ولكن صاحبها إمام تقي صاحب عقيدة راسخة وإيمان قوي لكنه يجول أحياناً في بعض الأماكن ويتحدث حديث الفلاسفة ولكن ذلك ليس عن حقيقة وإنما هو ترويض لأفكاره واستعراض لإمكاناته ولن يعرف الإمام إلا من قرأ كل كتبه مثل صوب الركام في أدب القضاء وكتاب بلابل التفريد وكتاب السيف الحاد لقطع الإلحاد فهي شاهدة على علمه وورعه وإيمانه وتقواه.

(٢) أومض البرق: لمع خفيفاً ولم يعترض في نواحي الغيم: كاظمة: موضع. أضأ: أضاء.

(٣) أَدَجَى: أظلم. يَشِيمُهُ: ينظره. سَنَا: ضوء.

(٤) طيف: خيال. نغبة طائر: جرعه من الماء.

(٥) الجوى: شدة الوجد من العشق.

(٦) الصبابة: رقة الهوى أو الشوق - مركضاً: موضعاً للركض.

(٧) النوى: البعد والفراق. الشجون: الأحزان.

وَجَزْتُ فَلَا أُدْرِى الطَّرِيقَ إِلَى الْهُوَى وَبَيْنَ ضُلُوعِي شَبَّ نِيرَانَهُ الْغَضَى ^(١)
 أَجْرِي كَذَا طَلَقًا إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ وَأُرْسِلَ لِلْمُهْرِ الشَّكِيمَةَ رِيضًا ^(٢)
 أَجْنٌ إِذَا جَنَّ الدُّجَى وَأَذُوبٌ إِنْ أَشَارَ إِلَى الْأَطْلَالِ حَادٍ وَعَرَضًا ^(٣)
 وَعَنْ كَثَبٍ مَنِي الْحَبِيبُ فِدَارُهُ فَوَادِي وَيَأْبَى الطَّبَعُ أَنْ يَتَّقَوْضًا ^(٤)
 قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ سَائِيِ جَمَالِهِ حَجَابٌ مِنَ النَّفْسِ الْكَثِيفَةِ أَغْمَضًا
 فَسُقُّهَا بِأَنْوَاعِ اللَّحُونِ فَرَبَّمَا يُبْلِقِي مَهْرًا مِنْ أَجَادٍ وَحَرَضًا
 وَهَلْ لَكَ فِي تَلطِيفِهَا بِمُدَامَةٍ تَخْفُفُ بِهَا رُوحًا وَتَزْكُو وَتُرْتَضَى ^(٥)؟
 بِنَشْوَتِهَا تَهْفُو إِلَى حَضْرَةِ الْعُلَى وَتَدْرِكُ فِي أَوْجِ السَّعَادَةِ مَنْهَضًا
 وَمَا النَّفْسُ إِلَّا بَسْدَةٌ بِقَرَارَةٍ وَبَذْرُ الرَّبِيِّ إِنْ جَادَهُ الطَّلُّ رَوْضًا ^(٦)
 وَفِي فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ عِدَّةٌ لِرَبِّهَا فَإِنْ شَاءَ أَرَوَاهَا وَإِنْ شَاءَ غَيَّضًا ^(٧)
 حَسَامٌ يَمَانِي وَإِنْ سَاءَ غَمُّهُ وَلَنْ تَعْمَدَ الْأَسْيَافُ إِلَّا لِتُنْتَضَى ^(٨)
 يَقُولُونَ مَا فِي الْكُونِ هَذَا سَعَادَةٌ وَطَوَّلَ بَعْضٌ فِي الدَّلِيلِ وَعَرَضًا

(١) الغضى: شجر معروف. مفردة غضاة.

(٢) الشكيمة: حديدة اللجام المعترضة في فم المهر، ريضاً. مذلاً يقال: راض المهر ذللاً وناقاة ريض أول ما ريضت وهي صعبة بعد.

(٣) أجن: يذهب عقلي. جن الدجى: أظلم الظلام.

(٤) كثب: قرب. يتقوضا: يزول يقال: تقوض البناء انهدم.

(٥) في اعتقادي أن الإمام يقول هذا الكلام لمقتضيات فن الشعر وقد يبدأ كثير من الشعراء قصائدهم بالتشبيب بالمدامة عن غير قصد لها ولكن على ما سار عليه فحول الشعراء السابقين. وبعضهم يعطي المدامة معنى صوفياً فيقول: إن المقصود نشوة الحب الصوفي.

(٦) الربى: جمع ربوة وهي المرتفع من الأرض. الطل: المطر الخفيف. رَوْضًا: صار رياضاً.

(٧) عِدَّةٌ: أصله الماء الجاري الذي لا تنقطع مادته كماء العين. ربهَا: ارتواؤها. غَيَّضًا: نقصه أو أذهب.

(٨) لِنْتَضَى: لِنَسَل.

وَأَثَبَتْ قَوْمٌ آخَرُونَ وَجُودَهَا
 وَزَادَ جِدَالَ الْقَوْمِ وَاحْتَدَمَ الْوَعَى
 وَلَمْ يَكُنِ الْبَارِي لِيخْتَارَ أَدْمًا
 فَمَنْ جَدَّ جَاءَتْهُ الْأَمَانِي وَمَنْ أَبِي
 بِخَيْرَتِهِ فِي نَفْسِهِ السَّخَطُ وَالرُّضَا
 وَمَا كَانَ تَكْلِيفُ الْإِلَهِ عِبَادَهُ
 فَرَائِضُهُ سُوقُ النِّجَاحِ فَمَنْ رَعَى
 وَمَنْ عَرَفَ الْمَطْلُوبَ طَابَ وَإِنْ جَنَّتْ
 تَهَوَّنُ الْبَلَايَا وَالرِّزَايَا عَلَى امْرِئٍ
 يَلَاقِي الزَّمَانَ النَّاسَ أَسْوَدَ بَاسِرًا
 وَكُلُّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي الْخُسْرِ غَيْرَ مَنْ
 حَرٌّ أَنْ يَكُونَ الْعَذْبُ مَوْرَدَهُ غَدَاً
 وَأَلْفُوا لِتَدْلِيلِ الْأَوَائِلِ مَدْحَضًا
 وَكَمْ مِنْ لِسَانٍ فِي الْقَضِيَةِ نَضْنَضًا^(١)
 وَيَشْقِيهِ لَكِنْ مَنْ لَهُ الْأَمْرُ فَوْضًا^(٢)
 تَجَهَّمَهُ صِرْفُ اللَّيَالِي وَأَرْمَضًا^(٣)
 فَإِنْ شَاءَ وَالْآهَاءُ وَإِنْ شَاءَ أَبْغَضًا
 بِأَحْكَامِهِ إِلَّا جَمِيلًا تَمَحَّضًا
 شَرَائِعُهَا أَثْرَى وَمَنْ حَادَ أَنْفَضًا^(٤)
 عَلَى عَظْمِهِ الْأَيَّامُ حَتَّى تَهَيَّضًا^(٥)
 بِشَيْءٍ مِنَ الْإِيمَانِ وَالصَّبْرِ عُوضًا
 وَمَنْ جَاءَ بِالْإِيمَانِ لِقَاءَهُ أَبْيَضًا^(٦)
 تَلَزَّمَ بِالتَّقْوَى وَسَلَّمَ لِلْقَضَا
 وَإِنْ لَمْ يَصِلْهُ الْيَوْمُ نَالَ تَبْرُضًا^(٧)



(١) الوعى: الحرب. نضنضا: تحرك.

(٢) إشارة إلى أن الإنسان مختار في أفعاله وهو مذهب لبعض المتكلمين.

(٣) تجهمه: استقبله بوجه كرهه: صرف الليالي: حوادث الدهر. أرمضا: أحرقتة الرمضاء.

(٤) أثرى: كثر ماله. يريد حصل على خير كثير. أنفضا بالفاء: ذهب زاده أي لم يبق له خير.

(٥) تهيضاً: انكسر بعد الجبور.

(٦) باسراً: كالحاقاً قاتماً.

(٧) تبرضاً: شيئاً قليلاً من الخير في الدنيا.

القصيدة السادسة عشرة

أثارتُ بناتُ الشُّوقِ

أثارتُ بناتُ الشُّوقِ لي صورةَ الماضي فهبَّجْنَ أحزاني وأنفَجْنَ أمراضِي^(١)
 وباعدنَ أجفاني وأذكينَ لي الجوى وذكَّرنِي الأعيادَ ما بين أرباضي^(٢)
 ليالي لا ندرِي لها اسماً كأنما صرَبْنِ على أذنِ الزمانِ بإغماضِ^(٣)
 ليالي فيها الدهرُ طالعه لنا سعيدهُ تلقَّانا وخاطرهُ راضي
 قضيتُ على رغمِ النَّوى ورضى الهوى بها معَ فضلِ الصَّونِ سائرَ أغراضي
 ليالي تزدانُ النوادي بسادةِ فتمسي بهمَ غراً ضواحكِ إيماضِ^(٤)
 نجومُ الهدى بيضُ الوجوه كأنما سوادُ الدجى فيهمَ لجلبابهِ ناضي^(٥)
 رجالاً صدقٍ يغضبونَ لدينهم ويقضي القضا في الابتلا ما هو القاضي
 نَمَتهم أُبواتُ تأشبُ عيصها على كلِّ طُلاعِ الثنايا وَفضفاضِ^(٦)

(١) أنفجن: أثرن.

(٢) أذكين: أوقدن وأشعلن. الجوى: الشوق. أرباض: جمع ربض وهو ما يستراح لديه من أهل ومال وقريب وبيت ونحوه.

(٣) إغماض: نوم. والشاعر يشبه هنا دور الإغماض في استمرار النسيان كما أن الضرب على الأذن يؤدي لاستمرار النوم.

(٤) غرا: غراء. إيماض: لمعان وإشراق.

(٥) ناضي: متجرد.

(٦) تأشب عيصها: التف شجرها الكثير. الثنايا: جمع ثنية وهي الجبل. فضفاض: ما استوى من الأرض.

بحورٌ بعيداتُ الغوارب لا ترى
 كما لا ترى فيهم إذا التهبَ الوغى
 تَكُرُّ بهم آلُ الوجيه ولاحقُ
 عليهم وقارٌ كالرواسي وإن عدا
 أولئك آبائي ولستُ لِنَيْلَةٍ
 وقد كان شملي بالبقية منهم
 شيوخي الأولى مِنْ بَيْنِهِمْ قد تَقَرَّحَتْ
 لَيْسْنَا بِهِمْ حِيناً مِنَ الدَّهْرِ نَعْمَةً
 ليالٍ مضتْ وثباً خِفافاً وأَعْقَبَتْ
 أَنَاخَتْ عَلَيْنَا بِالْكَلاكلِ وَأَنْبَرَتْ
 وتأخذُ مِنَّا الطَّيْبِينَ وَإِنْ سَخَتْ

لدى الأزم منهم غيرَ طلقٍ وفياضٍ^(١)
 بلمع المواضي غيرَ أغضفٍ ميفاضٍ^(٢)
 على جثثِ يومِ النَّزالِ ورَضراضٍ^(٣)
 على الدين عادٍ مثلوا زَحَفَ نَضاضٍ^(٤)
 ولا وَلَدْتَنِي المَنجِبَاتُ لِإِجْهَاضٍ^(٥)
 جميعاً بوادي الرحمة العامر الغاضي^(٦)
 تُحدودي لرشٍ بالدموعِ وتَرَخاضٍ^(٧)
 بعيشٍ رَخِيٍّ مُقْبِلِ الحِظِّ قُضْفَاضٍ^(٨)
 بأيامِ إِدْبَارِ طَوَالِ وإِعْرَاضٍ
 تَعَضُّ بِنَا أَنيَابُهَا أَيَّ إِعْضَاضٍ^(٩)
 فما هو إِلا بابنِ لُومٍ وجَوَاضٍ^(١٠)

- (١) الغوارب: غوارب الماء أعالي موجه. الأزم: الشدة والجذب. طلق: يريد طلق اليدين سمحهما وطلق الوجه مشرقه. فياض: كثير الفيض والندى.
- (٢) المواضي: السيوف القوطع. أغضف: غضوب. والأغضف من الأسد المسترخي أجفانه العليا على عينيه غضباً أو كبراً - ميفاض: جوال في ساحة الوغى يقال أوفضت البعير أوجفته في الركض.
- (٣) الوجيه: فرس من خيل العرب نجيب سمي بذلك وكذا لاحق. رَضراض: الأرض المرضوضة بالحجارة.
- (٤) نضاض: الحية التي تقتل إذا نهشت من ساعتها.
- (٥) لست لغيلة: لم أضع لبن أمي وهي حبلى. والوالد إذا شربه ضوى. لإجهاض: لغير تمام الأشهر.
- (٦) الغاضي: ذو الغضى له هَدَبٌ ينبت بالبرية.
- (٧) بينهم: أي فراقهم. ترخاض: غسل.
- (٨) رخي: ناعم. فضفاض: واسع كثير.
- (٩) أناخت: بركت. بالكلاكل: بالصدور.
- (١٠) لوم: لوم. جواض. مراوغ مائل عن الحق.

تَعَوَّضْنَا بِالْحُلُوبِ مُرًّا وَبِالْهُدَى ضَلَالاً قِيَاضاً لَا يَرُوقُ لِمَعْتَاضِ
 خُلُوفٍ وَإِنْ كَانُوا بِنَيْهِمْ فَقَدْ عَدَّوْا عَلَى هَدْيِهِمْ ظَلَمًا بِأَطْرَافِ مِقْرَاضِ
 مَشَائِيمُ بَعْدَ الْعَزِّ وَالْمَجْدِ أَخَذِمُوا فَأُتِيحُ بِهِمْ مِنْ وَارِثِينَ وَأَبْعَاضِ^(١)
 عَنِ الْخَيْرِ مَيْلٌ بَيْنَمَا كُلُّ وَاحِدٍ لَدَى حَفَلَاتِ الْأَكْلِ كَالْجَمَلِ الْغَاضِي^(٢)
 يُضْحَكُونَ بِالنَّامُوسِ مِنْ أَجْلِ أَكَلَةٍ فَمَا هُمُّهُمْ إِلَّا عِمَارَةٌ مِرْحَاضِ^(٣)
 وَمَا الْبَيْنُ بَيْنَ الْقَوْمِ إِلَّا دَرِيئَةٌ كَثَبْنَكَةَ صَيْدٍ لِلْحُطَامِ وَمِعْرَاضِ^(٤)
 يَصُدُّونَنِي كَيْمَا أَبَوْهُ بَوْضَفِهِمْ ذَلِيلًا خَسِيسًا مِثْلَهُمْ بَيْنَ أَحْرَاضِ^(٥)
 وَكَمْ أَعْمَلُوا كَيْدًا لِقَطْعِي فَلَمْ يَكُنْ جُنَاحِي وَإِنْ كَادُوا وَعَادُوا بِمَنْهَاضِ^(٦)
 صَلِيبُ حُصَاةٍ لَا تَلِينُ شَكِيمَتِي لَهْوَلٍ وَلَا أُعْطِي الزَّمَامَ لِرَوَّاضِ^(٧)
 سَأَسْعَى عَلَى ضَعْفِي بِكُلِّ وَسِيلَةٍ لِتَرْمِيمِ مَجْدِ السَّابِقِينَ بِأَنْقَاضِ
 عَلَيَّ ذَاكَ دَابِي يَهْدِمُونَ وَابْتَنَى وَمَا قَصْدُهُمْ إِلَّا أَدَاتِي وَإِمْعَاضِي^(٨)
 وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا التَّفَرُّدُ وَحَدَّهُ طَوَّوَا مِنْهُ كَشْحًا فَوْقَ حَقْدٍ وَإِمْعَاضِ^(٩)

(١) أَخَذِمُوا: ذَلُّوا.

(٢) مَيْلٌ: مَائِلُونَ. الْغَاضِي: أَكَلَ الْغَضَى شَجَرٍ مَعْرُوفٍ.

(٣) النَّامُوسُ: وَعَاءُ الْعِلْمِ أَوْ هُوَ السَّرُّ. مِرْحَاضٌ: مَوْضِعُ الْخَلَاءِ. وَعِمَارَةٌ مِرْحَاضٌ تَشْبِيهُ لَطِيفٍ لِلْأَكُولِ.

(٤) دَرِيئَةٌ: أَمْرٌ اتَّخَذُوهُ لِلخُدَاعِ وَأَصْلُهَا مَا يَسْتَتِرُ بِهِ الصَّائِدُ مِنَ الْوَحْشِ لِيُخْتَلِهَ حَتَّى إِذَا أَمَكْنَ رَمِيَهُ رَمَى. الشَّبَكَةُ بِالتَّحْرِيكِ شَرِكَةُ الصَّائِدِ وَسَكَنَتِ الْبَاءُ لِلضَّرُورَةِ. مِعْرَاضٌ: سَهْمٌ يَرْمِي بِهِ بِلَا رِيشٍ وَلَا نَصْلٍ فَيَصِيبُ بَعْرَضَهُ لَا بَحْدَهُ.

(٥) أَحْرَاضٌ: سَفَلَةٌ مِنَ النَّاسِ لَا خَيْرَ فِيهِ.

(٦) مَنْهَاضٌ: مَنْكَسِرٌ بَعْدَ الْجَبُورِ.

(٧) حُصَاةٌ: مَفْرَدٌ حَصَى وَهُوَ صِغَارُ الْحِجَارَةِ يَرِيدُ شِدَّةَ عَزْمِهِ. رَوَّاضٌ: صَيْغَةٌ مَبَالِغَةٌ وَالرَّائِضُ هُوَ الَّذِي يَرُوضُ الدَّوَابَّ وَيَذَلُّهَا.

(٨) إِمْعَاضِي: إِيجَاعِي.

(٩) طَوَّوَا مِنْهُ كَشْحًا: يُقَالُ طَوَّى كَشْحَهُ عَلَى الْأَمْرِ أَضْعَوْهُ وَسْتَرَهُ. إِمْعَاضٌ: آلَامٌ وَأَوْجَاعٌ.

وما زال أهل الحق في كل أمة
 وبأليتهم كانوا كأعدائي الألى
 ولكن رذالاً ذمهم رفعة لهم
 تجيش غروب الشعر في كل مقصد
 كثيري عداوة في الأداني وإبغاض^(١)
 مضوا يجد الهاجي لهم فيح أعراض^(٢)
 وأسماؤهم للمجد لفحة إرماض^(٣)
 وفيهم أرى جياشه جد منفاض^(٤)



(١) الأداني: الأقارب. إبغاض بكسر أوله: بغضة نقيض الحب.

(٢) فيح أعراض: أعراضاً تتسع للهجاء.

(٣) إرماض: إحراق.

(٤) غروب الشعر: الغروب الدلاء العظيمة أي نفيض دلاء الشعر بما فيها في كل غرض. جد منفاض أي كثير النفض جداً والنفض نفقت الثوب والشجر نفضاً إذا حركته لينتفض.

القصيدة السابعة عشرة

كتاب الله

وكان سببها أن جماعة من الإخوان اقترحوا عليّ التأليف في الرد على الإرشاديين^(١)؛ فقلت لهم: أفيء من ذلك أن تصلحوا أنفسكم؛ فإن الحَظْب بينكم

(١) قال صلاح البكري وهو من أشد المتعصبين لجمعية الإرشاد؛ قال عن تأسيس جمعية الإرشاد: وأراد الله تعالى لكلمته أن تعلق وللحق أن يتألق فهدي عصبة من العرب لتأسيس (جمعية الإصلاح والإرشاد) وإقامة مدرسة كبرى لها قام بالنفقة عليها عدد من أغنيائهم وعلى رأسهم السيدان عمر منقوش وسعيد مشعبي (لاحظ لقب السيدين) وقد افتتحت المدرسة في أواخر سنة ١٣٣٣هـ في مدينة بتافيا؛ والأهداف التي من أجلها أنشئت الجمعية ومدرستها؛ يمكن حصرها في الآتي:

أولاً: تأسيس مدارس في أندونيسيا للغة العربية وعلوم الدين.
ثانياً: نشر المساواة بين المسلمين عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ وقول رسوله المصطفى عليه الصلاة والسلام: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى».

ثالثاً: محاربة البدع والخرافات والتوسل بالقبور والأحجار والأشجار والأولياء الأحياء منهم والأموات.

وأول من تولى التدريس في مدرسة الإرشاد الشيخ أحمد محمد السوركتي بالتعاون مع الأستاذ الشيخ أحمد العاقب والأديب الشيخ محمد عبيد بن عبود (صلاح البكري؛ الجنوب العربي قديماً وحديثاً طبعة دار العلم للطباعة والنشر صفحة ١١٨ - ١١٩).

كما أسس العلويون بأندونيسيا في الفترة نفسها الرابطة العلوية؛ وكانت هولندا كما ذكر القادري في كتابه كفاح العرب المسلمين في أندونيسيا تحاول وضع كافة العراقيل ضد الحضارة بأندونيسيا بسبب نشرهم للإسلام وتوعيتهم للجايين بأخطار الاستعمار الهولندي فلما نزغ الشيطان بين الإرشاديين والعلويين؛ ونشبت بينهما الفتنة؛ انتهز الهولنديون هذه =

أعظم منه بينكم وبين غيركم؛ وأعداؤكم من أنفسكم؛ أشد ممن سواهم، ولا سبيل إلا بحفظ الشريعة؛ التي لا يضيع الله من احتفظ بها؛ وأن تأخذوا على يد المخالف منكم؛ وتردوه إلى الطريق؛ فإذا قمتم بذلك فقد كُفيتم كل مؤونة؛ وحصلت لكم كل معونة؛ وإلا فأنفسكم لوموا؛ وعليها فارجعوا؛ وإنا لم نؤمر بالسباب ولا بتقطيع الأسباب؛ وقلت في ذلك:

كتاب اللول لإصلاح داعي فهل حُرّ لقول الحق واعِي؟

= الفرصة الذهبية وعملوا على توسيع شقة الخلاف وحالوا دون الاتفاق بين العرب الحضارمة حتى يحققوا أهدافهم في إضعاف قوة العرب وتأثيرهم بأندونيسيا.

وسبب الفتنة فتوى لأحد العلويين بعدم كفاءة زواج شخص هندي تزوج بعلوية وقد استعان الإرشاديون بالصحافة المصرية للتشغيب وبالذات رشيد رضا صاحب المنار وأسس العلويون صحيفة الرابطة العلوية بأندونيسيا واستعرت نار الفتنة بين الطرفين ولم يلتفت أحد لفتوى واحد من أكبر علماء حضرموت في القضية وهو السيد علوي بن عبد الرحمن السقاف الذي استفتي في المسألة في سنة ١٣٢٣هـ: فأجاب بما اتفق عليه متأخرو الشافعية من أنه لا اعتراض على من يزوجه الولي الأقرب برضاها من غير الكفو. وقد حاول عدد من الشخصيات الكبرى التوسط بين الطرفين منهم السيد إبراهيم السقاف بتكليف من الملك عبد العزيز آل سعود كما كلف الأمير سيف الدين ابن الإمام يحيى الإمام ابن عبيد الله بالتوسط لحل الفتنة فبذل أقصى جهده ولكنه لم يوفق في مهمته واستغرب تشبث الطرفين بآرائهما وقال الإمام ابن عبيد الله: وكلما هدأت الثورة وسكنت الفورة أذكأها عشاق الفتنة المتصيدون في الماء العكر بجريدة (يقصد منشور) أو مقالة أو خطبة فاضطربت الحبال وزادت الأنكاد وكثرت الأحقاد فسقط مقام الحضارمة من النفوس وانمحي احترامهم من الصدور وبعد أن كانت الأهالي تتشرف بالانتساب إليهم بالصهر والجوار عادت تتقزهم وتنفر منهم وتستهزئ بهم وتجعلهم مضرب المثل في فساد الطباع وخبث الأخلاق وكثرة الظلم وسوء المعاملة. ولم يرض الإمام ابن عبيد الله أن ينضم لأي جانب بل حاول جهده للتوفيق بين الطرفين ونجده في هذه القصيدة ينتقد أصحاب الرابطة العلوية الذين طلبوا منه إنشاء قصيدة في هجاء الإرشاديين. فأنشأ هذه القصيدة التي يتأسى فيها على ما حدث وينصح فيها أصحاب الرابطة العلوية بالالتفات إلى إصلاح أنفسهم وحماية الدين وصيانة الأخلاق. وقد كتب في الجزء الأول من كتابه المخطوط بضائع التابوت عن هذه المسألة الشيء الكثير.

فقد بُحَّ المنادي للمعالي
 ألا هَمَّ تطير بريش شوقٍ
 ألا شَمَّ يكون دليل صدقٍ
 ألا مُهَجُّ تذوب أسى ووجداً
 بني الزهراء ليس الأمر سهلاً
 ومسّ الدين ضيمً واضطهاداً
 وحاول هتك حرمة عناداً
 أعيروني بني الزهراء سمماً
 فلي شجن بحالتكم عظيم
 فحتام السكوت على البلايا؟
 وحتام التخاذل والتواني؟
 فقوموا للشريعة وانصروها
 وضدوا عن جماها كل باغٍ
 ولا تُغضوا عيوناً عن مساوي
 وذودوا نوم غفلتكم وهبوا
 ولّموا شملكم بصحيح وُدّ
 وبالرُحْمَى املوا الأخشاء حتى
 علام تفرقون لغير شيء
 وكيف تنافسون على مجال

وما يُغني النداء بلا استماع^(١)
 إذا حُديت بأصوات السّماع^(٢)
 على كرم الأرومة والطباع^(٣)
 على الشرف المعروض للضباع
 فقد حَسر الفساد عن القناع
 وأذن شمله بالانصياع
 ألو الشيم الدنيّة بالخِداء
 لموعظة يحرزها يراعي
 وأحزان يضيئ بها ذراعي
 وحتام القعود عن الدفاع؟
 وأنتم آل حيدرة الشجاع
 فقد بلغت ثنيت الوداع
 يكيدها بما في المستطاع
 بانيكم فهني في الخبر المذاع
 بإخلاص لإنجاح المساعي
 يَصون عن التحاسد والنزاع
 تزين بكم عقود الاجتماع
 سوى حبّ الرئاسة والمناع
 يعود إلى تلاش وانقشاع^(٤)

(١) بح المنادي: أخذته خشونة وغلظ في صوته.

(٢) السّماع: الغناء.

(٣) الأرومة: بالفتح ويضم الأصل.

(٤) مجال: هو روم الأمر.

أيا من هازم اللذات حيي
 أيغفل عنه من هو كل حين
 هي الدنيا إذا رفعت أهانت
 فسائل أين من ملكوا ذراها؟
 تغذوا باللذات ثم صاروا
 إلى الترب التراب هوى وطارت
 إلى الملكوت عالمها تناهت
 لأمر رشح الإنسان يسمو
 وإن ضعفت عزمته تردّي
 بني الزهراء جد الأمر فامضوا
 وذودوا عن حريم الدين وامحوا
 ولا تهئوا ولا تألوا اجتهدا
 فقد عظم البلاء وما نهضتم
 تمادى نومكم فوق الحشايا
 إذا نزلت بساحتكم خطوب
 كأنكم لفرقتكم سفين

وأرواح العباد له مرامي^(١)
 تقوم على عشائره النواعي
 وآل علوها للاتضاع
 وأين أولو المعاقل والقلاع؟
 غذاء للمقارب والأفاعي
 بهمتها النفوس إلى ارتفاع^(٢)
 تراقب أمر ذي العرش المطاع^(٣)
 به إن لم يقصّر في الزماع
 إلى درك البهائم والسباع
 على سنن الهدى والاتباع
 بهمتكم ضلال الابتداء
 لبأخذ مجدكم في الارتجاع
 إلى طرق النجاة بطول باع
 على لدم كأمثال الضباع^(٤)
 لقيتموها بأراء شعاع^(٥)
 يدافعها العباب بلا شرع^(٦)

(١) أيا من: أي أيا من يفعل ذلك والجملة بعده مستأنفة للخطاب بها.

(٢) التراب هوى: الجسم الترابي سقط إلى الترب وتلاشى والروح طارت إلى الملكوت الأعلى.

(٣) الزماع: المضاء في الأمر والعزم عليه.

(٤) اللدم: الضرب ومن شأن الضباع أنها تسمع ضرب الصائد بحجر ونحوه فتخرج لتصيده فيصيدها. وهي من أحق الدواب.

(٥) لقيتموها: أصله لقيتموها بمعنى تلقيتموها وقد تصرف الشاعر فيها بما ترى. شعاع: متفرقة.

(٦) العباب: الموج. شرع: بالكسر قلع.

أَلَا فَدَعُّوا التَّوَاكِلَ فَهُوَ سُومٌ وَجَدُّوا فِي النِّضَالِ وَفِي الْقِرَاعِ
وَلَا يَاخُذْكُمْ فِي اللَّهِ لَوْمٌ وَكَيْلُوا لِلْعِدَا فَرَقًا بِصَاعٍ^(١)
وَشَرُّ عِدَاتِكُمْ مِنْكُمْ عُلاَكُمْ بِهِمْ أَضْحَتْ مِنَ الْهَبِّ الْمِشَاعِ
بَنَتْ أَبَاؤُكُمْ مِنْ أَلْفِ عَامٍ مَفَاخِرَ عَرَّضُوهَا لِلتَّدَاعِي
فَنَادُوا وَاصدَعُوا بِالْحَقِّ جَهْرًا لَكِي تَشْفَى الرَّؤُوسُ مِنَ الصُّدَاعِ
وَحَلُّوا الْفَخْرَ بِالْأَبَاءِ وَاشْعَوْا فَمَا انْقَادَ الْمُنَى إِلَّا لِسَاعِي
وَقَدْ سَنَحَ الزَّمَانُ أَلَمَ تَرَوْهَا لِنَهَضْتِكُمْ وَنَفَعٍ وَانْتِفَاعِ
وَوَلُّوا أَمْرَكُمْ زَعَمَاءَ صِدْقٍ فَلَنْ يَرْجِي النِّجَاحُ بِغَيْرِ رَاعِي
وَجُودُوا بِالنَّفِيسِ وَلَا تَضِثُوا فَإِنَّ الْبَخْلَ مِنْ شِيمِ الرَّعَاعِ
وَضُونُوا أَرْضَكُمْ فَلَهَا انْتِسَابٌ بِطَيْبَةٍ وَهِيَ سَيِّدَةُ الْبِقَاعِ
بِفَضْلِ مُحَمَّدٍ شَرُفَتْ وَهَذِي بِعِترته تَطُولُ عَلَى الرَّبَاعِ^(٢)
فِي اللَّهِ مِنْ نَسَبٍ قَرِيبٍ تَأَشَّبَ لَا لِصَهْرٍ أَوْ رَضَاعٍ^(٣)
عَلَى الْبَلَدِينَ لَا زِلْزَالَ الْغَوَادِي يَجُذُنُ بِصَيْبِ مَلَاءِ التَّلَاعِ^(٤)
وَلَا بَرِحَ الْحَيَا مِنْ غَيْرِ عَيْثٍ لِيَنْقَمَ ذُو ارْتِيَادٍ وَانْتِجَاعٍ^(٥)
بِحَرْمَةٍ مِنْ تَبَلَّجَتِ اللَّيَالِي بِشَمْسٍ مِنْهُ بَاهِرَةُ الشَّمَاعِ
عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْهَا سَلَامٌ يَضَاعَفُ مَا دَعَا اللَّهُ دَاعِي



(١) الفرق بفتحيتين: مكيال بالمدينة يسع ستة عشر رطلاً.

(٢) الرباع: الدور والمحلة.

(٣) تأشب: التف واجتمع.

(٤) الغوادي: السحب. الصيب: المطر. التلاع: ما انهبط من الأرض.

(٥) الحيا: المطر. عيث: إفساد. انتجاع: طلب الكلا ومساقط الماء.

القصيدة الثامنة عشرة

تعرّض لي (١)

تعرّض لي في الصُّبح ساقٌ على فَرع	يُنغني بما يُشجّي القلوبَ من السَّجَعِ ^(٢)
فقيّدني عن حاجتي بهديره	فأرعبته سمعي وأذربته دَمْعِي ^(٣)
وحرّك منّي ساكناً فتزاحمت	شُجُونِي لَأَنِي طَارَفُ الْعَهْدِ بِالْفَجْعِ ^(٤)
وذكّرني الدهرَ الذي استجمع المُنَى	كَمَا شَاءَتِ الْأَهْوَاءُ فِي جَانِبِ الْجِرْعِ ^(٥)
ليالي فيها لا تُراعُ من التَّوَى	وَرَوْضُ الْهَوَى دَانِي الْأَزَاهِيرِ وَالْيَنَعِ ^(٦)
ليالي كان الحيُّ يزهُو بجيرة	لَهُمْ جَلِيَّةُ التَّقْوَى إِلَى رَقَّةِ الطَّبَعِ
مراجيحُ سبّاقون في المجد لم يُرد	بِهِمْ رَبُّهُمْ لِلْعَالَمِينَ سِوَى النِّفْعِ ^(٧)
بهم كانت الأيامُ تُشرقُ بهجةً	وَكَانَتْ لَنَا عِرْزَاتُهُمْ زِينَةُ الرَّبْعِ ^(٨)
مناجيدُ بسّامون في قسّماتهم	شُهُودٌ عَلَى حَسَنِ السَّوَابِقِ عَنِ قَطْعِ ^(٩)

(١) يبدو أن الإمام أنشأ هذه القصيدة بعد فترة قريبة من وفاة والده فهو يذكر أيامه ويحن إلى ذكرياته.

(٢) ساق: هو ذكر الحمام.

(٣) بهديره: بصوته. أذربته دمعي: صببت دمعي من أجله.

(٤) شجوني: أحزاني وهمومي. طارف العهد: حديثه. الفجعة والرجيعة.

(٥) الجزع: الحلة.

(٦) لا نراع: لا نفرغ. الينع: الإدراك والنضوج

(٧) مراجيح: حلمااء. (٨) الربيع: المنزل.

(٩) مناجيد: نصراء جمع منجاد. قسّماتهم: وجوههم. جمع قسمة.

وجوهٌ لو أنّ المدلجين سرّوا على
قوادِمنا كانوا نطيرُ إلى العلى
فُرادى بحكم الدهر في دار غُربةٍ
فهل من سلام في بكاءٍ لفقدِهِم
على مثلهم فلتلطمُ العينُ حُدّها
وغيرُ غريب أن يذوبَ امرؤٌ لِمَا
فما جاءني إلا أسى بعدَهُم وما
تناهى الصّفا في قُربهم فتنبّهت
ويا بئسها من صفقةٍ قُدّرت لنا
ويأخذُ منا الدهرُ عقدَ جواهرٍ
إذا ما قرّنا الحاضرينِ بمن مضى
وأكبرُ ما نشكّوه من أهل عصرنا
ومجلبةُ الآفات للدينِ قادةٌ

سَناها لأغنتهُم عن النّجم والشّمع^(١)
بهم ثم صرنا في عثارٍ على ظلّع^(٢)
وكنا من البيضِ اللّهاميم في جَمع^(٣)
وفي عَبراتٍ تُنضِجُ القلبَ باللّدع
بسبعٍ من الحمرِ القواني على سبع^(٤)
يشاهده غَبناً فما الصبرُ في الوُسع^(٥)
أراني إلا حائراً ضيقَ الذّرع^(٦)
عيونُ الرزايا فانتهى الشّعب للصدع
بُزاةٌ نوذّيتها بأغربةٍ بُقّع^(٧)
يعوّضنا عنها قلائدَ من ودّع^(٨)
جميلٌ ثناهم لا يبوؤون بالشّسع^(٩)
تهجّم أرباب النفوذ على الشرع
يدينون بالتمويه والمين والخدع^(١٠)

(١) المدلجين: السائرين في الظلام.

(٢) قوادِمنا كانوا: كانوا أجنحتنا القوادِم. ظلّع: عرّج.

(٣) البيض: نقي الأعراض من الدنس. اللّهاميم: السابقين إلى الخير. جمع: تضام والثام.

(٤) بسبع: يريد بشرط البيت الكثرة والتتابع في اللطم وبالحر القواني قطرات الدم بدل الدمع.

(٥) غَبناً: نقصاً وهضماً من حقه.

(٦) ضيق الذرع: ضعيف الطاقة.

(٧) بُزاةٌ: صقور. بأغربةٍ بقع: خالط سوادها بياض وهي أخبث الغربان ونضرب مثلاً لكل

خيث.

(٨) الودّع: الودّع المعروف.

(٩) بالشّسع: شسع النعل وهو قبالتها الذي يشد إلى السير.

(١٠) المين: الكذب.

يُسيء امرؤٌ منهم وبحسب أنه
فكم سُنَّةٍ شُنُّوا عليها بغارةٍ
قد اتَّضَعُ الإنصافُ والفضلُ بينهم
ويا طالما قَارَعْتَهُمْ في مواعظي
ولا مِنْبِرٍ إِلَّا ولي فيه خُطْبَةٌ
وفي الحقِّ ما بيني وبين بني أبي
وكم مَسَّنِي في نُصْرَةِ الدِّينِ مِنْهُمْ
فما صَدَّنِي عن خُطَّتِي لَوْمٌ لائِمٌ
وبالخمسة الأرواح أسأل نَفْحَةً
فهم سَبَبِي في الجَلْبِ من فائِضِ الندى

بتدليسهِ للخلق أحسنَ في الصنع
وكم زَيَّنُوا للناس من فتنةٍ بِدَعِ
ولكنَّ أصحابَ الرذيلة في رَفَعِ
فلم يُغْنِ شيئاً في تراذُلِهِمْ قَرَعِي
تَرِنٌ ولكن ليس للصوت من رَجَعِ
حروبٌ تُشِيبُ الطفل نائرةً النقع^(١)
أذايا تَتَالَى من فُرَادَى ومن شَفَعِ
ولا فَلَ من عَزَمِي ولا خانَ من نَزَعِي^(٢)
من الله تأتي مالِكِ الجُودِ والمنعِ
وعن إِذنه من كل ما سَاءَ هُمْ دَرَعِي^(٣)



(١) النقع: الغبار.

(٢) قل: كسر.

(٣) هم درعي: وقايتي بإذن الله من كل ما يسوء.

القصيدة التاسعة عشرة

طربٌ تهيج

طربٌ تهيج بي لغير سُلافٍ جَلَبَ السرورَ وهزّةَ الأعطافِ^(١)
 فليستُ ضافية الصبابة سادراً وسحبتُ في مَرَجِ الهوى أطرافِي^(٢)
 ونسيْتُ عاديةَ الزمانِ وصيرتُ في حِرزِ الأمانِ من العدوِّ الجافي
 وبدتُ لأجفانِ الفؤادِ أشعةً طارت به في ظلمةِ الأَسَدافِ^(٣)
 وسرّثُ إليه من العنايةِ نَسمةً منها يَضُوعُ المسكُ للمستافِ^(٤)
 وتمائلتُ أحواله من بِلّةٍ وقعتُ إليه من الغديرِ الصافي
 لو أنها بَقِيَتْ لدامَ نعيمه في فُسْحَةِ العَيْشِ الرغيدِ الضافي^(٥)
 لكنها انقشعت فذابت نفسه وجرتُ أسَى في دمعه الذَّرَافِ^(٦)
 فكأنما جعلَ القطا أحشاه إذ طار بين قوادِمِ وخوافِي^(٧)

(١) السلاف: الخمر. الهزة النشاط. الأعطاف: الجوانب.

(٢) الصبابة: الشوق أو حرارته. سادراً: لا أبالي ما صنعت. مرج الهوى: شدة الفرح بسببه.

(٣) الأَسَداف: الليالي أي في الليالي المظلمة.

(٤) يَضُوعُ المسك: تفوح رائحته. للمستاف: يقال استاف الشيء استيفاً: شمه.

(٥) الرغيد: الواسع الهنيء. الصافي: السابغ.

(٦) الذراف: كثير الذرف والسيلان.

(٧) أحشاه: قلبه: فقلبه شديداً الخفقان والاضطراب كحركة القطافي في طيرانه بين قوادمه وخوافيه.

وكانما أنفاسه من نُقْبَةٍ في مِخْيَيطٍ عن صدره الرَّجَافِ^(١)
 سَنَحَتْ له أيامه ثم انثَنَتْ لأذَاتِهِ بِالكَرِّ والإِيجَافِ^(٢)
 في غفلةٍ منها تَرَشَّفَ دَرَّهَا ومَرَى الروائِمَ حُفْلَ الأَخْلَافِ^(٣)
 في صحبة الثُّرِّ المراجح طاهري الـ أحسابِ زينة سَاكِني الأَحْقَافِ
 شَمُّ الذُّرَى خيرُ الوري نُورِ القُرَى أسدُ الشَّرَى من آل عبد مناف
 لم يَذرِ أحيانَ الصِّفاءِ بقذرها ودَرَى به إذ لَاتَ حينَ تصافِي
 فتضاعفت حسراته وكانما ألقاه حرُّ الوَجْدِ بَيْنَ أَثَافِي^(٤)
 وكانما في جَفْنِه رَمَدٌ وفي أضلاعِه كَمَدٌ ووخر أشافي^(٥)
 هل من سبيل للخلاص قريبةٍ أو من دواءٍ للصباة شافي؟
 قد ضِقتُ ذرعاً بالحضيضِ وفي الذرى بُعدٌ عليّ لِشَيْبَتِي وقِطَافِي
 عملي وحظي بالتخوف وإن تكن هَمَمِي عَلَيَّ هامِ النجومِ هوافي^(٦)
 ومن القيود أتى الحجابُ ونالت الـ أسبابُ رأسِ المالِ بالإتلافِ^(٧)
 هي محنتي الكبرى وفيها نعمتي الـ عَظْمِي وما في النَّسْبَتَيْنِ تنافي

(١) الثقب: الخرق النافذ وجمعها نُقْب. المخيط: الإبرة. الرجاف: شديد الاضطراب. أي أنفاسه في ضيق شديد كأنما تخرج من ثقب ضيق جداً في مخيط خيط به صدره المضطرب الخافق.

(٢) الإيجاف: إجراء الخيل والإبل.

(٣) ترشف درها: مص لبنها. مرى الروائم. مسح ضروع النوق العاطفات على أولادها لتندر. حفل الأخلاف: مالتو الضروع باللبن.

(٤) أثافي: الأحجار التي توضع عليها القدر عند الطبخ.

(٥) أشافي: جمع أشفى وهي آلة الخرز.

(٦) التخوم: حدود الأرض. هوافي: تخفق بأجنحتها. عمله وحظه بالأرض وهممه فوق النجوم.

(٧) القيود: العوائق.

أخَذَتْ عَنِ الْقُدْسِ الْعَلِيِّ بِحُجْرَتِي وَهَوَايَ فِيهَا قَدْ أَصَابَ شَغَافِي^(١)
فَاللَّهِ أَسْأَلُ أَنْ يَشِيفَ حِجَابُهَا وَتَدْوِمَ نَعْمَتُهَا مَعَ الْأَلْطَافِ
مَتَوَسِّلِينَ بِأَحْمَدٍ وَبِبَنِيهِ وَابْنَيْهِمَا وَالْأَجْدَلَ الْنَقَافِ^(٢)
إِذْ مَا لَنَا أَمَلٌ وَلَا عَمَلٌ سِوَى حَبِّ الْكِرَامِ الْخَمْسَةِ الْأَشْرَافِ
وَأَبِي وَشَيْخِي وَالْفَقِيهِ وَآلِهِ وَبَنِيهِ وَالْمَحْضَارِ وَالسَّقَافِ
أَنْ يَكْشِفَ اللَّهُ الْكُرُوبَ وَيَنْصُرَ الْوَعْدَ مَحْرُوبَ بِالتَّأْيِيدِ وَالْإِنْصَافِ^(٣)
وَيُعِيدَهُ وَبَنِيهِ مِنْ كَيْدِ الْعِدَا وَأَذَى اللَّيَالِي الْمَتَعِبِ الْوَكَافِ^(٤)
وَيُدِيمَ رَفْعَتَهُمْ وَيُعَلِّي شَأْنَهُمْ وَيَعْوِضُ الْمَذْهُوبَ بِالْأَضْعَافِ
وَيَزِينَهُمْ بِتَقَى وَعِلْمٍ نَافِعٍ وَيَصُونَ مَاءَ وَجْهِهِمْ بِكَفَافِ
وَيُقِرُّ أَعْيُنَهُمْ بِدَوْلَةِ مَخْلُصٍ عَدْلٍ لِأَفْوَاجِ الْبَلَا كَشَّافِ
وَيَجُودُهُمْ بِعَوَارِفٍ مِنْ فَضْلِهِ وَيَعْمَهُمْ بِمَحَاسِنِ الْأَوْصَافِ
مِنْ حِكْمَةٍ وَعَدَالَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَعِبَادَةٍ وَزَهَادَةٍ وَعَفَافِ
وَيُبَيِّحُهُمْ كَنْفَ الرِّضَا وَيُدِيمُهُمْ مِنْهُ بِظِلِّ الرِّوْضَةِ الْمَثْنِافِ^(٥)
يَا رَبِّ قَدْ ضَاقَ الْخِنَاقُ وَليْسَ فِي الْإِلْحَاحِ نَائِدَةٌ وَعِلْمُكَ كَافِي
أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَا تُجِنُّ صَدُورُنَا مَا فِي الْقُلُوبِ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَافِ
وَتَدَاكَ مَبْدُولٌ وَجُودُكَ فَائِضٌ وَجِمَاكَ لَا يُخَمِّي عَنِ الْأَضْيَافِ

(١) بحجرتي: بموضع شد الإزار فتمكنت من الحيلولة بينه وبين القدس الأعلى. شغافي: سويداء قلبي.

(٢) الأجدل: الصقر. النقاف: الذي يكسر هامات الأعداء. يريد الإمام علياً كرم الله وجهه.

(٣) المحروب: المسلوب ماله.

(٤) الوكاف: كثير التابع.

(٥) كنف الرضا: جانبه. المثناف: التي لم يرعها أحد. يقال روضة أنف لم توطأ وكذا مثناف وهي أحفل الرياض بالثمر.

فاردُّد علينا من شُماع الحقِّ ما
 واُفتَح بصائرنا ونورها من أَلـ
 فمع اليقين الشَّرِيّ أَرِيّ والبلا
 مِن فقدِهِ عِدَم الملوِكُ صفاءهم
 وعوارفُ الوهابِ لا تُحصَى وقد
 وعلى انقطاع الوحي نُدرِك نِبْرَةً
 نَجْري به في قِدَّة الأسلاف^(١)
 إيمان والتقوى بنورِ وافي
 إن لم يصلْ للدينِ كالإتحاف^(٢)
 وصفاً به عيشُ الفقير الحافي
 تأنى بغيرِ توقُّع للعافي^(٣)
 من شأنِ صاحبِ سورة الأعرافِ



(١) قدة الأسلاف: طريقتهن.

(٢) الشري أري: شجر الحنظل عسل حلو. البلا: البلاء والمحن فهي ما لم تصل للدين كالتحف التي تهدي.

(٣) للعافي: لطالب المعروف.

القصيدة العشرون

أرى الجهل

وقد اتفق لي في شرح الشباب^(١)؛ أن أفضت في درسي كجاري عادتي^(٢)؛
 في النعي على الخرافيين وتفنيذ مزاعمهم؛ وأنكرت قول بعضهم: إن أتان الفقيه
 المقدم^(٣) قدس سره كانت تعرج إلى السماء؛ وتأتي بخبرها طرفي النهار؛ مع أن
 البراق لا يقدر على ذلك؛ فلو أنها حضرت ليلة المعراج؛ لأغنت عنه؛ لأن
 البراق لم يجاوز إيلياء على الأصح. وقول بعض آخر عن بعض العلويين: إنه
 كانت له زوجة شريفة مضى لحملها ستة أشهر؛ فتزوج فلاحه فنشزت الشريفة؛
 فخيرها بين الرجوع؛ أو يأخذ الحمل من بطنها إلى بطن الفلاحه؛ ولما أصرت؛
 فعل ما تهددها به؛ وولدت الأخيرة لثلاثة أشهر من حين الدخول. وقول آخر: إن
 أحد الأولياء مات عن زوجة سالحة من غير ولد؛ فاشتد حزن تلك الصالحة
 وعظم وجدها عليه؛ فكان يتردد عليها من ضريحه؛ حتى أحبلها بعد موته؛
 فجاءت بولد نسبه إليه^(٤).

(١) شرح الشباب: أوله.

(٢) كان الإمام يعقد دروس مرتبة في مسجد طه في الفقه والتفسير والشماثل النبوية ويحضرها الكثير من الناس.

(٣) الفقيه المقدم (٥٧٤ - ٥٦٣ هـ) هو جد العلويين بحضرموت واسمه محمد بن علي بن محمد باعلوي وكان متبحراً بالفقه ولهذا سمي بالفقيه المقدم وهو أول من انتهج الصوفية مع الشيخ سعيد العمودي بحضرموت وقد ولد ومات بتريم.

(٤) لم يذكر الإمام في أي زمن كان ذلك ولا في أي منطقة من مناطق حضرموت.

وطالما أنكرت مثل هذه الأضاليل التي لها يتذمّر الإسلام، وتتنكس الأعلام، وتكلّ عن عدّ شرّها الأعلام، فما حصلت إلّا على الملام، وذلك هو الذي استغرق جهدهم في تشويه سمعتي؛ والتتمضمض بعرضي؛ والتقوّل عليّ؛ والسّعاية بي؛ لولا وقاية الله.

ومع هذا فلا يتظنّي امرؤ^(١) أنّي أحط من مراتب الأولياء السامية، أو أغمض من فضائلهم النامية، كلا والله؛ فإنني أتبرك بمواطئ أقدامهم؛ وأتسرف بأن أعدّ في جملة خدامهم، وبحمد الله قد حصل لي الحظّ الأوفى من اعتنائهم، والنصيب الأكبر من صدق ولائهم، أولئك الذين لا اعتراض للشرع عليهم بحال؛ ولا للنقد في طريقهم أبداً مجال. ومن زعم أنّ بين الشريعة والحقيقة تخالفاً وقع في الضلال، وقد قال الشعراني^(٢): سمعت المرصفي يقول: لا يكمل الرجل في مقام العلم والمعرفة؛ حتى يرى الحقيقة مؤيّدة للشرعية. وإن التصوّف ليس بأمر زائد على السنة المحمّدية؛ وإنما هو عينها. وقال: سمعت الخواص يقول مراراً: من ظنّ أنّ الحقيقة تخالف الشريعة؛ أو عكسه؛ فقد جهل. انتهى.

وجاء عن غير واحد من العارفين: أن الطرق إلى الله تعالى مسدودة؛ إلّا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ، وقال: إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء؛ وقد أخلّ بحكم واحد من الشريعة؛ فقولوا إنه زنديق، والأدلة في هذا عن الصوفية؛ فضلاً عن سواهم من الفقهاء؛ لا يضبطها الحصر.

ولئن اشترط القشيري^(٣) الحفظ للأولياء؛ فالعصمة بالاتفاق لا تكون إلّا

(١) لا يتظنّي امرؤ: لا يُعجل ظنّه.

(٢) هو أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري (٨٩٨ - ٩٧٣هـ) المشهور بالشعراني، العالم الزاهد الفقيه المصري الصوفي ويسميه الصوفية بالقطب الرباني.

(٣) أبو القاسم القشيري (٣٧٦ - ٤٦٥هـ) إمام الصوفية وصاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف كان من كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر ويسمونه (زين العلماء) وهو من مواليد نيسابور.

للأنبياء، وقد أثيرَ عن إمام دار الهجرة^(١)؛ أنه كان دائماً يقول: كلُّ يؤخذ من كلامه ويترك؛ إلا صاحب هذا القبر الأعطر.

ويعجبني من الآلوسي^(٢) تأويله ما ذكره ابن عربي^(٣) (الطائي) من حياة أربعة من الأنبياء؛ وأنهم لا يزالون في الأرض؛ وقوله بعد ذلك ما معناه: حسب الشيخ منا أن نأول كلامه حتى يتفق مع كلام الله تعالى؛ وكلام رسوله ﷺ؛ وأما العكس فما لا سبيل إليه؛ إذ الدين يصير بذلك لعبة لَعَابٍ. (انتهى بمعناه).

فمتى نُسب ما ينكره الشرع؛ إلى من تحققت فضيلته؛ وصحّت ولايته؛ فالتعليل^(٤)؛ فإن صحَّ السند؛ فالتأويل؛ فإن لم يمكن إلا هو؛ أو الشريعة؛ فهي أثر؛ لأنَّ احترامها يجب أكثر، أولاً ترى إلى ابن حجر الهيثمي؛ وهو من أنصار الخوارق؛ وأشدُّ الفقهاء تعصباً للصوفية^(٥)؛ يقول في تحفته: قال القاضي أبو الطيب؛ وهذا يدل على انه لا يحكم بما يمكن من كرامات الأولياء؛ ولهذا قلنا: من تزوج امرأة بمكة وهو بمصر؛ فولدت لسته أشهر من العقد؛ لا يلحقه الولد. قال الزركشي: نعم؛ إذا ثبتت الولاية؛ وجب ترتُّب الحكم على الإمكان؛ عن طريق الكرامة. قاله في المطلب؛ وهو إنما يأتي فيما بين الولي وبين الله؛ في أمر موافق للشرع؛ مكثه منه خرقاً للعادة؛ وفعله؛ فيترتّب عليه أحكامه باطناً؛ أما ظاهراً؛ بلا نظر لإمكان كرامة مطلقاً (انتهت عبارة التحفة). وأمثال هذه المسألة قد قتلتها بحثاً في رسالة مبسوطه سميتها «الكوكب الدرّي في الرد على السيد سالم بن علوي الجفري».

(١) الإمام مالك.

(٢) هو محمود شهاب الدين الحسيني العراقي الآلوسي (١٢١٧ - ١٢٧٠هـ) مفسر ومحدث وفقه وأديب وشاعر ومن أشهر مؤلفاته روح المعاني في تفسير القرآن الكريم.

(٣) محيي الدين ابن عربي الطائي الأندلسي يسميه الصوفية بالقطب الأكبر ولد بالأندلس وتوفي بدمشق وتنسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية.

(٤) لعله فالتدليل أي إقامة الدليل على صحة النسبة والإسناد.

(٥) وعلى عكسه ابن المقري صاحب الإرشاد الذي كان حرباً على الصوفية.

وكثيراً ما سمعت والذي ﷺ؛ يروي عن الأستاذ الأبر (١)؛ قدّس الله روحه أنه يقول: يجب على الولي سترُ الكرامة؛ ولا يجوز له إظهارها، وأنه رضوان الله عليه؛ كان يستحي إذا نسبت إليه كرامة؛ كما لو نسبت إليه فاحشة؛ حتى أنه ليتمرّ من ذلك وجهه؛ خلاف ما يفعله هؤلاء المدّعون؛ من شرائها وتصيّدتها بكل حيلة.

ثم رأيت ما ذكره من وجوب إخفاء الكرامة موجوداً عند الفقهاء، ومنها فتاوى ابن حجر وغيرها؛ وذلك قضية قول بعضهم: لا فارق بينها وبين المعجزة سوى التحدّي. ومما يستأنس به؛ وإن لم يكن شرع من قبلنا؛ شرعاً لنا؛ قول أصحاب الكهف، الآية: ١٩: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾؛ فإنهم بالغوا في إخفاء الكرامة؛ لانتفاء النبوّة؛ ولو وجدت لوجب عليهم إعلانها.

ولئن قيل: إنما كان ذلك خشية الرجم والصدّ؛ فهي من بابة أخرى؟ قلنا: لا مانع من وجود السببين.

قلت لك: إنني أفضت في مثل هذا ليلة؛ وكان عندنا بعض من يدّعون الولاية؛ أو تُدعى لهم بغير حق؛ ولما عرفوا التقصير من أنفسهم؛ وبأن افتضاحهم عند أولي الرويّة؛ بما نقرره من سيرة النبي ﷺ؛ أصّلوا للعامة أصولاً فاسدة؛ تدور على وجوب التسليم الأعمى لهم في كل ما يفعلون. وتوكؤوا في ذلك على حكايات وهذيان، ولو قدروا أن يمحو آيات النهي عن المنكر؛ وتصارح الصحابة؛ بماء عيونهم؛ لفعلوا؛ وفيما لفقوه من الأحلام؛ ملء رضاهم؛ وحفظ ناموسهم؛ عند صغار النهى؛ وضعفاء العقول.

فساء صاحبنا الفاضل الأديب؛ السيد سقاف بن عبد الله بن عمر السقاف؛

(١) يطلق الإمام ابن عبيد الله في مصنفاته لقب الأستاذ الأبر على شيخه وشيخ والده الإمام عيدروس بن عمر الحبشي (١٢٣٧ - ١٣١٤ هـ) وهو أكثر الشيوخ الذين تأثر بهم الإمام ابن عبيد الله بعد والده وله عند ابن عبيد الله منزلة عظيمة كما كانت له عند والده.

أن يخالف مبدأه الذي شبَّ عليه؛ وأراد أن يرقص للقرد في دولته؛ وأن يتزلف إلى أولئك المدَّعين؛ وأن يصطنع الأيدي اليهم؛ بعد أن كان ضدَّهم؛ فعارضني في بعض القول:

ولم يُلْفِنِي فَهَأْ وَلَمْ يُلْفِ حُجَّتِي مَلْجَلْجَةً تَبْنِي لَهَا مِنْ يُقِيمُهَا

بل فلججت عليه بما كان من سيرة رسول الله ﷺ؛ وابتعاده عن مواضع التهم؛ وقوله لصاحبيه: ((إنها صفة . . .)) وعدم مسه يد امرأة لا يملكها قط؛ وما كان من تناصح السلف؛ ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ من دون استثناء لأحد؛ حتى أن المرأة لتردُّ كلام الخليفة الثاني في وجهه؛ وهو على المنبر، والناس في الأحكام سواء، وهل كان الأولياء أفضل عنده من أصحاب رسول الله؛ وبعضهم ينكر على بعض.

وأكبر من ذلك كله؛ أنه ﷺ؛ أقاد سواد بن غزيرة من نفسه يوم بدر؛ في لكزة لكزه إياها؛ وأقاد عكاشة بن محصن في مثلها قبيل موته؛ وقول الخضر عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ تَصِيرُ عَلَى مَا لَرَّ تُحِطُ بِهِ، خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨]؛ هو من أظهر الأدلة على نصاعتهم؛ وحررتهم؛ وعدم محاباتهم؛ وكون الحق عندهم فوق كل شيء. فلم يتوقَّف صاحبنا؛ لحجة من قرآن؛ ولا من حديث؛ ولا من كلام أحد من العلماء؛ إلا أنه جاء بحكاية وهمية؛ ورؤيا منامية وتمثل بقول سيدنا الحداد:

وسلِّم لأهل الله في كل مُشكِلٍ لَدَيْكَ لَدَيْهِمْ وَاضِحٌ بِالْأَدْلَةِ

وسياتي الكلام عليه. وبعد أيام وافاني بقصيدة؛ أوردتها مورد النصح لي؛ وَجَرَّدَ مِنْ وَهْمِهِ؛ طائفة انحرفت عن الطريق، وخالفت خير فريق، وجَّه إليها قَسِيَّ مَلَامِهِ؛ وصبَّ عليها سوط انتقامه يحضُّني على معاداتهم؛ ويحدِّثني من موالاتهم؛ وكان ذلك بعقب ضجة أحدثتها «نحلة الوطن»^(١) للسيد حسن بن

(١) نحلة الوطن كتيب من حوالي ستين صفحة ألفه السيد حسن بن علوي بن شهاب (١٢٦٨ -

١٣٣٢هـ) وهو شاعر وأديب ولد بحضرموت ثم هاجر إلى سنغفورا لإدارة أموال والده =

علوي بن شهاب؛ فقد اغتاز منها المترسمون بالولاية؛ وأخذوا في التشنيع بمؤلفها ورفاقه؛ شأن المُدَّعى عليه في استعجال الشاهد بالعداوة؛ كي لا تقبل شهادته، ومطلع القصيدة التي عرّفنا بصاحبها؛ وعلمت القصد منها؛ قوله:

دعئك إلى العلياء آثار من سلف ونادتك أخلاق الكرام أولو الشرف
فدونك فاسلك نحو مسلّكهم وخذ بمأخذهم وأهجر طريقته من صدق
وسلم لهم ما جاء عنهم فإنهم أئمة حق ما لهم عنه منصرف
أنشدنيها ليلة؛ ولم يمكّني من نقلها؛ ولا من تأملها؛ فلم تجئ كتابتي عليها مطابقة لها تماماً؛ وهذا ما كتبه بشأنها سابقاً في حدود سنة ١٣٢٧ هـ؛ ودفعت له نسخته؛ وهو:

أنشأ في الأخير أحد الطلبة على أثر المحاورّة المشهورة التي عرف الناس انقطاعه فيها؛ قصيدة أظهر بها التماس التسليم لصالح السلف؛ وأدمج فيها تمهيد الأعدار لِمَا يَنَالُ الخلف؛ ممن يدّعي الولاية؛ أو تدّعى له؛ فأخذتني عند ذلك حدة؛ تليق بمؤمن لا يتهاون بأمر الدين؛ وبيّنت له:

أولاً: أنّ طريقة السادة العلويين الذين لا يعني الطالب غيرهم؛ بقوله السلف؛ بيضاء نقية؛ ليس فيها إيهام؛ ولا إيهام؛ دائرة على محور الكتاب والسنة؛ فأنتى يخطو إليها الخطأ؛ المحتاج إلى التسليم؛ والحال أنها كما قال سيدنا الحداد:

وما في طريق القوم بدءاً ولا انتهاً مخالفة للشرع فاسمغ وأنصت
ثانياً: أن ما يخالف الشريعة ردٌّ واجب الإنكار ممن كان، وهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ؛ يتناصحون ويتصارعون؛ لم تكبح جواد صدقهم شكيمة مداينة

= الواسعة وأسس في المهجر عدداً من الصحف كما كتب في صحيفتي المنار والمؤيد المصريتين وقد حمل في كتابه نحلة الوطن على الأوضاع العلمية في حضرموت ووضع لهم الأسس للإصلاح لكن حملته كانت عنيفة فأغضبت منه جميع العلماء والوجهاء بحضرموت. توفي السيد حسن بتريم.

ولا نفاق؛ حتى أنهم ليعترضون على العظيم الشأن منهم أمام الملائكة؛ وعلى رؤوس الأشهاد. ولم تمنع المرأة ولا الصغير؛ جلالته الكبير؛ أن يزنوا فعله وقوله بميزان الاتباع؛ الذي تطيش به مثاقيل الذرات؛ بل رأيناهم أكثر من ذلك؛ يناقشون المسألة متبوعهم الأعظم ﷺ؛ فيما استبهم عليهم أمره من أفعاله؛ ولا يقابلونها بالتسليم الأعمى الصرف؛ الذي يطلبه صاحبنا لمن هو دونهم بمراحل؛ كما يعرف ذلك من صوب نظره في سيرهم، وهذا رسول الله ﷺ يقول: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

وأكبر منه أن رب العزة جل شأنه يقول في حق أشرف البشر: ﴿وَلَوْ نَقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَكِيمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧]؛ وأمثالها في القرآن كثيرة؛ فما بين الله وبين أحد من خلقه؛ هوادة؛ في استباحة حمى حماه.

نعم إن بني إسرائيل يتغاضون عن سيئات أشرافهم وكبرائهم؛ ولا يقيمون الحد إلا على الوضيع منهم؛ فصب الله اللعنة عليهم من جراء ذلك في قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: ٧٨].

وصاحب القصيدة؛ لا يطالبنا إلا بهذه الرتبة السافلة؛ كأنه لم يعلم؛ أننا لم نكن خير أمة أخرجت للناس؛ إلا بصدق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ والناس في التكاليف سواء؛ وهي لا تسقط عن العاقل بحال؛ وإن بلغ في الولاية الغايات، وجاوز في المراتب النهايات. ومن ادعى بلوغه إلى درجة ارتفع عنه فيها شيء من التكليف؛ فهو الفاجر المغرور؛ الذي صرح العلماء: بأن قتل واحد من أمثاله؛ أفضل من قتل ألف كافر.

أما قول سيدنا الحداد:

وَسَلَّمَ لِأَهْلِ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْكَلٍ لَدَيْكَ لَدَيْهِمْ وَاضِحٌ بِالْأَدْلَةِ

فالجواب عنه من وجوه:

أحدها: أنه لم يطلب التسليم التام؛ ولا السكوت عن الواضح الفساد؛

وإنما نهى عن التسرع بإنكار المشكل؛ قبل تحقق فسادهِ؛ وهو نفس ما قرره الفقهاء في هذا المقام؛ كما في التحفة^(١) وغيرها.

ثانيها: أنه لم يطلب التسليم إلا لأهل الله؛ وهم الأولياء المعلوم حدُّهم من كتب الأصول؛ وأبواب الوقف والوصايا من كتب الفقه؛ بمعنى أنه يجب تحسين الظن بهم؛ إذا صدر عنهم مشكل في عين الناظر؛ وإن لم يتضح له دليله؛ لأنه عندهم واضح، وكله إشارة إلى ما في عبارتهم من المشاكل الجارية على اصطلاحهم؛ فلا يعترض عليهم بمخالفتهم لاصطلاح غيرهم في الألفاظ، فالمراد بالمشكل إذن: ما قد يوهمه ظواهر عباراتهم من نحو الاتحاد والحلول؛ من غير أن يكون مُراداً لهم؛ أو بمعنى: أنه لا يكون الوليُّ وغيره سواء؛ فيما إذا صدرت هفوة عنهم؛ لاحتمال تأويل فعل الأول بخلاف الثاني، وهذا أيضاً له وجه ظاهر من الفقه؛ لا يلزمه عليه التمايز في الأحكام الشرعية؛ وإنما هو بمثابة من رأى شخصاً يأكل في رمضان؛ فإنه يجب زجره ونهيه إذا كان معروفاً بقلة المبالاة بالدين؛ ولا يجب؛ إذا كان معروفاً بقوة الدين لاحتمال عذره بخلاف الأول.

ثالثها: أنه لم يطلب التسليم إلا لمن فني عن الوجود؛ واستغرق في الشهود؛ لارتفاع التكليف حينئذ بزوال الإحساس والشعور؛ وهي حالة شريفة مختلف في انتقاض الطهارة بها؛ والمنقول: عدم النقص. وقيل البيت في قصيدة الحداد ما يتضح به الحال؛ وينتفي به الإشكال؛ إذ قال نفع الله به:

وإن الذي أبدى من القوم ما سبيله الستر مغلوب بحالٍ قويّة
يفارقه التمييز عند ورودها عليه وإن أخطأ فليس بمعنّت

قال في التحفة: فلا أثر لشطح وليّ حال غيبته أو تأويله؛ بما هو مصطلح عليه بينهم؛ وإن جهلُ غيرهم؛ إذ اللفظ المصطلح عليه؛ حقيقة عند أهله؛ فلا يعترض عليهم بمخالفته لاصطلاح غيرهم؛ كما حققه أئمة الكلام وغيرهم، ومن

(١) تحفة المحتاج بشرح المنهاج في الفقه الشافعي للإمام ابن حجر الهيتمي.

ثم زَلَّ كثيرون؛ في التهويل على محققي الصوفية؛ بما هم بريئون منه، ويتردد النظر فيمن تكلم باصطلاحهم المقرر في كتبهم؛ قاصداً له مَع جهله به، والذي ينبغي بل يتعين وجوب منعه منه. بل لو قيل بمنع غير المشتهر بالتصوف الصادق؛ من التكلم بكلماتهم المشككة؛ إلا مع نسبتها إليهم؛ غير معتقد لظواهرها؛ لم يبعد؛ لأنَّ فيه مفاسد لا تخفى، وقولُ ابن عبدالسلام: يُعزَّرُ وليُّ قال: أنا الله؛ ولا ينافي ذلك ولايته؛ لأنه غير معصوم؛ فيه نظر؛ لأنه إن كان غائباً؛ فهو غير مكلف لا يعزَّرُ؛ كما لو أوَّل بمقبول؛ وإلا فهو كافر. ويمكن حمله على ما إذا شككنا في حاله؛ فيعزَّرُ فظماً له؛ ولا يُحكَّم عليه بالكفر لاحتمال عذره؛ ولا بعدم الولاية؛ لأنه غير معصوم، وقولُ القشيري: «من شرط الوليِّ الحفظ؛ كما أن من شرط النبيِّ العصمة؛ فكل من للشرع عليه اعتراض؛ فهو مغرورٌ مخادع». مراده أنه إذا وقع منه مخالف؛ على الندرة؛ بادر للتصُّل منه فوراً؛ لا أنه يستحيل وقوع شيء منه (انتهى).

وكتب ابن قاسم^(١) على قوله: ويمكن حمله على ما إذا شككنا في حاله...؛ أقول: أو على ما إذا علمنا حضوره وتأويله. والتعزيز للفظم عن هذا اللفظ الخطر (انتهى) وهو لا يخالف كلام الحداد.

أما أنا؛ فقد كشفت في قصيدتي الآتية؛ عن غاية ذلك الطالب؛ التي يرمي إليها؛ وهي تمهيد الأعدار لأرباب الدعاوى والرسوم؛ المتاجرين بالولاية من المتأخرين؛ ليس غير، ولا أقول: إنَّ ذلك الطالب قَصَرَ موضوع أبياته على ما ذكر فقط؛ بل زعم أن هناك فرقة؛ استجدَّت مذهباً قبيحاً؛ وخالفت الحقَّ

(١) أحمد بن قاسم الصباغ، شهاب الدين العبادي، فقيه شافعي له عدة مصنفات معتمدة عند المتأخرين، طبع منها: الآيات البينات حاشية على شرح جمع الجوامع في أصول الفقه، وشرحان صغير وكبير على ورفات الجويني، وحاشية على تحفة المحتاج شرح المنهاج لابن حجر في فقه الشافعية، وحاشية على شرح البهجة الكبير لشيخ الإسلام زكريا، وله مما لم يطبع حاشية على شرح المنهج لشيخ الإسلام زكريا.

صريحاً؛ وتكسعت في الجهالة^(١)؛ وتقلبت في الضلالة؛ ولا يعني بها إلا صاحب «نحلة الوطن» ورفاقه؛ ولو كانوا كما وصف؛ لَلزِمَتْهُ الدعوة إلى جهادهم؛ لما افتراه من إلحادهم؛ فمن أَلحد في الدين؛ جرت عليه أحكام المرتدِّين؛ وحاشا لله أن يكونوا كذلك؛ فلا يوجد بقطرنا من تتجه تلك التهم إليه؛ أو تنطبق تلك الأوصاف عليه.

إلا أن هذا الإفراط والتخبيط؛ مُفَضُّ بالطبع إلى إيجاد فرقة تقابله بالتفريط، كما أنه لا يوجد اليوم بيننا من يحاول إطفاء نور السلف؛ ولا من يحطُّ من كرامتهم؛ إلا ذلك الطالب نفسه؛ فإنه ذمَّهم بنية الثناء عليهم؛ كما ستعرفه من قصيدتي؛ وإلا فِرْقَةٌ من الأغبياء الجامدين؛ امتلأت يَأْفِيخُهُمْ^(٢) من الجهل والغروب^(٣) فغَالُوا في الثناء على شيخهم؛ وأخذوا يَفْتَنُونَ في الإغراق لمدحه؛ حتى كادوا أن يتخذوه ربًّا؛ فلا يحلفون إلا به؛ ولا ينادون في المهمات غيره؛ ولا يستغيثون بسواه؛ وجعلوا التغمي بذكره من جملة أورادهم؛ وتزلفوا إلى الطعن بغيره من الأولياء والصالحين؛ لَقَصُرَ فضيلة التفرد عليه؛ وهذا عندنا شائع بأكثر مما وصفت؛ ولكن الدِهَانُ يُعَفِّي آثاره؛ والنفاق يكاتم أخباره، وزعيم هذه الطائفة هو الشيخ محمد باطويح الشحري^(٤)، ويقول بعضهم: إنه أَعقل من اعتقاد الخرافات التي تهذي بها أصحابه؛ غير أنه مستأجرٌ لذلك؛ والله أعلم بحقيقة

(١) تَكَسَّعَتْ في الجهلة: ذهبت فيها.

(٢) يَأْفِيخُهُمْ: جمع يافوخ أي رؤوسهم.

(٣) الغروب: البعد عن الحق والنهج القويم.

(٤) ذكر صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين ابتلاء بعض الأولياء بحضرموت بغلو مريديهم وقال: إن كثيراً منهم تخطوا في معتقداتهم في الأولياء والصالحين الحدود المحمودة إلى الحدود المذمومة رغماً عن هؤلاء الأولياء وكان أبو عمران وهو من أهل القبلة أول الباذرين لهذه البدعة الشنيعة وفي أهل الشحر النحوي أحمد سالم باطويح (انتهى بتلخيص وتصرف بسيط عن تاريخ الشعراء الحضرميين للسيد عبد الله بن محمد السقاف الجزء الرابع صفحة ١٣٦ الناشر مكتبة المعارف بالطائف) قلت: وهو ما فعله بعض غلاة الشيعة مع الإمام علي كرم الله وجهه؛ برغم أنفه.

الحال، وذلك الطالب صاحب القصيدة؛ لا يعنيه؛ بل يصانعهم ويداريهم؛ ويسعى فيما يرضيهم؛ ويتملق لهم؛ ويواليهم؛ ولو أنه عناهم؛ لشدنا أزره؛ وأخذنا بِضَبْعِهِ؛ وانضمنا إلى صوته؛ وقلنا حيَّاه الله وبيَّاه؛ وعلمنا أنه من الذين لا يخافون في الله لومة لائم. وهذه صورة ما كتبه لذلك العهد؛ وهذا نصُّ القصيدة:

أرى الجهل قد مدَّ الرَّواقَ على الخلفِ ولا داءَ مثلُ الجهلِ يُفْضِي إلى التَّلَفِ^(١)
وأعجبُ شيءٍ أنَّهُم في عيونهم كبارٌ وقد باعوا السيادةَ والشرفَ
وأكبرُ من ذَا أنها سوَّكت لهم سفاهتُهم أن يدَّعوا رُتبةَ السلفِ
يريدون بالتمويه سننَ عوارهم وشتانَ ما بين الجواهرِ والخزفِ
مضى أهلنا بالزهد والجدِّ والتقى ورحنا مع الإهمال واللهو والترَفِ
وساروا على نهجِ القناعةِ سيرةَ النُّ جيِّ فبدَّلنا القناعةَ بالسرفِ
بهم كان بدرُ الحقِّ في القطرِ بازغاً ولكنه مذ فاتَ عصرُهُم انخسفَ^(٢)
أنلحقتهم يوماً وهم قد تبوَّؤوا من العزِّ والمجدِ المعاقِلَ والغُرَفِ^(٣)
مُحالاً أرى إدراكَ حتى عُبارهم لقومِ جوادِ المكرِّماتِ بهم وَقَفِ
ففيمِ الدَّعاوى؟ والحقيقةُ وجهُها يلوخُ ويسترُ الرُّورَ للناقِدينِ شَفِ^(٤)
عجبتُ لشخصٍ قامَ فينا مناخِلاً عن السلفِ الماضينِ لكنَّه اغتَسَفِ
فأنشأ يهجوهم بدعوى مديحهم فقُبِّحَ من قولٍ تناكَّرَ واختلَفِ
يُحثُّ على التسليمِ للسادةِ الألى سلوكَهُم عن مَهْيَعِ الرُّشدِ ما انحرفَ^(٥)

(١) مد الرَّواق: بكسر الراء بسط الستر.

(٢) بازغاً: طالماً في الأفق.

(٣) الغرف: المنازل العالية الرفيعة.

(٤) شف: رق وظهر ما وراءه.

(٥) مهيع الرشد: طريقه اليين وجمعه مهايح.

وفي ذاك تصریح بأنّ فعّالهم
 وهل يُطلبُ التسليم إلا لموهم الـ
 وحاشاهم عما يقولُ فليس في
 وما هي إلا الشرع ساروا بهذيه
 وكيف وقد نادوا على كلّ مدّع
 فمن حادّ عن نهج النبي ولو غدا
 إذا طلبَ التسليمَ هذا فإنني
 وانسيف بالحق الجليّ شكوكه
 ولم يقصد المسكين ذباً وإنما
 وإبطال ركن النهي عن كلّ منكرٍ
 فقد مات في أيّامنا الصّدقُ واختفى الـ
 وأذوت رياض الصالحين وإنما

لِطعن أولي الإنكار قد أصبحت هدَف
 فسَادِ نِيا للضمّ والحزن والأسف
 طريقتهم واللّه زَنَعٌ ولا جَنَفٌ^(١)
 وما منهم من عن مَحَجَّتِهِ انصَرَف
 عليه اعتراضٌ للشريعة بالخرف^(٢)
 على الماءِ يمشي فهو في الغيِّ قد رَسَف^(٣)
 أخاصمُ ذا الإنكار فيما به هَتَف^(٤)
 واطهر بالبرهان إبطال ما هَرَف^(٥)
 يحاول تمهيد المعاذير للخلف
 دهاناً لأهل العصر ممن قد اقْتَرَف^(٦)
 صوابٌ وزاد الحمقُ والمينُ والصلَف^(٧)
 غياضُ الدعاوي بيننا ظلّها ورَف^(٨)



(١) جنف: ميل عن الحق.

(٢) الخرف: فساد العقل.

(٣) رسف: مشى مقيداً بقيود الضلال.

(٤) أخاصم ذا الإنكار: أخاصم بالحق صاحب الإنكار له فيما ادعى من الضلال. هتف هتافاً: صاح.

(٥) هرف: هذى.

(٦) دهاناً: نفاقاً. اقترف: اكتسب.

(٧) المين: الكذب. الصلف: الكبر والادعاء.

(٨) أذوت: ذبلت. غياض جمع غيضة وهي الشجر الملتف. ورَف: اتسع وامتمد.

القصيدة الحادية والعشرون

منكم إليكم^(١)

وهذه اللزومية في واقعة حالية؛ يكفي عن تفصيلها ما اندمجت عليه من إجمالها؛ وكانت في سنة ١٣٥٠هـ.

منكم إليكم شكى ما نابَه الشرفُ لَمَّا ازْدَهتكم بما يُسبِي النَّسَا العُرْفُ
بَنِي المَغَايِيرِ مِنْ طَه وَحِيدِرُو جَدُّوا وَشُدُّوا وَلَا يَشْغَلُكُمْ التَّرْفُ^(٢)
فَقَدْ تَعَدَّى عَلَى السُّورِ المَنِيعِ أُولُو الجَّوْرِ الفُظْيَعِ لِلبَيْنِ مِنْكُمْ عَرَفُوا
وَالعِلْمُ وَالْمَالُ وَالعَمَالُ عِنْدَكُمْ وَالْحِظُّ لَوْلَا عَقُولُ مَسَّهَا حَرْفُ^(٣)
فَلَا تُسَرُّوا بِرَيْشِ لَا مَقَرَّ بِهِ أَيُّ افْتِخَارٍ لَكُمْ وَالظُّلْمُ يَجْتَرِفُ؟^(٤)

(١) في هذه القصيدة يستعرض الإمام ابن عبيد الله ما يعاناه العلويون من القبائل والسلطين من اهتزام الحقوق والاستيلاء على أرباح تجارتهم ومشاركتهم في نتاج نخيلهم رغم ما عندهم من المال العلم وما يمكن أن يجندوه من الرجال ويبن لهم أن أسباب ما حصل هو التفرق والاختلاف والتحاسد بين العلويين وقال لهم: إن المال والعلم إذا لم يوفر لهم الحماية والسؤدد فلا خير فيه فهو مثل ريش الطائر إذا لم يساعده على الطيران فلا خير فيه وبين لهم أن لا نهضة حقيقية ستكون بغير الدين كما طلب منهم الاستعانة بالإمام يحيى حميد الدين ليشد عضدهم فيما نزل بهم فهو الوحيد الذي يقوم بخدمة الدين.

(٢) المغاير: الشديلو الغيرة وهي الحمية والأنفة.

(٣) خرف: فساد.

(٤) فلا تسرُّوا: لا تفرحوا. لا مفر به: لا فرار به لضعفه. يجترف: يأخذ بشدة. وقد أعجيني هذا المعنى بعدم السرور بريش لا يمكن الطيران به كناية عن عدم فائدة ما عندهم مما ذكره من المال والعلم إذا لم يفد في تحقيق المنعة والسؤدد.

لولا التفرُّق والأحسادُ ما اجترأَ الـ
هل من سبيلٍ لإدراكِ الذُّحولِ أم انـ
كيفَ القَرارُ على لِبِنِ المِهادِ ومن
لا يَرأُ المِ الذَّلَّ إلا مَنْ مَناسِبُه
فيمَ السكوتِ وأنتم للعدا خولُ؟
إذا اتجرتُم فجلُّ الرِبحِ منتَهَبُ
ولا يغرَّنكُم من بعضِهم ملقُ
ولا نهوضَ بغيرِ الدينِ يمكنكُم
فاسترجِعوا العزَّ أو زولوا كما فعلت
واستنجدوا بالإمامِ الحقِّ ينجِدكُم
وهل سمعتم بِمَلِكٍ في الزمانِ سوى

أعدا عليكم ولا جَارُوا ولا اقترَفُوا^(١)
تَوَلَّى مَشوْمُ افتراقِ جرَّه السَّرَفُ^(٢)
حَرَ الهَضِيمَةِ دمعِ الحُرِّ يَنْذِرُ^(٣)
من العُلَى ما لها أصلٌ ولا طَرَفُ^(٤)
تَيَقَّظُوا فإلَامَ العزمِ مُنصِرَفُ^(٥)
وإن غرستُم فحزبُ البغي يَخترِفُ^(٦)
فالويلُ لو أيسُوا منكم إذا انحرَفُوا
وإن تَشَدَّقَ أقوامٌ وإن هَرَفُوا^(٧)
أبَاءُ صدقٍ لكم حتى العدا اغترَفُوا^(٨)
إذا صدقتُم ومن تياره اغترِفُوا
يحيى بخدمةِ هذا الدينِ يحترفُ^(٩)



- (١) الأحساد: جمع حسد. اعتاد الشاعر هذا الجمع ولو قال هنا الأحقاد كان أولى.
(٢) الذحول: جمع ذحل وهو الثار.
(٣) الهضيمة: الظلم والقهر. يندرف: ينسكب.
(٤) لا يראُ المِ الذَّلَّ: لا يألُفه ولا يحبه. مناسبه: جمع منسب بمعنى النسب أي لا يألُف الذل إلا من لا نسب له في العلى.
(٥) خول: عبيد.
(٦) يخترف: يجتني الثمار.
(٧) هرفوا: من الهرف وهو الهديان.
(٨) لكم: في الأصل لهم.
(٩) يحيى: هو الإمام يحيى حميد الدين رحمته الله.

القصيدة الثانية والعشرون

مقالٌ أتاني

في القصيدة الآتية خبر الجمعية التي أسسناها في حدود سنة ١٣٢٧هـ؛ وذلك أنه لما استشرى الفساد، ورُمي الحق بالكساد، وضرب الجورُ جِرَانَهُ^(١)، وأطلق الظلمُ عِنَانَهُ، وفسدت الأحكام بالرشا، ورُمي للقضاء في الحشى^(٢)، سعينا في تأليف جمعية؛ للحسبة والنظر في المظالم؛ فتألفت تحت إدارتي؛ وكان من مستشاريها السادة شيخ بن محمد الحبشي؛ ومحمد بن حامد بن عمر السقاف؛ وعبد الله بن حسين السقاف؛ وعبد الله بن أحمد السقاف؛ والشيخ محمد بن محمد باكثير؛ والشيخ عبدالقادر بن محمد بارجا.

وأمضى على قانونها الأمراء والتزموا بتنفيذه؛ وبها وَقَفَ الظلم على حدّه، وَجَزَرَ العدوانُ عن مدّه^(٣)؛ وَشَرِقَ البَغْيُ بِصُبابِهِ^(٤)، ورجع الحق إلى نصابه، واستنأم الناسُ في ظلِّ الإنصاف، وترشّفوا زلاله من ينبوع الصاف، وَخُضِدَتْ^(٥) شوكة المعتدين، وخسرت تجارة المفسدين، فافْتَتُوا في السعاية بها إلى الأمير المنصور بن غالب^(٦)

(١) جِرَانَهُ: جِرَانُ البعير مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره.

(٢) الحشى: واحد الأحشاء المعروفة.

(٣) جزر العدوان: انقطع والجزر ضد المد.

(٤) شرق: غص. الصُّباب: جمع صباية بالضم وهي بقية الماء واللبن في الإناء والسقاء.

(٥) خضدت: كسرت.

(٦) خلف السلطان منصور بن غالب والده مؤسس الدولة الكثيرة الثانية السلطان غالب بن محسن الكثيري والذي شارك العلويون في تأسيسها وقد تولى السلطان منصور الحكم في =

وأوجروه^(١) بغضها؛ فعاكسها في كل شيء بعد الموافقة، واتفق انحراف في صحتي؛ وبمجرد تأخري؛ أقفل منزلها وكانت القاضية، فسكتنا على مَضض؛ إلى أن حصل اجتماع عظيم؛ حضره الأمراء وجمهور العلويين بمنزل السيد يوسف بن عبد الله المشهور في سنة ١٣٤٠هـ؛ للمفاوضة في قضية كَبَّرَتها أغراضُ السادة^(٢)، وفي أثناء ذلك؛ انبرى يلومهم الأمير؛ على سكوتهم عن الشريعة وتخاذلهم عن السعي في الإصلاح، فحانت الفرصة التي طالما تحيَّنتُها، وانفتح لي بمصراعيه؛ الباب الذي طالما قرعته، وكنْتُ لسان القوم؛ بالحاح منهم؛ وخاصة من السيد شيخ بن محمد الحبشي^(٣)؛ فقلت للأمير: هذا كله عمل يدك، وجناة غرسك^(٤)، وإلا فقد نظمنا تلك الجمعية؛ التي رجعت بها المياه إلى

= صغره وكان عادلاً خلوقاً يحب العلويين والعلماء وقد توفي بعرفات أثناء الحج سنة ١٣٤٧هـ.

(١) أوجروه: من الوجور وهو وضع الدواء في الفم.
 (٢) ذكر العلامة ابن عبيد الله في كتابه بضائع التابوت أن الشيخ عبد الله باسعيد باسلامه سافر إلى جاوا وعمل بالتجارة وأثرى ثراءً كبيراً وكان جميل الاعتقاد في الجد محسن بن علوي السقاف وقد وصل حضرموت في أثناء العقد الأول من هذا القرن (الثالث عشر) فلم يدع أحداً إلا أهدى إليه ولا مسجداً إلا فرشاه بالسجاد الهندي وأرسل ولديه سعيد وعمر ليتربيا بإشراف الحبيب علي بن محمد الحبشي إلا أن سعيداً تشرب بالمبادئ الإرشادية وكان في حضرموت سنة ١٣٤٠هـ فاتفق أنه اجتمع بالسيد إبراهيم الحبشي في أحد المساجد وكان شاباً مثله وجرى بينهما كلام من جنس ما يجري بين العلويين والإرشاديين فلم يكن من إبراهيم إلا أن لطم سعيد لكمة فاحشة فاستشاط إبراهيم غضباً ورفع الأمر للسلطان وهاج العلويون وماجوا لما بلغهم من القدح في أنسابهم وانتهى الأمر إلى أهل تريم فكانوا أكثر غضباً من أهل سيؤون (انتهى). هذا وقد كان هذا الاجتماع من أجل هذه القضية ومنه ترى عدم اهتمام الإمام ابن عبيد الله بمثل هذه الأمور التي لا يقيم لها أي وزن ولا يعطيها أي اهتمام بينما اعتبرها بقية العلويين من عظامم الأمور.

(٣) العلامة الشيخ ابن محمد الحبشي (١٢٦٥ - ١٣٤٨هـ) وهو أخ الإمام علي بن محمد الحبشي وكان على جانب من اللطافة وخفة الروح له رحلة مشهورة إلى الشام وتركيا ومصر قام بها في سنة ١٣٢٨هـ.

(٤) يتبين لنا هنا جرأة الإمام ابن عبيد الله في الحق وعدم خوفه من الأمراء والسلاطين في =

مجاريتها؛ وانتصر بها المظلوم؛ وأخذ على يد الظالم؛ فما كان منك إلا أن عارضتها حتى انحلت، فقال: ما عارضتها حتى قال بعض الحاضرين بمجلسنا هذا: إن ابن عبيد الله يتصرف بها كيف شاء، وما بقي لأحد معه كلام، فقلت له:

أولاً: لا يكون هذا وقانونها يحظر الكلام بالهوى؛ ويوجب الاعتماد على الراجح من مذهب الشافعي؛ في جميع القضايا؛ فهل جئت بكلام من رأسي؛ أو نقل صحيح من كُرَّاسي؟ فإن كانت الثانية؛ فهي أبلغ الحجج؛ وإن كانت الأولى؛ ولم يعارضوها بالنصوص؛ فقد اعترفوا على أنفسهم بأنهم همج.

وثانياً: أن أعمال الجمعية. دَقَّها وجُلَّها؛ كُثِّرها وقُلَّها؛ مسطَّر في ديوان؛ لو تمَّ لأغنى عن أحسن قواميس الفقه^(١)، وليست كسائر أحكام القضاة؛ التي يدفنونها كما تفعل الهرة بأذاها، وأنا راضٍ بأن تكون العهدة في جميعها عليّ وحدي؛ واغرضها على أي عالم تريد، ولو برفعها إلى مصر أو إلى زيد^(٢).

وثالثاً: لماذا تجعل كلام الواشين قضية مسلّمة؛ وهم لا يتكلمون إلا من وراء الدار، ولا يتنحنون إلا من خلف الجدار؟ وما بحمد الله قد انكشف الغبار، وظهرت الحقيقة للاعتبار؛ وإذ كانوا حاضرين، وأنا أهرّهم للجواب؛ وأتحدّاهم للبحث عن الصواب، فمُرهم يتكلموا ملء أفواههم؛ حتّى يتبيّن الحق من الباطل، ويتميّز الحالي من العاطل، فإنَّ الحقَّ لا يتلّمْ؛ وصاحب الصدق لا يتلعثم.

= مجابتهم بالحقائق ومشافهتهم بأخطائهم وفي محاولته إرشادهم للطرق السوية كما يتبيّن لنا أيضاً محاولة بعض العلويين الكيد للإمام ابن عبيد الله وتحريض الأمراء والسلطين عليه.

(١) ما قام به الإمام ابن عبيد الله في تأصيل الأحكام الفقهية بشكل القانون الحديث هو مثل ما قامت به الحكومة العثمانية في هذا الجانب ولو احتفظ قانون هذه الجمعية الذي وضعه هذا الإمام الذي لم يبلغ أحد في الفقه مبلغه لكان رافداً عظيماً للقضاء الشرعي وبديلاً للقوانين الوضعية التي طبقت في بعض البلاد الإسلامية.

(٢) لأن السلطان يعرف أنه لا يوجد في حضرموت من يماثل ابن عبيد الله في العلم والفقه.

عند ذلك أمرهم السلطان بالكلام، فأرَمَ القوم^(١)، وأظلم عليهم اليوم، وشَخَصَ البصرُ وبرِقَ، واصفَرَّ وجه كل مريبٍ وعَرِقَ، وبيست الشفاه، واكفهرت الجباه، وسكنت الضجّة، وأكبرُ التهم إلى أناسٍ مخصوصين توجّه، ولما تبين الرشد من الغي؛ رجعنا عن النشر إلى الطي، وأدركتني لهم رِقَّة، وأشفتت عليهم من بعض المشقّة^(٢).

ومع هذا كله فلم يرجع عن قولهم السلطان^(٣)؛ لأتباعهم هواه، ومسارعتهم إلى رضاه، والاستعانة عليه بجواسيس الليل، والجلب على خواطره بالرجل والخيل، فقد قدّوا له مصعد النَّفس، وهو بسيط؛ وأصلوا في نفسه؛ أن غلبتني سحر البيان لا بقوة البرهان؛ وما أشبه ذلك^(٤).

(١) قطعوا عن الكلام وعجزوا عنه.

(٢) مع أن الإمام ابن عبيد الله يحمل على معارضيه بشدة إلا أنه إذا رأى ضعفهم وقلة حيلتهم أشفق عليهم وسامحهم ونسي ما كان منهم كما يقول الشاعر:

إذا احترَبْتُ يَوْمًا، فَمَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَمَاضَتْ دُمُوعُهَا

بل قد يتعرض لأذية كبيرة كما فعل معه السيد حسن بن علوي بن شهاب عندما هاجمه في صحيفة الوطن بجاوة وأفضل مشروعه لإصلاح حضرموت ثم زاره ابن شهاب بعد ذلك لمصالحته وابتدأ بقول المتنبي:

ومراد النفوس أصغر من أن نتعادى فيه وأن نتفانى

قال ابن عبيد الله: فأحمدت أخلاقه ولا أنساها له. وحصلت قصص أخرى من مثلها ذكرها الإمام في كتبه وتحولت فيها العداوة إلى صداقة شديدة وهذا مما يدل على سلامة طبع الإمام ونبل أخلاقه وإنما تعتريه أحياناً حدة العلماء خصوصاً إذا اعتقد المخالفة لأمر الدين ويزيد تعقيد الأمور سعي الوشاة وناقلي الأخبار الكاذبة إليه والذين يعرفون حدة طبع الإمام وتسرع في بعض الأحيان دون التثبت والتحقيق.

(٣) أي بخصوص إبطال الجمعية.

(٤) وأنا لا أرضى بهذا وإن قالت ليلي الأخيلية تمدح:

بعيد الثرى لا يبلغ القوم قعره إلا ملد يغلب الحق باطله

وقال أبو الطروق الضبي يمدح واصل بن عطاء:

عليم بإبدال الحروف وقامع لكل خطيب يغلب الحق باطله

لأنه غير الواقع ولأن لا فخر بالغلب إلا إذا توكأ على الصواب.

هذه خلاصة ما جرى بتلطيف؛ لأنني بحمد الله من مبغضي المجازفة والتطفيف، وما يوم حليلة بسر^(١)؛ وإن له لخبر؛ وإن توفرت على كتمه الدواعي؛ لمنتشر، إذ وقع في يوم مشهود، ضرعت فيه من مبغضي الإصلاح الخدود، واتفق أن قمت خطيباً في حفل جنازة السلطان المحسن بن غالب؛ فأنهى إليّ المنصب السيد عمر بن عبد الله الحبشي؛ عن بعض فاسدي الأغراض؛ ومظلمي الأغراض؛ أنه تكلم عليّ بظهر الغيب؛ من حيث سمعه هو ومن حوله؛ فلم يكن مني إلا أن قمت في الدرس العام؛ ليلة السبت؛ ورددت قوله على مسمع منه؛ وتناولته بنحو ما يتناول به الحسن السبط؛ زياداً وأمثاله، وحدث بعد ذلك أن تكلم بعض المغفلين بكلام سخيف؛ في مجلس عام اعترضني به في خطابتي، وكان يسكن في بيت مغصوب، وبلغ من تهوره أن ادعى على بعض الأغبياء أن النبي ﷺ أحاله عليه بخمسائة ريال فرانسه.

وغب الإلحاح؛ طالبه المثري بصك الحوالة، وبعقب الممانعة والمراجعة وقله الحياء؛ نقده المبلغ؛ فأخذتني من كلامه حدة، ورددت قوله بشدة، فبعث لي أحد الطلبة قصيدة يذكر فيها من سيرة السلف، شيئاً مما درجوا عليه من الزهد واجتناب الترف، وأرسل القول على عواهنه؛ مع أنه مستوفى بتفصيله في نظمي؛ وترى كما ترى في هذه القصائد؛ بوعظ بين، وكلام يمتزج خشنه باللين، فهو إنما حفظ من قولنا وأضاعه، وردّ إلينا بعض البضاعة، وكأنه أطلع على ما جرى بيننا وبين السيد سقاف بن عبد الله السقاف من المحاوراة السابقة؛ فأحبت أن يكون له مثلها. وفي قصيدته؛ عرض بلومنا في الإغلاظ لذلك الغبي، والشدة في الدفع؛ وما كانت إلا عن مقام النبي، فحرك منّا القلم بهذه القصيدة الفاضحة؛ والحجة الراجحة؛ وهي من بحر قصيدته؛ وقافيتها وكانت في شوال من سنة ١٣٤٤هـ.

مقال أناني هيّج الهم والأسف ودكّرني مجدّ الجُدود الذي انتسف^(٢)

(١) ما يوم حليلة بسر: مثل يضرب في الذي اشتهر وأصبح معروفاً.

(٢) انتسف: اقتلع من أصله.

وإن شانه الإجمال فالذر سائغٌ
 وواجبُهُ عَوْنِي إذا كان صادقاً
 بتأليفِ حزبٍ لا تُحايبي رجاله
 ولا خيرَ في الأقوال ما لم يكن لها
 ولا يلزمُ الإنسانَ نيلُ العُلَى إذا
 وكلُّ الذي في نظمه قد عَلَنَتْهُ
 متى اجتمعوا في مَخْفَلٍ قمتُ بينهم
 فكم خطبةً حبرَتْها ورسالةً
 بذلتُ لهم نُصْحِي بِلُطْفٍ ورَأْفَةٍ
 وبيَّنتُ وجهَ الحقِّ حتى تركتهُ
 وأعددتُ للإفصاحِ عن كلِّ مُشْكِلي
 ولكنهُ الإديبارُ أفسد رأيتهم
 إلى مُبْغِضِي الإصلاحِ من كلِّ حاسدٍ
 وهل ينفعُ التذكيرُ إلا لمن به
 تولاَهُم الإعراضُ عن قِدَّةِ النَّجَا
 وبالثومِ باعُوا المَنَّ واستبدلوا على

يمهدهُ القصدُ الجميلُ فلا أَنْفُ^(١)
 لإنقاذِ جيلٍ في متائِهه رَسْفُ
 ولا يقبلونَ العضوَ إلا إذا حَلَفُ
 وفاءً بأعمالِ تقوُّمٍ ما انعطفُ
 سعى جُهدهَ فيها وهامَ بها شَغْفُ
 بتفصيله للقومِ لكنَّهُم جِيفُ
 بوعظِ تَشَطُّي عن دَرَارِيهِ الصَّدْفُ^(٢)
 بها سارتِ الأمثالُ والباطلُ انكشَفُ
 وأوجرتهم كاسَ الصوابِ بلا جَلْفُ^(٣)
 يلوجُ كمثلِ الشمسِ ما فيه مختلفُ^(٤)
 شَبَاةُ يراعٍ لا يجارى إذا رَعْفُ^(٥)
 فألقوا بأيديهم إلى باعةِ الشرفِ
 قُصارَى أمانيه افتراقُ من ائتلفُ
 حياةً إذا ذكَّرتَه ثابَ واعترفُ؟
 وأردنهم الأغراضُ في هُوَّةِ التلَفُ^(٦)
 هوى القادةِ الأغمارِ بالجواهرِ الخَرْفُ^(٧)

(١) فلا أنف: فلا كراهة.

(٢) تَشَطُّي: تفرق وتشقق وتطير.

(٣) الوَجور: الدواء يصب في الحلق. بلا جلف: بلا غلاظة وجفاء.

(٤) ما فيه مختلف: اختلاف.

(٥) شَبَاةُ يراع: حد قلم. إذا رَعْف: إذا سال مداده.

(٦) قدة النجا: طريقة النجاة. الهوة: الوهدة النامضة من الأرض.

(٧) وبالثوم: يريد أنه كاليهود اشتروا خبيثاً بطيب. الأغمار: جمع غُمُر وهو الجاهل الغر الذي

لم يجرب الأمور.

فكف من بروج شدتها في صلاحهم
ولا غرو فالباني وحيد وهادمو ال
تبيّن؛ فكف جمعيّة قد عقدتها
وقام بها الإنصاف والعدل ظلّه
وخيّط بها المفتوق وارتأب الثأي
وأوجس منها خيفة كلّ باسط
وديوانها لي شاهد وأنا الذي
وما استاء إلا الخائون لأنهم
وما برخوا عند الأمير بكيدهم
فعرقل مسعاها ومد تمكّنت
ولكنني قررته في حضورهم
فيا لك من يوم به الحق جهرة
وما زلت مذ يبط براسي عمايتي
وخالف ما كانت عليه شيوخنا
وهل ذب عن أسلافنا وطريقهم
ألم تر أنّي قمث لله ضده
وضحيث في تأييده بمصالحه
فعوضني عنها الكريم بجوده
وسل إن جهلت الناس عما ذكرته

ففضّضها سيل الفساد الذي جرف
مباني كثير من أولي البغي والصلف
بها كل ذي غي على حده وقف^(١)
على كل مظلوم ومنكسر ورف^(٢)
وعاد إلى النهج السوي من انصرف^(٣)
على مال وقف كلما أتمر اختطف
تحملت وحدي عمرها سائر الكلف
بها حرّموا من ظلمهم كل مرتشف
يشون بها حتى تنكر وأنحرف
وشاياتهم من عقله جار واعتسف
بهذا والجمت الذي نم واقترف
بمنزل مشهور من الباطل انتصف
بلاء على من سن في قطننا الترف
علانية فالحق من فعله انكسف
سواي وما أدراك من خالف السلف؟
وأصحت في نصر الهدى للأذى هدف
وقد حاولوني بالهدايا وبالطرف
حلالاً بمقدار الكفاية يفتطف
ولن تخل مهما كان أمرك من طرف^(٤)

(٢) ورف الظل: امتد وطال.

(١) تبيّن: أمر بالتبين والنظر.

(٣) ارتأب الثأي: صلح الفساد.

(٤) لن تخل: جزم الفعل بلن فحذف حرف العلة وهو جائز كما نص عليه.

ولو أنني أغضي كغيري على القدي
 ولو كنتُ من أهل التملُّق والرِّيا
 ولو كنتُ من أهل الخرافات والرؤى
 أبث لي إعطاء الدنيَّة همَّةً
 وأمَّ حصانٍ ما تُزنُ بريبةً
 فما أنا ذا حربُ المضلِّين صاغة الـ
 وما زلتُ غيظ الخائنين فدعوتي
 وقُزتُ على الحزبين من غيرِ قوَّة
 ولستُ بوانٍ عن مجاهدتي ولو
 لذرتُ لي الأموال وانثالت الثُحف
 لقاريني السلطانُ واشتدَّ بي كلف
 لرأيتُ فنائي بالمُداجين مكتنف
 متى اندفعتُ في حليَّةِ المجدِ لم تُكف^(١)
 وشيخٌ عن الدنيا وسفسافها عَزَف^(٢)
 أباطيلٍ من ربحِ الغرور بهم عَصَف
 علائبُهُم منها تزلزلن والعُرف
 وهذا بحمدِ الله من أغربِ الصُدَف
 على جدتي حتى أرى الباطلَ انقَصَف

(١) الحلبة: خيل تجمع للسباق من كل أوب للنصرة. لم تكف: لم تمنع.

(٢) حصان: عفيفة. ما تزن بريبة: ما تهتم بسوء سفسافها: رديتها وحقيرها. عَزَف: زهد فيه وانصرف عنه. والإمام ابن عبيد الله يشير هنا إلى أمه وأبيه؛ أما أبوه فهو الإمام العابد الزاهد عبيد الله بن محسن السقاف (١٢٦٢هـ - ١٣٢٤هـ) قال عنه ابن عبيد الله: كان آية في عزة النفس والصدع بالحق والشدة فيه والغيرة عليه إلى بسطة كف ورحمة وشفقة وسلامة صدر وورع حاجز واحتياط تام وقناعة بما يجد من حرثه. وقال ابن عبيد الله: وطيلة حياتي معه لم أسمع منه لغواً قط وكان أعيان زمانه يعرفون ذلك عنه وكانت ترتعد عنده فرائص الملوك لما يرون عليه من عزة الإيمان وشرف العلم وصوله الحق وسلطان الصدق وقوة اليقين فيأمرهم وينهاهم ولا يؤملون أن يقبل منهم شيء (عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صنعاء صفحة ٣٧٣). أما والدته فهي الشريفة نور الجفري وهي شقيقة لزوجة الإمام علي بن محمد الحبشي (١٢٥٩ - ١٣٣٣هـ) ولذا كان الإمام ابن عبيد الله دائم الزيارة للإمام الحبشي ومن خواصه قال ابن عبيد الله: مع حبي له وميل طبيعي إليه وشعوري بالأنس في مجالسه مما يوجه إلي من الخطاب ويساجلني فيه من نواذر الأدب وإشعاره لأنه كان رقيق الطبع سليم الذوق يطرب لبدايع الأشعار ويتزيدني منها؛ وكنت أجد في مجلسه من ضوال شبان الأدب؛ وعشاق الممازح والفكاهات؛ ما لا أجد عند والدي ولا عند غيره (عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف معجم بلاد حضرموت مطبعة الإرشاد صفحة ٣٨٤).

وليسَ منَ الإسرافِ مَيْلي عليهمُ وما قلتُ إلا ما تقومُ بصدقه العُد
 وإن كان للتيسيرِ والرفقِ موضعٌ لكلِّ مقامٍ حكمُهُ فانتيبه له
 وميِّزُ وقِفْ عندَ الحدودِ ولا تكنُ فمن لم يَزِنْ بِالْعِلْمِ أقواله عدا
 ولا يستوي قدرأُ عليمٌ وجاهلٌ ولا تَقْفُ ما لا علمَ عندك راسخٌ
 وفي كُتُبِ التعديلِ والجرحِ مَقْنَعٌ وفعلُ رسولِ الله أبلغُ حجَّةٍ
 وهذا أميرُ المؤمنين كما أتى وقد جاء في بعض الروايات ذكرُهُ
 وذلك برهاني الذي لم أزل به وكم من حكيمٍ قد حكمتُ بهديهم
 وسيرةُ أصحابِ الكِساءِ العصمةُ التي فأوصيك إن شئتَ النجاةُ بهديهم
 بحقٍّ ولكنَّ الدهانَ هو السَّرَفُ ولُ فلا لومٌ عليَّ ولا وكفٌ^(١)
 فللعنفِ أيضاً موضعٌ عند من عرفَ ولا تُطْلِقِ الأحكامَ فالنقدُ مؤتَنفٌ^(٢)
 كخابطِ ليلٍ واحذرِ الزينغِ والجَنَفِ^(٣) كمن يجمعُ التَّطْفِيفَ في الكيلِ والحَشَفِ
 ولا ذو الحجا ميْرانهُ مثلُ ذي الحَرْفِ^(٤) به وأتبعَ مَنْ مِنْ منابِعِهِ اغْتَرَفَ
 فراجعُ تجدُها سامحتُ فيه من قَذَفَ وفي نونٍ؛ ذمُّ للوليدِ بما اتَّصف^(٥)
 على مَنْ تعدَّى طوره لعنه وكفٌ^(٦) زنا أم عمرو وهو في جامع النَجَفِ
 أَرْدُ على من أخطأ الحقَّ أو هَرَفَ^(٧) وكم من عليمٍ ريقُهُ بالدليلِ جَفِ
 يفوزُ الألى بأؤونَ منها إلى كَنَفِ تمسِّكُ به في كلِّ حالٍ ولا تَحْفِ

(١) لا وكف: لا عيب ولا نقص.

(٢) مؤتنف: يريد مستأنفاً متجدداً.

(٣) الجنف: الميل عن الحق.

(٤) الخرف: فساد العقل.

(٥) نون: يريد سورة ن والقلم: والوليد هو ابن المغيرة المخزومي وقد نزلت في وصفه بأوصاف ذميمة بضع آيات فيها.

(٦) أي تتابع لعنه على من تعدى طوره.

(٧) هرف: هدى.

وفكَّرَ وَقَفَ عِنْدَ الْحَقِيقَةِ وَالتَّمِيسِ
 وَضَحَّ بِوَدِّ الْأَغْصِيَاءِ فَإِنَّهُمْ
 وَمَنْ ظَنَّ إِقْبَالَ الطَّعَامِ عَلَى امْرِئٍ
 فَإِنَّ لَمْ تَصَانِعْهُمْ وَلَمْ تَحْتَفِلْ بِهِمْ
 وَلَا يَمْدَمَ الشُّبَّانُ مِنْكَ دِعَابَةً
 وَأَوْلَى مُهِمٌّ أَنْ يَصُونُوا وَجوهَهُمْ
 فَإِنَّ بَقِي الْأَشْرَافِ عَنْهَا بِمَعزِلٍ
 وَأَقْصَى الْمُتَى تَأْلِيْفُ حَزْبٍ كَمَا مَضَى
 فَإِنَّا عَلَى خَوْفٍ مِنَ الْفِتْنَةِ الَّتِي
 غَزَا الدِّينَ شَرُّ الْغَرْبِ فِي كُلِّ نَقْطَةٍ
 فَإِنَّ بَقِيَتْ لِلْخَيْرِ فَيَكُمُ بَقِيَّةٌ
 وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا النَّبِيُّ وَصَهْرُهُ
 بِحَرَمَتِهِمْ نَسْتَدْفَعُ الْبُوسَ إِنَّهُ
 مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى عَلَيْهِمْ تَحِيَّةٌ

لدى اللّٰه لا عند الدجاجلة الزّلف^(١)
 لهم بأولي التمويه والافترا شغف
 دليلاً على الوُدّ الإلهي فقد قرّف^(٢)
 ولأ فداو النفس إن بها دلف^(٣)
 عسى أن يفيد النضح ناشئة الخلف
 بأن يستعينوا بالصنائع والجرف
 فقد شقيبت حتى الأجنّة والنظف
 يُصانُ به الباقي لدينا من التتف^(٤)
 أذاها على رغم الأنوف لكم دلف^(٥)
 وكيف بكم يوماً إذا جيشه زحف^(٦)
 فهبوا وإلا فالدمار بكم هتف
 وسيبطاه والزهرا إذا جنت السدف^(٧)
 متى سئل الباري بحرمتهم لطف
 مضاعفة ما بارق في الظلام رّف^(٨)

(١) الدجاجلة: الكذابون الموهون. الزلف: المنزلة والقربة.

(٢) الطعام: أوغاد الناس - قرف: كذب.

(٣) الدنف: المرض وجواب الشرط الأول محذوف لدلالة المقام عليه.

(٤) التتف: جمع نطفة وهي ما تنتفه بأصبعك من النبات وغيره.

(٥) دلف: مشى إليكم مشياً فوق الدبيب.

(٦) كأنما الإمام يستشف مستقبل العرب والمسلمين من خلال غشاء رقيق لأن ما ذكره هنا قبل

سبعين سنة حصل في هذه السنين الأخيرة.

(٧) السدف: ظلمات الليل.

(٨) رّف: تلاًلاً.

وما رَقَصَتْ حمراً المطايا لِسُوجِهِمْ وما جَفُنْ مُشْتاقٍ إلى قَرَبِهِمْ ذَرَفٌ^(١)
وما نَاحَ غَرَبِي الضَّرِيحِ شَجٍّ وما شكى أو بكى أو قامَ يَدْعُو أو اعتكفُ^(٢)

* * *

(١) ذَرَفٌ: سال دمه.

(٢) نَاحٌ: بكى. شَجٌّ: حزين.

القصيدة الثالثة والعشرون

رَقَّتْ

وقلت هذه في سنة ١٣٣٤هـ؛ وأرسلتها للسيد حسين بن حامد المحضار^(١).
 رَقَّتْ لمجرى الدمع من آماقي وتوجعت لفؤادي الخُفَّاقِ^(٢)
 وتاملت في لوعتي وتأوّهي فتوهمت أني من العُشَّاقِ
 وتفرست أن الذي قد حلّ بي من فرقة الأحاب والأشواقِ
 ما أخطأت في حدسها مرّحى لها أنا شيق لمكارم الأخلاقِ^(٣)
 ما زلت أبحث كي أرى أثراً لها غير الذي نتلوهُ في الأوراقِ^(٤)
 فتشت في العلماء والأمرء والوزراء وأهل الجدّ والإملاقِ^(٥)

(١) الزعيم حسين بن حامد المحضار سياسي داهية تولى مقاليد الأمور في السلطنة القعيطية وفوض له سلاطينها جميع أمورها لانشغالهم بأموالهم في الهند وإقامتهم فيها معظم الوقت؛ وقد مد الزعيم المحضار رقعة الدولة القعيطية بالسياسة والدهاء والجاه وأحياناً بالحروب وكان ذا حكمة وعزيمة ودهاء كما كان على جانب كبير من الخلق والدين والورع وله أشعار جميلة ونوادير عجيبة وتوفي سنة ١٣٤٥هـ. وكانت بين الزعيم المحضار والإمام ابن عبيد الله كثير من الممازحات التي أوردت طائفة في كتاب والدي محسن بن علوي السقاف المسمى ذكرياتي ومختاراتي. وذكر الإمام أن الزعيم حسين بن حامد أرسل القصيدة إلى معانديه بسيؤون ليتسلى بإثارة الخصام بينهم. وليشغل رجال الدولة الكثيرة عن تحركاته في سبيل توسيع رقعة الدولة القعيطية المنافسة لها.

(٢) آماقي: جمع مآق وهو مقدم العين أو مؤخرتها.

(٣) مرّحى لها: كلمة تقال عند إصابة المرمي.

(٤) في الأصل: لي أثراً وهو تحريف ونقص.

(٥) الجد: الإملاق: الفقر.

ما إن وجدْتُ وجودَها في واحدٍ من هؤلاء فعدتُ بالإخفاقِ
 وبقيت في تعبٍ وهمٍ ناصبٍ بين الرجا واليأس ضاقِ خناقِي^(١)
 أمضتُ مع السلفِ الفضائلُ كُلُّها أم في الزوايا اليومَ شيءٌ باقي؟
 أين الفتوةُ والمروءةُ؟ أينها؟ أين الوفا بالعهدِ والميثاقِ؟
 أين الفضيلةُ هل لها من حاملٍ نسعى لرؤيته على الأحداقِ^(٢)
 كسدتُ بضاعتُها وباءَ تجارتُها بالنقص والخسرانِ في الأسواقِ^(٣)
 ما في المكارمِ راغبٌ كلاً ولا للصدقِ والإنصافِ سوقٌ نفاقِ^(٤)
 يا ربَّ شخصٍ ذي جمالٍ موني من تحت برّته مثالُ نفاقِ^(٥)
 ورئيسٍ قومٍ للصلاحِ مُرشِّحِ أبداً يفكرُ في اختلاقي شقاقِ^(٦)
 ومقصرٍ من حظوه ذي سُبْحَةٍ يمشي بتؤادٍ مع الإطراقِ^(٧)
 ما همُّه إلا اختراعُ مكائِدِ يُغوي بهنَّ الجامدينَ دقاقِ^(٨)
 هذا لعمرُكُمُ الشقاءُ بعينه هذا مثيرُ الوجدِ والإخراقِ
 يا للعشيرةِ هل لنا من هذه الفؤ تنّ التي نزلت بنا من وَاقي؟
 عللُ تحكّمِ ضرّها وفسادُها هل من طبيبٍ متقنٍ أو راقِي؟
 متوسلينَ بحبِّ خيرٍ وسيلَةٍ وأجلُّ واسطةٍ على الإطلاقِ
 طه وفاطمةُ البتولُ وزوجُها

(١) هم ناصب: منصب متعب.

(٢) الأحداق: جمع حدقة وهي سواد العين.

(٣) كسدت: بارت. تجارها: جمع تاجر.

(٤) نفاق: رواج.

(٥) ونق: يعجبك حسنه وأصله مؤنق. البزة: الثياب.

(٦) شقاق: خصام. ويقصد هنا الزعيم حسين بن حامد المحضار.

(٧) بتؤاد: في الأصل بتوءدة وهو لا يستقيم به الوزن.

(٨) دقات: غامضات جمع دقيق بمعنى غامض.

فَهُمْ إِذَا اشْتَدَّ الْبَلَاءُ وَسِيلَتِي
 أَدْعُو بِهِمْ وَلذَكَرَهُمْ فِي خَاطِرِي
 أَنْ يَكْشِفَ الْمَوْلَى الْبَلَاءَ وَيُزِيلَهُ
 وَيَحْرِّرَ الْأَرْوَاحَ مِنْ رِقِّ الْهَوَى
 وَيُثَقِّفَ الْأَخْلَاقَ كَيْمَا يُجْتَلَى
 وَتَعُودَ لِلشَّرَفِ الْأَثِيلِ حَيَاتُهُ
 وَيُرَدَّ كَيْدُ الْحَاسِدِينَ وَمَكْرُهُمْ
 وَيَزُولَ ظَلْمُ الظَّالِمِينَ وَجُورُهُمْ
 وَعَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ أَزْكَى الصَّلَاةِ
 مَا أَطْرَبَ الْغَصْنَ الْحَمَامُ وَأَضْحَكَ الـ

وَهُمْ إِذَا أَعْيَا الدَّوَا تَزِيَا قِي
 أَثْرُ بِمَحْوِ الْخَوْفِ وَالْإِشْفَاقِ
 وَيُدْبِلُ هَذَا الْأَسْرَ بِالْإِعْتِاقِ^(١)
 وَيَحُلُّ عَنْهَا عَقْدَ كُلِّ وَثَاقٍ^(٢)
 بِدَرْ الْهَدَى مِنْ بَعْدِ طَوْلِ مَحَاقٍ^(٣)
 وَيُلَمُّ شَمْلُ الْعَرِّ بَعْدَ فِرَاقٍ^(٤)
 وَتُغْلُّ أَيْدِيهِمْ إِلَى الْأَعْنَاقِ
 وَتُضَاعَفُ الْبَرَكَاتُ فِي الْأَرْزَاقِ
 وَأَشْرَفُ التَّسْلِيمِ بِاسْتِحْقَاقِ
 رَوْضِ الْغَمَامِ بِدَمْعِهِ الدَّفَاقِ



(١) يدبيل: يغير ويدبل.

(٢) وثاق: قيد يوثق به.

(٣) محاق: استسراء القمر فلا يرى.

(٤) الأثيل: الأصيل.

القصيدة الرابعة والعشرون^(١)

لا يرأَمُ العَجَزَ

لا يرأَمُ العَجَزَ إِلَّا غيرُ مُشْتاقٍ ولا يَنالُ المعالي غيرُ سَبَّاقٍ^(٢)
 والعزمُ والحزمُ معراجُ النجاحِ فما على امرئٍ جدُّ عزمًا خوفٌ إخْفاقٍ
 ولَنْ يرومَ العُلَى إِلَّا أخو كَرَمٍ واللَّومُ علتهُ أَعْيَتِ على الراقي^(٣)
 وَلَا يسوقُ لنيلِ المَكْرَمَاتِ وَلَا للسُّؤْدُدِ الضخْمِ إِلَّا طيبُ أَعْرَاقٍ^(٤)
 وَأنت يا ابني لِجِذْمِ طابَ مَغْرِسُهُ يُسْقَى بماءٍ من العرفانِ دَفَاقٍ^(٥)
 أرومةٌ لو تجلَّى نورُ عنصِرها في جُنجِ داجيةٍ هَمَّتْ بإشراقٍ^(٦)
 ونسبةٌ كالنجومِ الزُّهرِ منقطعٌ عنها النظرِ يدُ المولى بإطلاقٍ^(٧)
 مفاخرٌ جمعت شتَّ الكمالِ إلى خيرِ الورى زَلَّ عن مَرَقَاتِها الراقي
 فانهضْ لتقريبِ أقصاها فإني مِن خوفِ انقطاعِك عنها فِضْنِ آمَاقِي

(١) كان إنشاء هذه القصيدة في سنة ١٣٥١هـ وأظنه يوجه فيها النصائح لابنه حسن وهي نصائح مفيدة لكل الشباب

(٢) لا يرأَمُ العَجَزُ: لا يحبه ويألفه.

(٣) اللوم: اللوم ضد الكرم.

(٤) أعراق: أصول.

(٥) لجذم: أصل. مغرسه: منبته. دفاق: عظيم الدفق والاندفاع لكثيرته.

(٦) أرومة: أصل. داجية: ليلة مظلمة.

(٧) نسبة: قرابة. بإطلاق: متعلق بمنقطع. يد المولى: أي هي يد المولى ونعمته علينا والجملة معترضة.

وشمّر الذيل في تحصيل غايتها
واعص الهوى في العلى واحذر عوائقه
واستعمل الصدق إن الصدق غايته
واضبر قلباً على شرى الجهاد ففي
وثق بمولاك واقطع عن سواه وإن
واخذ من الناس إني بعد خبرتهم
والعلم أشرف ما ازدان الرجال به
مات الملوك وأهل المال قد درسوا

فأنت للفوز إن صحّ الهوى لاقبي
لا تنخدع بسرابٍ منه برّاق
نبيل الأمانى وفي التجرب تضدّاقى
أعقابه الأري ممزوجاً بدزباق^(١)
والى رجاءك في يسرٍ وإملاق^(٢)
لم ألهم غير ختالٍ ومرّاق^(٣)
إن كلّوه بأدابٍ وأخلاق
والعلم أصحابه تذكّارهم باقى



(١) شرى الجهاد: مرّه والشرى الحنظل. الأري: العسل. الدرّياق: الترياق وهو دواء نافع.

(٢) إملاق: فقر.

(٣) ختال: كثير الختل والخداع. مرّاق: كثير المروق والخروج من غير المدخل.

القصيدة الخامسة والعشرون

الرد على الأبيات المشؤومة (١)

ورأيت في بعض المجلات سنة ١٣٥٤هـ؛ أبياتاً يعطف صاحبها على بغيّ؛
ويعتذرُ لفحشها؛ ويعترض على توعدها بالجزاء؛ وقد علّق عليها صاحب المجلة
بالاستحسان. والباقي بذكرى من تلك الأبيات المشؤومة؛ هذه الأربعة؛ بلفظها
أو بمعناها؛ إن أخطأت بعض اللفظ^(٢).

وَقَفْتُ بِالْبَابِ فِي ثَوْبٍ رَقِيْقٍ تَفْتَحُ الْبَابَ لِقَطَّاعِ الطَّرِيْقِ
جَعَلْتُ مِنْهَا اللَّيَالِي سِلْعَةً مَا اللَّيَالِي غَيْرُ تَنْوِيرِ الْحَرِيْقِ

(١) استعملت هذه القصيدة للرد على النقاد المعاصرين الذين نظروا إلى شعر وأدب وعلم الإمام ابن عبيد الله بسطحية شديدة حتى إنهم اعتقدوا أن قصيدة ابن عبيد الله التي مطلعها:
لهفي لغانية تصيح وما لها من ناصر حتى برد جواب
إنه يقف فيها للدفاع عن الغواني والبغايا مما أصابهن من ظلم المجتمع ولم يعرف أن الإمام إنما كتى بالغانية في تلك القصيدة عن الشريعة الإسلامية التي أهملها أهلها وقد ظهرت هذه الكناية واضحة في آخر القصيدة بما يشي بأصحاب هذا الرأي بل إن الواقع على العكس من ذلك كما يتبين من هذه القصيدة التي استعملتها للرد على هؤلاء النقاد المعاصرين. ومن القصيدة يتوضح لنا انزعاج الإمام الشديد بهذه الكتابات التي أفسدت الصحف بعد أن كانت مناراً للعلم والمعرفة وهو يشير إلى أمثال مجلة المنار ومجلة المؤيد ومجلة الأزهر والتي سبق وأن كتب فيها؛ وأنساءل كيف لو كان الإمام بيننا اليوم؛ كيف يكون رده على ما يأتي من أمثال هذه الكتابات في الصحف والمجلات وما يأتي في الأفلام والمسلسلات مما لا يقارن بشيء من الماضي ومع ذلك لا يوجد له منتقدون ولا معارضون.

(٢) هذه الأبيات من قصيدة للشاعر والروائي المصري صالح جودت (١٣٣١ - ١٣٩٦هـ).

يا إلهي كيف أعددت لها بعد دنياها عذاباً هل تُطبق
أشقي الدهر بشقي بعده وهو بالرحمة في الأخرى حقيق
فأخذتني من ذلك حدة تليق بمومن وقلت بديها:

وَضَحَّ الحَقُّ وَلَمْ يَخْفَ الطَّرِيقُ غير أن الذنب للعقل الرقيق^(١)
عَمَّتِ الفُوضَى وَمِنْ مَقْبُوحِهَا شاعرٌ جافٍ به الإثمُ يحيق^(٢)
نَازَعَ الجِبَارَ فِي تَهْدِيدِهِ للبغايا زاعماً أن لا يليق
قَفَّ رَأْسِي وَتَلَطَّى خَاطِرِي والفضاء الرحبُ أضحى بي يضيّق^(٣)
وَمَحَالٌّ عَذْرٌ مِنْ يَبْقَى لَهُ مع هذا الغشُّ والإلحادِ ريق^(٤)
أَيُّ شَرٍّ وَبِئْسَ نَازِلٍ بعبادِ الله من هذا الفريقِ
قَدْ تَعَدَّى طُورَهُ مِنْ جَهْلِهِ فهو في الإسرافِ والبغيِ عريق^(٥)
نَاةً عَنِ فَهْمِ المَعَانِي سَالِكاً من مَوَامِي الكفرِ في وادٍ سحيق^(٥)
حَاوَلَ الطَّفْرَةَ عَنِ أَحْمُوقَةٍ أنزلته هُوَّةُ الخِزْيِ العميقِ
ظَنَّ أَنَّ الحَقَّ مَا يَهْذِي بِهِ دون ميثاقِ من العلمِ وثيقِ
إِنَّمَا الفِرْقَانُ نُورُ العِلْمِ مِنْ دونه لا ينفَعُ القولُ الدَّلِيلِ^(٦)
قَلْ لِهَمِّ لَوْ صَحَّ مَا قَلْتُمْ لَمَّا كان عاصٍ بمجازاةِ خَلِيلِ
حَيْثُ مَا مِنْ مُجْرِمٍ إِلَّا لَهُ وهو في الغيِّ أنينٌ وشهيقِ
مَا صَفَا عَيْشٌ لِفَتَّاكِ وَإِنْ كان في قصرٍ وبستانٍ وريق^(٧)

(١) الرقيق: الذي استعبده الشهوات. (٢) يحيق وينزل.

(٣) قف رأسي: قام شعري من الفزع. تلظى: احترق.

(٤) ريق: لعاب.

(٥) موامي الكفر: فلوته جمع مومة وهي الفلاة.

(٦) الدليلق: الحديد.

(٧) ريق: قوة.

لكن المؤمن بالله إذا أخلص الإيمان بالسعد حقيق
 لا يرى مس الأذى من بعد ما يبذل المجهود إلا كالرحيق^(١)
 فطليق الدين في قيد الشقا وأسير الدين مرتاح طليق
 هو في الأولى وفيما بعدها رابط الجاش وفي عيش أنيق^(٢)
 إنما التكليف الطاف أتت لبني الإنسان من رب شفيع
 عنده سبحانه في طيها حكمة تعلقو على الفهم الدقيق
 والذي يظهر منها سؤقهم لسبيل الفوز بالسوق الرفيق
 وسعت رحمته سائرهم ومن الرحمة إعداد الحريق^(٣)
 لو تساوى الناس في العقبى لما كان وجه العدل وصاح البريق
 ما يضر العدل وهو السر في الك مون جاف من قضاياه حنيق^(٤)
 لم لا يقهر مرزة نفسه؟ إنما النفس عدو لا صديق
 كل إنسان رقيق للهوى ومتى خالفه فهو العتيق
 وبماذا يستحق العفو من يتمادى وهو للتوب مطيق؟
 إنما شأنكم الدعوى وما عندكم غير التمني والنعيق^(٥)
 تدعون الشاؤ في الفضل وما عندكم علم من الصنو الشقيق^(٦)

(١) الرقيق: صفة الخمر.

(٢) أنيق: حسن معجب.

(٣) أي نار جهنم

(٤) حنيق: كثير الحنق والغيط.

(٥) النعيق: التصويت.

(٦) الصنو الشقيق: قال المؤلف بالهامش. المراد: الروح؛ فإن الحكماء؛ فضلاً عن دونهم؛ ماتوا بحسرة عن اكتناها حتى لقد اختلفوا فيها؛ لبعدهم عن إدراك الحقيقة؛ إلى ألف قول

- وعلى الغيب تَسَوَّرْتُمْ ولم
 ما نهتكم نُهْيَةً عن بَغْيِكُمْ
 نَشْوَةٌ من بِلَّةٍ تُهْتَمُّ بها
 ومَلَأْتُمْ صُحُفَ السُّوءِ وما
 فِيكُمْ هَانَتْ وما عَهْدِي بها
 يَشْتَكِي الجُورَ وَيُرْغِي حَزْبَكُمْ
- تعرفوا ماهية الجار اللصيق^(١)
 قَبَّحَ الرَّحْمَنُ ذَا الوَجْهَ الصَّفِيْقُ^(٢)
 فِي المَحَارَاتِ فَهَلَّا مُسْتَفِيْقُ^(٣)
 جِئْتُمْ إِلَّا بِلِنُوٍ وَنَقِيْقُ^(٤)
 قَبْلُ إِلَّا جُوْنَةُ المَسْكَ الفَتِيْقِ^(٥)
 وَهُوَ فِي الجُورِ وَفِي الجَهْلِ غَرِيْقُ^(٦)



- (١) الجار اللصيق قال المؤلف بالهامش. المراد النار فإن الحكماء لا يزالون فيها بحيرة إذ لم يقطعوا بأنها جسم أو عرض وبسيطة أو مركب اهـ.
- (٢) نهية: أس لما به النهي عن الشيء. ذا الوجه: هذا الوجه.
- (٣) البلة. بالكسر التدوؤة. وبالضم ابتلاء الرُّطْب. المحار: باطن الأذن يريد أنهم انتشوا من أحقر شيء وتاهوا فيما لايتاه فيه.
- (٤) نقيق: صوت الضفادع.
- (٥) جونة المسك: سُلَيْلَةٌ مَغْشَاةٌ أَدْمَا تَكُونُ مَعَ العَطَارِيْن. الفتيق: قوي الرائحة من قولهم: سيف فتيق إذا كان حاداً.
- (٦) يرغي: يبكي ويصوت.

القصيدة السادسة والعشرون

المنشورُ الإصلاحُ الخطيرُ

وهذه هي النشرة التي سلفت الإشارة إليها في حرف الراء من هذا الباب من «فليمبغ» في ربيع الأول من سنة ١٣٣٠هـ:

﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِيُونَ﴾ [الصفافات: ١٧٣]؛ بما ركب الله بين جنبيّ من القلب الذي يتأججُ غيرةً لما حلَّ بوطننا من التأخر، ويتدفقُ حماساً لما مُنينا به من الجمود والتقهقر؛ لم أزل أهتف وأقول، وأقصر وأطول، وأدعو إلى التقدّم بكل لسان، وأحث عليه في كل مكان، وأحارب أعدائي بكل سيف وسنان، وقد لقيت في عملي هذا؛ ما يلقاه الحق من الباطل، نُبِزْتُ بالعيوب، واختلقت لي الذنوب، وما عليّ من ذلك ما دامت الصحيفة نقيّة، والساحة بريّة، غير أنني؛ ربما اختنق عزيمتي بعض الأحيان؛ اليأسُ والملل، وقبض بقوف^(١) رقة همّتي العجزُ والكسل، لأنني أنهض ولا نصير، وأهمُّ بالطيران والجناح كسير، كلما بنيت قصراً؛ قوّضه الجاحدون. وكلما سعيت في أمر؛ عرقله المعاندون، والله در أم القائل:

إذا أَلْفُ بَانَ خَلَقَهُمْ هَادِمٌ كَفِي فَكَيْفَ بِبَانَ خَلْفَهُ أَلْفُ هَادِمٍ

ولم يكن مرّ في بالي وجودُ أنصار في أقطار الأرض، يرمون إلى ذلك العَرَض؛ ويحبون تشريح ذلك المرض؛ حتى وصلت إلى «سنغافورا وفليمبان» فوجدت في الناهضين كثرة، وفي أكباد الجاهلين منهم جمرة، وأخبروني بأنه يوجد من ورائهم في بلدان «جَاوَا» عدد كثير؛ إلا أنهم لا ينضمون تحت راية حزب؛ ولا يرجعون إلى زعيم ولا كبير، ذلك الذي أحى مني ميّة التأميل، ونبّه

(١) أي استولى على العجز والكسل. وأصل قوف الرقة: الشعر السائل في نقرتها.

عزيمتي وشجعها على المُضيِّ في ذلك السبيل، حينئذٍ اقترحت عليهم وعلى جميع الناهضين في بلاد «جاوا وحضرموت وغيرها» تأليفَ حزبٍ نسميه «حزب النهوض والاعتدال»؛ تكون تكأُتُنَا عليه؛ في نشر الأقوال؛ وبتُّ الأفكار، يدفع عنا اضطهاد المضطهدين، ويشجع قلوب الأفراد من إخواننا المصلحين، فإن المرء بأخيه كثير، وما جاء من مدح الاجتماع مسلّمٌ عند الجميع فذكره من التكرير.

ويكون مرمى ذلك الحزب التآخي والوداد، وتأكيد روابط الاجتماع والاتحاد، واستردادَ المجد المضاع، وتجديدَ عز الوطن الذي انصاع، وإنكار المنكرات؛ ونشر التعليم، وبذلَ المجهود في إجراء مأمورات الشرع الكريم.

وبما أنني رأيت في سياحتي هذه؛ الفرقتين من الناس؛ إحداهما بسطاء العقول؛ وصغار النُهَى الذين تنطلي عليهم التمويهات والتدليس، وتنفق في أسواقهم بضائع المخرّفة؛ بالأباطيل والتلبيس، وسمّةٌ هؤلاء تقديسُ العادات، والتهافت على عشاق الرسوم ومدّعي الولايات.

والأخرى؛ هي التي أرادت النهوض؛ فلم تدخل عليه من بابه، ولم تتوسل إليه بأسبابه، فخلطت الحق بالباطل، ومزجت الحابل بالنابل، وضلّت عن الطريق، وغرّب عنها التحقيق، وتهوّرت في إنكار الكرامات على الإطلاق، ولم تفرّق بين الأولياء الصادقين؛ وسامسة المداهنة والنفاق.

فليُبعد حزبنا عن الفريقين، وليسلك طريقاً بين الفريقين، ويكون أساسه التقوى، ودعامته إصلاح النيّات في السرّ والنجوى، وليكن أولُ قَدَمٍ نرفعه في سبيل هذا التأليف؛ اجتماعَ لجنة تحضيرية، تفكّر في برنامج الحزب وشؤونه، والنظر في مقاصده وقانونه، وهنا جاش مرّجل الفكر؛ فارتجلت هذا القصيد؛ لكنه جاء كما يريد؛ تَبَلُّبُ البال؛ لا كما أريد.

دَبَّ الشعورُ دبيبَ البُراء في العِللِ وسارَ في النَّشءِ سيرَ السكر في الثَّويلِ^(١)

ما كنتُ أحسبُ إخواني كذا انتبهوا
 ولا تصوّرتُ إنساناً يساعِدني
 ومُدَّ وصلتُ إلى «جاوا» لقيتُ بها
 من كل ذي غَيْرَة يسعى بهمّته
 ثبتَ الجنان على الإصلاح نيته
 قرّت بمرآهم عيني وثاب بهم
 منّيتُ نفسي بلقياً مثلهم زمناً
 واليوم ألفتهم فلأظهروا لهم
 يا رادة الحق إننا من تأخرنا
 يا أيها القوم هذا وقتُ نهضتكم
 كلُّ ينادي ويهذي في مجالسه
 ولنجتمع قبل شيء في مبادئنا
 إننا وإن كثرت في الأرض شيعتنا
 والشأن تأليفُ حزبٍ نستردُّ به
 يقوي به الفرد منا في عزيمته
 يكون مرماه إنهاضَ البلادِ وإرشادَ
 ونشرَ روحِ الترقى بالعلوم على
 وغسلَ ما شوّه الدينَ القيومَ به
 من نومهم فوق مهّد العجزِ والكسلِ
 في الرأي خشيةً ما يلقي من السفلى^(١)
 من الصناديد من يحيا بهم أملي
 في رفع أمته من هوة الحطّيلِ
 مقصورةً غير هيّاب ولا وکل^(٢)
 أنسي وهزّت فوادي نشوة الجذلي
 تعللاً كي أذودَ الهَمَّ بالحجيلِ
 ما في ضميري وأملي ما تبين لي
 وجهلِ أقوامنا في غاية الخجلِ
 فالصبرُ من بعد هذا غيرُ محتملِ
 لكنّ أقوالهم خلّو عن العملِ
 فالاجتماعُ بإصلاح الأمورِ ملي^(٣)
 فالافتراقُ لدينا باعثُ القتلِ
 ما ضاع من مجدنا في الأعصرِ الأولِ
 فلا يبالي من التّفنيدِ والعَدَلِ^(٤)
 العباد إلى الهادي من السُّبيلِ
 علّاتها طبقَ أمرِ الخاتمِ الرُّسلِ
 أهلُ الضلالِ من الأوهامِ والدَّخَلِ^(٥)

(١) السفلى: جمع سيفلة وسفلة الناس أسافلهم وغوغاؤهم.

(٢) وکل: بالتحريك عاجز.

(٣) ملي: مليء.

(٤) التّفنيد: التكذيب وتخطئه الرأي. العذل: اللوم.

(٥) الدخّل: الفساد.

والشأن في ذلك التَّقْوَى وحليتها والأخذُ عن جانب التقصير والزَّلَلِ
ونسَمَدُ من الله الفلاحَ وأن يُمَنُّ بالحفظ في المَسْعَى من الفشل
بجاء طه وبالسَّبطينِ صفوته وبالبتولِ وبالمولَى الإمامِ علي

مسألة: في حكم الرياء^(١)

وللقوم في تحقيق مسألة الرِّبَا كلامٌ ولكنَّ بعضه فيه إيغال^(٢)
فقد ذكروا إحباطه السعْيِ مطلقاً وعندِي أن الحقَّ تفصيلُ ما قالوا
فإن كان نزرأً أو أتى بعد ما انقضى فلا يلحقُ المسعَى به قَطُّ إبطال^(٣)
وفي الظنِّ أن الحجَّةَ الخبرَ الَّذِي ذكرتُ من التفصيلِ في الأمرِ مِبَالٌ
وشاهدهُ في مُسَلِّمٍ ودليله بكنزِ علاءِ الدين ما فيه إشكال^(٤)

(١) الرياء: هو أن يعمل عملاً ليراه الناس، ويقال مرءاة، ويدخل في ذلك من عمل العمل لیسعته الناس ويقال له مسمع، وفي الحديث عنه ﷺ - أنه قال: «من رأى رأى الله به، ومن سمع سمع الله به» [البخاري: كتاب الرقاق/ باب الرياء والسمع]. والرياء خلق ذميم، وهو من صفات المنافقين، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

(٢) إيغال: مبالغة.

(٣) ما انقضى: أي تم العمل ومفهومه أنه إذا لم يكن نزرأً أو كان مقاوناً أو سابقاً على العمل يحبط العمل فلا يكون له ثواب ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن حجة الإسلام الغزالي فيما يتعلق بالثواب أنه إن كان القصد الدنيوي هو الأغلب لم يكن فيه أجر أو الديني أجر بقدره وإن تساوى فتردد القصد بين الشينين فلا أجر، وأما إذا نوى العبادة وخالفها شيء مما يغير الإخلاص فقد نقل أبو جعفر ابن جرير الطبري عن جمهور السلف أن الاعتبار بالابتداء، فإن كان ابتداءه لله خالصاً لم يضره ما عرض له بعد ذلك من إعجاب وغيره ومثله في عمدة القارئ للعيني.

(٤) علاء الدين يقصد علاء الدين المتقي الهندي (٨٨٥ - ٩٧٥هـ) فقيه وواعظ ومحدث ولد بالهند ثم جاور بمكة ومات فيها وهو جامع الكتاب المشهور في الحديث المعروف بكنز العمال جمع فيه بين الجامع الكبير وزوائده للسيوطي ورتبه على الأبواب الفقهية.

القصيدة السابعة والعشرون

رُدُّوا عَلَيَّ لَمَّتِي (١)

رُدُّوا عَلَيَّ لَمَّتِي الْجَبْرَ الَّذِي نَصَلَا حَتَّى أُرَاجِعَ مَا فِي عَهْدِهِ حَصَلَا^(٢)
فإنها ذكرياتٌ كلما ابتسمتُ للقلبِ أنسَ منها نشوةٌ فسَلَا^(٣)
خَلَّتْ عَنِ الْعَيْنِ لَكُنْ فِي مُخْبِلَتِي منها كتابٌ حوى التفصيلَ والجَمَلَا
مَرْسُومَةٌ فِي ضَمِيرِي وَهِيَ خَالِيَةٌ مِنَ الْمَحَاسِنِ يَكْسُوها الهوى حُلَلَا
مَرَّ الزَّمَانُ بِهَا عَجَلَى وَعَوَّضَنِي عَنْهَا حُلُومًا فَلَمْ أَقْنَعْ بِهَا بَدَلَا^(٤)
كَأَنَّ قَادِمَتِي نَسِرَ تَعْلِقَتَا فِيهَا قَوْلَتٌ سِرَاعًا بَيْنَ لَا وَبَلَى^(٥)
أَلْفِيثُ كُلِّ مَصَابٍ جَلَّ مَوْقِعُهُ فِي جَنْبِ مَا فَاتَنِي مِنْ صَفْوِهَا جَلَلَا
فِيهَا أَرَى الْبَالَ رُخْوًا وَالزَّمَانَ رِضَى وَالْمَيْشَ غَضًّا وَأَسْبَابَ الْمُنَى دُلَلَا^(٦)
وَالجَوْ طَلْقًا وَشَمَلَ الْأَنْسَ مَجْتَمَعًا وَالْحِظَّ يَبْسُطُ فِي إِقْبَالِهِ الْأَمَلَا

(١) أنشأ الإمام هذه القصيدة في سنة ١٣٥٥هـ.

(٢) اللَّمَّة: الشعر المجاور شحمة الأذن. الحبر: يريد سواد الشعر الذي ذهب وحل مكانه الشيب وبالهامش كتب المؤلف ربما يقال إن هذا نظر إلى قول البحري:

ردي على الصبا إن كنت فاعلة إن الصبا ليس من شأني ولا أربي
لكنني؛ والله شاهد؛ لم أذكره إلا بعد نظم هذه القصيدة؛ وهي في بيتي أمكن وأحسن اهـ.

(٣) فسلا: فنتسي ما هو فيه.

(٤) حُلُومًا: مدارك وقوى.

(٥) قادمتي نسمر: ريشات في مقدم جناحيه.

(٦) دُلَلَا: سهلة.

في مَهَيْطِ النورِ وادي الحُورِ طاب لنا
شَمُّ الأنوفِ أراكينُ الشريعةِ
واليثُهم وتولَّوني ولي معَهم
فكلُّما جالَ في ذهني تصوُّرُها
أبكي عليهم بقلبي والجلادةُ من
وأحمدُ الله إذ ماتوا وما سَخِنَتْ
ساروا على قِدةٍ بيضاءِ صافيةِ
وبالثَّقَى والثَّقَى والعِلْمُ كم رفعوا
لكنَّ أعقابَهم من بعدهم نكَّضوا
في «حُضرموتَ» رجالٌ منهم انحرَفوا
للعلمِ والدينِ قد كلنَ النُفوذُ إلى
وكرَّموهم وإن ساءت صنائعُهم
وقد يُمُوهُ داعيهم بمذحيتِه
وآخرونَ على الشرعِ اعتدَّوا وبَعَّغوا
وآخرونَ تصدَّوا للعروبةِ فأنـ
ودسَّ قومٌ بـ «جاوا» بدعةً فنَمَّتْ

كاسُ السرورِ وراقتِ صحبةُ الثُّبَلَا
أعداءُ الضلالِ الحماةُ الذادَةُ الفُضْلا^(١)
أخذَ وعهدَ وميثاقَ وعقدَ ولا^(٢)
رأيتُ منهم على رَغْمِ النوى مثلاً
خوفِ الشماتةِ تُخْفِي جُهدَها البَلَلَا^(٣)
عيونُهُم بالذي في أرضِهِمْ نَزَلَا
عن المِضَلَّاتِ لا أمتاً ولا خَدَلَا^(٤)
من المعالي بُرجاً طالت القُلَلَا^(٥)
وهدموا ما أشادوا من هُدَى وَعُلا
عن الطريقِ فجرُّوا للأنامِ بَلَا
أن صيرَّوه لأهلِ الثروةِ الجُهَلَا
فهان من أجلِ ذاكِ العِلْمِ وابثدَلَا
وما بنيرِ رضاهم قدره استَقَلَا^(٦)
فحرَّفوه وأزخَّوا للهدى الطَّيَلَا^(٧)
صاعَتْ وخانوا الوفاَ والصدقَ فأنخذَلَا
لكنَّ مقصودَهم من بثِّها فُثِلَا^(٨)

(١) أراكين الشريعة: أركانها وقوتها. ويقصد العلماء الأعلام في ذلك الزمن.

(٢) ولا: ولاء.

(٣) الجلادة: التجلد. البللا: الدمع الخفيف.

(٤) قدة: طريقة. لا أمتاً: لا اختلافاً.

(٥) القللا: جمع قلة وهي أعلى الجبل.

(٦) استقلا: صار سافلاً.

(٧) الطيلا: حبل تشد به الدابة وتمسك طرفه وترسلها ترعى.

(٨) يشير هنا إلى الفتنة بين العلويين والإرشاديين بجاوا والتي سبق أن تحدث عنها.

فخالفوها وعادوا من تأثرها
 ووسَّعوا الخلفَ فامتدَّ مسافته
 ولم يكن ضُرُّ هذي بالقضية مثْ
 فإنَّ تلكَ وإن دَقَّتْ مداخلُها
 وهي التي أرخصتْ سُوقَ الفضيلةِ من
 ولو أردتْ لسميتُ الرجالَ فما
 واللحنُ في القولِ يكفي للفتينِ ومَنْ
 حقيقةً قد سرَّتْ عنها اللثامُ إذا
 وكم فتى عارِفٌ صدقَ المقالَ ولكِ
 تلكَ الجرائيمُ أُخرى أن تجرَّ إلى
 يرى صغارُ النُّهى فيها الصوابَ وهم
 سيعلمونَ على قَصرِ الزمانِ مَدَى
 وكم نصحتُ وكم فَصَّلْتُ في خطبي
 لكنَّ بهمَّ صَمَمٌ عن كلِّ صالحَةٍ
 ميلٌ إلى الشرِّ جيِّدٌ عن مَرائدِهِم
 ولم يكن عندهم تلقاءَ منفعتي
 ولم أزل فوقه مرمى أفاثكهم
 وكم تحدَّيتُهُم بينَ المَلا فلَوَّوا

وقام في نقضها الرهطُ الذي غَزَلَا
 وهيجوا الشرَّ حتى شَبَّ واكتهلا
 لالأولياتِ وإن أدجى وإن شَمِلا
 هي التي استهوت الدهماءَ والدُّولا
 حيث الحطامُ ومَنْ نالَ الحطامَ غَلا
 أخافُ في الحقِّ تفنيداً ولا عَدَلَا^(١)
 لم يَشْفِهْ لا شَفَى الباري له غَلَلَا^(٢)
 ما سائلٌ عن دواعي ضَعْفِنَا سَأَلَا^(٣)
 نَّ النفاقَ رمى في الأمة السُّلَلَا
 أم الدَّهيمِ التي تستنزِفُ الجيَلَا^(٤)
 أهلُ الكلامِ ولا سلطانَ للمُعَلَا
 هذي الأمانى إذا ما أصبحوا حَوَلَا^(٥)
 لهذه المَحْنَةَ الأعراضَ والعِلا
 لا يهتدونَ إلى نحو النِّجَا سُبَلَا
 ويحسبونَ بأنَّ قد أحسنُوا العَمَلَا
 إلَّا أذاتي وإقطاعي جَنَابَ قِلا
 إن غبتُ عابُوا وأما إن حضرْتُ فلا
 رؤوسَهُم وأنثَنُوا من هَيْبَتِي وَجَلَا

(١) تفنيداً: تكذيباً، عدلاً: لوماً.

(٢) اللحن في القول: الإشارة البعيدة والتورية: غَلَلَا. شدة العطش وحرارته.

(٣) سرت عنها اللثام أزالته ونزعته.

(٤) أم الدهيم: كنية الدواهي.

(٥) حوَلَا: عبيداً.

والحقُّ مثلُ صديعِ الفجرِ مَقْطَعُهُ وفي البراهمين ما يكفي له جَدَلاً
وهذِي خيرِ الوَرَى والذِكرُ عصمتنا لا نبتغي عنهما طُولَ المدى حِوَلَا
وربما سألوا عَنِّي وقد عرَفُوا وعِمَّتِي فوقَ رأسي أَنِّي ابنُ جَلا^(١)



(١) جلا اسم رجل سمي به لوضوح أمره. ويقال للرجل إذا كان على الشرف لا يخفى مكانه هو ابن جلا، والعمامة كانت تلبس في الحرب وتوضع في السلم كما قاله ثعلب: وبهامش الديوان كتب الإمام ما نصه.

في هذا البيت تلميح إلى جملة آيات؛ أحدها: قول سُحَيْمِ بنِ وثيلِ الرياحي:

أنا ابن جلا وطلاع الشنايا متى أضع العمامة تعرفوني
ثانيها: قول جميل:

إذا ما رأوني طالعاً من ثنيّة يقولون من هذا؟ وقد عرفوني
ثالثها: قول عنترة بن عكبرة الطائي:

إذا أبصرتني أعرضت عني كأن الشمس من حولي تدور
رابعها: قول يزيد بن الطثرية:

إذا ما رأني مقبلاً غض طرفه كأن شعاع الشمس حولي يقابله
خامسها: قول الأعشى:

يزيد يغمض الطرف عني كأنما زوي بين عينيه عليّ الحاجم

ولئن خفي من بيتي التلميح إلى بيتي عنترة والأعشى؛ فإنهما من مأخذ بيت يزيد بن الطثرية؛ وتلميحني إليه ظاهر (انتهى تعليق الإمام) قلت: وكفى بهذا تدليلاً على استيعاب الإمام لشعر الأقدمين ومعرفته بأغراضه ومعانيه.

القصيدة الثامنة والعشرون

أَيْنَ الْحَمِيَّةُ؟

وهذه من قدامى القصائد أنشأها الإمام حوالي سنة ١٣٢٥هـ.

أَيْنَ الْحَمِيَّةُ وَالْأَمَالَ وَالْهَمَمُ؟ أَيْنَ الْعَزِيمَةُ أَيْنَ الْمَجْدَ وَالشَّمَمُ؟
 أَيْنَ الشُّعُورُ الَّذِي تَحْيَا الشُّعُوبُ بِهِ؟ أَيْنَ الْحَيَاةُ الَّتِي يُدْرَى بِهَا الْأَلَمُ؟
 مَنْ لَا يَغَارُ لِعَمْرٍ نَابَهُ وَهَنْ فَلَنْ يَغَارَ إِذَا مَا نَيْلَتَ الْحُرَمَ
 هَذَا الْوُجُودِ الَّذِي لَا فَضْلَ فِيهِ لَنَا عَلَى بِهَاتِمْنَا سَيَّانَ وَالْعَدَمَ
 أَيَّانَ نَعْمَلُ فِي إِصْلَاحِ أَمْتِنَا؟ فَقَدْ تَرَقَّتْ إِلَى أَوْجِ الْعُلَى الْأَمَمُ
 أَيَّانَ نَبْحَثُ عَنِ تَشْرِيحِ عِلَّتِنَا؟ فَرَبِمَا طَبَّ دَانَا حَاذِقٌ فَهَمُّ^(١)
 جَهْلٌ وَوَهْمٌ وَأَرَاءٌ مَفْرَقَةٌ وَهَمَةٌ لَمْ يَفَارِقَ جِيدَهَا السَّامُ
 هَذَا لِعَمْرٍكَ إِنْ دَامَ السُّكُوتُ لَهُ تَفَاقَمَ الصَّدْعُ وَاسْتَشْرَى بِنَا السَّقَمُ^(٢)
 يَكْفِي مِنَ الْعَارِ أَنَا لَا نَقِيبَ لَنَا بِهِ تَزِينُ نَوَادِينَا وَتَنْتَظِمُ^(٣)

(١) طَبَّ دَانَا: عالَج دَاءَنَا.

(٢) اسْتَشْرَى: لَجَّ.

(٣) يتحدث الإمام هنا على عدم وجود نقابة للعلويين تجمعهم وتنظم أمورهم كما كان لهم ذلك في سابق الزمن. وكان نظام النقابة معروفاً بالمدينة المنورة أيام النبي ﷺ فقد كان يجعل لكل قبيلة نقيباً منهم؛ وكان أسعد بن زرارة نقيب بني النجار فلما مات سألوا رسول الله ﷺ أن يجعل لهم نقيباً فقال لهم ﷺ: «أنتم أخوالي وأنا نقيبكم» فكانت هذه فضيله لبني النجار. كما وجدت نقابة للأشراف الذين يسمون بالطالبيين أيام الدولة العباسية وكانت لها أهمية كبيرة وكان الخليفة العباسي هو الذي يعين بنفسه النقيب.

= أما بالنسبة للعلويين بحضرموت فكان أول ظهور لنظام النقابة في زمن الشيخ عمر المحضار المتوفى سنة ٨٣٣هـ والذي انتخب رئيساً عاماً لمجلس من العلويين يتكوّن من عشرة أعضاء منتخبين يمثل كل واحد منهم قبيلة أو فرقة مخصوصة من العلويين ويقرر مجلس العشرة جميع ما يرون فيه المصلحة بمقتضى الشريعة الإسلامية ويحتكمون عند الاختلاف فيما بينهم إلى رأي النقيب والذي يعتبر قراره ملزماً للجميع. هذا ولم يعرف تسلسل النقباء بعد الشيخ عمر المحضار إلا أنه يفهم من كتب التراجم العلوية أنه لما توفي الشيخ عمر المحضار رشح العلويين السيد محمد بن حسن بن أسد الله الملقب جمل الليل للنقابة ولكنه اعتذر عن نفسه؛ ورشح العيدروس الأكبر لها فقبلها بعد تمنع؛ ثم تولاهما بعده السيد أحمد بن علوي باجحدب المتوفى سنة ٩٧٣هـ ثم تولاهما من بعده السيد عبد الله بن شيخ بن عبد الله بن ابي بكر العيدروس المتوفى سنة ١٠١٩هـ ثم ابنه زين العابدين المتوفى سنة ١٠٤١هـ. وتوقف بعد ذلك التاريخ الحديث عن النقابة إلا أن العلويين قد يعترفون بعد ذلك بالزعامة الضمنية لأحدهم لعلمه وفضله وجاهه دون نظام ملزم أو وثيقة مكتوبة كما هو في نظام النقابة الذي كان قبله. ثم استبدل نظام النقابة فيما بعد بنظام المناصب المعروف المنتشر في كثير من القرى والأودية بحضرموت إلا أن وظيفة المنصب تختلف عن وظيفة النقيب إذ إنه لا يختص بالعلويين وحدهم؛ بل إن من صميم عمل المنصب الإصلاح بين القبائل المسلحة؛ ونشر العلم؛ واستقبال الضيوف؛ والدعوة إلى الله.

ثم شعر العلويون بحضرموت في بداية القرن الثالث عشر بالحاجة لنقيب فرشحوا لهذا المنصب السيد محمد بن طاهر الحداد المتوفى سنة ١٣١٦هـ والذي برز على أقرانه العلويين في العلم والوجاهة والكرم غير أنه وقف في طريقه بعض العلويين وانتهى أمر نقابته إلى الفشل.

كما كان للسادة العلويين بالحجاز وكثير من الولايات العثمانية وضع اجتماعي خاص فيما يسمى مشيخة السادة؛ قال عنه العلامة ابن عبيد الله إنه كان أشبه بدولة داخل الدولة؛ فقد كانوا لا يتحاكمون إلا إلى منصب السادة؛ كما أن العلويين؛ لم يرضوا على بقية إخوانهم الحضارمة بهذه الامتيازات؛ بل أشركوهم فيها؛ وقد استمرت هذه الامتيازات من أول فرمان أصدره بها السلطان العثماني عبد المجيد سنة ١٢٣٧هـ حتى دخول الملك عبد العزيز إلى الحجاز؛ والذي وافق على استمرار هذه الامتيازات. إلا أن هبوب رياح الفتنة الإرشادية من نواحي الشرق الأقصى عصفت بالعلاقات بين الحضارمة بالحجاز فلم يعد الحضارمة يكتفون للسادة العلويين الاحترام السابق؛ بل أخذوا ينافسونهم في تولي المشيخة؛ مما أدى إلى فشل مشيخة السادة وانتهاؤها؛ وضياع الامتيازات التي كان =

ولا حكيم إذا ما قرحة دميث
(لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم)
يَكْفِي من الشَّيْنِ أَنَا لا نَفوْدَ لَنَا
يَكْفِي من القهر أن الأردلين غَدَوْا
للعسف والجور ما تحوون من نَشِبِ
كم تصبرون على ذلٍ وَمَنْقَصَةٍ
إن كان حُبُّكُمْ لِلسُّلْمِ أَتَحْرِكُمْ
أَنْتُمْ فروع أباة الضنيم من مُضَرِّ
يَرْضَى الهزيمة من لانت عزمته
لو عاينت حالكم هذا أو أئلكم
هُبُّوا ولا ترقدوا واحموا حقيقتكم
والحزم في العزم والتوفيق يتبعه
فيم الجمودُ ونوؤ النحس يُمِطِرْكُمْ
إن لم يُجَسَّ بحر النار وإطئها
كذلك الحرُّ إن حلَّتْ بأُمَّتِهِ
إني وإن كنت في حرز ليحفظني

ياسو بلطفٍ وتدبير فتنجس^(١)
ولا سراة إذا ما بيعت الذم^(٢)
ولا لنا ذمة تُخشى وتُخترم
مثل الذئاب وأنا بينهم غنم
وحقكم بين أهل الظلم مهتضم^(٣)
ويكره الله هذا الصبر والكرم
فالموت خير من العيش الذي يصم
وعنكم أين غبت تلكم الشمم؟
والمستذلون خير منهم الرمم
لساءهم أنهم منكم لهم رجم
وناضلوا واجمعوا الآراء واعتصموا
والجد يصنع مالا يصنع الخدم
سحابة يرذاذ كُله نقم^(٤)
فإن قلبي به من حرها ضرم
هزيمة في حشاه الغيظ يحتدم
إن اللئام بهذا القطر تحتكم

= الحضارمة بأجمعهم يتمتعون بها (انتهى بتلخيص عن إدام القوت لابن عبيد الله وتاريخ الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري والأحكام السلطانية للماوردي).

(١) ياسو: ياسو أي يداوي.

(٢) وضع الإمام الشطر بين قوسين (لا يصلح الناس فوضى...) ليبين أنه مأخوذ عن الشاعر الجاهلي الحكيم الأفوه الأودي.

(٣) نشب: مال.

(٤) الرذاذ: المطر الخفيف.

ضاق الخناق بأمرٍ ليس منشؤه
بيّنتُ للقوم أنّ الاتحادَ له
إلّا التفرّقَ رأسَ الشرِّ لو عَلِمُوا
نفعٌ كبيرٌ فلما استوضحوه عَمُوا
قد بَحَّ صوتي من طول النداء لهم
لو ساعدوني بتأليف اللجان لما
لكنّ قومي بهم عن دعوتي صَمَمُ
كانوا كذا ولزالت عنهم الإزْمُ^(١)
ما دام يسعدني القرطاسُ والقلمُ
عليّ ترديدُ قولي في نصيحتهم



(١) الأزْم: بكسر أوله وفتح ثانيه جمع أزمة وهي الشدة.

القصيدة التاسعة والعشرون

أصيح

أنشأها الإمام في حدود سنة ١٣٥٢هـ.

أصيح وشغبي غارق في منامي
على جهده يجترُّ في كل مبرك
ومدَّ على شوك القتاد جرانه
وأفقدَه طولُ الهوان شعوره
يلدُّ له شربُ الشهادِ وإن رأى
ويُنَجِّبُه لينُ المهادِ وعيشه
سواسيةً أحراره وعبيده
وكائنُ ترى من ذي وقارٍ وهيبه
لأبيدي الشقا ألقى بثنيي زمامه^(١)
وقد سنقت غربانه من سنامه^(٢)
وقيدَ على جمر الغضى بخزامه^(٣)
فلم ينزعج من ظلمه واهتضامه^(٤)
مناهلُه مملوءة من سمامه^(٥)
لعمرُ أبي شرِّ له من حمائه^(٦)
وأحياؤه في الذلِّ مثل رمائه
يروقك في تزيينه وكلامه

(١) بثني زمامه: طرفي مقوده. واحدهما ثني.

(٢) يجتر: يأكل ما في جوفه. سنقت غربانه: أكلت حتى بشت.

(٣) جرانه: مقدم عنقه. قيد جرَّ وسحب: الغضى شجر يوقد. الجزام: حلقه من شعر تجعل في أحد جانبي منخر البعير.

(٤) كقول المتنبي:

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لَجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِسْلَامٌ

(٥) الشهاد: العسل ما لم يعصر من شمعته؛ واحده شهدة. سمامه: جمع سم بالفتح والضم وهو القاتل.

(٦) المهاد: الفراش. الحمام: الموت.

تَظَنُّ بِه خَيْرًا وَتَحَسَبُ أَنَّهُ
يَرَى مَبْلَغَ التَّقْوَى الرَّسُومَ فَكُلُّ مَنْ
فِي شَتَّى غِيظًا لِلْإِمَامَةِ وَالرُّدَا
وَيَأْبَى أَمْرًا مَا لَيْسَ لِلشَّرْعِ مَعْتَبٌ
وَيَدْعُو إِلَى هَذِي الخِيَارِ بِعَكْسِ مَا
وَتَعْدُو عَلَى الدِّينِ الْعَوَادِي فَلَا نَرَى
يَهِيجُ لِنُشْيَانِ الْمَبَاحِ وَعِنْدَمَا
وَمَا لِلرَّسُولِ اللَّهِ زِيٌّ مَخْصَصٌ
بِغَيْرِ انْتِصَارٍ لِلتَّفَرُّجِ إِنْهُ
وَلَكِنَّ أَصْحَابَ التَّصَنُّعِ غَيَّرُوا
وَزَادُوا كَمَا شَاءَ الرِّيَاءُ وَالصَّقَا
أَرُونِي أَمْرًا مِنْهُمْ تَمَعَّرَ عِنْدَمَا
وَقَامَ احْتِسَابًا يَوْمَ حَلَّتْ بِعُقْرِنَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي جَاشَتْ مِنَ الْبَغْيِ نَفْسُهُ
وَصَبَّ عَلَيْهَا مِنْ قَذَائِفِهِ الرَّدَى

لِإِصْلَاحِ حَالِ النَّاسِ جُلُّ اِهْتِمَامِهِ
يُقْصَّرُ فِيهَا وَاقِعٌ فِي مَلَامِهِ
إِذَا لَمْ تَكُنْ فِي الْحِجْمِ طَبَقَ مَرَامِهِ
عَلَيْهِ فَيَرْمِيهِ بِسَوْطِ انْتِقَامِهِ
عَلَيْهِ جَرَى خَيْرُ الْوَرَى فِي نِظَامِهِ
لَهُ غَيْرَةٌ مِنْ سَعِيهَا لِاخْتِرَامِهِ^(١)
يَرَى الْإِثْمَ صِرْفًا يَنْشِي فِي انْهَزَامِهِ
يُكَلِّفُ طَلَابُ النَّجَا بِالتَّزَامِهِ
دَلِيلٌ عَلَى مَنْ رَقَّ حَبْلُ اعْتِصَامِهِ
مَنَارُ الْهُدَى مِنْ خَلْفِهِ وَأَمَامِهِ
بِهِ بَدْعًا كَانَتْ لَهُ شَرٌّ ذَامِهِ^(٢)
تَمَطَّى الْبَلَا فِي قُطْرِنَا بِظِلَامِهِ^(٣)
طَلَّاعٌ كَفَرَ هُمًّا فِي التَّهَامِهِ^(٤)
لَدُنْ سَاقٍ لِلْعَنَاءِ سُودَ غَمَامِهِ^(٥)
وَأَخْفَرَ مَنْ يَحْمِي الْحَمَى فِي ذِمَامِهِ^(٦)

(١) لاخترامه: لاستتصاليه.

(٢) ذامه: عيبه.

(٣) تمعر: تغير وجهه غيظًا. تمطى: امتد.

(٤) يشير الإمام هنا إلى دخول الإنجليز إلى حضرموت ومشاركتهم في حكمها وإن العلماء لم يعترضوا كثيرًا على ذلك.

(٥) جاشت: ارتفعت من حزن أو فزع.

(٦) الردى: الموت. أخفر: نقض العهد وغدره. ذمامه: حقه وحرمة. والإمام يشير هنا إلى إلقاء الطائرات الإنجليزية قذائفها على قرية الغرفة الطينية بحضرموت.

وأضحث دماء الأبرياء دريئةً بعقوتها الغرّ الهامي سهامه^(١)
فلا حرمةً إلا قد انتهكت به ولا بقعةً إلا ارتوت من سجامه^(٢)
وكم مُفْطَعَاتٍ لا يجوز لمؤمنٍ على مثلها إلا امتشاق حُسامه^(٣)
وكم واعظٍ منهم يقاربُ خطوه ويغرُجُ يستهوي عقولَ ظغامه^(٤)
يقول بلا علمٍ ويبكي وماله من العيش إلا غُفَّةً من حرامه^(٥)
ولا ساكتٍ والسيلُ قد بلغ الرُّبى يدُ الله إلا الشركُ تحت لِثامه^(٦)
أُغْضِي على هذا القذى جفنٍ مسلمٍ يؤمّلُ بالإسلام مَحَوَّ أنامه؟
ويرضى بتحريف الشريعة طامعٌ من الله أن يحظى بحسن ختامه؟
ويُدْهِنُ في ذاتِ الإله ولو عَدُوا على شأته لم ينحجز عن قيامه؟

(١) دريئة: مرمى. وأصلها الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها. بعقوتها الغرّاء: بساعتها الغراء.

(٢) سجامه: دمعه يريد أنها ارتوت من دمه الذي جعل تقاطره من السهام كتقاطر الدمع من العين.

(٣) ومن الشواهد على ما كان يحدث بحضرموت مما استنكره الإمام هنا؛ ما ذكره السيد عمر بن علوي الكاف في كتاب تحفة الألباب أن السلطان جعفر بن منصور الكثيري الذي تولى السلطنة الكثيرة سنة ١٣٤٧هـ قدم إلى الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب سنة ١٣٦٦هـ وبكى بكاءً شديداً وقال: جاءت حكومة ياحبيب علوي ولم تبق لنا أمراً ولا نهياً ونرى المناكر بين أعيننا ولا نستطيع أن ننكرها وصرت الآن سلطان صورة فقط وأنا الآن أحببت عزل نفسي عن السلطنة وجماعتي بضرهم بأنفسهم (أي أمرهم لأنفسهم) فطلب منه الحبيب علوي أن يترث سنة وإن لم تصلح الأمور فليعزل نفسه إلا أن السلطان مات قبل انتهاء السنة (في سنة ١٣٦٧هـ) انتهى (عمر بن علوي الكاف تحفة الأحباب دار الحاوي للطباعة والنشر صفحة ١٥٢ - ١٥٣).

(٤) ظغامه: سفلة الناس وغوغاؤهم.

(٥) غفة: بضم أوله: بلغة ويطلق على ما يتناوله البعير بقمه على عجلة منه.

(٦) السيل قد بلغ الزبي: مثل في تفاقم الخطب جمع زبة وهي الراية لا يعلوها الماء. يريد ولا ساكت على هذه المفطعات الجسام وقد تفاقم أمرها إلا الشرك بالله قريب منه أو مخالطه وقوله: يد الله أي يد الله فوقه أو تأخذه فهو دعاء عليه. والجملة معترضة.

يصانع قطب القوم والحال أنه
وينضب في شروى نكير ويكثر ال
ويخطر مثل الفحل إن قصر امرؤ
إذا كان لا يرجو وإلا فإنه
فهيات ممن كان ذا وصفه الثقى
فزي صلاح القوم ما ريت مثله
فهل من خلاص أو مناصر فإننا
يكاد لهضم الحق ينقطع الرجا

تشب لفوت الفلّس نارُ اضطراره
صّجيج إذا ما زاد ملح طعامه^(١)
يُلاقيه في تقبيله واحترامه
يُلاينه من قبل ردّ سلامه
وإن زاد في تسبيحه وصيامه
من السحب إلا خاليات جهامه^(٢)
على الرّصف من طول البّلا واحتكامه^(٣)
فنيأس لولا موعده من إمامه



(١) شروى نكير: مثل النكتة في النواة يضرب مثلاً في القلة والحقارة. الضجيج: الصياح والجلية.

(٢) خاليات جهامه: جهامه الخاليات والجهام السحاب لا ماء فيه.

(٣) الرّصف: الحجارة المحماة.

القصيدة الثلاثون^(١)

أنا في انتباهٍ أو منامٍ

أنشأ الإمام هذه القصيدة في عدن غرة شوال من سنة ١٣٤٠هـ.

أنا في انتباهٍ أو منامٍ	ما بين أنسٍ واغتنامٍ
أنا في هناءٍ أو عزاءٍ	أو ضيَاءٍ أو ظلامٍ
فرحٌ يمازحه التَّلْطُّي	فالمخواطرُ في انْقِسامٍ ^(٢)
يومٌ تجاذبتِ العموا	طفُ شتاً والْتِئامٍ ^(٣)
بالصدرِ يمتلِجُ الجوى	والذكرياتُ لها ازدحامٍ ^(٤)
فذكرتُ أعيادَ النبـ	يِّ له التحيةُ والسلام
وخروجه في يومكم	هذا يُظللُّه الغمام
وصلاته وقيامه	وكلامه أحلى الكلام

(١) وقد أنشأ الإمام هذه القصيدة في عدن غرة شوال من سنة ١٣٤٠هـ وما كان الإمام ليغادر بلده سيؤون أيام العيد إلا لأمر عظيم ونراه هنا عندما رأى بعدن مظاهر الحضارة الغربية التي أوجدها الإنجليز بها يتذكر أحوال الإسلام والمسلمين وحضارتهم السابقة وشعرائهم المجيدين ويتذكر أجداده الصالحين الذين عمروا أوقاتهم بالعبادة ولم ينظروا لشيء من أحوال الدنيا هذه التي يراها هو بعدن وقد ختم القصيدة بالدعاء لإمام اليمن وكأنما كان ذاهباً للقائه.

(٢) التلطي: التهلّب.

(٣) شتاً: افتراقاً.

(٤) يمتلج: يصطرع.

ومهابة الوحي المنزَّ
وذكرت سائر الرأش
وذكرت آل مَحَمَّدي
وبكيت ممانا لهم
وذكرت مجد المسلم
أيام في أيديهم الأند
وذكرت فيه البُختر
وذكرت عهد شيوخنا الماضين
عهد تزيين بالوفنا
فنهيت عندي البلا
وتخالج القلب الأسي
ثم اقتحمت بفكرتي
جيش ابن داود الذي
وخرجت منه لمشهد الإن
يوم الجزاء الحق بو
فكرت في هذا لقرب الأ
وتشابه الأمرين يأن
وأنى السرور لخاطري
واليوم مظهر نعمة

بل والملائكة الكرام
لين بهديه في ذا المقام
بجميل ذكر واخترام
من سوء بغى واهتضام
بين وصولة الدول العظام
نبا ثقاد بلا خزام^(١)
ي وشعره الجزل النظام
من عشرين عام
وبالصفاء وبالوثام
بل واستحرب بي الأوام
وجرت دموعي بانسجام
في معرض الجيش اللهم^(٢)
جمع الطوائف بانتظام
سان في يوم القيام
م الهول يوم الانتقام
مريم من عيد الصيام
زَم منه حسن الاهتمام
من حيث إن الأنس عام
من أنعم الله التوام

(١) خزام: حلقة من شعر تجعل في أحد جانبي منخري البعير.

(٢) اللهم: الكثير.

تَشَدُّو الفواخِثُ فيه والأُ
والأمرُ محتَمَلٌ وتَبُ
والبرقُ إن أذكى اللوا
وتأشُّبُ الأغصانُ وُذُدُ
والعبيدُ أنسٌ بالبقا
لاغزو فالإنسان في
عام تَمَطَّى بالنفوس
ذهبت بشاشته
وهل انمحي ما قد تَسَا
لَلْحُزْنُ أولى بامرئٍ
ما الليلُ والإصباحُ إلى
والعمرُ رأس المال في
والعجزُ شرُّ الأمر والتَّف
والناس ميمونٌ ومغْبُ
حِكْمٌ تناقلها الأئِمَّة
دررٌ مثقبةٌ معانيها

زهارُ ترمي بالكِمام^(١)
كِي أم تُغْنِي لي الحَمَام
عج بلِّها صوبُ الرِّكَّام^(٢)
أو قراعٍ واختصاص^(٣)
أم بالدُّثُو من الحِمَام
تعريفه الموتُ التمام
لِغَايِهَا في شُربِ جام^(٤)
وما أحلى الصفا لو كان دَام
ظَرَ فيه من زَلَلِ جِسام
في اللهُو والتقصير هَام
لَا مَرَكِبٌ لالاختِرام^(٥)
تدبيره نيل المَرَام
رِيْطٌ مجموعُ المَذَام
ونٌ وملعونُ العظام
ة عن أبي موسى الهمام
على طرف الثُّمام^(٦)

(١) تشدو: تترنم وتغني. الفواخت: ضرب من الحمام المطوق. بالكمام: بأغظيتها.

(٢) الركام: السحاب.

(٣) تأشب الأغصان: تجمعها والتفافها.

(٤) تمطى: مشى متبخرأ. لغايتها: لغايتها. جام: كأس من فضة يريد كأس الموت.

(٥) للاخترام: للموت.

(٦) الثمام: نبت ضعيف لا يطول. تقول العرب للشيء الذي لا يعسر تناوله هو على طرف الثمام لأن الثمام لا يطول فيشق تناوله.

فالعيد ليس بصادق
يمشي البراح إلى العلى
أما الظفام وإنما
لكنهم لا يشعرو
فلينظر الإنسان ما
فالمجد ممتنع الذرى
والصبر والإخلاص والتو
وأرى كثيراً يهرؤو
يتشذقون ويدعو
أنى نصدقهم وقد
وقبول من طرح العدا
يا عيد مهيم قل لنا
فالسيل قد بلغ الزبي
أفلا تُحدك عن غد
غيب معمى إنما
ما الحظ إلا الجد أو
والى الكرام أسوق تهن

إلا لصب مستهام
فيكون منها في السنام^(١)
أحوالهم مثل السوام
ن ولا شعور لدى الرمام
يأتي بعين الانهام
إلا بصدق الاعتزام
فيق والسمي اللزام
ن ولا ثبات ولا اعتصام
ن بنير رغي للذمام
رفضوا الثقى والاحتشام؟
ل في روابته حرام
هل من مدى لانهزام؟^(٢)
وقد التقت حلق الحزام^(٣)
ماذا طوى تحت اللثام
عنوانه في الاغتنام
في الجد للحظ الزمام
ئتي ووغظي للئام

(١) البراح: المتسع من الأرض لا زرع فيه ولا شجر.

(٢) مهيم: كلمة يمانية معناها، ما حالك وما شأنك.

(٣) حلق الحزام: جمع حلقة وهي إنما تلتقي فوق الأطباء وهي حلقات الضرع التي فيها اللبن من ذوات الخف والظلف والحافر والسباع والبيت؛ اقتباس من قولهم قد بلغ السيل الزبي وجاوز الحزام الطيبين؛ ويضرب للمبالغة وتجاوز حد الشر والأذى لأن الحزام إذا انتهى إلى الطيبين فقد انتهى إلى أبعده غاية فكيف إذا جاوزها؟

والممرء إن لانت مهزُ تُه تأثر بالملام^(١)
 واهترز من طربٍ كما يهترز مشمول المدام^(٢)
 وإن أضمحَلَّ شُعموره ساوى الرمائيم في الرجام^(٣)
 وأزداد بالتحريك نو ما فوق مهد الانظلام^(٤)
 رُحماك للإسلام رَبُّ بِ قَسُورُهُ لئلهدام
 والافتراق بأهلله يشرى كما يشري الجدام
 أخذوا القشور من الحضارة واستهانوا بالمهام
 وتفرقوا أيدي سببا خلف السفاسيف والحطام^(٥)
 يا عيدُ غد بمسرة للمسلمين وبابتسام
 والله يحفظ دينه ببقاء مولانا الإمام
 ثم الصلاة لأحمد ولألومسك الختام



- (١) لانت مهزته: خف للخير ونشط له.
- (٢) مشمول المدام: هو الذي شرب الخمر الشمولة أي الباردة لتعريضها للشمال وهي الريح التي تهب من قبل عن يسار القبلة.
- (٣) الرجام: القبور.
- (٤) الانظلام: احتمال الظلم.
- (٥) تفرقوا أيدي سبأ: فرقتهم طرقهم التي سلكوها كما تفرق أهل سبأ في مذاهب شتى وقد ضرب العرب بهم المثل في الفرقة. واليد: الطريق.

القصيدة الحادية والثلاثون

عَرَّكْتُ بِكَفِّ الصَّبْرِ

عَرَّكْتُ بِكَفِّ الصَّبْرِ أَدْنَ زَمَانِي وَزَاخَفْتُ أَيَامِي بِفَضْلِ بَيَانِي ^(١)
 وَجَرَّيْتُ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ فَكُلُّ مَا أَحْرَرَّ عَنْ عِلْمٍ وَصَدَقَ عِيَانِ
 فَإِذَا عَدُوٌّ يُظْهِرُ الْوَدَّ حَيْلَةً وَإِذَا صَدِيقٌ فِي ثِيَابِ دَهَانِ
 وَإِذَا غَيْبِي كُلُّ رِيحٍ تَهْرُجُهُ يُعَدُّ إِذَا فَكَّرْتُ فِي الْحَيَوَانِ
 أَجَامِلُهُمْ لَا رَغْبَةَ فِي نَوَالِهِمْ وَلَا رَهْبَةً إِنَّ الْإِلَهَ كَفَانِي
 وَلَكِنْ لِيَنْقَادُوا إِلَى الرَّشْدِ سُنَّتُهُمْ وَأَسْمَعْتُهُمْ نُصْحِي بِكُلِّ لِسَانِ
 وَهُمْ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ صَمٌّ وَإِنَّمَا يَمِيلُونَ لِلْأَحْلَامِ وَالْهَذْيَانِ
 فَلَمْ يُرْضِهِمْ فِعْلِي وَلَمْ أَرْضَ عَنْهُمْ فَهَلْ مِنْ خِلَاصٍ قَدْ بَعَلْتُ بِشَأْنِي ^(٢)



(١) زاحفت أيامي: مشيت لقتالها وإرغامها.

(٢) قد بعلت: برمت فلا أدري كيف أصنع معهم؟

القصيدة الثانية والثلاثون

أتزعم

وسببها أني وجدت مجموعة أماديح وتهانٍ من أهل مصر^(١)؛ مع إنسان
ظننتُ به خيراً؛ فإذا هو قَدَمٌ^(٢) وكان ذلك في سنة ١٣٤٠هـ.

أتزعم أنَّ العَلمَ غيرُ مهانٍ؟ وأبناؤُهُ التَّائِثُوا بَداءِ دَهانٍ^(٣)
نعم إنَّ للكَتابِ في الشَّامِ ضجَّةٌ وفي مصرٍ لَلآدابِ خيلَ رِهانٍ
ولكنهم لا وزنَ للفضلِ عندهم فكَم من وضيعٍ طَوَّفُوهُ تَهانِي
وكم من غَيبِي كَرَّمُوهُ كَأَنَّهُ حبيبُ بنِ أوسٍ أو سُلالةُ هانِي
ولمَ لا يَجِيبُوا الدينَ وهو بِضَيِّمِهِ يقول: عدوي في الصميمِ دَهانِي^(٤)

نصيحة في واقعة حال^(٥)

على الهون

على الهون أو جدُّوا الرحيلَ إلى عدنٍ وسيروا بشكواكم لعاصمة اليمَن^(٦)

(١) كتب الإمام بعض المقالات بصحف مصر مثل صحيفة الأزهر وصحيفة المنار وكان يحب مصر ويتمنى زيارتها.

(٢) قَدَمٌ: عيبٌ عن الحجة مع ثقل ورخاوة وقلة فهم.

(٣) التائثوا: اختلطت عقولهم بداء النفاق.

(٤) لو قال يُجابُ لسلم البيت.

(٥) أنشأ الإمام هذه القصيدة في سنة ١٣٣٥هـ.

(٦) على الهون: امشوا على تودة. جدوا: اجتهدوا في الرحيل.

ولا ترأموا للذُّل بل واصِلوا السُّرى لِكُنِي تَأْخُذُوا بِالنَّارِ فِي حَادِثِ الزَّمَنِ^(١)
ولا تستشبروا خائناً في شؤونكم فكلُّ بلاءٍ في استشارته كَمَنْ^(٢)

(١) لا ترأموا للذُّل: لا تستكينوا له وتلزموه - السرى: السير ليلاً.

(٢) ذكر المؤلف بالهامش أنه يريد به السيد حسين بن حامد المحضار وكان جميل الرأي فيه حتى ألحَّ في إدخال حضرموت تحت الحماية الأجنبية (انتهى) وهذا يبين لنا نقطة مهمة وهي أن الإمام لا يراعي في الحق صداقة ولا قرابة فالزعيم حسين بن حامد المحضار وزير الدولة القعيطية والسياسي الداهية كان من أعز أصدقاء الإمام وله عنده مكانة خاصة لكن الإمام لما رأى إلحاح السيد حسين بن حامد في إبرام معاهدة الحماية مع الإنجليز هاجمه بهذه الشدة بل رماه بالخيانة لأنَّ الإمام كان لا يتهاون مع من يخدم الأجنبي ويحاييهم ولأجل هذا كرهه الشريف مكة الشريف حسين الذي قام بالثورة العربية على الأتراك والتي اعتبرها الإمام دسيسة أجنبية كما أن الإمام هاجم وعارض قيام السلطنة الكثيرة بإبرام معاهدة الاستشارة مع بريطانيا وبيَّن ما فيها من خطر وألقى في ذلك عدة قصائد قوية مما أكسبه عداوة السلطان الكثيري وأعيان البلاد. وقد ذكرنا سابقاً أن السلطان الكثيري جعفر بن منصور جاء بعد مرور سنوات على المعاهدة؛ جاء إلى العلامة علوي بن شهاب بترميم وهو يبكي مما صارت إليه الحال بعد المعاهدة ويطلب عزل نفسه عن السلطنة. مما يؤكد بعد نظر الإمام ابن عبيد الله وثقوب فهمه؛ وحدة بصيرته.

ولكن الإمام ابن عبيد الله لا يعرف أمور السياسة التي يعيش فيها الوزير حسين بن حامد والذي كان يتلقى أوامر من السلطان القعيطي ولا يستطيع أن يخالفها حتى لو كان رأيه الشخصي يعاكسها تماماً واعتقد أن الزعيم حسين بن حامد كان ضد معاهدة الحماية ومن مؤيدي الدولة العثمانية بدليل أنه كان كما قال الإمام ابن عبيد الله في تاريخه؛ كان يعارض اتصالات الإمام ابن عبيد الله مع الأتراك في الظاهر؛ ويشجعه عليها في الباطن؛ بل كان هو الذي يدفع له أجرة البريد؛ بل إن الزعيم حسين بن حامد افتعل حرب قسبل الصورية ليتخلص من طلب الإنجليز من القعيطي المشاركة في حرب الأتراك الذين احتلوا لحجاً؛ وينغض الطرف عن إرسال المؤن والغذاء للأتراك من المكلا إلى لحج وهو ما لم يمكن أن يقبله الإنجليز. كما كان الإمام ابن عبيد الله يجمع للأتراك الأنصار بحضرموت بمعرفة الزعيم حسين بن حامد المحضار الذي لم يعترض عليه. لكن المحضار لا يمكن أن يطلع الإمام ابن عبيد الله على ما يعرفه من أمور السياسة.

كمن: اختفى واستتر.

إلام وفي أيديكم الأمرُ كُلُّهُ تَسُومُونَ ذا العَلْقِ النفيسَ بلا تَمَنٍّ؟^(١)
 وأعجب شيءٍ أنكم لا لغفلة ظننتم بمن بانَتِ غَثائِثُهُ السَّمَنُّ^(٢)
 تُسَيِّئونَ بالأخيارِ ظَنًّا وما لَكُم وثِقْتُمُ على رِغَمِ بمن ليس يؤتَمَنُّ^(٣)
 مضى الوقتُ في التمويه لا هي شدةٌ فمتممٌ ولا لِنْتُمُ وقلْتُمُ له تَمَنُّ^(٤)
 ولكن لعلَّ الظلمَ شَتَّتَ رأيكُم فلا شيءٍ مثلُ الظلمِ يقتلع الدَّمَنُّ^(٥)



-
- (١) العلق: هو النفيس من كل شيء أو الثوب النفيس يكون للرجل. إنهم يريدون الغرة والمجد بدون تضحية وجهاد.
- (٢) غثائته: هزاله. إنهم ظنوا بهذا الخائن القوة وهو ضعيف.
- (٣) الأخبار: جمع خبر.
- (٤) تمن: ليكن ما تريد. من تمنى الشيء أراه.
- (٥) الدمن: الآثار.

القصيدة الثالثة والثلاثون^(١)

تَنكَّرُ دَهْرٌ

تَنكَّرُ دَهْرٌ زَادَ ضَوْءَ يَقِينِي وَهُوجُ حُطُوبِ وَالْإِلَهَ يَقِينِي^(٢)
 وَبَحْرٌ كَثِيرٌ الْأَضْطْرَابِ وَلَيْسَ لِي سِوَى ثِقْتِي بِاللَّهِ فِيهِ سَفِينِي
 وَمَا ضَرَّنِي حَظٌّ يَفُوتُ وَمَطْلَبٌ عَلَيَّ تَلَوَّى إِذْ نَجَوْتُ بِدِينِي
 وَعِزَّةٌ نَفْسِي فِي رِخَائِي وَشِدَّتِي أَعَزُّ وَأَعْلَى مِنْ جِبَالِ رَقِينِ^(٣)
 وَحَرْبٌ ضُرُوسٌ مِنْ زَمَانِي لِمَسَّهَا يَزِيدُ بِطَبَّاتِ الْقَرِيضِ أَنْيْنِي^(٤)
 عَمَزْتُ قَنَا شُعْبِي بِهَا فَتَكشَّفَتْ سِرَائِرُهُمْ عَنْ خَائِنٍ وَظَنِينِ^(٥)
 مَشَائِمٌ مَا فِيهِمْ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةٌ وَإِنْ مَزَجُوا حُلُوقَ الْكَلَامِ بِلِينِ
 فَمَا لِأَمْرِيءٍ فَضْلٌ عَلَيَّ بِكَلِمَةٍ وَلَا أَحَدٌ جَرَّبَتْهُ بِأَمِينِ
 فَأَكْرِمُ بِهَا حُرِّيَّةً مِنْ فِسَادِهِمْ أَفْدْتُ وَمَا قَدَفَاتُ غَيْرُ ثَمِينِ
 وَكَمْ صَاحِبٍ قَلَّدَتْهُ بِصَنْبَعَةٍ تَفْتَحُ عَنْ دَاءِ يُرِيهِ دَفِينِ
 وَكَمْ قَالَ ظَنِّي مِنْ صَدِيقٍ أَعَدَّهُ لَصَرْفِ اللَّيَالِي مَلْجُئِي وَعَرِينِي^(٦)

(١) أنشأها مع سفره في ربيع الأول من سنة ١٣٦٧هـ.

(٢) يقيني الأول بمعنى ثقتي والثاني بمعنى يحفظني.

(٣) جبال رقين: جبال من الدراهم. والرقين: الدرهم.

(٤) الحرب الضروس: الأكل العضوض. طيات القرية: نواحيه جمع طية أي يزيد أنيني بما

أذهب به في شعري من البث والشكوى من أجل مس هذه الحرب.

(٥) ظنين: متهم.

(٦) قال ظني: أخطأ. العرين: العز وماوى الأسد.

فلم يبق إلا اللّهُ في كل حالةٍ
عوارِفُهُ في كل مُنْسي ومُصبح
وإن كانت الأيامُ إلْباً وأهلُها
فلم يَخو لي نجمٌ ولا لأنْ جانبٌ
وقد لآخ في ليلٍ امتحاني أشعَّةُ
وعما قريبٌ يملأ الفائضُ النّدي
ويجمع شملي في سوابغِ نعمةٍ
بأكبادهم وخرُّ الصعّاد من الجوى
وما عندهم بعضُ الذي بي وإنما
أودّعهم إياه وهو مُصاحبي
وحسبي به دُخراً فلا بأس إن بغي
على ثقتي بالله يبرُدُ خاطري
ولي من رسول الله والمرتضى ومن
أولئك ساداتي وفخري بحبهم
عليهم صلاةُ الله ما حنَّ شيقٌ

يَجِيشُ لَنَا إِحْسَانَهُ بِمَعِينِ^(١)
تَصُوبُ فَتَشْفِي قَلْبَ كُلِّ حَزِينِ^(٢)
وَمَا أَنَا ذَا وَخَدِي بِنَغِيرِ مُعِينِ^(٣)
وَمَا زِلْتُ بِالْإِيمَانِ طَلُقَ جَبِينِ^(٤)
تُوَدِّي لِفَجْرِ لَا يَنْغِيبُ مَبِينِ
شِمَالِي بِغَايَاتِ الْمَنَى وَيَمِينِي
بِأَهْلِ لَهُمْ خَلْفِي شَجَاً وَبِنِينِ
وَأَحْشَاؤُهُمْ فِي زَفْرَةٍ وَحَنِينِ^(٥)
لَجَأْتُ لِرُكْنِ فِي الْوَقَارِ رَكِينِ
وَحَبْلُ رَجَائِي فِيهِ جَدُّ مَتِينِ
عُدْوِي وَإِنْ خَانَ الدَّمَامَ حَدِينِي^(٦)
وَأُضِيحُ مَسْرُوراً رَخِيٍّ وَضِينِ^(٧)
خَدِيجَةَ وَالزَّهْرَاءَ خَيْرُ ضَمِينِ
أَلُوذُ لِحَصْنِ لَا يَرَامُ حَصِينِ
وَمَا شَنَّفَ الْأَسْمَاعَ صَوْتِ أَذِينِ^(٨)

(١) يجيش: يفيض.

(٢) تصوب: تمطر.

(٣) إلْباً: مجتمعة عليّ بالظلم والعداوة.

(٤) لم يخو نجم: يقال: خوت النجوم أمحلت فلم تمطر يريد أنه لم ينله سوء.

(٥) الصعّاد: جمع صعّدة وهي آلة أصغر من الحرية.

(٦) خديني: صاحبي.

(٧) يبرد خاطري: يطمئن ويسكن. رخي وضين: الوضين حزام عريض منسوج من سيور يشد به

الرحل والقتب بمنزلة الحزام للسرّج ورخي بمعنى مسترخ. يريد أنه لا يشعر بما يضايقه.

(٨) أذين: مؤذن.

القصيدة الرابعة والثلاثون^(١)

نصيحة لابنه حسن

كَمْ لِي أَتَّبُهُ مِنْكَ ظَرْفًا يَا حَسَنُ وَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَمَادَى فِي الْوَسَنِ^(٢)
فَكَّرْتُ لِنَفْسِكَ فِي الْعَوَاقِبِ وَادَّكِرْتُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ عَادِيَةَ الزَّمَنِ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ قَوْلَكَ فِي غَدٍ يَا لَيْتَنِي وَالصَّيْفَ ضَيَّغْتَ اللَّبْنَ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الدَّهْرَ حَرْبٌ فَاعْتَصِمْ بَوْسِيلَةٍ تُنَجِّيكَ مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ
وَلَسْتُ بِقِيَّتِ مَعَ الْبَطَالَةِ سَادِرًا وَالْعَجِزِ أَخْلِقُ أَنْ تُذَالَ وَتَمْتَهَنُ^(٣)

(١) أنشأ الإمام ابن عبيد الله هذه القصيدة في سنة ١٣٥١هـ ينصح فيها ابنه حسن وهو الذي أشرف على طباعة الطبعة الأولى من هذا الديوان. والإمام ابن عبيد الله يشبه هنا جدّه زعيم وادي الأحقاف محسن بن علوي السقاف (١٢١١ - ١٢٩٠هـ) والذي أنشأ قصيدة طويلة ينصح فيها بنته سعود ولخص في قصيدته طريقة العلويين في تربية البنات التربية الإسلامية السليمة؛ كما أن هناك قصائد أخرى مثل قصيدة الإمام علي بن محمد الحيشي ينصح فيها ابنته خديجة؛ وقصائد أخرى مشابهة في دواوين العلويين. ولو جمعت هذه القصائد في كتيب لكانت دستوراً لتربية النشاء الجديد من الأولاد والبنات. ويقول الإمام محسن بن علوي في قصيدته:

سعود إن شئتني الخير جدي إلى ريش السير
ولا تشوفين للغير إلا إلى عالي الشأن
دومي على طاعته دوب للفرض صلي ومنندوب
تحصلي كل مطلوب من ذي العطايا والإحسان
حجي وزكي وصومي لله بالحق قومي
على مراضيه دومي بصدق وإخلاص وإتقان

(٣) تذال: تهان.

(٢) الوسن: قلة النوم.

لَهْفِي عَلَيْكَ وَكَلِمَا فَكَّرْتُ فِي
وَلرَبِّمَا صَوَّرْتُ طَبَعَكَ فِي الدُّجَى
تَزَوَّرُ عَنْ نَصْحِي وَتُلْقَى لِلْهَوَى
مَتَخَاذِلًا فِي النَّوَى عَمَا تَرْتَجِي
وَإِذَا زَجَرْتُكَ ذَاتَ شَهْرٍ مَرَّةً
وَالْحُرُّ تَكْفِيهِ الْمَلَامَةُ وَالْعَصَا
خَالِفٌ هَوَاكَ وَزَمَّ نَفْسَكَ بِالثَّقَى
وَاحْرِصْ عَلَى سَاعَاتِ دَهْرِكَ إِنَّمَا الْعُدُ
وَالدَّيْنُ أَوْلُ خُطْوَةٍ فَاغْتَنَ بِهِ
وَالعِرْضُ أَشْرَفُ خَصْلَةٍ وَمَتَى ارْتَقَى
وَالْمَرْءُ مَتَّهَمٌ بِفِعْلِ قَرِينِهِ
وَاحْذِرْ مَعَاشِرَةَ اللَّئَامِ فَقَلَّمَا
وَالنَّاسُ غَالِبُهُمْ عَلَى اللُّومِ أَنْطَوُوا
فَلطَالَمَا أَحْسَنْتُ ظَنِّي بِأَمْرِي
فَالِإِخْتِلَاطُ بِهِمْ مِنَ الْبَلْوَى وَلَا
وَالْعِلْمُ مُلْكٌ لَا يَزُولُ وَجُنَّةٌ

مَسْتَقْبَلِ الْحَالِ امْتَلَأْتُ مِنَ الْحَزَنِ
فَأَبَيْتُ مَضْطَرَبَ الْفَوَادِ مِنَ الشَّجَنِ^(١)
وَلِفَاسِدِ الرَّأْيِ الَّذِي يُرِدِي الرَّسْنَ^(٢)
ثَمَرَاتِهِ وَمَعَ التَّوَانِي فِي قَرْنٍ^(٣)
لَمْ تَنْبَعِثْ إِلَّا وَأَدْرَكَكَ الْحَرَنُ^(٤)
لِلْعَبْدِ وَالتَّلِيمِخُ يُغْنِي ذَا الْفِطْنِ
وَدَعِ التَّمَكُّثَ إِنَّهُ سَبَبُ الْوَهْنِ
عَنْ الَّذِي مَا فِي الْوَجُودِ لَهُ ثَمَنٌ^(٥)
وَبِهَمَّةٍ أَدَّ الْفِرَائِضَ وَالسُّنَنَ
لِلْعَرَضِ رَيْبٌ لَمْ يَفَارِقْهُ الدَّرَنُ
فَالْحَزْمُ بِالْإِنْسَانِ هَجْرٌ أَوْلِي الظَّنِّ^(٦)
تُفْضِي إِلَى غَيْرِ الْعِدَاوَةِ وَالْإِخْنِ
لَا يَبْذُلُونَ الْوَدَّ إِلَّا عَن دَخْنٍ^(٧)
وَمَنْحَتُهُ صَدَقَ الْمُوَدَّةَ فَاضْطَغَنُ
سَيِّمَا لِمَتَّفِقِ السَّرِيرَةِ وَالْعَلَنُ
لِلْمَرْءِ فِي الدَّارَيْنِ مِنْ أَوْقَى الْجُنُنِ^(٨)

(١) الشجن: الحزن.

(٢) الرسن: المقود.

(٣) النوى: البعد. قرن: بفتحين جبل واحد.

(٤) الحرن: بفتحين الوقوف بعد شدة الجري ومنه دابة حرون.

(٥) العلق: النفيس.

(٦) الظنن: التهم.

(٧) دخن: محرقة حقد وسوء خلق.

(٨) جنة: وقاية والجمع جنن.

ما أَلُ الغريب وأُنسُهُ من حيثما
 خذ بالوصية يا بُنَيَّ فإنها
 وتكبد الأتعاب في تنفيذها
 والعجزُ غايتهُ الندامةُ والهنا
 وأرخ فؤادي إنني من صدك أَلُ
 ويحقُّ بي أن أستريح لأنني
 ويسرُّني منك العفافُ ولم تزل
 ولديك أخلاقٌ تليقُ بعنصرٍ
 فاجمع إليها العلمَ واعرف أنه
 وبحبِّ أصحاب الكساءِ يضاعفُ
 وعليهم الصلواتُ والبركاتُ والرَّ

يأتي تكون له المنازلُ كالوطنُ
 سببٌ به ترقى إلى أعلى القنن^(١)
 وعلى زمانك إن عملت بها تَمَنُّ^(٢)
 بالكُدِّ في نيل المعالي مرتهنُ
 مشوومٍ عن طلب المعارف ممتحنُ^(٣)
 فوضتُ أمرك للإله بحسن ظن^(٤)
 عندي على هذي الرُّعونة مؤتمنُ
 من سنخِ عدنانٍ وظئرٍ من يَمَنُّ^(٥)
 وقفتُ على تعب القريحة والبدنُ
 الوهابُ لي ولك اللطائف والميننُ
 حماك والرضوانُ ماغيثُ هتننُ



(١) القنن: الجبال.

(٢) تمن: اطلب من زمانك ما تشاء إن عملت بهذه الوصية.

(٣) ممتحن: مبتلى بالمحن.

(٤) ذكر الإمام ابن عبيد الله في المعجم في معرض كلامه عن تربية الأولاد قول الإمام مالك:
 الأدب أدب الله؛ لا أدب الآباء والأمهات وقول الشعراني لقد كنت في عناء من تأديب
 ولدي عبد الرحمن؛ حتى وكلت أمره إلى الله؛ فصلح؛ أو ما يقرب من هذا (عبد الرحمن بن
 عبيد الله السقاف معجم بلاد حضرموت مكتبة الإرشاد صفحة ٣١٥).

(٥) سنخ عدنان: أصله.

القصيدة الخامسة والثلاثون

بجاه ابن عيسى

وهذه قلتها مرة؛ إزاء ضريح المهاجر إلى الله؛ الإمام أحمد بن عيسى^(١)؛ وما في التوسل من الأخذ والرد؛ قد بينته مع رأيي فيه؛ في رسالة شافية؛ ولئن أغلظت القول في الفتوى؛ وخضعت لبعضه في العمل بشأنه؛ فذلك أنه لا يجوز الإفتاء إلا بالراجح؛ بخلاف العمل في حق النفس؛ فإنه يجوز ولو بالواهي والضعيف؛ كما هو مقرر في الفقه.

(١) المهاجر أحمد بن عيسى هو جدّ العلويين بحضرموت وهو أول من وصل منهم إلى حضرموت واستقر بها وقد هاجر من البصرة في سنة ١٣١٧هـ بعد اشتداد فتن الزنج والقرامطة بها وقصد المدينة المنورة؛ ثم حج في سنة ١٣١٨هـ واتجه بعدها نحو اليمن حتى استقر به المقام بحضرموت وتوفي بها سنة ٣٤٥هـ وقبره الحالي موجود بشعب الحبيسة قرب مدينة سيئون. ومع إن الإمام ابن عبيد الله يحمل على الصوفية رغم كونه نشأ في بيئة صوفية إلا أن التزامه الفقه أبعدته عن العمل بالتصوف؛ رغم أن كثيراً من كبار الفقهاء كانوا من أهل التصوف مثل العز بن عبد السلام والسيوطي وابن حجر الهيتمي لكن ابن عبيد الله يقول عن نفسه أنه صوفي بالكلام وليس بالفعال. وكان الفقيه اليمني ابن المقرئ صاحب الإرشاد يهاجم الصوفية؛ كما أن من بين العلويين أنفسهم من يعارض أعمال الصوفية وذكر الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري في تاريخه إن الشيخ علي بن أبي بكر السكران المتوفى سنة ٨٩٥هـ كان متشدداً في تطبيق فقهه فاعترض على حضرة السقاف بمسجد جدّم لما يحدث فيها من ضرب الطيران والدفوف ونفخ اليراع وهو يتبع في ذلك صاحب الإرشاد الشيخ إسماعيل بن المقرئ. كما نفهم من مقدمة الإمام لهذه القصيدة معارضة للتوسل بدليل الرسالة التي قال إنه أنشأها ولم أطلع عليها رغم شغفي بذلك؛ لكننا نرى الإمام ابن عبيد الله مع ذلك يشابه قومه في مسألة التوسل؛ وقد علل تصرفه هذا كما ترى أعلاه تعليلاً لطيفاً.

بجاء ابن عيسى صاحب الرتبة الكبرى
أتينا بأحمالٍ ثقالٍ تجرُّها
وقمنا على الأعتابِ نستمطرُ الندى
يلدُّ لنا في حَضْرَةِ الْجُودِ بَثُّ مَا
إليكَ رَقَعْنَا بِالرَّجَاءِ أَكْفَفْنَا
وإنَّ الْجَمْتَنَا بِالسَّكُوتِ ذُنُوبُنَا
وَشَفَعُ وَلِيَّ اللَّهِ فِينَا وَهَبْ لَنَا
تَوَجُّهَ شَهَابِ الدِّينِ فِي كَشْفِ كُرْبَةِ
فَأَنْتَ الَّذِي أَسْكَنْتَنَا فِي رُبُوعِهِ
تَنْقَلَّتْ فِي الْبُلْدَانِ تَبَغِي سَلَامَةً
وَمَا قَدْ تَفَشَّى الْجَوْزُ فِيهِ فَسَلْ لَهُ
بِحَرْمَةِ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ وَصَهْرِهِ
أَتِينَاكَ ضَيْفَانًا وَإِنْ تَكُ مُخْنَقًا
بِمَنْ غَيْرٍ مِنْ فِي الْمَدْلِهِمَاتِ نَحْتَمِي

نؤمِّلُ فِي الدَّارَيْنِ مِنْ رَبَّنَا الْبُشْرَى
نَجَائِبُ آمَالٍ إِلَى السَّاحَةِ الْعُرَى
وَنَشْكُو إِلَى مَنْ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَالسَّرَّ (١)
يَكَادُ يَقْدُ الْجَوْفَ وَهُوَ بِنَا أَدْرَى (٢)
وَحَاشَاكَ يَا مَوْلَايَ مِنْ رَدِّهَا صِفْرًا (٣)
فَرَحْمَتِكَ الْعَظْمَى بِغَفْرَانِهَا أُخْرَى
مِنَ الْيُمْنِ وَالْإِقْبَالِ مَا يَطْرُدُ الْعُسْرَا
بِهَا أَصْبَحَ الْوَادِي وَسَكَانُهُ أُسْرَى (٤)
لِتَحْفَظْنَا مِنْ فِتْنَةِ الْبَصْرَةِ الْخَضْرَا (٥)
مِنَ الشَّرِّ حَتَّى اخْتَرْتَ هَذَا لَنَا وَكُرَا
مِنَ اللَّهِ تَحْوِيلًا إِلَى حَالَةِ أُخْرَى
وَنَجْلِيهِ وَالْكَبْرَى وَفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ
عَلَيْنَا فَإِنَّ الضَّيْفَ حَتَّى أَسَا يُقْرَى (٦)
وَمِمَّنْ سِوَاكُمْ نَطْلُبُ الْغَوْثَ وَالنُّصْرَا

(١) من يعلم الجهر والسر: أي هو الله وحده عز وجل.

(٢) حضرة الحود: المقام الذي تهبط فيه الرحمت ويفيض الإله سبحانه بالفيوضات على من

يشاء من عباده المخلصين - يقدر: يقطع ويشق: الجوف: الصدر.

(٣) صفرًا: خالية.

(٤) توجه: توجه بدعائك إلى الله عز وجل الذي لا يكشف الكروب سواه.

(٥) يشبه في أبياته هنا قول الإمام الحداد:

تحمى عن الدنيا وهاجر فارًّا
إلى الله ولأحداث ذات ضرام
من البصرة الخضراء يخترق القرى
ويلحق أغواراً لها بأكام
إلى أن أتى الوادي المبارك فارتضى
ومد به أطنابه لخيام

(٦) مُخْنَقًا: مغنيًا حاقداً. أسا: يريد أساء. يُقْرَى: يعطي القرى ضيافة وتكرماً.

قِصَارَى أَمَانِي الْعِدَا هَدْمٌ قُلَّةٍ بَنَيْتَ لَنَا نَافِثَ عَلَى هَامَةِ الشُّغْرَى
 سَلُوا اللَّهَ يَرْمِي كَيْدَهُمْ فِي نَحْوِهِمْ وَيَشْغَلُهُمْ عَنَا بِدَاهِيَةِ كُبْرَى
 وَيَنْجِزْنَا وَعَدَ الْإِمَامَ بِقُرْبِهِ سَرِيعاً لِأَنَا لَمْ نَعُدْ نَسْتَطِيعُ صَبْرًا
 وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا كُمْ فَتَفَقَّدُوا شُؤُونَ بَنِيكُمْ وَاجْبُرُوا لَهُمُ الْكَسْرًا
 وَأَدْنَى التَّفَاتِ مِنْكَ يُصْلِحُ حَالَهُمْ فَتَنْقَلِبُ الضَّرَاءَ عِنْدَهُمْ سَرًّا
 وَيَسْتَرِشِدُ الْأَعْمَى وَيَنْدَفِعُ الشَّقَا وَيَرْجِعُ لِلنَّهْجِ الْقَوِيمِ مَنْ أَرْوَرًا
 وَجَاهُكَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الظَّنِّ وَاسِعٌ وَقَوْلُكَ مَسْمُوعٌ وَإِحْسَانُهُ تَتْرَى^(١)
 عَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ مَا أَوْمَضَ الْبَرْقُ وَأَفْتَرًا



(١) تترى: متابع.

القصيدة السادسة والثلاثون

تَوَجَّهَ إِلَى الْبَارِي (١)

تَوَجَّهَ إِلَى الْبَارِي لِيَسْتَمَعَ الدُّعَا وينعشَ آمالاً مِنَ الدَّهْرِ ضَلَعَا (٢)
 نَشْنُ مِنْ الْأَيَّامِ إِذْ عَثَرْتُ بِنَا ونشكو فقلْ يا بن الكرام لنا لَعَا (٣)
 فَأَنْتَ لَنَا جَارٌ وَمَنْ تَكَ جَارَهُ له الأَمْنُ حاشا أن يكون مُضَيَّعَا
 أَتَيْنَاكَ وَالْأَشْجَانُ مَلَأُ قَلُوبِنَا تكادُ لما قد نابنا أن تصدَّعَا
 وَعِلْمُكَ بِالْإِجْمَالِ يُغْنِي فإِنَّا على البتِّ لا نقوى فقد ملئ الوعا
 وَأَنْتَ الَّذِي أَسْكَنْتَنَا هَذِهِ الرُّبَا فصارت لنا بعد المدينة مزيَّعَا
 وَنُورَتَهَا بِالذِّينِ حَتَّى تَنْوَرَتْ وكنت بها للهذي والعلم مَظْلَعَا
 حَيًّا سَالَ مِنْ عَيْنِ الْحَيَاةِ مَعِينَهُ به اهترَّ ذا الوادي الجديبِ وأمرعَا (٤)
 بِنُوكَ وَإِنْ عَقُّوكَ أَذَلُّوا بِذَمَّةِ ومثلك من وقى الذَّمَّامِ وَمَنْ رَعَى



(١) هذه القصيدة موجهة أيضاً إلى الإمام المهاجر أحمد بن عيسى وسلسلة نسبه كالتالي:
 أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي ابن
 زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٢) ضلعا: عظيمة.

(٣) لعا: لا عثرتم دعاء لهم.

(٤) حيا: مطرا. أمرع: أخصب.

القصيدة السابعة والثلاثون

تطاوولٌ ليلُ الهمِّ

وهذه قلتها على البديهة؛ في حضرة جبل الشرف، والبحر الذي لا يُنْقِضُهُ
من اغترف، ولا يُدْرِكُ له قعرٌ ولا طَرْفٌ، والبحر الذي لا يكثُرُ بمن جاء؛ ولا
يَقِلُّ بمن انصرف، (هو) ذو الخير الهامي، والفضل الطامي، والنور الساطع،
والسيف القاطع؛ الإمام حسن بن صالح البحر المتوفى في ٢٠ ذي القعدة من سنة
١٢٧٣هـ؛ أبو الأيتام، وكهف الإسلام؛ بلغ من حبه المساكين؛ أن جدي محسناً
اقترن بإحدى بناته؛ فعمل وليمة لجدي ولركبه؛ ذبح فيها من الشاه أكثر من
عشرين؛ ولما أطلَّ من النافذة؛ ووجد المساكين حافئين بداره؛ أمر بإدخالهم
وتقديم ذلك الطعام إليهم؛ واستيناف طعام آخر لجدي وقومه؛ فما كان أحقَّه
بقول طرفه:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا نرى الأدبَ فينا يَنْتَقِرُ

وقدم مرة إلى تريم؛ ونزل بدار السيد حسين بن عبد الرحمن بن سهل؛
كجاري عاداته، ولما قُدِّمَ الطعام؛ جعل يلقي يديه على حاجبيه ينظر أين أتباعه؛
وما هم إلا كأتباع الأنبياء؛ ضعفاء الخلق وفقراؤهم، وقد دعا السيد حسين أعيان
«تريم» ليتشرفوا بمؤاكلته؛ فاستأثروا بالمنزل الذي فيه الحبيب حسن؛ فلم يطب له
طعامه؛ ولكن الحبيب حسين عرف ذلك؛ فأشار على الحبيب حسن بالقيلولة في
دار الحبيب أحمد بن علي الجنيد؛ واستدعى العمال؛ ورفع حاجزاً بين المنزلين؛
حتى لا يتعشى إلا وأصحابه بمرأى منه؛ من دون أن يُحرَمَ مجلسه أعيان «تريم»؛
وخاصة الناس؛ فتعجب الناس من صنيع الاثنين. وفي رواية بعضهم؛ أن بطل

القصة؛ المنزول عليه؛ هو السيد أحمد الجنيدي؛ وإنما كانت القيلولة في بيت السيد حسين.

وبلغ به الحفاظ؛ أن حَمَلَ السلاح؛ فصَدَّ بنفسه عادية قوم؛ لا يحصى عددهم؛ أغاروا على حضرموت من جهة شِبَام؛ فكسرهم شَرَّ كسرة، وأوقع بهم أكبر هزيمة؛ وبويع له بالإمارة.

وبلغ به النصْحُ للذَّين إلى أبعد غاية، حتى بلغ به ضفاف البوسفور؛ فأشبع السلطان العثماني عتياً ووعظاً؛ على إبداله زي العساكر العثمانية بالزِّيِّ الإفرنجي؛ ما عدا القُبَّة.

وكان قريباً من الفقراء والمساكين، يتمنى الأغنياء أن لو كانوا فقراء في مجلسه؛ لما يروُن من تقديمه لهم؛ كما كان كذلك سفيان الثَّوري. دَمَتْ الأخلاق، لِيَنَّ الجانب، شديداً على الظلمة، ترعدُ منه فرائص الأمراء، مكرماً لرؤساء العرب ومشايخ القبائل؛ وخاصة منهم؛ أهل الوفاء، بعيداً عن التصنُّع؛ رأينا بقلمه وثيقة في اللجمة؛ لو كتبها غيره لعابه المتحدلقون؛ الذين يتخرجون عن دم البعوض؛ ولا يسألون عن دم الحسين، ويهربون من كراهة العزل؛ ولا يبالون بحرمة الزنا.

يقبل عطايا الملوك وهداياهم؛ ولا يبيت عنده دينار ولا درهم، ولم يتأثُلْ مالاً؛ ولم يَضَع لِنِئَةً على لِنِئَةٍ. غزير الدمعة؛ يطربُ بقراءة القرآن؛ ويغيبُ عن كُلِّ شيء حتى لو زلزلت الأرض زلزالها؛ عند قراءته؛ لم يَشْعُرْ بذلك.

ولقد تزوَّج سراً؛ فلما كان وقت ورده من الليل؛ انكشف الأمر، وظهر الخبر، وكذلك كان ابن الزبير؛ حتى لقد اتهموه في خشوعه^(١)؛ فصبوا على رأسه ماءً حاراً؛ وهو ساجد؛ فلم يشعر به؛ ثم مرض منه أياماً.

كلُّه نفع عام؛ وقُرَّة لعين الإسلام؛ وليس هذا مكان ترجمته حتى نفيض فيه،

(١) أي ابن الزبير.

وفي قسم المراثي قصيدة تتعلق به؛ وهي السابعة من مراثي ولدنا المرحوم
بَصْرِي^(١). وهذه هي القصيدة:

تطاوَلَ لَيْلُ الْهَمِّ وَاسْوَدَّ جُنْحُهُ	ولكنَّ بحرَ العلمِ والجودِ ضُبْحُهُ
أَتَيْنَاهُ وَالْأَمَالَ مَلءُ قَلُوبِنَا	وما صدَّنا عنه الهجيرُ ولفْحُهُ
صَبِرْنَا عَلَى الرَّمْضَاءِ فِي سِيرِنَا إِلَى	زِيَارَةِ مَنْ طَالَ السَّمَاكِينَ صَرْحُهُ
أَبُو صَالِحِ ذُو السَّوَدِّ الضَّخْمِ وَالْعُلَى	وَرُبُّ السَّمَاكِ الْقَاتِلُ الْمُخْلِ نَفْحُهُ ^(٢)
وَرَدْنَاهُ وَالْأَكْبَادُ حَرَّى فِي الْحَشَا	مَنْ الْبَثُّ مَا يُفْضِي إِلَى الطَّوْلِ شَرْحُهُ
وَلَدْنَا إِلَى الْبَارِي تَجَاةً ضَرِيحِهِ	لِيَاذَ كَسِيرٍ لَا يُوَخَّرُ مَنْحُهُ
وَخَبِرْتَهُ بِالْحَالِ تُغْنِي وَجَاهُهُ	كَفَيْلٌ بَأَنْ يُذَوِيَ مِنَ الصَّبِّ جُرْحُهُ
تَوَجَّهَ إِلَى الْبَارِي لِيُظَلَّقَ مُوْتَقِّ	وَيُقْبَلَ مَطْرُودٌ وَيُسْتَرَّ قُبْحُهُ
وَيَرْتَاخَ مَحْزُونٌ وَيَظْفَرَ طَامِعٌ	وَيَسْعَدُ مَحْرُومٌ وَيُجَزَّلَ رِبْحُهُ

* * *

(١) بصري: هو أحد أبناء الإمام ابن عبيد الله وقد توفي في حياة أبيه وهو في ريعان الشباب.

(٢) القاتل بالمحل: المعدم الجذب. نفحه: عطاؤه.

القصيدة الثامنة والثلاثون

يا من بنورِ جبينه

يا من بنورِ جبينه الوادي أضأ
يا من يعودُ بنغاية الآمالِ مَنْ
يا من مراتبه الثرياً دونها
يا فائضَ المعروف يا بحرَ التّدى
ونعودُ مِن ذلك الشقاءِ وَمِن أذى
لو أن رَضَوِي نَابَهُ بَعْضُ الَّذِي
زاحفتهُ حججاً طوالاً ما رأى
والآن قد حوِي الوغى نسيوفهُ
أفتتركوني للسباعِ ومنكُم
مِن داركُم خرَج الوفا حاشاكُم
لا تهملوا فالطيرُ يحمي وكرهُ
وبجاهكم ريشَ الجناحِ فحَصَّهُ

وبجاههِ من ربّنا نرجو الرضاً^(١)
بالصدقِ جاءَ لفضله متعرّضاً
يا من مناقبه بها امتلأ الفضا
بك نستجيرُ الله من سوء القضا
دهرٍ بنا مِن صرْفهِ نارُ الغضى
قاسيتهُ من حربهِ لتَقَوْضاً^(٢)
فيهنّ منّي غيرَ عزمٍ في مضا^(٣)
من كل وجهٍ لاضطهادي تُنتضى^(٤)
لي ذمّةُ يابى الثقى أن تُنقضا
أن تشيئوا بسكوتكم من أبغضا
ويذودُ عنه الشرُّ حتى ينهضا
دهرٌ رمانا بالأذى وتعرّضاً^(٥)

(١) أضأ: أضاء.

(٢) مضا: مضاء ونفاد.

(٣) تنتضي: تسل من أغمادها.

(٤) ريش الجناح: كسي بالريش. يريد أنه استغنى. فحسه الدهر: فأذهب: والحصى ذهاب

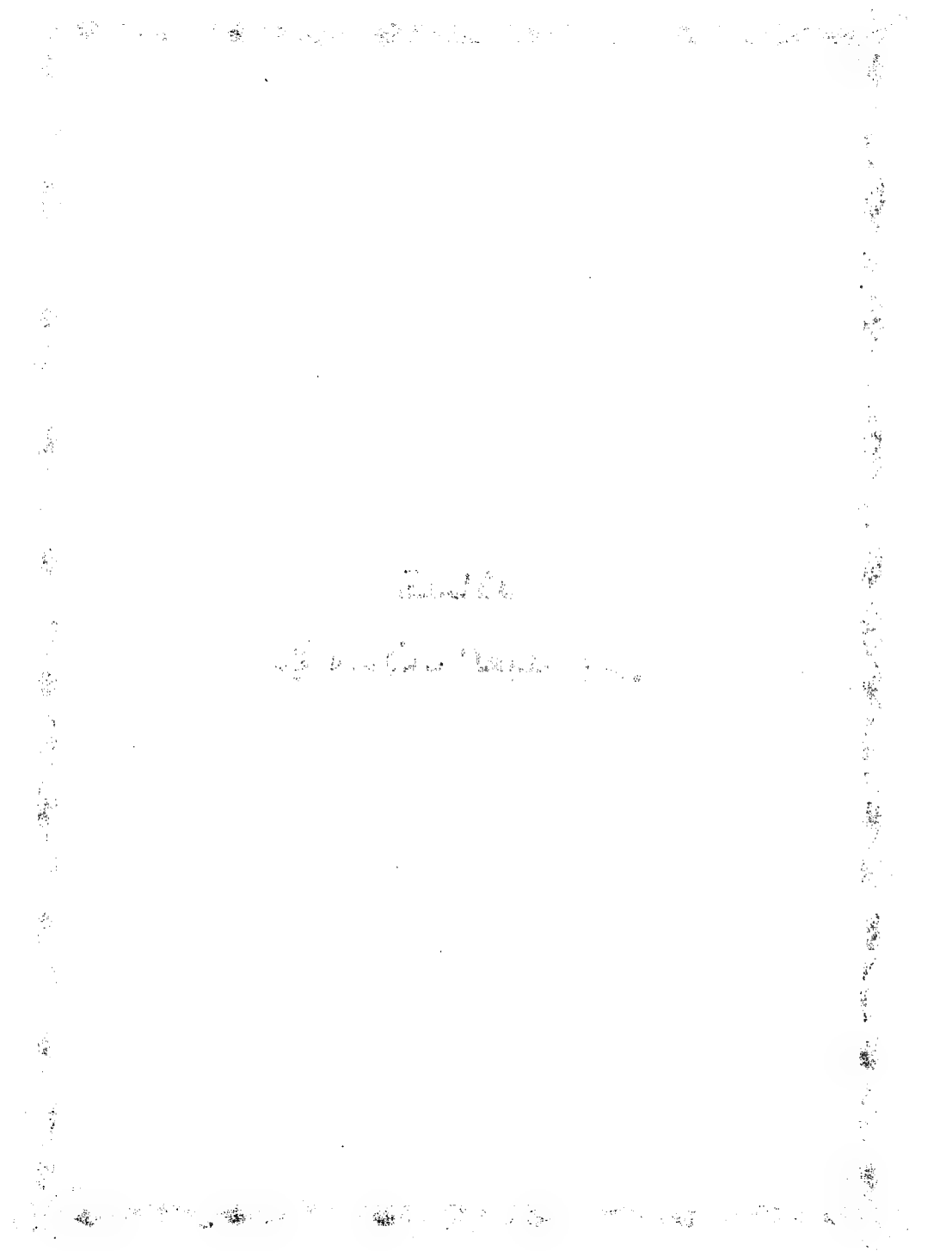
الشعر وانجراده وتناثره.

صَابِرْتُهُ وَخِدْيِي وَهَانَذَا لِمَا يَأْتِي احْتِمَيْتُ بِكُمْ وَيَكْفِي مَا مَضَى
بِكُمْ أَلُوذُ وَبِالنَّبِيِّ وَبِنْتِهِ وَابْنَيْهِمَا الْحَسَنِينِ ثُمَّ الْمَرْتَضَى
مَنَا عَلَيْكُمْ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ مَا أَبْكِي الْغَمَامَ الْبَرَقُ مَهْمَا أَوْمَضَا





قصائد
في مناقب العيروس



Handwritten text, possibly a signature or name, located in the center of the page.

Handwritten text, possibly a date or a short phrase, located below the signature.

قصائد في مناقب العيدروس

والقصائد الآتية؛ قدّمتها بين يدي نجواي لمنجد الغريق، ومنقذ الحريق،
ومؤوضّح الطريق، ومُمثّل خير فريق، الأستاذ الأبر، والشيخ الأكبر عيدروس بن
عمر الحبشي «قدس سرّه» فقد اعترف له المعاصر، وعقدت عليه الخناصر، ونوّه
به المشايخ في الصغر، وبإداره الفتوح وما الثَّغر^(١).

يحكى عن الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر؛ أنّه أمر أولاده مرة بزيارة
«دوعن»؛ ولما عادوا سألهم عن المترجم؛ فقالوا: لم نتمكن من زيارته؛ فقطع
عنهم كلامه؛ وصبّ عليهم ملامه؛ وألزمهم العود في الحال؛ قبل حط الرحال؛
مع تباعد المحالّ.

تمامُ الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام
ولما كانت ليلة المحائل؛ وهي التي أغار في صبيحتها السلطان عوض بن
عمر القعيطي^(٢)؛ على حضرموت؛ بثمانية آلاف مقاتل؛ جاء الأمير غالب بن
محسن الكثيري^(٣)؛ يستشير جدّي المحسن في المهرب إلى تاربه^(٤)؛ فأحاله على

(١) الثَّغر: نبتت أسنانه.

(٢) مؤسس الدولة القعيطية التي شملت سيادتها أغلب حضرموت كان عسكرياً بجيش حيدرآباد
وجمع ثروة أقام بها دولة بحضرموت وكان رجلاً شجاعاً وحكيماً وكانت وقعة المحائل في
سنة ١٢٨٥هـ.

(٣) مؤسس الدولة الكثيرية وكان جنرالاً في جيش حيدرآباد الدكن بالهند وكوّن ثروة أعانته على
تأسيس دولته.

(٤) قرية على الطريق بين سيؤون عاصمة الدولة الكثيرية ومدينة تريم.

تلميذه صاحب الترجمة؛ فذهب من قُورِهِ؛ هَدَأَةً من الليل؛ إلى الغرفة^(١)؛ فأشار عليه سيدنا الأبر بأن يصلح نيته مع الله؛ ووعظه؛ حتى إذا تحقق منه القبول؛ قَوَّى أمله في الانتصار؛ فكان كذلك^(٢)، في خوارق عادات كبرى، أخذ التوفيق هواه، وشغل التحقيق قواهي، وملاأت الأنوار جَنَانَهُ، وملك الأتباع عِنَانَهُ، فما حادَ عن سيرة النبيِّ بنانه، متمسكاً بالشرعية؛ لا يَعُدُّ غيرها للنجاة ذريعة، يستحضر دقائق الفقه حتى في آخر عمره، ويلتزم به في كل أموره، أخبرني الفاضل الثقة السيد حسن بن أحمد الحداد؛ أن أخاً له توفي وأوصى بأن يصلي المترجّم عليه؛ فامتنع أولاً وثانياً؛ حتى سئل عن السبب؛ بعد تشعب الظنون! فقال: إن الحق في الصلاة عليه؛ إنما هو للولي؛ فلا تعتبر وصيته. وحين أُذِنَ له تقدّم.

وأغرب من ذلك؛ أنه لما هزّه الشوق، وحضره السُّوق، بلغت به الألفاف؛ أن أذن لقوم أرادوا مصافحته؛ وقد بردت منه الأطراف، فاستدعى جمرًا للتسخين، كيلا يعلم الزائرون قرب الحين، ولما خرجوا عزم على صلاة العصر؛ وعجز عن استيفاء آداب الطهارة؛ فأمر بمراجعة بيان العمراني^(٣)؛

(١) قرية بقرب سيؤون على الطريق بينها وبين وشبام يسكنها الإمام عيدروس بن عمر الحبشي وبها قبره.

(٢) قال ابن عبيد الله في تاريخ حضرموت: إن السلطان غالب بن محسن بكر على حصانه يستشير زعيم البلاد الإمام محسن بن علوي السقاف (١٢١١ - ١٢٩٠هـ) بعد أن قرر الهرب لأن ليس له طاقه بالجيش الزاحف كما استأجر الإمام محسن هو الآخر حماراً ليهرب عليه لأن يافعاً يطلبون رأسه قبل رأس أي إنسان آخر إلا أن الإمام محسن بن علوي لما طلب السلطان استشارته أحاله إلى تلميذه الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي (١٢٣٧ - ١٣١٤هـ) بالغرفة فقصدته السلطان غالب فوجده يتعبد الله في بستانه المعروف بالهداهد فاستشاره السلطان في الهرب فأطرق الحبيب عيدروس ثم أمر السلطان بالثبات على أن لا يرهق الرعية في هذه الحرب فلم يأخذ السلطان من الناس في دفاعه إلا طعام الجنود ثم جاءت بشائر النصر وانتهى الجيش الغازي بالهزيمة.

(٣) كتاب البيان في شرح المهذب للعلامة اليمني أبي الخير يحيى العمراني المتوفى سنة

لرخصة يحفظها عنه؛ ولما أدركوها كما قال؛ أضرب عن الترخيص؛ وقال: هذه آخر صلاتي في الدنيا؛ فكيف أتجوّز فيها مع قوله ﷺ: «صلّ صلاة مودّع» وبه ذكرت؛ أنّ بعض العلماء؛ وهو أحمد بن المعدل؛ أخو عبد الصمد؛ حج في نحو التسعين من عمره؛ فأراد أن يتعرض للشمس في عرفات مع مزيد ضعفه؛ فقال له أصحابه: لو أخذت بالتوسعة؛ فأبى؛ وقال:

ضحيتُ له كي استظلّ بظله إذا الظل أضحى في القيامة قالصاً^(١)
فوا أسفاً إن كان سعيك باطلاً وواحسرتنا إن كان حجك ناقصاً
ولما سلّم الأستاذ الأبر من آخر صلاته في الدنيا؛ استدعى سائر أهله؛ وشرب من ماء سقايم فضله؛ فعزم الله لهم بالثبات والصبر؛ حتى أوصاهم بتقوى الله؛ وأخبرهم بأنه آخر العهد؛ وحثّهم على الرضا والتسليم؛ وودّعهم وصافحهم واستودعهم الله؛ ثم أمر النساء بالخروج من المنزل؛ وهم (جميعاً) واجمون؛ واضطجع على جنبه الأيمن؛ وأخذ يكرّر الجلالة؛ وأمر الحاضرين بقراءة يس؛ فما ختموها حتى فاضت روحه الشريفة سنة ١٣١٤هـ؛ عن سبعة وسبعين عاماً. وهذا أغرب مما ذكره عن وفاة الحافظين أبي زرعّة والذهبي رحمهم الله.

جمع إلى الكمال النجابة، وإلى الجمال المهابة، لا نراه إلا ذكرنا به الصحابة، يسري في مجلسه الوقار، إلى جميع الحضّار؛ فتراني في العاشرة من عمري؛ أحضر مجلسه الطويل؛ فلا أغير جلستي، بلا كلفة في اتحاد قعدتي؛ مع انطباع الصبيان على الحركة؛ وهو شيء لم أخصّ به وحدي؛ بل يشترك فيه كل من يحضر مجلسه مثلي.

حضرت معه وأنا في نحو تلك السن من عمري؛ زيارة هود ﷺ^(٢)؛

(١) ضحيت: برزت للشمس. قالصاً: ناقصاً أو متزويماً.

(٢) يقام في حضرموت اثنان من أسواق العرب في الجاهلية أحدها سوق الرابية وقد انقرض منذ زمن بعيد والسوق الثاني الأشهر هو سوق المهرة ويسمى أيضاً سوق الشحر ويقام تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود ﷺ في النصف من شعبان ولا زال هذا السوق يقام في =

فحصلت أمور يطول شرحها، منها أنه لا يزال يظن في أدنى قوله: أنس القلب ریحُ القبول. فذكرتها للشيخ محمد بن أحمد الخطيب؛ بعد أمة من الزمان؛ فقال: نعم. وكان من خبرها أنه طلع إلى القبة ليستحضر عنده نبينا؛ لأن الأنبياء صلوات الله عليهم؛ أبناء علات^(١)؛ فما صعد في الدرج؛ إلّا ونازله حال عظيم؛ امتدت به قامته، ثم ما شرع في التسليم حتى أخذته عبّرة؛ سرت إلى الناس كلهم؛ ولقد خشينا على والدك؛ إذا لم ترفأ له عبّرة؛ إلّا بعد مدة طويلة؛ وبعد أن فرغوا من الزيارة؛ وعادوا إلى المنزل؛ سأله أحدهم؛ فقال في أثناء جوابه: كلمته التي بقيت بحفظك لنصوصها، هذا ما قاله العلامة الشيخ محمد بن أحمد الخطيب؛ وأنا وإن حضرت الواقعة؛ فإنه لم يبق بذهني منها إلّا تلك الكلمة الغالية، وكثيراً ما سمعت من والدي عليه السلام؛ أن الأستاذ الأبر؛ قلماً يغلبه البكاء إلّا قهره بالتبسم؛ كما صنع في مقابلة المعزّين يوم مات شاب الجنة؛ المنعّص الشباب؛ حفيده؛ أحمد بن محمد بن عيدروس؛ فهو إذن كما قال الأمير؛ تميم بن المعز:

وبي كل ما يُبكي العيون أقلُّه وإن كنت منه دائماً أتبسم
لا أقول كما فعل الفضيل يوم مات ولده علي^(٢)؛ فإن حال شيخنا؛ أكمل
وأجل؛ والله أعلم.

جُلُّ تربيته بالملاحظة؛ وردّه شيخ من السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم؛
معه ولده فدخلا بجفاء وغلظة؛ وسلّمًا تسليمًا منكراً؛ ولمّا استقرّ به المجلس؛
أخرج النشوق^(٣)؛ وأخذ منها حصة وافرة، وقال: خذ يا عيدروس! فألطف له

= نفس هذا الموعد تقريباً إلى اليوم إلّا أن العلويين استغلوا فرصة اجتماع الناس من كل أرجاء حضرموت فأقاموا خلاله جلسات الوعظ والإرشاد؛ كما استغله العلماء القادمون من جهات متفرقة من حضرموت في عقد المباحثات العلمية والمدارسات الفقهية.

(١) أولاد العلات: هم الإخوة من أب واحد وأمّهات شتى.

(٢) علق الإمام على تصرف الفضيل بن عياض هذا في كتابه بلابل التغريد فليتنظر.

(٣) تبغ غير محروق تخلط به مواد كثيرة ويسمى النشوق أو الشمة.

القول؛ وألان الجانب؛ وقال: لا نحبه؛ ثم قال: يا عيدروس؛ ما جئنا إلا لسألك عن الربا؛ ونطلب منك رخصة فيه؛ فما لنا سبب سواه^(١)؟ فالتفت إليه بهمة؛ تغلبت حتى على جثمانه؛ فامتلات جثته وامتدت قامته؛ ولم يزل يعاتبه بكلام ألين من الدهن بالليل؛ حتى انماع الشيخ؛ كما ينماع الملح في الماء؛ فجدد التوبة؛ وبدل الهيئة؛ ودخل بهيئة البدوي الجاف؛ وما خرج إلا بطهارة العذب الصاف.

تعرض لأذيته شيخ آل كثير؛ عائض بن سالمين؛ حتى لقد تهدده بأخذ فرسه؛ فما هي إلا أيام قليلة؛ حتى اشتبك في حرب مع آل كده، فقضي عليه؛ في ثلاثة عشر قتيلاً وأربعين جريحاً من عشيرته؛ فدخل ولده محمد بن عيدروس؛ وعليه شيء من بشاشة التشفي؛ وبمجرد ما قام بالباب؛ أخبره الخبر؛ بصوت تظهر فيه نغمة الفرح.

قال والدي: فلم ينزعج؛ ولم يحل حبوته؛ ولم يتحرك؛ ولم يستفره شيء؛ بل لم يتأثر أصلاً؛ ولم يزد على قوله: سامحهم الله، ثم عاد إلى ما كان من حديثه؛ في الجواب عن سؤال صوفي؛ كان والدي ألقاه بين يديه؛ كأن لم يكن شيء، هذا مع أنها الحادثة؛ التي لم يكن لها نظير من نوعها؛ بين الشنافر^(٢).

ذلك الوقار؛ الذي ذكّرني بما رواه غير واحد؛ أنّ ابن أبي مليكة؛ سُئِلَ عن عبد الله بن الزبير؛ فقال: ما رأيت أثبت من نفسه؛ مرّ حجر المنجنيق بين جنبه وصدرة؛ وهو قائم يصلي؛ فما اضطرب له؛ ولا خشع بصره؛ ولا قطع قراءته؛ ولا ركع دون الركوع؛ رضوان الله عليهم أجمعين.

وذكرت بهذا أيضاً؛ قول ابن العبكي: جئت لأبشّر والدي بمقتل عدوّه؛ أرغوك شاه؛ فلم يكن منه؛ إلا أن استقبلني قبل أن أتكلم؛ بقوله: لا تظهر

(١) أي ما لنا وسيلة رزق سواه.

(٢) الشنافر: من مسميات قبائل آل كثير.

الشماتة بأخيك؛ فيعافيه الله؛ وبيتليك؛ وكان ذلك من آخر الليل؛ فلم أدر أكان حاضر الذهن؛ أم أجرى الله ذلك على لسانه؟

ولنعد إلى خبر المترجم؛ رضي الله عنه؛ فنقول: إنه لا يمكن أحداً من تقبيل يده إلا من زاد اختصاصه جداً؛ وإذا دُعِيَ إلى وليمة أو نحوها؛ بادر قبل اجتماع الناس؛ كراهية أن يقوموا له إذا دخل؛ وإن تكلف طول الانتظار من أجل ذلك، يكره المدح وَيؤُلُّهُ^(١)؛ ويغضب من نسبة الكرامة إليه؛ فكأنما نظرة أبو العلا بلحظ الغيب؛ إذ يقول:

تبوحُ بفضلِكَ الدنيا لِتَحْظِيَ بذاك وأنت تكرهُ أن تبُوْحَا
وما للمسكِ في أن فاحَ حَظُّ ولكن حُظُنَا في أن يَفُوْحَا

واختصم مرةً بعض جيرانه؛ من قبائل بلاده؛ في دين؛ فلما حمي الجدل؛ وأزف القتال؛ قصد الدائن؛ وكان به مرض؛ فاستنزله عن بعضه؛ وكان كثيراً؛ فقال: أنزل لك عن جميعه؛ بشرط أن تضمن لي على الله الجنة؛ فاربذ وجهه؛ وقال: لا أدري ما يُفعلُ بي ولا بك؛ ولا أملك لنفسي ولا غيري؛ وزجره عن مثل ذلك؛ وعرفه بأنه لا يسوغ؛ فألحَّ الحاضرون على الحبيب؛ ليوارب بعبارة موهمة؛ لحسم الفتنة؛ فلم يرض؛ لأنه رأى الجراءة في مثل ذلك؛ أعظم خطراً من شرّ الفتنة، وبعد طول المراجعة؛ اقتنع الدائن منه بالدعاء؛ وأبرأ المدين.

وكان قليل التدخّل فيما بين القبائل؛ إيثاراً للمهمّ من أمره؛ ومراعاةً لخواطر بعض المناصب؛ الذين لم يسلم من شرهم؛ إذ لم يكن سوء أدب عائض بن سالمين السابق؛ إلا عن أيدي محرّكة منهم؛ كما قد استأجروا حميداً؛ ليعمل له سحراً؛ حسبما اعترف بذلك أمام الناس؛ في حديث طويل نظويه على عُرّه^(٢)، وكان من أصعب الأمور على قلوبهم؛ أن يتوسط في الإصلاح؛ فتجنّبهُ لدرء المفسدة؛ إلا عند ميسر الحاجة.

(١) وَيؤُلُّهُ: يرفضه ويدفعه.

(٢) على عُرّه: على ما فيه من سوء وقبح.

فقد اشتدت الحرب بين جيرانه آل خالد بن عمر؛ وآل الفاس^(١)؛ وعمل كلُّ سرداباً إلى كوت^(٢) الآخر ليحرقه عليه؛ فلما تقارب الانتهاء؛ جاءه شيخ العمال؛ فأطلعه طلع الحال؛ وقال: غداً في أثناء النهار أو آخره؛ تحصل الداهية؛ وفيهم أولادنا الأبرياء؛ فغلّس بصلاة الصبح؛ ثم خرج وعليه الجلال؛ ومعه خادمه عمر بن شيبان؛ فجلس على منتصف ما بين الكوتين؛ وأمره أن يدعو هؤلاء؛ فأسرعوا مهطعين؛ كأنما يقادون بالبري^(٣)؛ والحال أنهم كما قال أبو عبادة:

يتفادقون بأعينٍ محرّرةٍ في لحظها جمرُ الغَضَى المتسَعَّرِ
ولم يزد على أن قال: ليرجع كل منكم إلى قومه؛ ونادى بصلحٍ إلى سنة؛
وأمر بهدم الكوتين؛ فشرع العمال للحين في الهدم؛ وانصرف كلُّ إلى قومه
صاغراً؛ وقومهم ينظرون إليهم؛ وإلى العمال يهدمون بيوتهم؛ لا يدرون ماذا
صار؛ ولا يقدرّون على تغيير شيء قط؛ وهو جائم لا يقدر أن يراجعه أحد بينت
شفة.

وفي ربيع الثاني من سنة ١٣٠٣هـ؛ تمكن كما في تاريخ ابن حميد؛ من إقناع آل خالد بن عمر؛ بالوعظ الصادق؛ حتى رفعوا أيديهم عما استولوا عليه من أموال الناس؛ في الغرفة وضواحيها؛ بدون حق؛ وأخذ عهودهم على ذلك؛ في صكِّ خاص، وأوذّي مرة؛ من قبل أحد المناصب؛ أذيةً بالغة؛ فجاء إلى «سيؤون» واجتمع بمحبيه؛ أمثال الوالد؛ والسيد علي بن محمد الحبشي؛ وأخبرهم؛ فأشاروا عليه بالانتقال إلى «سيؤون»؛ فاعتذر بالحاجة إلى دار كبيرة؛ ولن توجد؛ وكان الشيخ أحمد بن محمد بارجا حاضراً؛ وقد فرغ من عمارة دار؛ هي أكبر ما يكون في سيؤون لذلك الوقت؛ فانتبذ عنهم قليلاً؛ ثم جاء بوثيقة؛ تتضمن النذر بالدار المذكورة؛ للأستاذ الأبر؛ فأكبروا عمله؛ وشكروا سعيه؛

(١) أسماء قبائل حضرية.

(٢) كوت: يريد مكان سكناه.

(٣) بالبري: جمع برة وهي حلقة توضع في أنف البعير.

وقالوا للإمام: أما الآن فقد توجه الانتقال؛ فعاد إلى الغرفة ليتحمّل بأهله؛ حتى إذا بلغ منتصف الطريق؛ قال لخادمه: قد بدا لي أن لا ننتقل لأسباب، منها: أن لنا قرابة وجيراناً يشقُّ عليهم انتقالنا؛ ونواسيهم بما لن نقدر على إرساله إليهم، ومنها: أننا نتعلم الصبر في العُرفة؛ وقد قال أحد أصحاب رسول الله ﷺ: ما أحب أن لي بنصيب من الذل حمر النعم، ومنها: أننا نخشى أن تختمر في رؤوسنا عجينة الرئاسة؛ من تعظيم آل سيؤون لنا؛ وهي الداء العضال، ومنها: هب أن أحمد بارجا طابت نفسه بالدار؛ فما حسرة أهله وأولاده عليها؛ ثم أمر خادمه أن يكتب انتقالاً في الدار من ملكه إلى ملك الناذر.

وهو في صبره على الأذى كما يقول ابن عنقا:

إذا قبلت العوراء أغضى كأنه ذليل بلا دُلٍّ ولو شاء لانتصر

وكانت له حاضنة؛ قذرة الثياب؛ كريهة المنظر؛ بذیئة اللسان؛ تعمّت طويلاً؛ فكان يزورها بالرغم من أولاده؛ وهي تتجنّى عليه؛ وتستطيل بلسانها؛ وتضرب على ظهره؛ أكثر مما كانت تفعل أم أيمن؛ معه ﷺ؛ وإذا عاتبه أولاده في ذلك؛ قال: إنَّ حسن العهد من الإيمان.

لا يجزم الأمر حتى لغلامه وخادمه؛ وإنما يأمرهم بصيغة العرّض والتخيير. وسمعت ذات المرات في تلك الزيارة؛ التي سلفت إليها الإشارة؛ يعرض العُقبة^(١) على غلامه فرج؛ ويقول له: لا تستح؛ إذا تعبت فأنا أنزل لك بفرح.

ذلك الأمر الذي ذكرني بما كان من رسول الله ﷺ في غزوة بدر؛ فقد كان يعتقب؛ هو وعلى وأبو لبابة؛ على جمل واحد^(٢)؛ وإذا جاءت عُقبَة أحدهما؛ قال لرسول الله: أركب؛ فيقول رسول الله ﷺ: «ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكما» أو ما هذا معناه. وما كان من عمر في قدمته الأخيرة إلى

(١) العقبة بضم فسكون: نوبة الركوب.

(٢) يتناوبون الركوب عليه.

الشام؛ فقد كان يتعاقب هو وفتاه على الجمل؛ وكانت العُقبَة ساعة القدوم إلى الشام للخادم؛ وأمير المؤمنين يقود الجمل؛ وخُفاه بيديه؛ لما اعترضه من المخاضة؛ رضوان الله عليهم أجمعين.

يعطي كل واحد من جلسائه؛ نصيبه من الالتفات والحديث؛ حتّى يحسب كلُّ واحد أنه أكرم الخلق عليه، وبالجملة فهو أشبه الناس بالنبيِّ سِيراً، وأكثر من لقيناه على الإطلاق خيراً؛ لا ينفذُ إليه نقد؛ ولا يُنقَضُ لديه عقد؛ ولا يضبط مدحه سور، ولا تقطع فضائه نسور، إذا ذكر فالمناقب لها ازدحام، والقلم يُعييه الاقتحام.

تَفَرَّقَتِ الطَّبَاءُ عَلَى خِدَاشٍ فَمَا يَذْرِي خِدَاشٌ مَا يَصِيدُ
وما عسى أن يقال في نور الظلام، وكهف الإسلام، وعلم الأعلام؛ فلنوجز الكلام، وليس هذا موضع التعريف به؛ فلا ملام، وقد أفردت مناقبه بالتأليف، وهو الذي أحياناً أسانيد السنة والطريقة بحضرموت، وغالب ظني أنه مجدد القرن الثالث عشر، قرأت عليه؛ وسمعت منه؛ وأجازني وألبسني^(١) مراراً عديدة، وفي يوم واحد؛ قرأت عليه بإشارة والدي؛ عدّة كتب في فنونٍ شتى، وتولاني بلطفه، وشملني بعطفه، فهو أبو رُوحِي، وشيخ فتوحِي؛ وقد مرضت في سنة ١٣١٣هـ؛ حتى صرت بهيئة الاحتضار؛ ثم شفاني الله بدعوة منه؛ خرقت الطباقي، وبعدما بلغت بي الرُّوح التَّرَاقِ^(٢).

في قصة طولى خوارق عادةٍ ظَهَرَتْ وما كانت حديثاً يُفْتَرَى
وهذه هي القصائد التي امتدحت بها، وجلها في أيام الحدائث؛ وقد تكرر إنشاد الأولى والأخيرتين منها بحضرة والدي^(٣) وسيدي علوي بن عبد الرحمن^(٤)

(١) ألبسني مراراً: إلباسه الرداء. تقليد صوفي؛ وقد يكون الإلباس لعمامة أو كوفية أو قميص.

(٢) الترقوة: مقدم الحلق في أعلى الصدر.

(٣) الإمام عبيد الله بن محسن السقاف (١٢٦٢ - ١٣٢٤هـ) كان عابداً زاهداً منقطعاً إلى العلم والعبادة وتوفي بسيؤون بحضرموت.

(٤) الإمام علوي بن عبد الرحمن السقاف (١٢٥٦ - ١٣٢٨هـ) من كبار العلماء تولى قضاء =

في جموع مشهودة يحضرها مراجيح الرجال^(١) لذلك العهد ومنهم السيد علي بن محمد الحبشي^(٢).



= سيؤون اثنتي عشرة سنة ومات فقيراً واشتهر بالزهد والقناعة والنزاهة وتولى التدريس والقضاء وكان دمث الأخلاق طيب العشرة وتوفي بسيؤون.

(١) مراجيح: علماء.

(٢) الإمام علي بن محمد الحبشي (١٢٥٩ - ١٣٣٣هـ) من كبار الأولياء والصالحين كان ضليعاً في النحو وله أشعار لطيفة لا تزال تُنشد بالمجالس إلى اليوم وهي مجموعة بديوانه وله رسالة المولد الشهيرة؛ وقبره بسيؤون.

القصيدة الأولى

بِحَدِّ الْفَتَى الْقَاصِي

بِحَدِّ الْفَتَى الْقَاصِي مِنَ الْمَجْدِ يَقْرُبُ وَيَسْهُلُ بِالتَّشْمِيرِ مَا كَانَ يَضُغُبُ^(١)
 وَمَنْ رَامَ إِدْرَاكَ الْمُنَى وَهُوَ عَاجِزٌ مِنْ السَّمِيِّ فِي تَحْصِيلِهَا فَهُوَ أَشْعَبُ^(٢)
 وَمَنْ ظَنَّ أَنْ يَرْقَى إِلَى قُلَّةِ الْعُلَى بِلا سُلْمٍ فَهُوَ الْبَلِيدُ الْمَخَيَّبُ
 عَلَى الْحَدِّ وَالتَّشْمِيرِ وَالْهَجْرِ لِلْكَرَى وَطَوِيلِ السَّرَى نَيْلُ التَّهَانِي مَرَّتَبُ^(٣)
 تُؤْمَلُ يَا مَغْرُورُ أَنْ تَبْلَغَ الْمُنَى وَأَنْتَ بِمِيدَانِ الْبَطَالَةِ تَلْعَبُ
 وَتَنْفِقُ رِيْعَانَ الشَّبِيْبَةِ فِي الْهَوَى وَتَزْعُمُ فِي الْعَلِيَاءِ أَنْكَ تَرْعَبُ
 تَقُولُ إِلَى غَايِ الْمَكَارِمِ وَجْهَتِي وَلَكِنَّمَا الْأَعْمَالُ مِنْكَ تَكْذَبُ^(٤)
 تَرَى مِنْهَجَ الْإِحْسَانِ وَالرَّشْدِ وَاضِحاً فَتَزُورُ عَنْهُ جَانِباً وَتُنْكَبُ^(٥)
 وَتَعْدِلُ عَنِ قَصْدِ الطَّرِيقِ وَقَدْ بَدَا بِفَوْدَيْكَ سَحْبَانُ الْمَشِيْبِ يُوْنِبُ^(٦)
 أَنْحَسِبَ أَنَّ الْمَجْدَ لَهُوَ وَمَلْبَسٌ وَأَكْلٌ وَشَرْبٌ سَاءٌ مَا أَنْتَ تَحْسَبُ
 أَغْرَكَ قَيْلُ النَّاسِ إِنَّكَ فَاضِلٌّ وَعَنْهُمْ مَسَاوِيْكُ الْقَبِيْحَةِ غُيْبُ

(١) البعيد من المجد: يقرب بالجدد. التشمير: التهيؤ للأمر.

(٢) أشعب: رجل اشتهر بالطمع.

(٣) السرى: السير ليلاً. التهاني: ما يهنا عليه.

(٤) غاي المكارم: غاياتها.

(٥) تزور عنه: تعدل وتنحرف عنه.

(٦) الفود: ناحية الرأس؛ جعل الشاعر الشيب وهو يعظه ويؤنبه كسحبان وائل الذي يضرب به

المثل في الفصاحة والبلاغة.

إلامَ وحتّامَ التّوّاني؟ وللبللى المـ
وحتّى متى في مسرح اللهو والهوى
نُبارِزُ مولانا بِسَيِّءِ فَعْلِنَا
ونرجوُ مع الذنبِ النجاةَ كأننا
لهؤنا عن الأخرى وما في طريقها
أضغنا نفيسَ العُمرِ في غيرِ طائلٍ
وَحِدْنَا عن الطاعاتِ لَمَّا استَفَرْنَا
عسى عَظْفَةً يُنمَحى بها طرسُ ذَلَّتِي
فقد أثقلتُ ظهري ذنوبَ جنيتها
ولكنّ يسأليني نسيمٌ من الرّجا
وأنى يخاف البُوسَ من كان شيخه
فحاشاه أن يرضى لصادقٍ وده
أيرضى بحرمانى وشيمته الوفا
هو الماجدُ المفضالُ ذو الجوى والندى
متى جاءه العافون أحياء مواتهم

خاد وذى الأرواح لا بد تُنهبُ^(١)
نَسِيمٌ ومن ماء السفاهة نشربُ؟^(٢)
ونحن على آلائه نتقلّبُ^(٣)
إليوبما لا يرتضى نتقرّبُ
بما هو مثلُ الزهرِ يُزهى ويذهبُ^(٤)
إلى أينَ مما قد جئناهُ نَهْرَبُ
وَمِيضٌ من الدنيا الدنيّة حُلْبُ^(٥)
ويُجلى بها عني من الرّانِ غَيْهَبُ^(٦)
يكادُ لها قلبي من اليأس يَعْطِبُ
بأنى إلى ابن الطاهرينَ محبّبُ
كشخي ولو أنى مسيءٌ ومذنبُ؟
بخذلانه وهو الشفيعُ المقرّبُ
ولي وُدّه ديين قويمٌ ومذهبُ؟
إلى ذاته الإحسانُ والفضلُ يُنسبُ
بلا مِنّةٍ من فضله الجَمُّ صَيّبُ^(٧)

(١) للبللى المخاد: إسراع الإنسان للبللى، وهو مصيره. وفي الأصل المحاد بالحاء المهملة وهو تصحيف. تنهب: تنزع من الأجساد.

(٢) نسيم: نرعى.

(٣) نبارز: نحارب.

(٤) بما هو مثل الزهر: بما هو في زواله وسرعة تقضيه بعد روائه كالزهر بعد نضارته وجماله.

(٥) وميض خلب: برق كاذب بعد إطماعه.

(٦) الطرس: الصحيفة. الران: الرين وهو اسوداد القلب من الذنوب وأصله الصدا الذي يعلو المرأة والسيف. الغيهب: شدة السواد.

(٧) العافون: طلاب المعروف. أحياء مواتهم: أنالهم ما طلبوا كما يحيي المطر موات الأرض.

عطوف رؤوف واسع راجح الحجى
جميل المحباً طلقه غير أنه
بفترته الفراء نسري كأنها
على خده الوردى نقطة عنبر
إليه إذا باهى به صدر مجلس
وتعترف الصيّد العظام بفضله
يُحَقِّقُ من علم اللطيف عويصه
ويوضّح بالتقرير ما كان غامضاً
يَمُوج من العلم اللَّذْنِي درسه
بهيكله في عالم المُلكِ جائم
ورُكِبْتَهُ طُورُ التجلي متى احتبى
هو السيد البرّ الذي باعتنائيه
لديه بمحمودِ الفِعالِ توقرت
وما نالَ هذا الشأنَ بالعجز والمُنَى

به في التقى الأمثال للناس تُضربُ
مهابً بأنوارِ الجلالِ مُنْقَبُ
إذا ما سجا ليلُ الضلالة كوكبُ^(١)
لها أَرَجٌ من نفحةِ المسكِ أَطيبُ^(٢)
يُشَارُ وهاماتُ الرجالِ تُصَوَّبُ^(٣)
ويعنو بمرآه الحسودُ المكذبُ^(٤)
بلفظِ كَصَفُو الأزي بل هو أعذبُ^(٥)
فيظَهَرُ من سرّ الكتابِ المحجَّبُ
فيمتاحُ منه اليلمعيُّ المهذبُ^(٦)
وأفكارُهُ في عالمِ القُدسِ قُلُوبُ^(٧)
تناولَ بالإلهام ما كان يَطْلُبُ^(٨)
على الناسِ أذْيالُ العناياتِ تُسْحَبُ^(٩)
موارِبُ مَنْ باهتُ به العرشُ يثربُ
ولكنه ما انفكَّ يَسْعَى وينصبُ

(١) سجا الليل: أظلم أو سكن.

(٢) أرج: رائحته قوية. نفحة المسك: فيحانه وانتشار رائحته.

(٣) تصوب: تنخفض من الإصابة خلاف الإصعاد.

(٤) الصيد: جمع أصيد وهو الذي يرفع رأسه كبراً. يعنو: يخضع.

(٥) الأزي: العسل وصفوه: خالصه.

(٦) يمتاح اليلمعي: يستقي الألمي وهو الذكي المتوقد الحديد اللسان والقلب.

(٧) جائم: لازم مكانه.

(٨) ركبته طُورُ التجلي: ما يستعلي به كجبل الطور الذي ناجى الله فيه الكليم والركبة ضرب من الركوب.

(٩) باعتناؤه تسحب أذْيالُ العنايات لقرب منزلته وعلو درجته عند الله تعالى.

على عينه في الله يَجْنِي وروحِهِ
 يواصل في المجدِ الجهادَ بهمةً
 لغاياته يَجْرِي بِعِزْمَةٍ صادقِ
 تخلَّى عن الدنيا وما راقَ عينه
 وأعرضَ عنها جانباً فإذا جَرَى
 وهذا مَحْكٌ يُعْرَفُ الحقُّ عنده
 وإن تَعَجَّبُوا من هذه فوجوده
 قد اقتنصَ الناسَ اللعينُ ألا تَرَى
 تعاظمتِ الأطماعُ والحرصُ واستَبَّتْ
 فأشأمَ قومٌ في البلادِ وأنْهَمُوا
 وما جرَّ هذا غيرَ أنَّ جماعةً
 وأغضَبُوا على ما خالفَ الحقُّ منه
 ولو أنهم سارُوا بمصباحِ نوره
 دعا الناسَ للهِدْيِ الصحيحِ بقوله
 فكان له وقعٌ عظيمٌ مؤثِّرٌ
 هو الشمسُ غظاها الترابُ وإنما
 حبيبي أبا الشُّبْلَيْنِ إني بحبِّكم
 علوتم عن الأمداحِ لكن صفاتكم

لعرفانه مقدارَ ما كان يخطُبُ^(١)
 تجيء على الرأي السديد وتذهبُ
 ويهفُو لذكراه ارتياحاً ويطرُبُ
 سرابٌ يَغُرُّ الواردين مكدَّبُ
 لها صُدْفَةٌ ذكرٌ يناديه يَغْضَبُ
 ويمتاز غشُّ النقدِ عنه فيذهبُ
 على حين هامِ الناسُ بالجمعِ أعجبُ^(٢)
 حبائله في زهرة القانِ تُنصَبُ^(٣)
 قلوبُ الورى الدنيا وفيها تَغْرَبُوا
 وشَرَّقَ قومٌ آخرونَ وغرَّبُوا
 على علمهم للأغنياء تحبَّبُوا
 ففاضَ البلاءُ والخيرُ أصبحَ ينصَبُ
 على إثره في سَيره لتهذبُوا
 وأفعاله والفعلُ أهدى وأصوبُ
 بأفئدةٍ من جَلْمَدِ الصخرِ أصلبُ^(٤)
 سناها على طولِ المَدَى ليس يَغْرُبُ
 ولُوعٌ بكم يسلو فوادي المعذبُ
 على الكفِّ يملئها العيانُ فيكْتَبُ^(٥)

(١) يجني على عينه وروحه في ذات الله وطاعته لمعرفة قدر ما يسعى إليه من النعيم.

(٢) يا لجمع: يجمع الحطام.

(٣) اللعين: الشيطان. القان: شجر ينبت في جبال تهامة.

(٤) جلمد: هو الصخر.

(٥) الكف يريد أصابع اليد.

فكلُّ مديحٍ في سواكم مضِيحٌ وكلُّ رجاءٍ من سواكم مُخيِّبٌ
 بِقُرْبِكُمْ أَسْمُو ولي بولائكم علاءٌ على رغم الأعادي ومنصِبٌ^(١)
 وقد صحَّ لي عَقْدُ الودادِ وليس لي سوى ذلك المجدِ المسلّمِ مطَلَبٌ
 عليكم صلاة الله بعد محمدٍ وأصحابه والآلِ ما لآخِ كوكبٌ

وهذه أبياتٌ قلتها تجاهه على البديهة

ذهب العنا

ذهب العنا وأنجابَ عنا كلُّ بُوسٍ وصفتُ لنا راحُ التهاني في الكؤوسِ^(٢)
 وهمتُ لنا سُحْبُ الرضا بُورُودنا لزيارة القطبِ المرَبِّي للنفوسِ^(٣)
 ذي الفُرَّةِ الغراءِ والوجهِ الذي من نوره اقتبست أشعتها الشموسُ
 جئناكَ يا بحرَ المكارمِ والندى نبغي القَرَى فاعتنُ بنا يا عيدرُوسِ^(٤)
 أكرمِ ضيوفك إنهم جأروا إلى الب ياري وقد خَضَعُوا بحضرتك الرؤوسِ^(٥)
 وأشفعُ ليكشَفَ ما بهم فلقد لقوا من دهرهم وُصروفه حربَ البسوسِ



(١) منصِب: رتبة ورفعة.

(٢) العا: التعب. انجاب: انقشع. بوس: بؤس وشدة. الراح: الخمر.

(٣) همت: سحت وأمطرت مطراً غزيراً.

(٤) فاعتن بنا: فاعتن: أو انظر إلينا.

(٥) جأروا: رفع رأسه بالدعاء.

القصيدة الثانية

لِمَنْ غَيْرِكُمْ (١)

لِمَنْ غَيْرِكُمْ نشكو إذا أرهق الضنطُ وحرَّبتنا دهرٌ بأيامه يَسْطُو
تغايَرتِ الأحوالُ عندي فهَمَّتني تُحلَّت بي والحظُّ يَنْحَط
ومن عَظُم ما عاينتُ شابتُ ذُوابتي ففؤاداي ريعانُ الشبابِ بها وَخَطُ^(٢)
وحاشاكم أن تهيلُوننا ومنكمُ لنا ذِمَّةٌ من عقدها استوثق الرَبِطُ
وأنتم لنا عند الملماتِ مَعْقِلٌ حصينٌ تسمى فالسماكُ له قُرْطُ^(٣)
نعوذُ بكم من كلِّ بوسٍ ومن يَعْذُ بكم تَتَحاماه البلياءُ فلا تخطو
فكم هممةٌ منكم بها ارتفع البَلا بإذنٍ من الرحمن وانكشف القحطُ
فيا مَنْ له عند المهيمينِ رتبةٌ تجلُّ عن التعبير ما ارتُقِبت قطُ
كمالكٍ معروفٌ وجاهكٌ واسعٌ وبحركك عَذْبٌ فائضٌ ما له شَطُ
كأنَّ به عينَ الحياةِ فماؤه شفاءٌ لمن سَمَّتُه من نَهشها الرُطُ
فيا عيدروسُ أينَ الشجاع الذي متى جرى ذكره فاح الأَلنجُوجُ والقُسْطُ^(٤)

(١) هذه القصائد العيدروسية؛ قالها الإمام ابن عبيد الله وهو دون الرابعة عشرة؛ لأن الإمام عيدروس بن عمر الحبشي توفي سنة ١٣١٤هـ وولد الإمام ابن عبيد الله سنة ١٣٠٠هـ.

(٢) ريعان الشباب: أوله وأفضله. بها: أي بالذؤابة والفودين. وخط: مسرع في الزوال لما حل بها من المشيب.

(٣) السماك: أحد السماكين وهما نجمان نيران يسميان الأعزل والرامح. قرط: ما يعلق في أسفل الأذن.

(٤) الأَلنجُوجُ والقُسْطُ: عودان طيبا الرائحة يتبخر بهما.

محلِكَ في قلبي وفيه سرائري
وما لي إلا أنت يا منبع الوفا
وأدنى التفاتٍ منك يكفي لحاجتي
وحاشا رجاءٍ قد ربطنا جباله
فمَجَلٌّ فإن السيلَ قد جاوز الزبي
ومُرٌّ طيفك الساري يبشّرني بما
وأفضلُ مرغوبٍ رضاك فإنه
وأقصى المُنَى نصرُ الشريعة إنها
سلي اللّه للوادي أميراً موقفاً
وليس له إلا الإمامُ لأنه
وصلى عليك اللّه بعد محمّدٍ

وؤدّي كما تذرّيه ما شابه خَلَطُ
مُجِيرٌ به أقوى إذا خانني الرّهْطُ
هو السبب الأدنى لها وهو الشّرْطُ
بغرورتك الوثقى يكون له حَبْطُ
فحتى متى من قطرنا ينجلي الخَبْطُ؟
تَقَرُّ به عيني ويحصل لي البَسْطُ؟
إذا صحَّ لم أحفل بمن عنده سُخْطُ
على رَمَقٍ أخنى على حقّها الغَمْطُ
به لأمر الدين يستحكّم الضبْطُ
بأجداده من قبل فيه استوى القِسْطُ^(١)
وآل الكسَا ما زئن الأحرف النَّقْطُ

وهذه أبياتٌ من عَفْوِ الخاطر

أقدم كلما ناجيتُ جاهك
وفيك عقدتُ آمالي وأرجو
وما أنا منه في حربٍ ضروسٍ
أنسكتُ والسباعُ بكل وجهٍ
ويقتلنا الأوامُ وأنت بحرٌ
وأذكر يومَ ترافُ بي ونحنو

وأدعو اللّه منكسراً تجاهك
متى اشتدَّ الزمان بي انتباهك
فقم واسأل بالِحاجِ إلهك
تروّع من توثبها شياهاك؟
فلا يسقي الحيا إلا مياهاك^(٢)
وترشفني على ظمأ شفاهاك



(١) القسط: العدل

(٢) الأوام: العطش أو حره. الحيا: المطر.

القصيدة الثالثة

أَرَى الْحَبَّ

أَرَى الْحَبَّ لَا يَخْفَى عَلَى النَّاسِ كَاتِمُهُ
 وَأَوَّلُ شَيْءٍ يَفْقِدُ الصَّبَّ قَلْبُهُ
 مَتَى خَامَرَ الْقَلْبَ الْغَرَامَ هَفَّتْ بِهِ
 وَلِلَّهِ أَحْوَى مِنْ رَأَى أَصَابَهُ الْجُدُّ
 مِنَ الْإِنْسِ إِلَّا أَنْ كُخِلَ جَفْوَنَهُ
 تَفَازَلَهُ الْغِزْلَانُ فِي كُلِّ جَانِبٍ
 وَتَثْنِيهِ أَنْفَاسُ النَّسِيمِ إِذَا انْبَرَى
 مُنَى كُلِّ نَفْسٍ قَرِيبُهُ غَيْرَ أَنَّهُ
 إِذَا اشْتَمَعْتَ نَارَ الْأَسِنَّةِ دُونَهُ
 طَرِيقُ الْهَوَى جَمُّ الْمَتَالِفِ لَوْ جَرَى
 وَمَا الْجُدُّ إِلَّا الْجِدُّ فِي طَلَبِ الْعُلَى

وكيف وسرُّ الحُبِّ جَمُّ نَمَائِمُهُ
 فَكُلُّ مُحِبٍّ وَإِلَهُ الْقَلْبِ هَائِمُهُ^(١)
 مَلَاوِمُهُ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ لَائِمُهُ^(٢)
 نُونٌ فَلَا تَشْفِيهِ إِلَّا سَبَاسِمُهُ^(٣)
 مِنَ السَّخْرِ لَا تَرْقِيهِ إِلَّا تَمَائِمُهُ
 وَتَهْرَبُ مِنْ نَوْرِ الْجَمَالِ ضَرَاغِمُهُ^(٤)
 وَتَثْنِي كُمَاةَ الْعَاشِقِينَ صَوَارِمُهُ^(٥)
 تَجَشُّمُهُ صَعْبٌ إِذِ الْمَوْتُ خَادِمُهُ
 وَثَارَ غِبَارُ النَّفْعِ مَنْ ذَا يَقَاوِمُهُ؟
 بِهَا الطَّيْرُ لَمْ تَنْفَعُهُ فِيهَا قَوَادِمُهُ^(٦)
 فَخُضَّ كُلُّ بَحْرٍ يَحْضِدُ الدَّرَّ عَائِمُهُ

(١) الواله: الذاهب القلب أو حائره.

(٢) خامر القلب: خالطه. هفت به: ذهبت به. ملاوم: جمع ملامة بمعنى اللوم والعدل.

(٣) أحوى: جميل في لونه سواد.

(٤) ضراغمه: أسوده.

(٥) الكمأة: الشجعان. الصَّوارم: السيوف القواطع.

(٦) القوادم: مقدم الريش في جناح الطائر.

فبعد العنا من أجله يحصل الهنا
 ألم تر جد ابن الشجاع سما به
 بأجنحة التوفيق طار ولم تقف
 إمام كأن الكائنات جميعها
 تعبّر عن أحواله وصفاته
 تعرّض للفضل الإلهي جاهداً
 وما انفك في قطع الطريق مشمراً
 فنيط بمسعاة النجاح وأمطرت
 يحقق ما الإلهام يملي لروحه
 يخوض بحاراً لا يرى غيرها امرؤ
 على هامة الشعري يُطلُّ بناؤه
 مراتب من فوق العبادة نالها
 هو الغوث إن أحنى الزمان بصرفه
 هو الغيث لكن نائل الغيث للثرى
 أشبهه بالدهر والبحر والحبيا
 تفيض عطايه الجسام على الورى
 تجاوز مدح المادحين فما ترى

ومن بعد شرب المرّ تحلو علاقمة^(١)
 لأن صار يحيي ميّت القلب ساجمة^(٢)
 به دون غيات الكمال عزائمه
 صوامتها والناطقات تراجمه
 وهيئات أن تُحصى بعد مكارمه
 فأجزل في إعطائه الفضل قاسمه
 إلى الله في صدق بشوق يلازمه
 عليه من الفتح المبين غمامه^(٣)
 كما يُنسق الدرّ المثقّب ناظمه
 فتكبيره النينان مما يلاطمه^(٤)
 وقد رسخت تحت التخوم قوائمه
 وليس له فيها قريب يزاجمه
 تقسم بين العالمين غنائمه
 وهذا لأراض القلوب خضارمه^(٥)
 وتلك استعارات بها أنا ظالمه
 فيشرك في معرفه الجم لائمه^(٦)
 يقول علام جامد الفكر رازمه؟^(٧)

(١) علاقم: جمع علقم وهو شجر الحنظل.

(٢) ساجمه: مطره. (٣) غمامته: سحبه.

(٤) تكبيره النينان: تعظمه الحيتان.

(٥) أراض جمع أرض: الخضارم. العطايا الكثيرة جمع خضرم.

(٦) لائمه على الجود حظ من معرفه الجم كغيره من الورى.

(٧) علام: أي على أي شيء يمدحه. الرازم: الساقط الذي لا يستطيع النهوض.

فما خُرِّدُ العُلياءِ إِلَّا إمّاوه ولا غانباتُ القُرْبِ إِلَّا محارمُهُ^(١)
 تَمَنَّى بدورُ التَّمِّ تقبيلَ نعلِهِ إذا بَعُدَتْ عنها ارتفاعاً بِرَاجِمُهُ^(٢)
 فيا أَيُّها المولى الذي كُنْهُ شأْنُهُ بعيدٌ وما غيرُ المهيمونِ عَالِمُهُ
 يحدثُ عن أحوالك الدهرُ راوياً عن الله مرفوعاً بأنك حاكِمُهُ
 وأنت جديرٌ بالخلافةِ إذ بك أشدُّ تنارَ مُحياً الدينِ واشتدَّ قائمُهُ
 ودونك أبياتاً زَهَتْ بك مثلما تفتَّحُ عن زهرِ الرياضِ كَمَائِمُهُ^(٣)
 تمهِّدُ للنجوى فلا تنسني فلي مطالبُ سَلِّ مولاك تهْمِي مكارِمُهُ^(٤)
 وحاشاك من إهمالِ جارِ أمّته الزمانُ وبالبثِّ امتلانَ حيازِمُهُ^(٥)
 ولا زال مشواك المقدّسُ روضةً تسيحُ من الباري عليها غمائمُهُ

* * *

(١) الخرد جمع خريدة: الفتاة الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة.

(٢) البراجم: مفاصل الأصابع. جمعه برجمة.

(٣) الكمائم: الأوعية.

(٤) النجوى: الحديث مسارة. تهمي: تمطر مطراً غزيراً.

(٥) أمّته الزمان: أحزن قلبه. البث: أشدّ الحزن. حيازيمه جمع حيزوم وهو الصدر أو

القصيدة الرابعة

حَسَدُ الدَّهْرُ

وهي أولاهن رتبةً، ولعلها أول ما قرّرت به عين والدي منّي؛ واستعادها
مرات؛ على كُرّه بعضهم؛ لما فيها من التعريض بالمراثين.

حَسَدُ الدَّهْرُ حَيِّ سَلَمَى وَعَانَهُ (١) وَمَحَا حَسَنَهُ وَأَشْجَى حِسَانَهُ (١)
وَمَنَى أَهْلَهُ بِبَيْنٍ مُثْتٌ (٢) وَذَوَى أَنَسَهُ وَأَبْكَى قِيَانَهُ (٢)
وَرَمَاهُ بِمَوْجَعَاتٍ وَأَرْخَى لَجْوَادِ الْخِرَابِ فِيهِ عِنَانَهُ
زُرْتُ دَارَ الْحَبِيبِ إِثْرَ افْتِرَاقِ فَوَجَدْتُ النَّوَى بِهِ تَرْجَمَانَهُ
غَاضٌ صَبْرِي وَفَاضَ دَمْعِي حَتَّى كَادَ يَمْحُو مِنْ نَاطِرِي إِنْسَانَهُ
أَبْهَا الْبَرْقِ مَرْ سَحَابِكَ يَسْقُ بِهِ وَيَذْرِي عَلَيَّ ثَرَاهُ جُمَانَهُ (٣)
عَلَّهُ يُنْعَشُ النَّبَاتُ الَّذِي صَوَّخَ فِي سُوجِهِ وَيَطْرِبُ بَانَهُ (٤)
فَلَمَّ هُدِي بِهِ مَقَرُّ غَوَانِ لِيِّنَاتِ الْأَعْطَافِ كَالْخَيْرَانَةِ
مُورِيَاتِ زَنْدِ الْهَوَى بِقُدُودِ نَاعِمَاتٍ وَأَغْيُنِ فَنَانَهُ (٥)
وَخُدُودِ كَأَنَّهَا زَهْرٌ وَرْدٍ وَرُضَابٍ كَأَنَّهُ بِنْتُ حَانَهُ (٦)

(١) عانه: أصابه بالعين. أشجى: أحزن.

(٢) منى أهله ببين: أصابهم بفرقة. مثت: مفرق. ذوى أنسه: قبضه. قيانه: مغنياته.

(٣) يذري: يسقط. ثراه: تراه الندي؛ يريد أرضه. الجمان: حبات من الفضة كالدر

(٤) صوح النبات: ييس. سوجه: نواحيه. البان: ضرب من الشجر.

(٥) موريات: قادحات. القدود: جمع قد وهو القامة والاعتدال.

(٦) الرضاب: الريق المرشوف. بنت الحانة: الخمر والحانة اسم لموضع بيعها.

عَلِقْتُ بِي مِنْهَنْ عِذْرَاءُ فَاسْتَهـ
 بَضَّةٌ رَأْدَةٌ رَدَاخٌ لَهَا عَرُ
 عِبْلَةُ السَاعِدِينَ وَالسَاقِ خَمْصَا
 ذَاتُ غُنْجٍ تَشْوِيهُ بِمِثَابِ
 أَسْعَفْتَنِي بِوَضْلِهَا وَسَقَّتْنِي
 وَشَفَّتْ خَاطِرِي بِخَالِصِ وُدِّ
 وَنَضَتْ ثَوْبَهَا فَأَبْصَرْتُ مِنْهَا
 وَجَعَلْتُ الْعِفَافَ ثَوْباً عَلَيْهَا
 شَرَفٌ نِلْتُهُ بِهَمَّةٍ مَوْلَانَا
 مَنْ عَلا غَارِبَ الْكِمَالِ فَلَوْ جَدَّ
 لَمْ يَزَلْ جَاهِداً لِنَيْلِ الْمَعَالِي
 أَتَخَالُ الْقَطَا أَعَارِثُهُ رِيشَا؟
 لَا يَجَارَى وَلَا تَرَى الصَّيْدَ إِلَّا
 وَإِذَا اسْتَعْظَمَ الْجَحُودُ كَلَامِي
 وَثُ فَوَادِي جَفُونُهَا الْوَسْنَانَةُ^(١)
 فَتُ يَضُوعُ كَأَنَّهَا رِيحَانَةُ^(٢)
 ءُ الْوِشَاحِ بِدَلِّهَا نَشْوَانَةُ^(٣)
 وَتِيَاهٍ كَأَنَّهَا عَضْبَانَةُ^(٤)
 مِنْ هَوَاهَا بِكَأْسِهِ الْمَلَانَةُ
 وَقَضَتْ لِلْفَوَادِ كُلَّ لُبَانَةٍ^(٥)
 حِقْفَ رَمْلِ مَنْ فَوْقَهُ خُوطٌ بَانُهُ^(٦)
 فَهِيَ مَكْسُوءَةٌ بِهِ عُزْبَانَةُ^(٧)
 إِمَامِ الْوُجُودِ عَالِي الْمَكَانَةِ
 مَدَّ أَمْرُؤُ لَمْ يَشُقَّ يَوْمًا دُخَانَهُ
 سَاعِباً مُسْرِجاً إِلَيْهَا حِصَانَهُ
 لَا؛ فَلَنْ يَلْحَقَ الْقَطَا طَيْرَانَهُ
 نَتَحَامَى دَخُولَهَا مِيدَانَهُ^(٨)
 فَلِيَجْرِبُهُ مِنْ يَرِيدُ امْتِحَانَهُ

(١) الوسنانة: الفاترة.

(٢) البضة: الممتلئة الرخصة الجسد الرقيقة الجلد. الرأدة: بالفتح والضم الشابة الحسنة. الرдах: المحظية عند الرجال. العرف: الرائحة. يضوع: يفوح.

(٣) عبلة: ضخمة. حمضاء الوشاح: ضامرة الخصر وهو موضع الوشاح. بدلها نشوانه: طربة بدلالها.

(٤) ذات غنج: تدلل وتكسر.

(٥) لبانة: حاجة.

(٦) نضت ثوبها: ألقته. حقف رمل: يريد عجيزتها وأصله المعوج من الرمل. خوط بانه: الغصن الناعم من شجر البان.

(٧) وجعلت العفاف: كما جاء في القرآن عن لباس التقوى وهو خير الألبسة.

(٨) الصيد: الشجعان.

طالما شدَّ ساعدَ العزمِ في الطاعات
لم يَنَمْ والخَلِيّ فوق الحشايا
بخشوعٍ ورقّةٍ وخضوعٍ
فكأنَّ الوعيد كان بمرآه
رحمةً بالوَرَى وخوفاً عليهم
صعد الرتبة العليّة بالتش
جلّ قصداً وأتعبَ النفسَ جهداً
فهو إكليلُ هامةِ الشرفِ العلياءِ
زينةُ العصرِ عُرةُ الدهرِ يجلو
تزهى بالسرورِ والأنسِ كُتِبَ الع
أدرك الفخرَ يافعاً قبل أن يب
عشقتَه خرائدُ المجدِ لَمَّا
لو رأى الناصبيُّ أخلاقه الثُرى
وبما حاز من كمالٍ وحالٍ
أيّدَ الدينَ فاستبانَت نفوسُ
فهو من قرينه إلى الرُّجلِ هُذِي

والبرُّ مُنْضِيّاً جُمَانَةً^(١)
بل تجأفي معانقاً قرآنَهُ
وزفيرٍ ودمعةً هتّانَهُ
وأنَّ العذابَ كان عِيَانَهُ
أن يحيدوا ويفضّبوا ديّانَهُ
مير في اللّهِ فاستحقَّ أمانَهُ
فيه لا بالمنى اشتهى لُقْيَانَهُ
والفضلِ والندى والصيانَهُ
بسني من جبينه غَيْهَانَهُ^(٢)
لم والصحفِ عنده عرفانَهُ^(٣)
لغ شَرَحَ الشبابِ أو عنفوانَهُ
جدّ وافتنضَّ بِكْرَهُ وَعَوَانَهُ^(٤)
لعادي أو استبى أقرانَهُ^(٥)
وجلالٍ وحكمةٍ وقَطَانَهُ
عَرَقْتُ في شكوكها بُرْهَانَهُ^(٦)
صالحٌ لا يحيد قِيدَ بنانَهُ^(٧)

(١) منضياً: مهزلاً.

(٣) عرفانه: حال كونها معروفة له.

(٤) الخرائد: الأبقار اللاتي لم يمسن قط؛ جمع خريدة. افتض: اقترع. عوانه: الثيب من النساء.

(٥) الناصبي: من يبغض علياً كرم الله وجهه. عادى أقرانه وخالفهم استبى: استمالهم إليه في حبه.

(٦) برهانه: مفعول استبانَت.

(٧) قيد بنانه: قدر بنانه أي أصبع وجمعه بنان.

(٢) غَيْهَانَهُ: ظلمته.

منهجٌ قيّمٌ يتابع فيه مَن به فضّل الإلهُ كِنَانَهُ
 يستوي المترفُ الغنيُّ لديه وأخو الفقيرِ والضَّنَا والزَّمَانَهُ
 وبذا يُعرفُ الوليُّ من الخُبِّ بِاللئيمِ الذي يُغَطِّي دِهَانَهُ^(١)
 وكثيرٌ من الذين تراهُمُ في ثيابِ الصلاحِ والتُّسكِ مانَهُ^(٢)
 ربُّ شخصٍ تراه مُطرقَ ظرفِ لم يكن منه ذاك إلا خِيَانَهُ
 فإذا خالفَ الشريعةَ إنسانٌ ولو صاد في الهوى عِقْبَانَهُ^(٣)
 فاطرِخُهُ وظنُّ فيه قبيحاً فهو رجسٌ موافقٌ شيطانَهُ
 ليس إلا اقتضاءً أحمدَ رشدٌ ذاك رأسُ الثُّقى وأصلُ الديَانَهُ
 كل من جدَّ مخلصاً أدركَ النُّجْدَ ح وأعطاه ربهُ رضوانَهُ
 أيها الماجدُ السرى قرينُ الجِدِّ وودِّ والمجدِّ والهُدَى والأمانَهُ
 أنتَ قطبُ الوجودِ من غيرِ ريبٍ لك هذا الوجودُ ألقى عِنَانَهُ^(٤)
 كنتَ حِضناً من كلِّ بُوسٍ وعَذْباً مُزويّاً كلَّ مُهجةٍ ضَمَانَهُ^(٥)
 ومُجيرِ الطريدِ إن جاء يوماً عائداً شاكياً إليك زَمَانَهُ
 كنتَ باباً ما بيننا والرزايا مانعاً سَطوةَ البَلَا واضطِغَانَهُ^(٦)
 لعبتُ بعدك الليالي علينا وسَقانا زماننا حَدَثَانَهُ
 ودهى الأُمَّةَ الزمانُ بسوءِ فهي مما أصابها خَيْرَانَهُ
 فاستغثُ ربَّنَا لنا فنفسُ الخدِّ لقي في حومةِ الشقا عَرْقَانَهُ

(١) يغطي دهانه: يستر نفاقه وفي الأصل يعطي. وهو تصحيف.

(٢) مانه: كذبة من المين وهو الكذب.

(٣) عقبانهُ: عناق الطير.

(٤) ألقى عنانه: طرح زمامه.

(٥) ضمّانهُ: ظمّانهُ.

(٦) البلاء: البلاء.

واذعنه يستجب دعاءك إننا
يا إماماً إذا تبسم خلنا الم
وإذا فاه بالكلام حسبنا
منك لي ذمة أحيل عليها
أيها السيد العطوف الذي حا
رام رب القريض نسج مديح
وهو في ذا كمورد المسك دا
شفه الوجد في هواك وأضنى
وإمق دينه الوداد يرى التق
فاكسه حلة الفخار وشف
فهو من نشئه بفضلك بصطا
هم حساده بإطفاء نور
وافتقد سره فقد ضم حاجاً
وعلى روحك الشريف سلام
ورثت جدها الحمام وناحت

لا نطيق الردى ولا صليانه^(١)
سك من فيه نابذاً أزدانه^(٢)
رائعات الجمال تنثر جمانه^(٣)
غرم ما قد جنيته وضمنه
ز من الله فضله وامتنانه
لكن النزر منه أعبا لسانه
رين ومهد إلى عمان جمانه
جسمه الحب واسترق جناه
صير في حقه يهيي إيمانه
من مذام العلاله أذنانه
ف ربيع الهدى ويمري لبانه
شع منه فعوقبوا بالإهانه
لم يصرح بها وفيك فطانه
ما بكى موثق النوى أوطانه
فوق ساق فرنحت أغصانه



(١) الصليان كالصليان: الاحتراق.

(٢) نابذاً أزدانه: طارحاً أريدته فهو مسك خالص.

(٣) تنثر جمانه: لم تجد لكلمة جمان هنا معنى يليق بالشر.

القصيدة الخامسة

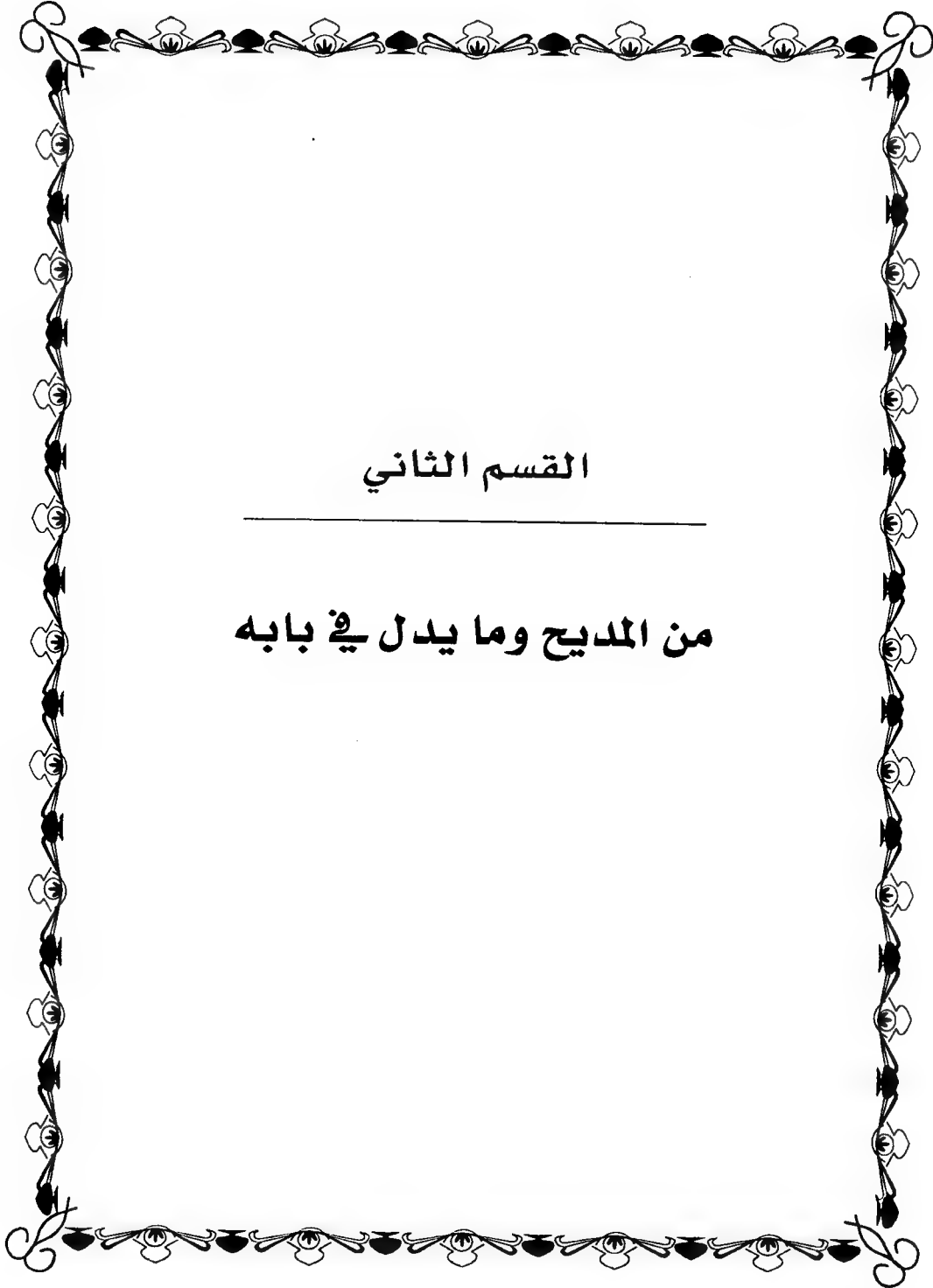
إلى حماكم

انتهت مدائح العيدروس؛ وهذه القصيدة أنشأتها بديهة تجاه ضرائح الآباء
بزئيل^(١) سنة ١٣٣٢هـ؛ وهي مناسبة للقصائد السابقة؛ فأضفتها إليها.

إلى حماكم بني خيرِ الورى جينا مما لقينا من الأيام شاكيننا
غذّر الأخلاء إخوان النفاقِ إلى ما دبرت من مكيدات أعاديننا
تقوّلوا وأرادوا يلصقون بنا عيباً به يستخفون المجانينا
فمنا لنصرة دين الله فانتبهوا لضرنا ولهذا الشأن أوذينا
وما لنا عندهم ذنب نلامُ به إلا لأننا نصرنا الحقّ والدينا
وما وهنّا على مسّ الخطوبِ ولا لنا وذلك من تأييد بارينا
وقد أتينا بصدق الالتجاءِ لكم مستنجدين خذوا فضلاً بأيدينا
واذعوا الإله يرُد الحاسدين على أعقابهم ويزيدُ الحقّ تمكيننا

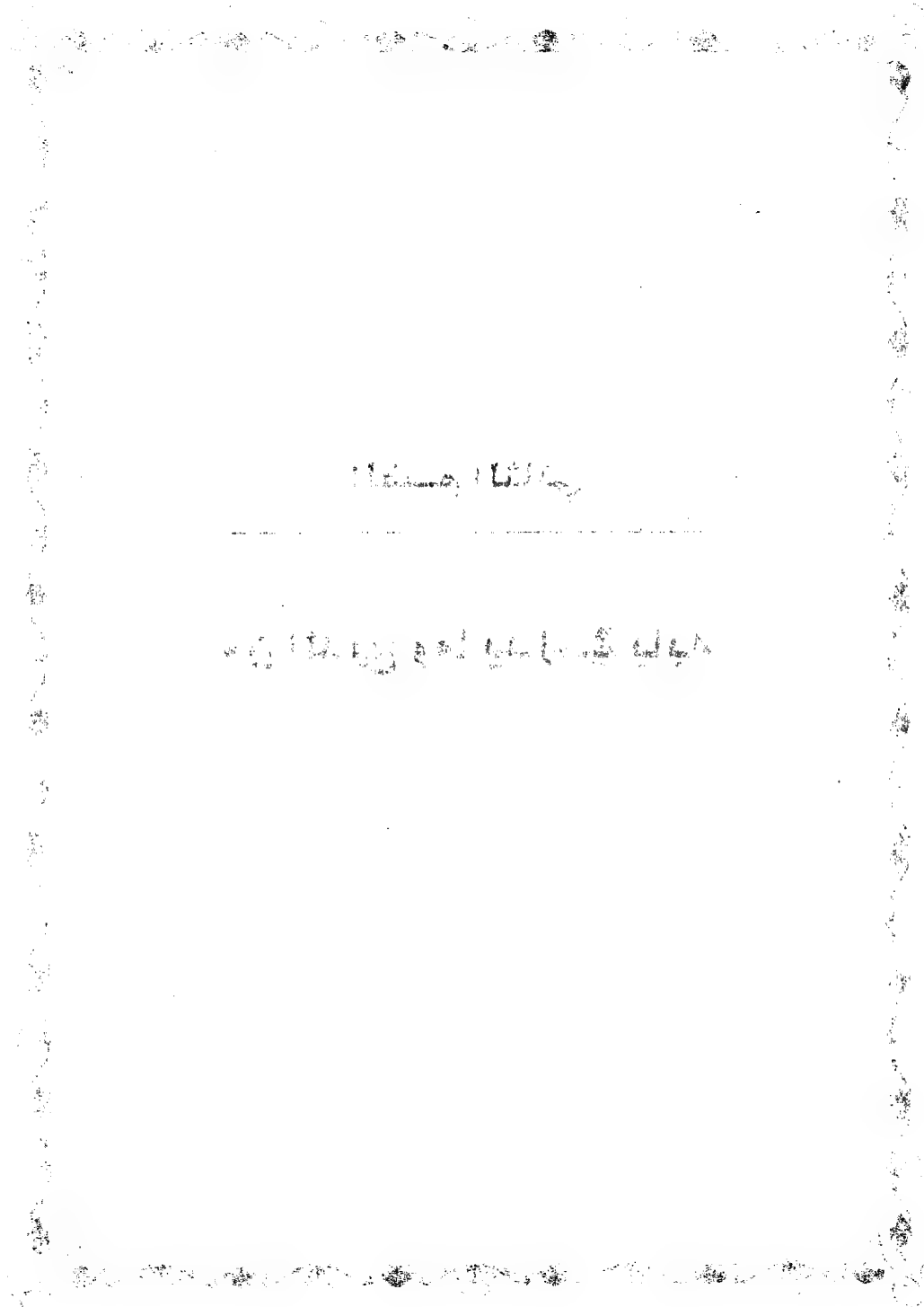


(١) زئيل هي مقبرة بمدينة تريم.



القسم الثاني

من المديح وما يدل في بابه



1860

1860

القصيد الأولى

للسيد أحمد بن أبي بكر بن سميط

وهذه من أثناء تقرّيب لي على شرح بعض قصائد الحداد^(١)؛ بطلب من مؤلفه؛ العلامة السيد أحمد بن أبي بكر بن سُمَيْط.

لِيَحْيِ أَهْلَ الْعُلَا وَالْفَضْلِ وَالْأَدَبِ وَلِيَسْقِطِ الْمَدْعُو الْعَلِيَاءِ بِالْكَذِبِ
 وَلِيَكْشِفِ الْبَحْثُ عَنْ سِرِّ الْحَقِيقَةِ مَا غَطَّى بِهِ وَجْهَهَا الْوَضَّاحُ كُلُّ غَبِي
 وَلِيَخْرِقَ الْحَقُّ مَا اكْتَنَزَ الزَّمَانُ بِهِ مِنَ الْأَضَالِيلِ وَالْأَوْهَامِ وَالرَّيْبِ^(٢)
 وَلِيَفْضَحِ الصَّدَقَ أَرْبَابَ الرُّسُومِ فَقَدْ تَبَيَّنَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْغِشِّ وَالذَّهَبِ
 وَلِيَنْفُخَ الْعِلْمَ رُوحاً فِي مَشَاعِرِنَا وَلِيُنْسَخِ الْعِزْمُ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبِ
 وَلِيُزْهِرَ رَوْضُ الْعِلْمِ وَلِيَنْتَعِشَ فَرْحاً وَلِيَضْطَرِبَ دَوْحُهُ مِنْ خِفَّةِ الطَّرِبِ^(٣)
 وَلِتَحْيِيَ أَعْصَانُهُ مِنْ بَعْدِ مَا ذَوِيَتْ وَلِيَضْحُجْ جِثْمَانُهُ مِنْ عِلَّةِ الْوَصْبِ^(٤)
 وَلِيَفْرِحَ الطَّالِبُ الْحَقُّ الصَّرِيحُ بِهِ وَلِيَبْذُعَ بِالْوَيْلِ أَهْلَ الْمَيْنِ وَالْحَرْبِ^(٥)
 وَلِيَشْكُرَ السَّالِكُو نَهْجَ الْهَدَايَةِ مَا أَسْدَى إِلَيْنَا الشُّهَابَ الطَّاهِرُ النَّسَبِ

(١) هو الإمام عبد الله بن علوي الحداد (١٠٤٤ - ١١٣٢هـ) علامة وفقه ومصلح اجتماعي له

عدة مؤلفات مشهورة وأدعية متداولة وديوان شعر جيد ومراسلات مهمة ولد وتوفي بترميم.

(٢) وليحرق: وليسحق. يقال: حرق نابه يحرقه ويجرقه سحقه حتى سمع له صرير.

(٣) ولينتفش: لينهض ولينتفش. الدّوح: جمع دوحه وهي الشجرة العظيمة المتسعة.

(٤) ذويت: ذبلت. الوصب: لزوم الوجع.

(٥) المين: الكذب. الحرب: سلب المال.

فَرَحُ السَّرَاةِ السُّمَيْطِي الْمَهْدَبُ مَنْ
 الْمَاجِدُ الْفَاضِلُ الرَّاوي الْمَكَارِمِ عَنْ
 أَسَدِي لَنَا فِكْرُهُ مَا لَا نَطِيقُ لَهُ
 صَنِيعَةً لَا يَكَا فِيهَا الْمَدِيحُ فَقَدْ
 فَلَوْ نَظَّمْتَ بِتَقْرِيطِي النُّجُومَ لَهُ
 جَلَى بِتَحْفَتِهِ هَذِي الْكِرَامِ مِنَ الْأَ
 وَزَفَّ لِلنَّاسِ مِنْ سَامِي طَرِيقَتِهِمْ
 أَحْيَا بِهَيْمَتِهِ مَا كَانَ مُسْتَتْرَأً
 هَذِي طَرِيقَةَ آبَائِي يَفْضَلُهَا
 فَقُلْ لِمَنْ يَدَّعِي مِنْ غَيْرِ بَيْنِي
 مِنْ حَادٍ عَنْ نَهْجِ طِهٍ قَيْدِ أَنْمَلَةٍ
 وَمَنْ يُرِدُ مِنْ بَنِي الزَّهْرَاءِ تَكْرِمَةً
 لَا يَحْصُلُ الْفَوْزُ إِلَّا بِالْجِهَادِ وَلَا
 يَلْدُ كُلُّ امْرِي نَيْلُ الْكِمَالِ وَمَا
 لَلَّهْ دَرُّ شَهَابِ الدِّينِ مِنْ بَطَلٍ
 فِي سِفْرِهِ ضَاءُ نَوْرِ الْحَقِّ وَاحْتَرَقَتْ
 سِفْرُهُ بِهِ كُلُّ مَعْنَى يَسْتَحِقُّ بِأَنْ
 حَوَى مِنَ الْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ جَوْهَرَهُ

قَد بَوَّأَتْهُ الْمَعَالِي أَشْرَفَ الرَّتَبِ^(١)
 آبَائِهِ الْمَتَّقِينَ السَّادَةَ النَّجْبِ
 شُكْرًا بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْعَارِ وَالْخَطَبِ
 أَقَامَنِي الشُّكْرُ بَيْنَ الْعِيِّ وَالْعَجَبِ
 لَمْ تَقْضِ بَعْضَ الَّذِي عِنْدِي مِنَ الْأَرْبِ
 جَدَادِ أَهْلِ التَّقَى وَالْمَجْدِ وَالْحَسْبِ
 فَرَائِدًا سَخِرَتْ بِالْخُرْدِ الْعُرْبِ^(٢)
 مِنْ سِيرِهِمْ بَيْنَ أَهْلِ الْجَهْلِ فِي حُجْبِ
 تَبْيَانُ أَسْتَاذِنَا فِي نَافِعِ الْكُتُبِ
 عَلَيْكَ يَشْهَدُ هَذَا السَّفْرُ بِالْعَطَبِ
 لَمْ يَنْجُ مَهْمَا ادَّعَى مِنْ حُفْرَةِ الْغَضَبِ^(٣)
 وَمَا انْتَحَى ذَلِكَ الْمَنْهَاجَ لَمْ يُصِيبِ
 يَأْتِي الْهِنَاءُ بِغَيْرِ الْكَدِّ وَالنَّصَبِ
 يَلْقَاهُ إِلَّا مَعَ التَّوْفِيقِ ذُو التَّعَبِ
 يُبْدِي الْحَقَائِقَ لَمْ يُذْهِنْ وَلَمْ يُشِبِ^(٤)
 مِنْهُ الدَّعَاوِي وَهَذِي عَادَةُ الشُّهْبِ
 يُخَطِّطُ فَوْقَ نَحُورِ الْحُورِ بِالذَّهَبِ
 فَجَاءَ قُرَّةَ عَيْنِ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ

(١) فرع السراة: سليل الشرفاء.

(٢) الخرد: جمع خريدة وهي التي لم تمس. العرب: جمع غروب وهي المرأة المتحبة إلى زوجها.

(٣) قيد أنملة: قدر أنملة أصبع. حفرة الغضب: جهنم.

(٤) لم يدهن: لم يناق. لم يشب: لم يخلط الباطل بالحق.

القصيدة الثانية

للسيد العلامة أبي بكر بن شهاب عند وصوله الشحر

وأرسلتُ هذه القصيدة لشيخنا العلامة أبي بكر بن شهاب^(١) مَقْدَمه إلى الشَّحْر^(٢) من الهند.

تَلُومٌ وَلَكِنْ لِبِتِّهَا فَتَشَّتْ قَلْبِي لَتَعْذِرَنِي قَبْلَ الْمَلَامَةِ وَالْعَنْبِ
فَلَوْ عَلِمْتُ بَعْضَ الَّذِي بِي لَمَا لَحْتُ إِذَا لِحْظَتْنِي فِي الدُّجَى قَلْتُ الْجَنْبِ^(٣)
فَلَوْ كَانَ قَلْبِي مِنْ حَدِيدٍ لَلَّانَ مِنْ مَعَاكِسَةِ الدَّهْرِ الَّذِي جَدَّ فِي حَرْبِي
يَعَاكِسُنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهَمَّتِي عَلَى مَا أَلَاقِي مِنْهُ أَمْضَى مِنَ الْعَضْبِ^(٤)
وَذَلِكَ لَا يَخْفَى عَلَيْهَا لِأَنَّهُ أَقَامَ غَرَابَ الْهَمِّ فِي مَوْضِعِ الْحُبِّ^(٥)
بِحَيْثُ الْهَوَى حَلَّ الْعَنَا فَأَذَّالَهُ وَلَا لَوْمْ هَذَا خَارِجٌ عَنْ قَوَى الصَّبِّ^(٦)

(١) أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب (١٢٦٢ - ١٣٤١هـ) باني نهضة الأدب بحضرموت وأكبر شاعر في عصره ولد بتريم ثم اضطرت ظروف سياسية إلى الهجرة إلى الهند وتوفي بحيدرآباد الدكن.

(٢) الشَّحْر: مدينة ساحلية على مقربة من المكلا وكانت هي الميناء الرئيسي لحضرموت.

(٣) لحت: لامت. الدجى: جمع دجية وهي الظلمة.

(٤) العضب: السيف.

(٥) غراب الهم: الهم الشبيه بالغراب في سواده وشؤمه. موضع الحب: القلب.

(٦) العنا: التعب. فأذاله: فأستخف بصاحبه وامتهنه يقال: أذال الخيل إذا امتهنها بالعمل والحمل عليها. الصب: العاشق.

تخالفن أهوائي فرأيتُ مشرَّق
تجاذبتني من كل صوب كأنني
حَمِينُ الكَرَى عني كاني مُوَكَّل
فليلي نهاراً كلما مرَّ خاطِرُ
على أنني أمسي وأصبحُ آمناً
ولكنَّ قلبي ذاب من غيرة لَمَّا
وأيُّ غيورٍ لم يسؤهُ الذي جرى
مواطن أبناء البتولِ وعثرة الـ
مساحِب أذيال المها ومصائد النـ
تهدم سُورُ الدين فيها وأصبحتُ
وأنتي لمثلي بالدفاع وكَلَمَّا
ولي همة لا تنثنني غيرَ أنني
عدمتُ على رَغَم الأمانِي مساعداً
نَعَم من أبي بكرٍ تُرَجِّي معونةً
بعودته الأمانُ عاد انتعاشها
نوَمِّل من أفكاره رَأب صدعنا
قريبُ صَفَاة الدهر شهْمٌ مُحَنِّكٌ

يقابله رأيٌ تعلَّقَ بالغرْبِ
فريسةً ليث لا تراخُ من الجذبِ
بحفظِ الثريا عن مخاتلةِ الشُّهْبِ^(١)
من النومِ ذادته اللواعجُ عن هُدْبِي^(٢)
بذاتي في نفسي وديني وفي سِرْبِي
أراه بعيني في بلادِي وفي شُعْبِي
من الجورِ في وادي الهدى الطاهرِ الثَّرْبِ؟
رَسُولِ الأولى سادوا على العُجْمِ والعربِ
هي فكناسُ الحسنِ في هذه الكُثْبِ^(٣)
شريعةً طه عرضةً الهتكِ والسلبِ
نهضتُ بصدقِ خانني حسداً حِزْبِي
وحيداً لهذا صرحتُ أخيراً من صَبِّ
على كُثْفِ هذا المشكلِ الهائلِ الصُغْبِ
فإن شدَّ من أزري وقام معي حَسْبِي^(٤)
وفرَّجَ عنا عوده عُقدة الكَرْبِ
ولا غرو فهو الماهرِ الحاذقُ الطَّبِّ^(٥)
وقورٌ إذا صار الحلِيمُ بلا لُبِّ^(٦)

(١) حَمِينُ الكَرَى: ممنع النوم. المخاتلة: المخادعة.

(٢) ذادته: دفعته. اللواعج: جمع لاعج وهو الهوى المحرق.

(٣) مساحِب أذيال المها: مواضع سحب أذيالها والمها: بقر الوحش: يريد مواضع مشيها.

المكناس: مستتر: لظباء في الشجر. الكثيب: التلال من الرمال.

(٤) حَسْبِي: كافي. (٥) راب: رأب أي إصلاح.

(٦) الصَّفَاة: الحجر الصلب الضخم وصفاة الدهر: شدائده وقربها مُغالبتها.

وإن طاشت الآراء كان محلُّه
 كأنَّ الجبالَ الراسياتِ تُمُدُّه
 أشدُّ من الفولاذِ عندَ عُذَاتِهِ
 عزائمُه لم تنفِسخْ من وقائعِ
 جليلٍ جميلٍ العهدِ قد عُجِنَ الوفا
 سليلُ الكرامِ الصاعدي الرتبةِ التي
 ملائكةُ الأرضِ الأولى في جباههم
 على اليُمنِ مثلَ الغيثِ وافى ونحن من
 تفانوا وقلنا هل لهم من بَقِيَّةٍ؟
 لذلك زاد الشوقُ فيك فكُننا
 ونفسي إلى لُفْيَاك أشوقُ مهجَّةً
 أميلُ إذا عَرَضاً حديثُك جاءني
 فَدَاوِ بطيبِ الوَضْلِ روحاً مريضةً
 وقل لي لعمري إن الأمانِيَّ أصبحت
 ودبُرُ لإصلاحِ الفسادِ طريقةً
 برأيك خلصنا من الجورِ مثلما
 ولا تَرُجُ من أهلِ البلادِ معونةً

لكشف الخطوبِ السودِ في موضعِ القُظْبِ
 رباطةَ جأشٍ عندَ عاديةِ الخطبِ
 وألَيْنُ أخلاقاً من الرُّبْدِ للصحْبِ
 جرثُ معه للدهرِ مشهورةِ الحربِ
 بطيئتهِ صافي النحيزةِ والقلبِ^(١)
 تماطُ عن الراقي لها سائرُ الحُجْبِ
 مشارقُ أنوارِ تذكُرُ بالرَّبِ
 رجالِ الصلاحِ اليومِ في غايةِ الجذبِ^(٢)
 فلم تُلَفَ إلا في المقابرِ والكُتُبِ
 من البينِ مرهونٌ بقاصمةِ الصُّلبِ
 وأصدي من الظمانِ للباردِ العذبِ
 كما مالت الأرواحُ بالغُضَنِ الرُّطْبِ^(٣)
 وسرَّ فؤاداً ساءَ البينُ بالقُربِ
 ظوَالعِ من فَرَطِ العِثَارِ على الدَّرْبِ^(٤)
 فلا بدَّ للحالِ الذي حلَّ من قلبِ
 بعلمِكَ قد خلصت خلقاً من النَّصْبِ^(٥)
 فقد كِدْتُ أقضي من سياستهم نُحْبِي

(١) النحيزة: الطبيعة.

(٢) اليمن: الخير والبركة.

(٣) الأرواح: الرياح. الرطب: اللين.

(٤) لعمري: لا عثرت. دعاء له بالسلامة. ظوَالعِ: جمع ظالعة بمعنى المائلة في مشيتها. الدرب:

الطريق غير النافذ.

(٥) النصب: بغض الإمام علي كرم الله وجهه.

قد امتلكوا لوماً وفي خلطتي بهم عجائبُ إذ لم تُغدني علةُ الجربِ
 ودمٌ في سرور لا انتهاءً لمدّه سعيداً بإذن الباريء الفالقِ الحبِّ
 وأزكى صلاةً بالسلام تمازجت على مَنْ بهم يُرجى الخلاصُ من الذنبِ
 نبيَّ الهدى والمرضى وبنيهما وفاطمةَ الزهراءُ أولي السُوددِ الرَّحِبِ^(١)
 صلاةً وتسليماً يدومان ما أنبري نسيماً وما انهلَّ السماءُ من السُحبِ^(٢)
 وما نَعِمَتَ عينٌ بقُربِ حبيبِها وما سَجَعَتَ وُزقَ الحمامِ على القُضبِ^(٣)



(١) الرحب: الواسع.

(٢) السماء: المطر.

(٣) القضب: الأغصان.

القصيدة الثالثة

جواب للسيد محمد بن شيخ المساوي

وهذه القصيدة جواب عن مديحة قدمها السيد محمد بن شيخ المُساوي^(١)
يخطب المودّة ويدّعي المحبّة ولعلها في سنة ١٣٤٢هـ.

لا تنكري إن رأيت فؤدي أشيباً أو ليس أوقر في النفوس وأهيباً
ما شئت عن كبر ولكن همة من شأن حامل مثلها أن يتعباً
وسلي الزمان يُفدك عن صبري له وستعذّرني إن سألت عن النبأ
ما زلت أعرّك أذنه وغنمت إذ أخذ الغراب عليّ بازاً أشهباً^(٢)
يجلّو دجى شغري صباح تجاربي وكذاك ضوء الصبح يجلو الغيّهبا^(٣)
ما فلّ من غربي المشيب ولم يكن ليزيدني إلا مضاء في إبا^(٤)
فلأجرين العزم ملء عنانه حتى يبلغني سراه المطلباً
ولأنفضنّ العجز في نصر الهدى عني فإن السيل قد بلغ الرّبي
لا يأس بقرّني وإن عثرت بي الآمال أو ذهبّت مساعينا هباً

(١) من أدباء وفقهاء سيّون تميّز بلطافته مارس التجارة بسيّون وكان له بها شأن وعمل بالتدريس بمدرسة النهضة بسيّون وبالقضاء وله شعر جيد وصوت إنشادي جميل وتوفي بسيّون حضرموت سنة ١٤٠٥هـ.

(٢) الغراب: عنى به السواد كما عنى بياز الأشهب بياض الشعر. وأخذ على أوقع على.

(٣) الغيّهب: الظلمة.

(٤) فلّ من غربه: ثلم من حدّه. المضاء: النفاذ. إبا: إباء.

مَحَنٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهَا نِعْمَةٌ ظَهَرَ الصَّوَابُ بِهَا وَكَانَ مُحَجَّبًا
 مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أُسْرَتِي أَنْدَمَجَتْ عَلَى حَسَدِي فَكُنْتُ أَشِيمٌ مِنْهَا خُلْبًا^(١)
 صَبَّيْتُ فِي إِرْشَادِهَا وَقْتِي وَلَمْ أَجِدْ ابْنَ عَمِّي اللَّحَّ إِلَّا عَقْرَبًا^(٢)
 أَهْوَى الصَّلَاحَ وَأَيْنَهُ مِنْ مَعْشَرٍ؟ تَبِعُوا الْهَوَى وَتَفَرَّقُوا أَيْدِي سَبَا^(٣)
 لَا ضَيْرَ قَدْ لَقِيَ الْأَذَى مِنْ قَوْمِهِ جَدِّي فِعَاشٍ مُحَسَّدًا وَمَكْذَبًا
 وَكَذَلِكَ الدَّاعِي الصَّدُوقُ يُجِبُّهُ الْبُعْدَا وَيَبْغُضُهُ لِئَامُ الْأَقْرَبَا
 أَوْ مَا رَأَيْتَ ابْنَ الْمُسَاوِي صَاغٌ لِي مِنْ شَعْرِهِ عِقْدًا ثَمِينًا مُذْهَبًا؟
 خَلَبَ الْفَوَادَ فَقَلَّتْ أَغْرَبُ شَادِنِ بِفُنَائِهِ أَوْ سَاقٍ حُرًّا أَطْرَبًا^(٤)
 وَأَنَّى كَمَا تَهْوَى الْبَلَاغَةَ فَائِقًا كَلِمًا مَنْقَحَةً وَنِظْمًا مُعْرَبًا
 وَلَئِنْ أَشْرْتُ لِبَعْدِهِ عَنِ نَسَبِي فَلِكُونِهِ وَصَفًا إِلَيَّ مُحَبَّبًا
 أَنَّهُى مَوَدَّتِهِ وَأَعْلَنَهَا وَمَا قَدْ كَانَ يُضْمِرُهُ لَنَا لَنْ يَغْرُبَا
 فَعَلَى النُّفُوسِ شَوَاهِدٌ مِنْهَا كَمَا وَرَدَ الْحَدِيثُ عَنِ النَّبِيِّ وَجُرْبَا
 وَسَوَالُهُ التَّقْرِيبَ قَدْ أَطْلَبْتُهُ أَوْلَيْسَ مَنْ قَبِلَ السَّوَالَ مُقْرَبًا^(٥)
 مَا عِنْدَهُ عِنْدِي وَلَسْتُ كَمَنْ تَمَنَّى نَيَّ ابْنَ الْمَقْفَعِ وَدُهُ فَتَمَنَّنَا
 فَلَقَدْ بَرَانِي اللَّهُ لَا مَتَنَظَّمًا كَلًّا وَلَا صَلِيفًا وَلَا مَتَعَصَّبًا
 وَدِّي لِمَنْ يَهْوَاهُ مَبْذُولٌ وَلَا يَلْقَى نَزِيلَ فَنَائِي إِلَّا مَرْحَبًا
 وَبِحَبِّ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ وَبِنَتِّهِ وَأَخِيهِ وَالْحَسَنِينَ أَصْحَابَ الْعَبَا

(١) أشيم منها خلبًا: انظر منها برقًا مطعمًا مخلقًا.

(٢) اللح: القريب النسب.

(٣) أيدي سبًا: في طرق شتى. وهو مثل في التشتت.

(٤) الشادن من أولاد الظباء الذي قوي واستغنى عن أمه. ساق حر: ذكر الحمام. وهو يشير هنا

إلى تمكنه من الشعر والإنشاد.

(٥) أطلبته: أعتته على طلبه.

نستمنح الجدوى من الباري لنا ولناسج المدح الذي قد أوجبا
فهم الوسيلة قل من أدلى بهم إلا انثنى في الحال موفور الجبا^(١)
وعلى ضرائحهم سلام عاطر ما رنحت ريح الصبا شيخ الربا



(١) الجباء: أي العطاء.

القصيدة الرابعة

مهداة للسيد عمر بن محمد السقاف

وهذه القصيدة أنشئت سنة ١٣٢٧هـ شكراً للوجيه السيد عمر بن محمد السقاف^(١)؛ على ما أسدى لطلبة العلم؛ واستزادة له؛ وحثاً على عمارة مدرسة؛ وتوسلاً به إلى الدولة العليّة:

أَرَبَّ النَّدَى وَالْبِرِّ وَالْحَسَنَاتِ عَلَيْكَ السَّلَامُ الْعَاطِرُ النَّفْحَاتِ
عَلَيْكَ تَحَايَا اللَّهِ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ سُحَيْرًا وَفِي الْأَصَالِ وَالْعُدُواتِ
أَسْأَلُ عَنْ عَلَيْكَ كُلَّ مُخْبِرٍ وَغَادٍ إِلَى ذَاكَ الْجَنَابِ وَآتِي
وَأَسْتَوْدِعُ الرِّيحَ الرُّخَاءَ تَحِيَّةً فَهَلْ جَاءَ مَا اسْتَوْدَعْتُمُ النَّسَمَاتِ؟
مَتَى يُجْتَلَى فِي نِعْمَةٍ وَرِفَاهَةٍ مُحَيَّاكَ بَيْنَ الْبَشْرِ وَالْبَسَمَاتِ؟
فَأَقْضِي لِلشُّوقِ الْمَبْرُوحِ حَاجَةً وَأَرْغَمُ بِالْوَصْلِ الْهَنِيِّ عُدَاتِي
هِنَالِكَ أَتَقَى النَّاسِ فِي ذَاتِ وَاحِدٍ جَوَادٍ كَثِيرِ الْخَيْرِ وَالصَّدَقَاتِ
سَخِيَّ أَبِي ذَائِعُ الصَّيْتِ مَا جَدُّ حَلِيمٌ حَكِيمٌ ذُو حَجِيٍّ وَأَنَاةِ

(١) ولد السيد عمر بن بن محمد السقاف في مكة عام ١٨٥٠ ميلادية وهو ابن أخت أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد السقاف وخلف خاله في إدارة شركة السقاف وشركائهم بسنغفورا كما أسس بسنغفورا ومدينة جدة شركة السقاف للعقارات والتجارة العامة والحج وله مكاتب بسنغفورا وجدة. وقد قضى السيد عمر بن محمد السقاف وقتاً طويلاً مقيماً بجدة وله فيها قصر عظيم وصفه اللواء إبراهيم رفعت باشا في كتابه مرآة الحرمين عند قدومه للحج عام ١٣١٨هـ ثم انتقل إلى سنغفورا وكان له بها شأن كبير وخلف ثلاثة أولاد أشهرهم إبراهيم السقاف الذي كان من كبار الشخصيات وسفيراً للسعودية بسنغفورا.

حميدُ المساعي طاهرُ الجيبِ سالمٌ
 كريمُ السجايا أرحمُ مهذبٌ
 مَلَأَ عيائيلٌ وملجأُ راغبٍ
 إذا جاءه العاقون يرجون نيلَه
 روى عن أبيه المكرماتِ وخالو
 له الهمة العلياء في نفع قومه
 وإنقاذهم من هوة الجهل والعمى
 وإننا لنرجو من إحاطة همة
 كما أننا نرجو به أن يعمنا
 بتدبيره الأقصى بجيء وينجلي
 فيا أيها الشهمُ الشجاعُ الذي ابتنى
 وسار على نهج السعادة والهدى
 وسارَعَ في نيل العلاء غير حافل
 بلادك هذه قد أحاط بها العنا
 رمثها يدُ الأيام عن قوس نحسها
 ومدَّ عليها الجهلُ ذيلَ ظلامه
 تحننٌ عليها والتفت نحوها وقل

من العيب والأهواء والنزعات
 عظيمُ المزايا صادقُ العزمات
 وكعبةُ قصاد وكنزُ عفاة^(١)
 نسوا ما بهم من غربةٍ وشتاتٍ
 وأكرمُ بهم من سيدين ثقاتٍ
 وإخراجهم من حندسِ الشبهات^(٢)
 وإيقاظهم من نومة الحسرات^(٣)
 بنا أن ننال العزَّ والرغباتِ
 من التُّركِ لطفً يانعُ الثمرات^(٤)
 بآرائه محلولكُ الظلمات^(٥)
 من المجد قصرًا شامخَ الشرفات^(٦)
 بحزم وعزم صادقٍ وثباتٍ
 بما في طريق التُّججِ من عقباتٍ
 أترضى بأن تبقى بغير حُماةٍ؟
 بكل سهامٍ نافذِ الرميّاتِ
 وأنذرَها بالسوء والنِّقَماتِ
 لعمراً فلقد ناءت من العثراتِ^(٧)

(١) عيائيل: جمع عِل وهو الملتمس الباحث. عفاة: طلاب المعروف.

(٢) الحندس: الظلام.

(٤) الترك: دولة الخلافة العثمانية.

(٥) محلولك الظلمات: شديدها.

(٦) شامخ: عالي.

(٧) لعمراً: لا عثرت؛ دعاء لها بالسلامة.

وإنك لو جَسَّيْتَ يوماً حشَاءَها لأدركت ما ضَمَّتْ من الزفراتِ^(١)
 شجاني ما عانيتُهُ من شُجُونِها وما عندها من حاجةٍ وشكَاةٍ
 وإذ لم يكن عندي غَنَاءٌ أَحَلَّتْها على سُدَّةِ الإحسان والرحماتِ
 وما هي ذي أَلقت حبالَ رَجائِها وحاشاك أن يَرْجِعن منقطعاتِ
 ولم يكفِ ما أسديتُهُ من مواهب وأجزلتُهُ من أنعم وصِلاتِ
 فأنت الذي تُرَجى لكلِّ عَظيمةٍ وللرُفدِ والإنعامِ والبَرَكاتِ
 فلا زلتَ في أمنٍ ويؤمن ممتعاً بآلِ وأموالِ وطيبِ حياةٍ



(١) جسي: جست يدك.

القصيدة الخامسة

في مآدبة رئيس وزراء حيدر آباد

ولما كنت في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٩هـ؛ عمل لي رئيس الوزراء مأدبة فاخرة؛ حضرها سائر الأمراء والأعيان؛ واقترح علي تاريخ وقت الاجتماع والتعارف^(١)؛ لولعهم بذلك؛ فقلت من غير طول تلبّث:

نسَخَ الكمأُ من العُلى ديباجَا وكساه من أجرى الحيا الثَّجَّاجَا^(٢)
 صدَّرَ الصدورِ يمينَ سلطنة الهدى وسراجَ ليلٍ ظلَّامها الوهَّاجَا
 كشافَ وجهِ الحقِّ من سَدَفِ الدجى نَقَّافُ هامةٍ كلِّ شيءٍ هابَا^(٣)
 رجلُ العظيمةِ ذو العزيمة لا يرى غيرَ الجهادِ إلى الذُّرى معراجَا
 نَقَّادُ أحوالِ الورى لا تَنطلي خُدَعُ المُرائي عنده إن داجى^(٤)
 رأت الحكومةُ منه خيرَ موفِّقٍ ومَحَنَكِ قتلَ الزمانِ التَّاجَا
 سِيرَ بها اتخذَ الثناءَ لنفسه أسنَى ذخائره وأزضى التَّاجَا
 ملأَ القلوبَ محبةً ومهابةً وشأى وشاد على الشُّها أبراجَا^(٥)
 شرفٌ تسامى للنجوم فأصبحت تُنشى الملوکُ بساطهُ أفواجَا

(١) وهي طريقة تختار فيها عبارة أو شطر بيت فيكون مجموع قيمة حروفه هي تاريخ لهذه السنة أو تاريخ لمناسبة معينة حيث إن لكل حرف من حروف اللغة العربية قيمة رقمية معروفة.

(٢) الحيا الثجاجا: المطر الكثير الانصباب.

(٣) سدف الدجى: ظلمته. نفاق الهام: كثير الكسر لرؤوس الأشرار.

(٤) داجى: دارى من المداجاة وهي المداواة.

(٥) شأى: سبق.

ووفودُ شرقِ الأرضِ معِ غربيِّها
 ولعمَّه من يُمنِّه وصِلَاحه
 وكفاه من شرفِ النَّحِيْزَةِ أَنه
 ما جاءه ذو نَكْبَةٍ أو كُرْبَةٍ
 وله بحبِّ أبي البتولِ سفينَةٌ
 ولذاك أوحى الفألُ بيتاً مُدْمِجاً
 يا فاتحَ الأبوابِ يا جَزَلَ العَظَا
 يَرُدُّونَ بحرَ سماجِه العَجَّاجَا
 سُوقُ المَعَارِفِ بعدَ رُخْصِ راجَا
 ما زال يقضي للكرامِ الحَاجَا^(١)
 إلَّا وصادفَ عندهُ الإفرَاجَا
 تُنْجِي إذا اضْطَرَبَ البَلَا أمَواجَا
 تاريخَ معرفتي به إدمَاجَا
 وَفَّقَ أَمِينِ الدُولَةِ المِهْرَاجَا

* * *

القصيدة السادسة

اعتذار للشيخ محمد بن محمد باكثر

اعتذار عن التأخر للشيخ محمد بن محمد باكثر^(١)؛ وهي في أيام الصبا
حين القراءة في النحو في حدود سنة ١٣١٧هـ:

علامَ أطلت اللومَ والعنبَ والصدأ؟ ولم آتِ ذنباً في هواك ولا حدّاً
خَفِ اللهُ إنِّي من جفاك على شفا فيا هل ترى في الحبِّ تقتلني عمداً؟^(٢)
أُمرضُني بالبعد عنك؟ ولو يكن عسى أن بَرَقَ الصدُّ يُصبحَ خُلْباً
بك الوجد من هجرتك ما سِمتك البُعدا وأن لا نرى إلا فقايعَ ذا الرعدا^(٣)
رعى اللهُ أزماناً تقضت على الهنا فيا ليت أنا نستطيعُ لها ردّاً
ليالٍ كظلل الرُمحِ قصَّرها الصفا نِعَمْنَا بها إذ كان طالعها سَعْدَا
تصوَّرتُها حتى كأنَّ عشيقتي إلى جانبي من ريقها أَرشُفُ الشهدا^(٤)
بروضِ سرورٍ غبَّ قطرٍ أريجُه يفوحُ إذا هزَّ النسيمُ به الوُرْدَا^(٥)

(١) قال عنه ابن عبيد الله في المعجم: كان دائرة معارف وعنه أخذت علم النحو والصرف وكان متخصصاً في هذين العلمين كثير الولوع بهما والانكباب عليهما والبحث فيهما وكان يؤثري ويقدمني على الناس؛ وله مؤلفات عديدة وأشعار عديدة؛ وكان شديد التعلق بوالدي جم القراءة عليه ثم كان يحضر دروسي في التفسير والفقه والحديث توفي أوائل سنة ١٣٥٥هـ.

(٢) شفا: حرف أي حافة الهلاك.

(٣) خلباً: مطمعاً مخلفاً.

(٤) الشهد: العسل.

(٥) غب: بعد. أريجُه: توهج رائحة الطيبة. تفوح: تتشر وتهب.

وأعطأنا مشمولةً من مُدَامَةٍ تدارُ علينا وهي مملوءةٌ وُدًّا^(١)
ترصدها الدهرُ الخؤون فشتَّها ومن قبلُ كان الدهرُ في طوعنا عبداً
تغاضى فلما أمكنتُ فرصةً له تجاوزَ في التفريق ما بيننا الحدَّ
إلى الله شكوى الدهرِ وهي طويلةٌ لإفراطه في سعيه ضدنا جدًّا
لقد رضيت سلمى فأصبح واشيا عليّ لديها فاستجالَ الرضا حقدًا
بكيثُ دماءٍ كالعقيق وليتني تمكنتُ من نظمه في نحرها عقداً^(٢)
إذا انحرقتُ عنِّي وشيخي محمَّدُ فلا غرَّو إن ذابتُ إذن مهجتي وجدًا^(٣)
حكيمٌ يحلُّ المشكلات بفهمه ويجلُّ بأنوار المعارف ما اسودًّا
له همٌّ نحو المعالي سريعةٌ تسابقُ في ميطانها النجب الجردًا^(٤)
على أُنقِ العلباء لما امتطى صبا الـ جلادٍ وفي تشميره أفرغ الجهدًا^(٥)
نضًا من صميم العزم سيف مهتداً على كلِّ صَفْح منه سنٌ له حدًّا^(٦)
من الكُثْبِ سلَّواه ومنها غذاؤه متى حضرته لا يجوعُ ولا يضدى
فيا أيُّها الشهم الأريب الذي انثنت عيونُ أولي الأحساد من فضله رُمدًا
ويا أيُّها الندبُ الذي نجمُ سعده حَلَا وغدا يستخدمُ اليمنَ والجداً^(٧)
أرابك مني ظنُّ صَدِّ فيإنني على الوُدِّ لم أنقضُ له أبداً عهدًا

(١) الأعطاف: جمع عطف بالكسر وهو الجانب. المدامة: الخمر يقال خمر مشمولة: أصابها ريح الشمال فبردت أو شملت برائحتها الناس. يريد أنهم ثملون من هذه الخمر.

(٢) نظمه: نظمي إياه.

(٣) فلا غرَّو: فلا عجب.

(٤) الميطان: الموضع المهيأ لإرسال خيل السباق منه. النجب: جمع نجيب هو الكريم النفيس من الخيل. الجرد: جمع أجرد وهو القصير الشعر وهو من علامات العتق والكرم.

(٥) صها: صها أي صهوات وهي مقاعد الفرسان من الخيل.

(٦) نضًا: جرد.

(٧) الندب: النجيب الظريف الخفيف في الحاجة. الجد: الحظ.

ولم أتأخرُ عنك زهداً وإنما
 فطمْتُ ولائي يا عزيزي ولم يجلُ
 فدعُ عنك غيري غيرَ من كان مخلصَ الـ
 وما الحرُّ إلا مثلَ عنقاءِ مُغربِ
 وإني أنا الحرُّ الذي لا أميلُ عن
 وما حسدُ الأترابِ إلا لأنني
 ولست أبالي باللئامِ فإنني
 وأعرفُ من قومِ كرامٍ مودَّةً
 وإنك إن ترضى فليست معولاً
 فيابن كثيرِ دونك العتبَ واغتفرُ
 ودُمتَ تهنا بارتقائك أرفع الـ
 لِعُذْرِ ولكنِّي أرى كشمه أهدى
 بنفسِي يوماً أن أحلَّ له عَقْدًا
 وودادِ فيأني زَيْتُ أكثرهم أَعْدًا^(١)
 وجربُ تجدُ من زانٍ منظرُهُ وَعْدًا^(٢)
 صديقٍ إذا رَبُّ الزمانِ به اشتدَّ
 وعلمك يكفيني شأوتهم مجدًا^(٣)
 أرى مدحهم ذمًّا وتنقيصهم حمداً
 فأمنحهم حتى إذا أغوروا وُدًّا^(٤)
 على مُغورٍ يوماً ولا مُنتحِ نجدًا
 لمخلصِ وُدِّ لم يشبِ وُدُّه ضِدًّا^(٥)
 مَرَاتِبٍ تبدو فوق أوجِ العلى فردا



(١) ريت: رأيت.

(٢) عنقاء مغرب: ضرب من الطير أغربت في البلاد فنأت وهو مبالغة في القلة والندرة.

(٣) شأوتهم: سبقتهم.

(٤) أعوروا: أتوا بالعوراة وهي الكلمة القبيحة.

(٥) ضداً: أي بالضد وهو البغض.

القصيدة السابعة

قصيدة للزواوي قيلت بمسقط

وكنت موجوداً بمسقط سنة ١٣٢٩هـ؛ وقتما أرسل السيد يوسف بن أحمد الزواوي أولاده؛ ومعهم ابن الشيخ سالم شيبان إلى بيروت لطلب العلم؛ فطلب مني كلمة؛ فقلت:

لئن ساء في اليوم الفراقُ وأكمدًا
هو المجد لا يُرْخي العنانَ لعاجِز
ولولا المشقَّاتُ التي في سبيله
إذا اجتهد الإنسانُ عاشَ مكرِّمًا
ولا يُكسِبُ المرءُ العُلَى غيرُ جدِّه
على الطائرِ الميمونِ سيرُوا تحوطكم
فجدُّوا وسُرُّوا قلبَ شيخكم الذي
عزيزٌ على سُدائه البُعدُ والنوى
فكونوا كما يرجوه قُرَّةَ عينه
توجَّهْ شهابَ الدين للعلمِ راشدا
وحُظْ أخويك الناشئين وحُقِّفْهم
ونسأله سبحانه أن يرُدَّكم
ويغمركم من فضله ونواله

فإن الهنا والفوزَ في طيِّه غدا
إذا ثبَّطته الغانياتُ تقيداً
لكان جميعُ الناسِ بالطبعِ سيِّداً
وإن مات بالذكر الجميل تخلِّداً
وإن طابَ أعراقاً وأصلاً ومَحْتِداً
عنايةً مولاكم من الكيدِ والردي
لنفعِكُم اختارَ التفرُّقَ مورداً
ولكن على كسب المعالي تَعوِّداً
ولا تُذهِبُوا آماله فيكم سُدى
ولا تألُ جهداً في الطلابِ لِثُخْمدا
بلطفٍ وارشدْهم إلى منهجِ الهدى^(١)
سريعاً كما شئتم برغم هوى العدا
علوماً وأخلاقاً ومجداً وسؤداً

(١) في الأصل وحبكم والمناسب ما أبتناه.

القصيدة الثامنة

للشيخ حسن بن عوض مخدم

وهذه أرسلتها لشيخنا الجليل العارف بالله؛ الشيخ حسن بن عوض مخدم، وكان أرسل لوالدي كتاباً؛ خصّني فيه بخطاب طويل؛ يحثني به على الزهد والانتظام في سلك طريق الصوفية، وكانت القصيدة في أيام الحداثة؛ ثم نقّحتها قليلاً مع التبييض. وهذا الشيخ من عظماء الرجال، له قلم على لسان الصوفية سيّال، ومن مؤلفاته شرح على الرشفات في خمسة أسفار كبار؛ جزل الكلام؛ متين العبارة؛ ولو لم يكن من مناقبه إلا ما تعالم به الثقات؛ وتواترت به الرواية؛ أنه اغتسل لما حضره الموت؛ وقال لأهله وأولاده ومن حضره: هلموا نصلي على النفس المؤمنة؛ وصلي بهم صلاة الجنازة؛ واضطجع لشقّه الأيمن؛ يستهل بالشهادة حتى فاضت روحه. وهذه الصلاة؛ وإن لم يسوّغها الفقه؛ فهي دالة على قوة الثبات؛ وشريف المقام؛ وحسن الختام؛ نسأل الله التوفيق؛ وكانت وفاته ليلة الاثنين ١٩ المحرم سنة ١٣٢٨هـ.

أَخْنَرَ الرُّوحَ جُرْحُهَا بِالْبِعَادِ حِينَ أَضْرَمْتُمُ الْجَوْيَ فِي فَوَادِي
واعتقلتم من القدود رماحاً مرّقت مهجتي بطعن الصّعاد^(١)
وانتگبتم من العيون قسيّاً شرّدت بالنبال طيف الرقاد^(٢)

(١) الصعاد: جمع صعدة وهي قناة أصغر من الحرية.

(٢) انتگبتم: يقال انتكب القوس إذا علقها في منكبها.

وَكَحَلْتُمْ بِمِرْوَدِ الْهَجْرِ عَيْنِي فَطَفَا مَاؤُهَا سِرَاجَ السَّوَادِ^(١)
 كُلَّ يَوْمٍ أَرَى عَقَائِيلَ ضُرِّي وَغَرَامِي بِحُسْنِكُمْ فِي ازْدِيَادِ^(٢)
 بِجَفَاكُمْ أَحَاوِلَ الزَّهْدَ فَبِكُمْ وَالهُوَى لَا يَزِيدُ غَيْرَ اتَّقَادِ
 فَكَأَنَّ الْعَذَابَ مِنْكُمْ نَعِيمٌ وَكَأَنَّ الصَّدُودَ صَفْوُ الْوِدَادِ
 وَكَأَنَّ الْمَتَابَ مِنْكُمْ رُضَابٌ وَكَأَنَّ الْمَلَامَ نَفْمَةٌ شَادِي^(٣)
 شَتَّفُوا مَسْمِي وَلَوْ بِمَلَايِي فَاسْتَمَاعُ الْخَطَابِ أَقْصَى مَرَادِي
 وَعِيدُوا بِالْوَصُولِ رُوحَ مِحْبٍ أَصْبَحْتُ بِالْإِعَادِ نُصَبَ التَّفَادِ
 وَإِذَا لَمْ تَبَادِرْهُمَا بِوَعْدِ فَاسْتِعْدُوا لِفَقْدِهَا بِالْحَدَادِ
 يَنْقُلُ الْمَرْجِفُونَ عَنِّي سُلوًا دُونَ مَا يَنْقُلُونَ خَرْطُ الْقَتَادِ^(٤)
 كُفْتُ يَا لَائِمِي فَإِنِّي مُعْنَى لَا أَرَى فِي السُّلُوِّ وَجَهَ رَشَادِ
 فِي هَوَى مَنْ عَشِيقْتُ جُبْتُ الْمَوَامِي رَاكِبَ الْجَامِحِ الْأَبِيِّ الْقِيَادِ^(٥)
 لَيْتَ جِدِّي لَوْصَلِيهِ كَانَ فِي الْعَلِمِ كَجِدِّ الْإِمَامِ نَجْمِ الدَّادِي
 صَاحِبِ الْفَضْلِ وَالنَّدَى حَسَنَ الْأَخْ لِقَاقِ رَبِّ السَّمَاحِ مُرْوِي الصَّوَادِي
 وَاصَلَ السَّغْيَ وَامْتَطَى غَارِبَ اللَّيْلِ لِرِجْلِ وَجُلِّ الْأَنَامِ رَهْنُ الرُّقَادِ^(٦)
 لَمْ تَزَلْ مِنْهُ نَفْسُهُ فِي امْتِحَانِ فَهَيَّ كَالثَّبْرِ فِي يَدِ النُّقَادِ
 دَمْعُهُ قَرَحَ الْخَدُودَ مِنَ الْهَيْبِ لِيَلَّوْا لِهَوْلِ الْمِعَادِ

(١) فطفًا ماؤها: فطفًا ماؤها وفي اللغة أطفأ النار إذا أذهب لهبها. سراج السواد: السواد الذي به نور العين.

(٢) عقائيل: آثار؛ جمع عقبولة وهي بقية العلة.

(٣) رضاب: ريق مرشوف. شاد: مغن.

(٤) خرط القتاد: الخرط القطع. والقتاد: شجر ذو شوك صلب.

(٥) الموامي: جمع مؤمأة وهي الفلاة.

(٦) غارب الليل: أعلاه ومنتصفه.

زاهدٌ عابدٌ حكيمٌ عليهم
 زينةٌ في الدروس ينثر فيها
 وله في الطروس آياتٌ مجدٍ
 دائماً يرعفتُ اليراعُ بسحرٍ
 هذه كتبُه لدينا فهل فيها
 شهدتُ بالمُعلى لهُ بيّناتٌ
 دُمّتُ للعلم يابنِ زَيْنٍ مجيراً
 أنعش الروحَ والفؤادَ خطابٌ
 فيه طبُّ النفوس من كل بُوسٍ
 غير أني عما أشرتُ نَفورٌ
 يا جمالَ المحراب يا غُرَّةَ الدرِّ
 صاغَ فكري عقودَ شعيرٍ بديعٍ
 لو رآها النعمان لم يُضغِ يوماً
 صُننثُه عن سواك فادعُ
 وعليك السلام ما ناح باكٍ
 واعظُ مُفلقٌ إلى الحق هادي
 لؤلؤُ العلم لا جُمان الخِرَادِ^(١)
 شِدْنٌ للملّة الرفيغ العمادِ
 من كلامٍ وعنبرٍ من مِدادِ^(٢)
 مقالٌ لقائلٍ أو مُضادي
 والدعاوى من دونها في فسادِ
 ونصيراً ودمتَ غَيظَ الأعداي
 منك في النفع مثلَ صوب العِهَادِ^(٣)
 وجلاءُ القلوب وهي صوادي^(٤)
 دَاوِنِي بالدعاء والافتقادِ
 سِ وَيَا مَنْ به تَزِينُ النوادي
 تَخَلَبُ القلبَ ساعةَ الإنشادِ
 بارتياح إلى قريض زيادِ^(٥)
 اللّة بإنجاح مقصدي ومرادي
 في الدياجي وما ترتم شادي



(١) الجمانُ: اللؤلؤ أو حبة من الفضة كالدرّة. الخراد: الخرائد مع خريدة وهي الفتاة البكر.

(٢) اليراع: أي يرَاعُ الممدوح.

(٣) العهد: جمع عهد وهو أول المطر.

(٤) صوادي: عطاش.

(٥) النعمان: هو ابن المنذر؛ وكانت العرب تسمي ملوك الحيرة النعمان؛ لأنه كان آخرهم؛

وإليه ينسب الشقيق وهو نبات أحمر يشبه الدم لأنه حماه. زياد: النابغة الذبياني مادح

النعمان.

القصيدة التاسعة

جواب لأصدقاء بجاوه

وهذا جواب عن منظوم ومنتثور؛ أرسله إليّ بعض الإخوان من جاوة؛ بعد ما تقوّلت عليّ المتاجرون بالولاية؛ لأنّي كنت قدّيت عيونهم؛ وشجّحت حلوقهم، وما أدراك ما غاية ما وصموني به إذ ذاك، زعموا أنني خالفت طريقة السلف؛ وأوهموا الأغبياء؛ أنها ما هم عليه؛ من التدليس والتلبيس؛ وجعلوا آية ذلك؛ أن صاحب المنار نشر لي كلمة^(١)؛ قلتها بإشارة والدي ﷺ؛ في رسالة للعلامة المرحوم؛ السيد حسن بن علوي بن شهاب^(٢)؛ في حدود سنة ١٣٢٣هـ.

نصّحت أتاني وتنبيه وإرشاداً رَدَدْتُهُ فحلّيت للسمع تَرَدُّادُ
من ماجدٍ أريحي فاضل فِطْنٍ نَمَثُهُ لِمِزِّ آبَاءٍ وَأَجْدَادُ

(١) قال ابن عبيد الله في مخطوطة بضائع التابوت ج ٣ ص ٢٧٦: وصادف أن بعث السيد حسن بن علوي بن شهاب لوالدي بنسخة من رسالته التي وسمها بنحلة الوطن مشفوعة منه له بكتاب خاص فنبّهت عن والدي بأمره؛ للجواب؛ وأثنت على رسالته بما رأيت؛ فنشر كتابي في مجلة المنار؛ ولما ورد عدد المنار الذي به جوابي؛ حدثان وفاة والدي؛ أوسعوا القول في قولي وكبروه وزعما أنني فهمت مغزى تعريض ابن شهاب بأشخاص معينين واعتبروا ذلك التقرّض عليّ من كبائر الذنوب وفواحش الجرائم على أن السيد حسن تغير بعد عن رأيه في نحلته ولما سألته عن ذلك أفاد أنّ تغييره لم يكن عن وجدان وإنما كان سياسة فقط (انتهى بتلخيص).

(٢) سبقت ترجمته وذكر ما كان بينه وبين الإمام ابن عبيد الله في جاوة وهو صاحب كتاب نحلة الوطن الذي حمل فيه على كل الأولياء والعلماء في حضرموت واتهمهم فيه بالتقصير والجمود وأمور أخرى كثيرة أثارت عليه غضب كل علماء وأولياء حضرموت.

يُرَوِّي الفضائل عن آبائه الفضلا
هَشْرٌ ظَرِيفٌ كَأَنَا مِنْ نَوَادِرِهِ
لَلَّهِ دَهْرٌ تَقْضَى لِي بِصَحْبَتِهِ
وَلَمْ يَزَلْ ظَنُّنَا يَقْوَى بِعُودَتِهِ
لَتَنْطَفِي بِمِيَاهِ الْقَرَبِ نَارُ جَوْيِ
قَدْ هَوَّنَ الْبَيْنَ خَطًّا مِنْهُ أَطْرِبُنِي
كَأَنَّ مَا فِيهِ مِنْ نَظْمٍ قَضِيْبٌ نَقَاً
نَقْدٌ مَصْقَى عَنِ الْإِغْشَاشِ أَفْرَعَهُ
مَبْنَاهُ جَزَلٌ إِلَى مَعْنَى يَنَاسِقُهُ
وَذَاكَ خَيْرُ الْهَدَايَا حَيْثُ أَنْبَأَ عَنِ
لَكِنَّ كُلَّ الَّذِي قَدْ كَانَ يَبْلُغُكُمْ
رَامَ انْتِقَاصِي قَوْمَ فَعَلُّهُمْ سَفَاةً
بِنَقْضِ سَنَةِ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ يَشِيءُ
وَمَا عَلَى الْحَرِّ مِثْلِي قَطُّ مَنْقَصَةٌ
فَقَرَّ عَيْنًا فَإِنِّي لَا أَزِيغُ وَلَا
جَارٍ عَلَى مَنْهَجٍ قَدْ كَانَ سَلَّكَنِي

وَحَبَّبَ لَكَ مَرُوءِي وَإِسْنَادُ
بَانَ تَفَيُّؤُهُ الْأَرْوَاحَ مِيَادُ^(١)
كَأَنَّ آتَاءَهُ الْفِرَاءَ أَعْيَادُ
عَسَى لِأَمَالِنَا بِالْفُوزِ إِسْعَادُ
يَشْبُهَا لَعَمِيدِ الْقَلْبِ إِعْمَادُ^(٢)
وَرَأَقْنِي فِيهِ تَسْجِيْعٌ وَإِنْشَادُ
عَلَيْهِ مِنْ سُنْدُسِ الْإِبْدَاعِ أُبْرَادُ^(٣)
فِي قَالِبِ الْحَسَنِ وَالْإِحْسَانِ نَقَادُ
وَقَدْرُهُ بِجَمِيلِ النَّصْحِ يَزْدَادُ
حَفِظِ الْوُدَادَ وَأَنَّ الصَّحْبَ أَمْجَادُ
عَنِي تَنْمَّقُهُ بِالزُّورِ حُسَادُ
وَدِينُهُمْ كُلُّهُ نَضْبٌ وَالْحَادُ
بِدُونَ الدُّنْيَا وَيَمْحُو اللَّهُ مَا شَادُوا
إِذَا رَمَتْهُ بِسُوءِ الظَّنِّ أَوْغَادُ^(٤)
أَحِيدُ قَطُّ إِذَا أَهْلُ الْهَوَى حَادُوا
عَلَيْهِ شَيْخٌ لَهُ التَّوْفِيقُ يَنْقَادُ

(١) بان: شجر ليس لخشبه صلابة؛ له ثمر يربب بأفاويه الطيب ثم يعتصر دهنه طيباً. مفردة بانه.

تفؤه الأرواح: تتفؤه وتستظل به. مياد: كثير المياد والحركة من الهواء.

(٢) عميد القلب: هو الذي هداه الشوق وأضناه.

(٣) قضيب نقا: النقا بالقصر كتيب الرمل. وقضيب بمعنى مقضوب أي مقطوع. كان ما فيه من

النظم قطعة من كتيب الرمل كساها النبات الأخضر فأكسبها حسناً ورواء.

(٤) أوغاد: حمقى أدنياء.

يَرْبُ المعالي سَنامِ الفضلِ من ضُرِبَتْ لِعِزِّهِ فوقَ هامِ الشُّهْبِ أوتادُ^(١)
رَبِيعُ جودِ إلى أفياءِ دوحَتِهِ ما زال يَلجأُ رُوادِ وُورادِ
وَاليَثُفَةُ فتولّاني ولاحظني وليس قاطعَ ما قد كنت أعتادُ
إني إلى المجد لم أبرحَ أخا سَفَرِ ولا أبالي ومنهُ الماءُ والزادُ
هيهاتَ إضلالاً من يهديه مَسَلَكُهُ نورٌ يَمزُقُ سُحْبَ الجَهِلِ وَقادُ
لا مغمزاً في سهامِي للعيونِ ولا قنأةً ديني لدى الحالينِ تنادُ^(٢)



(١) تروى المعالي: التروى. المساوي في الشيء.

(٢) تناد: تعوج. يقال: اناد العود بناداً انياداً إذا انثنى واعوج.

القصيدة العاشرة

تهنئة بقدوم العلامة أبي بكر بن شهاب

وهذه تهنئة بقدوم شيخنا الفاضل أبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب إلى تريم، وقد قامت ضجة؛ من بعض الطلبة؛ حول الأبيات التي عرضنا فيها بأهل الدعاوى الكاذبة، وعُقدَ مجلس حضره جماعة من العلماء والأعيان بتريم؛ انتهى بفوزنا بالحجة والدليل، واقتنعوا بما جلونا لهم من حال أولئك، وهم المشار إليهم في قصيدة شيخنا المستهلة بقوله: «هل للغرائب من حكيم عاقل؟». وقوله: «العلم والمجد رضيعا لبان» وقد بقي ممن حضر المجلس؛ من أهل سيؤون جماعة؛ أخص منهم بالذكر؛ السيد سقاف بن محسن السقاف؛ والسيد يوسف بن عبد الله المشهور.

بَعَوْدِكَ بَدْرُ الْحَقِّ أَشْرَقَ نَوْرُهُ وَعَادَ بَوَادِي حَضْرَمَوْتَ ظَهْرُهُ
 وَضَاعَتْ رُبَا الْوَادِي وَضَاعَتْ رِيَاضُهُ وَغَنَّتْ بِالْحَانَ التَّهَانِي طَيُّورُهُ^(١)
 وَدَبَّ بِهِ رَوْحُ الْحَيَاةِ كَأَنَّمَا بِشِيرُكَ إِسْرَافِيلُ وَأَقَى وَصُورُهُ
 عَلَى الْيَمْنِ وَالْإِقْبَالِ يَا خَيْرَ قَادِمٍ بِمَأْتَاهِ مَاتَ الْجَهْلُ وَانْدَكَ طُورُهُ^(٢)
 ثَلَاثُونَ عَامًا قَدْ طَوَّأَهَا بِنَايِهِ وَفِي نَحْوِهَا الْأَفْلَاكُ يَطْوِي نَظِيرُهُ^(٣)
 فَقَدْنَاهُ فَقَدَ الضُّوْءُ فِيهَا وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَوْضًا يُغْنِي عَنَّا حُضْرُهُ

(١) ضاعت رياضه: فاحت وانتشرت.

(٢) طوره: جيله.

(٣) بنأيه: ببعده.

لدى كلِّ خَطْبٍ يَسْتَطِيرُ شَرَارُهُ وَيَشْتَبُ مِنْ بَيْنِ الْأَثَافِي سَعِيرُهُ^(١)
فكم مشكلاتٍ حلَّها ومصاعِبُ برأيٍ على عين الصواب عثوره
ولكنَّه في الحالَتين محسَّدُ قليلٌ كمثلي في الأنام شكوره
لِيَحْيِي به الوادي ويخضِرُ نبْثُهُ وتغنَّ مغانبي العِلم فيه ودوره
ويَجْلُ دجى الأوهام من جوِّ الهدى ويفتكُ من قيد الضلال أسيره
صفاً الوقتُ حيناً للثعالب فاعتلَّتْ أسافلُه لَمَّا تناءت صدوره
وباح بدعوى الكشِفِ والسرِّ كلُّ من ينادي عليه بالثُّبور فُجوره
وما شأنَ هذا القطرَ إلا عصابةُ بكل امرئٍ منهم تناهى غروره^(٢)
فكم بدعةٍ أحيوا وكم سنَّةٍ مَحَوا فهم منبعُ الداء العيا وجدوره^(٣)
وكم قمتُ فيهم معلناً بنصِحتي كأنِّي داودٌ ونصحي زُبوره
وما زال أمرُ الحقِّ يعلو وإنما بعوذ أبي بكر يتمُّ ظهوره
تمنَّى زماناً ألمعياً مهذباً يشايعه والآن حقَّتْ نُذوره
ألم تره يفتَرُ ضُحكاً لأنه بعودة هذا الحبر تمَّ سروره
يحاول أهلُ الجاه تشويةً وجهه وهيهات والمولى الإمام نصيره
له همةٌ في خدمة المجد والعُلى وفكرٌ لتحقيقِ العلومِ يديره
وعزمٌ يوازي الهندواني مضاؤه إذا شانَ عزمَ العاجزين فتوره
له قلمٌ أمضى من السهم نَفْثُهُ وأهيبُ من وقع السلاح صريره^(٤)
وأغيظ من خُضر الكتائب جبره وأشوى من البيض المواضي سطوره^(٥)

(١) يشتب: يتقد. الأثافي: الأحجار التي توضع عليها القدر عند الطبخ.

(٢) شان: عاب. (٣) العيا: العياء وهو الذي لا براء منه.

(٤) نفثه: تفله. يريد ما يخطه. الصرير: الصوت.

(٥) خضر الكتائب: الكتيبة الخضراء هي التي يعلوها سواد الحديد والعرب تطلق الخضرة على

السواد. البيض المواضي: السيوف القواطع.

به حقٌ للعلياء نفضُ الثرى الذي
 به نهجها أضحى يلوحُ وعطرُها
 على الرُحْب يا مِنْ للكمال نزوعه
 تنصَّلتَ عن صبغ المدهينة التي
 وأرغمتَ أهلَ الرِّيب بالحجج التي
 وجاهرتَ بالصِّدقِ الصريحِ وقلَّ من
 وكلُّ امرئٍ يَفْرِي لحومك غائباً
 لك الله من شهم على القِدة التي
 وأوذِي في ذات الإله وما لهُ
 تراه إلى أهلِ الدعاوى مُبَغِّضاً
 نمَّته إلى المجد الجحاجةُ الأولى
 مغاييرُ من كلِّ امرئٍ تَقْلِقُ العِدا
 هم السادة الأبرارُ هم مطلعُ الهدى
 مَضَوْا وأبو بكرٍ على إثرهم جَرَى
 من الله نرجو أن يطيل حياته

عليه تسنى للثامِ ذُرُورُهُ^(١)
 يفوحُ ووجهُ الرُّشدِ بادِ سفوره
 بمقدار ما عن كل نقص نُفوره
 عليها زمانُ السوءِ دارتُ أموره
 بها انكشفت عن كل عيبِ ستوره
 يبوخُ بما يُملي عليه ضميره
 يعودُ مُواءً في الحضورِ زئيره^(٢)
 عليها مضى أهلُ الكساءِ مسيره^(٣)
 وما للأذى والمصلحون نصيره
 ولكنها بغضاً ليست تَضيره
 يهُون بهم من كل حَظْبِ عسيره^(٤)
 عزائمهُ ثبتُ الجنانِ وقوره^(٥)
 هم الناسُ هم حصنُ الطريدِ وسوره
 وعن وِردِهِم في كل حال صدوره
 فأيامه روحُ الوجودِ ونوره



(١) الثرى: التراب الندي. تسنى: تسر وتأتى. ذروره: تفريقه ونشره فوقها.

(٢) يفري: يقطع. المواء: صوت الهرة. الزئير: صوت الأسد.

(٣) القدة: الطريقة.

(٤) الجحاجة: السادة الكرام.

(٥) مغايير: ذوو غيرة وحمية شديدة.

القصيدة الحادية عشرة

في مدح الإدريسي

وهذه بعثت بها للأمير الكبير؛ جمال الدين محمد بن علي الإدريسي؛ بعقب تعزية منه جاءتنا في والدنا، وكان سبب التعارف بيننا؛ هو العلامة الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصهي؛ فقد كان شيخاً له؛ وتلميذاً لوالدنا؛ وما زال يحدثنا عن كبر همته؛ وغيرته للدين؛ ويذكر عنه غرائب وعجائب وخوارق؛ في جميل طرائق؛ وبأثر تلك التعزية؛ تحرك القلم بهذه القصيدة؛ عن إشارة الشيخ المذكور؛ وذلك سنة ١٣٢٤هـ.

وأرخصتَ فيها الروحَ لما طلبتها
زرعتَ بذورَ الاجتهادِ فأنمَرْتِ
ومن لم يَهَبْ لُجَّ الحثوفِ وَعَامَها
هنيئاً لك المجدُ الذي قد حَوَيْتُهُ
خطبتَ عَذَارَى العِرْزِ ثم نكحتَها
وقابلتَ بالرُحْبِ الإمارةَ فانبرتِ
جلستَ على كرسيِّها مترَبِّعاً
بك ابنَ عليٍّ أصبحَ الدينُ ضاحِكاً
بفضلِكَ «صبيبا» تزدهي مذُ جعلتَها
وأدركتَ بَعْدَ الجِدِّ رُتَبَتها الكُبرى
لك الحمدُ والمجدُ المؤتَل والشُكْرُ^(١)
وشيكُ بأن يلقى الجواهرَ والدُّرّاً
بهمتكَ العلياءَ والدولةَ العَفْرَا
وسقَّتَ إليها كلَّ غاليةٍ مَهْرَا
تتبهُ دلالاً وهي من طَرِبِ سَكْرَى
وأنتَ به من بينِ طلابه الأخرى
ولمَ لا؛ وقد أخدمته الفتحَ والنصرَا
بعديك يا صَبَّ العُلَى روضةً خَضْرَا^(٢)

(١) المؤتَل: الأصيل.

(٢) يا صب العلى: يا ذا الشوق للمعالي.

ورقيتها بالعلم حتى تمدنت
 وألبستها ثوبَ العمارَةِ ضافياً
 وسوّزتها بالبأسِ عن كل ما رِدِ
 وروّجت سوقَ الفضلِ فيها وزنتها
 بها أينعت دُوحُ المعارِفِ فاجتنى
 وقد دوّنَ التاريخُ باذخِ مجدكم
 لك اللّه يا فُرع الأداريسِ من فتى
 له العزمُ والعقلُ الرجيحُ ورأيه
 له الجدُّ حتى ما يفوتُ يمينه
 له حالَتا بأسٍ وجُودٍ كلاهما
 إذا شبت الحربُ العوانُ رأيتَه
 يفلقُ هاماتِ الرجالِ وما ترى
 وإن جاءه العافِي يؤمّل نيلَه
 يعميبُ الألى يأتوه حاتمَ طيّءٍ
 فيا أيّها الشهمُ الذي شاد للعلَى
 ومن قبلُ كانت قريةٌ فغدث مضرًا
 فلو عابنتها الفُرمُ لاحتقرت كِسرى
 وحصّنتها بالسيفِ والصّمدة السّمرا^(١)
 وأجرنت من ماءِ الحياة بها نَهراً
 بنوها على العَلاتِ من ينعها الرّهرا^(٢)
 وخطّ على طرسِ الفخارِ لكم سَطراً
 حوى بعد أهليه المكارمَ والفُخرا
 إذا اعتكرَ الداجي يَشقُّ به الفجرا^(٣)
 من المجد يوماً لا يفوتُ اليدَ اليسرا
 يَضوعانِ إمّا شيتَ ذكرهما عِظرا^(٤)
 بكلّ ثباتٍ يبطنُ البطشَةَ الكبرى^(٥)
 على حالةٍ جُبناً يعيبُ ولا دُعرا
 ويشكو من الأيامِ صادقه بحرا
 إذا امتلؤوا من فيضِ معروفةٍ برا^(٦)
 على حينٍ قد أقوتَ مرابعها قصرا^(٧)

(١) الصعدة السمرء: القناة المستوية السمرء. والجمع صعاد يريد الرمح.

(٢) أينعت: حان قطافها. الدوح: جمع دوحه وهي الشجرة العظيمة. العلات جمع علة وهم الأبناء لأب واحد من أمهات شتى. الينع: الإدراك والنضج.

(٣) اعتكر الداجي: اشتد ظلام الليل.

(٤) يضرعان عطراً: يفوحان عطراً طيباً. إما شيت ذكرهما: إن شتته.

(٥) الحرب العوان: التي كانت قبلها حرب وتكون أشد من التي قبلها.

(٦) يأتوه: لو قال جاؤوه لسلم.

(٧) أقوت مرابعها: خلت من المرعى أي خلت منازلها.

وأظهرَ عِرَّ الدينِ وارتاحَ للندى وأطلعَ في جُنحِ الدُّجى للهدى بَدْرًا
لأنتَ إذا عُدَّ المراجيحُ خيرُهُم وأفضلُهُم شأناً وأعلاهُم قَدْرًا^(١)
وأنفَذُهُم رأياً وأوفرُهُم حِجْئِ وأطولُهُم باعاً وأوسعُهُم صَدْرًا
لقد حَدَّثَ الراوونَ عنكَ وأبدَعُوا غداةً سألنا عن شمائلِكَ الذُّكْرًا
فأطربَنِي ذاكَ الحديدُ وشاقَنِي فبِتُّ وَعَبِي فيكَ من مِقَّةٍ سَهْرِي^(٢)
وأرسلتُ عني بالنيابةِ مَذْحَةً تَتِيه من الإعجابِ كالغداةِ العَذْرًا
تَحِيرتُ أهديها لمن؟ ثمَّ لِمَ أَجِدُ سواكَ لها كفوًّا فدونكها بِكُفْرًا



(١) المراجيح: الحلمات.

(٢) مقه: حب يقال ومقه كورثه ومقاً ومقه أحبه.

القصيدة الثانية عشرة

وهذه تهنئة للسيد حسن بن عبد الله (١)
مرجعَه من حجِّه، لعله سنة ١٣٣١هـ

العيدُ ما ملأَ القلوبَ سُروراً وگَسَا الوجوهَ بشاشةً وُحُبوراً

(١) حسن بن عبد الله الكاف (١٢٩٧ - ١٣٤٧هـ) أديب وشاعر وله رحلة حج غريبة سببها وصول القطار إلى المدينة المنورة ووصفها بقوله: تحركنا من تريم في ٤ شوال من عام ١٣٣١هـ متوجهين إلى المكلا وتصادف وصول البابور الخاص بوكيل حاكم عدن فتوسط لهم الحبيب حسين بن حامد المحضار فحملهم هذا البابور هم ومجموعة من الحجاج إلى عدن ثم ركب في الخامس والعشرين من شوال البابور النمساوي المتجه إلى السويس ووجد فيه كثيراً من حجاج الهند والبصرة فوصل السويس بنهاية شهر شوال؛ وبعد جولة في مصر؛ ركب بابور الخديوي المتجه إلى حيفا؛ مع مجموعة من الحجاج الذين وصلوا من حضرموت؛ منهم أحمد بن محمد بلققيه؛ ومنهم عوض بن حميد بامصري من سكان تريم. وتحرك بهم المركب عشية يوم الأحد لتسع في شهر ذي القعدة فوصل إلى مرسى يافا ضحى يوم الاثنين؛ ونزل من المركب بعض الركاب؛ ثم مشى المركب حتى وصل حيفا مغرب ليلة الثلاثاء ١١ من ذي القعدة؛ فنزلوا بها مع جملة من الحجاج. قال السيد حسن بن عبد الله الكاف: ولما أصبحنا سألنا عن سفر البابور البري (القطار) إلى المدينة المنورة؛ فقيل لنا يوم الأربعاء؛ فأخذنا أوراق النول من أربع جنيهاً إلّا ربع؛ وأقمنا بحيفا يوم الثلاثاء؛ ونقلنا إليه متاعنا يوم الأربعاء؛ فلما كانت الساعة الثامنة من الليل؛ تحرك القطار مقللاً المسافرين؛ إلى حبيب الزائرين؛ ومنتهى آمال القاصدين؛ وله في طي الوعور والسهول؛ غدوّ الخيول؛ بل جري السيول؛ بل فوق ما تتخيل العقول؛ فأول محطة حظ فيها؛ تل الشام؛ ثم عفوته؛ ثم شطة؛ ثم بيسان؛ ثم جسر المجامع؛ ثم سمخ؛ ثم الحججة؛ ثم زيزون؛ ثم تل شهاب؛ ثم مزيريب؛ ثم درعا؛ وهي بلدة واسعة؛ ويستقر فيها البابور؛ ريثما يأخذ المسافر زاده وماؤه ويقضي حاجته. وبعد التقاء خط حيفا =

وتشاركث فيه النفوسُ وأشرقتُ ببهاءِ رُوْنقه المنازلُ نوراً
العبيدُ عوْدُ أبي المراجِم بعدما حجَّ المناسكَ حجَّه المبروراً
وشفى الفؤادَ برؤيةِ البلدِ التي يحوي ثراها اللؤلؤء المنثوراً^(١)
جاء الممالكُ والبلادَ ولم يُطلُ سفراً ولم يتركِ حمىً مأثوراً^(٢)
كم من مهامةٍ لُقها بمهامةٍ وطوى سهولاً بالسرى ووعوراً

= الفرعي؛ بالخط الرئيسي المتجه إلى المدينة المنورة؛ ذهبت بنا العربات صاعدة منحدره؛ تخرق مسالق منقورة في جبال شاهقة؛ ومنها ما تجوزه مشياً في ثلاث دقائق؛ باعتبار سيرها؛ وذلك دليل على حذاقة مهندسها؛ ونفوذ همته؛ ومررنا أثناء سيرنا على أنهار غزيرة؛ ينبع بعضها من أعالي الجبال؛ ممدودة عليها جسور من الحجارة والحديد؛ في المواضع التي يكون عليها مرور السكة الحديد؛ ومن المحطات الكبرى أيضاً؛ معان؛ وهي بلد عامر بالسكان؛ ولما انتصف الليل وقفت بنا السكة في تبوك. وحين أصبحنا يوم الجمعة أمرنا بالنزول إلى محل الكورنتينة؛ فسلمنا الأمر لله تعالى؛ وبعد تبخير الثياب؛ وتسليم اللوازم؛ أدخلنا إلى فضاء متسع مضروب عليه من الأسلاك الحديدية المشبكة؛ وفيه خيام منصوبة معدة للحجاج؛ وحواليها مضخات الماء؛ وهي الآلة المسماة بالبور؛ ويؤتى بكل ما يحتاجون إليه من طعام وادام وحطب؛ وأقمنا بها ثلاثة أيام على بسط تام؛ ولما كان يوم الاثنين ١٧ من شهر ذي القعدة أذن لنا في الخروج من الكورنتينة فساfrنا؛ ولم تزل القاطرة تجري بنا في شعاب وهضاب؛ وقد جزنا محطات كثيرة؛ وأكبرها مدائن صالح؛ وهي التي سماها الله بالحِجر في كتابه العزيز؛ وهي بلدة كبيرة عامرة؛ وحواليها بالجانب الشمالي ديار ثمود؛ وهي مد النظر؛ وبيوتهم منحوتة من الحجارة؛ وامتد وقوفنا بها إلى أن مضت ساعة ونصف الساعة؛ وما زال ذلك الفلك البري يجري بنا؛ وقلوبنا مستبشرة باقترابنا من الرحاب المقدسة الطاهرة. ولما كانت الساعة العاشرة من يوم الثلاثاء لثمان عشر من شهر ذي القعدة؛ لاحظت من طيبة أعلامها؛ ودنت ربوعها وخيامها (انتهى باختصار عن كتاب حسن بن عبد الله الكاف رحلة وديوان ٩٩ - ١٠١) هذا وكانت العودة بعد الحج بالسفينة إلى المكلا.

(١) البلد: الدار بلغة أهل اليمن ولذا يؤنثونها فيقولون: هذه الدار نعمت البلد. وغيرهم يريد

المكان فيذكره وبه جاء القرآن.

(٢) حمى مأثور: ورد الأثر والخبر بشأنه.

أَنْضَى بِهَمِّهِ الْمَطِيِّ وَخَطَّ فِي
وَكَمْ ارْتَقَى ظَهَرَ السَّوْفِينَ تَطْنُهُ
وَكَمْ امْتَطَى رَتَلًا يُخَيَّلُ أَنَّهُ
نَفَضَ الْفَتُورَ عَلَى الْكَسَالَى وَانْبَرَى
وَكَذَاكَ حُطَّابَ الْمَعَالِي أَعُوزُوا
بِهَذَاكَ يَا حَسَنَ الشَّمَائِلِ يِقْتَدِي
جَنَّتِ الْعَلَى مِنْ بَابِهَا وَلَتَيْلِهَا
بِكَ سُرَّتِ الْغَرَاءُ وَالْغَنَاءُ مِنْ
لَمْ تَخُو مِنْذَ نَأَيْتَ إِلَّا مُقْلَةً
وَبِعُودِكَ الْمِيمُونَ عَادَ بِهَاؤُهَا
وَزَهَتْ مَسَاجِدُهَا وَثَابَ سُورُهَا
وَرِمَالُهَا انْتَعَشَتْ لِأَنَّكَ غَيْثُهَا
حَتَّى الْجَمَادُ أَصَابَ حَقًّا فَاَنْتَشَى
فَأَنْعَمَ بِمَا أُوتِيَتْهُ عَيْنًا وَدُمًّا

طَرَسَ الْفَلَآةَ بِوُخْدِهِنَّ سَطُورًا^(١)
فِيهَا الْمَلِيكَ الْغَازِيَّ الْمَنْصُورًا
جَبَلٌ يَفُوتُ النَّاطِرِينَ مُرُورًا^(٢)
يَسْعَى وَصَادَفَ سَعِيَهُ مَشْكُورًا
إِلَّا الْجِهَادَ لَوْصَلِهِنَّ مُهَورًا^(٣)
مَنْ شَاءَ يَبْلُغُ فَضْلَكَ الْمَوْفُورًا
جُزَّتِ الطَّرِيقَ اللَّاحِبَ الْمَشْهُورًا^(٤)
أَلَمِ الْفِرَاقِ تَرَى الشُّهُورَ دُهُورًا^(٥)
شُكْرِي وَإِلَّا مَحْجِرًا مَغْزُورًا^(٦)
وَتَضَاحَكَتْ دُوحُ الرِّيَاضِ زَهُورًا
وَكَذَا مَدَارِشُهَا ابْتَسَمْنَ ثَغُورًا
وَكَذَا أَرَامِلُهَا انْشَرَحْنَ صُدُورًا
يَوْمَ الْقُدُومِ كَانَ فِيهِ شُورًا
بِعِنَايَةِ مَنْ رَبَّنَا مَنْظُورًا



- (١) أنضى المطى: أهزلها من شدة السير ومتابعته. الطرس: الصحيفة. الوخد: الإسراع وتوسيع الخطى في المشي.
- (٢) امتطى رتلا: اعتلى صهوات خيل جياد. والرتل: الطيب من كل شيء.
- (٣) أعوزوا: لم يجدوا لوصولهن مهوراً سوى الجهاد.
- (٤) الطريق اللاحب. الواضح.
- (٥) الغراء: اسم من أسماء المدينة المنورة. الغناء: بلد تريم.
- (٦) مقلة شكري: عيناً مليئة بالدموع. محجراً مغزوراً. أصابه دمغ غزير.

القصيدة الثالثة عشرة

بَعُودِكَ

وهذه القصيدة تهنته لشاب؛ علّق طلاق زوجته بمضيّ مدة طويلة؛ فقدم فجأة قبل انقضائها بيومين؛ وهي من شعر الصّبا.

بَعُودِكَ لِهَيْبِي الْعِيَاةَ بَشْرًا وَجَرَّبَ مَا كَانَتْ دَعَاوِيَةَ تُفْتَرِي^(١)
فَأَصْبَحَ رَوْضُ الْأَنْسِ يَفْتَرُ ضَاكِحًا وَعَادَ جَمَادُ اللَّهْوِ وَالظَّرْفِ أَخْضَرًا^(٢)
وَقَدْ أَخْنَتِ الْأَيَّامُ تُذْوِي نَبَاتَهُ وَتَهْصِرُهُ وَالْعَهْدَ تَنْبِذُ بِالْعَرَا^(٣)
فَأَنْعَشْتَ ذَاوِيَهُ وَأَضْحَيْتَ مَيْتَهُ وَأَجْرَيْتَ بِالْعَوْدِ الْمَفَاجِيءِ جَعْفَرًا^(٤)
عَلَى الْيُمْنِ فَأَقْدُمُ ظَافِرًا بِالْعِ الْمَنَى فَحَظُّكَ بَعْدَ النَّخْسِ بِالسَّعْدِ أَشْفَرَا
لَكَ اللَّهْ مِنْ شَهْمٍ تَغْشَمَرْتَ آيْبًا سَوَادَ اللَّيَالِي تَرْزُمُ النَّوْقَ بِالسَّرَى^(٥)
طَوَيْتَ الْفِيَا فِي كَالسَّجْلِ بِضُمِّرٍ لَتَكْتَبَ فِي الْبِيدَاءِ بِالنَّصِّ أُسْطَرًا^(٦)

(١) لهبي: من قبيلة لهب المشهورة عند العرب بالعيافة.

(٢) يفتري: يتسم.

(٣) أخنت الأيام: طالت عليه. تذوي نباته: تذبله. تهصره: تكسره.

(٤) جعفرًا: نهراً كبيراً واسعاً.

(٥) تغشمرت سواد الليالي: أخذت سوادها قاهراً لها وسرت فيها دون مبالاة. آيباً: راجعاً إلى أهلك. ترزم النوق: تهز لها من شدة السير ليلاً.

(٦) بضمير: بخيل مضمرة. وتضميرها أن تعلق حتى تسمن ثم ترد إلى القوت. النص: الحمل على أقصى السير.

يَحِقُّ لَهَا إِذْ بَلَّغْتُكَ مُعْرِفَا
 أَعْدَانِكَ مِنْ صَنِيمِ الْفِرْزَدِقِ إِذْ جَنَى
 وَصَلْتَ إِلَى سَيُّونَ دَارِ الْهَوَى الَّتِي
 فَأَلَقِ عَصَا التَّرْحَالِ فِيهَا وَضَعْ بِهَا
 لِيَهْنِكَ هَذَا الْعَوْدُ فَأَنْعَمَ بَرَوْقِهِ
 وَكُنْ لِي مَعِينًا نَطْلُبُ الْمَجْدَ وَالْعُلَى
 وَنَقِطُفُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْعَمْرِ زَهْرَهُ
 نَمِيلُ كَمَا شَاءَ الصَّبَا فِي رِضَى الْهَوَى
 وَنَعْرُضُ عَمَّنْ لَفَّقَ النَّصْحَ جَانِبًا
 بُلَيْتُ بِأَخْلَافِ مِنَ النَّاسِ دَأْبُهُمْ
 وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا ذِكَاةً وَحِكْمَةً
 نَمْتَنِّي إِلَى الْعَلِيَاءِ أُمَّ نَجِيبَةٍ
 فَإِنْ أَعْوَرُوا فِي جَانِبِي لَا أَلُومُهُمْ
 وَمَا بَالُ أَبْنَاءِ الزَّوَانِي بَطْعَنِهِمْ
 إِذَا لَرَأَوْا قَوْسًا شَدِيدًا مَفْرَقًا
 وَدُونِكَ مِنْ رَبِّ الْقَرِيضِ قَصِيدَةً

وما كدت أن تُجَزِي فُتْحَمَى وَتُوَثِّرَا^(١)
 على عِزِّهِ ثُمَّ اقْتَفَاهَا تَحْسُرَا
 تُبَاعِ النَّهْيِ بِالْحَسَنِ فِيهَا وَتُشْتَرَى^(٢)
 جبينك للرحمن شكرًا على الثَّرى
 وَقِرَّ بِمَنْ تَهْوَاهُ قَلْبًا وَمَنْظَرًا^(٣)
 بعزم يَرَى مَا يُعْظِمُ النَّاسُ أَصْفَرَا
 وَنَضْرِبُ لِلذَّاتِ وَاللهِوِ مِزْهَرَا^(٤)
 علانيةً والعفو قد كان أجدرًا
 وَنُلْجِمُ بِالشَّرْعِ الْمَقْرَّرِ مِنْكَرَا
 مَلَامِي وَلَيْسَ اللَّؤْمُ فِيَّ مَوْثِرَا
 وَمَجْدٌ وَإِقْدَامٌ وَنَاهِيكَ مَظْهَرَا
 حَصَانٌ وَشَيْخٌ طَابَ أَصْلًا وَعَنْصَرَا^(٥)
 فقد يَنْكِرُ الْأَنْوَارَ مَنْ كَانَ أَعْوَرَا^(٦)
 يُسِرُّونَ هَلَاكَ كَأَفْحُونِي فِي الْمِرَا^(٧)
 سهام صواب لن تطاق فتكسُرَا
 إِذَا تَلَيْتَ أَنْسَتِكَ طَيْبًا وَبُخْتِرَا^(٨)

(١) معرفًا: يريد الموضع المعروف.

(٢) سيون: بلده.

(٣) بروقه: بصافيه وخالصه.

(٤) مزهراً: هو العود.

(٥) حصان: عفيفة.

(٦) أعوروا: أتوا بالعوراء وهي الكلمة القبيحة. أعور: ذو عين واحدة.

(٧) المرا: المرء والجدل.

(٨) طيباً وبخترًا: يريد أبا الطيب المتنبي والشاعر البختری. وفي الأصل طبا وهو تصحيف.

القصيدة الرابعة عشرة

ردّ على مدائح السادة آل السقاف

وهذه القصيدة جواب عن أماديع تكررت من السادة عمر بن سقاف بن عبد الله القاضي السابق وعيدروس بن سالم وأحمد بن حسن وسقاف بن محمد آل السقاف في وقت واحد.

نعم دبّ في ليل الجمود سناً الفجر
وقد ساءني أن لا أديبَ أبئُثُهُ
أطارحه حُرَّ الكلام وأشتَفِي
وتَحِيَا به رُوحِي ويسلُو بقُربهِ
وَأَنْسَى به هَمَّ الحِياةِ لأنني
عِدِمْتُ كما شاءَ الأَعادي وجودَ مَنْ
فها أنا في المعنى فريدٌ وإن أكن
تَكَنَّفَنِي قومٌ إذا قلتُ بينهم
ينامونَ للمعنى الغريب وإنما
وذو الفهم يُخفي الحقَّ ظلماً ليُصَفِّه

فصدّق حظي ما تنبأهُ زَجْرِي
أحاديثَ أشهى للنديم من الخمر
بأدابه في حالي النظم والنثر
فؤادي وأنثيه الذي صُنْتُ من سِرِّي
ومَنْ كان مثلي عُرضَةً لِأذى الدهرِ
يُخَفِّف من عبءِ الزمان على ظهري
بمراى غِيبي القوم في عَدَدِ مَجْرِي^(١)
عجيباً ترى أسماعهم عنه في وَقرِ^(٢)
تراهُم نِشاءى للملاهي وللزُمُرِ^(٣)
ويجفُّو ويُلقي الجخد في موضع الشكر

(١) مجر: كثير جداً.

(٢) وقر: صمم.

(٣) نِشاءى: ناهضين. من تنشأ للأمر نهض إليه.

إلى الله أشكو ما ألاقى فإئنني
نجيبي كتابي وحده وبحمده
وئؤلمني أن البلاد التي بها
على حين مد العلم فبعض براعة
أغلل نفسي بالأمانى وهل أرى
نعم كوكب الإقبال قد لآخ في الدجى
وئغر الحمى يبدي ابتساماً لما رأى
لينتعمش الإنشاء وليهد بأله
تجاروا إلى ميطانه بين سابق
ومن بعدهم في السبق تال وعاطف
يؤمل منهم أن يريشوا جناحه
فلو كان إنساناً لقبّل هامهم
طربت لما قد جاءني من قريضكم
وحيد غريب بين أهلي وفي وكري^(١)
تعالى فما بي من هموم به تسري^(٢)
نشأت من الآداب أخلى من القفر
على ما سواها وهي في غاية الجزر^(٣)
ليالي آمالي تفتح عن بذر
وروض المنى ألقى الكمام عن الزهر^(٤)
من البشر في وجه الرسائل والشعر
بقرب أولي الأحساب والمحتد الحر
وبين مصل يقتضيه على الإثر^(٥)
ومهما يكن فالنظم منشرح الصدر
فما زال مهجور الفنا عاطل النحر^(٦)
من الشوق فعل الأم بالولد البر
ونمت مباديكم بعاقبة الأمر

(١) إن من يقرأ كتب الإمام ابن عبيد الله وخطبه ليتعجب من ذلك العلم وتلك الفصاحة والبلاغة والبيان وكنت أرثي له لأنه من غير الممكن أن يوجد من يماثله خارج حضرموت فكيف بحضرموت الفقيرة بالعلم والأدب والغنية بالدين والأخلاق والعبادة فلا بد أنه كان يحس بالوحدة العلمية؛ بل كنت أستغرب أن يفهم الحضور ما يلقيه عليهم من الخطب البليغة والتي حوت الأفكار المبدعة والتحليل الدقيق والعلم الواسع بما يصعب حتى على الأدباء المعاصرين بالبلاد العربية فهمه واستيعابه.

(٢) به تسري: تسير وتذهب.

(٣) الجزر: ضد المد.

(٤) الكمام: وهاء الزهر.

(٥) ميطانه: موضع السباق. سابق هو المجلي والتالي له هو المصلي والرابع التالي والسادس

العاطف. يقتضيه: يطلبه.

(٦) يريشوا جناحه: يقووه ويعينوه.

فدونكُم درسَ العلومِ لتُفْلِحُوا
ولا زلتُم للشعرِ صَاغَةً عَسَجِدِ
بعميدينَ عن داءِ التَّكَلُّفِ إنه
مُزَانينَ في مطبوعه بعوارضِ
وما كان تأخيرُ الجوابِ تهاوناً
ولكنَّ أهوائي كثيراً لأجلها
وإني وإن قابلتُ بالشكرِ فعلكُم
ففي قولكم بعضُ الغلُوِّ وليتكم
فإني لأدرى بالحقيقةِ عارفتُ
ولكنني أرجو من الله جُودَه
فلي من رسولِ الله عهدٌ موثَّقُ
ومن بعلها وابنيهما سادةِ الورى
ولي من شيوخِ العلمِ لحظٌّ ولم أزلُ
أولئك أحبابي وجِضني ومؤثلي
بهم دام لي عزُّ الحياةِ وبعدها
وأدعو بهم أن يصلحَ الله شأنكُم
بحبي لهم يا ربِّ إلا شِملتَنَا
وأزكى صلاةً بالسلامِ تمارَجَّتْ
نبيِّ الهدى والمرتضى وخديجةِ

ففي العلمِ مجموعِ الفضائلِ والفخرِ
وغاصةً لِحجِّ حاصلينَ على الدرِّ
إلى البغضِ والخذلانِ أدنى من الفُتْرِ^(١)
وفهم إذا لاقته مشكلة يفري^(٢)
ولا عن مَلالٍ كان رَيْثي ولا هَجْرٍ
أبيتُ وآرائي تَزاحمُ في فكري
أعاتبكُم نوعاً مع البَسْطِ للُعْذُرِ
وقفتم بما قلتوه عني على قَدْرِي^(٣)
بأني أسيرُ العَيْبِ والرَيْبِ والوِزْرِ
وغفرانه للذنبِ والجبرِ للكسْرِ
ومن زوجه الكبرى ومن بنته الطهرُ
ومن أنزلتُ في مدحهم سُورُ الذكرِ
إلى نَصْدِ آوى من القادةِ العُزْرِ^(٤)
وكنزي لدى البأساءِ والضَّرِّ والعُسْرِ
أؤملُ من ربي السعادةَ في قبري
ويغمركم بالفضلِ في السرِّ والجهْرِ
برُحْمِي علينا فيضُها دائماً يَجْرِي
على من بهم تُرْجَى الشفاعةُ في الحشرِ
وفاطمةَ وابنيهم الطاهري النَّجْرِ^(٥)

(١) الفتر: ما بين طرفي السبابة والإبهام إذا فتحتهما.

(٢) يفري: يقطع.

(٣) يتبين هنا كره الإمام للإطراء خصوصاً إذا جاوز الحد.

(٤) نضد: هو هنا الشرف.

(٥) النجر: الأصل.

القصيدة الخامسة عشرة

في مدح الإمام علي بن محمد الحبشي (١)

والثلاثة الأبيات من القصيدة التالية هي للفاضل الشهير السيد علي بن محمد الحبشي؛ وقد اقترح عليّ التذييل عليها مع السرعة؛ وألاً أعيد قافية؛ ففعلت وهي من شعر الحدائثة.

ثم إن الواو الساكنة قبل الروي في «حوزه» و«فوزه» من الردف الواجب التزامه في القصيدة كلها عند بعضهم، وقال آخرون بخلاف ذلك؛ لأن الواو والياء إذا سكنا وانفتح ما قبلهما؛ جريا جري الصحيح؛ قالوا: ومنه قول الكُتبي:

يا رب وفقني لنحت قوسي فإنها من أربي لنفسي
ومثله بكثرة عند المولدين، وكان الأولى بنا الاحتراز عنه؛ ولكن العذر مبسوط بما سبق.

(١) الإمام علي بن محمد الحبشي من كبار الأولياء والصالحين بحضرموت تحصل علومه بحضرموت ثم ذهب إلى مكان إقامة أبيه بمكة وأكمل علومه فيها بإشراف أبيه الذي كان يتقلد منصب مفتي الشافعية بمكة؛ ثم عاد إلى حضرموت وتصدر للتدريس والتعليم وأنشأ الرباط العلمي بترميم حيث يأوي طلبة العلم من أنحاء حضرموت وخارجها فيقيموا بالرباط للتعلم ويتولى الرباط أمور معيشتهم كما أسس مسجد الرياض بسيؤون وله أشعار لطيفة لا زالت تنشد في الكثير من المجالس إلى اليوم كما ألف رسالة المولد الشهير الذي تقام له الاحتفالات بحضرموت وغيرها من البلاد كما برع الإمام علي الحبشي في النحو ويعتبر هو من أعاد إحياءه بعد اندراسه وإهماله بحضرموت. وكان الإمام علي حبشي آية في الكرم وإطعام الطعام وتوفي بسيؤون سنة ١٣٣٣هـ.

بِعَزَّةٍ مِنْ تَعْنُو الْوَجُوهُ لِعَمْرِهِ
 وَأَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ قَلَّةَ حَيْلَتِي
 هَزَزْتُ بِصَدَقِ الْاَلْتَجَا شَجَرَ الرَّجَا
 وَأَمَلْتُ مِنْ إِحْسَانِهِ فَيَضُّ فَضْلَهُ
 وَعَلَّقْتُ آمَالِي بِهِ وَيَلْطِيفُهُ
 أَلْحَ عَلَى أَبْوَابِهِ فِي طِلَابِهِ
 تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي وَلَكِنَّ جُودَهُ
 وَإِنْ تَكْ نَفْسِي قَادَهَا بِزَمَامِهَا
 وَأَوْقَعَهَا فِي الْمَوِيقَاتِ وَأَزَّهَا
 فَمَا مُنْقِذِي إِلَّا مَلَازِي بِجُودِ مَنْ
 وَلَيْسَ عَلَى أَبْوَابِهِ حَاجِبٌ لَهَا
 أَمَا أَنْ لِي أَنْ أَعْصِي النَّفْسَ وَالْهَوَى
 وَأَدْخَلَ مِنْ بَابِ الرَّجُوعِ مَبَادِرًا
 وَأَقْفُو فِي سَيْرِي إِلَى اللَّهِ مَرشِدًا
 مَلَازِي فِلَانِي فِي عِنَايَةِ حَرْزِهِ
 شَكَايَةَ ذِي عَجْزٍ مُقَرَّبٍ بِعَجْزِهِ
 لَعَلِّي أَلْقَى مَقْصِدِي عِنْدَ هَزْزِهِ
 وَحَاشَا مِنْ قَطْعِ الرَّجَاءِ وَحَزْزِهِ
 تَعَوَّدْتُ مِنْ ضُرِّ الزَّمَانِ وَلَزْزِهِ^(١)
 وَقَلْبِي مَلَّانٌ بِأَدْرَانِ رِجْزِهِ^(٢)
 كَفَيْلٌ بِغَفْرَانِ الْقَبِيحِ وَجَنْزِهِ^(٣)
 هَوَاها وَأَرْدَاها بِإِزْعَاجِ حَفْزِهِ^(٤)
 إِلَى الْإِثْمِ وَالْبَلْوَى بِفَاتِنِ أَرْزِهِ^(٥)
 يُصِيخُ إِلَى جَهْرِ الْمَنَادِي وَرِكْزِهِ^(٦)
 فَيَصْرِفُ عَنْهَا الطَّالِبِينَ بِوَكْزِهِ^(٧)
 وَأَحْذَرُ مِنْ كَيْدِ اللَّعِينِ وَعَمْرِهِ
 لَخَرْقِي قَبْلَ الْاِتْسَاعِ بِخَرْزِهِ^(٨)
 تَمْسِكُ مِنْ يَنْغِي النِّجَاةَ بِغَرْزِهِ^(٩)

(١) لزه: شده.

(٢) رجزه: قذره. والضمير للقلب.

(٣) جنزه: ستره.

(٤) حفزه: حثه وسوقه.

(٥) أزها: هيجها وأغراها.

(٦) يصيخ: يستمع. ركزه: صوته الخفي.

(٧) وكزه: دفعه وطعنه.

(٨) خرزه: خياطته.

(٩) غرزه: إدخاله وكل ما سمر في شيء فقد غرز.

دعانا إلى نهج السعادة والهدى
يَكاد يُذيب الصخرَ قارِعُ وعظه
برُودِ العلى بالجدِّ الحَمِّ نَسَجَها
فألْبسه الإقبالُ بالعلم رونقاً
وسارت به الأخبارُ في الشرق كلُّه
ولم يَرْق أوجَ المجدِ إلَّا بسعيه
وكان له التوفيقُ أفضلَ صاحب
ونيظ بمسماه النجاشُ فهذه
سقى زرعه نَهْلُ الجهادِ وَعَلُّه
فَمَنْ مِثْلُ إنسانِ الكمالِ وعينه؟
مُبيِّن آتارِ النبي محمَّدٍ
بحكمته يجلُّو عن المشكلِ الصِّدا
مَرى لقعحة العرفانِ وامتصَّ خِلْفَها
وجلَّت عن الإحصاءِ أوصافُه التي
بوعظ بدت في العيِّ آثارُ وخزّه^(١)
ويستلفتُ الأبصارَ حتى بضْمزّه^(٢)
وزان سداها من مفازلِ قَرزّه^(٣)
يروغُ عيونَ الناظرين بطرزّه^(٤)
ففي وهده الصيِّتُ الشهيرُ ونشزّه^(٥)
ومسراه في تلك السبيلِ وجَمزّه^(٦)
أعان على جمع الفخارِ وحوزّه
بِغُرتِه الفراءِ آثارُ فوزّه
فهاجَ وطابت نفسه يوم جَزّه^(٧)
عليُّ العلى مالِ المُسيفِ وكَنزّه^(٨)
وموضِع أسرارِ الكتابِ ورَمزّه
ويطلقُ بالتحقيقِ عُقدة لُغزّه
وفاز بإدراكِ المنى بعد مَرزّه^(٩)
تزين فكُثر القولِ فيها كوجزّه^(١٠)

(١) وخزّه: طعنه.

(٢) قزّه: حريره.

(٤) الروغ: المسحة من الجمال. بطرزّه: ببزته وهيئته أو بشكله.

(٥) وهده: هو المكان المنخفض وضده النشر.

(٦) جمزه: إسراعه فيها.

(٧) النهل: أول الشرب وسكن وسطه للضرورة. والعلل: الشرب بعد الشرب تبعاً. جزء: قطعه وحصاه.

(٨) المسيف: من عليه السيف أو الشجاع معه السيف.

(٩) مري اللقحة: مسح ضرع الناقة لتدر اللبن اتص خلفها: ضرعها. مَرزّه: مصه.

(١٠) كوجزه: كقليله.

(٢) بضْمزّه: بسكوته.

تَشَرَّفْتُ إِذْ أَوْمَى بِتَعَجِيزِ شِعْرِهِ إِلَيَّ وَمَا قُظِنِي بِجَانِبِ خَزْهٖ؟^(١)
 وَقَدْ سَرَّنِي مِنْ قَبْلُ سَالِفٌ وَعَدَهُ وَلَكِنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيَّ بِنَجْزِهِ^(٢)
 وَكَانَ وَعَدَنِي أَنْ يَكْتُبَ لِي إِجَازَتَهُ؛ الَّتِي تَكَرَّرَتْ شَفَاهَا؛ فَرَاثُ^(٣)؛ لِأَنَّنِي
 لَمْ أَنْزَلْ عَلَى مَا يَهْوَى أَصْحَابَهُ مِنَ التَّسْلِيمِ الْأَعْمَى لَهُ؛ فَلَمْ أَعَاوِدِ الطَّلِبَ؛ اِكْتِفَاءً
 بِمَا أَكْثَرَ لِي وَالِدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْأَخْذِ عَنِ الْجَمِّ الْغَفِيرِ مِنْ رَجَالَاتِ الْعُلُومِ؛ وَقَدْ كَانَ
 أَكْبَرَهُمْ فِي نَفْسِي؛ هُوَ وَسَيِّدِي الْأَسْتَاذُ الْأَبْرُ؛ وَاللَّهُ دَرَّ أَبِي الطَّيِّبِ فِي قَوْلِهِ: وَمَنْ
 قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقْلَّ السَّوَاقِيَا.



(١) خزه: حريره.

(٢) بنجزه: بالوفاء به.

(٣) أي تريت وقد قرأت في كلام الإمام علي بن محمد الحبشي أنه اعتبر الإجازة التي أعطاها تلميذه عمر بن حامد شاملة لمريديه ومحبيه حتى إن العلامة أحمد بن عبد الرحمن السقاف مع قرب اتصاله به وشديد اختصاصه به لم يحظ منه على إجازة خاصة.

القصيدة السادسة عشرة

ما بين وجدٍ

وما زالت الرسائل في جيئة وذهاب بيننا وبين الأمير الإدريسي^(١)؛ حتى استدعاني بواسطة أستاذه الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصهي^(٢)، لعله سنة

(١) ولد السيد أحمد الإدريسي بالمغرب سنة ١١٧١هـ؛ وهو شريف حسنى من الأدارسة؛ ثم سافر إلى مصر وأقام بها قليلاً؛ ثم سافر بعدها إلى مكة؛ فأقام بها ثلاثين سنة؛ واجتمع فيها بمفتي زبيد السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل وقام الأهدل بنشر صيت الإدريسي في بلاد اليمن. ثم قام السيد أحمد الإدريسي بزيارة اليمن وتجوّل في أرجائها واختار مدينة صيبا القريبة من جيزان لإقامته واستقراره؛ وقد توفي السيد أحمد الإدريسي سنة ١٢٥٢هـ؛ ودفن بصيبا وأصبح ضريحه مزاراً؛ ولما كثر الزوار لمقام الإدريسي بصيبا؛ وجد ابنه السيد محمد بن أحمد أن الفرصة مؤاتية لتحويل مقام والده إلى دولة فبدأ يستخدم العشائر الموالية له لتحقيق هذا الغرض ونجح في ذلك. أما السيد محمد بن علي بن محمد بن أحمد الإدريسي والممدوح في هذه القصيدة فقد ولد في صيبا سنة ١٢٩٢هـ؛ وانتقل إلى مصر والتحق بالأزهر وتخرّج منه ثم سافر إلى المغرب؛ ومنها انتقل إلى دنقلة بالسودان وتزوج هناك بابنة شيخ الطريقة الأحمدية ثم عاد إلى صيبا بأمر والده وتوفي والده بعد وصوله بنحو ثلاث أو أربع سنين. وكان الحكم التركي بعسير غير مستقر في تلك الفترة فاستغل السيد محمد بن علي الإدريسي هذه الفرصة وتمكّن بدهائه وحسن سياسته أن يؤسس حكماً قوياً وقد سطع نجمه أثناء الحرب العالمية الثانية والتي ساعدت على مد نفوذه إلى الحديدة ومعها اللحية والصليف وياجل وتوفي السيد محمد بن علي في سنة ١٣٤٥هـ. قال الإمام ابن عبيد الله في كتابه بضائع التابوت: ثم استدعاني السيد محمد بن علي الإدريسي في سنة ١٣٣٥هـ فحالت الموانع حتى تمكّنت من تلبية دعوته في سنة ١٣٤٠هـ فبالغ في التحفي بي إلى ما لا نهاية واستجاز مني وأجازني بإجازة مطوّلة.

(٢) سالم بن عبد الرحمن باصهي (١٢٨٠ - ١٣٣٦هـ) علامة وفقه ولد ونشأ ببلدة شبام بحضرموت وله كثير من التلاميذ أشهرهم الأمير محمد بن علي الإدريسي وله مصنفات =

١٣٣٥هـ، فأوثقني الدهر بأخيَّة^(١)، وما كانت الليالي سخيَّة، فجهزت له هذه القصيدة؛ فأعجب بها؛ وأقسم أنه لم يسمع مثلها؛ على كثرة اطلاعه وازدحام الشعراء والعلماء ببابه.

ما بين وَجِدٍ بِالْعُلَى وَرَسِيْسٍ أبدأ أُكابِدُ ظِلْمَةَ الْحَنْدِيْسِ^(٢)
فِكْرٌ إِذَا اعْتَكَرَ الظَّلَامُ تَأَلَّبَتْ لتدوَدَ عَن جَفْنِي الْكَرَى بِخَمِيْسِ^(٣)
قَلْبُ الوَاضِيْنَ أَبِيْتُ رَهْمَنَ خِوَاطِرِ منهن أرسُف في العذاب البئِيسِ^(٤)
أزعى النجومَ كأنني مَتَرَصِّدٌ لمنازل المَرِيخِ والبِرْجِيْسِ^(٥)
لولا الهوى ما شاقني ذكرُ التَّوَى وبكيْتُ من طَلَلٍ هناك دَرِيْسِ^(٦)
وبقيْتُ بين إِحَالَةٍ وَإِذَالَةٍ لمضُونِ دَمِغٍ في الخُطُوبِ شَرِيْسِ^(٧)
جَلْدِي وَهَى من نظرة لم أُنْهَى إلاً وقد ملك الفِراَمُ نَسِيْسِي^(٨)
والمجد يَحْظُرُ لي متابعَةَ الهوى لَّه من مِحْنٍ ومن تعكيسِ
لَّه من كبدٍ تَذُوبِ أَسَىٍّ ومن قلبٍ لعاديِّ الهمومِ فَرِيْسِ
يا ليت شعري هل لكُرْبِي فُرْجَةٌ أم هل لهذا الضَّيْقِ من تنفيسِ؟

= منها التيسير في حل ألفاظ المختصر الكبير وتوفي بشبام. (عن كتاب جهود فقهاء حضرموت للدكتور محمد أبو بكر باذيب).

- (١) أخية: بفتح أوله وكسر ثانيه وتشديد ثالثه المكسور. عروة تشد بها الدابة مثنية في الأرض.
- (٢) الوجد: الحب. الرسيس أثره. الحنديس. الليل الشديد الظلمة.
- (٣) اعتكر الظلام: اشتد. الخميس: الجيش.
- (٤) الواضين بطن منسوج بعضه على بعض يشد به الرجل على البعير. كالحزام إذا كان رخوًا. البئيس أي الشديد.
- (٥) البرجيس: نجم قيل هو المشتري.
- (٦) اللوى: ما التوى من الرمل. الطلل: الشاخص من آثار الديار. دريس: عاف.
- (٧) إحالة: صب للدمع. إذالة: امتهان. شريس: ذي عُسر.
- (٨) لم أُنْهَى: لم أعدها. نسيسي: بقية الروح الذي به الحياة.

هممٌ تُنيفُ على النجوم وإنما الـ
 حَتَّامٌ أشرحُ ما لقيت من العنا
 وعلامٌ أنكر فعله وطبائه
 مَعٌ أن لي عن فادِحَاتِ صرُوفه
 وعلى الحقيقة لي مكانٌ آمنٌ
 أيخافُ من أيامه مُستَندِمْ
 رجلُ العظائم كلما قسنا به
 ذو الشَّيْمَةِ الغرَّاءِ والوجهِ الذي
 ذو الجُودِ والمعروفِ والكفِّ الذي
 باني المفاخرِ بالعساكرِ والدسا
 والعدلِ والإنصافِ والتوفيقِ والـ
 والعزمِ والسعدِ المحاطِ بهيبةِ
 والحزمِ والتدبيرِ والإيغالِ والـ
 شادَ العُلَى وبنى بمحكَمِ صنعه

أعمالٌ والآمالُ في تنكيس^(١)
 وأضيقُ في عتبِ الزمانِ نفيسٌ؟
 حفظُ الكرامِ ورفع كل خسيس^(٢)؟
 شغلاً بنشر العلم والتدريس
 من بُؤسه أحمى من العريس^(٣)
 بمحمدِ بن عليّ الإدريسي؟
 أهل المكارم فاق كل مقيس
 ما شينَ يوم البأسِ بالتعبيس
 أبدأ بجيشُ من الندى ببجيس^(٤)
 كر والمذاكي والقنا والعيس^(٥)
 إخلاصِ والطاعاتِ والتقديس
 ذلت لها أسدُ الشرى في الخيس^(٦)
 إيجافِ والإدلاجِ والتفليس^(٧)
 صرحاً على التقوى من التأسيس

(١) تنكيس: قلب.

(٢) حفظ: خفض.

(٣) العريس: مأوى الأسد.

(٤) بجيس: بما يتفجر كالنبع.

(٥) الدساكر: القوى جمع دسكرة. المذاكي: من الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو ستان. القنا: الرماح. العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة جمع أعيس.

(٦) أسد الشرى: الشرى جليل بتهامة كثير السباع. الخيس: سكن الأسد.

(٧) الإيغال: الذهاب في التدبير إلى أقصى حدوده. الإيجاف: تيسير الخيل وللركاب للأعداء. الإدلاج: السير ليلاً في الحروب. التفليس: السير في ظلمة آخر الليل.

بِعِزَائِمِ كِبْرِي وَرَأْيٍ نَافِذٍ
 دَحَرَ الرَّدَى وَأَذَلَّ مِنْ مَسِّ الْهُدَى
 كَفَلَ الشَّرِيعَةَ فِي تَهَامَةٍ فَازْدَهَتْ
 وَأَعَادَ لِلْإِسْلَامِ عَصَرَ شَبَابِهِ
 وَحَمَى الْحُدُودَ بِهَمَّةٍ وَثَبَاتِهَا
 وَضَحَّ الطَّرِيقُ بِفَاطِمِيٍّ مَاجِدٍ
 غَيْثٌ يَفِيضُ نَوَالَهُ وَسَيُوفُهُ
 نُورُ النَّبِوَةِ ظَاهِرٌ فِي وَجْهِهِ السَّ
 نَسَبٌ يَقُومُ بِذَاتِهِ وَفَضِيلَةٌ
 هَذَا هُوَ الشَّرْفُ الصَّرِيحُ لِذِكْرِهِ
 شَرَفٌ نَجُومٌ الْأَفْقِ تَأْخُذُ نُورَهَا
 يَا مَنْ بَعَارِفِ فَضْلِهِ الْأَدَبُ اكْتَسَى
 لِعِبِّ الزَّمَانِ بِآلِهِ حَسِداً كَمَا
 أَسْعَدَتْ طَالِعَهُ وَكَانَ يَنْوُو فِي
 وَأَقَمْتَ لِلْعُرْفَانِ سُوقَ رِوَاجِهِ
 وَحَجِيٍّ لِإِصْلَاحِ الْفَسَادِ حَبِيسٍ
 بِالْكِيدِ وَالتَّمْوِيهِ وَالتَّدْلِيْسِ
 بَعْدَ الضِّيَاعِ وَوَحْشَةِ التَّعْنِيْسِ^(١)
 وَكَسَاهُ ثُوبَ الْعِزِّ غَيْرَ لَبِيسٍ
 عَلَوْتَهُ فِي حَرِّ كُلِّ وَطِيسٍ^(٢)
 مِنْ آلِ حَيْدَرَةَ الْكِرَامِ اللَّيْسِ^(٣)
 تُرَوِي غَدَاةَ الرَّوْعِ كُلِّ يَبِيسٍ^(٤)
 أَمِيٍّ عَنِ الْأَرْجَاسِ وَالتَّنْدِيْسِ
 جَلَّتْ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّقْيِيْسِ
 يَعْنُو خُضُوعاً رَأْسُ كُلِّ رَيْسٍ
 مِنْ ضُوءِهِ فَتَنْبِيرُ كُلِّ غَمِيسٍ^(٥)
 شَرَفاً وَكَانَ جِمَاهُ غَيْرَ أَنْيْسِ
 أُوْدَى بِطَسْمٍ سَابِقاً وَجَدِيسٍ^(٦)
 حِظٌّ بِمَدْرَجَةِ الشَّقَاءِ تَعْمِيسٍ
 بَعْدَ الْكِسَادِ وَمَحْنَةِ التَّفْلِيسِ

(١) التعنيس: الترك والإعراض. وأصله مكث الجارية في بيت أهلها بعد إدراكها حتى تخرج من عداد الأبيكار.

(٢) وطيس: معركة حربية وأصله حجارة مدورة إذا حميت لم يمكن الوطء عليها يقال في الحرب إذا اشتدت قد حمي الوطيس.

(٣) الليس: الشجعان واحده أليس.

(٤) يبيس: يابس.

(٥) كل غميس: كل ليل أو كل خفي.

(٦) بطسم: قبيلة من عاد؛ كانوا وانقرضوا. جديس: حي من العرب كانوا يناسبون عاداً الأولى وكانت منازلهم باليمامة ثم انقرضوا.

وَفَتَحْتَ بِالْإِفْضَالِ كُلِّ مُقَمَّلٍ وَنَعَشْتِ بِالْأَمَالِ كُلِّ رَمِيسٍ^(١)
 وَمِنَ التَّصَوِّفِ كَانَ جَدُّكَ بَازِلًا أَلْقَى حَمُولَتَهُ لَخَيْرِ سَدِيسٍ^(٢)
 يَا مَنْ يَسْرُ لَذِكْرِهِ أَهْلَ التَّقَى وَيَضَامُ كُلَّ مَنَافِقِ إبْلِيسِي
 وَافِي كِتَابِكَ لِي فَأَنْلِجَ خَاطِرِي وَخَبَأْتُهُ فِي الْقَلْبِ لَا فِي الْكَيْسِ
 وَوَدَدْتُ لَوْ كُنْتُ الْجَوَابَ فَصَدَّنِي عَذْرٌ وَطَيْفُكَ لَا يَزَالُ جَلِيسِي
 فَأَقْبِلْ تَحِيَّةَ مُخْلِصٍ لَكَ نَصَحَهُ مَا فِيهِ مِنْ دَخْنٍ وَلَا تَلْبِيسِ



(١) رميس: مرفون وكل شيء نثر عليه التراب فهو مرموس ورميس.

(٢) بازلاً: يقال: جمل بازل إذا طلع نابه يريد القوة والعظم. لخير سديس: لخير وارث وأصل السديس الملقب من الإبل والغنم السن التي بعد الرباعية وذلك في السنة الثامنة.

القصيدة السابعة عشرة

في السيد الجليل أحمد بن حسن العطاس

وهذه قدمتها للسيد الجليل أحمد بن حسن العطاس^(١)؛ وأنشدت بين يديه في جمع مشهور؛ وذلك بمكاننا؛ في إحدى قَدَمَاتِهِ إلى سيؤون لعله سنة ١٣٢٧هـ.

عَنِّي إِلَيْكَ فإِنِّي لِلهَوَى نَاسِي لا تَزْعَجِينِي بِذِكْرِي بَعْدَ إِنْهَاسِ
 قَدْ شَفَّ جَسْمِي فِيمَا مَرَّ مِنْكَ جَوِي وَلَمْ يَرِقْ لَضَعْفِي قَلْبُكَ الْقَاسِي
 وَمَذَّ تَبَيَّنْتُ أَنَّ الْحَبَّ مَهْلِكَةٌ طَفِقْتُ آسِي فَوَادِي عَنْهُ بِالْيَاسِ^(٢)
 عَنِّي إِلَيْكَ فَإِنَّ الْمَجْدَ يَحْظُرُ لِي فِي اللّهُوَ تَضْبِيعَ سَاعَاتِي وَأَنْفَاسِي
 شَغَلِي بِلَمَّ شَتَبَتِ الْعِزُّ بِشَغْلُنِي عَنْ عَشَقِ كُلِّ دَقِيقِ الْخَضِرِ مِيَّاسِي^(٣)
 وَدَفْتِرِي وَيَرَاعِي رَوْضَةَ أَنْفٍ لِلطَّرْفِ تَغْنِي عَنِ النَّسْرِينِ وَالْأَسِي^(٤)
 هَمَا نَدِيمَايَ لَا أَخْشَى عَوَارِهِمَا هَمَا جَلِيسَايَ إِنْ أَعُوذْتُ جَلِيسِي^(٥)

(١) من علماء حضرموت الكبار ولد بحريضة بحضرموت سنة ١٢٥٧هـ وأصيب في رضاعه برمد شديد أفقده بصره إلا أن ذلك لم يمنعه من التبحر في العلوم والسفر سنة ١٢٩٨هـ إلى مكة لدراسة علوم القرآن وحفظه ثم عاد إلى حضرموت وتوفي سنة ١٣٣٤هـ.

(٢) آسي: أداوي.

(٣) مياس: مائل يتبختر في مشيته.

(٤) روضة أنف: لم تُسرَع. النسرين: الورد. الآس: شجرة ورقها عطر.

(٥) عوارهما: عبيهما. أي ليس فيهما عيب حتى يخشى. وهما جلساءه إن أحوجته الحاجة إلى الجلاس.

لي غُنيةً بمناجاة الدفاتر عن
قد قلت ناساً ولكن ربما مُسْخُوا
عُمُوا عن الحقِّ تقليداً لعادتهم
لا يهتدون سبيلاً نحو مكرمة
الله لي من زمانٍ كلُّه عجبٌ
إني غريبٌ لعُمر الله في فئدة
هم يعذُّونني لتفنيدي عوائدهم
سأظهر الحقَّ رغماً عن جهالتهم
وأقتنفي إثر آباءٍ غطارفةٍ
وهل أخاف انصياً عن محجَّتهم
شيخُ تبوُّاً كرسى الجمال ومن
العالمُ العاملُ الغاني بعزته الغد
جمُّ المناقب موفور المواهب من
غوث الطريد وماوى للنزيل بلا

مَنْ لا يُناسِبني من جملة الناس
في عين كلِّ بصيرٍ؛ جيلٌ نَسْناسٍ^(١)
ألا تراهم كذا خواضٍ أرجاسٍ^(٢)
بل يخيطون على جهلٍ بدبماسٍ^(٣)
أذناؤه ظهرت في موضع الرأسِ
ألقت أَعنَّتْها في كفِّ وسواسٍ^(٤)
وما عليّ بذاك العذلي من باسٍ
ولا أبالي بدجَّالٍ وخنَّاسٍ
بيض الوجوه غيارى غير أنكاسٍ^(٥)
ولي شهابُ الهدى من آل عَظاسٍ^(٦)
راح الجلال تحسى صفوة الكاس
رأى مَنْ أُمَّه عن كلِّ نبراسٍ^(٧)
باريه طوؤُ المعالي الشامخِ الراسِ
مَنْ وكنزٌ أولي عُذمٍ وإفلاسٍ

- (١) يشير إلى ما قيل أن حياً من قوم عاد عصوا رسولهم فمسخهم الله نسانساً ينقزون كما ينقز الطائر ويرعون كما ترعى البهائم.
- (٢) كذا: كذلك. خواض: أصله خواضين. حذف النون للإضافة والياء لضرورة الشعر. أرجاس: أقدار.
- (٣) ديماس: هو السرب المظلم.
- (٤) وسواس: شيطان وهو الخناس.
- (٥) غطارفة: سادة شرفاء جمع غطريف. غيارى: جمع غيران. أنكاس: جمع نكس. وهو المقصر عن غاية النجدة والكرم أو الرجل الضعيف.
- (٦) انصياً: رجوعاً؛ يقال: انصاع انقتل راجعاً مسرعاً.
- (٧) الغاني: الذي يغني غيره.

الكاسبُ الحمدِ بالسعي الجميلِ له مهما تقاعدَ عنه الطاعمُ الكاسي
 حاوي الثناء الذي يبقي تضرُّعُه عمرَ الليالي وربُّ الفضلِ والبأسِ^(١)
 بحرُ المعارفِ زاكي الفهمِ مفتَرَعُ خُودَ العلومِ بتمكينِ وإعراسِ^(٢)
 حالِ الفقيهِ وأسرارِ ابنِ عائشةِ في همةِ الفخرِ في علمِ ابنِ عباسِ^(٣)
 ماضي العزيمة لا تُحصي فضائله فيه الحضارمُ سادتْ سائرِ الناسِ
 حرُّ الضميرِ منيرُ الفكرِ مطلقُه كشافُ غمرةِ أهوالِ وإغلاسِ^(٤)
 منورُ القلبِ ذو نفسٍ مقدَّسةِ مطهَّرُ الجيبِ عن عيبِ وأدناسِ
 مطهَّرُ الشرعِ حيثِ الجاهلون به قد لَطَّخوه بعاداتِ وأنجاسِ
 الوارثِ السرِّ عن آبائه النُّجبا عن النبيِّ بأنواعِ وأجناسِ
 المقتدي بهُدَى أهلِ الكساءِ وهم حصنُ الشريدِ من اللأواءِ والباسِ^(٥)
 ذريةٌ بصريحِ الذكرِ قد حفظتْ عن الدنيايا برغمِ الجاحِدِ الناسي
 حازوا العلاءِ فلا حيٌّ يفاخرهم وهل يقاسُ الحصَى بالدرِّ والماسِ
 يأيُّها العارفِ الباني بحكمته صرْحاً من النورِ مرفوعاً بأساسِ
 وجدتُني في جمودِ قبلِ صحبتكم واليومِ أنكرتُ إدراكي وإحساسي
 أَلْقَيْتُ ما سرَّني مذ جئتُ مقتبساً من ضوئكَ السافرِ السامي بمقباسي^(٦)
 فلاحِظوني وكوني إن عَرَى قَرَعُ أنتم حُماتي من الأهوا وحُرَّاسي

(١) تضرُّع: فيحان رائحته وانتشارها.

(٢) افترع الخود: فض بكاره الحسان الناعمات. الإعراس: الدخول بالزوجة.

(٣) الفقيه ربما هو الفقيه المقدم والفخر هو الفخر الرازي.

(٤) الأغلاس: الدخول في الغلس وهو ظلمة آخر الليل.

(٥) اللأواء: الشدة.

(٦) مقباس: آلة القبس.

وواصلوا سقي غرسٍ كان واضعه
 وازعَبْ إلى الله يعطيني مآربَ لي
 من عَظْمِ هَمِّي بها صَعَّدْتُ أَنفَاسِي
 واقبل خريدةَ مدحٍ من أخي مَقَّةِ
 يحارُ فيها زيادُ وابنِ مرداسِ^(٢)
 واسلَمَ ودُمُ وصدورُ الحاسدين لكم
 في حَشْرَةٍ وتباريحٍ ووشواس



(١) ربما يشير هنا إلى الإمام عبد الله بن علوي الحداد.

(٢) مقة: محبة. زياد: النابغة الذبياني. ابن مرداس: هو العباس السلمي الذي قال له الرسول ﷺ: لا فضَّ فوكَ عندما أنشده البيت الآتي من قصيدته:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرها

القصيدة الثامنة عشرة

مهداة للسيد عبد الله بن علوي العطاس

وهذه القصيدة كان إنشاؤها بمنزل السيد عبد الله بن علوي العطاس^(١) في «حريضة»^(٢) بعد ما بالغ في الاحتفاء بنا وأخجلنا بلطفه ودماثة أخلاقه وتواضعه وذلك أواخر سنة ١٣٢٩هـ، وكنا اعتدنا ذلك الوقت؛ لزيارة ذلك الطرف؛ مع الأخ حسن بن عبد الله الكاف^(٣)؛ ثم عزم معه من لا يناسبنا؛ فخار الله لنا في ذلك؛ فإن الذين ساروا معه اندمجوا فيه؛ فلم يعد يذكرهم ذاكر؛ ولا يسأل عنهم سائل؛ وكان لنا ثمَّ شأنٌ عظيمٌ؛ وسرَّ بنا أهل تلك النواحي.

(١) قال الإمام ابن عبيد الله في رحلته الدوعنية والتي قام بها في شوال من سنة ١٣٢٩هـ: وجاء السيد العلامة عبد الله بن علوي العطاس وكنا نحسب لما نسمع ويسمع الناس من صيته الذي ملأ سمع الأرض وبصرها أن يأتي في موكب عظيم وبزة فاخرة وخدم وحشم فإذا هو مثال التواضع وإذا حاله بمكان سحيق عما عليه عشاق الشهرة الكاذبة والرسوم الموهومة والجاهات المنفوخة وأما ظهوره ذلك الظهور الذي لا غبار عليه وإنما هو سرُّ الحديث: «إذا أحب الله عبداً نادى في أهل السماء أن أحبه ثم يوضع له القبول في أهل الأرض» ورأينا منه سعة صدر ودماثة أخلاق ولين جانب وعلماً كثيراً وفضلاً غزيراً ثم تحدث الإمام عن أحداث اليوم الثاني فقال: وهناك طاب الحديث واستولى على القلوب الجدل وفي هذه الأثناء أنشدت سمو السيد عبد الله قصيدتي الآتية ممتدحاً بها حضرته وهي هذه: خلل الغرام وداوه بالياس إلخ؛ وجنابه حال الإنشاد يتأثر تواضعاً من المديح (انتهى بتلخيص).

(٢) حريضة بلدة من أعمال وادي عمد بحضرموت قال الإمام ابن عبيد الله في المعجم: إنها سميت باسم قبيلة من حمير وقيل: إن أصل تسميتها قريضة وكان يسكنها اليهود ثم أسلموا ثم ارتدوا إلى اليهودية وبقوا عليها إلى زمن المهاجر أحمد بن عيسى (انتهى بتلخيص).

(٣) سبقت ترجمته.

حَلَّ الْفِرَامَ وَدَاوَهُ بِالْيَاسِ وَتَنَاسَ عَهْدَ الْفَاتِنِ الْمِيَّاسِ^(١)
 مَاذَا لَقِيتَ مِنْ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى غَيْرَ الضَّنَا مِنْ شِدَّةِ الْوَسْوَاسِ
 تَشْكُو الْبِعَادَ إِلَى الْخِرَادِ كَأَنَّمَا تَشْكُو إِلَى الْحَجَرِ الْأَصَمِّ الْقَاسِي^(٢)
 كَمْ ذَا تَكَابُدُ مِنْ جَوَىِّ وَكَآبَةِ وَأَذِيَّةٍ وَبَلِيَّةٍ وَتَقَاسِي
 أَتْلَفْتَ وَقَتَكَ فِي الْهَوَى وَأَذَلْتَ فِي حُبِّ الْمَلَّاحِ جَوَاهِرَ الْأَنْفَاسِ^(٣)
 وَالْعَمْرُ رَأْسَ الْمَالِ إِنْ لَمْ تُفْنِهِ فِي الْبِرِّ رُحْتَ ضَحِيَّةَ الْإِنْفَاسِ
 فَدَعِ الْعَوَايَةَ وَالْبَطَالََةَ جَانِبًا وَاخْذَرِ مِنَ التَّسْوِيفِ وَالْإِبْلَاسِ^(٤)
 وَانْهَضْ عَلَى قَدَمٍ لِإِدْرَاكِ الْعُلَى وَاقْتَدِ بِعَالِي الْهَمَّةِ الْعَطَّاسِ
 عَلَّمَ الْهَدَى غِيْظَ الْعِدَا جَمُّ الْجَدَا رَبُّ الْمَكَارِمِ وَالنَّادَى وَالْبَاسِ^(٥)
 فَلَقَّ الْهَدَايَةَ وَالسَّعَادَةَ نَوْرَهُ كَافٍ عَنِ الْقَمَرَيْنِ وَالنُّبْرَاسِ
 بَحْرُ الْمَعَارِفِ وَالْعَوَارِفِ وَالنَّقَى جَبَلُ الْعُلُومِ الْمَشْمَخِرُ الرَّاسِي
 زَاكِي النَّجَارِ وَطَاهِرُ الْأَنْوَابِ وَالْأَلَى آدَابِ وَالْأَغْصَانِ وَالْأَغْرَاسِ^(٦)
 كَنْزُ الْعَدِيمِ وَذَخْرُ كُلِّ مُؤْمَلٍ كَشَّافُ لَيْلِ الْجَدْبِ وَالْإِغْلَاسِ^(٧)
 رَبُّ الْعِزَايِمِ ذُو الْمَرَاجِمِ هُمُّهُ تَشْتِيْتُ شَمَلَ الْمَالِ بَيْنَ النَّاسِ
 يَغْرَى مِنَ الْأَمْوَالِ لَكِنْ يَكْتَسِي حُلَلَ الثَّنَاءِ وَهَنْ خَيْرُ لِبَاسِ

(١) بالياس: بالياس والإعراض. المياس المائل تبخترًا.

(٢) الخراد: جمع خريد والخريدة البكر التي لم تمس قط.

(٣) أذلت: أهنت

(٤) الإبلاس: القنوط وقطع الرجاء.

(٥) الجدا: العطية.

(٦) النجار: الأصل.

(٧) الإغلاس: الإظلام.

ملأ البسيطة صيته وتذللت
 خطبته للعرز العناية مثل ما
 وسقته سابقة الفلاح مُداماً
 تلك المدام هي اليقين وحقته
 فسَمَتْ إلى الملكوت منها روحه
 كُشِفَ الغطاء لعينه لَمَّا صفا
 وكذاك من جعل العبادة قوته
 ومشى على سنن الهدى متسماً
 سبحان من قَسَمَ الحظوظ لحكمة
 يا أيها العلم الذي لم ينحصِرْ
 واناك ذو خجل لأن مسيره
 جَلَبَ الجمال إلى عمان وما على
 واقبل «فدى لك حاسدوك» قصيدة
 وانسلم ودم للمجد قرّة عينه
 لسموه الكبراء بعد شماس^(١)
 خُطِبَ المناجِي ليلة المقباس^(٢)
 خَفِيَتْ لرقتها عن الجلاس
 وافاه دائرها بملء الكاس
 وغداً بها مستغرق الإحساس
 من غيبه ونأى عن الأرجاس^(٣)
 والسرّ طهره من الأذناس
 بالسير إثر السادة الأكياس^(٤)
 بتفاوت في الناس بالقسطاس
 لي مدحه بالعدّ والمقياس
 بالرجل لا بالعين أو بالرأس
 ذي القلّ في مجهوده من باس^(٥)
 من صادق فضحت فروع الآس
 ونفوس من عادى عُلاك خواس^(٦)



-
- (١) شماس: شرود وجموح.
 (٢) يشير إلى اصطفاء الله تعالى لنبية موسى ﷺ حين ناجاه بالطور وآنس موسى من جانبه ناراً وأمل أن يأتي لأهله منها بقبس لعلمهم بصطلون.
 (٣) غيبه: غيمه يريد به ما يغشى القلب من الشواغل. الأرجاس: الأقدار. يريد بها الأغيار.
 (٤) الأكياس: الفطنين الحاذقين.
 (٥) يريد أن عمان مشهورة بالجمان فلا يجلب إليها.
 (٦) خواس: منتقصة.

القصيدة التاسعة عشرة

لصديق من يافع

وهذه القصيدة قدمتها لصديق من يافع^(١)؛ جواباً عن كتاب يستشير فيه؛ عما يُعرَفُ منها؛ وأنشأتها في سنة ١٣٢٧هـ.

لغاياتِ المكارِمِ والمَساعي	توجَّهْ مُسرِعاً يابنِ الضبَاعِي
وَصُنْ شرعَ النبيِّ بكلِّ حُرِّ	كَمِيَّ باسِلٍ بَطَلٍ شُجاعِ
ودافعِ عن حريمِ الدِّينِ مهما	عَدَا عادٍ وبالغِ في الدِّفاعِ
ولا تُخشَى وأنتَ له نصيرٌ	بحولِ الله من شرِّ الضَّياعِ
لقد حَصَّنْتَهُ بشديدِ باسٍ	وأردَيْتَ العِدَا يومَ القِرَاعِ
بجأشٍ رابِطٍ ونفوذِ رأيٍ	بلغتَ إلى العُلَى وبطولِ باعِ
وشبَّدتَ المفاخرَ والمعالِي	بنفيسٍ لا تميلُ إلى المتاعِ
وكم غَمَزتَ جواسيسُ الأعداي	قَنَاتِكَ واستمألوا بالخِداعِ
فما ظفروا بشيءٍ منك إلا	بإعراضٍ وسَمعٍ غيرِ واعي
حفظتَ لدولةِ الأتراكِ حقاً	وكنْتَ لعهدِها نِعَمَ المُراعِي

(١) كأنَّ هذا الصديق من سلاطين يافع وأنه استشار الإمام ابن عبيد الله في مسألة تأييد الأتراك والانضمام إلى جيش علي سعيد باشا الذي احتل لحجاً أو الإبقاء على موالاته الإنجليز فنرى الإمام يحرضه على مساندة الأتراك الذين احتل جيشهم الصغير لحج ثم قرر الزحف على عدن وأعد الإنجليز العدة لمغادرتها لولا انهزام الأتراك في الحرب العالمية وإصدارهم الأوامر للجنرال علي سعيد باشا بتسليم لحج للإنجليز حسب شروط الصلح في الحرب.

فمدَّ لها يمينك علَّ تحظي بنفع من علاها وانتفاع
وبايغها وشدَّ عرى التآخي وذن لسُموها بالاتباع
فقد نهضتْ بهمتها وكانت بمنخفضٍ فعادت في ارتفاع
وصارت بعد أن خيفتْ زماناً لعهد الجورِ ساطعة الشعاع

نشيد لطلاب مدرسة الشحر^(١)

منا لكم أسنى سلام أزكى من المسك الختام
ما نأخ في الروض الحمام وما بكت عينُ الغمام^(٢)
دمئتم وطالِعكم سعيد ولكم جميعُ الدهر عيد
والخيرُ يأخذُ في المزيد والسميُّ يجري للأمام
جِدُّوا فإنَّ اليُمنَ لآخ ونتيجةُ الجدِّ الفلاح
هذي تباشيرُ النجاح وعلى إلهكم التمام
صبراً ليُتمرَّ ما انقَرَسَ واللَّه يُحيي ما اندرَسَ
وازموا الموادِلَ بالخرس بثبوتكم في ذا المقام
هذا المقامُ هو الشرف ليس التقلبُ في التَّرف
والنومَ في ظلِّ التُّرف فحذارٍ من كَسَلِ اللئام
واستشـمروا أنَّ البلاد من قبلُ فيها العلمُ ساذ
ولذاك سُموها سُعاد قد أنجبتكم من هُمام^(٣)
منا لِمَن في ذا سَعَى ولمنْ أَعانَ تَطْوَعَا

(١) قلت هذه الأبيات في مدرسة الشحر سنة ١٣٤٠هـ.

(٢) الغمام: السحاب.

(٣) سعاد من أسماء الشحر ولهذا يقول الشاعر المحضار: بانلتقي في سعاد.

شكرٌ يمازجه الدُّعا ببلوغ أقصى ما يُرام
متوسلين إلى القبول بأبي المطهّرة البنون
وبها وبابنيها العُدول وبزوجها القرم الإمام^(١)



(١) القرم: السيد.

القصيدة العشرون

تهنئة بقدوم صديق (١)

قدومٌ له في طالع السَّعد أنجمٌ ووضُلَّ به ثغرُ الجَمَى يَتَبَسَّمُ
 وعيدٌ به عادَ السرورُ فيومُه يُقَرُّ لَهُ بِالْيُمْنِ من لا يُنَجِّمُ
 به انتعشتْ دُوحُ الرياضِ كأنما سَقَاها وحيَّاهَا من الغيثِ مُثَجِّمُ^(٢)
 ربيعٌ به تنمُو وتَزهُو زهورُها ففي كلِّ باعٍ منه ثوبٌ مُنَمِّمُ^(٣)
 وتلك الحمامُ الورقُ فوق غصُونها تغني بطيبِ الملتقى وتزَمِّمُ^(٤)

(١) وهي تهنئة بقدوم صديق سنة ١٣٢٤هـ ويعتقد المحقق أن هذا الصديق هو السيد حسين بن محمد الحبشي الذي زار حضرموت في هذه الفترة ويعزز هذا الاعتقاد ذكر الحطيم والبيت العتيق في القصيدة وفيه إشارة إلى محل إقامة الممدوح في مكة؛ وكان الإمام ابن عبيد الله يحبه ويقول: إن قدومه لحضرموت يجعل الأيام أعياداً. وقد ولد السيد حسين بن محمد الحبشي في حضرموت ثم انتقل مع والده إلى مكة وأقام بها إلى وفاته سنة ١٣٣٠هـ وتولى إفتاء الشافعية بمكة وهو أخو الإمام علي بن محمد الحبشي. وربما كان السبب في عدم ذكر اسمه كون الديوان طبع بعد وفاة الإمام ولم يعد أحد يتذكر أسباب إنشاء قصائد هذا الديوان.

(٢) دوح الرياض: أشجارها الكثيرة العظيمة. مثجم من الغيث: دائم لا يقلع.
 (٣) الباع: مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما. ثوب منمنم: مرقوم موشى. شبه به الزهور المزدهرة.

(٤) تزمم: الزمزمة الصوت البعيد تسمع له دويًا. هديل الحمام: صوته. أي تصويته. الترنيمة: تطريب الصوت والتغني به. غنت الحمام بطيب الملتقى ثم سلت عن تصويتها بالتلاقي. وأصبحت بعده تغني بالتهاني باللقاء.

سلت عن هديلٍ بالتلاقي وأصبحت
وألقَتْ رياحينُ الغياضِ كما مآها
وضاع الحمى نشرأ وما تم عنبرُ
نُهَيْك بالمأتي السعيدِ الذي به
قَدِمَتْ قدومَ الغيثِ فاهتَزَّت الرُّبى
وفيكِ التقى لطفٌ وروحٌ خفيفةٌ
وجِدُّ لإدراكِ المكارمِ والعُلَى
فيا أيُّها الشهم المليح الذي على
لقد طال تسالِّي الرفاقِ لِلوَعْتِي
ومنذ افترقنا والفؤادُ متيِّمٌ
أخاف الردى من حُرقةِ البينِ والنوى

عقيبَ المراثي بالتهاني تُرْنَمُ^(١)
فضاءُ بها الغاباتُ والليل مظلمٌ^(٢)
ولكنَّ رَيَّا الملتقى تتنَسَّمُ^(٣)
تبشرنا من قبل لِهَبِّ وتُقْسِمُ^(٤)
وأنتِ وأضحت فيك تَثْرَى وتنعمُ^(٥)
وظرف بلا قيدٍ وفضلٌ مسلمٌ
ولا شك أن الجِدَّ للفوز سُلَّمٌ
مُحيَّاه للإقبال واليمن ميسَمٌ^(٦)
إليكِ وقلبي ناره تَنْضَرَمُ
مُعْنَى ودمعي في المحاجر عَندَمُ^(٧)
ولكن خيالٌ منك عندي مخيَّمٌ

(١) ترمزم: الزمزمة الصوت البعيد تسمع له دويًا. هديل الحمام: صوته. أي تصويته. الترنيم: تطريب الصوت والتغني به. غنت الحمام بطيب الملتقى ثم سلت عن تصويتها بالتلاقي وأصبحت بعده تغني بالتهاني باللقاء.

(٢) الغياض جمع غيضة وهي البقعة الكثيرة الأشجار والكمام أوعية الثمر. الغابات جمع غابة وهي الأجمة ذات الشجر المكثف لأنها تغيب ما فيها. وضاع نشر الحمى: فاحت وانتشرت رائحته الطيبة. الريا: الرياح الطيبة.

(٣) الغياض جمع غيضة وهي البقعة الكثيرة الأشجار والكمام أوعية الثمر. الغابات جمع غابة وهي الأجمة ذات الشجر المكثف لأنها تغيب ما فيها. وضاع نشر الحمى: فاحت وانتشرت رائحته الطيبة. الريا: الرياح الطيبة.

(٤) لِهَبُّ: قبيلة زعموا أنها أعنف العرب وأعرفهم بزجر الطير ومن ينسب إليها يسمى اللهبي.

(٥) الربى: جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض وزرعها أجمل الزرع وأشرفه. أنت: كبرت والتفت أشجارها. تثرى: تفرح وتسرُّ يريد أصبحت في قدمك إليها تفرح وتنعم.

(٦) ميسَم: أثر الوسم أي علامة.

(٧) عندم: هو المعروف بدم الأخوين.

يهُونُ من وجدي وأشكو له الجوى ونحن سكوتٌ والهوى يتكلمُ
لئن ساءني دهري بوحشة فرقةٍ فتكفيرها هذا القدومُ المكرمُ
قدوم كأن الزُّهرَ كنَّ نثاره تساقط منها فيه مَدُّ وتوأمٌ^(١)
ليهنك يا سيونُ أروعُ ماجدٌ نجيبٌ له من قِمة الفهم أسهم
تَبَوَّأ من جِجر الحطيم مقاعداً وشرفه البيتُ العتيقُ المعظمُ
وحلَّ من البطحاءِ أوسطَ منزلٍ ودرَّت له بالفضل والتُّبيل زَمزُمُ
فلا زال في أمنٍ وخفيضٍ ونعمة تخفُّ به الألفاف والسعد يخدمُ



(١) الزهر: النجوم الزهراء. فذ: واحد. توأم: اثنان وأكثر.

القصيدة الحادية والعشرون

تهنئة بقدوم شاب نشيط إلى سيؤون سنة ١٣٣٢هـ

ملاً الوجوه نداءً البشير من السنا
وحشى صدور الوامقين مسرةً
وأسرّ طلاب المعلوم لأنهم
طارت قلوبهم ابتهاجاً وأنثنوا
يا طالما اقترحوا على أيامهم
وأبى الزمان وفائقهم لكئه
فلتنتعش بمحمدٍ أمالهم
أهلاً بحامل راية الشرف الني
عشيق الفخار وجدّ حتى حازه
جوابُ أرض الله لا ينفك من
بمعزيمه كُبرى وعالي هممةً

وشفى النفوس من الصّباية والضنى^(١)
وشجى قلوب الحاسدين وأحزنا^(٢)
ذاقوا اللذيذ الحلو من ذاك الجنى^(٣)
يثلون آيات التهاني والثنا
حراً ومدوا لاجتلاء الأعيننا
قد جاء معتذراً ليمنحو ما جنى
وليبلغوا بقدومه أقصى المنى
من أجلها باع الترقئة بالعفا
وسعى له سعي المجد بلا ونا^(٤)
سفر لإدراك الملى إلا انثنى
ألف الوجا وعلى الجهاد تمرنا^(٥)

(١) ندا البشير: نداؤه. السنا. الضياء. الصباية: رقة الشوق. الضنى: المرض الشديد.

(٢) الوامقين: المحبين. شجى: أحزن.

(٣) أسرّ: لم نقف على استعمال أسر بمعنى سر.

(٤) بلا ونا: بلا توان.

(٥) الوجا: شدة الحفا.

والمجدُ معتاصٌ على من شاءه
ونفي الرُقَادَ وحاد عن طيبِ الكرى
أهلاً بمن جعل المصوِّرُ ذاته
كرماً وإحساناً وظرفاً وافرأ
ولطافةً وصباحةً وفصاحةً
ومعارفاً ذرَّتْ له أخلافاً
ربَّاهُ والدهُ وثَقَّفَ خُلُفَه
أهلاً بمن يروي الندى عن أهله
مَلَّؤُوا القلوب من الجلال وأعجزوا
وافيتنا يابن الشجاع وحزبنا
بطل غيور يلمعي نافيذ
حرَّ الضميرِ مجاهرٍ بالصدق إن
وافٍ على الحالين يضمنُ خيمه
ولربِّ خيلٍ في الرخاء نمده
بيننا نفتشُ عن خليلٍ جامع
وأعزُّ على نصرِ الهدى فلنضره
بالبيناتِ كسفت ربَّ ضلالة
وعزبتُ بالتحقيق حتى دبَّ في النَّد

إلا إذا ضحَى الأمانى والهنا^(١)
ورأى القتادَ من النمارقِ ألينا^(٢)
للحسَنِ والحسنى مثلاً بيِّنا
وحجى وآداباً وخلقاً ليِّنا
وبراعةً وبراعةً وتفئنا
والعلمُ للإنسانِ أفضل ما اقتنى^(٣)
وبحسُن نيته أقرَّ الأغينا
وهم الأولى للفضل كانوا مغدنا
عن شكرهم أقلامنا والألسنا
في حاجةٍ لفتى يقوي ما بنى
يقظ إذا اشتبه الصوابُ تَقَطَّنَا^(٤)
كتم الحقيقة ذو نفاق أعلننا
أن لا يلينَ لغامزٍ أو يجبنا^(٥)
عضداً إذا نزل البلاءُ تلوننا
تلك الفضائلَ إذ قدمت فقل أنا
قد صار لي حسبٌ اقتداري ديدنا
وأنتيت بالحقِّ الصريحِ مبيننا
شء الشعورُ بفضل هذا الاعتنا

(١) معتاص: شديد شاق.

(٢) القتاد: شجر ذو شوك ضخمة. النمارق: الوسائد.

(٣) أخلافاً: ضروعها جمع خلف.

(٤) يلمعي: ألمعي.

(٥) خيمه: شيمته وطبيعته.

فاستاء حسادُ الصلاحِ وفوّقوا
 وتفنّنوا في الاختلاقِ وأعوّزوا
 حسد توكن في هشيم صدورهم
 لا عارَ يلحقني فعرضي طاهرٌ
 فلأصبرنَّ على الأذى صبرَ الألى
 واللّه أسأل أن يوفّقنا لما
 وعلى النبيّ وبينته ووصيّيه
 وبكى الغمامُ وفاح بالمسك الختا
 نحوى السهامَ وحاولوا أن أذهنا^(١)
 عيباً به يجدون فينا مطمنا^(٢)
 والحرُّ مثلي حربُ أبناءِ الزنا^(٣)
 ما مسّه دنسُ الدناءةِ والخننا
 عدّوا العنا في المجدِ أمراً هيّنا
 يرُضي ويرحمُ كلَّ عبدٍ أمنا
 وابنيهما التسليمُ ما اهتزّ القنا^(٤)
 مُ وطارح الساقُ الحمامَ بالغنا^(٥)



(١) أدهن: أنافق.

(٢) أعوزوا: احتاجوا.

(٣) توكن: تمكن في صدورهم الهشيمة التي يبس ما فيها وبلي.

(٤) القنا: الرماح.

(٥) الساق: هنا الغصن ولاهتزازة حفيف يشبه غناء الحمام.

القصيدة الثانية والعشرون

في جماعة من أهل سيؤون

وهذه بمناسبة عود جماعة من أهل سيؤون^(١)؛ كانوا على رأينا في إنكار الخرافات؛ والشدة على أهل الدعاوى الكاذبة؛ غير أنهم لما جدَّ الجدُّ؛ خضعوا لبعض القول؛ والتحفُّوا بثوب الدهان؛ وأخذموا^(٢) على العار؛ فكأنما نصبونا للعداوة؛ ثم انهزموا. فأكرمناها عنهم؛ ولم نقدِّمها لهم؛ وبقينا نجدُّ في شوطنا الطويل، غير مبالين بانحرافهم؛ مع الاعتماد على الدليل.

بَعْدُكُمْ كُلُّ ذِي وَدْيَهْنَيْنَا إِذْ قَرُبُكُمْ عِنْدَنَا أَقْصَى أَمَانِينَا
سُرَّتْ قُلُوبٌ مُحَبِّبِنَا بَعُودِيكُمْ وَعُصَّ بِالرَبِيقِ شَانِيكُمْ وَشَانِينَا
لَيْتَ الْأَلَى هِنُونَا بِالْقَدُومِ مَضُّوَا مِنْ فَوْزِهِمْ لِأَعَادِينَا مَعَرِّبِنَا
نَسَائِلُ اللَّهِّ فِي أَيَّامِ غَيْبَتِكُمْ طَيِّبِ الْبِعَادِ فَقَالَ الْيُمْنُ آمِينَا
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَوْضُ الْأَنْسِ يَانَعَةٌ أَثْمَارُهُ يُقْلُّهَا أَدْنَى الْأَفَانِينَا^(٣)
مَا كَانَ أَحْوَجَنَا فِي خَفْضِ عَيْشَتِنَا لِوَصْمَةٍ مِنْ سَهَامِ الْعَيْنِ تَكْفِينَا^(٤)
لَكِنْ وَقَايَةُ مَوْلَانَا وَقَوْتُهُ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ الْأَسْحَارِ تَحْمِينَا

(١) سيؤون مدينة كبيرة بحضرموت وكانت عاصمة للدولة الكثيرية وقد ذكر الإمام في الجزء الثالث من مخطوطة بضائع التابوت أسماء بعض هؤلاء القوم.

(٢) أخذموا: سكنوا إليه.

(٣) ثقلها: حملها الثقيل لكثرتة؛ أدنى أغصانها من الأرض. الأفانين جمع أفنان وهو جمع فنن وهو الغصن.

(٤) لوصمة: لعيبة فينا تكفينا شر حسدهم.

أَعَادَ نَعْمَتَنَا الْبَارِي بِحَيْطَتِهِ
 قَدُومِكُمْ كَالْحَيَا لَكِنْ صَوَاعِقُهُ
 أَذَوْتُ غُصُونُ الْمَعَالِي بَعْدَ بَيْنِكُمْ
 وَقَدْ عَرَفْتُ الْأَخْلَاءَ وَاخْتَبَرْتُهُمْ
 الْفَيْتُكُمْ لَا يَحُولُ الْعَهْدُ عِنْدَكُمْ
 وَلَمْ يَفِضْ عِنْدَكُمْ مَاءُ الْوَفَاءِ إِذَا
 أَعْيَا طَلِيبِي خَلِيلًا لَا وَهَانَ لَهُ
 أَحْلَافُ صَدْقٍ لِغَايِ الْمَكْرَمَاتِ جَرَوْا
 وَأَرْخَضُوا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا بَخَلَتْ
 أَهْلُ الْوَفَاءِ وَإِخْوَانُ الصَّفَاءِ وَمَنْ
 وَانْفَيْتُمْ وَقُصَارَى مَا نُوْمَلُّ أَنْ
 وَتُسَعِدُوا حَزْبَنَا هَذَا الْمَنَاظَ بِكُمْ
 حَزْبٌ مَشَى خُطُواتٍ فِي مَدَارِجِهِ
 هَا قَدْ وَقَفْنَا لِنَصْرِ الْحَقِّ أَنْفُسَنَا
 نَدْعُو الْعِبَادَ إِلَى هَذِي الرِّشَادِ وَمَا
 وَقَدْ كَشَفْنَا بِأَنْوَاعِ الْأَدْلَةِ مَا
 فَقَوَّضَ النَّصُّ مَا شَادُوهُ مِنْ كَذِبٍ
 وَتَلَّكَ عَنْ عُوذِ الرَّاقِبِينَ تُغْنِينَا^(١)
 عِنْدَ الْعِدَا وَالنَّدَى يَغْشَى الْمَسَاكِينَا^(٢)
 فَجَيْتُمْ لِعُرُوقِ الْجُودِ مُخَيِّنَا^(٣)
 فَلَمْ أَجِدْ مِثْلَكُمْ فِيهِمْ وَفِينَا
 مَهْمَا رَأَيْنَا مِنَ الْأَصْحَابِ تَلْوِينَا
 مَا غَاضَ عِنْدَ الْأَخْلَاءِ الْمُدَاخِينَا
 فَسَاقَ حَظِّي لِي الْغُرَّ الْمِيَامِينَا
 وَفِي مِيَادِينِهَا جَاؤُوا مُجَلِّينَا^(٤)
 بِهِ الْوَرَى وَسَعَوْا سَعَى الْمَجْدِينَا
 إِذَا دُعُوا لِلْعَلَى جَاؤُوا مُلْبِينَا
 تُعَاوَنُونَا عَلَى إِصْلَاحِ وَادِينَا
 أَلَسْتُمْ لِمَبَانِيهِ الْأَسَاطِينَا؟
 وَزَادَهُ اللَّهُ تَأْيِيدًا وَتَمَكِينًا
 وَبِالْبِرَاهِمِينَ بَيْتَاهُ تَبْيِينًا
 بِغَيْرِ سِنَّةٍ طَهُ نَحْدُمُ الدِّينَا
 غَطَّتْ بِهِ الْحَقُّ أَوْهَامُ الْمَرَائِينَا
 وَبَانَ تَمْوِيهُهُمْ عِنْدَ الْمَرِيدِينَا

(١) عوذ: جمع عوذة وهي ما يتعوذ به من العين ونحوها.

(٢) صواعقه عند العدا تصيبهم بمرماها.

(٣) أذوت: ذبلت.

(٤) لغاي المكرمات: لغاياتها مجلينا: أسبق من سواهم وفي الأصل مصلينا ولعله تصحيف

والأنسب ما أثبتناه.

وكم أرادوا انثنانا عن طريقتنا لكنهم ما رأوا في عُودنا لينا^(١)
 فهاجرونا وراموا ضُرنا وبَغُوا وافترَّ أذنبُهم في طعنهم فينا
 قالوا ابتداعٌ وسحرٌ فعلنا وكذا مَنْ قبلهم قيلَ هذا للتَّبِيينا
 سيان إن رَضِيوا عنا وإن سَخِطُوا إذ كان عَنَّا كرام الخلق راضينا^(٢)



(١) انثنانا: انثناءنا.

(٢) رَضِيوا: الصحيح لغةً رضوا.

القصيدة الثالثة والعشرون

في ابنه الأديب الشاعر حسن (١)

دُمْتُ فِي نَعْمَةٍ وَجِرْزِ أَمَانٍ قَدْ أَعْذَنَّاكَ مِنْ عَيُونِ الزَّمَانِ
 بِعَلِيٍّ وَزَوْجِهِ وَبِنَيْبِهَا وَأَبِيهَا وَسَبْعِ أَوْ ثَمَانِ
 لَا تَخْفِ شَرَّ حَاسِدٍ مَعَ هَذَا فَعَلَى الطَّيِّبِينَ غُرْمُ الضَّمَانِ
 سَرَّنَا مِنْكَ مَا يَبْشُرُ بِالْعُقْبَى قَرِيضٌ أَتَى كَعِمَقِ الْجُمَانِ^(٢)
 فَالْمَعَانِي كَأَنَّهُنَّ الْغَوَانِي وَالمَبَانِي كَدَرٌ بِحَرِّ عُمَانِ
 وَالمَعَالِي تَزْهَوُ بِقَرِيبِكَ إِذْ كَا نَتِ يَمَانِيَّةً وَأَنْتِ يَمَانِي
 نَتَمَنَّى عَلَى الزَّمَانِ أَدِيباً فَتَجَلَّى لَنَا بِصَيْصُ الْأَمَانِي^(٣)
 خَوَّلْتَنَا بِكَ اللَّيَالِي جَمِيلاً فَلَهَا الشُّكْرُ وَاجِبٌ رَغْمَ مَانِي^(٤)
 شَرْنَا أَرْبَاباً مِنْ بَعْدِ شَرِّي فَهَذَا غِبُّ جَذْبِ الْعِجَافِ خِضْبُ السَّمَانِ^(٥)
 فَعَسَى أَنْ يَكُونَ فِيكَ عِزَاءٌ عَنْ رِفَاقِ فُتْقَدَانِهِمْ قَدْ رَمَانِي

(١) لم يذكر في الأصل اسم الممدوح لكنني توقعت من معنى القصيدة؛ أن يكون خطاب الإمام موجهاً لابن الإمام الشاعر الأديب حسن وقد سبقت ترجمته ومما يعيب الطبعة الأولى للديوان هو خلؤها من التعريف بسبب إنشاء الكثير من قصائد الديوان.

(٢) الجمان: اللؤلؤ أو قطع من الفضة كالدرر.

(٣) بصيص الأمانى: بريقها ولمعانها.

(٤) ماني: كاذب.

(٥) شرن أرباباً: اشتريين عسلاً من بعد شري: شجر الحنظل. غب: عاقبة.

فأنا اليوم سيئ الحال في النا س كلامي يحتاج من ترجّمان^(١)
 بين قوم نفعتهم فابتغوا لي الضرّ واللّه من أذاهم حماني



(١) الإمام في كلامه وشعره وخطبه يشابه فحول الأدباء والخطباء والشعراء والعلماء والمفكرين من أمثال الأصمعي والبحتري والجاحظ والمفكرين والمتكلمين مثل الفخر الرازي والغزالي والمفكرين الاجتماعيين مثل ابن خلدون ومن يقرأ اليوم كتب الإمام وخطبه يعرف أنه لم يوجد في عصره من يماثله في كلامه وكتابه وفكره لا في مصر ولا العراق والشام ولا أي بلد آخر فكيف بحضرموت التي ينعدم فيها الأدباء والشعراء والخطباء والمفكرين فلا بدّ لهذه الفجوة أن تجعل الإمام يعيش وحيداً في بلده إضافة إلى ما يتعرض له في بلده من عداوة وأذية وبشكل متواصل.

القصيدة الرابعة والعشرون

لمنقطع الوصول (١)

وهذه في حدود سنة ١٣٤٣هـ؛ بشأن أحد الفضلاء توجه إلى الحجاز فما استطاع الوصول.

أقبلت تجذبُ الحُداة بُراها بنجيبٍ من هاشمٍ في ذراها^(٢)
طالبٌ واصلَ الجهادَ فما من لُقحة للعلوم إلا مراها^(٣)
ما قلَى زوْرة البطاحِ ولكن لم يُطقُ في استيائها أن يراها^(٤)
رحمةً ما زججتَ صريحَ يقينٍ فتراءتَ له حياةً نراها
ليس يقوى من فيه أدنى حنانٍ أن يراها على الذي قد عراها
منظرٌ منه أيُّ جفنٍ محبِّ بقيت فيه دمةً ما ذراها
رحلة تشهدُ اللوائح أن الـ فوز فيها فلا يُذامُ سراها^(٥)
مثلها فيه أنزلت سورة الـ فتح على إثرها النبي قراها
ولموسى وللخليل شؤونٌ يتسلى بذكرها من ذراها

(١) تسمية القصيدة لي وليست للإمام ابن عبيد الله (المحقق الثاني).

(٢) تجذب الحداة: تشد. بُراها: السرى والبراة جمع بُرة وهي الحلقة في أنف البعير.

(٣) اللقحة: الناقة الحلوب. مراها: مسح على ضرعها لتدر.

(٤) البطاح: بطاح مكة جمع بطحاء.

(٥) فلا يذام: فلا يعاب السير فيها.

هكذا تُترك العروس إلى الو قت الذي ناسب الزفاف كَرَاهَا^(١)
 ما لنا قط خيرةً فلنُسَلِّم في القضايا لحاكم قد بَرَاهَا
 كلنا من تهامة في عَرام فمتى تجتلي العيونُ قُرَاهَا^(٢)
 وقفَةٌ لو تُسَامُ فيها لصبُّ مستهامٍ بروحه لأشْتَرَاهَا
 ومن الخمسة الكرام على البعد دلنا ذمةً شدذنا عُراهَا
 عندهم تسرُّحُ النفوسُ فتحظَى من شآبيب فضلهم بِقِرَاهَا^(٣)
 فعلیهم تثرى التحیاتُ مهما رفَّ برقٌ بمزنةٍ قَفَرَاهَا^(٤)



(١) كَرَاهَا: كَرَأُوهَا أي تأخيرها إليه؛ يقال: أكرى العشاء: أي أخره والاسم الكراء.

(٢) تهامة: أرض الحجاز.

(٣) شآبيب: جمع شؤبوب وهو الدفعة من الطر وغيره. القري: الضيافة.

(٤) تثرى التحيات: أي فعلیهم التحيات متتابعة. رفَّ البرق وميضه. المزنة السحابة وفريها قطعها أجزاء.



قسم التركيبات

Vertical line on the left side of the page.

Faint horizontal text at the top of the page.

Faint text in the center of the page.

Faint horizontal text at the bottom of the page.

Vertical text on the right side of the page.

قسم التركيات

وهذا قسم التركيات؛ على ترتيب الزمان؛ وما زلت من نشأتي رابط الأمل بالدولة العلية؛ واطناً عَقِبَ فخر وادي الأحقاف؛ جدي محسن بن علوي بن سقاف؛ فإنه لما اكتنَّظ الوادي بالجور؛ لم يدع باباً إلا قرع، ووقف نفسه للصلاح، حتى تكَلَّل عمله في النهاية بالنجاح، فقد أقعد دولة؛ وأقام أخرى؛ مع فقره وضعفه، ولما قدم أحمد مختار باشا إلى صنعاء؛ اختلفت بينهما البُرْدُ وتبدلت الكتب؛ وغرضه من الباشا؛ التوسُّل لاستيلاء الدولة العلية على حضرموت؛ لإصلاحها وتأمينها وإقامة العدل في ربوعها، ولهذا الغرض نفسه انعقدت الصداقة بينه وبين السيد إسحق بن عقيل بن عمر بن يحيى^(١)؛ وامتدحه بالقصائد؛ وتجنَّسَّ السفر في لُقْيِهِ إلى الشحر؛ لعله سنة ١٢٦٧هـ^(٢)؛ وهي الغزوة المعروفة بغزوة مريز؛ وذلك أن السيد إسحق؛ جاء مع أربعمائة من الأتراك؛ من جِدَّة؛ وفي معيتهم الأمير عبود بن سالم^(٣)؛ ونزلوا بخور شرمه؛ لاضطراب

(١) تولى السيد إسحاق مشيخة السادة بمكة سنة ١٢٤٣هـ وكان شخصاً مهاباً وشجاعاً وحظي بثقة ومحبة السلاطين العثمانيين والاحترام الشديد من قبل الولاة العثمانيين بالحجاز مما أثار عليه حفيظة أمير مكة الشريف عبد المطلب الذي كان مغتاضاً منه أيضاً لأنه كان يؤيد تعيين الشريف منصور بن يحيى للإمارة بدلاً منه فقبض عليه وأحضره إلى الطائف وحبسه بالقلعة وأخرج منها ميتاً وكان ذلك سنة ١٢٧١هـ.

(٢) من مصادر أخرى كانت الحملة التركية سنة ١٢٦٦هـ.

(٣) الأمير عبود بن سالم هو خال السلطان غالب بن محسن الكثيري مؤسس الدولة الكثيرة الثانية وكان مقيماً مع السلطان في الهند ثم بعثه إلى حضرموت لتأسيس الدولة فكان له دور أبي مسلم الخراساني في تأسيس الدولة العباسية فقد قام بعقد المعاهدات والتحالفات مع القبائل واتصل بالأتراك عن طريق السيد إسحاق بن يحيى وخاض الحروب حتى قامت =

الموج بساحل الشحر؛ وكان الوقت خريفاً؛ ولما نزلت العساكر هزمهم آل بريك؛ فعادوا إلى المراكب؛ وذهبوا إلى «قصر»؛ وغرقت إحدى سفنهم؛ وجاءت أمداد آل كثير من حضرموت؛ ونزلوا «دفيقة»؛ قريباً من الشحر؛ في جمع منهم ومن آل العمودي؛ والصيعر؛ ونهد؛ والعوابثة؛ والحموم؛ وحصل على الشحر حصر شديد من الأتراك بحراً؛ ومن أمداد آل كثير برأ.

ولما سكن هيجان البحر؛ اقتربت مراكب الأتراك؛ واتصلت بآل كثير في «دفيقة»، وفي تلك الأثناء انعقدت معاهدة؛ بين الأمير صلاح بن محمد الكسادي؛ وآل بريك؛ فجاء الكسادي بعسكره؛ ولاقاهم آل كثير بموضع يقال له مرير؛ فانتهدت المعركة بهزيمة آل كثير؛ وذهبوا عباديد^(١) إلى حضرموت على وجههم؛ ولم يرجعوا إلى المعسكر؛ وما بقي به إلا الترك والحموم.

وفي الليل ذهب الأتراك والسيد إسحق إلى جدة؛ وعاد من بقي معهم من القبائل إلى حضرموت، ثم إن الكسادي خرج مهاجماً إلى «دفيقة»؛ هو وآل بريك؛ فوجدوا المعسكر خالياً، ومن النوادر أن قوماً من جهة الكسادي؛ حاكم المكلا؛ عرضوا لجدي ورفاقه؛ مخرجهم من الشحر بالفشل؛ في تلك الغزوة. فأمر جدي بصك الإبل؛ حتى سبقوهم إلى الماء؛ ثم شاء إرهابهم؛ فأمر منادياً معه جهير الصوت؛ يقال له «حسن فضل»؛ أن يقول: أيها القوم إنكم عشانا؛ فقال: أيها القوم إننا عشاكم؛ ثم تحاجز الفريقان واصطلحوا على المتاركة.

وقد صدرت أوامر الباب العالي؛ إثر ذلك؛ بتجريد حملة إلى البندرين وحضرموت؛ فاستاء الإنكليز من ذلك؛ وكان قد احتل عدن؛ فرشى شريف مكة لذلك العهد؛ حتى صرف نيّة الدولة؛ وأشار بإرسال العساكر أولاً لحرب اليمن؛ فوافقت؛ وأنزلت الذخائر المعدة لحضرموت بالحديدة؛ على نيّة استئناف الغارة

= الدولة الكثيرة لكنه لم يكن سياسياً محنكاً وكان شديد الرطاة على العلويين والعلماء ثم قتل بخديعة دبرها القعيطي.

(١) هي الفرق من الناس والخيل الذاهبون في كل وجه.

بعد إخضاع اليمن؛ وما زالت هنالك حتى أفسدها كر الجديدين؛ وذهبت أدراج الرياح.

ومع تردّد الأشراف علينا من «أرب»؛ اتصلت المكاتبات بواسطتهم؛ بيننا وبين الوزير محمود نديم باشا؛ ولم تزل في جيئة وذهاب؛ حتى فتحت «الحج»؛ فأشار علينا أن تكون المخاطبات؛ عن طريق القائد المنصور بها علي سعيد باشا.

ثم إن جدّي لا يقدر في إمارة أئمة اليمن؛ ولم يتجّه نحو الأتراك؛ إلا بعد أن كاتب الحضرة الأماميّة؛ هو ورفاقه؛ سيدنا الحسن بن صالح؛ وسيدنا عبد الله بن حسين بن طاهر؛ وغيرهم؛ فحالت الظروف دون المساعدة^(١).

ومن المعلوم عندنا في الفقه؛ جواز التعدّد؛ إذا انقطع نصر الإمام وغوئه عن البلد؛ فهو مع ارتباطه بأهداب الخلافة العثمانية؛ يعترف بصحة الإمامة اليمانية الزيدية؛ وقد تأثرنا ما قاله الفقهاء عن ذلك؛ في جوابنا على مؤتمر الخلافة بمصر^(٢)؛ لما استدعانا للحضور سنة ١٣٤٤ هـ. وقد سرّنا عقده؛ لأنه الأول من نوعه؛ في المهم الذي لا يخرج كل مسلم عن الحرج؛ إلا بالقيام به؛ ولكننا نلومه على تكتمه بأخباره؛ وليّه بمواعيده. فقد اقتطع على نفسه مواصلة

(١) كان بعض كبار العلويين السابقين يعتبرون أئمة اليمن الزيدية من المبتدعة خصوصاً وأن المذهب الزيدي يعادي الصوفية رغم أن الزيدية عند احتلالهم حضرموت وقضائهم على الدولة الكثيرية الأولى لم يحدثوا أي تغييرات سوى منع قراءة راتب الحداد في المساجد وزيادة حي على خير العمل في الأذان؛ ولما اضطرت الأمور بعد ذلك في حضرموت اضطراباً شديداً لم يجد زعماء حضرموت مثل السيد محسن بن علوي السقاف وغيره بدأ من طلب العون من أئمة اليمن ومن محمد علي باشا لكن لم يبد أحد منهم أي اهتمام بتولي أمور حضرموت.

(٢) بعد أن أسقط كمال أتاتورك الخلافة العثمانية دعا الأزهر في سنة ١٩٢٦ إلى مؤتمر بالقاهرة لاختيار خليفة من بين الملوك المسلمين ودعا لحضور المؤتمر العلماء والأعيان واجتمع المؤتمر لكنه لم يتوصل إلى نتيجة ولا شك أن الإنجليز الذين كانوا يتحكمون في أمور مصر لم يكونوا راغبين في إعادة الخلافة الإسلامية.

العمل؛ ومعاودة النظر؛ ولو صحَّ منه الهوى؛ لأرشد للحِجَل؛ وعثر على وجه الصواب في هذا الأمر الجلل.

أما تقلُّب الأحوال بحضرموت؛ فإنه بالغالب راجع إلى أحوال العلويين؛ صلاحاً وفساداً، اجتماعاً وانقساماً؛ فمتى صلحوا استتبَّ النظام، وعاش الناس بسلام، ومتى انحرفوا وجاء الانقسام، تبعه الشر العام، وجاءت البلايا والآلام، ألا ترى إلى الدولة الكثيرة؛ كيف انحلت مراتٍ؛ ثم انتعشت كذلك، ومعيار ارتفاعها وانخفاضها ليس إلّا ما ذكرناه.

وكذلك دخول الوادي في قبضة اليافعيين؛ لم ينشأ إلّا عن افتراق الأمراء؛ المُتَسَبِّب عن تخاصم العلويين، ثم إن اضطراب أحوال يافع؛ وانشقاق عصاهم؛ وانقسامهم إلى طوائف؛ لم يكن إلّا عن جنس ذلك، فأصله اختلاف مشارب العلويين؛ وعمل كل فريق على اضطهاد الآخر والتشفي منه.

ثم إن خروج الوهابيين؛ لم يتسبب إلّا عن هزيمة أحد المناصب؛ لحقَّ من حقوق بعض السادة بحضرموت؛ وسكوت الباقيين؛ حتى اضطّر المهضوم؛ الضغط؛ إلى الذهاب إلى نجد^(١)، وكان حال الدول السعودية معه؛ كما قال سلامة بن جندل:

إنّا إذا ما أتانا صارحُ قَزَعُ كان الجوابُ له قَزَعُ الظنابيبِ
ثم الشر؛ الذي تمطّى الآن ليلهُ، واكتسح قصورَ المجد سيلهُ؛ إنّما نجم عن مداهنتهم؛ وانحرافهم وتخاذلهم؛ وانقسامهم؛ وتبئغ الأحساد بهم؛ وبغضهم للصدق وأهله؛ ومعاكستهم لفضلائهم والصادعين بالحق منهم؛ وتطلبهم لهم العيوب. فكل واحد يرمي الآخر بالمدر والحجر؛ ويختلق له العجر والبحر؛ ولا سيما قالة الحق منهم؛ فإنهم مبعوضون بينهم؛ بخلاف أهل التصنُّع والدجل؛

(١) هذه هي المرة الأولى التي أتعرف فيها على هذه المعلومة المهمة رغم متابعتي لكثير من كتب التاريخ حتى ابن عبيد الله نفسه لم يشر إليها بتفصيل في تاريخه.

وأهل الشراء؛ فإنهم مقربون عندهم؛ ومحبوبون لديهم؛ إلى حدّ العبادة؛ ومن
جزءٍ هذا؛ تكونت الأحزاب؛ وجاش بالشرّ كلُّ ميزاب؛ وإلى الله المشتكى وعليه
المعول.



القصيدة الأولى

أنشئت في سنة ١٣٢٧ هـ؛ وقد نشرت في إحدى كبريات الصحف^(١)؛
مشفوعة بتقريظ جزل من بعض فطاحل الكتّاب.

أغرى النعاسَ بعيني سالف الأرق	من فكرة بثّ فيها شاخص الحدق
تورّعتني آراء مفارقة	أمسيّت منها كغضن البانة القلق ^(٢)
وكلما رُمت قنص النوم في شرك	من الأمانيّ أعياني من الحرّق ^(٣)
لا شيء أفزع للصبر الجميل	من الأحزان تعرض للإنسان في العسق ^(٤)
أين السلو لنفسي بعد ما شهدت	عيني المليحة قد أشفت على الغرق؟
أم كيف يفرخ لي روع وقد سمعت	أذناي أناتها في آخر الرّمق؟ ^(٥)
مسكينة مُنيّت بالبؤس وانتبهت	ضراًؤها بعد ذاك المنظر الأنق

(١) من عيوب الطبعة الأولى للديوان إخفاء أسماء الأعلام التي أنشئت بسببهم هذه القصائد كما لم نعرف هنا اسم الصحيفة الكبرى التي نشرت هذه القصيدة وهل هي في مصر أو في أندونيسيا؟ ولا عرفنا من هم الأدباء المشهورين الذين علقوا على القصيدة؟ وقد حرمتنا هذه الطريقة المتخفية من كثير من المعلومات المفيدة.

(٢) القلق: المضطرب.

(٣) الحرّق: اضطرام النار وتحرقها.

(٤) العسق: ظلمة الليل. أفزع للصبر: أشد إفزاعاً وأكثر تخويفاً.

(٥) يفرخ لي روع: يذهب مني فزع وتسكن نفسي. الرّمق: بقية الحياة.

أَلَفْتُ يَدِي عِنْدَمَا جَسَّتْ تَرَائِبُهَا
 قَدَّتْ فُوَادِي بِصَوْتِ كَالسَّرَارِ لَهُ
 قَدْ أَعْوَزَتْ مِنْ بَنِيهَا مِنْ يَعَالِجُهَا
 وَلَمْ تَطْبُبْ نَفْسَهَا بِالْأَجْنَبِيِّ وَإِنْ
 وَاحَرَ قَلْبَاهُ مِنْ فَقْدِي أَخَا ثِقَةٍ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تُنَمِّي شِكَايَتُنَا
 إِلَى خَلِيفَةِ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ أَمِيرِ
 فِرْعِ الْمُلُوكِ اللَّهُامِيمِ الْأُولَى سَلَفُوا
 مَاتُوا وَأَحْيَاهُمُ التَّارِيخُ ثُمَّ أَتَى
 تَقَاسَمُوا خُطَطَ الْعَلِيَاءِ بَيْنَهُمْ
 زَانَ الْخِلَافَةَ فَاهْتَزَّتْ بِهِ وَرَبَّتْ
 لِلْمُلْكِ أَصْبَحَ تَوْرِيْدًا بُوَجْنَتِهِ
 جَمُّ الْعَطَاءِ طَوِيلُ الْبَاعِ أَنْمَلُهُ
 كَهْفُ الْعُفَاةِ وَغَيْثُ الْمَجْدِبِينَ فَلَا
 حَاوِي الْمَكَارِمِ يَلْقَى الْوَافِدِينَ عَلَى
 رَبِّ الْمَهَابَةِ مَنْ لَوْلَا بِشَاشَتُهُ
 دَقَاتِ قَلْبِي مِنَ الْأَوَاءِ مُحْتَرِقِي^(١)
 وَخَزُّ الْأَسْنَةِ بِالْأَشْجَانِ مُخْتَنِقِي^(٢)
 مِنْ دَائِهَا بَعْدَ أَنْ نَادَتْ عَلَى الطَّرِيقِ
 صَافِي تَخَافُ امْتِزَاجَ السُّمِّ بِالْمَرْقِي
 يُعِينُ فِي رَفْعِهَا مِنْ ذَلِكَ النَفَقِي
 إِلَى أَمِينِ الْإِلَهِ الطَّاهِرِ الْخَلْقِي؟
 سِرَ الْمُؤْمِنِينَ سِرَاجَ الرُّشْدِ لِلْفِرْقِي
 وَذَكَرَهُمْ بِصَنُوفِ الْمَكْرَمَاتِ بَقِي^(٣)
 مِنْ بَعْدِهِمْ غُرَّةُ الدُّنْيَا عَلَى نَسَقِي
 وَفِيهِ جُمَعٌ مِنْهَا كُلُّ مَفْتَرِقِي
 وَاعْدُوذَقْتُ وَزَهَتْ بِالسُّمْرِ وَالْوَرِقِي
 وَلِلْحَنِيفَةِ مِثْلُ الْعَقْدِ لِلْعُنُقِي^(٤)
 يَهْمِي كَنْهَوْرُهَا بِالتُّبْرِ وَالْوَرِقِي^(٥)
 يَهْمُهُمْ قَطُّ بِخَلِّ الْعَارِضِ الْعَدْقِي^(٦)
 عَلَاتِهِمْ بِمُحِبِّاً ضَاحِكِ طَلِقِي
 مَا اسْطَاعَ رُؤْيَاهُ مَخْلُوقٌ وَلَمْ يُطَقِي

(١) ترائبها: عظام صدرها. الأواء: الشدة.

(٢) قددت فوادِي: شقت قلبي. كالسرار يريد أنه خافت جداً. وخز الأسنة: طعنها. بالأشجان مختنق: مختنق بالأحزان.

(٣) اللهاميم: جمع لهموم وهو الجواد من الناس والخيول.

(٤) بوجنته: بوجنة الملك.

(٥) كنهورها: الكنهور من السحاب قطع كالجبال.

(٦) كهف العفاة: ملجأ الطالين. العارض الغدق: السحاب الكثير الصَّب للمطر.

وصاحبُ الباسِ من كادَتْ لِسْطوتِهِ تَنَماعُ صَمِّ الصِّفا من شدةِ الفَرَقِ^(١)
 تُغْنِيه هيبتهُ عن قَوْدِ جَحْفَلِهِ يومَ الوَعَى وعن الإزْقَالِ والعَنَقِ^(٢)
 فالرغبُ يخدمُهُ والنصرُ يَفْدُمُهُ والرأيُ يهدِمُ ما يَينِيهِ كلُّ شَقِي
 تخشى جميعُ ملوكِ الأرضِ صولتَهُ وتستنكبنُ له بالذِّكِّ وَالْمَلَقِ
 ماجتُ عليه من الحُمقِ الغُواةُ فما ألقى سوى السيفِ يَشْفِيهِ علةُ الحَمَقِ
 قَرَى وحوشِ الفياضِ من أجالِدِهِم والثُّرْبُ رَوَّاهِ منهم سافِحُ العَلَقِ^(٣)
 للجلْمِ فيه مكانٌ لا يُضَيِّعُهُ والفتكُ منه لأهلِ الطيشِ والخرِقِ
 في عهدِهِ اتَّزَرَّتْ بالحقِ دولتُنَا من بعد ما جُرِّدَتْ من ثوبها الخَلَقِ^(٤)
 واقترَّ ليلُ الشقا والجورِ عن فَلَاقِ من الهدايةِ والإنصافِ مُنْبَعِيقِ^(٥)
 والصدقُ قامت على ساقِ حدائِقِهِ يعطرُ الكونَ ربَّاهِ زهرها العَيْقِ^(٦)
 والدينُ يضحكُ إذ طابَتْ موارِدُهُ طوبى لمضطَّبحٍ منها ومُعْتَبِقِ^(٧)
 وكيف لا يزدهي والبرلمانُ غداً في عهدِ سلطاننا مستحِكمِ الخَلَقِ^(٨)
 لَلَّه دستورٌ به رضي الـ إسلامِ وارتاحِ إثرِ الضيمِ والحنَقِ
 يزدانُ بالقرِّ من كلِّ امرئٍ بَطْلِ حرِّ الضميرِ له الرأيِ السديدُ نَقِي
 صَوْرَتُهُم نُضِبَ عيني في محافلِهِم مثلَ الثريا وقد لاحت على الأفقِ

(١) تنماع: تذوب. الصفا: الحجارة. الفرق: الخوف والفرع.

(٢) قود جحفله: تسيير جيشه الكثير العدد. الأرقال والعنق مشيتان سريعتان.

(٣) أجالدهم: أجسامهم وأبدانهم. وفي الأصل تجالدهم وهو تصحيف والذي في اللغة أجالد وتجاليد. سافح العلق: سافح الدم.

(٤) الخلق: البالي.

(٥) الفلق: الصبح. واقترار الليل عن انكشافه. المنبعق: المنكشف الواضح.

(٦) العبق: الذي لا تذهب رائحته الطيبة.

(٧) العبوق: شرب آخر النهار مقابل الصبوح.

(٨) يشير إلى افتتاح البرلمان العثماني بعد إعلان الدستور.

متى أراهم فأشكُّو في مجالسهم
كلُّ البلاد إلى شأو العُلَى نهَضَتْ
يا آل عثمان هيَّا أنقذوه وقد
يُمْتُ بالحبِّ والودِّ الصحيح لكم
باسم الخليفة يدعُو في تضرُّعه
ها قد ربَطنا بك الآمالَ فاعنَ بها
واسلِّم ودِّم ووليَّ العهد في نِعمِ
ما مسنا من ضروب البَخْسِ والرَّهَقِ
وقطرنا من رُقَادِ الجهل لم يُفِيقِ
أضحى يناجيكم بالمنطق الذَّلِقِ^(١)
ويستغيثُ بكم من شدة العلقِ^(٢)
ما ناحت الوُزُق في الداجي على الوُزُقِ^(٣)
يا كعبَةَ القُضد أطلقنا من الوَهَقِ^(٤)
معوذَّين برَبِّ الناس والفَلَقِ



-
- (١) هيَّا أنقذوه: في الأصل هلا تنقذوه وفيه حذف النون بدون ناصب أو جازم فغيرناه إلى ما ترى. الذلق: الحاد.
- (٢) من شدة العلق: من شدة تعلقه بكم.
- (٣) الورق: الحمائم والورق: الأغصان. الداجي: الليل.
- (٤) فاعن بنا: اهتم بأمرنا. الوهق جبل كالطَّوَل تشد به الإبل والخيل لثلاثين.

القصيدة الثانية من التركيات

في الحرب الإيطالية (١)

في الحرب الإيطالية سنة ١٣٣٠هـ؛ وقد نشرتها بعض الصحف السورية^(٢).

ما بال عينيك قد عاداهما الوسنُ يوماً لقبك قد أودى به الحزنُ
لا يضمُرُ القلبُ شيئاً من لواعجه يوماً من الدهر إلا أظهر البدنُ^(٣)
فيم التجلُدُ والغربُ العزيزُ به دماؤنا ما لها قدرٌ ولا ثمنُ
إنني وكلُّ امرئٍ مثقالُ خردلة في قلبه من حنانٍ بالأسى قمنُ^(٤)
عدا على الغرب عادي الظلم فاشتعلت بعامل النثر في أكنافه الفتنُ
قد أوهمتنا أروبا إذ تُلاينُنَا لينَ الأفاعي بودٍ ملؤه دخنُ^(٥)
وأوقعتنا أنكلتيراً من دسائسها في هوةٍ إذ حثت أحشاءها الإحنُ^(٦)
أضاع ساستُنَا وجه الصواب وما تنبَّهُوا لنواياها ولا قطنُوا

(١) هي الحرب التي شنتها إيطاليا على الولاية العثمانية في طرابلس ليبيا واستخدمت لأول مرة فيها الطائرات لإلقاء القنابل وقام الإيطاليون فيها بفظائع ضد السكان الليبيين. وقد استمر احتلال إيطاليا لليبيا ٣٥ عاماً قامت فيها بحملات فظيعة ضد السكان وقتلت الزعيم عمر المختار.

(٢) نعود للشكوى هنا من إغفال ذكر أسامي الأعلام والصحف المعنية بهذه القصائد.

(٣) لواعجه: جمع لاعج وهو الألم.

(٤) قمن: جدير.

(٥) دخن: حقد وخبث.

(٦) الإحن: الأحقاد جمع إحنة وهي الحقد في الصدر.

بما أكنث من الداء الدفين لنا
 يدعون هذا زمان العديل ما فعلت
 ذبح الصغار الذي لم يُرج من أحد
 فظائع في عصور الجور ما اكتحلت
 قولوا لإيطاليا والبغى شيمتها
 إن كان أسطولها في البحر جرأها
 وقادها للبللى الخصم اللدود لها
 فقد أحسست بشر حين صادمها
 واللّه لن يرأموا للذل ما بقيت
 يمشون مشى المعنى للوصال إلى
 في القتل للكافرين الحثف وهو لهم
 سل عنهم الطير تصدقك الحديث ولا
 قد رابنا منهم دعوى الحياد وهم
 لم يُنجهم من سيوف المسلمين إذا
 إليه بني العُرب جدوا في دفاعكم

سأقت إلينا سحاباً قَطْرُهُ المِحْنُ
 إيطاليا من فساد فيك يا زمن؟
 وإن غلى في حشاه الغيظ والضنن^(١)
 بهنّ عينٌ ولم تسمع بها أذنٌ
 كلُّ بما كسبت كفاها مرتهنٌ
 وأغجبتها بمرسى أرضها السفن
 بكيده إذ تولى رأياها الوهن^(٢)
 قوم غيارى مفدى فيهم الوطن^(٣)
 تكف عنهم مغارات العدا القنن^(٤)
 سوح الوعى ما بهم ضعف ولا جبن^(٥)
 شهادة طيها الخيرات والمين
 تسمع أحاديث قوم صدقهم زمن^(٦)
 إن سيئاً ذكروا أو صالحاً دقنوا
 شدوا معاذ ولم تنفعهم الجنن^(٧)
 ولا تكلموا ولا تأسوا ولا تهنوا^(٨)

(١) الضنن: حرك وسطه للضرورة.

(٢) للبللى: للفناء. الوهن: الضعف.

(٣) غيارى: جمع غيران.

(٤) لن يرأموا للذل: لن يستكينوا له ويخضعوا. مغارات العدا. إغاراتهم. القنن: الجبال.

(٥) ولا جبن: حركت الباء بالضم للضرورة.

(٦) صدقهم زمن: مبتلى بالزمانة أي بأفة وعلّة وهم أعداء الإسلام. ولعلّ الأصل: زمن

بالتحريك أي قليل.

(٧) معاذ: ملجأ يعوذون به الجنن: جمع جنة بالضم وهي ما يستتر به المحارب اتقاء الطعن.

(٨) إليه كلمة استزادة من حديث أو عمل.

ولا تميلوا إلى سلمٍ وقد شهدت
 أبعد هتك حريم المحصنات رضى
 جدوا ونادوا إذا ما شئتكم مدداً
 فثم إخوانكم لو جاء صارخكم
 فصابروا واصبروا واحموا الذمار ولا
 والنصر إن دام هذا الاتحاد لكم
 والناس كالتبر لا تملو مراتبهم
 وإن تسو هذه الحرب الضروس فيا
 من قبل في المسلمين الافتراق بدأ
 أبصاركم تلکم الغارات تمتهن
 كلاً ولو قوّضت من أصلها الذمّن^(١)
 يأتي العراق ويأتي الهند واليمن
 لم يثنهم عنكم أهل ولا سكن
 تفرقوا وعلى مولاكم ارتكنوا
 حليفكم غير أن الحر يفتن
 إلا إذا اختبروا بالبأس وامتحنوا
 كم من مصالح ساقّت هذه الفتن
 وما هم اليوم إلا الماء واللبن



(١) الذمّن: الآثار.

القصيدة الثالثة

بمناسبة معاهدة (أوشي) لوزان الأولى (١)

وكان إنشاؤها عندما رضيت الدولة العلية بالصلح الغابن في تلك الحرب؛
وقد استولى على أكثرها الضياع^(٢)، وغالب الظن أن قد نشرت في بعض
الصحف؛ مع الثناء عليها؛ فإن وجدت فليحَقِّ باقيها؛ وإلا فهذا هو الميسور
منها؛ وعلى بُعدنا عن السياسة فقد أصاب المحرِّ ما فيها من الفراسة.

مِلْمَةٌ مَلَأَتْ جُلَّ الْقُلُوبِ أَسَى مَا بَيْتٌ وَخَدِي بِهَا فِي النَّاسِ مُبْتَنِيَسَا
ضَاقَتْ بِنَا الْأَرْضُ حَتَّى لَيْسَ نَعْرِفَهَا وَالصَّبِيحُ مِنْ تَلَكُمِ الْأَخْبَارِ عَادَ مَسَا
يَا لَلْوَجِيعَةِ قَالُوا لِي خَلِيفَتُنَا أَهْدَى لِأَعْدَانِهِ صَلْحًا طَرَابُلسَا
كَانَتْ لَنَا فِيهِ آمَالٌ مَعْلَقَةٌ لَكِنَّ أَكْبَرَهَا مِنْ هَذِهِ انْعَمَكَا
حَتَّى الْجَمَادَاتُ لَا تَرْضَى بِذَا أَبَدًا لَوْ أَنَّ رَضَوَى دَرَى لِارْفَضُ وَانْبَجَسَا
لَسَنَ تَرَكْتُمْ لَكَانِيْفَا طَرَابُلسَا فَسَلَّمُوا لِفَرَنْسَا بَعْدَهَا الْقُدُسَا

* * *

(١) وبموجب هذه المعاهدة التي عقدت في ٢٢ شوال من سنة ١٣٣٠هـ بقلعة أوشي بلوزان
سويسرا انسحبت الدولة العثمانية من ليبيا وتركزت الأهالي الليبيين وجهاً لوجه مع
الإيطاليين.

(٢) أي القصيدة.

القصيدة الثالثة

الى محمود نديم باشا (١)

سفينَةُ الصدقِ قد أرسَتْ على الجُودي وطالبُ الحقِّ بالألطفِ قد نُودي
وطالعُ السعدِ قد لاحت مظاهره وطائرُ اليمنِ قد غنى على العُودي
بُشراكُ تلك تباشيرُ الفلاحِ وذي موائدُ الفضلِ والإحسانِ والجُودِ
فاشربْ هنيئاً على الفتحِ المبينِ وثقْ باللهِ وأطفِرْ بنصرِ غيرِ محدودِ
وقرَّ عيناً وطبْ نفساً ومِلْ طرباً فإنَّنا قد بلغنا كلَّ مقصودِ
بابُ الرشادِ إليه اللطفُ أرشدنا وليس مصراعُه عنَّا بمردودِ
خيرٌ غزيرٌ وجاءَ ما انثنى أملُّ أتاه إلا بفضلِ منه معهودِ
ها قد عمَدنا إلى بيتِ العنايةِ مِن بابِ الهدايةِ ربِّ الجودِ محمودِ
حلوا الحقيقيةَ مشكورُ الطريقةِ وضَّاحُ الخليفةِ مأوى كلِّ مطرودِ
سرُّ النسيمِ إلى الوجهِ الوسيمِ إلى يرُّ الذِّمنِ التسنيمِ مورودِ^(٢)
دمائةٌ من رآها ينثنى ثملاً من فضلِهِ الجَمِّ لا من ماءِ عُنقودِ^(٣)
إليك نرفعُ شكوانا ونعلمُنْها فاسمَعِ ربيبَ العلى أَناتِ مَفْؤودِ^(٤)

(١) مبعوثة إلى حضرة الباشا محمود نديم في حدود سنة ١٣٣٢هـ.

(٢) التسنيم: عين ماء في الجنة.

(٣) الدماعة: سهولة الخلق. ثملاً سكراناً. ماء العنقود: الخمر.

(٤) مَفْؤود: محترق القلب.

صَبَّ بِحَاوِلٍ مُدْمِطًا تَمِيمَةً	بالتترك حبل اتصال غير مجدود ^(١)
يدعو إليكم ويسعى كي ينوط بكم	بلاده غير هياب وإن عُودي ^(٢)
ضحى مصالحه حباً بأمنه	مستغرقاً في غلاهم كل مجهود
يسعى لإنقاذهم مما ألم بهم	وما أتاه لديهم غير معدود
كم خاصموه وكم آذوه عن حسد	وهل رأيتم كريماً غير محسود؟
يا منبع الفضل يا من سبب همته	يُحيي المكان الجديب الغامر المؤدي ^(٣)
يا مظهر العدل والإنصاف مرحمة	للمسلمين وللصبيان والخود ^(٤)
فالجور في قطننا طالت إقامته	والبغي نعمة في أيامه السود ^(٥)
يا للشريعة بالأغراض قد صيغت	والعدل أصبح فينا جد مؤؤود
يا للعلوم انمحت فينا معالمها	يا للصواب كمثل الغول مفقود ^(٦)
عار عليكم وفيكم نجدة ولنا	بكم لعمري اتصال غير مجحود
نبيت ندعو لكم من فرط رغبتنا	في كل ليل لدى السالين مرقود ^(٧)
وللخليفة أن الله ينصره	على أعاديه من روم ومؤهود ^(٨)
لا زال للملة العوجاء يكلؤها	بالخيل والليل والمهريّة القود ^(٩)

(١) ميّطت تميمته: نحيث عنه: كناية عن تجاوزه عهد الطفولة. مجدود: مقطوع.

(٢) ينوط: يعلق ويربط. وفي الأصل يُنيط من أناط وهو غير وارد لغة.

(٣) سيب: همته: عطاؤه. الغامر: الخراب. المؤدي: المهلك.

(٤) الخود: جمع خود وهي الشابة الحسنة الخلق أو الناعمة.

(٥) نعمة: نضل وتنجير.

(٦) كمثل الغول: يريد أنه من المستحيلات.

(٧) السالين: الناسين جمع سال. مرقود فيه أي أنهم نيام.

(٨) مؤهود: متهود وهم اليهود أعداء الإسلام.

(٩) للملة العوجاء: يريد ملة الإسلام التي غيرها الملحدون والخرافيون وفي الحديث حتى يقيم به الملة العوجاء يعني ملة إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام التي غيرتها العرب عن =

وبالمدافع تَغْلُو من مَنَاخِرِهَا نارُ الجحيمِ فَتَضْلِي كلَّ مطرودٍ
 في كل جيشٍ كأن الرملَ عِدَّتُهُ بالرُّعبِ والنَّصرِ مخدومٍ ومعقودٍ^(١)
 يا رَبَّنَا شُدَّ أَرْزَ المسلمِينَ به حتى ينامُوا بظُلٍّ منه ممدودٍ
 وأنشُر علينا سريعاً غَيْثَ رَأْفَتِهِ كي يستريحَ لدينا كلُّ مجهودٍ^(٢)
 بجاء أفضل موجودٍ وأشرفِ مؤ نُودٍ وأسرع من لَبِّي إذا نُودي
 عليه منا صلاةٌ فاحِ عَنبرُها على الوجودِ بنشرِ النَّدِّ والعُودِ

رد محمود نديم باشا على القصيدة

وقد عاد منه جوابٌ سديد، وقولٌ مفيد، ووعدٌ يشهد عليه قوله من قصيد:

فيا وجيه الهدى لله دَرُكُمُ في ضمن نظمك من أوصاف تشييدٍ
 لقد رأينا مقالاً بالصواب غداً مضمخاً وعليه نسمة العود
 وسوف يلقي مجالاً للقبول وما يليه من فوز تنفيذٍ وتعميدٍ



= استقامتها فاقتبس الشاعر منه هذا الوصف. يكلؤها: يحفظها ويحرسها. المهريّة: إبل من حي مهرة بن حيدان. القود: المنقادة.

(١) يريد في كل جيش مخدوم بالرعب ومعقود بالنصر كأن الرمل عدته.

(٢) مجهود: مكدود شقت عليه الأمور.

القصيدة الخامسة

إلى قائد الجيوش العثمانية بلحج علي سعيد باشا^(١)

هذه القصيدة؛ موجهة كتابياتها الخمس؛ إلى عزّ الملة، وكريم الجلّة، مَنْ به الله نصرَ دينه، والزمانُ حينئذٍ يمينه، مثال الحميّة والغيرة، ومرشد الضلال من الحيرة، ومن لو تجسّم المجدُّ لما كان غيره، الصادق الذي أكذب الشاعرَ بمحاله؛ والقائد المؤيّد بالتوفيق في جلّه وارتحاله؛ علي سعيد باشا بوّأه الله من الخير ما شاء؛ وجعل اليمن له غطاءً؛ والسعدَ فراشاً، وأهل اليمن وحضرموت؛ لا يسمونه إلا سعيد باشا؛ ونحن نتأثرهم وكان إرسالها في غرة ربيع الأول من سنة ١٣٣٤هـ.

بَلَى أَنْ لِيَهُمَّ الْمَبْرَحُ أَنْ يَهْفُو وَلِلْعَيْشِ مِنْ بَعْدِ الْكَدُورَةِ أَنْ يَصْفُو^(٢)
صَبَرْنَا عَلَى حُلُوِّ الْقَضَاءِ وَمُرُو وَمَا زَالَ أَمْرُ الصَّبْرِ يَتَّبِعُهُ اللَّطْفُ
إِلَى أَنْ أَتَى الْإِقْبَالَ عَفْوًا فَهَذِهِ تَبَاشِيرُهُ مِنْ نَشْرِهَا يَنْفَحُ الْعَرْفُ^(٣)

(١) القائد التركي علي سعيد باشا؛ هزم بريطانيا وحلفاءها العرب واحتل لحجاً ثم تقدم بمن معه من الأتراك والمجاهدين العرب نحو عدن وأعد الإنجليز العدة لإخلاء عدن لولا تغير ظروف الحرب وبقي سعيد باشا يحتل لحج وما جاورها من جنوب اليمن حتى نهاية الحرب وانهزام تركيا وإصدار الأوامر له بتسليم لحجاً للإنجليز ومغادرة اليمن. وتظهر خطاباته وأعماله على حنكة سياسية وشجاعة ودهاء كما هو على ذلك أغلب القادة الأتراك.

(٢) آن: حان. المبرح: من برح به إذا شق عليه وأصل التبريح المشقة والشدة. يهفو: يذهب.

(٣) نشرها: رانحتها. ينفح: يهب أو يفوح. العرف: الريح الطيبة.

أنا بآن الشُّرك أبَدُوا تحنُّناً
وما زلتُ مذنيطت برأسي عِمَامَتِي
تألَّفتِ الأرواحُ غيباً لحكمةِ
إخاءٍ جرَّث قبلَ الوجودِ عقوذهُ
فيا ليت شعري هل أتاهم بأنني
وهل سمعوا ما قلت فيهم؟ وهل رأوا
وهل جاءهم أني بكلِّ وسيلةِ
وأني مذ دهرٍ أحاولُ أمّتي
وبرهنتُ أن الخير طيُّ ارتباطهم
ووافقني من أوّل الأمر عُصبةُ
إلى أن زهى روضُ الأمانى بشمره
فحينئذ بان الصوابُ وصحَّ ما
وإلا فإنَّ الشك لم يبقَ منقذُ
أنى الوقتُ للإسلام يستجمعُ القوى
تبشّرنا الأحوالُ والطالعُ الذي
سعيدٌ لنا والمسلمين من اسمه
وقورٌ غداةَ الرّوع تلقاه رابطاً

علينا ومنهم يرُتجى الوُدُّ والعطفُ
وؤدِّي لهم حبسٌ وشكري لهم وقُفُ
وإن لم يكن في الحسِّ ما بيننا إلفُ
توكَّده الآن الصداقةُ والجلفُ
أخالفُ فيهم من يلوم ومن يجفُّو؟
مديحي؟ فقد قامت بإعلانه الصخفُ
لبيعتَهم أَدعُو؟ وإن مسَّني العسفُ
عليها فلم تقبلُ بصائرُها الغُلفُ^(١)
بهم فجرى في الأمر ما بيننا خُلفُ
على الرأي لكن خانها العجزُ والضعفُ
وحان لعمري من حدائقه القَطْفُ^(٢)
أقولُ وما زال التعصبُ والعنفُ
لَهُ في فؤادٍ بعد ما انتهك السجفُ^(٣)
وسرَّعان من قواته الغيُّ ما يعفُو^(٤)
له اسم أمير الجيش في أبين وضمفُ^(٥)
نصيبٌ ونعم القائدُ المخلصُ العفُ
على جثثِ القتلى يخبُّ به الظرفُ^(٦)

(١) الغلف: المغطاة المنشأة بالغللاف.

(٢) زها الروض: حُسن أو نبت ثمره. بشمره: جمع ثمرة وسكنت الميم للضرورة.

(٣) السجف بكسر أوله وفتح: الستر.

(٤) أنى الوقت: حان. الغي: ضد الرشد. يعفو: يزول ويندرس. و«ما» زائدة.

(٥) أبين: اسم موضع باليمن.

(٦) يخب: يسرع. الظرف من الخيل الكريم العتيق.

إذا شَبَّ نيران المعمارك فالدِّمَا
 كأنَّ الضحى ليلٌ نهاوى نجومهُ
 حروبٌ بشيب الطفلُ منها كأنما
 تميدُ جبالُ الأرض خوفاً إذا دَوَّتْ
 مُدبِّرُها ذو الحزم من يسهرُ الدُّجى
 مناقبُ للباشا السعيدِ حميدةٌ
 أفاض صدور الكافرين فكم هَمَّتْ
 وكم شَنَّ غاراتٍ ولفَّ كتائباً
 وساعده المولى الإمامُ بقومهِ
 بنو الترك والعربانُ في حومة الوغى
 إذا صادموا الأعداء يوماً بمأزقٍ
 تراهم حصيداً خامدين كأنهم
 وقد طبَّق الدنيا حديثُ انكسارهم
 على الأرض سيلٌ والغبارُ لها سَفْتُ
 وما هي إلا البيضُ والعُسلُ الرَّعْفُ^(١)
 هي الحشرُ من أهوالها الحَسْفُ والرَّجْفُ^(٢)
 مدافعُ منها يُدهشُ القصفُ والقذْفُ^(٣)
 لإصلاح شأن المسلمين ولا يَنفُو^(٤)
 تقلِّدها في أذن تاريخه شَنَفُ^(٥)
 عليهم عقوباتٍ سحائبه الوُظْفُ^(٦)
 إلى مثلها والزحفُ يتبعه الزحفُ
 فلبُّوا سِراعاً دعوة الحق والتَّفُّوا
 يُخالون مشمولين أطربهم عَزْفُ^(٧)
 يحسونهم قتلاً كأنهم العَصْفُ^(٨)
 لكثرتهم كُتِبَ من الرسل أو قُفُّ^(٩)
 وإن حاولوا أن يكتموه وأن يخفُّوا^(١٠)

(١) البيض: السيوف. العُسل: الرماح. الرعف: تقطر دماً.

(٢) الرجف: الاضطراب.

(٣) تميد: تضطرب.

(٤) يغفو: ينام نوماً خفيفاً.

(٥) الشنف: ما يعلّق في أعلى الأذن.

(٦) همت: صبت. الوظف: التي في جوانبها استرخاء لكثرة الماء.

(٧) مشمولين: نشاوى أطربهم صوت المعازف فهم في غاية الفرح.

(٨) يحسونهم قتلاً: يستأصلونهم قتلاً. العصف: التبن وورق الشجر اليابس.

(٩) كتب: جمع كتيب وهو الرمل المستطيل المحدود. والقف ما ارتفع من الأرض وغلظ.

(١٠) يقول الإمام هنا: إن خير انهزام الإنجليز أمام جيش علي سعيد باشا ومن معه من المجاهدين العرب في لحج وما حولها فقد طبق الدنيا في زمن الإمام لأنه كان من حوادث التاريخ النادرة التي هزمت فيه قوة صغيرة جيشاً عظيماً وما أشبهه بهزيمة العرب الضعفاء =

أرادوا اضطهادَ الدين كم دبروا له الغوائلَ عُدواناً يريدون أن يُظفُّوا
ولكنَّ مولانا الرشادَ انبرى لهم فلم ينجِّهم من هولِ سطوته كَهْفُ
هو النعمةُ العظمى هو الروحُ للهدى هو الغيظُ للأعدا هو الذهبُ الصَّرفُ
به قام سوقُ الدَّينِ واشتدَّ أزره ولولاه للإسلام لم يُوجدِ النَّصفُ^(١)
فلا زال دُخراً للأنام وموئلاً يفيض عليهم من أنامله العُرْفُ^(٢)
ويشملنا من ظله فيءٍ رحمةٍ به تُكشَفُ الغماءُ والبوسُ واللَهْفُ^(٣)
ويملاً نورُ الحق والعدلِ قطرنا ويرتفع العدوانُ والجورُ والخسْفُ
فإننا بأرضٍ لم يَجِدْنا نواله ولم يأتنا إلا الأحاديثُ والوصفُ^(٤)
لنا الشوقُ والودُّ الصحيحُ وغيرنا له من مجاري جوده الرَّشْفُ والعُرْفُ
فكن يا سفيرَ الخيرِ واسطةً لنا فمثلك للخرقِ الذي عندنا يَرْقُو^(٥)
وإن لم يَعْقِنِي عائقٌ جئتُ وافداً

= لجيش الفرس بموقعة ذي قار. إلا أن كتب التاريخ الحالية قلما تشير إلى هذا النصر المبين والذي لولا معاكسة الظروف العالمية وانهزام تركيا في الحرب العالمية لكان علي وشك أن يطرد الإنجليز من عدن ومن جنوب اليمن كله كما يطمح ويتمنى الإمام ابن عبيد الله وقد أشار الإمام إلى حقيقة مهمة تفتن لها الأجانب ولم يتفطن لها المسلمون وهو أنه إذا اجتمع الأتراك والعرب كانوا قوة تكتسح كل ما أمامها ولهذا ذكر الإمام في مقدمته لقصيدته سابقة أن هزائم الأتراك بدأت بعد النهضة المشؤومة؛ وهو يشير بذلك إلى الثورة العربية التي أعلنها الشريف حسين بن علي من مكة سنة ١٣٣٤هـ بتدبير من الإنجليز وأدت إلى انقصاص العلاقة بين الأتراك والعرب.

(١) النصف: بالكسر الإنصاف.

(٢) العرف: المعروف.

(٣) اللهف: الأسى والحزن والغيظ.

(٤) لم يجدنا نواله: لم ينلنا برّه.

(٥) يرفو: يصلح.

تجاوب القائد العثماني علي سعيد باشا مع القصيدة

وما كادت تصله؛ حتى عاد جوابه ينطوي على وثيقة؛ تقتضي اعتراف من يوقع عليها للدولة العلية؛ ودخوله تحت طاعتها؛ وتؤكد ملكية البلاد لدولتها، وألح علي في بذل المجهود لإقناع الأمراء والأعيان بالإمضاء عليها؛ وأذن لي في تلطيفها إن اقتضى الحال، فلم أزل أحاولهم بالترغيب والترهيب^(١)؛ حتى وقَّعوا على عدة نسخ منها؛ وهي بحالها لم يحذف منها شيء؛ وأرسلتُ بعض نسخها إليه؛ مع القصيدة الآتية؛ وأبقيت بعضاً لأخذ إمضاء الباقيين، ومما يستحق الإعجاب ويستلفت النظر؛ ما فعله الشيخ عبد الله بن عوض بن عبدات؛ فإني لما اجتمعت به؛ ونسخة منها في جيبِي؛ أطلعتة عليها؛ وقد تهيجتُ منها السياسة الإنكليزية وتوقفت أخبارها؛ ولحقني الأذى بسببها من أعداء أنفسهم ودينهم، وبمجرد ما عرضتها عليه؛ استدعى بالمدواة والقلم؛ فقلت له: لا تعجل حتى تعلم أنك بالتوقيع عليها؛ تُعرض مالك وألك للخطر؛ بسنغافورة والمكلاً وعدن؛ وربما يعاتبك أصحابك؛ ويلومك رفاقك؛ فلا تقل أني غششتك، فأخذته حمية؛ واقشعراً من الغيرة؛ وأخذ ينتفض من الزمّع^(٢) وقال: أليس هذا واجب الدّين؟ أليس هذا سلطان المسلمين؟ فقلت له: بلى. قال: والله لو أنّ الشّفار على رقاب أولادي؛ أمام عيني؛ ما انثيت من التوقيع عليها، وليس في دعوة الإسلام مزاحمة.

(١) تبين شجاعة الإمام ابن عبيد الله الفائقة هنا فهو رغم كونه من رعايا الدولة الكثيرة الخاضعة للإنجليز والواقعة تحت سيطرته إلا أنه يقوم بجمع توقيعات السلاطين والأعيان على وثيقة تعترف بوقوعهم تحت رعاية الدولة العثمانية أعدى أعداء الإنجليز؛ برغم علم السلطات الإنكليزية بهذه الوثيقة الخطيرة وكتب الإمام في مخطوطة بضائع التابوت: فغضبت من ذلك حكومة عدن وبذلت الأموال الطائلة لمن يفتالني؛ وكلفت السلطان غالب القعيطي بحرب آل حضرموت الكثيرين بسبب توقيعهم على تلك الوثيقة وتهددت الموجودين منهم بسنغافورا بالحجز على أموالهم (انتهى ص ١١٥ ج ٢ ق ٢)؛ إلا أن حمية الدين ورغبته في خدمة دولة المسلمين لم تجعله يلتفت لأي خطر ولا يهتم بأي ضرر.

(٢) الزمّع: شبه الرعدة تأخذ الإنسان.

القصيدة السادسة

إلى قائد الجيوش العثمانية بلحج علي سعيد باشا مع وثيقة الولاء

وكان إنشاؤها على عجل؛ لهذا لا تخلو عن الضعف؛ والمعاقبة بين الياء
والواو؛ المكروه عندي؛ وإن جَوَّزه أهل القوافي.

يا ليت شعري هل أنال السؤلاً وأحصّل المطلوب والمأمولاً
أم تُرتج الأيامُ وجهَ مطالبي أبوابها وتردني مخذولاً^(١)
لا كان هذا في القضاء فإن لي ظناً برّب العالمين جميلاً
حاشاه من ردّي وكيف يرُدني من لا يزال نواله مبذولاً؟
فاليمن بشّرني بإدراك المُنَى والدمرُ يمظّلني وكان مَطُولاً
فلأصبرنَّ إلى حلول كتابه فمن الحماسة أن أكون عَجُولاً
وسأعملنَّ لرفع قومي إنهم بلغوا القرار من الشقاء نُزُولاً
وصلُّوا لسوء الحظّ أسوأ حالةٍ ومن الجمود استمحلُّوا التحويلاً^(٢)
أسمى بإخلاصٍ لأرأب صدعهم فأرى صنيعي عندهم مجهولاً^(٣)
بلّغ الإياسُ بهم لفاية أنهم لم يحسبوا إنقاذهم معقولاً

(١) ترتج: تغلق. وجه: في وجه.

(٢) استمحلوا التحويلاً: حسبوه محالاً.

(٣) لأرأب صدعه: لأصلح أمرهم.

إن يَسْخَرُوا مِنِّي فَنُوحٌ سَابِقاً
 جَهِلُوا الصَّلَاحَ وَشَأْنَهُ وَطَرِيقَهُ
 فَلَأُفْرَغَنَّ الْجُهْدَ فِي تَخْلِيصِهِمْ
 وَلَا أَسْمُونَ بِهَمَّتِي حَتَّى أَرَى
 وَلَا نَهَضْنَ وَلَا نَصِيرَ سِوَى الَّذِي
 رَبُّ الْهَدَى غِيْظَ الْعِدَا تَرَبُّبَ النَّدَا
 الصَّادِقِ الْهَمِّ الَّذِي عَزَمَاتُهُ
 وَالْخَائِضِ الْغَمْرَاتِ لَا مَتَهِيْباً
 جَمَّ الْمَنَاقِبِ وَالْعَلَى فَكَأَنَّهُ
 بَابُ النِّجَاحِ فَمَنْ أَتَى مِنْ غَيْرِهِ
 «لَحْجٌ» عَلَى الْيَمَنِ الْأَغْرَ سَمَتْ بِهِ
 وَزَهَتْ بِحَسَنِ صَنِيعِهِ وَتَمَدَّنَتْ
 مَا ضَرَّنِي مِنْ قَاتِنِي إِنْ كَانَ لِي
 إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَلْقَهُ فثَنَاوَهُ
 شَاقَ الْفَوَادِ كِتَابَهُ فَحَبَّوْثُهُ
 أَرْسَلْتُهُ عَنِّي بِنُوبٍ وَلِيَتَنِي

من قومه قد صادف التضليلا
 لكن عليه وجدثني مجبولا
 مما به قد نكأوا تنكيلا^(١)
 بالترك حبل وداهم موصولا
 فاضت قناه من النجيع سيولا^(٢)
 الأريحي الماجد البهلولا^(٣)
 تذر الحديد مكسراً مقلولا
 يذر الحزون من الجهاد سهولا^(٤)
 لعناصر الشرف الأثيل هيولى^(٥)
 يرجو السعادة لا يروم ووصولاً
 لما بدا في أوجها إكليلا^(٦)
 لما أضاء بجوها قنديلا
 فيما أوئل أن أنال دليلا
 ملأ البسيطة غرة وحجولا
 مدحاً يؤم جنابه المأهولا
 كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

(١) فلأفرغن الجهد: أبذله.

(٢) النجيع: الدم.

(٣) رب الهدى: أقصد رب الهدى. ترب الندى: الترب هو المساوي في السن. الأريحي: الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف. البهلول: الحي الكريم.

(٤) الحزون: جمع حزن وهو ضد السهل.

(٥) الأثيل: الأصيل. هيولى: هي أصل المادة باصطلاح الفلاسفة حيث ذهبوا إلى أن الأجسام مركبة من الهيولى والصورة.

(٦) لحج بلدة بعدن أبن سميت باسم لحج بن وائل بن قسطن.

ردّ الجنرال علي سعيد باشا على القصيدة الثانية

فما كان بأسرع عودة جواب منه؛ قرأناه على الملاً؛ فهزّ الشعور؛ وأزعج النفوس، وملأ القلوب، وأثار الحفاظ بما ذكر عن رجاله؛ من التدفق على نيران المدافع؛ والتقدّم إذا استعرت الحرب؛ وحمي الوطيس؛ وزلّت الأقدام؛ وتقاصرت الخُطى؛ وأصفرّت الألوان. وكنت استأمرته في السفر للجهاد؛ واستأذنت فيه الوالدة؛ فأذنت؛ مع أني واحداً؛ ولا تصبر عني لحظة؛ ولكنها قالت: أمّا سبيل الله فلا أقدر على منعك عنه؛ ولا عن حرمانك الشهادة؛ فعاد جوابه؛ بالكفّ وقال: إن الأصلح للإسلام بقاؤك حيث أنت^(١)؛ فبعثت إليه بهذه القصيدة؛ وهي القصيدة السابعة التالية:



(١) يحتوي هذا الكلام على حكم فريدة وفوائد عظيمة وهي أن الحمية الدينية قد بلغت بالإمام ابن عبيد الله هنا أقصاها والرغبة لنصرة جيش الإسلام وصلت به لمداهما فهو لم يحدث نفسه فقط بالذهاب إلى الجهاد ضد الإنجليز في جيش علي سعيد باشا بل طلب إذن القائد التركي في مرافقته لهم في الحرب رغم أن الإمام ابن عبيد الله يعيش بعيداً في حزموت في جو صوفي بعيد عن حمل السلاح والمشاركة في الحروب ولكنها حمية الدين. ثم الأمر العظيم الثاني هو تصرف والدته التي ماتت زوجها وبقي معها ابنها الوحيد الذي يعولها ويؤانسها فكان ردّها عليه شبيهاً بما كانت تقوله الصحابيات لأبنائهن وأزواجهن الذاهبين إلى الجهاد مع النبي ﷺ؛ ولم يخالف الإمام ابن عبيد الله الشرع هنا؛ فقد طلب الإذن بالجهاد؛ من وليّه الذي وقع له بالتبعية؛ ثم طلب الإذن بالجهاد من والدته. كما تتبيّن هنا حكمة هذا القائد التركي؛ الذي عرف أن قلم ابن عبيد الله ولسانه؛ أكثر نفعاً للمسلمين من سيفه وحسامه.

القصيدة السابعة

إلى قائد الجيوش العثمانية
بلحج علي سعيد باشا

هذا لعمرك ربحُ النصر نَشَقُّهُ وطالعُ اليمن والإقبالِ نَرْمُقُهُ
يا لشكر كلِّ لسانٍ جدَّ صَادِحُهُ حتى الجماد يكاد الفألُ يُنطقُهُ^(١)
تجري السوانحُ بالبُشرى ومن طَرَبِ يتلُو على البانِ آياتِ مطوَّقُهُ^(٢)
تنبهُ الحقُّ للأوهامِ يَدْمَغُهُا وقام للشرك والطنغيان يُزهِقُهُ
ولاح في ظلماتِ الشكِ بدرُ هَدَى أنواره عَمَدتْ للكفر تَحرقُهُ
هذا الذي ابتهج الدين الحنيف به هذا الذي كانت الأرواح تعشَقُهُ
هذا الذي وعد الرحمنُ ملته قد انبرى واحدُ الدنيا يصدِّقُهُ
قام الرشاد أميرُ المؤمنين على رغم العُداء بإخلاصٍ يحقِّقُهُ
تألَّبت دولُ الإفرنج واجتمعت وقام قائمها للدين يَخْنقُهُ
ودبَّروا حيلةً في حُضدِ نَبْتِهِ ومخوهِ وتولَّوا من يمزقُهُ^(٣)
واستأجروا بعضَ إخوانِ النفاقِ على بذرِ الشقاقِ ومرماهم تَفْرِقُهُ
وكم سَبَى دُو خداعِ منهم زُمرًا من الطَّغامِ فأزداهم تملُّقُهُ^(٤)

(١) صادحه: ناطقه.

(٢) السوانح: الطير السانحات وهي التي يتفأل بها الخير. المطوق: الحمام ذو الطوق.

(٣) تولوا من يمزقه: اتخذه ولياً لهم ونصيراً.

(٤) سب: أسر. زُمرًا: جماعات. الطغام: الأوغاد والسفلة.

وغرهم منه ليين في ملامسه
 في كل عام تنوب الدين نائبة
 لم ننس في حادث البلقان ما صنعوا
 يبكي الغيور دماً من سوء ما فعلوا
 فكان عاقبة الطغيان فتنتهم
 تسعرت بينهم حربٌ يشيب لها
 وأيد الله أدنى الفرقتين إلى
 فرغ الملوك الأولى شادوا الفخار له
 مهذب الرأي ميمون النقيبة لا
 منور القلب لا تنبو فراسته
 رأى من الحزم إعلان الجهاد على
 في كل وجه له جيشٌ يوجهه
 كأن كل خميس في تموجه
 فلا ترى غير أوصال مقطعة
 نار من الجؤ تصلاهم وثانية
 قول الألى حرموا الأسماك يومئذ
 ما سار إلا وريح النصر تقدمه
 ولم يسر بمكان قط عسكره
 بنعمة الله لم يعقد له علم

مثل الأسود في قول يُنمقه
 شعواء منهم بقوس الشر ترشقه
 فينا فكل مغيط القلب مُحنقه
 حتى تكاد شؤون الدمع تُغرقه
 والله يمكر بالطاغي ويوبقه^(١)
 من الوليد لعظم الهول مفرقه
 خليفة الدين من لا ند يلحقه
 زاكي النجار كريم الأصل مغرقه^(٢)
 يُخطي الرميّة في سهم يفوقه^(٣)
 مسدد الفكر للآتي موفقه
 حزب الفساد فأمسى الرغب يُقلقه
 إلى فريق من العادين يسحقه
 سيل يدحرج أجبالاً تدفقه
 يوم الكريهة أوهاماً يُفلقه
 في الماء تلتهم الباغي وتشرقه
 قول عليه من التحقيق رونقه
 أنى انتحى في أمان الله فيلقه
 إلا كأن فتيت المسك يعبقه
 إلا تقدم حسن الحظ يسبقه

(١) فتنتهم: ابتلاءهم. يوبقه: يهلكه.

(٢) النجار: الأصل. المعرق عريق النسب الأصيل في الكرم والحسب.

(٣) ميمون النقيبة: مبارك النفس مظفر بما يحاول.

يا ليت شعري هل تسمى بذي مقة
 إذا دجا الليل لم تسكن بلائله
 أم هل يكون له أجر لأن له
 والشاهد الله أن الموت مُنِيئُهُ
 في ظلمة الليل يدعو الله مبتهلاً
 مقدماً جاء طه في توشله
 أن ينصر الدين بالفتح المبين على
 وأن يعجل للمولى الرشاد بما
 وأن يظفره والتابعين له
 وأن يفيض علينا سيب رحمة
 ولحظة منه للوادي بنشوتها
 كم نستغيث ونشكو ما ألم به
 وذاك عاز على الأتراك إنهم
 ولو درى بالذي نشكو خليفتنا
 لكننا اليوم ألقينا السبيل إلى
 علقت حبل رجاء بالسعيد ولن
 يرجو الشهادة للهبجاء أينقه؟^(١)
 بل يرقب النجم من هم يؤرقه
 عذراً به نوب الأيام توثقه؟
 يبيت وهو معنى القلب شيقه
 ويرسل الدمع من شجو ويطلقه
 وكل صعب به ينحل مغلقه
 حزب اللعين بلا شيء يعوقه
 يشفي بلائله فيهم ويونقه^(٢)
 بحرأ وبرأ ولا مكروه يلحقه
 فهو الذي ينعش الآمال مغدقه^(٣)
 يحيا الموات ويؤتي الثمر مورقه
 فالظلم فيه انبرى بالجور يرهقه
 لقطرنا سورة الضافي وخذقه
 لبادرتنا مع الأبطال سبقة^(٤)
 باب النجاح فجيئاً الآن نظرته
 يخيب ذو أمل فيه يعلقه



(١) مقة: محبة.

(٢) يونقه: يعجبه. من آنقه الشيء أعجبه.

(٣) سيب رحمة: الرحمة التي هي كالمطر.

(٤) سبقة: المبكرون من القواد.

القصيدة الثامنة

إلى قائد الجيوش العثمانية بلحج علي سعيد باشا

بشّر فوآدك جاءك التمكينُ واستفت قلبك فالإله ضميرُ
ثق بالذي وعدَ الكريمُ عباده فجميع ما وعدَ الكريمُ يقينُ
ستنال ما تهوى لأنك مؤمنُ والمصطفى فيما يقول أمينُ
لله دُرُك يا سعيدُ بك انطوت نارُ الردى واعتزَّ هذا الدينُ
أهديت للمختار قُرَّةَ أعين في قبره فأضاء منه جبينُ^(١)
ودعا بنصرك والملائكُ حوله زمرٌ عليه جوابُها التأمينُ
سز حيث شئت فإنَّ سعدك طالعُ واليمنَ عبدك والنجاحَ قرينُ
ومن النبي وصهره وبنيهما مددٌ لجيشك في الحروب يُعينُ
هيهات يُهزمُ عسكرٌ قدامَهُمُ روحُ النبي وفيهمُ جبرينُ
والرعبُ خادمك المطيعُ تزلزلت عدنٌ به والهندُ ثم الصينُ
كُبت العدو فكل ذميرٍ طرفهُ منهم لقاصمة الظهور سخينُ^(٢)
ضاقَ الفضاء بهم كأن بلادهم بعدَ النضارة والبها سجينُ^(٣)

(١) أهديت للمختار: يريد النبي ﷺ.

(٢) ذمير: شجاع يقال: رجل ذمير أي شجاع من قوم أذمار. سخين: باك.

(٣) سجين: وادٍ في جهنم.

كم وقعة لك يا سعيذُ تدهدأت منها الجبال كأنهنَّ الطَّيْنُ^(١)
تطفو بها جثثُ العِدا فكأنها تحت الغُبارِ على النجيعِ سفِينُ^(٢)
تطأ المذاكي في حدودِ غرَّها شحمُ الكلى حتى أتاها الحِينُ^(٣)
وإذا صهلنَ بناكُ أعوجَ فوقهم فجوابهُم من تحتهنَّ أنِينُ^(٤)
أشجيتَهُم ونقضتْ مُبرمَ فتليهم وهدنت ركنَ الكفر وهو رَكِينُ
أنت القذَى لعيونهم وكانما ذكراكُ في أكبادهم سيكِينُ
أشروا وماجوا واستبانوا أن من تبعوه في هذي الحروبِ أفِينُ^(٥)
وتوهموا أن الملاحمِ سهلة والطعنُ تمرُّ في اللها أوتِينُ^(٦)
كم قائدٍ منهم زُهي بجيوشه واختالَ جهلاً ذلك المسكينُ
لم تمهلوه غداةَ يشتجرُ القنا إلاً وطوقَ جِده تَنِينُ^(٧)
أرغمت أنفَهُم بقومٍ ما لهممُ إلاً إلى دارِ الخلودِ حَزِينُ
يتمثلون كأنهم فيها تُنا دمهم على سُررِ النُّضارِ العِينُ^(٨)
فتهونُ أنفسهم وأيُّ موحدٍ مع ذا بعيشٍ لا يسرُّ ضنينُ؟

(١) تدهدأت الجبال: قلب بعضها على بعض.

(٢) النجيع: الدم. جعل الجثث على الدماء كالسفينة على الماء.

(٣) المذاكي: الخيل أتى عليها بعد قروحها سنة. الحين: وقت الموت يقال: حان حينه أي دنا وقته. قال مدرك بن حصن: «وليس ابن أنشى مائتاً دون يومه - ولا مفلتاً من ميتة حان حينها».

(٤) بنات أعوج: الخيل. وأعوج فحل كريم تنسب الخيل الكرام إليه فيقال: خيل أعوجية. وهذا الحصان من بنات أعوج. فوقهم: فوق العدا.

(٥) أشروا: بطروا. ماجوا: تحركوا واضطربوا. أفين: مأفون الرأي فاسده.

(٦) اللها: اللهاء جمع لهاء وهي اللحمة المشرفة على الحلق.

(٧) يشتجر القنا: يشتبك. جده: عنقه. التنين: الثعبان العظيم.

(٨) النُّضار: الذهب. العين: الحور العين.

أَسَدٌ بَرَاثِنُهَا الْحَرَابُ وَمَا لَهَا
شُوسٌ إِذَا سَمِعُوا النَّفِيرَ إِلَى الْوَعَى
نَغْمُ الْمَدَافِعِ فِي الْمَعَامِعِ عِنْدَهُمْ
يَتَحَنَّنُونَ إِذَا أَصَاخُوا قَضَفَهَا
يَا لَيْتَنَا كُنَّا حَضْرَنَا بَيْنَهُمْ
حَيْثُ الْجِنَانُ تَضُوعٌ طَوْبَى لِمَرِيءٍ
يَا قَائِدَ الْخَيْرَاتِ يَا مَنْ بِأُسِهِ
يَا مَنْ بِهِ الْيَمَنُ اسْتِرَاحَ وَأَهْلُهُ
بِكَ سُرَّ وَجْهُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ
وَخَدِمَتْ دَوْلَتَكَ الْعَلِيَّةُ خِدْمَةً
نَظَّمَتْ سِيَاسَتُكَ الْبِلَادَ سِوَى النَّبِيِّ
فَانْهَضَ لَهَا فَالظُّلْمَ فَاضَ بِأَرْضِهَا
مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ قَرَارًا لِلْهُدَى
وَهِيَ الَّتِي اشْتَهَرَتْ بِسَابِقِ فَضْلِهَا
وَالْإِنْكِلَابِ بِجُدَّةٍ يَرْتَوِلُهَا

إِلَّا الْمَوَازِرُ وَالْجِيَادُ عَرِينُ^(١)
بِزَهْوُنَ مِنْ طَرَبٍ لَهُمْ تَلَجِينُ^(٢)
مِنْ دُونِهَا السَّنْطِيرَ وَالْقَيْنِينَ^(٣)
يَا حَبَّذَا التَّحْنِيظَ وَالتَّكْفِينُ^(٤)
حَيْثُ اسْتِيَامُ الْأَجْرِ وَالتَّثْمِينُ
مِنْهُ اسْتِفَادَ بِشَمِّهَا الْعِرْنِينَ^(٥)
صَعْبٌ وَشِيْمْتُهُ الْحَيَا وَالتَّلِينُ
يَرْدُونَ مَاءَ الْأَمْنِ وَهُوَ مَوْبِينُ
وَكَلاهُمَا مِمَّا أَلَمَّ حَزِينُ
كَبْرَى بِهَا الْيَمَنُ الْأَعْرُ يُدِينُ
فِيهَا صَدِيقُكُمْ الْحَمِيمُ قَطِينُ^(٦)
وَالْحَقُّ فِيهَا يَا سَعِيدُ دَفِينُ
فِي جَوْهَا نُورُ النَّبِيِّ مَبِينُ
حَسَنَاءُ لَكِنْ بَعَلُّهَا عَنِينُ
فِي صَدْرِهِ الطَّمَعُ الشَّدِيدُ كَنِينُ^(٧)

(١) برائتها: جمع برثن وهو مخلب الأسد. الموازر: المآزر جمع منزر وهو الإزار الذي يستر ويوارى. العرين: مأوى الأسد. يريد أن عرينهم الدروع ومتون الخيل.

(٢) شوس: ينظرون نظر ذي نخوة وكبر؛ جمع أشوس.

(٣) السنطير: لعله آلة طرب معروفة عندهم. القنين: الطنبور من آلات اللهب والطرب.

(٤) أصاخوا: استمعوا. يقال: أصاخ له استمع.

(٥) تضوع: تفوح روائحها الطيبة. العرنين: الأنف.

(٦) قطين: مقيم.

(٧) كنين: مستكن مستتر.

واللّه يدفعُ كيده ويردُّ من
 فاستصدرِ الأمرَ الشريفَ بضمِّها
 عَجَلُ فَإِنَّ الصَّبْرَ ضَاقَ نَطَاقُهُ
 وَاَنْصُرُ حَلِيْفَكَ إِنَّهُ بِوَلَانِهِ
 كَلِبَ الزَّمَانُ عَلَيْهِ وَالْأَعْدَاءُ قَدْ
 وَأَنَا سُنَا يَتَلَوْنَونَ كَأَنَّهُمْ
 وَلَنَا الْوَفَاءُ سَجِيَّةً وَاللَّهِ لَا
 وَاسْأَلْ فَقَدْ شَهِدَ الزَّمَانُ بِصَدَقَتِنَا
 فِي اللَّهِ مَا قَدْ مَسَّنَا وَرِضَاهُ غَا
 وَالْمَجْدُ صَعْبٌ وَالْمَعَالِي نَيْلُهَا
 فَاعْزِمِ وَجْهٌزْ بَعَثَةٌ يَا مَنْ لَهُ
 وَأَخَافُ أَنْ الرَّيْثُ يَعْقِبَ حَسْرَةً
 هَذِي الْإِشَارَةُ قَدْ بَعَثَتْ بِهَا عَلِي
 وَاسْلَمْ وَدُمُ وَعَلَيْكَ يَا غِيْظَ الْعِدَا

نَشَرَ الدَسَائِسَ عَنْهُ وَهُوَ مَهِينٌ
 فِعْلًا فَأَنْتَ لَدَى الْمَلِكِ مَكِينٌ
 وَالْقَلْبُ فِيهِ مِنَ الْهَمُومِ كَمِينٌ
 لَكَ فِي الْأَذَى مِنْ مَبْغِضِيهِ رَهِينٌ
 حَرِبُوا وَمَا حَفِظَ الذَّمَامُ خَدِينٌ^(١)
 مَاءٌ وَيَسْتَهْوِيهِمُ التَّزْيِينُ
 نَلْوِي عَزِيمَةً صَادِقٍ وَيَمِينُ^(٢)
 مَا نَحْنُ يَمِّنٌ فِي الْعَهْدِ يَمِينُ^(٣)
 يَةُ قَصْدِنَا وَالظَّنُّ فِيهِ مَتِينُ
 تَعَبٌ بِهِ رَاجِي النِّجَاحِ قَمِينُ
 رَأْيِي إِذَا خَفَّ الْوَقُودُ رَزِينُ^(٤)
 إِنْ صَحَّ مَا يَقْضِي بِهِ التَّخْمِينُ^(٥)
 وَجَلِّ وَأَنْتَ لِمَا نَشِيرُ فَطِينُ
 سَوْرٌ مِنَ اللَّطْفِ الْخَفِيِّ حَصِينُ



- (١) كَلِبَ الزَّمَانُ عَلَيْهِ: اشدت عليه. حرب العدو: اشدت غضبه. خدين: من يصاحبك في كل أمر ظاهر وباطن.
- (٢) وَاللَّهُ لَا نَلْوِي: قسم وجوابه ثم قال: تلك عزيمة صادق ويمين بالله لا حنث فيها.
- (٣) يَمِين: يكذب.
- (٤) بَعَثَةٌ: جيشاً.
- (٥) الرَّيْثُ: البطء والتأخير.

القصيدة التاسعة

يصف ما يحدث له ببلده وشوقه لمشاركة المجاهدين بلحج

ثم إن الإنكليز استأثروا من تلك الوثيقة؛ وجعل الأموال الطائلة لمن يغتالني؛ أو يأتيه بي؛ وكلف القعيطي بحصار حضرموت^(١)؛ وتهدد الموجودين (بسنغفورة)؛ من أهلها بالحجز على أموالهم، وبعد لأي ما؛ سمح لهم بالذهاب إلى عدن؛ ليتفاوضوا مع وزير القعيطي في المسألة الحضرمية؛ وكان فيهم ممثل الدولة الكثيرة؛ وانتهى أمرهم بالمعاهدة المعروفة؛ المشتملة على الإحدى عشرة مادة، وكان وزير القعيطي السيد حسين المحضار؛ صحيح الإسلام؛ يسعى لصالحه؛ وما انتفعت لحج إذ ذاك؛ إلا بالبضائع التي تردّها من المكلا؛ عن علمه؛ إلا أن وظيفته اقتضت بعض ما هناك؛ وودّ لو تشدد أهل حضرموت؛ ولكنهم سقطوا بمجيء الهزّ وفي ذلك قلت:

يقلبي لا يزال جوّي مقيمٌ كأنّي منه في الداجي سليمٌ^(٢)
تعاتبني الملاح على شهادي لأنّي لا أنام ولا أنيمٌ^(٣)
وكيف بناّم حرّ لم يشاهد من الأحوال إلا ما يضيّم
مع الأغراض جُلّ الناس مألوا فكلّ في مفاوزها يهيم

(١) أي حضرموت الداخل؛ وهي الدولة الكثيرة التي يعيش فيها الإمام ابن عبيد الله.

(٢) الداجي: الليل المظلم. سليم: ملسوع.

(٣) سهادي: أرفي.

جفاني الأصدقاء وصدّ عني
دهاناً بعضهم مألوا وبعض
ومالي عندهم واللّه ذنب
وكم غمزت قناتي غير أني
وقد كنّا وإياهم جميعاً
وما وهنّوا بلا سبب ولكن
وأودى بالبلاد الحضّر حتى
فسوّلت النفوس لهم وشحّوا
وما يخشونه سقطوا عليه
ولو صبروا لنالوا كلّ خير
ففي الصبر النجاة وإن أضرت
يظنون التهانى بالأمانى
ومن دون الجنان لطالبيها
فلا يستاف رياها جبان
ومن لي أن أبيع بها حياة
فلي شوق إلى الأحباب ينمو

أولو القربى وباعدني الحميم
توگن صدره الداء القديم^(١)
سوى أني على عهدي مقيم
أبي لي أن ألين ثقي وخيم^(٢)
على رأي ففرّنا الرجيم
أحاط بمالهم خطر عظيم
تضررت الأرامل واليتيم^(٣)
بدنيا عيشها كدير وخيم
لو اعتبروا إذا نصح الحلیم^(٤)
كما قد صرح الذكر الحكيم
أوائله فمقباة النميم
وما مرعى المني إلا هشيم^(٥)
مواقف ينثني عنها اللثيم
بمهجته يضمن فلا يسيم^(٦)
فوادي من حوادثها كليم
إذا ما هب من «لحج» نسيم

(١) دهاناً: نفاقاً. توكن الداء القديم صدره: تمكّن فيه.

(٢) غمزت قناتي: الغمز العصر باليد. القناة: الرمح والمراد أنهم حاولوا فتنه بالقوة. خيم: أصل عريق أو خلق متين.

(٣) يشير الإمام إلى ما حدث بحضرموت من المجاعة بسبب الحرب.

(٤) الحلیم: ذو العقل.

(٥) هشيم: يابس مفتت لا جدوى له.

(٦) يستاف رياها: يشم ريحها الطيب. فلا يسيم: فلا يخليها تجاهد من أسمت الإبل أسيمها إذا خليتها ترعى.

هنالك جنّة الفردوس تُجلى
 هناك عساكر الإسلام تزهو
 يدبّر أمرها الغازي سعيد
 وأنّى يهزم الطاغوث جيشاً
 وقد عرفوا وقائعه اللواتي
 تُسيلُ سيوفه منهم نجيعاً
 تدوسهم على الأرض المذاكي
 بلذخيله ضرب الهوادي
 إذا اشتجر القنا جاءت سكارى
 تلاحظه العناية كل حين
 وتنصره الصبا ولديه جند
 أتاني من سماحته رقيم
 كأن حروفه حطّبت بنور
 فخفّف مخنتي لكن شوقي
 ويُنصعُ طيبها الزاكي الشميم^(١)
 مواكبها فيندجر الخصيم
 ويخفق فوقها الروح الكريم
 له ذو الهمة العليا زعيم
 يثيب لهولها الليل البهيم^(٢)
 وتُمطر من مدافعه الجحيم^(٣)
 كأنهم بها النخل الصريم^(٤)
 كما يلتذ بالطرب النديم^(٥)
 تعادى مثل ما يعدو الظليم^(٦)
 ويصلح شأنه البر الرحيم
 سماوي لرأيتيه لزيم^(٧)
 فأثلج خاطري ذاك الرقيم
 وأن خطابه الدرّ النظيم
 ألحّ كما يطالبني الغريم^(٨)

(١) ينصع طيبها: يخلص. وفي الحديث: المدينة كالكير تنفي خبيثها وتنصع طيبها أي تخلّصه.

(٢) الليل البهيم: الأسود.

(٣) نجيعاً: دماً.

(٤) المذاكي: الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة. الصريم: المقطوع.

(٥) الهوادي: الرؤوس وأصل الهودة مجتمع السنام من البعير وجمعها هود.

(٦) اشتجر القنا: استحر القتال. واشتجر أي اشتبك والقنا: الرماح. سكارى: فرحة مسرورة.

الظليم: ذكر النعام.

(٧) الصبا: الريح المعروفة ضد الدبور وفيه اقتباس من حديث: نصرت بالصبا وأهلكت عاد

بالدبور. لزيم: ملازم.

(٨) الغريم: الدائن الملح.

متى تطوي الفلاة بي المطايا وتفرّيها كما يفرّى الأديم^(١)
فأنشق من شذا «لخج» خزامى ويبدو ذلك الوجه الوسيم^(٢)
وتبرد غلّتي ويثوب أنسي فإن الروح من كلفي سقيم^(٣)
وذمّ ولك المناقب والمزايا وحسن الحظ والخير العميم
سحاباً منه يُخصب دین طه ويشقى من صواعقه الأثيم



(١) تفرّيها: تطعميها.

(٢) فأنشق: أشم. الشدى: الرائحة. الخزامى: نبت زهرة أطيّب الأزهار رائحة.

(٣) العلة: هي شدة العطش. الكلف: الولع.

القصيدة العاشرة

بعد هزيمة تركيا في الحرب ومغادرة سعيد باشا للحج^(١)

وبعقبها؛ كان خروج السيد حسين بن حامد المحضار لإعلان الصلح المنعقد في عدن، وقد علمت مما سبق في المحضاريات؛ أننا أنشدناه في تلك القدمة؛ القصيدة اللامية السالفة، وفي تلك الأثناء؛ كان تسليم لحج؛ وإبحار القائد المنصور، وفي سنة ١٣٣٧هـ توجه الأمير علي بن المنصور؛ بمعية السيد حسين بن حامد؛ و مندوب الأمير محسن بن غالب؛ إلى عدن؛ لإمضاء المعاهدة بدار الاعتماد هناك؛ وبمناسبة إياها قلت هذه القصيدة.

يقولون حَبَّرَ في الأمير مديحاً وعَدُّوا سكوتي يومَ عاد قبيحا
وأهلُّ له؛ لكنني بعدَ ما نأى سعيدٌ غدا ذوقي السليمُ جريحا^(٢)
صديقي الذي خالفْتُ قومي بحلفه وإن كان قيسٌ قد أطاع ذريحا^(٣)
عصاني لساني بعده فهو أخرسٌ وإن كان فيما تبصرون فصيحا
وإنني لجزلُ القولِ وقت نُوائه ولستُ بشعري للأمير شجيجا

(١) وفيها يبين الإمام أنه بعد ما حصل من انتهاء الحرب بهزيمة تركيا ومغادرة صديقه العزيز علي سعيد باشا لحجاً بأمر الدولة التركية له ولهذا السبب صعب عليه قول الشعر حتى إنهم لما طالبوه بمدح الأمير علي بن منصور ولي عهد الدولة الكثيرة بعد عودته من عدن وإبرام المعاهدة مع الإنجليز لم يعد قادراً على الشعر.

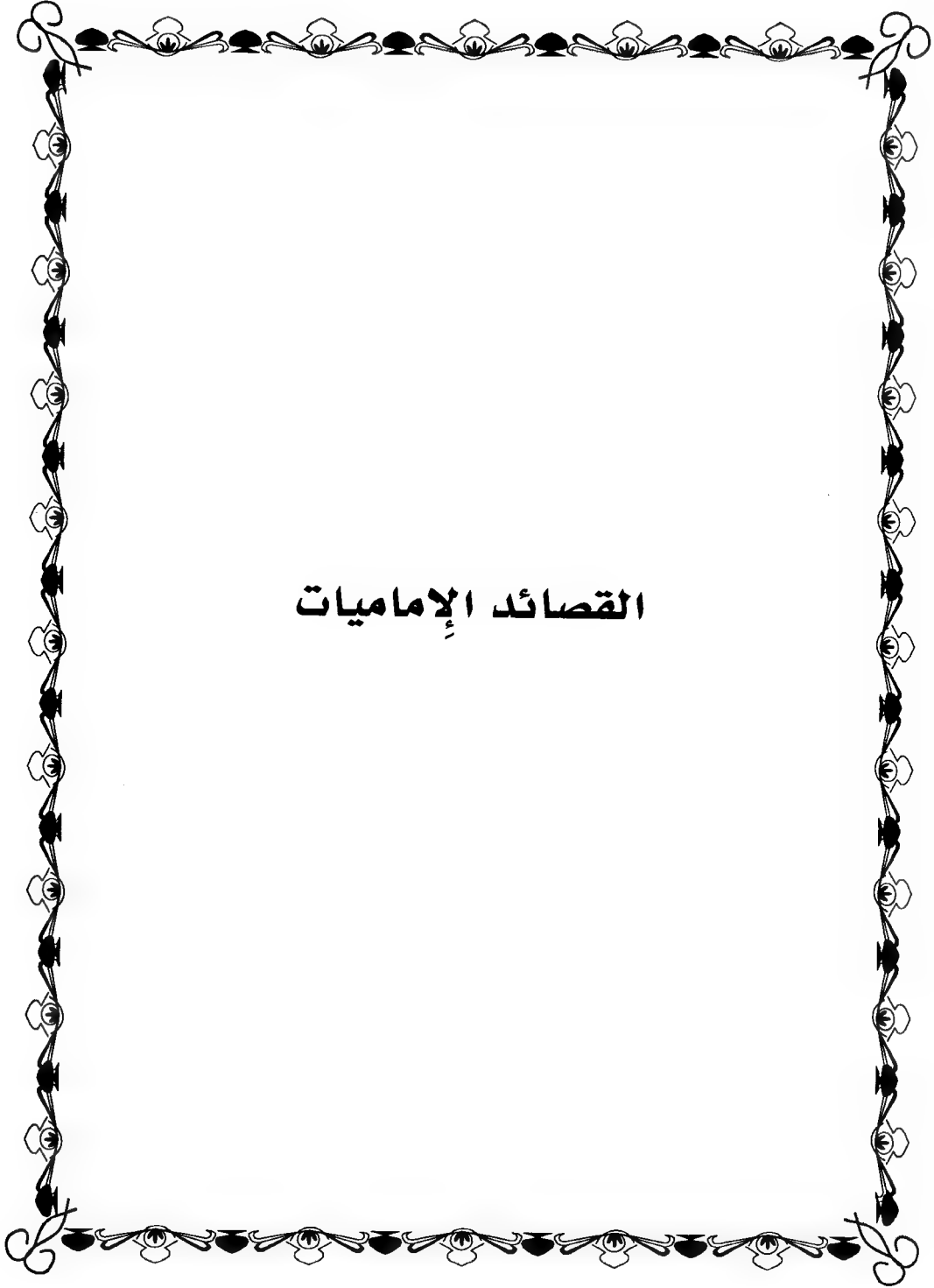
(٢) وأهل له: وهو أهل للمديح.

(٣) ذريحاً: في اللسان بنو ذريح من أحياء العرب.

وإن كان لي عتبٌ عليه ففهمهُ
 دُعوني فإن الدهر غيَّضَ فِكْرَني
 على أنه لم يملك اليأسُ خاطري
 إذا لم أبع ديني وعرضي فَمُنْجَري
 إلا إن طيرَ اليمَن تنعَبُ باللُّقا
 وقد حدثتني بالنجاح فِرَاسَتي
 ولي ذمَّةٌ من طيبِ طيِّبَةٍ به
 ومن صنوه زوج البتول الأولى طوى
 أتمثُرَ أمالٍ امرئٍ بولائهم
 بهم يحتمي في كل حالٍ وينتمي
 عليهم من الرحمن أذكى تحيةً
 كفايَني عن ذكر العتابِ صريحاً
 وغادرنِي نَضْوُ الهمومِ طريحاً^(١)
 وما زال وَزْني كيف كنتُ رجيحاً
 وإن فاتَ حَظُّ لا يزالُ ربيحاً
 ومنها بشيرٌ لا يزال سَنيحاً^(٢)
 وجربتُ ما تُروِي فكان صحيحاً
 تطيبُ وتزهُو قُبَّةً وضريحاً^(٣)
 خيالهم الثاوي مهامه فيحاً^(٤)
 تبوأَ جاهاً لا يُرام فسيحاً
 ومن أجلهم يهوي التَّهائمُ والشيحاً^(٥)
 نعمُ بريَّها المنازلَ ريحاً^(٦)



(١) نضو الهموم: مهزولاً بسببها.
 (٢) ينعب: يصوت. سنيحاً: طيراً سانحاً مباركاً.
 (٣) طيبة: من أسماء المدينة المنورة.
 (٤) الثاوي: المقيم. مهامه: فلوات. فيحاً: واسعة.
 (٥) التهائم: جمع تهامة. يريد أماكنهم. الشيحاً: النبات المعروف.
 (٦) بريهاها برائحتها.



القصاصد الإماميات

سبب وقصة الاتصال بالإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد حمداً لله على آلائه، والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه، وعلى آله وأحبابه وأوليائه؛ فقد ملأ الله كتابه بذكر الأمم الخالية، وقصص القرون الماضية، ولَفَّتْ الأنظار بالحاح إلى الاعتبار بتقلُّب أمورها، وانتكاث غرورها، فمن غَزَرَ فهمه؛ وكثُر من العقل سهمه؛ جعل مرمى فكره؛ الأسباب التي نجم بها الصعود والهبوط، ونتج عنها الارتفاع والسقوط؛ لأنَّ حكم الله في عباده واحد، وسنته في خليقته لا تتبدَّل، والقرآن كما أنه ديوان أخبار السابقين؛ كذلك هو ميزان أحوال اللاحقين، والدهر يكرر درسه؛ والتاريخ يعيد نفسه.

ألا إنما الأيام أبناء واحد وهذي الليالي كلها أخوات
ومن تدبَّر آيات القرآن المجيد؛ وأكثر في قراءة التاريخ وهو مرآتها^(١)؛ من التصويب والتصعيد؛ ظهر له أن مجد الأمم لا تنشقُّ سماؤه، ولا يتداعى بناؤه، إلا إذا انغمسوا في التَّرف، وألفوا ظلَّ الغُرف، وفاض فيهم الزخرف وجُرف، ذلك وإن لم يكن لِذَاتِهِ محظوراً في الدين؛ لكنه كما نطق البرهان؛ وشهد العيان؛ باكورة ثمار المفسدين، فهو للوفاق منعاة، وللافتراق مدعاة، لهذا كانت حُضرموت أيام القناعة والزهادة؛ معمورة بالمحاسن، وماء الفضائل بها غير آسِن، وأهلها بغاية الوثام، على أحسن ما يرام؛ من بياض السرائر؛ وصفاء

(١) أي مرآة الأيام.

الضمائر، أما رجال الدين؛ فأقومُ طريقَ طريقهم، وأفضلُ فريقَ فريقهم؛ ليس لهم في الحظوظ العاجلة مشاركة؛ بل لهم تألُّهُ يكاد يلحقهم بالملائكة؛ ويخرجهم من ظلمات البشرية الحالكة، وأما الأمراء؛ ومن دونهم من القبائل؛ فديارهم للوجود مهد، ودينهم الوفاء بالعهد، إلى همم عالية؛ وكلمٍ غالية، وصدق في النيّات، وسلامة في الطويّات، وجميعهم للدين ألب، ولمن يريد هتك حريمه حرب؛ هذه حالهم كانت قبل اليوم بستين سنة^(١)؛ بقطع النظر عن التاريخ القديم؛ وتلوّن أطواره وتقلّب أدواره؛ ثم انقضّت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام؛ كأن لم يكن بين الحَجّون إلى الصِّفا

أنيسٌ ولم يسْمُر بمكةَ سامرٌ.

ثم عمِدَ بعضُ إلى الطريقة؛ فكسر سورَها، ومسح نورَها، وهدم دورَها؛ وغيرَ أمورَها، بعد أن بدأ الخير يفيض، والمال بأيدي اللثام يفيض، والحسد على الباطل يُفَرِّخ وَيَبِيض.

وانثنى آخر؛ لعود القبائل؛ فلحاه، وحسن الاجتماع؛ فمحاه، وصادف انغماساً في النعمة؛ فأنحلت عُراهم، ونبذوا الحفَاط وراهم، وانشقت عصاهم، وعمَّهم التفرُّق إلى أقصاهم؛ فأين هم من إصلاح أنفسهم؟ أين هم؟ وقد اندق عطر منشم بينهم^(٢)؟.

وانتحي الفريق الثالث على الشريعة؛ فشنت زمامها، وحرّف أحكامها، وغمط حقوقها، وأظهر عقوقها؛ وتفصيل القضية يفضي بها إلى العول، ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمِهِمْ ۗ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^(٣).

(١) أي في حدود سنة ١٢٧٠هـ وما قبلها؛ وهو يقصد هنا أيام الأئمة حسن بن صالح البحر

ومحسن بن علوي السقاف وعبد الله بن حسين بن طاهر وعبد الله بن عمر بن يحيى وأمثالهم.

(٢) منشم: امرأة عطارة بمكة وكانوا إذا أرادوا القتال وتطيّبوا بطيبيها كثرت القتلى فقالوا أشام من عطر منشم.

(٣) سورة محمد، الآية: ٣٠.

تسنى ذلك؛ بموافقة هوى من الأولياء؛ روج غش أولي الأغراض، وأقطع
الناصحين جانب الإعراض، بعدما رثت الحبال، وأجذب الرجال، وانقلب السير
إلى الوراء؛ وانعقدت الآمال بأهل الشراء؛ فانتشر الجذام، وكثرت المدام،
وعظمت الخطوب؛ واختلفت القلوب.

واليوم؛ الأمر أدهى، والمنكر لا ينهى، والطغيان يقطر، والشيطان يخطر،
والحرم منهوكة، والدماء مسفوكة، أما الحلف^(١)؛ الذي تمنى الضعفاء أن يظفروا
منه بكنز؛ فأضيغ من صيحة في فلاة؛ وأهون من عفة عنز^(٢).

وأنا بحمد الله؛ من شرخ الشباب؛ لا أسكت على ما يستمرىء اللثام
هضمه، ويستلذُّ باعة الذمم قضمه، رافع العقيرة^(٣) بدعوة القوم إلى الحق؛ إلا
أنها لم تزدهم إلا نفاراً منه؛ وإدباراً عنه؛ حتى تمزقت أوصاله، وبؤت بالحسد؛
فتكسرت في نصاله.

واتفق أن خسف هلال أزعجني محاقه، ومسح قلبي طائراً فراقه؛ فشخصت
أواخر عام ١٣٢٩هـ عن الوطن؛ وأنا في التاسعة والعشرين من عمري؛ تتقاذفني
الهواجس؛ وتتجاذبني الوسوس، تعدمني الحمية وتوجد، وتتهم بي العزيمة
وتنجد، في تطلب فرج يندفع به الضير، وتشم منه البلاد عرف الخير؛ لأنني لما
ضعف بأهلها الأمل، أجمعت على مداومة العمل، إلى أن يستنوق الجمل.

وذهبت كالهائم مع قلة الاطلاع على الأخبار، وعدم الإلمام بما يقع في
الأقطار، فالمعمور حتى القريب متاً، بحكم البعيد عنا؛ إذا حاله غريب عندنا^(٤)،
ولو بقينا على العزلة لأحرزتنا السلامة من الباقي، ولكن غزتنا طلائع التمدن

(١) يقصد معاهدة الحماية مع بريطانيا.

(٢) عفة عنز: شرطتها.

(٣) العقيرة: الصوت.

(٤) يوضح هذا الكلام عزلة حضرموت الهائلة عن بقية العالم مما يثير استغراب القارىء لما كان
عليه الإمام من المتابعة لأخبار الدولة العلية وما يحصل في العالم من حروب ونكبات.

المشؤوم؛ فزادت الطين بِلَّةً، والمريض عِلَّةً، فالشر تُذكي ناره، والشرف يُبكي مناره.

وأول ما استلقت نظري في رحلتي؛ كتاب دفعه لي الأستاذ العلامة الوالد أحمد بن حسن العطاس بحريضة؛ وقال: اقرأ عليّ من أول ما تقع عليه عينك؛ ففعلت؛ حتى جاء ذكر بعض العلويين بما لا يعجبه؛ فأخذ الكتاب؛ ولكن بعد ما نَعَشَ أملاً عَثَرَ، وجدد لي رجاءً دَثَرَ؛ وعيّن جهة قصدي؛ وأراني مكان ضالّة طال لها نَشدي.

ذلك الكتاب؛ هو الرحلة المتوكلية لابن جرموز؛ الذي ملك عواظي؛ خصوصاً بما ذكره عن الإمام المتوكل على الله؛ إسماعيل؛ من استنقاذه حضرموت؛ لمّا استنجده الأمير بدر بن عمر الكثيري؛ وبعد أن رواها بالدماء؛ وأنفق عليها من الذهب ما يوازي قطر السماء؛ دفعها برمتها له؛ لقمة هنيئة؛ وهدية سنّية؛ قانعاً منه بالدعوة المنبرية؛ ومشرطاً عليه الاعتصام بسنة خير البرية.

هكذا هكذا وإلا فلا لا طرقتُ الجدّ غير طرقتُ المزاح

عند ذاك؛ صرّح المخض عن الزبدة، وانعقد العزم بلا تردّد إلى شهارة أو صعدة؛ وعليه كان الذهاب إلى عدن؛ وثمّ أنشأت القصيدة الأولى من الإماميات؛ ولكن لم أجد من يساعد، بل فتّ المشير في الساعد، والأمور مرهونة بأوقاتها، وإذا لم تُواتك الأيام فواتها، وتلك القصيدة مع البلاغة؛ قليلة النضرة، لأنها فيما أظن؛ لم تسعد بالإرسال إلى تلك الحضرة، هذا هو السبب الأول؛ الذي وصل بذلك الجناب حبالنا؛ وعلّق به؛ أيّده الله؛ آمالنا.



القصيدة الأولى

إلى الإمام يحيى حميد الدين (١)

ماذا على الطّيف لو حيًّا فأحيانا وزارنا في سوادِ الليل أحيانا
وسرَّ رُوحٌ محبٌّ لا يزال به مستغرِقَ الفكر والإحساس حيرانا
لقاً من الوجود قد غابت مشاعره إن قيل كيف يزور الطيف يقظانا^(٢)
حاولتُ كتَمَ الهوى يوم الوداع فلم أقدر عليه لأن الصبرَ قد خانا
فكيف أستره والضعفُ يظهره والدمع يجري على الخدين هَتَّانا^(٣)
يكفي بلوثي وبالجسم الضئيل على ما في الحشا من أوار البين برهانا^(٤)
بأنوا فبانث مسرَّاتي وعوَّضني فراقهم بعد طول الأُنس أحزانا
تقول لي النفس هم في القلب ما برحوا وإن نأوا عنك أشباحاً وأعيانا

(١) الإمام المتوكل على الله يحيى حميد الدين هو مؤسس المملكة المتوكلية اليمنية وقد كانت من قبل تابعة للدولة العثمانية وقد خاض الإمام حروباً كثيرة مع الأتراك ثم مع جيرانه العرب حتى استقل بدولته في حدودها المعروفة. وقد استقل بجميع اليمن بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية وأسس مملكته التي حكمها من عام ١٣٢٢هـ إلى عام ١٣٦٧هـ. قتل الإمام يحيى سنة ١٣٦٧هـ في انقلاب هدف إلى تغيير الدولة لكن الانقلاب فشل فيما بعد واستقل ولي عهده الإمام أحمد بحكم المملكة اليمنية. وقال عنه أمين الريحاني: لا تجد في ملوك العرب من هو أعلم من الإمام يحيى في الدين والفقه واللغة العربية وله ذوق في الشعر والأدب وهو الشاعر الوحيد في حكام العرب جميعاً.

(٢) لقي: مطروحاً متروكاً.

(٣) هتانا: كثير الهتن والصب.

(٤) بلوثي: بجراحاتي. الأوار العطش. البين: الفرقة.

فقلت والبثُ جَمٌّ والنوى قُذْفٌ
 ما كنت أحسب أن الدهر يَفْطُمُنِي
 وما تصورْتُ أن النَّأْيَ يُورِثُنِي
 وكم تطلَّبتُ أسبابَ السُّلُوِّ لكِئِي
 ولم أدعْ حيلةً آسوها عَلَّيِي
 على الإمام الذي شادتْ عزائمُه
 القائلُ الفصلَ إذ تَعيا الرجالُ به
 والحاكمُ العدلُ من صارت رعيته
 خيرُ الملوكِ وأسناهم وأبعدهم
 جَمُّ العطاءِ إلى أعتابِ رحمته
 حلُوُ الشمائلِ يلقي الضيفَ مبتسماً
 حاوي الصباحِ مَنْ تغنيك طلعتُه
 وصاحبُ البأسِ خواضُ الحتوفِ إذا
 تلقاه عند احتدامِ الطعنِ منتشئاً
 ينقُضُ بالسيفِ بين الجحفلين على
 والقائدُ الخيلِ يومَ الرُّوعِ يخضِبُها
 خيلٌ من الغيظِ قد ذابت شكائهما

ما ريتُ قلبي إِلا مُذْناً وَاباناً^(١)
 عَمَّنْ أَحَبُّ ولم أَحسَبْهُ خَوَاناً
 من الصبابةِ معشَرَ الذي كانا
 يهؤُنْ بعضُ الذي عندي فما هانا
 غيرَ القُدومِ على من فاض إحسانا
 للبذلِ والعدلِ والإنصافِ أركاناً
 والناطقُ الحقُّ إلهاماً ووجداناً
 بعد التعادي بفضلِ الله إخواناً
 صيتاً وأرجحهم في الفضلِ ميزاناً
 تسعى العُفَاةُ زرافاتٍ ووحداناً^(٢)
 عن الجمَانِ رحيبَ الصدرِ جدلاناً^(٣)
 أن لا ترى بعدها ما عشتَ بستاناً
 شبَّتْ يدُ الحربِ بين الناسِ نيراناً
 من المسراتِ ثبتَ الجأشُ نشواناً
 جزبِ الردى فتري الأجيادَ أجفاناً^(٤)
 من النجيعِ مكانِ الحلِيِّ ألواناً^(٥)
 بُذِلْنَ بالجزِيِ هاماتٍ وتيجاناً^(٦)

(١) البث: الحزن والغم الذي تفضي به إلى صاحبك. جم: كثير. قذف: بعيد الموضع. بان: انفصل.

(٢) العفاة: طالبو المعروف.

(٣) الجمَان: أسنان كاللؤلؤ.

(٤) أجفاناً: أعماداً لسيفه.

(٥) يوم الروع: يوم الحرب. النجيع: الدم.

(٦) الشكائِم: جمع شكيمة وهي حديدة في اللجام معترضة في فم الفرس. وقد ذابت من العلك لشدة الغيظ. يذلن: يهن.

هنالك التبرُّ فوق التُّربِ منتثرٌ
والأرضُ من جثث القتلى قد امتلأت
مدير هذه المغازي حازمٌ يقظٌ
من سادة كرمت أفعالهم وزكى
وأنفقوا في بناء العزِّ طاقتهم
شابوا على الجِدِّ والتشمير واكتهلوا
شُمُّ الأنوف طوأل الباع تحسبهم
أكرم بهم من سراة كلُّهم نُجِبٌ
«صنعا» بهم أصبحت أرضاً حدائقها
وزانها العلمُ والتهذيبُ فامتلاّت
يلقى بها من يريد الفوزَ حاجته
يابنَ الكرام ويا بدرَ التمام ويا
إليك جُبْتُ حُزون الأرض مذرُوبتُ
فحلَّق الشوقُ بي حتى وصلتكمُ
ولم أجد تحفةً قبلي أقدمها
فاسمع غرائب مدح لا يساهمها
واقبل تحيات ذي ودِّ يكررها

والدرُّ يُقسم بين الناسِ مجاناً
من بعد ما صارت الحصباءُ مرجاناً
في عزمه ما رأينا قطُّ إنساناً
نجارُهم وعلّوا بين الوري شانا^(١)
وشيدوا بالقنا للمجد بنيانا
وأتقنوا الحربَ والهيجاءَ وُلدانا
يومَ الكريهة حالَ الكرِّ عقباناً^(٢)
وبالهمام الإمام الحق سلطاناً
تهدلت ونمتُ أصلاً وأفناناً
أمناً ويمناً وإصلاحاً وعمراناً
دينياً ودُنياً وعرفاناً وإيماناً
بحرَ السماح الذي ما زال ملاناً
أخبارك العُرُّ تحشو السمعِ عقياناً^(٣)
«والأذن تعشقُ قبل العين أحياناً»
غيرَ المديح الذي أشدُّ به الآنَا
نظمَ الكميتِ ولا منشور سحباناً^(٤)
ما رنحت نسماتُ الصبحِ أغصاناً

(١) النجار: الأصل.

(٢) العقبان: جمع عقاب طائر معروف.

(٣) حزون الأرض: ما قابل سهولها. العقيان: الذهب الخالص.

(٤) الكميت: هو ابن زيد الأسدي شاعر آل البيت. سحبان هو سحبان وائل من أشهر خطباء

العرب في عصر بني أمية.

القصيد الثانية

الى الإمام يحيى من سنغافورا

ولما كثرت إثر ذلك الإشارة بذكر مولانا الإمام أيده الله وأنا بسنغافورا سنة ١٣٣٠هـ؛ ارتأى الفاضل الجليل؛ السيد محمد بن عقيل^(١)؛ أن يبعث له رسالة

(١) ولد السيد محمد عقيل بن يحيى في المسيلة بحضرموت سنة ١٢٧٩هـ واحتاج للرحلة عن وطنه وهو صغير بعد وفاة والده المبكرة فوصل سنغافورا سنة ١٢٩٦هـ ثم دخل جزيرة جاوى واشتغل في بعض نواحيها وفيما جاورها بالتجارة والزراعة والتصدير فكانت له صلاة تجارية واسعة الأطراف ببلاد متعددة في الصين واليابان وجزر الفلبين وسومطرة وغينيا الجديدة والهند والسند وبورما وسيلان واليمن والحجاز ومصر والشام والعراق والآستانة والأناضول وبعض أوروبا وله معارف ببعض تلك البلاد. وقد بلغت تجارته ٤٠٠،٠٠٠ روبية وهو مبلغ خيالي في ذلك الوقت وكان يتاجر في الماس والكتب وغير ذلك وكان دقيقاً في توثيقه لحساباته بشهادة بعض المتخصصين الذين وقفوا على دفاتره المخصصة لذلك. ويقول عنه العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد مفتي جوهور بماليزيا بأن ابن عقيل كان يرى المال وسيلة فقط فليس له عنده منزلة إلا بمقدار الحاجة الحاضرة وكان سخياً متلاًفاً ولذلك كان اشتغاله بالتجارة كعادة من سبقه من أجداده وأسلافه الذين حملوا هم الدعوة الإسلامية على ظهورهم أن يستعين بالمال على نشر الدعوة والعلم. ومن أعماله في سنغافورا تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي الأعلى الذي كان أمير الإحسان السيد محمد بن أحمد السقاف أول رئيس له كما أنشأ بسنغافورا سنة ١٣٢٦هـ جريدة الإصلاح ومجلة تدعى الإمام بلغة الملايو وبحروف عربية كما أسس ﷺ في سنة ١٣٢٥هـ مدرسة سماها مدرسة الإقبال وأتى لها في سنة ١٣٢٦هـ بمعلمين من مصر. كما ساهم السيد محمد بن عقيل بن يحيى مع السيد شيخ الهادي في جمع التبرعات لمشروع خط سكة حديد الحجاز وكذا لمشروع عين زبيدة بمكة كما اهتم بدعم جمعيات دعم منكوبي طرابلس الغرب لما حل بها من الإيطاليين وغيرها من بلاد الإسلام. وصفه ابن عبيد الله فقال =

بإمضائه؛ وإمضاء العارف بالله؛ الوالد محمد بن أحمد المختار؛ وإمضاء الأديب السيد محمد الحبيد؛ والتمس مني المشاركة؛ فشفتها بهذه القصيدة.

شرفاً سموت على الملوك ومفخراً وعلوت يا يحيى على هام الورى
وبلغت من رتب المعالي رتبة تركت جميع مراتب العليا وزا
لو طاولتك أولو المناصب للعلى لم يبلغوا من أخصيك الخنصرا^(١)
ملأت مفاخرك الزمان ولم تدع في سيفره لسواك إلا أسطرا
أمجد البطل الشجاع وتارك المليك المطاع على التراب مَعْفَرَا

= كانت له حافظه قوية واطلاع تام وانكباب على المطالعة (انتهى) وكانت داره أشبه بمكتبة عظيمة تحوي كتباً ومجلات وجرائد كثيرة في مختلف المجالات. وقال عنه الحبيب علوي بن طاهر الحداد: إنه لم يكن ينام أيام اعتدال صحته حتى يقرأ مائة وخمسين صفحة غالباً وكان يقيد في مطالعته كل ما يحتاج إلى التقييد ويصحح الأغلاط ويعلق الملاحظات بصبر وعناء قلما يوجد. وبعد هجرة طويلة قرر السيد محمد بن عقيل العودة إلى البلاد العربية فاختر أولاً الإقامة بمكة المكرمة وأرسل في سنة ١٣٣٨هـ عائلته وحاشيته إلى مكة ثم تبعهم بعد ذلك وأقام بمكة ستة أشهر وعلى ما يبدو فإنه ترك عائلته بمكة وواصل أسفاره ثم عاد إلى حضرموت فوصل المكلا سنة ١٣٤٠هـ واستقر بها. وكانت بريطانيا تنظر إلى ابن عقيل بنظر الريبة ولم ترتح لوجوده في أي مكان بمستعمراتها ومحمياتها ذلك إن أعماله كانت متصادمة مع مصالحها. وكان السيد محمد بن عقيل في المكلا صريحاً في انتقاد أوضاع البلاد الحضرمية والمطالبة بإصلاح القطر الحضرمي فاتهمته الحكومة القعيطية بالاتصال بأئمة اليمن وأمروه بمغادرة المكلا والانتقال إلى عدن فأرسل عائلته إلى حضرموت وسافر إلى عدن حيث لقي فيها استقبالاً حاشداً وتحولت داره في عدن إلى مكتب استفتاء ومعهد وناد أدبي يدرس عنده الطالب ويأتيه السائل والمستفهم وتنعقد مجالس الأدب والظرف ومنضدته تتكدس عليها الأوراق فيلزمها في وقت معين من كل يوم للإجابة على الرسائل الواردة إليه من مختلف الأنحاء إضافة إلى ما تعود من القراءة اليومية وتقييد الفوائد. وقد مكث العلامة ابن عقيل فترة بعدن ولا أدري هل لقي مضايقة من الإنجليز أم أنه قبل دعوة الإمام يحيى للإقامة باليمن بمحض إرادته فتوجه إلى اليمن سنة ١٣٤٩هـ وتوفي فيها بعد سنة من وصوله سنة ١٣٥٠هـ.

(١) أخصيك: الأخص من باطن القدم ما لم يصب الأرض.

وَمُرَوَّى الْبَيْضِ الرِّقَاقَ وَقَائِدَ الْخَمِ — سِيلَ الْعِتَاقِ إِلَى الْوَعْيِ مَتَبَخِيرًا
 مِنْ كُلِّ سَابِحَةٍ تَمَتْ بِنَسْبَةٍ — لِلْوُزْدِ غُنْجُوجٍ تُقَلُّ غَضَنَفِرًا^(١)
 فِي السَّلْمِ تُنْعَلُهَا اللَّجَيْنَ وَإِنَّمَا — فِي الْحَرْبِ تَحْذِيهَا الْعَقِيقَ الْأَحْمَرَا^(٢)
 أَنْتَ الَّذِي يَجِدُ الْعِدَا تَمَثَالَهُ — مَلَأَ الصَّدُورَ مِنَ الْجَلَالِ مَصَوِّرًا
 كَمْ وَقْفَةً لَكَ تَنْطَفِي شَمْسُ الضَّحَى — مِنْهَا إِذَا ثَارَتْ عَجَاجًا أَكْدَرَا^(٣)
 فِيهَا تَطَايَرَتِ الرُّوْسُ وَشَبَّتِ الْحَا — رَبَّ الضَّرُوسُ وَأَمَطَرَ الْعَلْقُ الثَّرَى^(٤)
 وَأَحَاطَ بِالْأَعْدَا الْهَلَاكُ وَأَعَوَزُوا — عَنْ مَوْرِدِ الْمَوْتِ الزُّوَامِ الْمَصْدَرَا
 أَذْكَرْتَنَا يَا بَنَ النَّبِيِّ بِفَعْلِكَ السَّ — سَامِي حُنَيْنًا وَالنَّضِيرَ وَخَيْبَرَا
 وَوَرِثْتَ فِي النِّصْرِ الْمَبِينِ الْمَصْطَفَى — خَيْرَ الْأَنَامِ وَفِي الْبَسَالَةِ حَيْدَرَا^(٥)
 وَأَرَيْتَنَا مَا غَابَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ — وَرَدَّدْتَ فِينَا الْيَوْمَ تِلْكَ الْأَعْصَرَا
 وَبَقِيَتْ تَمْشِي لِلْأَمَامِ وَنُصْرَةَ الْ — لِإِسْلَامِ إِذْ رَجَعَ الْكَثِيرُ الْقَهْقَرَى
 وَتَصَوَّنَ حَوَزَتَهُ وَتَنْشُرَ ظِلَّهُ — بِمَثَقَفِ لَدْنٍ وَأَبْيَضَ ابْتَرَا^(٦)
 وَجِحَافِلٍ عَدَدُ النُّجُومِ رَجَالُهَا — تَجِدُ الْمَرَاثِرَ فِي الْمَعَامِعِ سُكَّرَا^(٧)
 نَغْمَاتُ زَمْجَرَةَ الْمَدَافِعِ فِي الْوَعَى — خَيْرٌ لَهُمْ مِنْ أَنْ تُحْرِكَ مِزْهَرَا^(٨)
 أَنْتَ الْمَلَادُ مِنَ الرَّدَى وَأَذَى الْعِدَا — لَوْلَاكَ أَضْحَى الدِّينَ يُنْبَدُ بِالْعَرَا

(١) سابحة: خيل سريعة الجري. الورد من الخيل: ما بين الكميت والأشقر وجمعه وُزْد.

غنْجُوج واحد الغنْجُوج وهي جِيَاد الخيل.

(٢) تنعلها اللجين: تجعل نعالها الفضة. تحذيتها العقيق: تجعل حذاءها الدم.

(٣) عجاجاً: غباراً. أكدر: غير صاف.

(٤) حرب ضروس: ألوك غضوض. العلق: الدم. الثرى: التراب الندي.

(٥) حيدر: هو الإمام عليّ كرم الله وجهه.

(٦) بمثقف لدن: برمح لين. أبيض ابتر: سيف قاطع.

(٧) جحافل: جيوش كثيرة.

(٨) المزهرة: العود.

لولاك للدين الحنيفي ناصراً
يا أيها الوهاب في يوم الندى الجُد
ربُّ العلوم مشتتُ الأذان بالوعظ
يا صاحب العزماتِ والهممِ التي
قسماً تألى زائروك لقد رأوا
يابن الأئمة من بني الزُّهرا الألى
لهم السيادة في الحياة وعندما
بولائهم كلُّ امرئٍ في قلبه
جمعوا الفضائل كلها وورثتهم
إننا ندين بحبكم ونذوبُ من
وإذا ذكرنا ما مضى في حقكم
علنا نسبُ عداكم فعليتهم
لا ينطوي قلبٌ على بغضائكم
كيف النجاة لخصمكم إن جيتُم
إن جادل السفهاء عنهم ها هنا
فلي الهناء بنسبتي لِنَجَارِكُمْ

لتنقوؤت أركانه وتدهورًا
رُذَ المذاكي واللّهى والجوهرا^(١)
البليغ إذا تعالى المنبرًا
تذرُ المناصلَ والوشيجَ مكسراً^(٢)
في بردك الطائيّ والإسكندرا^(٣)
بمديحهم نزل الكتابُ مقرراً
يُسقون في يوم النشور الكوثرًا
دينٌ يدينُ مصرحاً بين الورى
فالصَّيدُ كلُّ الصيد في جوف الفِرا^(٤)
طرَبَ إذا عرضاً حديثكم جرى
كدنا من الحسراتِ أن نتسَعراً
لعنُ الإله على الدوام مكرراً
إلا وقد شنيءَ النبيّ الأظهِرا^(٥)
يومَ الحساب مع البتول المحشراً؟
فَمَنَ المجادلُ يوم تنفِصُمُ العُرى؟
نسباً يَبُدُّ ظهوره نار القِرى^(٦)

(١) الجرد المذاكي: الخيل الجرداء وهي حسان الخيل. اللهى: العطايا الكثيرة.

(٢) المناصل: السيوف. الوشيج من الرماح أصلها.

(٣) تألى: حلف. الطائي: حاتم الطائي أكرم العرب. الإسكندر: البطل المقدوني المعروف.

(٤) الفرى: حمار الوحش. وهو مثل مشهور أي أن كلَّ الصيد دونه.

(٥) شنيء: أبغض.

(٦) نجاركم: أصلكم. القرى: الضيافة.

رد الإمام يحيى على قصيدة ابن عبيد الله

فعاد جوابه بكلام جزل، وجدّ لا يشوبه هزل، مؤشئاً بعبارات رائعة،
ومعززاً بقصيدة فائقة.

قصيدة الإمام يحيى

وهذه القصيدة من نظم أمير المؤمنين؛ المتوكل على الله الإمام يحيى بن
حميد الدين جواباً عن قصيدة صاحب الديوان.

أَلِفَ الشُّهَادَ وَحَادَ عَنِ طَيْبِ الْكَرَى مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي الْحَادِثَاتِ مَفْكَرًا
وَتَوَسَّدَ الْأَحْجَارَ وَأَدَّرَعَ الْأَسَى وَتَفَرَّشَ الطَّيْنَ الرَّغَامَ وَعَفَّرَا
وَعَلَا عَلَى الْأَقْتَابِ مَفْتَخِرًا بِهَا وَسَرَى إِلَى أَعْدَائِهِ زَعَمَ السُّرَى
رَجُلٌ لَهُ فِي نَصْرِ شُرْعَةِ أَحْمَدٍ هِمٌّ تَطِيرُ بِهِ إِلَى أَعْلَى الدُّرَى
يَدْعُو إِلَى نَهْجِ الصَّوَابِ وَنَصْرٍ آ يَاتِ الْكِتَابِ بِلَا جِدَالٍ أَوْ مِرَا
وَالسَّنَةَ الْغَرَاءَ يَقْفُو إِثْرَهَا أَكْرَمَ بَسَنَةَ خَيْرٍ مِنْ وَطِيءِ الثُّرَى
لَا يَرْتَضِي نِحْلَ الرَّوَافِضِ مَذْهَبًا وَكَذَلِكَ لَمْ يَكْ مِثْلَ جَهْمٍ مُجَبَّرًا^(١)
قَادَ الْجِحَافِلَ وَامْتَطَى مِنْ عَزْمِهِ مِثْنَ الْقَسَائِلِ لَيْسَ يَدْرِي مَا الْوَرَى؟
حَبَّ اللَّقَا لِعَدُوِّهِ مَتَشَهَّرًا مَتَحَسَّرًا مَا قَطُّ أَوْصَدَ وَمَغْفَرًا^(٢)
قَدْ ضَرَّسْتَهُ الْحَرْبُ فَهُوَ إِلَى الْوَعَى يَعْدُو عَلَى شَوْهَا كَبْرِيْقٍ قَدْ سَرَى^(٣)
وَالطَّيْرُ تَعْدُو بَعْدَهُ وَالْوَحْشُ تَقْفُو إِثْرَهُ ثِقَةً بِمُضْمُونِ الْقِرَى^(٤)

(١) الروافض: طائفة من الشيعة رفضوا زيد بن علي وانفضوا عنه على حين أبي عليهم التبرؤ من الشيخين. جهم: هو ابن صفوان رأس الجبرية الخالصة.

(٢) حب اللقا: لغة في أحب قال سيبويه: هما بمعنى واحد. أوصد: أطبق. المغفر: ما يلبسه الدارع على رأسه من الزود ونحوه في الحرب.

(٣) ضرسته الحرب: تجربته وأحكامته. شوها: يقال: فرس شوها إذا كانت حديدة الفؤاد.

(٤) القرى: الضيافة.

لله خاض من المكاره بحرهما اللد
لا طالباً مالاً ولا مُلكاً يخلد
لكن حداه إلى القيام قواطع الـ
يدعو إلى سنن الشريعة كلّ ذي
يدعوهمُ باللّين دعوةً ناصح
يُملي لهم آي الكتاب وسنة المـ
فيفوز منتصحٌ ويَعصِمُ نفسه
ومن استمرّ معانداً منهم ولم
يتلو لهم ما خطّه الخطى وما
وبذاك أسمع كل أخرسٍ واغتدي الأـ
هذي مواعظنا التي أوصى بها
ونجاً له لو شايعته كتائبُ
في جبهة من آل لاحقٍ ضُمّرٍ
فرسانها الأبطالُ كم خاضوا بحو
لَغداً بهم رتق الضلالَ وحلّ معـ

جّبي وراض من الصعاب الأشقرا^(١)
فه ولا يبني بذلك مفخرا
آي الكرام ونصّ من سادّ الوري
عقل يُحجّج به على وجه الثرى
ويريهمُ نهج الصواب مُبصّراً
ختار بالقول الفصيح مكرّراً
مع ماله وله الثواب موقّراً
تُجد المواعظ عاد فيهم منذرا
رَقمته هاتيك البواترُ أسطرا^(٢)
عمى لما يلقاه منه مُبصّراً^(٣)
أسلافنا الأخلاف ما برق سرى
شوسٌ إذا زحفت فعشيرها يرى^(٤)
شُعث النواصي تترك البازي ورا^(٥)
ر الموت من نجلي شبيرٍ وشبّرا^(٦)
قوود الفساد وهذ ركن الافترا^(٧)

(١) اللجي: الواسع. الأشقر: الفرس الأشقر يضرب به المثل في سرعة العدو.

(٢) الخطى: الرمح نسبة إلى خط عمان. البواتر: السيوف القواطع.

(٣) اعتدى: غدا.

(٤) نجاً له: نجاه له أي خلاصاً له وهو دعاء له. ولعل الأصل «ويخ له» وهي كلمة تقال عند الرضا بالشيء أو المدح. شوس: خيل تنظر بحقد وتغيظ. العثير: التراب والعجاج.

(٥) لاحق فرس معروف من خيل العرب. يقال: فرس من بنات لاحق. ضر: مضمرة. شعث النواصي: لم ينفذ عنها التراب.

(٦) شبير وشبّرا: الحسن والحسين عليهما السلام. وأصلهما اسمان لولدي هارون عليه السلام فسماهما علي باسمهما.

(٧) الرتق: ضد الفتق.

وأشاد رُكن الحقِّ بعد دُرُوسه
وبنى مناراتِ الفلاحِ وشبَّ في
حتى يُرى دينُ الإلهِ معظِّماً
فُلَّتْ سيوفي عند حوماتِ الوغى
وعَدِمْتُ أرماحي بمشْتَجِرِ القَنَا
وخلعتُ ثوبَ الحزمِ خِلْعَةً عاجزٍ
إن لم أكن للظالمينَ مقارعاً
وعليّ فعلُ المستطاعِ منادياً
قوموا لخوفِ عواقبِ الأمرِ الذي
قوموا معي تنفي الضلالَ وثبتِ الإيمانَ
قوموا معي تبني حصوناً للهدى
إلّا تقوموا بالنفوسِ أخذتُم
ولقد سررتُ كمن أضلَّ بغيره
وعليه حاجثُه فلما كادَ أن
لما عرفتُ بأن لي في الهندِ إخوً
وبأنَّ هاتيكِ الزوايا كمْ لنا
كم هزُّ من عِظفي وحرَّك من نشأ
نظمٌ أتى من مصدرِ الآدابِ مَنْ

وأياسَ أهلَ الزبيغِ من أن يُغمَراً
عليائها نارَ الرشادِ وسعراً
حقاً ودينُ الكافرينِ محقَّراً
وكبَّتْ جِيَادِي عندَ أن جَدَّ الشَّرِي (١)
وَجِبْنْتُ عن غَزُويِ عدوِّي مُبَكِّراً
وليسْتُ للتسويِّفِ ثوباً منكَراً
أولم أكن للكافرينِ مصفِّراً
للناسِ «إن الله» يا قومُ «اشترى» (٢)
في «ولتكن» ولتنهونَّ المنكراً
والشرعَ الشريفَ الأنوراً
والعدلِ والإحسانِ شامخَةَ الدُّرى
من واجبِ الإنفاقِ شيئاً أيسراً
في سَبَسَبٍ قفرٍ فليس له قَرَى (٣)
يَفْنَى لَغَيْبَتِهَا رآه فكَبَّرَا
انأ يرون من الديانة ما أرى
فيها خَبَايا من بَنِي خبيرِ الورى
طي وانطفَى شَجْوِي وشجوي قد برى (٤)
أضحت قريحته تصوغُ الجوهراً

(١) فلت سيوفي: ثلمت. السرى: السير للحرب ليلاً.

(٢) يشير إلى آية إن الله اشترى في التوبة وفي البيت التالي إشارة إلى آية: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾.

(٣) سبب: فلاة. قرى: طعام.

(٤) برا: براني وأضناني وفاعل «هز» قوله: «نظم».

السيد المفضال والجالى صدًا الأ
 من نظمه سبحانه أضحى باقلا
 أزرى بنظم ابن الحسين وفاق معد
 وأبان عن ود صحيح ثابت
 لله ذاك النظم ما أحوى الذي
 فعليه تسليم السلام ورحمة ال
 يا واحد الأيام يا من طأطأت
 بل دون ربتك السماء وأين من
 إنا لخشية ما أتى في الذكر من
 ولما نراه يدب في جسم الديانة
 لم نستطع صبراً وكيف لعاقلي
 وأحق من أدعوه إخواني بني الحد
 أبني أبي؛ المرء يطلب قومه
 أبني أبي؛ هل منجد؟ هل نائر؟
 والقوم قد حفرُوا حفائر مكرهم
 فيكم جحاجة ليوت فانصروا
 واستعصموا بالله فهو ولينا

هو ال والبانى العلى والمفخرا
 وبها زهير ليس معه مزهرا^(١)
 و انتهى سبكاً وأبدع منظرا
 فى الله وهو الود لن يتغيرا
 أنشاه بالمدح الفخيم وأجدرا^(٢)
 رحمن ما نجم أضاء وأزهرا
 لرفيع رتبة شأوه شم الذرى
 تلك النجوم مقام مجدك فى الورى
 أى الجهاد وما أبان وأنذرا
 من سموم بالرفاهة تشتري
 يجد الحياة بذلة أن يضبراً
 سنين ابني من تحنت فى جرا^(٣)
 لانتصار بهم إذا أمر عرا^(٤)
 تاه الكفور فدين أحمد يزدرى^(٥)
 للمسلمين وفيكم أسد الشرى^(٦)
 دين النبى محمد خير الورى^(٧)
 نعم الوكيل ووعده أن ينصراً

(١) مزهراً: عود من آلات الطرب.

(٢) ما أحوى: ما أحق من الحو بمعنى الحق. ولعل الأصل ما أحرى.

(٣) تحنت: تعبد. يريد النبى ﷺ وابنيه الحسن والحسين ﷺ. حرا: غار حراء.

(٤) أبني أي: نداء. عرا: نزل.

(٥) تاه الكفور تكبر وتعظم. جملة مستأنفة.

(٦) أسد الشرى: الشرى: جبل بتهامة كثير السباع.

(٧) جحاجة: سادة.

القصيدة الثالثة

الى الإمام يحيى قيلت سنة ١٣٣٢هـ

أبى الحرُّ إلا أن يذوبَ فؤادُه
وكيف يلدُّ العيشُ والوطنُ الذي
تقلص ظلُّ العلم منه وأقفرَت
ولم تبق إلا فضلةٌ من رسومه
تمطى به ليلُ الغواية وانطفى
وغاضت مياهُ الحق وانتبه العنا
تبلد فيه الفكر وانفصمت به
وأعيا به داءُ الدَّمان وعزَّ من
وكلُّ امرئٍ مهما تعاظم شأنُه
تفاقم هذا الداءُ والجهلُ شاملُ
نعم ساءني هذا الجمودُ وغازني
وكم فُهِتُ فيهم بالنصيحة إنما
لقد بَحَّ صوتي من هُتافي ولم أجذ
إذا مُنيت بالانحطاط بلادُه
به عزَّنا استشرى عليه فسادُه^(١)
رُباهُ وكانت جنَّةً ووهادُه^(٢)
لدى أنفيسٍ فيها يروج كسادُه
سراجُ الهدى لما اكفهرَّ سوادُه^(٣)
وسحَّت من العُدوان فيه عِمادُه^(٤)
عُرَى الرأي والشأن الكبير اتحاده
يبوحُ بما يُملي عليه اعتقاده
على الذات مقصور لِدُنيا اجتهاده
وهل يُرتجى إن دام إلا ازدياده
سكوتُ الأولى منهم يُرام انتقاده
كلامي لموت القوم نَزُرُ مُفاده
مُعِيناً على الصدق الصريح اعتماده

(١) استشرى فسادُه: ليج وقوي.

(٢) الربي: ما ارتفع من الأرض وضدها الوهاد.

(٣) تمطى: سار به سيراً طويلاً ممدوداً. اكفهر: اشتد.

(٤) غاضت: غارت. العهاد: جمع عهد وهو أول المطر الموسمي.

وَأَخْنَى عَلَى قَلْبِي الْإِيَّاسُ وَإِنَّمَا
 أَنَانِي بُوَادِي حَضْرَمُوتَ كِتَابُهُ
 وَكَادَ لِمَا يَرْجُوهُ فِي غَيْبٍ وَدَّهٍ
 وَسُرَّتْ قُلُوبُ الْمُصْلِحِينَ لِأَنَّهُ
 وَأَهْلٌ لَذَا فِرْعُ النَّبِيِّ وَوَارِثُ الْ-
 سَنَامِ الْمُعَالِي أَنْفُ كُلِّ فَضِيلَةٍ
 مَغِيظُ الْعِدَا الْكَهْفُ الْحَصِينِ مِنَ الرَّدَى
 مَجِيْبُ النَّدَا الْوَضَاحُ نُورًا إِذَا بَدَأَ
 مَذِيلُ اللَّهِ لَا يَعْرِفُ الْخَزْنَ مَالُهُ
 ذَكِيٌّ يَرَى مَا غَابَ عَنْهُ بِفِكْرِهِ
 وَيَسْتَسْهَلُ الصَّعْبَ الْأَيْبِيَّ بِهَمَّةٍ
 يَبِيْتُ لِإِصْلَاحِ الْعِبَادِ مَفْكَرًا
 فَتَى لَا يُحِبُّ الْإِنْفِرَادَ بِنِعْمَةٍ
 تَرَعْرَعُ فِي حَجَرِ السِّيَادَةِ وَانْبَرَى
 إِلَى أَنْ عَلَا عَرْشَ الْخِلَافَةِ فَازْدَهَتْ
 وَجَاءَتْ مَلُوكُ الْأَرْضِ تَخْطُبُ وَدَّهٍ

رَجُونَا بِيحْيَى أَنْ يَتَمَّ مِرَادُهُ^(١)
 فَهَشَّتْ رُبَا الْوَادِي لَهُ وَوَهَادُهُ
 مِنَ النِّفْعِ يَشْدُو بِالْفَصِيحِ جِمَادُهُ
 تَمَكَّنَ مِنْ حَبَّاتِهِنَّ وَدَادُهُ
 وَوَصِيٍّ وَمَنْ بِالْحَقِّ يُوْرَى زِنَادُهُ^(٢)
 إِمَامُ الْهَدَى الشَّهْمُ الرَّفِيعُ عِمَادُهُ
 بَعِيدُ الْمَدَى الْقَرْمُ الطَّوِيلُ نَجَادُهُ
 حَلِيفُ النَّدَى السَّمْحُ الْكَثِيرُ رِمَادُهُ^(٣)
 وَلَكِنَّمَا الْجُرْدُ الْمَذَاكِي عَتَادُهُ^(٤)
 وَيَكْشِفُ غَيْمَ الْمَشْكَلاتِ اتِّقَادُهُ
 وَرَأَى كَفِيلَ بِالنَّجَاحِ اتِّثَادُهُ
 إِذَا اعْتَكَرَ الدَّاجِي أُقْضَى مَهَادُهُ^(٥)
 وَمَنْ تَمَّ بِالْعَلِيَاءِ كَانَ انْفِرَادُهُ
 يَخُتَّبُ بِهِ نَحْوَ الْفَخَارِ جَوَادُهُ^(٦)
 بَسْتَتَوِجِهَهُ أَيَّامُهُ وَبِلَادُهُ
 لِإِدْرَاكِهَا أَنْ لَا يَطَاقُ عِنَادُهُ

(١) أحنى على قلبي: أتى عليه اليأس وأهلكه. وفي الأصل أفنى وهو تصحيف.

(٢) الوصي: يريد علياً كرم الله وجهه. يُورَى: يُقدِّح.

(٣) الكثير رماده: كناية عن الكرم.

(٤) مذيل اللهى: يستقل عطاياه الكثيرة. الجرد المذاكي: الخيل الجياد. عتاده: عداته التي يحتفظ بها.

(٥) اعتكر الداجي أظلم الليل. أفضى: صار خشناً.

(٦) يخب: يمشي سريعاً.

شجاعٌ تهزُّ الأرضَ سطوةً بأسه وضربٌ يهدُ الشامخاتِ جلاؤه
 مليكٌ إلى اللَّباتِ أهدى من القَطَا مناصِلُهُ يومَ الوغى وصِعَاذُهُ^(١)
 أبَنٌ مِرَاسَ الغزو حتى تآلَفَتْ مع الوحشِ في فيح الفيافي جياؤه^(٢)
 مواقفه مشهورة في عُدايته وأيامه معروفةٌ وطَرَّادُهُ
 تعودُ صيدَ الطير بالبازِ غيرهُ وما كان إلا للكِماةِ اصطيادُهُ
 لخدمةِ شرعِ الله يبذلُ جُهدَهُ ويوقظُ من في العَيِّ دام رُقَّادُهُ
 ويهْدِي إلى نهجِ الهدى ويفضله أضاء لمن يبغى النجاةَ رشَّادُهُ
 أعاد بنصر الدين أيامَ جدِّه فما غابَ عنا منه إلا سوادُهُ
 تحُطُّ يَدُ التاريخِ سِفْراً لمدحه مكارِمُهُ الغرُّ الجسامُ مِدَّادُهُ
 أبا الفضلِ قد أضحى عليك استِنادُنا وما خابَ إنسانٌ عليك استِنادُهُ
 تكاثَفَ ليلَ الجورِ في جوِّ أرضنا ومنك يُرَجِّى كشفهُ وافتقاده^(٣)
 حنانيك أصْلَحَ ما عراه فإنه عليك لعمْرُ الله مَهْلُ قِيادُهُ^(٤)
 بإخوانك الأيامُ عاشتْ فكنْ لهم فانت الذي فعلُ الجميلِ اعتيادُهُ^(٥)
 ودونك من رب القريضِ قصيدةٌ معبِّرةٌ عما يُجْحَنُ فؤادُهُ
 تخلَّدُ في الدنيا ثناءك عاطراً كما خلد النعمانُ فيها زيادُهُ

فجاح من جوابه الأراج، وظهرت تباشير الفرج، وجاء مصحوباً بقصيدة تزيد
 عن سبعين بيتاً؛ كلها دُرٌّ؛ وهي من الملوك؛ وحسبك أن ملوك الكلام؛ كلام

(١) اللَّبات: جمع لبة وهي المنحر: مناصله: سيفه. صعاذه: رماحه.

(٢) ابن مِرَاس الغزو: لزم ممارسته. فيح الفيافي: واسع الصحاري.

(٣) تكاثف: امتد. وفي الأصل تكاثف وهو تصحيف.

(٤) حنانيك: ارحمني رحمة بعد رحمة.

(٥) عاثت: أفسدت.

الملوك؛ وقد استعارها بعض الأدباء ولم يردّها؛ وما بقي حال تحريره بذاكرتي
منها؛ إلا المطلع؛ وهو هذا:

سَلِ الرَّبْعَ هَلْ عَادَتْ إِلَيْهِ سَعَادَةٌ وَحَيِّ نَأَى عَنْهُ وَطَالَ بِعَادُهُ^(١)



(١) وحى: وهل عاد إليه حى.

القصيدة الرابعة

إلى الإمام يحيى بتجديد العزم على الزيارة

تعاتبني إذا جنَّ الظلامُ وتمذلني لأنني لا أنامُ
 زوى عني التجلُّد كنهه شأني فساغ لها التعرضُ والملامُ
 وما شَعرت بوترزي واهتضامي وهل نامت على الوتر الكرامُ؟^(١)
 إذا لم أنتصف وأبلَّ غلِّي فإن النومَ يا جفني حرامُ^(٢)
 أيكحلُّ بالكرى طرفي وقلبي لما مُنيَّ العبادُ به مضامُ
 أضاليلُ وأحلامُ وبغْيي وعدوانُ يسحُّ به الغمامُ^(٣)
 وأوهامُ سرَّت في الناس سيراً كما يسري من العذوى الجذامُ
 أمورٌ لو تعاطمها فوادُ ومات أسى عليها ما يلامُ
 سأرشدُ أمتي وأدللُ قومي فهم عما يُرام بهم زيامُ
 إلى من يسكتون على اضطهادي فإن سكوتهم والله دَامُ^(٤)
 وقد دلَّفتُ بأنواع الأذايَا إليهم عُصبَةُ السوء الطغامُ^(٥)
 وليس يوازع الطغيان عنها ودافع بغْيها إلا الحسامُ

(١) الوتر: الظلم في النار.

(٢) غلِّي: شدة العطش.

(٣) يسح: يصب صبا متتابعاً.

(٤) دام: عيب.

(٥) دلقت: مشت. الطغام: السفلة الأوغاد.

ثَقُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصِمُوا وَجِدُّوا
وَجُودُوا بِالضَّعَائِنِ وَابْذُلُوهَا
وَإِنْ عَظُمَتْ حَوَادِثُكُمْ وَجَلَّتْ
سَيَنْصِرُنَا وَيَدْرِكُنَا بِغَوْتٍ
فَنَصِرْتُنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ فَرَضُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَخُو الْمَغَازِي
مَرَابِطُهَا الْفِدَائِدُ وَالْفِيَا فِي
أُلُوفٍ لِلْمَفَاوِزِ قَدْ تَرَى
قَرِيحُ الْحَرْبِ يَهْتَزُّ ارْتِيَا حَا
إِذَا اشْتَدَّ الْقِرَاعُ لَهُ ثَبَاتٌ
وَقَائِعُهُ تُقَرَّبُ بِهَا اللَّيَالِي
إِذَا بَصُرَتْ مَقَائِبُهُ بِجَيْشٍ
وَإِنْ قَادَ الْجَبِيوشَ إِلَى الْأَعَادِي
تَطَامَنَتِ الرِّقَابُ لَهُ وَذَلَّتْ
يُحِيطُ الدِّينَ عُسْلُهُ الْعَوَالِي
أَجَلُ الْمَقْسِطِينَ بِدُونِ شَكِّ
وَأَضْرِبُهُمْ وَأَطْوَلُهُمْ قَنَاءَ

وَقَوِّدُوا الْخَيْلَ يَغْشَاهَا الْقَتَامُ^(١)
فَمَا بِالْبَخْلِ يَدْرِكُ مَا يُرَامُ
فَلَيْسَ لِكَشْفِهَا إِلَّا الْإِمَامُ
أَلَيْسَ لَنَا بِعُرْوَتِهِ اعْتِصَامُ؟
لَأَنَّا أَلَّهُ وَلَسْنَا ذِمَامُ
بِجُرْدِ خَيْوَلِهِ ائْتَلَفَ النَّتَامُ
تَجِيْبُ صَهِيْلَهَا فِي الْبِيْدِ هَامُ^(٢)
عَلَيْهَا مَا يُحَلُّ لَهُ لِحَامُ
إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ لَهَا ضِرَامُ
وَإِنْ حَمِيَ الْوَطِيسُ لَهُ اقْتِحَامُ
وَسَطَوْتُهُ يَثِيْبُ لَهَا الْعَلَامُ
تَأَخَّرَ لِلوَرَا الْجَيْشُ اللُّهُامُ^(٣)
فَقَدْ وَاوَاهُمُ الْمَوْتُ الزَّوَامُ
وَدَانَتْ خَوْفَهُ وَلَهَا عُرَامُ^(٤)
وَبِيضُ الْهِنْدِ وَالضَّرْبُ التُّوَامُ^(٥)
وَسَيِّدُهُمْ إِذَا اشْتَدَّ الزَّحَامُ
وَأَصْبِرُهُمْ إِذَا احْتَدَمَ اللُّطَامُ^(٦)

(١) القتام: الغبار.

(٢) هام: جمع هامة يريد رؤوس القوم المجاهدين يلبون دعوتها.

(٣) مقابيه: جمع مقنب وهو جماعة الفرسان. الجيش اللهام: الكثير العدد.

(٤) تطامنت: انحنت. عرام: شدة وقوة.

(٥) عسله: رماحه. بيض الهند: سيوفه. الضرب التوام: المتكرر جمع توأم.

(٦) اللطام: القتال.

وأفضلهم وأعلاهم مقاماً
تَجَارَوْا لِلْمَفَاخِرِ وَالْمَعَالِي
إِذَا قَالَ الْمَلُوكُ نَرِيدُ أَمْرًا
لَهُ فَصَلِّ الْخَطَابِ وَكُلِّ أَمْرٍ
بِيحْيَى سَيِّدِ السَّادَاتِ يَحْيَا
وَيَسْمُو الْحَقُّ وَالْإِسْلَامُ تَعْلُو
سَلِيلُ الْأَكْرَمِينَ يَقِلُّ وَضَفَا
جَمِيلُ الذِّكْرِ لَمْ نَذْكُرْهُ إِلَّا
تَوَلَّتْهُ الْعِنَايَةُ وَهُوَ طِفْلٌ
تَمَثَّلَتْ الْمَكَارِمُ فِيهِ شَخْصًا
رَقَى بِعَزِيمَةٍ كَبِيرَى وَجِدًّا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا اتِّصَالٌ
وَكَمْ قَدْ مَسَّنَا فِي اللَّهِ ضُرٌّ
وَأَظْهَرَتْ الْوِثَامَ لَنَا نَفُوسٌ
خَثِيثًا أَنْ يَكُونَ السَّمُّ فِيهَا
أَتْرَكْنَا كَذَا غَرَضَ الرِّزَايَا
وَتَرْضَى أَنْ نَكُونَ بِلَا حُمَاةٍ
فَلَيْسَ لَنَا سِوَاكَ الْيَوْمَ حِضْنٌ
وَكَنْتُ شَخَّصْتُ نَحْوَ حِمَاكَ أَرْجُو
فَأَخْرَنِي الْقَضَاءُ فَعُدْتُ كُرْهًا

وَأَنْقَاهُمْ كَمَا اتَّفَقَ الْأَنْبَاءُ
فَجَاوَزَ غَايَةَ الْعَلِيَا وَقَامُوا^(١)
وَقَالَ أَرِيدُ ذَا أَنْفَصِلَ الْخِصَامُ
بِهِ يَعْنِي يَنْطَاطُ بِهِ التَّمَامُ
مَوَاتُ الْجُودِ وَالْهَمُّ الْجَسَامُ
مَعَالِمُهُ وَيَتَسَيَّرُ النُّظَامُ
لَهُ السُّلْطَانُ وَالْمَلِكُ الْهَمَامُ
وَفَاحَ مِنْ اسْمِهِ الْمَسْكُ الْخِتَامُ
وَدَرَّ لَهُ الرَّشَادُ وَلَا فِطَامُ
فَهَيْكَلُهُ لَسَائِرِهَا قِوَامُ^(٢)
مَرَاتِبَ لَا تَنْبَأُ وَلَا تُرَامُ
بِكُمْ رَجْمًا وَلِلرَّحِمِ احْتِرَامُ
وَلَمْ نَجْزِعْ وَظَلَمٌ وَاهْتِضَامُ
تَخَادِعَ هُمُّهُنَّ الْإِلْتِهَامُ
وَلَا نَدْرِي بِمَا يَخْوِي اللَّئَامُ
وَفِينَا قَدْ تَكَثَّرَتِ السَّهَامُ
وَلَا سُورٍ وَفِي يَدِكَ الرِّزَامُ
نَلُودُ بِهِ وَجَارِكُ لَا يَضَامُ
لِقَاكَ وَبِي مِنَ الشُّوقِ الْغَرَامُ
عَلَى عَقْبِي وَلِلدَّهْرِ احْتِكَامُ

(١) قاموا: ثبتوا في أماكنهم.

(٢) قوام: عماد.

ولمّا أن تحكّم في فؤادي ودأذك زال عني الاحتشامُ
فبُحْتُ بما يكاتمه ضميري وأرجو العفو إن كثر الكلام^(١)



(١) يفهم منها تجديد العزم ثانية إليه وهو كذلك ولعله كان سنة ١٣٤٤هـ.

القصيدة الخامسة

إلى الإمام يحيى حميد الدين

ثم أحيط الخضر بالنطاق، وقبض الحضر بالخناق، فبعثتها؛ وعاد الجواب؛ بإشارات بيض، وبشارات؛ انتعش منها الأمل بوميض، وعود؛ اشتفى الغليل بالصريح منها والتعريض، وفيها أرسلت هذه اللزومية أستنجز وعده، وأستمطر رَعده، وظنّي أنه أخذها كالسابقة الضياع، أو افترستها في الطريق أيدي الضباع؛ وهي هذه:

على البغد وافاني النسيمُ بريّاهَا	وأدنى لعينيّ الخيالُ مُحيّاهَا ^(١)
ولما تناءَيْنَا وشطّطت ديارُنَا	تمنيئُها حتى كأنّي وإيّاها ^(٢)
وحدّثت نفسي خالياً عن جمالها	فروحها روحُ التمني وحياها
وخامرني خمّر الغرام كأنني	ترشّفتُ من بين الثنايا حُمياها ^(٣)
تَمَنّ به يَسْلُو فوادي من العنا	قليلاً إذا ضنّ الزمانُ بلُقيّاهَا
ولم أنس ما قاسيته ساعة النوى	غداة استقلّلت بالحمول مطاياها
تسارقتني خوفُ الوُشاة بلخظها	وهيهات أن تخفى عليهم نواياها
ألا قاتل اللّه الهوى إن داءه	من الخوف أعياني شفاؤه وأعيهاها
أفاض دماً منا العيون كأنها	يمينُ الإمام الحق فاضت عطاياها

(١) رباها: رانحتها الطيبة. المحيا: الوجه كله.

(٢) شطت: بعدت.

(٣) الترشف: الشرب قليلاً قليلاً. حمياها: الحميا من الكأس شدتها.

شقيقُ الحَيَا إن أخلفَ المُزْنَ جودَه
رفيعُ البِنَا الشهمُ الشريفُ نجارَه
سليلاً النبيِّ المصطفى ووصيَه
فلله من عِقْدٍ تَأَلَّقَ نورُه
نَمَتْه إلى المجدِ الجحاجةُ الألى
فأضحَتْ به تَزَهُو ابتهاجاً لأنه
وسورها بالبأس عن كلِّ ماردٍ
وطهَّرها بالعلم من كلِّ بدعةٍ
يَخِفُّ لبذلِ المالِ في خدمةِ العلى
ويَعْرِضُ في نصرِ الشريعةِ رُوَحَه
عساكره موقوفة تحت حكمها
هو الغيْثُ من حيث انتحى فبروقه
عَذا الوحش من لحم الأعزة في الفلَا
تَرْجُجُ الجبالَ الراسياتِ حروبُه
بحزْمٍ يرى ما غابَ عنه وفكرةٍ
يحاول من كلِّ الأمورِ عليَّها
موطَّأةً أكنافه وطباعه
وأوقاته في طاعة الله كلُّها

فهَمَّتَه تُخَيِي الجديبَ سُفْيَاها^(١)
تَبَوُّاً من قهرِ ذُوَابَة علياها^(٢)
وفرعُ التي تُفْنِي العدادَ مزاياها
وقلَّتْ له بين النجومِ ثرياها
بهم ملءُ الإسلامِ قامت حناياها^(٣)
على العدلِ والإنصافِ أجرى قضاياها
وشيدَ مبناها وأعلا زواياها
وأظهر بالفهم الغزيرِ حباياها
إذا بَخَلَّتْ أهلَ الحظوظِ بدُنْيَاها
ويُدْحِضُ ما يغلو اجتهاداً لبُنْيَاها
تُبَسِّتُ لإِثْخَانِ الأعدايِ سراياها
يُرَجِّي المني منها وتُخَشِي مناياها
وغادَرها تزهو بشحمِ حواياها^(٤)
فترْفُضُ من قَصْفِ الرعودِ شظاياها
لدى المشكلاتِ السودِ تجلو خفاياها
ويرغب عن سَفْسَافِها ودناياها
مهذَّبةً والنفْسُ طابَتْ سجاياها
مورَّعةً حتى لياليه أحياءها

(١) الحيا المطر. المزن: السحب.

(٢) نجاره: أصله.

(٣) نمته: نسبه. الجحاجة: السادة. قامت: استقلت. حناياها: أضلاعها.

(٤) حواياها: أمعاؤها يريد بطونها.

لهذا أحبته الرعايا وأخلصت
 على حين تشكو بالملوك رعاياها
 فما هو إلا من لفيف فضائل
 تجسّم حيّاها الإله وبياها^(١)
 تحييه عني بالنيابة مدحة
 مقصّرة ترجو اغتفار خطاياها
 وتستنجز الوعد الشريف بسرعة
 فإن راث صرنا للعداة ضحاياها^(٢)
 ولا زال ملحوظاً بعين عناية
 نقيه من الأيام شرّ بلاياها



(١) بياها: إتباع.

(٢) راث: تريث وتمهل.

القصيدة السادسة

من الإماميات ومنها يعرف الغرض (١)

أليس لهذا الليل في سَيره فجرُ
بَلَى نَابِنِي أَمْرٌ فَبَاتت خَواطِرِي
تَبَاعَدَنَ أَجْفَانِي وَفَرَشِي كَأَنَّمَا
وَبْتُ أَنَادِي بِالْقَوَافِي لَعَلَّهُ
وَلِلْقَوْلِ فِي قَلْبِي وَجِيبٌ يَهْرُتُنِي
تَبَلِّدُنَ أَفْكَارِي وَغَاضَتْ قَرِيبِحْتِي
تَسَاوَرْنِي الْأَيَّامُ فِي وَثَبَاتِهَا
وَأَتَى لِعَيْشِي بِالْهِنَاءِ وَهَمَّتِي
وَلِي وَطَنٌ مَدَّ أَلْفَ عَامٍ وَأَرْضُهُ
أَتَرْتَاخُ نَفْسِي بَعْدَ مَا أُوثِقْتُ لَهُ
أَمِ اسْوَدَّ وَجْهُ الصَّبِيحِ أَمِ خَانَنِي الصَّبْرُ
كَأَرْشِيَةِ الْبِئْرِ التِّي مَا لَهَا قَعْرُ^(٢)
عَلَيْهِ قَتَادٌ أَوْ بِهِ اشْتَعَلَ الْجَمْرُ^(٣)
يَخْفُ بِنَفْثٍ مِنْ لَوَاعِجِهِ الصَّدْرُ^(٤)
وَلَكِنْ عَصَانِي وَقَتَّ حَاجَتَهُ الشُّعْرُ^(٥)
وَشَاهَدُ أَحْوَالِي يَقُومُ بِهِ الْعَذْرُ
وَعِنْدِي ثَبَاتٌ لَا يَهْنَهُ الذُّعْرُ^(٦)
يَعَاكُسُهَا فِيمَا تَحَاوَلُهُ الدَّهْرُ
لَزُفْرِ الْهُدَى أَوْجٌ وَلِلْأَوْلِيَا وَكُرُ
حَبَائِلُ فِي طَيَّاتِهَا الْغَدْرُ وَالْمَكْرُ

(١) يستنصر الإمام ابن عبيد الله في هذه القصيدة الإمام يحيى في إنقاذ حضرموت من براثن الاستعمار البريطاني ويستنجد به بأخذ زمام المبادرة ويطلب منه المبادرة بإنقاذ وطنه حضرموت من شرهم ومفاسدهم ويتنكر من الطغمة الموالية لهم والصابرة عليهم.

(٢) أرشية: جمع رشاء وهو الحبل.

(٣) قتاد: شوك.

(٤) يخف الصدر بنفث من لواعجه أي مما يئته من آلامه.

(٥) وجيب: خفقان.

(٦) لا ينهه الذعر: لا يكفه عنه الخوف.

نَغَارُ مِنَ الْأَمْرِ الْيَسِيرِ يَنَالُهُ
 وَبِي فَرَقَ مَنْ أَنْ تَلِينُ حُمَاتُهُ
 فَهَلْ مِنْ خِلَاصٍ؟ هَلْ لَنَا مِنْ وَسِيلَةٍ
 عَلَى مَوْتِهِ أَشْفَى وَلَكِنَّهُ لَهُ
 دَعْوَانَا بِيحْيِي فِي الْخُطُوبِ وَمَنْ دَعَا
 نُنَادِيهِ عَنْ بُعْدٍ وَلَكِنْ سَمِعَهُ
 عَلَى أَنْ مَمْدُوحِي أَجَلٌ سَمْتُ بِهِ
 نَمَاهُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَوَصِيَّهُ
 هُوَ الْمَرْهُمُ الشَّافِي هُوَ الْمَنْهَلُ الَّذِي
 هُوَ الْكَنْزُ لِلْعَافِي الَّذِي بِوَجُودِهِ
 إِمَامُ الْهَدْيِ غِيْظُ الْعَدَا فَاغْضُ النَّدَى
 وَثِيْقُ الْعُرَى كَهْفُ الْوَرَى صَادِقُ السَّرَى
 شَهَدْنَا لِأَيَّامٍ أَتَتْنَا بِهِ وَإِنْ
 تَذَلُّ الْمَلُوكِ الشَّمُّ مِنْ خَوْفٍ بِأَسِهِ
 وَتَأْتِي لَهُ غُلْبُ الرِّقَابِ مَطِيْعَةً
 مَنَاصِلُهُ مَذْكُورَةٌ وَنِضَالُهُ
 إِذَا صَالَ غَطَى نَقْعَهُ الشَّمْسَ فَالضُّحَى

فَكَيْفَ وَفِي اسْتِعْمَارِهِ اسْتَشْرَفَ الْكُفْرُ
 إِذَا رَقَصَتْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمُ الصُّفْرُ
 يَذَاذُ بِهَا عَنْ قَطْرِنَا الطَّاهِرِ الشَّرُّ؟
 مِنْ ابْنِ حَمِيدِ الدِّينِ سَامِيِ الذَّرِيِّ إِضْرُ^(١)
 بِيحْيِي لَخَطْبٍ جَاءَهُ الْفَتْحُ وَالنَّصْرُ
 كَسَمِعَ أَبِي إِسْحَاقَ لَيْسَ بِهِ وَقُرُ
 عَلَى نَجْلِ هَارُونَ الْمَعَارِفِ وَالنَّجْرُ
 وَسِبْطَاهُ نَجْمَا السَّعْدِ وَالْحِرَّةُ الطَّهْرُ
 عَلَى كَثْرَةِ الْوُرَادِ لَيْسَ لَهُ جَزْرُ^(٢)
 عَلَى سَالِفِ الْأَزْمَانِ يَفْتَخِرُ الْعَصْرُ
 غَزِيرُ الْجَدَا عَنْ جُودِهِ يَعْبَجُرُ الْحَصْرُ^(٣)
 يَذُودُ الْكَرَى عَنْ جَفْنِهِ لِئَلْعَلِّي الْفِكْرُ
 أَسَاءَتْ إِلَيْنَا أَنَهَا مَا لَهَا وَزُرُ
 وَتَعْنُو أَنْوَفَ عِنْدَهُ شَأْنَهَا الْكِبْرُ
 وَتَعْرِفُهُ الْجُلِّيُّ وَتَأَلَّفُهُ الْعُفْرُ^(٤)
 وَأَيَّامُهُ مَشْهُورَةٌ كُلُّهَا عُرُ^(٥)
 ظَلَامٌ تَهَاوَى فِيهِ أَنْجَمُهُ الرَّؤْمُرُ^(٦)

(١) على موته أشفى: أشرف قطرنا على الموت. إصر: عهد.

(٢) الجزر: ضد المد.

(٣) الجد: المطر العام: أي أن عطاءه كثير عظيم.

(٤) غلب الرقاب: غلاظها والسادة توصف بغلظ الرقاب وطولها جمع أغلب. العفر: ظباء الفلاة.

(٥) مناضله: سيوفه. نضاله: حربه.

(٦) نقعه: غبار جيشه.

خليفة خير المرسلين تسلسلت
 وأنصاره باعوا النفوس وما انثنوا
 أسود على الجرد المذاكي نُيُوبُهُمْ
 يطيرون من شوق إلى كل هيمة
 ولا غرو أن ذابوا اشتياقاً لأنهم
 هنالك رُحِمَى اللهُ يَهْمِي سَحَابُهَا
 إلى واحد الدنيا وتوريدها الذي
 إلى مجمع البحرين ذي السؤدد الذي
 إلى ناصر الإسلام أنمي شكابتي
 تعاضمني يابن الأئمة ما عراً
 إلى وَكُنْنَا الْعَادِي يَصُوبُ طَرَفَهُ
 وقد غرّه لين جري من زعانف
 صبرت لهم نفسي وعرقلت سعيهم
 ولما رأيت الأمر جِداً وليس لي
 وقائمه الغرراً فأولها بدرُ
 إذا مسهم في الله قرحٌ ولا اغتروا^(١)
 قواضي المواضي والمثقة السم^(٢)
 كما طرب النشوان مالت به الخمر^(٣)
 من الرّوح والريحان نم لهم عطرُ
 وثم يوقى للأولى صبروا الأجر^(٤)
 بغرته في الجذب يستمطر القطر^(٥)
 إليه تناهى المجد والعز والفخرُ
 ولي منه عهد صادق وهو لي دُخْرُ
 وما لي إلا أنت في كل ما يغرو^(٦)
 وأقصى مراميه التغلب والقهر^(٧)
 لثام بهم عن كل مكرمة فقرو^(٨)
 ولكنني وحدي وهم عسكر مجر^(٩)
 معين به بشتد من جانبي الأزر

(١) قرح: جراح.

(٢) الجرد المذاكي: الخيل الجياد. قواضي المواضي: السيوف القواطع. المثقة السم: الرماح المهذبة.

(٣) هيمة: صوت الصارخ للفرح.

(٤) يهمي: يصب ويسكب.

(٥) توريدها: نورها.

(٦) عرا: أصاب.

(٧) وكنتا: ماوانا يريد قطرنا. يصبوب طرفه: يوجه المعتدي قصده.

(٨) زعانف: أراذل جمع زعنفة ومن معانيها الرذل.

(٩) عسكر مجر: كثير.

زجرْتُ بك الهم الذي بلبل الحشى
وحررت هذا فاسترحت من العنا
وأرسلته والصبيرُ قد غاض ماؤه
وأنشأته في غفلةٍ من عواذلي
فمَجَلُّ بوفدٍ منك يحيا به الرجا
وتشرق بالريق الأعادي فإنه
ويذهبُ أدراج الرياح مرأدهم
ويُحمي حمى الإسلام عن كل مارِدٍ
مجيبَ النداء هذي شووني شرحتها
فقابلُ بالطفاف القبولِ قصيدتي
وَدُم في سماداتٍ وعزٍّ ورفعَةٍ
ومنا على طول الليالي لك الدعاء

ففرج عني كُربتي ذلك الزجرُ^(١)
وخرتُ بإنهائي لك القصّة الظهرُ
فيومٍ انتظاري عودَ أخباركم شهرُ
ولو علموا سرِّي لمسنّي الضرُ
وتورق أشجارُ الأمانى وتحضُرُ
إذا جاء موسى بالعصا يبطل السحرُ
وينتعثُ الوادي وينجبرُ الكسرُ
وتندفع البلوى ويُستدرك الأمرُ
وغالبُ ظني أنه يُسرع اليُسْرُ
فليس سوى حسن القبولِ لها مهرُ
تزيد لك الأموال والآل والعمرُ
وذكرُ سجايك الشريفة والشكرُ

جواب الإمام يحيى

على قصيدة ابن عبيد الله السابقة

وهذا جوابه بعد البسمة والمهر:

من المقام الشريف بصنعاء؛ دار العدل والأمان، ومنازل الأئمة من أنجال
سيد الخلائق؛ وطراز نظام الأكوان. إلى محبنا الصادق، وابن العم بالنسب
الملاصق، ذي القول العضب، واللسان الآخذ بمجامع القلب، الأجل العلامة
وجيه الإسلام، والنخبة في آل باعلوي الكرام؛ عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف؛
لا برحت أيدي الرعاية الأزلية؛ مُسبلة عليه برود الألفاف، ومهدية إليه صنوف
من الأتحاف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

(١) بلبل الحشى: هيج القلب وأزعجه.

فإنها وصلت البطاقة، المحتوية على محاسن الرشاقة، وفي طيها القصيدة الفريدة، والمديحة الخريدة، ولقد وقفنا منها على القول الحر، والمنطق الجزل، وأرتنا كيف يدار كلام الحكم، وحكمة الكلام، وبأيّ عبارة تساق ركائب الجفّاط؛ وتثار نيران الغيرة والعزيمة؛ المصونة عن آفة التردد، فلله دركم من ناظم نائر، تقف دون مداه أفكار البلغاء حواسر، والله الحمد؛ فقد أخبرتنا عما تسكنه الأفتدة؛ من لزوم بذل الهمم في صدّ عادية الأعداء، والتبصّر في شؤون وسائلهم؛ التي من وراء زخرفها كل داء، وإنا بعناية الله كما تعلمون؛ لم نزل مجدّين في شوطنا الطويل، ولا غاية لنا في ذلك؛ إلّا حفظ شوكة الدين؛ وإعلاء كلمة الجليل؛ وجمع القلوب وصيانة جماعة من في هذه الجزيرة؛ من التفرق المذموم، أمام جشع الأعداء المعلوم، وقد تمّ لنا بحمد الله من ذلك؛ ما نرجو مضاعفة ثوابه، ودوام نموّه على مدى الأعصر؛ وبلوغه قوة شبابه، وتواترت لنا من الطاغين معارك؛ ظهرت بها صولة الحق، وتمّ لحزب الدين نصر الله؛ والعاقبة للمتقين؛ فلا يقال كيف اتفق، وأملنا أن تعمّم الدعوة، وتزول الفرقة؛ ولنا بجهاتكم نيّات، وسوف تظهر بعون الله على صفحة الثبوت والثبات، ويزكو من بذرها النبات، ولو تمّ لنا وجود الأسباب، لما وسعنا التأخير عن إجابة النداء؛ إلّا ريثما توضع الرّجل على الركاب، ولكننا الآن مشتغلون؛ بتقرير قواعد البلاد الدانية؛ حتى يتم التمكن من الالتفات إلى القاصية، وعلى سبيل المطارحة نقول في نظام المقول القصيدة التالية:



القصيد الثانية

للإمام يحيى بن حميد الدين

سَرَتْ وهي مثلُ الشمسِ يحسُّدها البدرُ
أَتَتْنَا على قُربِ الديارِ وبُعْدِهَا
إلى النسبِ العَالِي نَمَتْهَا قَريحَةٌ
حَوَثَ من حُلَى الأوصافِ كلَّ يَتِيمَةٍ
ومركُزِهَا المنسوبُ منها محيطُهَا
إلى العلويينِ الكرامِ ذوي النُهَى
هم القومِ حازوا في العنايةِ حُطَّةً
فلا غرو أن كان الوجيهُ سليلُهُمْ
هو الألمعيُّ الفذُّ طاب مساعياً
وأوتِي من عزمِ الكُفَاةِ صرامةً
ألم ترَهُ أهدى إلينا نظامه
يقول ألا جِدُّوا؛ فأسمعَ صوتُه
فَلَبَّيك يا ابنِ الأكرمينِ إجابةً
وجلبابُهَا جَبْرٌ بَرَى نَسَجَهُ الجَبْرُ^(١)
مزاراً وفي الأفكارِ من شأنِهَا ذكرُ
لها اللهجةُ العلياءِ والمنطقُ الحرُّ
فأين يتامى الدرُّ منها وما الدرُّ؟
مَقَامٌ عن الدِّينِ الحنيفيِّ يفتَرُ
ومَنْ شَغِبُهُمْ شَغْبِي وذخْرُهُمُ الذُّخْرُ
تضاءَلَ منها البدرُ وانحطَّت الزُّهُرُ
هماماً؛ له في كل منقبةٍ سرُّ
وطال كمالاً؛ دون رتبته النَّسْرُ
لها في دياجي الخطبِ ما تفعلُ السُّمْرُ^(٢)
كما افتَرَّ زهرِ الروضِ بللُّهُ القطرُ
قلوباً بأسلاكِ العزيمةِ تنجَرُ
يَبِيدُ بها العَاتِي وينفلقُ الصخرُ

(١) الجبر بالكسر الأولى بمعنى الجمال والحسن والثاني بمعنى العالم المتقن. برى نسجه: أصلحه.

(٢) السمر: الرماح.

سيأتيك إن شاء الإله بعونه
 ولا سيِّما إن قام أبناء عمِّنا
 هنالك تبيَّضُ الوجوه وتنطفي
 وربِّي بما رُمنا مُعينٌ لأنه
 ولا زلتَ يا بدرَ المعالي ممجِّداً
 فيزدان جيدُ الفضل والصدرُ والنحرُ
 بنصرة داعي الحقِّ واستحكم الأمرُ
 حرارةً أجوافٍ بها اشتعل الجمرُ
 لمرضاته والسعيُّ حُفَّ به الأجرُ
 ومن دونك الشُّعري إذا تُلي الشعرُ



القصيدة السابعة (١)

من الإماميات (٢)

أرى ظبي الفلاة عداً نفاً رَا
رَمَى بِسَهَامٍ مَقْلَتَهُ مُحِبًّا
فِيَا قَمْرَ الْخَبَا غُودِي جَرِيحاً
أَقِيدِيهِ الْغَزَالَ فَقَدْ تَعَدَّى
وَأَثَخْنَهُ وَجَرَّعَهُ سَقَاماً
فَقَالَتْ لَا قِصَاصَ عَلَيْهِ شَرَعاً
فَأُضْرَمَ حُبُّهُ فِي الْقَلْبِ نَارًا
فَأَثَبَتْهُ بِرَمْيَتِهِ وَسَارًا^(٣)
بِجَانِبِ خِذْرِكُمْ ضَيْفًا وَجَارًا
عَلَيْهِ فِي رَمَايْتِهِ وَجَارًا^(٤)
وَسَنَّ لِأَخْذِ مَهْجَنِهِ غِرَارًا^(٥)
أَلَسْتُ تَرَى جَنَائِثَهُ جُبَارًا؟^(٦)

(١) وفيها يمدح الإمام يحيى ويسأله الوفاء بوعدته والإسراع بالخروج بجيشه لاستنقاذ حضرموت من براثن المستعمر الأجنبي.

(٢) قال الإمام ابن عبيد الله بحاشية الديوان: نظمت هذه القصيدة في العقد الرابع من هذا القرن؛ وفي ٩ ذي القعدة من سنة ١٣٦٥ اطلعت على قول بديع الزمان:

يأبى المقام بدار الذل لي كرمٍ
وعزيمة لا تزال الدهر ضاربةً
وهمةً تصل التخويد والخببًا
دون الأمير وفوق المشتري طنباً

وقد نظر البديع إلى قول الإمام علي كرم الله وجهه: «أنا فوق ما في نفسك ودون ما تقول» لمن تملقه بالإطراء من مبغضيه.

(٣) أثبتته: جرحه جراحة لا يقوم معها.

(٤) أقيديه الغزال: اقتص له منه.

(٥) غراراً: طريقة.

(٦) جباراً: هدرأ. يشير إلى حديث «العجماء جبار».

كأنك بالهوى وجواه غرُّ
 فكم من عاشقٍ منها قتيل
 نهارُهُم بكاءٌ وانتحابٌ
 تماطلُهُم إذا وعدت بوصول
 فصدقتُ الحميمَ وعاد رَفِضِي
 وأزمتُ الرحيلَ إلى المعالي
 فأسرج طرْفَه وعلاه حتى
 تراءى فوقه فلُكاً منيعاً
 مغذي خيله لحم الأعداي
 وقد غنيت عن الإبراد لَمَّا
 ممرُّها على جوبِ الفيافي
 إذا سمعَ الهزْبُ لها صهيلاً
 مصائدُها الفوارسُ كلَّ يوم
 فلا يُنجيهمُ منها معادٌ
 تذيبُ شكيمةَ بزفيرِ غَيْظِ

نكرتُ صنيعَ أجفانِ العذارى^(١)
 وكم متحرشِينَ به أسارى
 وليلهُمُ يمرُّ وهم سَهاري
 فتقتلُهُم وتحييهم مرارا
 لما أولى من النصيح اعتذاراً
 بعزم لا ينيء ولا يُجاري^(٢)
 أثار على مدى زُحلي غُباراً^(٣)
 فقالوا ذا الإمامُ بَنَاه داراً
 وموردها دماً منهم مُمَاراً^(٤)
 رأت في البيض غُذراناً غَزَاراً
 تخامرُها ومن سكن القفاراً^(٥)
 يعمودُ زئيره فَرَقاً خُواراً^(٦)
 تقدّمهم إلى الموتِ اضطرارا
 ولا يجدون حِضناً أو فرارا
 إذا شئتُ على جيش مَغَاراً^(٧)

(١) نكرت: أنكرت.

(٢) أزمت: أجمعت وصممت على الرحيل. لا ينيء: لا يضعف من الوناء وحقه لا ينيء.

(٣) طرفه الطرف بالكسر الفرس الكريم الأطراف والضمير لذي المعالي الذي ارتحل إليه الشاعر.

(٤) مماراً: سائلاً مصبوباً.

(٥) تخامرها: تخالطها وتخالط من سكنها.

(٦) الهزبر: الأسد. الزئير: صوته. الفرق: الخوف. الخوار: صوت البقر.

(٧) مغاراً: غارة.

فتسقى القَرْمُ راحَ الموتِ صرفاً وتسقى اليُثْمَ صَبِيئَتُهُ الصَّغَارَا^(١)
مُزِيلُ الهامِ في يومِ التلاقي يبدُّها كما يرمي الجِمَارَا
ضَرُوبٌ للكُماةِ ولا يبالي يرُوِّي البيضَ والأسلَ الجِرَارَا^(٢)
فكم شهِمِ كسَاهِ قَمِيصَ حَتِفِ غداة الرُّوعِ كالشَّفِقِ احْمَرَارَا
وراكبِ جامِحِ أرداهِ عنه وجرَّعه من الطُّبَيَّاتِ قَارَا^(٣)
بَنَى فوقِ الشوامِخِ في المعالي ونضَّدَ من مفاخره ديارَا
بمكتهلين إن ساروا يقطع من الظلماءِ تحسبُها نهارَا
وفتيانِ يروُنَ الموتَ عِرَّأَ إذا لَأَقُوا عِدَاً والموَدَّ عَارَا
إذا سمعوا سيوفَ الهندِ صلَّتْ على الهاماتِ خِلَّتْهُمُ سَكَارَا
وإن شدُّوا فشهبَ محرِقَاتِ ترى أعطافَهُم ترمي شَرَارَا
عمدُك لخيرهم خُلُقاً وخلقا وأصبرِهِم وأكثرِهِم فِخَارَا
إمامٌ في النفوسِ له مكانٌ إذا ذكرته تنقبِضُ انكسارَا
حقيقٌ بالخلافةِ يومَ جاءت تجرُّ إليه من خَجَلٍ إِزَارَا
له ذهنٌ يرى ما غاب عنه ورأيي لن يُدَارَ ولن يَحَارَا^(٤)
حمى اليمنَ الأعزَّ بمرهفاتِ فأضحكه وأوسعه افترارَا
وأنعشه وأحياه سروراً ونورَ وجهه حتى استنارَا
وأطربَ بآئه فزُهِي دلالاً وأعشبَ دُوْحَهُ فدنا ثمارَا^(٥)

(١) القرم: السيد المقدم أي من الأعداء.

(٢) الكماة: الشجعان. البيض: السيوف. الأسل: الرماح. الحرار: العطش.

(٣) الطبيات: جمع طبة وهي طرف السيف وحده. وحقه ظبات. قارا: يريد دماً أسود.

(٤) لن يدار: لن يضاف به للبحث لكونه واضحاً قاطعاً. لن يحار. لن يتحير يقال: حار بصره يحار إذا نظر إلى الشيء فعشى بصره.

(٥) الدوح: جمع دوحه وهي الشجرة العظيمة المتسعة؛ والعشب في الأصل الكلاً الرطب؛ يريد أثمر دوحه فدنا ثمره من الاجتناء.

وقد نهضت عزمته بصدق
كسى الدين الحنيف ثياب عز
جواد الكف لا يثنيه لوم
مكارم لو أصاخ لهن يوماً
مواهبه تعالت عن عداد
فقل للمزن إن وكفت بويل
له همم يحار الدهر فيها
أذال الصفر في طلب المعالي
وكيف يخاف من محدور فقر
رسا في الحلم طوداً باقتدار
إلى تقوى المليك له سباق
على سنن الهدى يمشي بصدق
تواضع في علو لا يسامى
ولو أن البدور به تحلث
فيا خير الملوك بلا نزاع
وأشجعهم وأثبتهم جناباً

ليهدم حوله جئن النصارى^(١)
وأرغم معطس المعادي صفاراً
إمام في السماحة لا يمارى
أخو طي أو الأوسي توارى^(٢)
جسام لو حكاها البحر غاراً
شقيقك أمطر الناس النصاراً^(٣)
فلو كانت على جبل لطاراً
وشئتها ولم يخش افتقاراً^(٤)
وقد تخذ الأسننة والشفاراً^(٥)
وخير الجلم ما كان اقتداراً
إذا أشد المأزر لا يبارى
وإخلاص تقمصه شماراً
وأسدل فوق منصبه الوقاراً
لما خسفت ولا عرفت سراراً^(٦)
وأشرفهم وأزكاهم نجاراً^(٧)
وأفتكهم وأحماهم ذماراً^(٨)

(١) جنن النصارى: جمع جنة وهي ما يتقي به المحارب من عدوه والمراد ما بنوه من المعازل.

(٢) أخو طي: حاتم الطائي. الأوسي: عرابة الأوسي. ويضرب بهما المثل في الجود.

(٣) وكفت: سالت وقطرت: الويل: المطر الشديد. النصار: الذهب.

(٤) أذال الصفر استخف الدنانير وأهانها في طلب المعالي.

(٥) الشفار: جمع شفرة وهي من الحديد ما عرض وحدد.

(٦) سراراً: اختفاء آخر الشهر.

(٧) النجار: الأصل.

(٨) الذمار: الحوزة.

وأَمْضَاهُمْ وَأَطْوَلَهُمْ قِنَاءَ
أَدَامَ اللهُ جَدَّكَ فِي ضَمُودِ
قَصْدَتِكَ عَائِذًا مِنْ دَهْرِ سَوْءِ
تَجَهَّمْ لِي وَجِرَّعَنِي الْبَلَايَا
وَقَدْ عَظَّمْتَ وَعُودَكَ لِي فَعَجَّلْ
وَدُونَكَ بِنْتَ فِكْرٍ لَوْ رَأَاهَا
وَلَوْ أَلَقْتُ لَهَا الْخِنْسَاءَ سَمْعًا
عَرُوسٌ لَمْ تَجِدْ إِلَّاكَ كَفْوًا
وَمِثْلِكَ مِنْ يَقَابِلِهَا بِلُطْفِ
وَدُمِّ فِي نِعْمَةٍ عَمَرَ اللَّيَالِي
يَمْتَعُكَ الْإِلَهُ بِعَمْرِ نُوْحٍ

وأكرمهم وأعلامهم منازرا
تحفُّ به السعادةُ حيثُ دارًا^(١)
على مثلي من الأحرارِ جازًا
ومالي في الأنامِ سواك جازًا^(٢)
بذي لَحَبٍ تزور به الديارًا^(٣)
زيادُ أضرمتُ بحشاه نازًا
رأيتُ بقلبها منها انقطاعًا
تَرَصَّعَ تاجُها دُرًّا كَبَارًا
وسئِر إن رأيتُ منها عَوَارًا
تزيدُ غصونَ عليك اخضرارًا
وأنعم عيشةً في مُلكِ دارًا



(١) جدك: حظك.

(٢) تجهم لي: استقبلني بوجه كره.

(٣) بذي لحب: بحيش ذي صياح وكثرة.

القصيدة الثامنة من الإماميات

ولم ترسل إلى تلك الحضرة (١)

خلَّ النسيبَ وذكرَ الخُرْدَ العُربُ وانشُدْ فضائلَ ضاعَتْ من يدِ العَرَبِ (٢)
 فإن همِّي لهذا الشأنِ غادرني ما في فؤادي لُغْنجُ الخُودِ من أَرَبِ (٣)
 من بعد ما كنتُ أعتدُّ الوفاةَ على حكم الوفا في الهوى من أفضلِ القَرَبِ
 ولم تحُلْ شيمتي لكن أرى فِتْنًا من أجلها قام يدعو الدينُ بالحَرَبِ (٤)
 تفرَّق دَسُّ أهلِ المطامعِ في شبه الجزيرة أعدى القومَ كالجَرَبِ
 وفي افتراقِ رجالِ الضَّادِ ذلتهم وذُلُّهم أخذُ بالدينِ في الهَرَبِ
 في نص هذا حديث من طريق أبي يعلَى فكيف النجا من هذه الكُربِ

(١) وفي هذه القصيدة التي لم يرسلها إلى الإمام يحيى يتألم الإمام ابن عبيد الله مما حصل بين زعماء العرب من التفرق والاختلاف ويوضح أن هذا التفرق سببه دسائس الأجنبي الطامعين في السيطرة على العرب. وينصح الحكام العرب بمبايعة الإمام يحيى ليجتمع به شمل العرب فهو نزيه ووفي، وذكر أن العثمانيين يعرفون وفاءه بتصرفه أثناء الحرب حينما تقاسم ما عنده من مؤن مع جيش الأتراك الذي انقطع به الاتصال بموارد تموينه في نهاية الحرب العظمى.

(٢) النسيب: التشبيب بالنساء في الشعر والتغزل فيهن. الخرد: جمع خريده؛ والعرب جمع عروب وهي المرأة الحسناء المتحبة إلى زوجها.

(٣) اللغنج: التكسر والتدلل. الخود جمع خود بفتح أوله وهي الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفاً. الأرب: الحاجة.

(٤) بالحرب: باستئصال أموال أعدائه.

مُلِمَّةٌ مَالِهَا إِلَّا مَبَايَعَةٌ أَلْ قَرْمٌ الَّذِي لِلْعُلَى يَهْتَرُ مِنْ طَرِبِ^(١)
 يَحْيِي إِمَامُ الْهَدَى مِنْ لَا تَزَالُ بِهِ تَحِيَا الْمَحَاسِنُ إِثْرَ الدَّفْنِ فِي التَّرِبِ
 حَازَ الشُّرُوطَ وَلَمْ يَسْتَجِلْ قَطُّ رُشَاءً إِذْ ذَاقَهَا غَيْرُهُ كَالشُّهْدِ وَالضَّرْبِ^(٢)
 سَلَّ آلُ عَثْمَانَ مِنْ وَقَى إِذْ اضْطَرَبْتَ بِالْخَائِنِينَ الْأَمَانِي كُلَّ مَضْطَرَبِ^(٣)
 فِضَائِلٌ لَمْ تَكُنْ إِلَّا لِتُوجَدَ فِي إِمَامٍ حَقٌّ عَلَى مَهْدِ الْكِمَالِ رُبِّي
 إِنْ بَايَعُوهُ وَلِلْأَتْرَاكِ سُلْطَنَةٌ تَجَدَّدَتْ لِلْمَعَالِي سَائِرَ الْخَرْبِ^(٤)
 رَكْنَانٌ لِلدِّينِ إِنْ تَمَّ اتِّحَادُهُمَا تَمَّ الْخِلَاصُ لَهُ مِنْ وَحْشَةِ الْغُرْبِ^(٥)
 أَبَدَيْتُ رَأْيِي لِطَلَابِ الْحَقِيقَةِ عَنْ إِمْعَانَ بَحْثٍ وَتَحْقِيقٍ وَعَنْ دَرَبِ^(٦)



(١) القرم: السيد العظيم.

(٢) الضرب: بفتحين العسل الأبيض الغليظ.

(٣) يشير هنا إلى إخلاص الإمام يحيى للعثمانيين رغم ما سبق بينهم من حرب وإنه لم يتعاهد مع أحد لحربهم كما فعل غيره كالشريف حسين وإنه لما انقطعت مؤونة الأتراك في نهاية الحرب العالمية تقاسم معهم ما معه من مؤونة وغذاء مما أكبره الأتراك منه وذكر ذلك الإمام ابن عبيد الله في كتابه بضائع التابوت.

(٤) الخرب: بكسر ففتح. جمع خربة كنعمة ونعم الموضع الخرب.

(٥) الغرب: بضمين الغريب.

(٦) درب: اعتياد وتمرن.

القصيدة التاسعة

من الإماميات

وهذا ما اتفق لنا بصنعاء؛ دار العدل والأمان؛ بعد وفادتنا إليها أوائل سنة ١٣٤٩هـ؛ وقد تلقانا خارجها حاكمُ البلاد؛ في جماعة من الأعيان والعلماء والقواد وأهل الفضل؛ وأعدَّ لنا المنزل الفخم بالأثاث الفاخر؛ وأنزلونا على الرحب والسعة، وفي اليوم الثالث من وصولنا دُعينا إلى «الروض» على بعد ساعة في الجواله^(١) من صنعاء؛ وكان الأمر كما قال أبو عبادة:

ولما وردنا سُدَّةَ الإذن أُخْرِثَ رجالٌ عن الباب الذي أنا داخلُه
فأفضيتُ عن قربٍ إلى ذي جلالٍ تقابلُ بدرَ التَّمِّ حين تقابلُه
فسلمتُ واعتاقت جناني هيبَةً تنازعني القول الذي أنا قائلُه^(٢)
إلى أن تجلت لي الطلاقة وانتحى عليَّ ببشر أنسَني مخائلُه^(٣)
عند ذلك استأذنته في الإنشاد؛ وتقدَّمت بهذه القصيدة، والدموع تقاطرُ من الحميَّة، وهو يكاد يخرج عن إهابه من الأريحيَّة.

بمعذرة أدلي إذا خانني النظمُ فشهدُ حالي منه يندفعُ الدَّمُ
كأنِّي تمثالٌ أظلُّ مُدَلِّها وإن عسعسَ الداجي توَزَّعني الهمُّ^(٤)

(١) الجواله يقصد بها السيارة والروض هي مكان على مقربة من صنعاء يقع فيه قصر الإمام يحيى.

(٢) اعتاقت جناني: لظمت قلبي.

(٣) مخايله: جمع مخيلة وهي ما يتنظر أن يكون عليه من الحسن والإشراف.

(٤) مدلُّها: ذاهب العقل. عسعس الداجي: أقبل الليل المظلم.

كأن نسور الأفق حُصَّت رِياشُها
 وأتَى لحرَّ أن يطيبَ بعميشة
 صَبَرْنَا على ما يملأ القلبَ حسرة
 فلم يُجِدْنَا نفعاً تحمُّلنا الأذى
 على الدين يعدو الجورُ في قطرنا الذي
 لقد كان للأجداد عزمٌ وعَيرةٌ
 مَضَوْا بِسلامٍ والشريعةُ حِضْنُها
 يقول صحابي اليوم نحن فروعُهُم
 وقد بَحَّ صوتي بالنصيحةِ بينهم
 ومن كان منهم فيه نُسْكٌ فإنه
 يريدون من أهل القبور معونةً
 وقد عمَّهم داءُ الدهانِ بأسرهم
 لذلك فضلتُ النَّوى وتركتُ مِن
 صفاراً كزُغِبِ الطير يشتدُّ وجدهم
 متى يذكروني يَشْرَقُوا بدموعهم
 تذوب حشاهم من فراقِي كأنما
 وما عندهم بعضُ الذي بي وإنما
 وإن أشمتَ الحسادَ يوم انتوائنا
 وكل عسيرٍ هيِّنُ في لقاء من

أسامرُها كي لا يساورها الغمُّ^(١)
 وإن رَقَّ مَجْنَاهَا إذا مسَّه الظلمُ
 وقلنا عسى أن ينفع الصبرُ والحلمُ
 ولكن تمادى في تهوُّره الخضمُ
 ترعرعَ فيه الحقُّ واكتمَلَ العلمُ
 على الدين لكن أينَ ذلكم العزمُ؟
 منيعٌ ولكن بعدهم مسَّها الهضمُ
 وما عندهم من إرث آبائهم قِسْمُ^(٢)
 ولكنهم عن كل فائدةٍ ضُمُّ
 تولَّى عليه الضعفُ واشتمَلَ الوهمُ
 وأتَى يعينُ الناسَ من ضمِّه رَدْمُ؟
 وإن حملوا رُقَطَ المكائدِ واغتمَّوا^(٣)
 خلافي نفوساً شوقها دائماً ينمُّوا
 إذا نوَّهتُ باسمي حيالهم أمُّ
 وما للذيذ الغمُّض عندهم طعمُ^(٤)
 بها الجمرُ يذكي أو يقطِّعها السَّمُّ
 أجبتُ العلى لَمَّا دَعاني لها الحزْمُ
 فعَمَّا قليل عندهم يحصل الرِّغمُ
 ودادي له سَفدٌ وقصدي له غنمُ

(١) حصت رياشها: أزيلت.

(٢) قسم: خط ونصيب.

(٣) الدهان: النفاق: رُقَط: جمع أرقط وهو الثعبان كناية عن شدة أذاهم وكيدهم.

(٤) يشرقوا: يغصوا.

مناطُ الرجا جَمُّ الحِجَا نَيْرُ الدُّجَا
سَنَامُ العلى كهفُ المَلَا كاشفُ البَلَا
إمامُ الورى عالى الدُّرَى صادقُ السُّرَى
يخوض الوغى بالخيل شُهَباً وَنَثْنِي
غَيورٌ وقورٌ قانتٌ متواضعٌ
عفوٌ شديدُ البأسِ أشوسٌ لَيِّنٌ
حكيمٌ فلا يعدو بأمرٍ مكانه
لأهل الهدى والدين من فضله الرِّضَا
إليه من الهادي الأمين وصنوه
وما كان من ميراثهم متفرقاً
كُفَاةٌ حماةٌ طائرون إلى العُلى
تشابهه يومَ الجمعِ والرَّوعِ فعلُهُم
إذا اضطربت نارُ الكفاحِ تسابَقوا
تمسك بالتقوى أبوهم فوفقوا
ومن كأبيهم عفةً وشجاعةً
وفي عالمِ القُدسِ العليِّ بروحه

سفِينُ النَّجَا في ملكه تأنس العُصْمُ^(١)
سَلِيلُ الألى يُدَوِي بجاههم السُّقْمُ
إذا ما انبرى ترتُّجٌ من بأسِه السُّمُّ^(٢)
وهنّ وما فيهنّ من شِبَةِ دُهْمُ^(٣)
عطوفٌ رؤوفٌ ناظمٌ نائرٌ قَرْمُ^(٤)
إذا لم يكن في أيّما حالٍ إثمُ^(٥)
يخفُّ إلى الجُلَى ويعجبه السلمُ
وللمفسدين العدلُ والمقتُ والرجمُ
عليّ تناهى المجدُ والسوددُ الضخْمُ
ففيه وفي أبنائه اليوم مُنْضَمُ
ولا غَرَوُ فالأشبالُ بالليثِ تأثمُ^(٦)
فمن خطبةٍ تسمو إلى طعنةٍ تنمو
إليها كأن الصَّيْدَ عندهم بهمُ^(٧)
ومظهرٌ فعل الأصل في فرعه حَثْمُ
وعداً إلى علم يزينة الفَهْمُ
يطوف فلإلهام من قلبه سَهْمُ

(١) العصم: الوعول في الجبال.

(٢) الشم: الجبال الشاهقة.

(٣) شبة: ألوان شتى. دهم: لا لون فيها سوى الدهمة.

(٤) قرم: سيّد معظم.

(٥) أشوس: يعرف في نظره الغضب إذا انتهكت حرمة.

(٦) لا غرو: لا عجب.

(٧) الصيد: جمع أصيد وهو الذي يرفع رأسه كبراً. بهم: صغار المعز.

مكارمه فوق الكلام وإنما
وما هو مثل الناس إلا كما استوى
قريبٌ وفي معناه بعدٌ كما يرى
عصاميّ نفس جاء من فوق بخره
وذلك له غلبُ الرقاب وأدعنت
وجاءت محابيه الملوك وتثقي
أذاق الزرانيق الردى بعنابس
شهابُ الهدى حتفُ العدا نجله الذي
وقلده من بعده الأمر فانثنى
إليك أمير المؤمنين يعودُ من
ومنك له عهدٌ أكيدٌ وذمةٌ
أما قلت لي لبيك في شعري الذي
أغثنى فإن الحاسدين قد اعتدوا
وبادر بنصر يرگس الظلم في الرّبا

يسوغُ لمن يدري تصوّره الحكمُ
من النحل والزنبور في النظر الحجمُ
صغيراً على كُبرٍ بجُثته النجمُ
بفخر له دانت به العُربُ والعُجمُ^(١)
له الشّوسُ وانماعت لهيبته الصمُ^(٢)
رَدَى منصلٍ ما شانَ قرضاً به ثلمُ^(٣)
تكادُ بسامي مجده تنطقُ البُكمُ^(٤)
له من وصيِّ المصطفى جدّه وسمُ
وفي جیده عقدان زانهُما النظمُ
صنوفِ الأذى حرّانُ أنتَ له عُمُ^(٥)
وحاشاك أن ترضى وقد ناله الغشمُ^(٦)
تعللني منه التلاوةُ واللثمُ
وما عندهم إلا وداذك لي جُرمُ
ويستقُ وحش القفر من حربه اللحمُ^(٧)

(١) نجره: أصله.

(٢) غلب الرقاب: العظام. الشوس: جمع أشوس وهو الذي ينظر كبيراً انماعت: ذابت.

(٣) نصل: نصل. قرضابه: سيفه القاطع. ثلم: كسر.

(٤) الزرانيق: قبيلة. عنابس: موضع.

(٥) حران: محترق الكبد من شدة الأذى والكيد.

(٦) الغشم: الظلم.

(٧) الرگس: رد الشيء مقلوباً. الظلم: هنا من ظلم الوادي إذا بلغ الماء منه موضعاً لم يكن

بلغه من قبل فهو بلوغ الماء من الوادي ذلك الموضع. وأطلقه على نفس الماء البالغ هذا

الموضع. الزبي: جمع زبية وهي الراية لا يعلوها الماء. يريد نصراً يرد الحق إلى الذروة

ويبلغ فيه الأمر إلى غايته كما يرد الماء إلى أعلى مكان لم يبلغه من قبل في هذا العهد.

يستق: يشتم ويتختم. يريد بشم الوحوش من لحوم الأعداء.

فقد يُطمعُ الريثُ النصاري وقومنا
وأخشى من التبشير ينجح عندنا
ومهما يكن حال السياسة غامضاً
أردتُ لقومي من موالاتك النجاة
سَعَوْا جهدهم في محنتي وتقولوا
يريدون كتمَ الحق لكنني بما
فما زال تذكيري شجاً في حلوقهم
وما برحوا حتى اشتروا ذمم الأولى
ومن صولة الأعمار في أرضنا البلاء
بَعَلْتُ بنصر الدين والقوم ضده
وكابدتُ في سيرِي إليك مصاعباً
وإن قمْتُ في وجه الوذيلة لاح لي
وما كان هذا القول لولا محمداً
سليك بدرُ الدين باللطف عمّني
رأى فكرتي غاضت فبشّرني بما
وهذا مقامي طالبٌ منك نجدةً

بتقريبهم للأرض من جهلهم هموا
ويظهر بين الناس ما تنسل الكرم^(١)
علينا فلا يُغيبك للفتنة الحسنم
فكان جزائي منهم البُغضُ والصّرْمُ
عليّ وبالبرهان أبطلت ما نّموا
بذلك من الإرشاد أعيامهم الكتم
إذا قلت يوماً خطبةً فيهمُ احتّموا^(٢)
لأهل الهدى والعلم ما بينهم رَسْمُ
وأنى لنا نبني وقد كثر الهدمُ
وجئتك إذ أشفى ولم يبق إلا اسم^(٣)
بها قبلَ وقت الشيب مني وهى العظم^(٤)
بياضٌ به اعتاضت غدائري السحْم^(٥)
يجيء ولكن عنده ضمّد الكلم^(٦)
فثابت إليّ الروحُ وانتعش الجسمُ
أحبُّ ففاضت حين لاطفني الشهمُ
فخذ لي بثاري إن جِذمك لي جِذم^(٧)

(١) ما تنسل الكرم: يريد الخمر.

(٢) احتّموا: أصابتهم الحمى.

(٣) بعلت: برمت فلم أدر ما أصنع. أشفى الدن: أشرف على الضياع.

(٤) وهى العظم: وهن ورق.

(٥) الوذيلة: المرأة. السحْم: السود.

(٦) ضمّد الكلم: شددت العصاة على الجرح. يريد سيف الإسلام حمداً ابن الإمام وولي عهده إذ ذاك.

(٧) جذمك: بكسر أوله وقد يفتح أصلك. لي جذم: أصل فأنت حقيق بالأخذ بثاري.

وقبلي بعيدي جاء جدك فانثنى وفي يده منه المراسنُ واللُّجْمُ
 وهزَّ رسولُ الله عمرو ابن سالم فقام ينادي في الصحابة أن زُموا^(١)
 وأنت لها يابن النبي وكفوها ورأيك رُشدٌ ليس يلحقه دَمٌ
 وعجَّل أمير المؤمنين بنصرتي فإني بأطفالي هنالك مُهْتَمٌ^(٢)
 إذا سرَّني قرب الإمام يسوءني تصور ما هم فيه لأنابهم يُثمُّ
 رحلتُ وهم ما بين قوم كأنما جوانحهم مما تُجنُّ لنا فحمُّ
 وقد خاض في بحر الأمانبي بي الرجا وأنت بحول الله للأمل الحنمُّ
 ولا تسَل عما جرى ساعة إنشادها؛ من التآثر والانفعال؛ وكانت عرضة
 ذلك؛ فقد أثارت الحفظاً من كل ناحية؛ وهي من حرُّ القول وخالصة؛ وجزل
 للشعر ومختاره، وما ظنك بملك؛ يعرف مقادير الكلام؛ من صميم كعب بن
 لؤي؛ كيف لا يهتز عودُه؛ ولا تتأكَّد موثيقه وعهوده. وعدت بعقبها إلى صنعاء؛
 ومكث هو بالروض؛ وأمهلته أياماً؛ ثمَّ حركته بالأبيات التي تلي:



(١) زموا: يقال: زممت البعير إذا علقت عليه الزمام.

(٢) مهتم: محزون يقال: أهمه الأمر أحزنه فأهتم.

القصيدة العاشرة

من الإماميات

تبَلَّجَ نورُ الدين من مطلع الصَّرح
 خليفةٌ خير المرسلين وسادة الـ
 أئمةٌ صدقِ أعلن الذكرُ فضلَهُم
 به وبأبناء النبيِّ رجاله
 غصونُ زكَّتْ من نبتةٍ في رُبى الهدى
 تدل على تطهيرهم قسما تُهم
 وردتْ عليهم طالباً فضلَ نجدةٍ
 سيندم قومٌ خالفوني وأشأموا
 وإنِّي وإن لاقيت منكم كرامةً
 فلي بين أعدائي بأرضي وديعةً
 فعجّل بعوذي والمهمةُ قد كفى
 وما لي وللإلحاح بعد قصيدةٍ
 أتيناك والأكبَادُ حرَّى فأنلجت

بعزةٌ يحيى قائد النصر والفتح^(١)
 مُنِيبين والهادين بالرفق والنصح
 فأغنى عن الإطناب في الوصف والمدح
 وأولاده جُنحُ الدُّجى عاد كالصبح
 سقاها أمينُ الوحي بالوابلِ السَّح^(٢)
 كما يُعرف المسكُ الفتيقُ من النَّفح^(٣)
 فما ريتُ إلا ما يُبشِّرُ بالنُّجح
 إذا ما تعلّى فوق أقداحهم قدحِي
 وحسنَ التفاتٍ لا يقومُ به شُرْجِي
 فوادي لها بالليل كالماء والملح^(٤)
 بها علمُكم والحرُّ يُنجدُ باللَّنج
 بها اهترَّ عودُ العاهلِ الفاتكِ السَّنح
 طلاقنكم من لاعج الضَّيم واللفح

(١) الصرح: قصر الإمام يحيى.

(٢) السح: المنسكب.

(٣) المسك الفتيق: نوع من المسك أضيف له العنبر. النفح: الرائحة.

(٤) كالماء والملح يريد أنه ذائب القلب.

وحاشاكم أن تهملوا آثارَ جارِكُم ومحسويكم بل وابنِ عمكم اللّح^(١)
فعارٌ عليكم أن يعودَ ومالُهُ نفوذٌ على الطاغين بالسيفِ والرمحِ^(٢)
وما زال مذعشرين عاماً يعدُّكم لشدته أسنى الذخائر والريحِ
وقد علمت حتى العذارى انتماءه إليكم وما أبلاه في الحقِّ من كذحِ
وَدُم يا أمير المؤمنين بغبطةٍ مدى الدهر كالمأمون عهدَ فَمِ الصلحِ^(٣)
فما هي إلا أيام؛ حتى جاءني هذه البطاقة^(٤)؛ وعليها إمضاؤه بخطه هكذا:

من عبد الله وفقه الله؛ إلى السيد السند الأديب؛ والعلامة الألمي الأريب؛
وجيه الإسلام عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف حفظه الله؛ والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته. صدر الجواب على أبياتكم الأبيّة الراقية؛ مقررّاً للفضل
حقّه؛ ومعطياً لذي السبق سَبَقَه، ودمتم في دعة وسعة، والسلام عليكم. في ٩
صفر سنة ١٣٤٩هـ.

(١) اللح: القريب.

(٢) يستعجل الإمام إنقاذ حضرموت ونصرة مناصريه بها مما ألم بهم من طغيان وأذى.

(٣) فم الصلح: اسم قرية قرب واسط انتقل إليها الخليفة المأمون بعروسه بوارن بنت وزيره
الحسن بن سهل وقد أنفق الوزير في ذلك اليوم ما يفوق حد الكثرة.

(٤) يبدو أن الإمام يحيى استغرق هذه الأيام لكتابة الرد على القصيدة وكان الإمام ابن عبيد الله
يستعجل نصرته الإمام وإرسال جيش إلى حضرموت بينما كان الإمام يحيى يواجه ظروف
سياسية دقيقة فالإمام يحيى كان يعادي الإنجليز معاداة شديدة ويتمنى طردهم من جنوب
اليمن؛ لكنه يعرف مدى قوتهم ويعرف بتحركاتهم بين الحكام العرب والإمام يحيى كما ذكر
في قصيدته التي أرسلها لابن عبيد الله كان مشغولاً أيضاً بترتيب الأمور الداخلية لمملكته
اليمنية فلم يستطع تنفيذ ما تمناه منه ابن عبيد الله ولنفس الأسباب لم يستطع من سبق الإمام
يحيى من أئمة اليمن تقديم العون لحضرموت؛ ولم يستطع كذلك الأتراك ولا محمد علي
باشا من الاستجابة لوجهاء العلويين مثل السيد محسن بن علوي السقاف (١٢١١ -
١٢٩٠هـ) والذين أرسلوا لهم الرسائل تلو الرسائل يتمنون عليهم القدم على حضرموت
وتخليصها مما كانت تعيش فيه من الفوضى والاضطراب أيام حكم الطوائف الياقعية
والقبائل الحضرمية.

القصيدة الثالثة

من الإمام يحيى بن حميد الدين
لابن عبيد الله

أَعِدْهَا أَعِدْهَا يَا خَلِيلِي بِالصَّذْحِ وَدَاوِ بِهَا مَا قَدْ جَنَّتْهُ مِنَ الْجَرْحِ^(١)
فَقَدْ هَيَّجَتْ مِنَّا الْبَلَابِلَ وَأَنْثَنَتْ تُثِيرُ شَجُونًا لَمْ يُطِقْ حَصْرَهَا شَرْحِي^(٢)
وَوَافَقَتْ أَخَا شَوْقِي إِلَيْهَا مَبْرَحَ يَرَى فِي تَدَانِيهَا الدَّنْوَّ مِنَ الْمَنْحِ
وَمَنْتَ بِمَا أَدْنَاهُ قَرُبُ مَوْمِلٍ وَزُورَةٌ مَشْتَاقٍ وَعِطْفَةٌ ذِي صَفْحِ
إِذَا قَلْتُ هَزَّتْ أُرِيحِيَّةً سَامِعَ وَتَالِ فَصْدَقِي كَانَ أَسْفَرَ مِنْ صَبْحِ
وَإِنْ قَلْتُ جَاءَتْ بِالْأَمَانِي فَإِنَّهَا وَحَقَّ الْوَفَا تِلْكَ الْحَرِيَّةُ بِالشَّطْحِ^(٣)
عَقِيلَةٌ فَكِرٍ هَاشِمِيٍّ مَبَجَّلٍ مَحَاسِنُهُ جَلَّتْ عَنِ الْجَمْعِ وَالطَّرْحِ
أَخُو الْعِلْمِ يُجْرِي أَبْحَرًا مِنْ لِسَانِهِ كَمَا انْهَلَّ وَكَافَتْ بِمَنْهَمِرِ السَّحِّ^(٤)
وَذُو الْهَمَةِ الشَّمَاءَ مَا حَالَ دُونَهُ وَدُونَ مَسَاعِيهِ الصَّعَابُ مِنَ الْكَذْحِ
وَمَنْ كَوَجِيهِ الدِّينَ فَضْلًا وَشِيمَةً وَخَلْقًا وَأَخْلَاقًا لَهَا طَالَعُ الْفَتْحِ؟
شَمَائِلُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ وَجَدُّهُ وَأَسْلَافُهُ الْفَرُّ الْكِرَامِ أَوْلِي الْمَذْحِ
لَنْ زَادَ إِعْجَابِي بِهَا وَبِشَخْصِهِ فَقَدْ أَدْرَكْتُ مِنْهُ الْحَوَاسُ قِرَى الثُّجْحِ

(١) الصذح: رفع الصوت بالغناء.

(٢) البلابل: شدة الهم، الشجون: الأحزان.

(٣) الشطح: كلمة صوفية معناها الإفضاء بالغرائب والإبعاد في القول.

(٤) انهل: سال؛ وكاف. كثير السيلان. منهمر السح: غزير الهطول.

إليك وجية الدين نفثة فكرة
 أنتك تحيي منك أكرم نازل
 وتنبئك عنا أن رجواك لم تكن
 سوى عين ما نرجو كلانا بها يوحى^(١)
 فلا تحسب الآمال شتى فإنها
 بكل اتحاد تم عاطرة النفح
 ودم سالمأ في رفعة وكرامة
 لك الفوز عنوان بما رمت من ربح



(١) يوحى: يومئ ويشير من وحى إليه ويحيى وأصله يوحى.

القصيدة الحادية عشرة

ردّ بن عبید الله علی قصيدة الإمام يحيى

أرقتُ من الأشواق للأهل والسَّفحِ
وأرسلتُ في حكم الهوى من محاجرِي
وليلٍ كإبهام القطاة حسبتُهُ
يزيدُ غرامي ساقُ حرٍّ سمعتهُ
وأسرابُ آرامٍ تثنَّينَ فأنثنتُ
وقد صانَ قلبي عن هواهُنَّ حبُّهُ
ألا سلوةٌ من لاعجِ الحبِّ فالنوى
وما هي إلا نفثةٌ فاطمينةٌ
من العاهل الميمون يحيى أبي الألى
ولا غرّو أن داوى بأنفاسه الضَّنَى
وهذا أميرُ المؤمنين ووارثُ المـ

وبتُّ من التذكار والغمّ في سُبْحِ
سوابقٍ دمع لا تهابُ سوى النَّزْحِ
ظلالَ العوالي ما تناهى إلى صُبْحِ
يُرَجِّعُ رنّاتِ المثنائي على طَلْحِ^(١)
قلوبُ الورى حسرى من اللّمْحِ والنّفْحِ^(٢)
سواهنَّ لكن يُنكأ القَرَحِ بالقَرِحِ^(٣)
يُثِيبُ الجوى بين الترائب والكشْحِ^(٤)
أتيحت فكانت مرهمَ الهمِّ والجُرْحِ
لهم يوم تقسيم العلى خالصُ المَحِّ^(٥)
فقد كان عيسى ينشر الميت بالمَسْحِ^(٦)
نبيين والمخصوصُ في العصرِ بالمدْحِ

(١) ساق حر: ذكر الحمام. يرجع: يردد. طلح: شجر الموز.

(٢) أسراب آرام: جماعات الظباء.

(٣) ينكأ القرح: يقال: نكأ القرحة قشرها قبل أن تبرأ فنديت. القرح: الجراح.

(٤) لاعج الحب: ألمه. الجوى: شدة الوجد.

(٥) المح: خالص كل شيء.

(٦) لا غرو: لا عجب.

إمامُ الهدى أتقى من اعتَمَّ وارتدى
 عليه من القُدس العليِّ جلاله
 ولكنه مثلُ النبيِّ وصنوه
 يقوِّدُ المذاكي رابطَ الجأشِ للوغي
 أثنتي أبا الأشبال منك فريدةٌ
 وإن لم تصرِّحْ بالمراد جميعه
 ومَن ذا الذي يرَضى بخذلانِ جاره؟
 فكيف بأبناء المغايير قادة المـ
 لقد أگدوا حقَّ الصريخِ وإن دُعوا
 وهذا مقامي طالبُ الإذن منك يا
 وما عهدُ صنعا بالذمِّم وإنما
 بثُّتُك ما عندي وفي الظن أنني
 ودمتُ مبيداً للأضاليل والعِدا

هذا وقد طال المقام، وزاد السقام، ووَدَّي للدين الانتقام^(٧)، فمَنُوا بجواب
 يطلق العقال، ويقصِرُ المقال؛ ويسوِّغ الانتقال؛ ولا أقالَ الله من أقال^(٨)؛ وما

- (١) المذاكي: الخيل الجياد. الزجل: رفع الصوت والجلبة. الضبح: صوت الفرس في الجري وليس بصهيل ولا حمحة.
- (٢) القح: الخالص من الشوائب.
- (٣) المغايير: شديدي الغيرة. المساعير: مسعري الحرب الذين يوقدونها.
- (٤) الصريخ: المستغيث.
- (٥) حيث لا يستطيع أحد مغادرة اليمن إلا بموافقة خطية من الإمام يحيى.
- (٦) السرح: المال السائم وفناء الدار.
- (٧) وما أحبه للدين هو الانتقام له من أعدائه.
- (٨) ولا أقال الله من أقال نفسه من البيعة للإمام.

أنذا بلطفكم محفوف، ولكني ممن خلفي مشغوف، وأنتم خير من امتلأت
بأريحيتهم الأنوف، وقد أطفأت قصيدتكم جمرة، وأثملتني كالخمرة، وعما قليل
تنكشف بهمتكم الغمرة؛ إن شاء الله تعالى والسلام.

عبد الرحمن بن عبيد الله

في ٩ صفر

ردّ الإمام يحيى على ابن عبيد الله

وبعقب أيام وردني منه كتاب هذا مضمونه :

حضرة العلامة المفضل؛ والسيد الحسين النسيب؛ مولى الكمال والإجلال؛ عبد الرحمن بن عبيد الله؛ حفظه الله .

رُويْدًا فقد أسفرت قلبِي باللفح
حنانيك فاطفته بِمَجْكَ والنُّضجِ^(١)
ورفقاً بزُنْد الشوق لا تَدَعْنَهُ
كما شاءت النيرانُ متصلَ القَدْحِ
فصبراً على حكم النوى فأخو الهوى
يقوِّدُ إليه الصبرُ مستبَعْدَ النُّججِ
لئن هاجك البرقُ اليمانيُّ سُحْرَةً
وأعلم من بُزْد الدُّجى قاتمُ الجُنجِ^(٢)
وعاينت في الآرام معنى عرفته
بمن لهم بين الحشا محكمُ الصَّرحِ^(٣)
لقد أبرزت تلك الفريدةً كامناً
من الحب لا يستطيعُ تعريفه شرّحي
دعوت لها قلبي فلبى وناظري
فمالاً وأولاها المثين من اللّمع
وطارحتها حُلُو الحديث فامتعت
بياناً وفي الإمتاع ما لذّ من رنج
وقلت لها إن الشّجا يبعثُ الشّجا
ذريه فما أشجاكِ داني من الطرح
ألم يك مولايك الجليلُ شرافةً
وفضلاً؟ به ازدان الجميلُ من المدح
ومن علمه بحرٌ يفيضُ وصوته
يَرِنُ بمكنونِ الإفادَةِ والنُّضجِ

(١) رُويْدًا: تمهل. اللفح: الحر المحرق. حنانيك. ارحمني رحمة بعد رحمة. المَجْ: الرمي بالماء. النُّضج: الرش.

(٢) السحرة أعلى السحر. الدجى. الليل وبُروده: ظلامه. وجنحه: جانبه أو قطعة منه نحو النصف والقاتم: الأسد، وأعلم. جعل لنفسه علامة.

(٣) الآرام: الظباء الأبيض. الصرح: البناء المرتفع.

إذا ما ارتقى فوق المنابر خاطباً
 وإن أخذت يُمنأه قَضْبَ يراعةٍ
 وجية الهدى إن البدائع جملةً
 وتخلبُ ألباباً يعزُّ انقيادها
 وكل بلاد قد حلت بسفحها
 يعز علينا أن تُرى متذمراً
 وأنت الذي يُرجي تدانيه دائماً
 وغيرُ قبيح إن تأجلَ مطلبُ
 وطولُ مُقامِ المرء في الحيِّ مخلوقُ
 وخيمٌ لدينا في «أزال» مخلُفاً
 إذا أنكرتني بلدةٌ أو نكرتها
 وعجَلتُ إيباءً لضيمِ رجالها
 إلى أن أرى الأيام دانية الجنى
 فهذا الذي ما خلته عنك عازباً

رأيت الهدى من فضل ربِّي في سَحِّ^(١)
 شهدت له بالسبق في حلبةِ الفُضْحِ^(٢)
 أراك بها تروي الفضائلَ عن سَنَحِ
 لغير الذي أبديت في الجِدِّ والمزحِ
 ترى أنها مقصودةُ السُوحِ والسَّفْحِ^(٣)
 بحال مُقام بين أهلك والسَّرْحِ^(٤)
 إذا عُدَّ قربُ المرء من فُرصِ المنحِ
 لما أنت تدري من جهادٍ ومن كذحِ
 لديباجتبه فالتزم خطَّةَ النُزحِ^(٥)
 مقاماً تناهى في الأذية والقُبْحِ^(٦)
 خرجتُ مع البازي قُبيل سنا الصُبْحِ
 بنقلة ذي حزم رأى العيِّ في طَفْحِ^(٧)
 بما رمتُ من فوزٍ تكَلَّلَ بالنُجْحِ
 تناولته بالشرح والشرح من سَجْحِي^(٨)

(١) سَحٌّ: انصباب.

(٢) قَضْبَ يراعة: ما قطع من الأغصان ليتخذ قلماً للكتابة.

(٣) السوح: جمع ساحة وهي الفضاء بين الدور.

(٤) السرح: الأموال السائمة.

(٥) النزح: الهجرة من الديار.

(٦) أزال: البلد الذي فيه قصر الإمام. والإمام يحيى يدعو هنا ابن عبيد الله للإقامة عنده باليمن ليتعد عما يلاقه في بلده من العداوة والكراهية لكن ابن عبيد الله لا يرتضي ببلدته سيؤون بديلاً مهما بلغ فيها ما يلاقه من الأذية والنكد.

(٧) إيباء: يريد إيباء. طفح: ازدياد.

(٨) سجحى: يقال سجحت له بشيء من الكلام إذا كان فيه تعريض بمعنى من المعاني.

وَدَم نَائِلًا مَا تَرْتَجِيهِ مَبْجَلًا وَفَضْلِكَ عَالِي الصَّرْحِ قَامَ عَلِي صَح^(١)
 هَذَا وَقَدْ جَارَيْنَا جَوَادِكُمْ فِي شَوَاطِئِ نِظَامِهِ، فَلَمْ نَحْظْ إِلَّا بِمَا تَأَخَّرَ فِي مِيَادِينِ
 إِقْدَامِهِ، وَالْمَوْمِلُ أَنْ تَكُونَ زِيَارَتِكُمْ غَايَةَ فِي الْإِمْتِنَاعِ، وَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّ مِنَ الْإِسْعَادِ؛
 مَا هُوَ دَالٌ عَلَيَّ عَلَوِ الْحِظِّ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ، وَدَمْتُمْ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ
 وَبَرَكَاتُهُ.

عبد الله
 وفقه الله

هكذا إمضاؤه بخطه في ١٤ من صفر سنة ١٣٤٩.

والاجتماعات جارية خلال ذلك بكثرة؛ ولكن المحاورات الشعرية لها
 سيرتها، وفي يومئذ أبرق إليّ ولي العهد؛ يشير عليّ بالتزوّج؛ وعرض عليّ أمين
 القصر جارية للتسرّي؛ فأبيت خشية نسيان الأهل والوطن؛ وما برحت أن كتبت
 من رأس القلم القصيدة التالية:

* * *

(١) صح: نحتته من الصحصح وهو كل ما استوى من الأرض.

القصيدة الثانية عشرة

من الإماميات

بغير اختيارٍ مدّعي بات في سَفْحٍ
وما أنا ممن يُرْخِصُ الخَطْبُ دمعَهُ
وإني لصلبٍ يحملُ الهَمَّ خاطري
عَلَى أن ذلّي في الهوى عينُ عِرْزتي
ويانسُ قلبي والقنا يقرعُ القنا
يقولون لي برّذ بنفثك حرّما
وهاتوا إذا ارتبّثتم بقولي أكفكم
ولو أن ما بي عندكم منه ذرّة
وأبي محبّ غاب عمّن يوؤده
يشير أمير المؤمنين على ابنه
وأفسد ما بين الجفون من الصُّلح
ولكنه قد فاضَ في الحب عن طَفْحٍ^(١)
ولا سيما إن لم يكن عنه من نُذح^(٢)
فما زلت فيه من بني عُذرة الكُح^(٣)
وإن كان قد يُمسي من البين في ضَرْح^(٤)
أهجت وما في النفثِ عندي سوى اللَفْح^(٥)
على كبدي الحرّى صَعُوها أو الكشْح
لضاقَت بكم هذى التلاعُ مع الفُسْح^(٦)
فلم تُسجِه وُزق الحمائم بالسَّجْح^(٧)
ليسلم من حرّ الهزيمة بالنزْح

(١) طفح: امتلاء.

(٢) ندح: سعة وفسحة.

(٣) بني عُذرة: قبيلة مشهورة بالحب العفيف: الكح: الخالص أي الأصلين.

(٤) ضرح: شق والمراد القبر.

(٥) اللفح: الإحراق.

(٦) التلاع: ما انهبط من الوادي. الفسح: السعة.

(٧) السجح: السجع وهو الهدير وترديد الصوت.

وبالغ في الطافه واعتنائه
ومن يك ذا أنفٍ حمي كضيفه
وليس لمهضوم الحقوق تَعَلَّةٌ
وإني إذا ساعدتموني لثائرٌ
وما شأن أعدائي بصعبٍ وردُّهم
وفي شعر مروان بن حفصة وصفهم
مشائيم مذمومون لا شيء عندهم
وأقصى أمانهم غيابي لأنهم
وكم قتلوا لي في الغوارب والذرى
وهل يأذن المولى بهجري موطناً
وما عن حمى الدين الحنيفي ذائدٌ
وأدى التفاتٍ منك يا بن محمدٍ
وفي فكرك الوقاد ما يكشفُ البلاء
فإن قمتَ فالمأمول أولاً فإنني

ووقر أسباب الكرامة في الصرح^(١)
فلن ينسَ بالنعمة مواصلة المنح^(٢)
بجدٍ سوى لف الزحوف ولا منح^(٣)
بييض المواضي والمطمهة القرع^(٤)
عن الغي لا يحتاج كُثراً من الكبج
وما هم سوى أكالة التمر والقنح
سوى الأبيض الرنان غطي على القنح
بغيط شديد من مقامي ومن نُضجِي
لكي يبعدوني عن بلادي وعن سرحي^(٥)
متى غبتُ عنها أصبح الحق في دح؟^(٦)
سواه فهل يرضى له اليوم بالكفح^(٧)
يصون مُحياً الشرع من وهج الضح^(٨)
ويطلع فجر الرشد في سُدفة الجنح^(٩)
صبورٌ ولا أنفك قط عن الكدح^(١٠)

(١) الصرح: القصر.

(٢) المنح: جذب رشاء الدلو. يريد العمل والسعي.

(٣) الزحوف: جمع زحف وهو الجيش ولفها: اختلاطها.

(٤) بيض المواضي: السيوف القواطع. المطمهة: الخيل الحسان. القرع من الخيل ما دخل في الخامسة.

(٥) فتلوا: حاولوا خداعه وتضليله وتقدم شرحه. سرحي: مالي.

(٦) دح: دس في الأرض.

(٧) الكفح: الضرب مواجهة.

(٨) الضح: الشمس أو ضوءها.

(٩) الجنح: جانب الليل والسدفة ظلّمته.

(١٠) الكدح: التعب.

سأسعى على ضعفي بكل وسيلة إلى الموت أو أن يأذن الله بالفتح
وأنت بنا أولى وأحرى لنسبة تلاقت بنا في خير ماشٍ على السطح^(١)

عبد الرحمن بن عبيد الله
في ١٤ صفر سنة ١٣٤٩هـ

فكان الجواب على هذه إرسال الصفي القاضي عبد الله بن حسين العمري؛
للمفاوضة في المهمة؛ وكان ولي العهد هو الذي وعدني بالمراجعة في ذلك؛
فتأخر لانحراف في صحته؛ وصار الاعتماد على الوزير المذكور بدلاً عنه؛
وكانت النتيجة تأكيد المواعيد؛ وبسط العذر للريث؛ بما في جو السياسة من
الظلام.

وقبل علمي بانحراف مزاج ولي العهد؛ بعثت إليه بالأبيات التالية:



(١) السطح: سطح الأرض يريد الرسول ﷺ.

القصيدة الثالثة عشرة

من الإماميات إلى ولي عهد الإمام

تركنَ الحُلَى واجتزَنَ والليلُ جانحُ
 نواعمُ لولا الخُمُرُ لانكشفَ الدُّجَى
 سلبنَ النُّهى لما تمايلنَ وانثنى
 وما صاننا عن سخرهنَّ سوى هوى
 فهيجنَ ذكرانا وما أثقلَ الجوى
 وتضربه الأمواجُ باليمِّ تارةً
 وتحفزه الأمالُ للبلدة التي
 هنالك في الروض الأريضِ بدا لنا
 محياً بمرآه امتلأنا مهابةً
 وأنشدتهُ والدمعُ بيني وبينه
 وقالَ وليَّ العهد لي وهو خارجُ
 ولي رجمٌ منه وعهدٌ وذمةٌ
 فنمتُ بما تحت الستورِ الروائحُ
 مرزَنَ حوالبنا وهنَّ سوانحُ^(١)
 بحسرتِه منهن غادٍ ورائحُ
 به ملئت من قبلهن الجوانحُ
 على من تهاده الربا والصَّحاصحُ^(٢)
 وتُسويهِ في البرِّ السَّمومُ اللوافحُ^(٣)
 حَبَّتها بأنوار الجلالِ الأباطحُ
 محياً به نورُ النبوةِ واضحُ^(٤)
 فلاطفنا حتى انفتحنَ القرائحُ
 وقد أخذته الأريحيةُ سافحُ
 يؤدُّعني بُشراك فالحالُ صالحُ
 وقد مهَّدتُ قبلى السبيلَ المدائحُ

(١) الخمر: جمع خمار. ما تغطي به المرأة رأسها. الدجى: الليل.

(٢) الربا: الأمكنة المرتفعة. الصَّحاصح: الأرض المستوية ليس بها شيء ولا شجر ولا قرار للماء، التهادي: مشي في تمايل.

(٣) يصف هنا ما تعرَّض له في سفره في البحر والبر من المضاعب.

(٤) الروض الأريض أي الذكي الكريم يريد به قصر الإمام.

وخالفْتُ فيهم عاذلي وقصدتُهُم
 وهم عارفو قدرِ الكلامِ وجزلُهُ
 ومن دَوْرهم فاض الندى ووجوهُهُم
 ولم تتخالجني الظنونُ ولا انثنى
 ومرّت ليالي لا أراه كأنها
 فلا تتركوني للأسى هكذا لقي
 وكم سقْتُ في آثاركم من إشارة
 وتدرؤا بما في خاطري ثم رأيكم
 وما حلها صعبٌ وعندي بيانه
 وروضوا جماحَ الشرِّ جذعاً فقلما
 ولا هم لي إلا الشريعةُ إنها
 إليك وليّ العهد عثبي وإنني
 وأنت لنا سعدُ السعد وللعدا
 فراجع أميرَ المؤمنين وقل له
 ويرجع منصوراً رجوعاً بيمنه

وأيقنتُ أنني لا محالةً رابعُ
 يعيش وإن ضمتُ ذويه الضرائحُ^(١)
 بدورُ الهدى منها وفا الوعدِ لائحُ
 رجائي ولكنَّ التَّريثُ فادحُ
 ظلالُ العوالي طُلنَ مما أكافحُ
 فطولُ انتظار الحرِّ للقلب جارحُ
 أوئمل من حسن القرى أن تُفاتيحوا
 على كل حال في القضية راجحُ
 إذا شئتم فاضغوا لما أنا شارحُ
 يراضُ جماحُ المُهر إذ هو قارحُ^(٢)
 تكاد عليها أن تقوم النوائحُ
 كما ليس بخفاكم أمينٌ وناصحُ
 كذلك سغدٌ إنما هو ذابحُ^(٣)
 متى تشمل الضيفَ الكريمَ الفواتحُ؟
 تُقننى على رغم الأعداي الصّوادحُ

* * *

(١) الضرائح: القبور.

(٢) جذعاً: صغيراً وأصله بالتحريك وسكن للضرورة وهو من الخيل ما أتم الستين ودخل في الثالثة فإذا بلغ الخامسة فهو قارح.

(٣) سعد ذابح: سعد النجوم عشرة أنجم أربعة منها ينزل بها القمر منها أسعد السعد وسعد الذابح.

القصيدة الرابعة عشرة ملحقة بالإماميات

في مسألة القات^(١)

وفي تلك الأثناء تعرضت بالذم للقات؛ فرفع بعض العلماء عليّ الدعوى؛
بطريق المطايبية؛ والمبالغة في التفتح والاسترسال؛ وفي المقام الشريف اقترح
عليّ مدحه؛ تكفيراً عن سالف ذمّه؛ فلم يُطاوعني اللسان؛ على أكثر مما ترى في
الآبيات؛ التي كتبتها على هيئة الارتجال؛ مع الالتزام.

طابث لنا بأبي الأشبال أوقات يُكَمِّلُ الأَنَسَ في أثنائها القاتُ
في روضِ مجدِ أكاليلِ الفخار به وفيه للزهرِ كالزهراء باقاتُ
عِطْرٌ يَفُوحُ وأنوارٌ تلوح وأموا ةُ تَسِيحُ وأغصانٌ وريقاتُ
بُرْجٌ تنزَّلُ من عُلوِّ به انفتحت للعدل والبذل أبوابٌ وريقاتُ^(٢)
لاقيتُ فيه أميرَ المؤمنين وفي نفسي كروبٌ أزالها الملاقاةُ
رأيتُ في وجهه نورَ النبي فلم أملكِ دموعاً أسألها العلاقاتُ

(١) القات هو أحد النباتات المزهرة وتكثر زراعتها في اليمن وشرق أفريقيا وتحتوي نبتة القات على مينوامين شبه قلوي يسمى الكاتينون يسبب لمتعاطيه ضعفاً لشهية الأكل وحالة من النشاط الزائد وصفته منضمة الصحة العالمية كعقار ضار وهو ممنوع في أغلب بلاد العالم ويستسبب في حالة خفيفة من الإدمان أقل من التبغ والكحوليات وتستنزف زراعته الموارد المائية باليمن ويؤدي ذلك إلى أخطار على الزراعة ويستهلك القات بكثرة في اليمن وتعد له مجالس خاصة.

(٢) وريقات: ذات أوراق.

وأخْرَسْتَنِي بَدَاءَ هَيْبَةٍ مَلَأَتْ
 ما أَطْيَبَ العِيشَ في أَكْنَافِهِ وبِهَا
 لولا عَلائِقُ شَبَّتْ في الفِؤادِ جَوَى
 وكَلِما أَنَسَ النِّساءَ مَرَّ بِهِ
 هِيفَ الخُصُورِ يُغَطِّينَ الأَصابعَ من
 وكَدَتْ بالأَمسِ أَقْضِي لوعَةً وَأَسَى
 قَرَأْتُها فَاسْتَحَرَّ الوَجْدُ واضطَرَبَتْ
 ولَنْ يَنامَ على الصَّيِّمِ الأَبِيِّ وَمِنْ
 لا بَدَّ مِنْ دَرَكِ ثاراتي وَإِنْ كَثُرَتْ
 وفي وُعودِكَ آمالي مَعْلَقَةٌ
 وما اسْتَعنْتُ بِكم إِلا لِمَلتِكم
 صَدري وَلَكِنْ أَزاحتها الطَّلَاقَاتُ^(١)
 لِلعِلمِ وَالجودِ وَالمَجْدِ اتِّفاقَاتُ
 وما لِأَسْرِ الصِّبابِ انْطِلاقَاتُ^(٢)
 إِجْلٌ مِنَ الرِّيمِ تَزهُوهِ اللَّبَاقَاتُ^(٣)
 فَضِلَ المَقانِعِ غاداتُ رَشِيقَاتُ^(٤)
 لِمَا أَتَخَيَّ مِنَ الوَكْرِ البِطاقَاتُ
 في القَلبِ مِنَ مَضَضِ الأَشواقِ دَقَّاتُ^(٥)
 قومي على الحَقِّ نالَتْنِي مَشَقَّاتُ
 مِنَ التَّجِيعِ على الأَرْضِ الإِراقَاتُ^(٦)
 وبِالوَفاءِ سِجايَاكم خَلِيقَاتُ^(٧)
 ما بي لِشِئٍ سِواها قَطُّ فاقَاتُ^(٨)

(١) الطَّلَاقَاتُ: طلق ورجل طلق الوجه ضاحكه مشرقه.

(٢) انْطِلاقَاتُ: انفككات.

(٣) النِّساءُ: التعزي من التأسية أي التعزية. إجْلٌ مِنَ الرِّيمِ: قطع من الظباء اللباقات: جمع لباقة وهي الظرف والرفق.

(٤) هِيفٌ: جمع هيفاء وهي الضامرة البطن. الحَضُورُ: جمع حضر وهو وسط الإنسان. وَمِنْ مَحاسِنِ النِّساءِ دَقَّةُ الخِصُورِ. المَقانِعِ. جمع مقنعة وهي ما تغطي به المرأة رأسها. غاداتُ: جمع غادة وهي الفتاة اللينة الناعمة. رَشِيقَاتُ جمع رشيقة وهي الخفيفة اللطيفة الحسنة القد.

(٥) اسْتَحَرَّ: اشتد وقوي.

(٦) المَضَضُ: الألم والوجع: التَّجِيعُ: الدم.

(٧) لَمْ يَنسِ الإِمامُ ابْنَ عبيدِ اللَّهِ حَتَّى في هَذِهِ المِداعِبَةِ تَذْكِيرَ الإِمامِ بالأَمْرِ المِهمِّ الَّذِي جِاءَ مِنْ أَجْلِهِ وَأَخَذَ الوَعْدَ مِنَ الإِمامِ بِتَنْفِيزِهِ وَهُوَ المِساَعِدَةُ على ضَبْطِ أُمُورِ حَضْرَمُوتِ وإِعدادِ العِدَّةِ لِطُرْدِ المِستَعْمَرينَ الأَجانبِ عَنها.

(٨) فاقَاتُ: حاجات.

حاشاك يابنَ النجوم الزُّهر تخذلني وقد ترامت بي البيدُ السحيقاتُ^(١)
 واسمَحْ بعوْدي أمير المؤمنين ودُمّ في سُودد لك في العلياءِ نيقاتُ^(٢)



(١) البيد السحيقات: الفلوات البعيدات.

(٢) نيقات: جمع نيق. أرفع موضع في الجبل. ونرى ابن عبيد الله يطلب من الإمام السماح له بالسفر لأي الواحد لا يستطيع مغادرة اليمن إلا بعد أخذ موافقة الإمام والذي قد يستبقه فترة إمعاناً في الإكرام.

القصيدة الخامسة عشرة من الإماميات

مرسلة للسيد عبد الله بن أحمد الوزير

وفي خلال مراجعتي مع حضرة الإمام في القضية؛ بعثت بالأبيات التالية؛
إلى مناخة؛ لحضرة السيد الجليل عبد الله بن أحمد بن الوزير؛ أطلب منه
المساعدة على المهمة؛ وأخبره بما صار يوم الاتفاق الأول؛ وكان وعدني ببذل
المستطاع في خدمة المسألة؛ وهو من خيرة رجال الإمام؛ وأوفرهم بسطة في
العلم والجسم؛ والسيف والقلم.

عن البيض الأوانس في الحرير	حماني السعي للشرف الخطير
فنعرف سيره من العبير ^(١)	يجلن بظلمة متلقمات
على نفسي رقيب من ضميري ^(٢)	وما بي عاب عزهاة ولكن
نجوم الليل من أرق سميري	وبين جوانحي هم أصارت
وكابدت المصاعب في مسيري ^(٣)	وقد جنت الموامي والفيافي
من الأشجان نيران السمير	وفارقت البنين وفي فوادي
وغصت بالتحيب وبالزفير	بكث يوم الوداع لنا المطايا
وصلت إلي في الروض النضير	إلى تاج الملوك سعي حتى

(١) العبير: أخلاط من الطيب.

(٢) عاب: عيب. عزهاة: هو الذي لا يحدث النساء ولا يريدن ولا يلهو معهن أي ليس به عيب هذا الرجل.

(٣) الموامي: الفلوات

وقدّمتُ الشكايةَ وهو يُذري
تسحُّ عيونه وكذاك عيني
وما أمسيتُ يومي ذاك إلا
ولم أخشى الحبوّط؟ وما اقتراحي
ولي رحمٌ وحقُّ قرىٍ ووعدٌ
وما استنصرتهُ إلا لدينٍ
ولن يأتيه مثلي مستجيرٌ
وحظي في النجاح أقلُّ منه
وصرّح لي بتحقيق الأمانى
ولن ترضى مروءتهم رجوعى
وقد أخلصتهم في الودّ حتى
ولكن بالتمهل ضاق دزعي
وهأنذا أفوض في أموري
عفيفُ الدين ذو الهمم اللواتي
قرين المين طلاع الثنايا
غزيرُ الفضل مشكورُ المزايا
رأينا وجهه يوماً عطاشاً
كمثلي الأرض بالدمع الغزير^(١)
كما نطف العهاد من الصبير^(٢)
بظرفٍ من شذا فوزي قرير
على تلك العزيمة بالمسير
أثار عزيمة فرحلت عيري
خشيتُ عليه غارات المغير
وعندي أنه أوفى مُجير^(٣)
وقد بيّنتُ فائدة المصير
وليّ العهد في بشرٍ كثير
على عقبي بلا مددٍ كبير
تغير صبغ رأسي بالقتير^(٤)
ولم أرقد على الفرش الوثير^(٥)
إلى فخر البلاد ابن الوزير
تضيق بحملهن قوى ثبير^(٦)
قريعُ الحرب معدومُ النظير
لدى الطبقات عالٍ أو حقير
فأغنانا عن الماء النمير^(٧)

(١) يذري: يذري الأرض بالدمع: يسقيها به بصبه عليها.

(٢) نطف العهاد: قطر المطر وسال جمع عهد وهو المطر الأول. الصبير: السحاب الأبيض.

(٣) لن يأتيه: سكن الياء للضرورة.

(٤) القتير: المشيب.

(٥) الوثير: الوطيء.

(٦) ثبير: جبل معروف عند مكة.

(٧) الماء النمير: الناجع في الرّي.

كأن المصطفى وأبا تراب
 فما كسرى أنوشروان منه؟
 فسل عنه الظواهر وأزع سمعاً
 وأن تسأل تهامة تلقى مجدداً
 وإما قلت من فرد الممالي؟
 وهل أخشى من الخذلان فيما
 ولم يبعد ولو عند الثريا
 غرّتني ليلة بجيوش وهم
 فذم يا ابن الشهاب سرور قلب
 وقبللة أمل ومعاذ لاج
 ودونكها بروداً من صديق
 على قسما مفرقه المنير
 وما رب الخوزنق والسدير؟^(١)
 فما يُنبئك عنه سوى خبير
 يُقرُّ به الكبير مع الصغير
 فلا تعدوه قط يد المشير
 أحاوله؟ وقد أضحى نصيري
 مرام وهو عن كئيب ظهيري
 فقال خيالك الساري أنيري
 لنا والمسلمين وللأمير
 وغيظ عدداً وكنزاً للفقير
 تنوء بنسجهن يدا جرير



(١) كسرى: ملك الفرس. الخوزنق: قصر بالعراق بناه النعمان الأكبر الذي لبس السوح وساح في الأرض. السدير: قصر آخر فيه قبة في ثلاث قباب متداخلة هناك.

القصيدة السادسة عشرة من الإماميات

إلى سيف الإسلام

محمد ابن الإمام يحيى بن حميد الدين

وهذه من أثناء مكاتبة سيرتها لبدر الدين؛ زين الشباب المأسوف عليه؛
سيف الإسلام محمد ابن أمير المؤمنين^(١) بعقب رجوعي من «جاوا» في شوال من
سنة ١٣٤٩هـ.

أما وأسامي مَنْ يعيد وبتدي أليّة صدقٍ لستُ فيها بمعتدي^(٢)
لقد ذقتُ حُلُوَ الأصدقاء ومرهم فلم ترَ عيني كابن يحيى محمد
سراجُ الهدى سَيري إلى غيره سُدَى وهل للندى كفوٌ سوى زينة الندى^(٣)
جميلُ الثنا حلُوُ الجنى شامخُ البنا بديع السنَا الراقِي لأشرف مَقْعِدِ
شأى فلسانُ الدهر إن شاء أو أبى يقر له جهراً بفضل التفردِ^(٤)
وردتُ عليه الأمس والظَهْرُ موقرٌ فخفّفَ أثقالِي وأرغم حُسْدي^(٥)
وإني لأرجو منه نصراً مؤزراً يعيش بذكر في الزمان مخلدِ
ولي من أمير المؤمنين وثيقةٌ مقدّسةٌ عندي بوعدٍ مؤكّدِ

(١) سبقت ترجمته وقد مات في بحر الحديدة وهو يحاول استنقاذ غريق.

(٢) أليّة صدقٍ: ملف صدق بأسماء الله تعالى.

(٣) الندى الأول بالفتح: الكرم. والثاني بالكسر «المجلس الذي يتندي فيه القوم».

(٤) شأى: سبق الناس وانفرد عنهم.

(٥) موقر: محمل بالأثقال.

وما لي إلا أنتِ بي وَقَفَ الرَّجَا
وقد دُرْتُ في قومي وقصدي صلاحهم
على غير شيء بَيِّدَ أَنَّ جَمَاعَةً
وَأَسْنَتُ لِلإِصْلَاحِ بَعْضَ مَبَادِي
بذلتُ لهم نصحي بمنعرج اللوى
وإنني لَمَنْهُمْ غيرَ أَنِّي إِذَا عَوَّوَا
ووافى كتابُ منكَ أعلاه مَشْمُورٌ
تساءل عن حالي وما حالِ واحد
وبينت في كُتُوبِي مَرَاتِبَ نَجْدَتِي
وإن تكُ في كبرى المراتبِ كُلفَةٌ
وما لأمير المؤمنين بظلمة السد
ويا طالما أَقْلَقْتُ خصمي بذكركم
وإن طال هذا الرِّيبُ فالأمر مشكِلٌ
وما بي على ضيم الشريعة طاقةٌ
كتبتُ بهذا والرجاء ملءُ خاطري
فكن عند ظني فيك واشفع صنيعه
ومني لكم ما عشت أفضلُ ناصح

عليك فإصداري إلى حيثُ موزدي
فألفيتهم غرقى افتراقٍ مُنْكَدٍ
يصيدون بالتفريق كل مُبَلِّدٍ^(١)
أباها بنو جَدِّي لكي ينكروا يدي
ولن يستبينوا النصيحَ إِلا ضَحَى الغدِ^(٢)
أَبَيْتُ وَإِنْ تَرشُدَ غَزِيَّةُ أَرشُدِ
وأسفله المنظومُ من رِيَّة ندي
يروم العلى لولا مواعيدُ أوحدي؟
فهل أنتَ عند الوعد يا سيفُ مُسْعِدِي؟
فبُلَّ بوسطاهنَّ من غُلَّةِ الصَّديِ^(٣)
سياسة من عذُرِ لَدِينَا مُمَهَّدِ
فجرَّ له الإمهالُ بعضَ التردُّدِ
وماذا له إن أشكل الأمر أهتدي
أذى الضيمِ أشوى من شِباةِ المَهْنَدِ^(٤)
ولن يَهْنَنَّ إِلا من جوايبك مَرَقِدِي
نطوَّقُ منها كالحمامِ مُقَلِّدِي
وداعٍ بإخلاصٍ وشادٍ مُفَرِّدِ

(١) مبلد: رجل ضعيف.

(٢) بذلت: أصل البيتين للدريد بن الصمة والبيت الثاني:

وهل أنا إلا من غَزِيَّةِ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتَ وَإِنْ تَرشُدَ غَزِيَّةُ أَرشُدِ

فغيره بما هو أعز وأكرم

(٣) غلة الصدى: عطش العطشان.

(٤) شباة المهند: طرف حدِّ السيف.

القصيدة السابعة عشرة من الإماميات

الرد على جواب سيف الإسلام محمد بن يحيى

فعاد جوابه بما يثلج خاطر، ويقر الناظر، وينعش الرجا، ويشر بكشف
الدجى . فقلت في أثناء الجواب عليه :

خيالك وأقى والخليون هجد^(١) فلم أذر إلا والمحبون سجد^(١)
وما في سجد القلب ذام^(٢) وقلما يكون ارتفاع بعده بل يؤبد^(٢)
هو الحب يذكيه النوى فقلونا بها الجمر من تبرحه يتوقد^(٣)
نهاري مع الخلان حزن ولوعة^(٣) ونومي إذا جن الظلام مشرد^(٣)
ألا قلما تبقى على ما لقيته من الوجد صم الصخر لولا التجلد^(٤)
صبرت على حر الهزيمة والنوى لئلا يراني شامت يترصد^(٤)
وقلبت طرفي في البلاد لعلي وألقتي كريمة عالي النفس يُنجد^(٤)
وأقسمت لا مستثنياً بعد خيرة^(٤) بأن لا فتى في الشرق إلا محمد^(٤)
جميل المحيا باسم الثغر واضح الجإ بين بكفيه الندى والمهند^(٤)
إليه تناهى المجد واجتمعت له خصال العلى في المهدي أو وهو أمر^(٤)
أناف على هام الشها وسما به جهاد وتوفيق وئمن ومخيد^(٤)

(١) الخليون: الأخلياء من الأسي. هجد: نيام.

(٢) ذام: عيب.

(٣) الندى والمهند: الجود والسيف.

(٤) الشها: كوكب صغير خفي الضوء في بنات نعش الكبرى من الناس به أبصارهم.

نماه أمير المؤمنين فحقه
 أبوه الإمام المرتضى وشقيقه
 يقولون يأتي كل عصر مُجددٌ
 وإن جازف المُدَّاحُ في وصف فاضلٍ
 فما قلت هذا القول إلا حقيقةً
 تَهَامَةٌ من رِيَاءٍ يَنْصَعُ طيْبُهَا
 أدين له بالشكر حياً وإن أمت
 وإني لأرجو منه نصراً مؤزراً
 ويحياً به حقٌّ ويزهقُ باطلٌ
 ولم أزجُ إلا وافيةً أنجبت به
 وقد أنلجنتني بالبريد رسالةً
 فقرّ قراري واطمأنتُ خَواطِري
 وأيقنتُ أن اليمنَ أقبلَ والدجى
 وقد عمّني في البدء فائضُ جوده
 ومن فضله التعجيلُ فالوقتُ قابلٌ
 وما حاجتي إلا حمايةً ملّةً
 هم القومُ حول العرشِ تأوي نفوسهم
 يخفون للجلى نساوى لنصرها
 وذمٌ يا جمالَ الدين في مطعم الهدى
 كما شاءت الأقدار عزّاً وسؤدُدُ
 وليّ موثيقِ الخلافةِ أحمدُ
 إذا صح ما يُروى فهذا المجددُ
 وأطرّوه في جزل الكلام وردّوا
 وأنازه الحُسنَى بما قلتُ تشهدُ
 ويمحو محيّا الدجى وهو أربدُ^(١)
 يَنبُ في الثنا عني القريضُ المخلّدُ
 يقيم العِداً في حضرموتٍ ويُفعدُ
 ويُنصرُ مظلومٌ ويُفهرُ مفسدُ
 مغاييرُ قومٍ زندهم ليس يصلدُ^(٢)
 أتثني وفيها منه وعدٌ مؤكّدُ
 لأنّ كلامَ ابنِ الأئمةِ عَسَجَدُ
 أنارَ وأنّ الخيرَ يأتي به العَدُ
 وعُدتُ له والعودُ قد قيل أحمدُ
 وشملُ العِداً بالاختلافِ مُبدّدُ
 بنُصرتِها آباؤه قد تفرّدوا
 إذا كاد ذو مجد على الشمسِ يَفْعُدُ
 إذا ازورّت الأبطالُ عنها وعردوا^(٣)
 ضياءً لك الإجماعُ بالفضلِ يُعقدُ

(١) ينصع: يخلص. الدجى: الظلمة. أربد: مغير كلون الرماد.

(٢) مغايير: ذوو غيرة وحمية. ليس يصلد: يقال صلدَ الزند؛ يصلد كجلس إذا صوت ولم يور؛ يريد أن الزند تورى إذا قدحت.

(٣) عردوا: فروا وهربوا.

القصيدة الثامنة عشرة من الإماميات

إلى العلامة ابن الوزير أمير تهامة

وسيرت القصيدة الآتية في سنة ١٣٥٢هـ؛ إلى حضرة العلامة ابن الوزير؛ أمير تهامة؛ إثر انبرام الصلح بواسطته؛ بين إمام اليمن وعاهل نجد والحجاز؛ ولما اجتمعت بابن الوزير في سنة ١٣٥٤ بالحديدة؛ أفادني بأن ابن السعود؛ التمس من الإمام أن يوفده للمفاوضة في الصلح؛ فأرسله، وفي طريقه إلى الطائف التقى بصاحب الفضيلة أمين الحسيني؛ وشكيب أرسلان ومن معهم؛ منصرفين من عند ابن السعود؛ قال: فملؤوا صدري ياساً من الصلح؛ غير أنني مضيت لشأني؛ وبمجرد ما قابلت الملك؛ انمحي من قلبي ما ارتسم عليه بكلامهم؛ من عوارض القنوط؛ وما هي إلا مفاوضات يسيرة بيني وبينه؛ حتى قال لي: لقد فوضت إليك أمر الصلح؛ فاكتب ما شئت؛ وأنا متعهد بالإمضاء عليه؛ بدون شرط ولا قيد. وإن شئت أمضيتُ على الورق أولاً؛ لا تكتب إلا عن قطع بالموافقة، قال: فوثقت بكلامه لاشتهاره بالوفاء؛ ولأنني عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب.

ولما اجتمعت أنا بابن السعود في ذلك العام؛ بدأني بالحديث عن القضية؛ فكان موافقاً لما تحدث به إليّ ابن الوزير؛ سواء بسواء لا يزيد أحدهما ولا ينقص؛ وقال لي: إنني لما أبرقت إلى ولدي فيصل بالجلاء عن الحديدة؛ أجباني بأن الانتحار أهون عليه من ذلك؛ فأجبتُه بأن انتحارك لا يقلل من عدد أبنائي؛ وقد نيفوا على الأربعين؛ ثم هو هين عليّ في سبيل حقن دماء المسلمين، هذا نص كلامه لي بمرأى من ولده فيصل ومسمع؛ ولقد برّ بكر بن النطاح في قوله:

هكذا هكذا وإلا فلا لا؛ وإني لأحمد الله؛ أن جعلني أسمع في زماني؛
على تrazله؛ بمثل هذه الأخبار؛ وهذه هي القصيدة:

أرقت من بارقي بالغور لَمَاع
نَبْتُ والصبر قفرٌ والنوى قُذْفٌ
مبيللَ الفكر مذهبَ الفؤاد على
تبكي الحمامَ ولكن لا يخالجهُ
طليقةٌ وأنا رهنُ الحوادث لا
أهوى العلى وهي لا تُرخي الزمامَ ولا
ولستُ أولَ حرٍّ مسَّه نكَّدٌ
وظننتُ نفسي على هُوج المكاره في
وإن تلوى مرآةً أو نبا غرضٌ
لا بد من نيل آمالي وإن عصفت
صبرٌ وروحٌ من الإيمان تنجدهُ
وسيلةٌ قلما صحَّت لذي طلب
وفي تهامه لي كهفتُ الوذُ به
حرٌّ بقرته آثارُ نجدته

وساقٍ حرٌّ شجى قلبي بتسجاع^(١)
والدمعُ قد جدَّ في خصبٍ وإمراع^(٢)
جَمْر من الوجود للأحشاء لذاع
حزنٌ كحزني وأوجاعٌ كأوجاعي
أمسي وأصبحُ إلا ضيقٌ باعي
تَنَهَّهتُ في طلابِ المجد أطماعي^(٣)
بل هكذا كلُّ ضرارٍ ونقاع
هذي السبيل فما عزمي بمنصاع^(٤)
رُضتُ الجماع بإمضائي وإزماعي^(٥)
بي في طريقي إليها كلُّ زعزاع^(٦)
في كل قطع لأهل الضعف قطع^(٧)
إلا وأفضت لتوفيتي بإسراع
من عَيْث كل أتى الليل دقاع^(٨)
وكلُّ شيءٍ بمعنوانٍ وإلماع

(١) بالغور: يريد تهامة. ساق: حر: ذكر الحمام. تسجاع: سجع.

(٢) النوى قذف: بعيد

(٣) تَنَهَّهتُ أطماعي: كفت.

(٤) هوج المكاره: جمع هُوج وهو الريح تفلح البيوت. منصاع: منفعل منصرف.

(٥) إمضائي: تنفيذي. ازماعي: إجماع رأيي عليه.

(٦) نيل آمالي: كتب الشاعر بالهامش. إن شاء الله تعالى. زعزاع: ربح شديدة.

(٧) تنجده: تقويه والضمير للصبر.

(٨) عيث: إفساد. أتى الليل: ما يأتي به مما لا يعرف.

إذا طَغَى موجُ أهل الريث في جهة
 كم اصطَلَوْا نارَ حربٍ ترتمي شرراً
 تنزو قلوبُ العدا من حربهِ جَزَعاً
 بعد الإمام ووالي عهدِ دولتِهِ
 مُباركُ الوجه ميمونُ النقيبة لو
 مَظْفَرٌ كلما هَبَّتْ عزائمه
 جدُّ حتى في وجوه السابقين فلم
 ومنصبُ زانٍ إكليلَ الفخارِ له
 ضلَّحَ به جبهةُ الإسلام مسفرةً
 صلَّحَ به نِلَتْ ودَّ المسلمين فما
 خفنا على بيضة الإسلام من فتنٍ
 رام الأجانِبُ توسيعَ الفتوق فلم
 تفاقم الصدُّعُ وامتدت مسافتهُ
 فوفقَ اللّه رأيَ العاهلَيْنِ بِمَسْـ
 فاشرب على الظفرِ الحلو الذي ينعتُ
 واترك من الكاس لي فضلاً يطيب به
 ناوَلْنِي المُدَّ من أمِّ السرور وإن

أغنت مهابتُهُ عن كل إخضاع
 من مَضْرَحِيّ طويلِ الرمح وقَّاع^(١)
 وللسباع تباشيرٌ بإشباع^(٢)
 له التفرُّدُ في الدنيا بإجماع
 يشاء بالجد قَادِ العُصْمَ بالقاع^(٣)
 لمطلب حُزْنُهُ من غير إيضاع^(٤)
 يُدرِكُهُ في ريشه للغاية الساعي
 بالصلح إذ تمَّ عن عدلٍ وإقناع
 والكفرُ قامَ على أنصابه النَّاعي^(٥)
 في الأرض من مسلمٍ إلَّا لكم داعي
 تُفْضِي لأجناسٍ أضرارٍ وأنواع
 يبقُ امرؤُ فيه دينٌ غيرُ مُرتاع
 وأعضل الأمرُ لولا خيرٌ رَقَّاع
 عاكم لمصلحة المرعِيِّ والراعي
 به رياضُ التهاني أيَّ إيناع^(٦)
 قلبٌ يَمُور اضطراباً بين أضلاعي
 تُرِدُ بأصغرٍ واشرب أنْتِ بالصاع^(٧)

(١) مضرحي: هو الرجل السيد الكريم.

(٢) تنزو: تثب.

(٣) ميمون النقيبة: مبارك النفس. العصم: الوعول في أعالي الجبال: القاع: أسفل الوادي.

(٤) إيضاع: إسراع.

(٥) أنصابه: حجارته المنصوبة له.

(٦) ينعت: أثمرت.

(٧) المد والصاع: مكيالان معروفان.

واذكر سُويعاتٍ وصلٍ بالصفاء امتلات
 لم يخلُ من طعمها ذوقِي وإن غربت
 من الكمال لك العِدُّ الحَسيفُ فلا
 يابن الوزير الذي ما زال من شرفٍ
 لا تنسى عهدي فإنني في محبتكم
 ولم أكن إن دَنْتُ داري وإن شَحَطْتُ
 أردت من قربكم نصرَ الشريعة في
 فقد تعدَّى عليها واستهانَ بها
 أمانةً من رسول الله ليس لها
 ومنه بالنصر لي وعدُّ أراقبهُ
 عازٌّ عليكم وقد وافيت سُدتكم
 والبطء يتعبُ والغيم المغيرُ في
 إليك يرفع شكواه الحليفُ وما
 فانصر صديقك لا يشقى بزورته
 واسأل إمام الهدى إنجازَ موعدة
 واسلم ودمٌ للعلی ذُخراً وإن عرضت

لله ما كان أحلاه من ساع
 بالهم يقظان عادتني بتهجاعي^(١)
 تبخلُ على قُطرنا الظامي بإنقاع^(٢)
 مقابِل ملءِ أبصارٍ وأسماع
 عاديت رهطي ولم أحفل بأشيعاي
 لدولة الحق إلا جد مطواع
 وادي المهاجر محيي السنة الداعي
 في أرضنا كل ختال وخذاع
 إلا الخليفة يحيى جزز لإبداع
 ولم يكن «صانة الباري» بمضياع
 أن لا أعود بأنصارٍ وأتباع
 جو السياسة قد أفضى لإقلاع^(٣)
 أهابٍ إلا بشهم نافذٍ واعِي
 ألسنت أفضل من سُورٍ وقعقاع^(٤)
 فالريث ضيق أخلاقي وأنساعي^(٥)
 أكرومة وغللت كن خير مبتاع

(١) غربت: ذهب. بالهم: واحد الهوم. يقظان. حال يقظتي. بتهجاعي: بنومي.

(٢) العِدُّ: أصله القديم من الركايا. الحسيف: المحفور في الحجارة الذي لا ينقطع ماؤه. الإنقاع: الإرواء يريد أن له من الكمال ما لا نهاية له فليجد على قطره الظمان بالإرواء.

(٣) أفضى لإقلاع: وصل للزوال.

(٤) قعقاع: رجل. يشير إلى قول الشاعر.

وكنت جليس قعقاع بن شور ولا يشقى بقعقاع جليس

(٥) أنساعي: حالي.

القصيدة التاسعة عشرة من الإماميات

حين التوجه للمكلا لإتمام مهمة إنقاذ حضرموت

وفي شوال من سنة ١٣٥٣ هـ؛ وردني كتاب من حاكم عدن؛ يشير عليّ بالتوجه إلى المكلا؛ مؤكداً لي أن سلطانها سيخدم قضيتي؛ وكل ذلك نتيجة التوصية بي من أمير المؤمنين، وهذه صورة ذلك الكتاب:

نمرة ١٤ «دار حكومة عدن حرر بتاريخ ٢ جنواري سنة ١٩٣٥م^(١).

جناب محترم المقام؛ السيد عبد الرحمن بن عبيد الله؛ المفخّم؛ دام محروساً.

بعد السلام؛ نحرر هذا لنفيديكم؛ بوصول كتاب توصية أرسل بها إلينا جلالة

(١) يلاحظ أن هذا الجواب كان قبل إبرام معاهدة الحماية بين الدولة الحضرية والكثيرة وبين بريطانيا والتي كانت سنة ١٩٣٦م وهي المعاهدة التي حاربها الإمام ابن عبيد الله بكل ما أوتي من قوة وكانت السبب في ما حصل من نفور وتباعد بينه وبين السلطان الكثيري علي بن منصور والسلطان جعفر الكثيري من بعده وأيضاً بينه وبين الكثير من أعيان بلده وقد أثبتت السنوات فيما بعد صحة رأي الإمام ابن عبيد الله حيث ترتب على هذه المعاهدة ضرر كبير على حضرموت حتى إن السلطان جعفر الكثيري كما جاء في كتاب تحفة الأحباب جاء إلى العلامة الحبيب علوي بن شهاب يشتكي من تدهور الأمور بحضرموت وعدم استطاعته منع الأجانب التحكم في أمر البلاد وإنه قرر اعتزال السلطنة؛ وربما كان هذا الخطاب المرسل للإمام ابن عبيد الله من ضمن الوسائل التي يتبعها الإنجليز لتليين موقف المعارضين حتى لا يعارضوا مخططاتهم؛ إلا أن ابن عبيد الله لا يمكن أن يخالف ما يخدم دينه وعقيدته مهما بلغ التهديد ومهما تزينت المغريات.

ملك اليمن في شأنكم؛ وبموجبها طلبنا من نائب سمو سلطان «الشحر والمكلا»؛ أن يبذل لكم المساعدة التي يقدر عليها؛ بالطريقة الحقانية؛ ولذلك ينبغي لكم الآن أن تذهبوا إلى المكلا وتلتقوا شخصياً به؛ وتشرحوا له مسألتكم؛ وإنا متيقنون أنه سيجري اللازم في المادة؛ ودمتم محروسين».

الكرونليك السكرتير السياسي

فرحلت في المحرم من سنة ١٣٥٤هـ وفي وجهي ذلك أقول:

شجونٌ أطارَت في الظلام منامي لِتَذْكَارِ أَيْامِ بَسْفَحِ يَثَامِ^(١)
بحيث الفضاءُ الرحبُ والسَّدرُ حوله منابثُ نخْلِ بِاسْقِ وَبِشَامِ^(٢)
قليلٌ به الأعنابُ لكنَّ ماءه أَلْدُ وَأَشْهَى مِنْ سُلَافِ مُدَامِ^(٣)
يبعثُ الشَّجِيَّ القلبِ فيه مَقْسَمًا عَلَيَّ لَخْنِ أوتارٍ وسَجْعِ يَمَامِ
شهورٌ بلدَاتِ الوصالِ وطيبِهِ تَقْضَى ولم تُعرفْ لهنَّ أسامي^(٤)
على الروح والريحان والأنس والصفاء وأقصى المُنَى مرّت لنا بسلامِ
تولّت وريّاهَا بأنفي وحسنها بعيني وفيها للندى كلامي^(٥)
وما نُزّة الدنيا وجنّاتُ ريفها بأنفَعِ من بطحائه لسقامِ

(١) يثام: منطقة جبل يشمة بسيؤون التي ينصح السلف بالذهاب إليها لمن يريد الانشراح وإزالة ما به من همّ وغم ويتبين في الأبيات حب الإمام لمدينته وإنه يرى كل ما فيها من أجمل ما يتمناه المرء ويعشقه.

(٢) بشام: شجر طيب الرائحة والطعم يستاك به.

(٣) سُلَافِ مُدَامِ: أول ما يعصر من الخمر أو أخلصه وأفضله. وتشتهر مدينة سيؤون في السابق بعذوبة مائها أما الآن فإن الأسلوب الحديث للصرف الصحي أفسد طعم مياهها الجوفية.

(٤) تَقْضَى: تنصرم وتذهب.

(٥) للندى: لأهل النادي.

ولن أنس فوق الرمل فيه مجالسي
عشايا على تلك السفوح تصرمت
بصحبة قوم طاهرين مراجح
مضنوا كلهم قداماً وعاشوا بحمدهم
كأنني من الأشجان ناقف حنظل
فما لوعة الأشواق عندي بلوعة
أوقر نفسي ما استطعت تجلداً
وأكثر للأعداء خوف شماتهم
وأظهر فضل الصبر حتى إذا جرى
ولا عاب في هذا فكم أرغم الهوى
وما زلت صلب العود لكنني له
وما اخترت مراً البين إلا لأنه
وخففت بعض الوجد عني أنني
فما كان جوي للمأسد في الدجى

شمالي بنتي واليمين غلامي^(١)
بإثر غدايا في هني ووثام
ميامين شم صادقين كرام^(٢)
وإن أعقبوا في عصرنا بلثام
أباهي بدمعي عروة بن حزام^(٣)
ولكنها في القلب وخز سهام
وللبين في نفسي رسول حمام^(٤)
وأحشاي من حرّ الفراق دوامي
لحرّ النوى ذكر تلين عظامي
معاطس أبطال أولات عرام^(٥)
خضعت ولم أمك فضول زماني
يمهد لي في الدار طيب مقامي
على ثقة كبرى ببرد أوامي^(٦)
ووقت الضحى إلا بأمر إمامي^(٧)

(١) كانت للإمام جلسة في العشية على البطحاء من غير فرش يجلس فيها مع عائلته ثم صار يستقبل فيها زواره ويعقد لهم عليها درساً علمياً.

(٢) مراجح: حلما. ميامين: ذوي بركة. وكان والده الإمام عبيد الله بن محسن ومعاصريه من العلماء يجلسون على هذه البطحاء في سابق الزمن.

(٣) ناقف حنظل: كاسر الحنظل عن حبه كالظليم وناقف الحنظل تدمع عيناه لمرارته شبه نفسه به يوم الفراق لشدة بكائه. عروة بن حزام هو مجنون غفراء.

(٤) وقر فلان يوقر وقاراً: رزن وثبت. البين: الفرقة.

(٥) عاب: عيب. معاطس أنوف. عرام: شدة وشراسة.

(٦) أوامي: عطشى أو شدته.

(٧) المأسد: الأرض الكثيرة الأسود.

أتى أمره السامي فسرت بهمة
وعن رأيه في الصيف أنضيت ناقتي
وكم قذفات تنثني العضم دونها
وحر هجير ياكل الظل تارة
ولا كهف في تلك الجبال وأمّتي
ولو كان عند النجم ذخلي بلغته
وما ثم إلا من تبين حالهم
أذم على الأيام لي بكتابه
ولم يختلجني الشك بعد رسالته
ملك يحب العفو والسلم نفعه
ويسرع للجلى إذا كان لم يجذ
كبار ملوك الأرض تخطب وده
وتعترف الأملاك أن خلافه

على ضوء وعد صادق وإمام
وقطعت سرجي بالسرى ولجامي^(١)
وفبح فياف جرتها وموامي^(٢)
وأخرى شآبيب السماك هوامي^(٣)
عن النفع في صدّ وسوء تعامي
بوحى إمام لا بلخي حسام^(٤)
بما قاله مروان نبت ثمام^(٥)
وجار الإمام الحق غير مضام^(٦)
بمسماته جاءت بصدق حذام^(٧)
على المسلمين اليوم صوب غمام
لطب صداع الخصم غير لظام^(٨)
ويخضع من مرآه كل همام
مصارع أجسام وشقوة هام^(٩)

(١) أنضيت ناقتي: أهزلتها.

(٢) العضم: الوعول. فيح الفيافي: حر الصحاري. موامي. جمع مومة وهي الفلاة.

(٣) الشآبيب من المطر الدفاعات: السماك: نجم وكان العرب ينسبون المطر إلى فعل النجوم. هوامي: تهمي وتمطر.

(٤) ذخلي: ثأري. لحي حسام: إهلاكه.

(٥) الثمام: نبت ضعيف في البادية لا يطول يقال للشيء والذي لا يعسر تناوله هو على طرف الثمام لأن الثمام لا يطول فيشق تناوله.

(٦) أذم على الأيام: أخذ عليها الذمة والعهد.

(٧) حذام: هي بنت العنكب بن أسلم بن يذكر بن عنزة وهي التي قيل فيها.

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

(٨) لظام: هو ضربك الخد بالكف.

(٩) هام: رؤوس.

عساكره عدُّ الحَصَى وهو وحده
يحوطُ ذِمَارَ الدين بالرَّفق والحجَى
وبالعدل والرأي السديد فليسَ في
بصيرٍ بأعقابِ الأمور كأنما
يدورُ مع الإلهام فضلُ أناته
له نظرٌ بضمي الرمايا وإن رمى
به أحتمي من رُبُع قرنٍ وأنتومي
وبالخمسة الأرواح من فائض الندى
وأن يجمع الشملَ الشنيتَ بسرعةٍ
وطولِ حياةٍ في سوابغِ نعمةٍ
وأن يقرنَ المسمى بيُمنٍ مضاعفٍ
ففي البينِ مرَّت مَيعةُ العمر لم أزل
شكا فرسي سيري وملت صحابتي
وكم رحلة في الأرض أحمدت غيبها

بهيبته يُغني عَنَاءَ لَهَامٍ^(١)
وضربٍ لأعناقِ البُغاةِ نُؤَامٍ^(٢)
سياسته خرقٌ وقربُ أثَامٍ^(٣)
تجلَّى له الآتي بغيرِ لثَامٍ
وإن زَنَّهُ فيها النِلاَةُ بَذَامٍ^(٤)
صغارُ النُّهى في زَنِّهِ بِمِلاَمٍ^(٥)
له وَعَداني الضَّيْمُ وهو يحامي
وجزل العطا أرجو بلوغَ مرامي
لنا في مَسرَّاتٍ وحسنِ نظامٍ
توالى على طولِ المَدَى بتمامٍ
ويجعلَ هذا العامَ أسعدَ عامٍ
أشدُّ حزامي أو أحطُّ خِيَامِي^(٦)
وكلُّ بعيرٍ لي أجبُ سَنَامٍ^(٧)
وهذي بحولِ الله مسك خَتَامٍ^(٨)



- (١) لهام: جيش كثير.
(٢) تؤام: جمع تؤام واحدة مع أخرى.
(٣) خرق: بضم فكون جهل وحمق. أثام: لثم.
(٤) الأناة: التأني. زنه: اتهمه. الذام: العيب.
(٥) يصمي الرمايا: تنفذ فيها رميته. الريث: التأخير وهو هنا يشير إشارة لطيفة إلى تأخر عون الإمام لنجدة حضرموت.
(٦) ميعة العمر: أوله.
(٧) أجب سنام: مقطوع السنام.
(٨) غبها: عاقبتها.

القصيدة العشرون من الإماميات

لأمير تعز علي بن عبد الله الوزير

ولما وصلت المُكَلَّا^(١)؛ لم أجد عند صاحبها غناء؛ ولا نتيجة ما؛ فأبحرت إلى عدن؛ واجتمعت بنائب واليها؛ وأخبرني بأن السلطان عمر بن عوض؛ رهين مرض لن ينجو منه؛ وعلى وصول السلطان صالح من بعده إلى «المكلا» سيخدم قضيتك؛ فركبت إلى «تعز»^(٢) وعليها حضرة الأمير الخطير علي بن عبد الله الوزير وهناك ألقى القصيدة الآتية:

تذكرتُ شرقيَّ الحمى منبت الأثلٍ وما أصعبَ الذكرى على ذي الوفا مثلي^(٣)
 مشارفُ ما فيهن للعين منظرٌ يرُوق سوى شيء من السدر والنخل^(٤)
 فما زرعتها ذاك ولا ثمَّ قاطنٌ بها غير شاكٍ قلة الأمن والعدل
 ولكنَّ فيها نشأتي وولادتي وخلقتُ فيها صبيتي وبها أهلي
 وفيها الكعابُ الهيفُ يلعبُن بالنهاي ويقتلُن بالألحاظ والأعين النجل^(٥)

(١) المكلا مدينة ساحلية على بحر العرب كانت عاصمة للدولة القعيطية وهي ميناء طبيعي ممتاز على الطريق إلى باب المندب.

(٢) تعز مدينة تقع على المرتفعات الجنوبية لليمن وتقع على سفح جبل صبر الذي يرتفع عن سطح البحر ٣٠٠٠ متر وتبعد عن العاصمة صنعاء ٢٦٥ كيلومتر وبها أكبر نسبة من عدد سكان اليمن.

(٣) الأثل: شجر أجود عوداً من الطرفاء.

(٤) السدر: شجر النبق.

(٥) الكعاب: الفتيات. حين تبدو أنداؤهن للنهود. جمع كاعب. الهيف: جمع هيفاء. ضامرة =

فما في بلاد الله أرض كمثلها لديّ على تلك المخاوف والأزل^(١)
 ولم أنس في يوم الوداع موافقاً لواعجها في القلب أشوى من الثُّكُلِ^(٢)
 تراجعتني فيها الهوى أمُّ شادنٍ وأجفانها تجري وأشجانها تغلي^(٣)
 وتلوي بليتها مخافة طفلةٍ ترى ما بها من حسرة البين أو طفلي^(٤)
 تصدُّ لإيهام الأطفال تارة وتقبلُ أحياناً بفوارتي وبلي^(٥)
 ويمنعها سوقُ المقال نشيجها سوى كلماتٍ ساقطتها على رِشلي^(٦)
 تقول إلى أين السرى؟ بعدما ترى فليس لنا ذرعٌ على فُرقةِ الشملي^(٧)
 فقلتُ قريباً تنطوي شقّة النوى ويُعقبها من فضله الله بالوَضلِ
 وما كان سيري باختيارٍ وإنما أطلب مالي عند قومي من الذُّخْلِ^(٨)
 أترضين لي أن أحمل الضَّيمَ والأذى وأُسلِسَ للأعداءَ القيادَ على نُبلي؟
 وأدهنَ في الفتوى وأغضِي للقدَى وأنقضَ بعد الشيب في خدمتي غزلي
 وما سرتُ إلا في ضياءِ إشارة وموعِدِ صدقٍ من إمامِ الهدى مُسلي
 أصارُ إلى الحسنَى بحسنِ التفاتِهِ فأفضيتُ من وَعر الزانِ إلى السَّهلِ

= البطن رقيقة الخصر. الإلحاظ: جمع لحظ. النظر بمؤخر العين. الأعين النجل: الواسعة الحسنة.

- (١) الأزل: الضيق والشدة.
 (٢) لواعجها: آلامها. الثكل: الموت والهلاك.
 (٣) الشادن من أولاد الظباء: الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه.
 (٤) تلوي بليتها: تعصر غطاء وجهها حتى يخرج ما فيه من الدموع. يقال: لويت الثوب ألويه لياً عصرتة حتى يخرج ما فيه من الماء.
 (٥) بفوارتي وبلي: بعينين تفوران بالدمع.
 (٦) النشيج: الإجهاش بالبكاء. رسل: تمهل.
 (٧) ذرع: طاقة وقدرة.
 (٨) الذحل: الثأر.

وعَلَّقت في استعجاله واقتضائه
 مُصَاصُ العُلَى كهفُ المَلَا ذَاذَةُ البَلَا
 تشابه يومَ الجمع والرَّوع بيضهم
 جسامَ عطاياهم يُقالُ حلُّومهم
 جباً إذا خَفَّ الوقورُ وليدهم
 حَشَوُا في وجوه السابقين وبرَّزوا
 وساسوا قلوبَ الخلق فاندمجت على
 بفضل الحِجى دانَ الرجالُ لأمرهم
 فللعنفِ منهم جانبٌ يُقلِّقُ العِدَا
 يَفِيضُ الندى والحلمُ والعفو إن رَضُوا
 جَنَاحُ أمير المؤمنين وكفُّه
 عمَدت لعبد الله ثم لصنوه
 أويثُ إلى الركن الركين فلم أخف
 إلى جبلِ المجدِ المنيعِ إلى العُلَى
 لدى القولِ يَهْجِي الدمعُ من عَذْبٍ وعظهم
 متى نزلوا أرضاً يَثُثُ نباتها
 ولن يستطيع العَلْمُ ينفي شعورها

رَجَائِي على آل الوزير أولي الفضل
 مراجعُ مشهورون في القول والفعل^(١)
 وأقوالهم في مقطع الحق والصقل
 وآراؤهم للملك أمضى من النَّضل
 بفضل وقارِ الحِلْمِ في هيبة الكهل
 على الناس بالأخلاقِ والشرفِ الجزلِ
 محبتهم لما أراقوا دمَّ البُخل
 وبالسُّمرِ أيضاً والمناصِلِ والنَّيلِ^(٢)
 وآخر للأحباب باللين والبذلِ
 وإن غضبوا لله يا كثرة القتلِ
 وساعده والفرعُ من ذلك الأصلِ
 عليّ بن عبد الله ذي السوِّدِّ العَبَلِ^(٣)
 على إبلي أن تستبيحَ بَنُو ذُهَلِ^(٤)
 إلى مضرِبِ الأمثالِ بالمنطقِ الفصلِ
 وفي الصَّوْلِ يجري الموتُ في مدرجِ النَّمْلِ
 وتمشي مع الشاءِ السَّراجِينُ في ظلِّ^(٥)
 وقد جاء أن الله أوحى إلى النحلِ

(١) المصاص: كالمصاص. خالص كل شيء: ذادة البلا: دافعه ومانعه. مراجيح: حلماء.

(٢) السمر: الرماح. المناصل: السيوف. النيل: السهام.

(٣) العبل: الضخم العظيم.

(٤) ذهل. هو ابن شيبان بن ثعلبة بن عكابة من ربيعة يشير إلى قول الشاعر: لو كنت من مازن
 لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا.

(٥) يث نباتها: يكثر ويلتف مثلثة الهمزة. الشاء: جمع شاة. السراجين: الذئاب جمع سرحان.

إليكم طويت البرّ والبحرَ أملاً
 وشأنِي لا يخفى وشهرةٌ قصّتي
 وعندي موثيقُ الإمامِ بنصرتي
 ولم تتخالجني الظنونُ وإنما
 ومن سير من كمْ تلقّيتُ مخنةً
 وفي إثر عودي عنه من دونِ نجدٍ
 وكم فتلت لي في الغواربِ والذرى
 ولا ذنبَ لي إلا اعتصامي بحبلِهِ
 وما زلتُ في حربٍ على نصرةِ الهدى
 وقد كثرُوني واعتدوا غير أنهم
 عيبُ بأمري فالتجأتُ لركنكم
 وما القصدُ إلا نصرةُ الحقِّ إنه
 فقولوا لعا فالدهرُ لَجَّ عثارةُ
 وأكرمْتُ شعري عن سواكم وصانه
 ولن يأتكم مُدلي بقُربى وحرمةُ

نجاحٌ مُهمٌّ لم أزلُ منه في مَظل
 كفتني فلا أحتاجُ تطويلَ ما أملي
 وميعادهُ الجِدُّ البعيدُ عن الهزْلِ
 أراهُ حماةُ الله يمشي على مَهْل
 على وده تُفْضي إلى زلّةِ النَّعلِ^(١)
 تعبتُ وزادت جرأةُ الظلمِ والجهلِ
 عُداتي فلم أحفلُ بذيكم الفتلِ^(٢)
 لديهم وأني بالعلی دائماً شُغلي
 وأعداؤه أهلُ الأضاليلِ والدَّجْلِ
 يُقرُّونَ شأؤوا أم أبوا لي بالفضلِ
 وألقيتُ بعد الجُهدِ في سُوحكم رَحلي^(٣)
 بأرضي في قيد ثقيل وفي غلِّ
 به وغداً مثلَ المكبَّلِ في الوَحْلِ^(٤)
 وفائي وإحجامي بنفسي عن الدُّلِ
 كمثلِي من بعدي ولا جاء من قبلي^(٥)

(١) زلة النعل: زلة القدم.

(٢) يقال: ما زال يفتل من فلان في الذروة والغارب أي يدور من وراء خديعته.

(٣) السوح: جمع ساحة وهي الناحية أو الفضاء بين دور الحي.

(٤) لعا: لا عثرت؛ دعاء له. عثارة: شره.

(٥) لن يأتكم: كتب الشاعر بالهامش: قال ابن هشام وزعم بعضهم أن لن قد تجزم كقول كثير: «فلن يحل للعينين بعدك منظر» وقول الأعرابي للحسين بن علي عليه السلام: «لن يخب الآن من رجائك من حرك من دون بابك الحلقة» اهـ. بمعناه وذكر أيضاً في آخر كتابه: أن لن تعطى حكم لم في الجزم وذلك كما في بيت الأعرابي المذكور.

وغالبُ ظنِّي بل يقيني أني بمأتاي هذا خفَّ ظهري من الثقلِ
وحاشا ولي عهد طريف وتالد أعود بلا خيل تجول ولا رجل



القصيدة الحادية والعشرون من الإماميات

إلى الأمير عبد الله بن أحمد الوزير

وبإثر شهرين قضيتها في «تعز»؛ على أسعد حال؛ نتمثل كأننا في حضرة
سيف الدولة بن حمدان؛ أو الصاحب بن عباد؛ أو المعتمد؛ لِمَا تمتلئ به
المجالس من الأدب الغض؛ والمحاضرات الشهيّة؛ توجهت إلى «الحديدة»^(١)
حسب الرحلة المنظومة؛ وأقمت بها أربعة أشهر؛ ثم أبحرت إلى الحجاز؛
وتشرفت بالزيارة وأداء النسكين؛ وعدت إلى الحديدة؛ ولم تزد إقامتي بها على
نصف شهر؛ ثم ركبت إلى عدن؛ ومنها إلى المكلا؛ ومنها إلى حضرموت. وفي
أثناء إقامتي بالحديدة؛ تعاظمني ما أشار به عَلِيّ مولانا أمير المؤمنين؛ من
الانتقال بالعائلة إلى اليمن؛ مع انتظاري النجدة بالوطن.

وتقدمت بالأبيات التالية؛ إلى حضرة الرجل الكبير؛ والشهم الأمير؛
عبد الله بن أحمد الوزير:

أرقتُ وضاقَ بي المأوى الفسيحُ على أني فصيحٌ لا أصبحُ^(٢)
وحاولت التعلُّلَ بالأمانِي ولكنِّي منى أَدعو تُشِيحُ^(٣)
تخالجُني الظنون ولست أدري بأيِّ الخصلتين تَهْبُ ريحُ

(١) مدينة يمنية تقع على ساحل البحر الأحمر وتبعد عن العاصمة صنعاء ٢٢٦ كيلومتراً وتعدّ من أجمل المدن اليمنية وهي ميناء اليمن الرئيسي.

(٢) على أني فصيح: أي من أني فصيح لا فصيح بالشكوى.

(٣) تشيح: تعرض.

يَحُزُّ اليأسُ في صدري ويبدو
تجاذبني الوسوسُ وهي شرٌّ
وَوُدِّي للإمام الحق صافٍ
وما عرف التصنُّعَ قطُّ طبعي
وهبُ أني بلا وعدٍ وثيقٍ
أبرَّضني بالهزيمة لي ويُغْضِي
أليس عليه نصرٌ بني أبيه
ألسْتُ مجاهداً من ربع قرن
أليس رعايتي حقُّ قضتُ لي
أشْرُ يابن الوزير برأيِ صدقٍ
فإنني بالتردد ضيقتُ ذرعاً
فقلِّب لي الأمورَ بعينِ نصيحٍ
وبيِّن لي الصوابَ فإنَّ فكري
فإما أن أقرَّ رخيِّ بالِ
وإما أن أفرَّ وفي مسيري
وفيت لكم فوفوا لي وإلا
وهل ضاقت بمثلي الأرضُ كلًّا

لعميني تارة برقٌ يُلبِخُ^(١)
فلا أملٌ ولا يأسٌ مريخُ
ورأيي فيه يكشفه المديحُ
ولا مدقُّ الهوى خلقي السجيجُ^(٢)
هبطتُ عليه والفلواتُ فيحُ^(٣)
وشأني وهو لي عمُّ طريحُ؟^(٤)
إذا ما شاء باغٍ يستبِخُ؟
ولي من هاشمٍ نسبٌ صحيحُ؟
بها فتواه والنصُّ الصريحُ؟
فأريك لي هو الرأيُّ الرجيبُ
وبيتٌ وزندٌ إيراني شحيحُ^(٥)
فما إلَّاك لي خلٌّ نصيحُ
لكثرة ما تعاوَّزهُ طليبخُ^(٦)
وحظِّي من ولايتكم ربيحُ
بحول الله لي عملٌ نجيحُ
فلي في الأرض متسعٌ فسيحُ
ولكن ذاك بي وبكم قبيحُ

(١) يلبخ: يضيء.

(٢) مدق الهوى: خلطه ولم يخلصه والسجيج: اللبن السهل.

(٣) فيح: واسعة.

(٤) الهزيمة: الظلم. شأني طريح: شأني مطروح.

(٥) ذرعاً: طاقة. الزند: ما يقدح به. إيراني: قدحي. يقال: قدح بالزند إذا رام الإبراء به.

(٦) طليخ: ذو إعياء وتعب.

سَأْفِرُغُ فِي الْجِهَادِ الْجُهْدَ حَتَّى أَوْفَقَ أَوْ يَوَارِيَنِي الضَّرِيحُ^(١)
وَبَشَّرَنِي بِحَسَنِ الْحِظِّ فَأَلُّ جَرَى فِي الصَّبْحِ طَائِرُهُ السَّنِيحُ^(٢)



(١) الضريح: القبر.

(٢) السنيح: وهو ما أتاك عن يمينك وكانوا يتفألون به.

القصيدة الثانية والعشرون

من الإماميات

أَجْبَالٌ شَامَخَاتٌ قَدْ رَسَيْنُ أم تنط الأرض من مجد الحسين^(١)
شرفٌ ضخمٌ ومجدٌ باذخُ من عليٍّ وإمامِ القبلتين^(٢)
زانه علمٌ وحلمٌ وتقى واعتصامٌ ثابتٌ بالثقلين
منصبٌ من تحته الجوزا وما فوقها زاحمه بالمنكبين
نوره أبدعُ من شمس الضحى ليس في شكاته نقطةٌ غينُ^(٣)
نبعةٌ من دَوْحةِ الوحي زكّت وأنت طويى لها قرّةٌ عينُ^(٤)
عُرّةٌ واضحةٌ من دونها رَوْنَقُ السيفِ إذا يجلوه قينُ^(٥)
لو رآته الشهبُ في موكبِهِ وعليه هيبة العلم بَكينُ
تشهد الشُعري بنامي حسنه ولسامي قدره يعنو البطينُ^(٦)
ثمّر حلوٌ وأصلٌ كلُّهُ طيبٌ يمنعُ من كيفٍ وأينُ
ما استوى عشرين حتى امتلأت

(١) تنط الأرض: تصوت من ثقل العبء.

(٢) باذخ: عال.

(٣) غين: غيم وسواد؛ وفي البيت إبداع فإن الغين أخت العين وهي نقطة.

(٤) نبعة: شجرة تنبت في قلال الجبال يصنع منها القسي والسهام.

(٥) القين: الحداد.

(٦) البطين: من الكواكب.

كَمَلْت فِيهِ وَمَا اشْتَدَّ الْقَوَى
 مَثَلُ الْهَادِينَ فِي سِيرَتِهِ
 كَذَّبْتَ أَيَّامَهُ الْغُرَاءَ مَنْ
 مَظْهَرُ الرَّحْمَةِ بِالْأُمَّةِ فِي
 أَنْجَبْتَهُ السَّادَةَ الثُّرَى الْأَلَى
 وَبَنُوهُمْ وَالْأَبُّ الْأَدْنَى الَّذِي
 طَابَتْ أَيَّامُهُ وَاسْتَخَذَتْ لَهُ
 فَمُنَاوِيهِ وَبَاغِي كَيْدِهِ
 لَا تَنْوِيهِ الْوَيْدَا إِلَّا إِذَا
 وَلْنَا الْبَشْرَى بِتَقْوَى نَجْلِهِ
 لَمْ أَزَلْ أَشْتَاقَهُ مُذْ نَشَرْتِ
 شَتَّقُوا سَمْعِي بِحَالِي مَدْحِهِ
 وَبِحَوْلِ اللَّهِ يَأْتِي وَصَلُّهُ
 نَسَأَلُ اللَّهَ اجْتِمَاعاً رَائِقاً
 يَا نَقِيَّ الْجَيْبِ يَا حَلْوَا الثَّنَا
 خَذْ عَلَيَّ شَبَهُ ارْتِجَالِ غَادَةً

شَيْمٌ غَيْرَ الْعَلَى الْمُحَضَّرِ أَبِينُ
 فَعَدَا مِنْهُ صَغِيرًا ذُورُعَيْنُ^(١)
 قَالَ لِلْإِنصَافِ أَيَّامٌ مَضَيْنُ
 سَائِرِ الْأَحْوَالِ جَمُّ الْعَفْوَلَيْنُ
 دَوَّخُوا الْكُفْرَ بِبَذْرِ وَحْنَيْنُ
 قَدْ حَوَى مِيرَاتِهِم بِالْجَهْتَيْنُ
 وَاللِّيَالِي بِالَّذِي يَهْوَى أَتَيْنُ
 يَدُهُ أضعفُ مِنْ أُمِ حُبَيْنُ^(٢)
 حَانَ مِنْهَا بِقِضَاءِ اللَّهِ حَيْنُ^(٣)
 صَادِقِ الْهَمَّةِ مَبْسُوطِ الْيَدَيْنُ
 أَلْسُنُ الرَّاوِيْنَ عَنْهُ كُلُّ زَيْنُ
 فَتَوَلَّتْنِي لَهُ لَوْعَةٌ بَيْنُ^(٤)
 عَنْ قَرِيبٍ فَيُجَلِّي كُلُّ زَيْنُ^(٥)
 بِجَمْعِ الْإِقْبَالِ فِيهِ الْحَسَنَيْنُ
 يَا مِثَالَ الْعَدْلِ يَا بَنَ الثَّيْرَيْنُ
 يَسْجُدُ النَّامِي لَهَا وَابْنَ عُثَيْنُ^(٦)

(١) ذورعين: ملك حمير.

(٢) أم حيين: أنثى الحرباء يلعب بها الصبيان.

(٣) حين: هلاك.

(٤) بين: فراقي.

(٥) الربن: غلب على القلب من آثار القطيعة.

(٦) النامي: هو أبو العباس النامي من شعراء سيف الدولة ابن حمدان. ابن عنين: من شعراء

دمشق في عصر صلاح الدين الأيوبي وقد نفاه منها لولعه بالهجاء.

ومتى جئتم كما شاء الهوى يحصلُ القصدُ ويكفي كلُّ شَيْنٍ^(١)
ولنا وعدٌ على دولتكم وجميلُ الوعدِ عند الحرِّ دَيْنُ
وصلاة الله تغشى المصطفى وعليَّ المرتضى والحَسَيْنُ
وعلى الزهراء والكبرى ومن ولدا ما السفنُ في البحر جَرَيْنُ

أبيات مداعبة لعامل تعز^(٢)

في رثاء كلب

وبينما نحن في مدينة «تعز» المحروسة؛ مات كلب؛ فرآه العامل ملقى في الطريق؛ إثرَ سماء؛^(٣) فاشتدَّ غيظاً على ناظر البلدية؛ المدعو بالقاضي؛ «حسب اصطلاحهم في إطلاق هذا اللفظ على أكثر المحتشمين من غير الأشراف» وهم بعزله عن وظيفته؛ إذ قَصَّر بتركه على مدرجة المارة؛ وتشقَّعنا فيه؛ فقبلت الشفاعة؛ وقلنا على سبيل المداعبة:

أُمورٌ جرَّت من بعضها يخشع القلبُ غداةً قضَى نجباً بحكم الهوى الكلبُ
ضعيفٌ تولاه الغرامُ بمثله فأشواه من فرط الجفا بالضنا الحُبُّ^(٤)
ومات ذليلاً في الطريق وهكذا يموت الشجِيُّ القلبِ والواله الصَّبُّ
وكم من قتيل نحوَه في سبيله ذوى تحت تأثير الجوى غصنه الرطبُ
مساكينُ أهلُ العشق ماذا تجرَّعوا من العشقِ؟ لكن مره عندهم عذبُ
هيناً له الرُّحمى التي شهدت بها اللوائح وانهلَّت على إثرها السُّحبُ
وما أُخِرَ التجهيزُ إلا لحكمةٍ فليس لقاضيكم ولا غيره ذنبُ

(١) شين: قبيح.

(٢) العامل هو الذي يوليه إمام اليمن إمارة بلدة من بلادها.

(٣) إثر سماء: أي بعد نزول المطر.

(٤) أشواه: أحرقه وأهلكه.

ولا عيب إلا منع فضل عمامة
 رأوا أنه أمرٌ يُهمُّ رفاقه
 فرائوا بأمر الدفن حتى تجمعت
 فإن العرى في جنسه ما تقصمت
 لدى الحيوان اليوم والعجم الوفا
 سعى للعلى الساعي وما عند قومنا
 خلانقهم سُفلى وشيمتهم ورا
 ومنا عزاء في الفقيد مضاعف
 يغطى بها من قبل أن يردم التراب
 ففي فقدته ما بينهم يعظم الخطب
 عشائره القصوى وغص بها الرخب^(١)
 وما زال يُزعى فيهم الجار والصحب^(٢)
 على حين قد ضحّت بأخلاقها العرّب
 من الشغل إلا اللهُو والأكل والشرب
 وطالعهم شومٌ ومقبلهم صعب
 لمن مسه بالرزء في موته كرب



(١) راثوا: فجاؤوا. الرحب: الكان الواسع.

(٢) في هذا البيت والذي يليه تعريض بالإمام يحيى بأن العرى بين الكلاب لا زالت قوية وأنها ترعى جيرانها وأصحابها وفي البيت الثاني يقول بأن الوفاء موجود عند الحيوان وعند العجم ويقصد بهم الإنجليز بينما لا يوجد عند العرب التي ضعفت أخلاقها ويستمر التعريض في البيت الذي يليه ولعلها جرأة من ابن عبيد الله أن يقول هذا الكلام أمام عامل تعز الذي لا شك أنه سيبلغه إلى الإمام ولكن يبدو أن الإمام ابن عبيد الله قد فاض به الكيل من تأخر الإمام يحيى عن تقديم المساعدة العسكرية لإنقاذ حضرموت بعدما قدمه من الوعود وما سار بينهم من القصائد.

القصيدة الثالثة والعشرون من الإماميات

الى سيف الإسلام علي ابن الإمام يحيى

ولما كنا بالحديدة؛ أهداني الشاعر الأديب؛ سيف الإسلام علي ابن
الإمام؛ بندقية عجيبة؛ ولكن من غير مؤنة؛ فكتبت إليه أتمس لها زاداً؛ وقلت:

يا ذا المحاسن والمزايا الشائعة والأزجحية والهبات الذائعة
والظرف والآداب والشعر الذي تأتي له عضم المعاني طائعة
لا تنبري مسترسلاً في نظمه إلا وآتاك الكلام بدائعة
يا من تزوع له القوافي وهو في زمن به عزز الفوائد ضائعة
سمحت يداك بغادة فتانة في الحسن بالغة النهاية رائعة
فتأكة الألفاظ كم من بهجة تضحى لنغمتها الشجية مائعة
عجمية الأنساب إلا أنها عربية الأحساب يوم الهائعة^(١)
فتشت عن زاد يليق بقدرها يابن الإمام فما لقينا بائعة
فابعث بما يكفي لحفظ قوامها عجلأ فقد بقيت لدينا جائعة



(١) أي أن البندقية أوروبية الصنع لكنها لكونها بلا ذخيرة فهي كأنها من العرب الذين لا يفيدون عند الحرب وأرى في هذا البيت تعريضاً بالإمام يحيى الذي لم ينهض لنصرة حضرموت بالرجال والسلاح وإنما اكتفى بالكلام فكأنما هو أعطى بنقدية ليس منها فائدة لأنها بلا ذخيرة.

القصيدة الرابعة والعشرون من الإماميات

الرد على ولي عهد اليمن الإمام أحمد حميد الدين

ويأثر وفاة المغفور له؛ البدر ابن أمير المؤمنين؛ وردني كتاب من أخيه ولي عهد اليمن؛ شهاب الدين أحمد؛ ابن أمير المؤمنين؛ يعزيني ويسليني؛ ويعدني وعداً جازماً؛ بأنه سيكون لي كما كان أخوه عليه السلام؛ وأنه لم يغب منه إلا سواده؛ فجهزت له القصيدة الآتية في سنة ١٣٥١هـ.

بخفي الصبابة والسمات تبوحُ جسدٌ يذوبُ ومحجر مقروحٌ^(١)
كيف التكتّم بالهوى؟ ودليله في كل جانحة له مشروحُ
صُعُفَتْ قواه عن الجوى ولدى النوى غلبَ الصلابةً دمه المسفوحُ
ذهبَ التجلّد باطلاً من زفرة أبداً تجيءُ بعقله وتروحُ
يا راحلين ترقفوا بمتبم كادت بهيكله تطيرُ الروحُ
لا يطمئن بسلوّة لا سيّما بالليل إن سَمِعَ الحمامَ ينوحُ
قلبُ الفؤادِ بألفٍ وإدٍ ترتمي أفكاره فيضيقُ عنها اللوحُ^(٢)
بغدٌ عن الماوى وشغلٌ بالعلّى غبقانُ من سَجَلِيهما مصبوحُ^(٣)

(١) المحجر: العين.

(٢) اللوح: يريد اللوح وهو الصحيفة.

(٣) غبقان: الاغتباق: الشرب بالعشي، والصبوح الشرب أول النهار. السجل: الدلو العظيم.

وحوادثٌ جُلِّيَ تنوءٌ بها القُوى
حاني الرؤوسِ وقائد الشُّوسِ الذي
كم وقعةً في نصرة الدين انطَفَتْ
لم تنكشِفْ غمراتها عن فوزه
قطبُ الحروبِ ومنقذُ المحروبِ من
بهرت محاسنُه وشاع ثناؤه
أخذ المكارمَ عن أبيه وجدّه
نسبٌ تتابعَ كابرًا عن كابر
يابن الخلائقِ يا ولي العهدِ يا
لي منك وعدٌ جازمٌ يومَ اللقاء
أكذت ميعاد الخليفة فاشتَفَى
وأخوك بدرُ الدين قرَّرَ نجدتي
وأقرَّ عيني من كتابك موعداً
لكنَّ صدري قد يضيق برِيتكم
عارٌ عليكم بعد ما استنصرتكم

لولا الشهابُ وبابه المفتوحُ
كَبَشُ الكماةِ ببأسه منطوحُ^(١)
منها بنقِعِ بَناتِ أعوجِ يُوحُ^(٢)
إلا وكلُّ مدججٍ مذبوحُ
بين النيوبِ الأوحُدِ الممدوحُ^(٣)
وزكَّتْ شمائلُه وطاب البُوحُ^(٤)
وبوجهه سرُّ الوصيِّ بلوحُ
شرفُ النجومِ بنوره مفضوحُ
مَنْ في الظلامِ به تُضيءُ الشُّوحُ
بالروضِ ينصعُ طيبُه ويفوحُ
من لطفكم بي قلبي المجروحُ
سَبَطُ البنانِ ذراعُه المشبوحُ^(٥)
يفتر منه وفاؤك المسجوحُ^(٦)
والدهرُ بالشرعِ الأغرِّ جموحُ
أن تتركوه وشأنه مرجوحُ

(١) الشوس: جمع أشوس وهو الذي ينظر يمؤخر عينه تكبراً أو تغيظاً.

(٢) النقع: الغبار. نبات أعوج: جياذ الخيل: اليوح من أسماء الشمس أي انطفت الشمس منها بغبار الحرب الذي تثيره الخيل لتكائفه وسواده.

(٣) المحروب: المسلوب ماله.

(٤) طاب البوح: كرم الأصل.

(٥) سبط البنان: سخي كريم. ذراعه المشبوح: يقال: رجل مشبوح الذراعين عريضهما أو طويلهما. كناية عن القوة.

(٦) المسجوح: الذي طبعت عليه.

قوموا لهدي نبيكم فحريره
 أفتسكتون على اهتضام حقوقه
 فيم التمهل بعد ما بلغ الرُبي
 والجور فاض بصولة الدينار في
 وبجدكم قد عمّ في أنحائه
 وافاه لاعن ذمة مُستنجد
 فلجندكم فيها مآثر جمّة
 وإذا أردتم فالطريق مُعبّد
 يكفي له يابن الأئمة مقنّب
 أرسلت هذا والفواد به صدّي
 ويكاد يقضي اليأس لولا عارض
 وسمعت أخباراً بها انقلب العدا
 ألقوا من الذل البرى وقد انطوت

متهَجِّمٌ وزمامه مطروح^(١)
 وله بكم غرَفٌ سَمَتْ وُصْرُوحٌ؟^(٢)
 سيلُ الطغاةِ وفعلها المقبوح
 وادي المهاجر والهُدى مضروح^(٣)
 غِبُّ الضلالة والفسادِ صلوح^(٤)
 فطوى البلاد له أغرُ طُمُوح^(٥)
 ولهم وقائع دُونت وفنُوح
 والأمر سهل والزمانُ سنُوح
 تطوي بقائده القلّة سُبُوح^(٦)
 وسحابة الجورِ الفظيع دَلُوح^(٧)
 يرفض منه سماحك الممنوح^(٨)
 ولهم إلى بعض الصواب جنُوح
 منهم على الداء الدويّ كُشُوح^(٩)

(١) حريمه متهجم: حرمانه معتدى عليها. زمامه: مقاده.

(٢) صروح: قصور عالية.

(٣) مضروح: مقبور.

(٤) غب: بعد. صلوح: مصدر صلح ضد فسد.

(٥) مستنجد: طالب نجدة.

(٦) مقنّب: جماعة الخيل والفرسان. سبوح: فرس سبوح في جريها كالسايح في سياحته.

(٧) صدّي: عطش شديد. دلوح: مثقلة بالماء؛ يريد شدة الفظائع.

(٨) يرفض منه: ينهل منه.

(٩) البرى: جمع برة وهي الحلقة في أنف البعير لتذليله. كشوح: جمع كشح وهو ما بين

الخاصرة إلى الضلع. أي أن الأعداء خففوا شدتهم معهم وإن كانت جوانحهم تنطوي على

الحقد.

أما أنا فبمبدئي متمسك من ربع قرنٍ للإمام نصوحُ
صلبُ الحصاة وإن نباني موطنُ لم تستلني غربةً ونزوحُ^(١)
ولكم لقيت من الأذى في ودكم وبإثر عودي زاد منه طفوحُ^(٢)
لكنني أمضي لتأييد الهدى قُدماً وعن كيد الشعاة صفوحُ
وسلوا القصائد والخطابة إنني بولائكم في العالمين صدوحُ^(٣)
فعمسى يعودُ جوابكم بفواتحٍ منها يخفُّ فوادي المفدوحُ^(٤)



(١) صلب الحصاة: قوي لا يلين. لم تستلني: لم تحملني الغربة على اللين والموادعة.
(٢) طفوح: امتلأت وارتفاع فاض.
(٣) صدوح: كثير الصبح ورفع الصوت.
(٤) المفدوح: الممثل.

القصيدة الخامسة والعشرون من الإماميات

إلى وليّ العهد

سح الزمانُ برِقَّةٍ وتمعُظفٍ من بعد طول تَعَجُّمٍ وتغظرفٍ^(١)
من كان يندُبُ حظه أو يشتكي من دهره فزماننا برَّ حَفِي^(٢)
ذلت معاطسُه ولأن قياده لَمَّا ورَدْنَا حضرة الملك الوَفِي
ملكٌ أذمَّ على الزمان بجوده وبنوده والمرهفاتِ الرُعَفِ^(٣)
لو أنه ممن تقدّم عصره لمحا من القاموسِ ذكرَ الأشرفِ
بمحاسنِ طُبِعَت عليها نفسه لكريم عنصره بغير تَكْلِيفِ
شَتَانٌ بينهما مَدَى أَكْرُومَةٍ إذ لا تُجَارِي الكردُ سادةَ خِنْدِفِ^(٤)
أين الحضيضُ على دَمائَةِ أرضِهِ من ذرّوة الرّوضِ الأريضِ المشرفِ؟^(٥)
شرفٌ نَقُلُ به عطايا حاتم وثباتٌ بسطامٍ وحلمُ الأحنفِ^(٦)

(١) تعجم: تنكر.

(٢) حفي: مبالغ في الإكرام.

(٣) أذم على الزمان: أخذ عليه الذمة والمهد. بنوده: أعلامه وراياته. المرهفات: السيوف الرقيقة الحواشي. الرعف: التي أصابها الرعاف. أي هي تقطر دماً.

(٤) شتان: بعد. أكرومة: غاية مكرومة. سادة خندف: ولد إلياس بن مضر بن نزار ينسبون إلى أمهم خندف وهي ليلي بنت حلوان على ما قيل. ويريد بالکرد السلطان الأشرف من المماليك في مصر والشام.

(٥) الدماتة: في الأصل سهولة الخلق والمراد الجودة. الروض الأريض: الزكي الحسن المنظر.

(٦) حاتم هو الطائي الذي يضرب به المثل في الجود. بسطام: هو ابن قيس بن مسعود من شجعان العرب. الأحنف: هو ابن قيس التميمي يضرب به المثل في الحلم.

مَخَّرَ الهَضَابَ مِنَ الرَّقِيقِ بِطِيبَةٍ
فَعَنَّوْا وَتَمَّ سَرُورُهُمْ فِي ظِلِّهِ
فِي رَيْفٍ رَأْفَتُهُ اسْتَلَانُوا عَيْشَهُمْ
وَبِفَضْلِهِ قَدْ صَانَهُمْ عَمَّا جَرَى
وَحَمَى الْبِلَادَ بِأَمْنِهِ وَبِئْمْنِهِ
فِتَنَ كَمَوْجِ الْبَحْرِ طَامٍ شَرُّهَا
مِنْ كُلِّ طَائِرَةٍ يَهْوِلُ أَرِيذَهَا
تَرْمِي قِذَائِفَهَا وَتَرْسِلُ نَارَهَا
فَلَكُمْ بَرُوجٌ كَالجِبَالِ تَنَاطَحَتْ
مَذْضِعُوا إِنجِيلَهُمْ ضَاعُوا كَمَا
وَالنَّصْرُ لِلْإِنصَافِ أَدْنَى شِقَّةً
لِلَّهِ دُرُّكَ يَا وَلِيَّ الْعَهْدِ يَا

لِلْمُسْلِمِينَ وَهَمَّةً لَمْ تَنْزِفِ^(١)
وَنَسُوا أَحَادِيثَ الزَّمَانِ الْمَجْحِفِ
وَالنَّاسُ فِي غَمْرَاتٍ أَزَلٍ مُثْلِفِ^(٢)
فِي عَهْدِ ذِي شُفْرِ وَدَوْلَةِ يَوْسُفِ^(٣)
شَرَّ الْبَوَائِقِ وَالرِّيَاحِ الْعُصْفِ^(٤)
وَقَفَّتْ بِهِ الْقَارَاتُ أَشَامَ مَوْقِفِ
تَهْوِي كَمَا يَهْوِي الْعُقَابُ الْمَنْكِفِي^(٥)
فَوْقَ الْعِمَائِرِ كَالرُّعُودِ الْقُصْفِ^(٦)
بِالشُّهْبِ أَضْحَتْ مِثْلَ قَاعِ صَفْصَفِ^(٧)
حُفِظَتْ مَدَائِنُكُمْ بِحَفِظِ الْمَصْحَفِ
وَالْوَيْلُ فِي الْعَقْبِيِّ لِمَنْ لَمْ يَنْصِفِ^(٨)
جَمَّ الْمَكَارِمِ يَا رَجَاءَ الْمَعْتَفِي^(٩)

(١) مخر الهضاب: أرسل فيها الماء لتجود. الرقيق: الدرهم يريد أكثر المال في البلاد. لم تنزف: لم تتغير ولم تقطع.

(٢) أزل: شدة وضيق.

(٣) ذي شفر: هو ابن أبي سرح الخزاعي والد تاجه التي حفر السيل عن قبرها باليمن فوجد فيه حلي ومال كثير ولوح مرقوم فيه أنها بعثت مائرها إلى يوسف الصديق فأبطأ عليها ولم ينفعها مالها ثم ماتت وتركت وصية وعظة للناس بعدها. وقد نقل قصتها صاحب القاموس عن ابن هشام في مادة الشفر.

(٤) البوائق: الدواهي. الرياح العصف: الشديدة الهبوب.

(٥) أريزها: شدة حركتها.

(٦) رعد قاصف: صيبت.

(٧) قاع صفصف: أرض مستوية.

(٨) أدنى شقة: أقرب مسافة.

(٩) المعتفي: طالب المعروف.

معناك ضخمٌ والقريحةُ ماؤها نَزُرُ وألفاظُ المعاني لا تفي
ولقد قرأت تراجمَ العظما فلمُ أسمع بمثل كمالك المتكشِفِ
فعلَى جبين الدهر مجدٌ خالدٌ لكم تُسَطِّره عراضُ الأحرفِ
فوقَ الكلامِ علاؤكم وثناؤكم لكنْ بهذا قد أردتُ تشرُّفي
فلنستزِدْ من ربِّنا في عمركُم بالشكر طُولاً إنه اللُّطفُ الحُفي
ولنرفع الأيدي وندعو بالبقاء أيضاً وبالإقبال للمستخلفِ
وأنعمَ بعرش الملك عيناً مثلما نعمَ الأنامُ بجودك المتردِّفِ

* * *



المباراة الشعرية

مباراة شعرية مع شاعر يماني (١) وينتصر فيها الإمام ابن عبيد الله

وفي أواخر سنة ١٣٥١هـ ورد حضرموت رجل متشاعر من اليمن أخذ يتفتَّح ويتحدى ويتشبع بما لم يعظ؛ حتى هابه الناس، وفي الليلة الأولى من المحرم سنة ١٣٥٢هـ اجتمعنا به في منزل السيد عبد الرحمن ابن شيخ الكاف؛ في جماعة من الطلبة وأهل الأدب؛ فاقترحوا علينا المباراة؛ في موضوع عينوه؛ كما عينوا البحر والقافية أيضاً؛ فانتبذت عنهم قليلاً في المجلس؛ ولم تمض ساعة وربع؛ حتى جهزت القصيدة الآتية:

(١) هو الشاعر القاضي أحمد بن محمد الحضرائي؛ كان حافظاً لأشعار العرب؛ ورحل إلى مكة المكرمة عام ١٣٣٣هـ واتصل بشريف مكة الحسين وبقي عنده عدة سنوات؛ وأعلن الشريف خلالها الحرب على الدولة العثمانية عام ١٣٣٤هـ ثم لازم الشريف زيد بن الحسين ثم عاد إلى اليمن سنة ١٣٣٧هـ وكان بصحبة السيد محمد بن علي الشامي عندما دخل البيضاء لفك الحصار على الأمير عبد الله بن أحمد الزبير الذي دخل البيضاء عام ١٣٤٢هـ وانتقل بعدها إلى العواذل وحصل أثناء إقامته بها أن أرسلت بريطانيا طائرة محلقة على ارتفاع منخفض لإخافة الأهالي فتقدم لها الحضرائي وأطلق رصاصة من بندقيته مصيباً بها رأس قائدها حتى سقطت الطائرة وتحطمت وحمل خوذة الطيار وسلمها للإمام يحيى كشاهد على صدق دعواه؛ وبقي في صنعاء حتى قيام الثورة فلم يطب له المقام باليمن بعدها فانتقل إلى المدينة المنورة ثم سكن الطائف وأقام حتى وفاته سنة ١٤٠٧هـ (نقلًا عن هداية الأخيار للسيد حسين بن محمد الهدار جزء ٢).

القصيدة الأولى

للإمام ابن عبيد الله في المباراة

حرامٌ على عينِ المحبِّ جُمودُها وأنْ يتفَشَّاهَا لِمَاماً رُقُودُها^(١)
 ومِنْ أَيْنَ لِلصَّبِّ المَنَامُ وفي الحَشَى جَوَى نَارِهِ بِالبَيْنِ ذَاكِ وَقُودُها؟^(٢)
 هو الحَبُّ فيه الشُّوسُ ذَلَّتْ أَمَا تَرَى مَهَا الرَّمْلُ فِيهِ بِالبُرَيْنِ تَقُودُها^(٣)
 وَإِنِّي لَصُلْبٌ يَحْمِلُ الهَمَّ خَاطِرِي إِذَا لَمْ يَرُغْنِي مِنْ سُلَيْمِي صُدُودُها
 فَكَيْفَ وَقَدْ شَطَّتْ وَأَمَسَتْ وَبَيْنَنَا دِيَامِيمٌ تُنْضِي اليَعْمَلَاتِ نَجُودُها^(٤)
 وَمَا أَنْسَمِ الأَشْيَاءَ لَمْ أَنْسَ بُرْمَةً مِنَ الدَّهْرِ فِي صِنْعَاءِ تُشْجِي عَهُودُها
 بِلَادٌ تَفُوقُ الرَّاحَ رِقَّةً أَهْلِهَا وَتَسْبِي الَّذِي لَمْ يَعْرِفِ العَشَقَ حُودُها^(٥)
 يَسِرْنَ الهُؤُونَا عَانَةً بَعْدَ عَانَةٍ قِصَارَ الخَطَى أَعْجَازُ مَنْ قِيُودُها^(٦)
 تَدْخُلُ مِنْ فَرَطِ الحَيَا فِي رِيَاطِهَا فَتَأْبَى لَهَا أَرْدَافُهَا وَنَهُودُها^(٧)

(١) لِمَاماً: غِيَاباً.

(٢) ذَاكِ: مَلْتَهَبٌ.

(٣) الشُّوسُ: جَمْعُ أَشُوسٍ وَهُوَ الَّذِي يَنْظُرُ بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ تَكْبِيراً. ذَلَّتْ: أَصَابَتْ الذَّلَّ. البُرَيْنِ جَمْعُ بَرَّةٍ وَأَصْلُهَا حَلْقَةٌ فِي أَنْفِ البَعِيرِ تَذَلُّهُ عِنْدَ قُودِهِ.

(٤) دِيَامِيمٌ: فُلُواتٌ شَاسِعَةٌ. تُنْضِي اليَعْمَلَاتِ: تَهْزِلُ النُّوقَ العَامِلَةَ. نَجُودُها: جَمْعُ نَجْدٍ وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الأَرْضِ.

(٥) خُودُها: جَمْعُ خُودٍ وَهِيَ الفَتَاةُ الحَسَنَةُ الخَلْقِ الشَّابَةِ.

(٦) عَانَةٌ بَعْدَ عَانَةٍ: جَمَاعَةٌ بَعْدَ جَمَاعَةٍ وَأَصْلُهَا القِطْعَةُ مِنْ حِمَارِ الوَحْشِ.

(٧) رِيَاطُها: جَمْعُ رِيْطَةٍ وَهِيَ المَلَاءَةُ الَّتِي كَلَّهَا قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ وَنَسِجَ وَاجِدًا. أَرْدَافُها: جَمْعُ رَدْفٍ وَهُوَ العَجْزُ.

وكم قد وردنا من حياضٍ معارفٍ
 عناجيجٍ في ميدانها أي قُلَّة
 يَقَرُّ لعينِ الدينِ عُرفُ فضائلِ
 علومٍ وأعمالٍ وعدلٍ وعفةٍ
 ومنهم إمامُ الحقِّ والعاقلُ الذي
 حماها وآواها وأفرخَ روعها
 وفي نصرها والى الجهادِ وما تُننى
 به أصبحت صنعاءً للناسِ قبلةً
 إذا عاينته الشَّمُّ دَلَّتْ أنوفُها
 على وجهه بين السَّمَّاطينِ هيبةً
 هو البدرُ يومَ الحفلِ في ضمنِ هالةٍ
 رعى الله عهداً مرّ لي في رُبوعه
 نظمت الثريا في علاه قصائداً
 قلائدُ من شكوى ونصحِ ثمينةٍ
 طففت بها أخذوا عزمته إلى
 وما كان شأني دون عمرو بن سالم

بأفئائها يروي النزيفَ وُرُودُها^(١)
 لهم ما تسنى بالفهومِ صعودُها^(٢)
 قد اجتمعتُ فيهم عَزِيْرٌ وجودُها
 تسامت بهم فوق النجومِ حُدودُها
 به ملءُ الإسلامِ قام عمودُها
 وأثلجها فاشتدَّ غيظاً حسودُها^(٣)
 عزمته برقُ العدا ورعودُها
 ييمُّها من كل أرضٍ وفودُها
 وطال له خضعاتُها وسجودُها
 جلاله خير المرسلين تجودُها^(٤)
 من الزهر لا ينفك عنها سُعودُها
 دنت لي القوافي فيه حتى شَرُودُها^(٥)
 سهرت عليها كي يطولَ خلودُها
 أمِنْتُ عليها أن تضيعَ عقودُها
 مُهِمٌ لَدَيْنَا مثله لا يؤودُها^(٦)
 ونبعتُهُ من سيّد الرسلِ عُودُها

(١) بأفئائها: بظلال صنعاء وفي الأصل بأفئائها وهو تصحيف. النزيف: الرجل الذي عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه.

(٢) عناجيج: أهلها كنجائب الخيل في ميادينها. القلة أعلى الجبل.

(٣) أفرخ روعها: ذهب فزعها بسببه. أثلجها: شفاها.

(٤) السَّمَّاطين: الصّفين. تجودها: تمدّها من جادهم المطر يجودهم جوداً إذا نزل غزيراً يروي

كل شيء.

(٥) شرودها: نافرها.

(٦) لا يؤودها: لا يشق عليها.

ومنه لنا عهدٌ ووعدٌ وذمةٌ وقربى وميثاقٌ عدولٌ شهودها
يؤكدها لي صاحبُ العهدِ مَنْ إذا مثنى ركبهُ في الخيسِ لانت أسودها^(١)
شهابُ الهدى غيظُ العدا مورد الردى ذخائره جُرْدُ المذاكي وُقودها^(٢)
أفي التُّجحِ شكٌ بعد ما التزمت به مراجيحُ تآبى أن تخيسَ وعودها^(٣)
ولم نرجُ منهم غيرَ إصلاحِ بقعةٍ أبوتهم قد دوّختها جنودها
بنى المرتضى هذا الإمام ونجلو وأنتم مفاتيحُ العلى وزُودها^(٤)
أجيبُوا كلامي واقدحوها فإنها وعتبي كثيرٌ طال منها صلُودها^(٥)
ولا تغفلوا عن ذكرِ نفسِ قيامها بأكثره في ذكركم وقعودها
وقد أطمع الريثُ النصرى فهذه أجادلها في جونا وينودها^(٦)
وفي أمتي كثرٌ ولكِنَ رأيتها شتيتٌ ولا يهفُو إلى المجد جُودها
قليلٌ لتحصيلِ المعالي سِماحها ولكنها في الشرِّ تهمي نقودها
أساءت إلى أوطانها وهي تُزبةٌ فدَثها بحبّاتِ القلوبِ جدودها

أما الشيخ اليماني فجاء في نفس المدة بأربعة وعشرين بيتاً لا ترتفع إلى الإجابة ولا تنحط إلى التقصير. ثم أنه تحدى للمباراة ثانية؛ واقترح قافية الظاء من البحر الآتي؛ ولم يجئ بشيء. ومن غير مهلة؛ قلنا؛ والإشارة في مطلعها بتلك إلى قصيدتنا السابقة.



(١) الخيس: موضع الأسد.

(٢) جرد المذاكي: الخيل الجياد.

(٣) مراجيح: حلماة. تخيس: تنقض وتخلف.

(٤) زودها: الزند العود الأعلى الذي يقدح لاستخراج النار.

(٥) صلودها: يريد أنها قدحت ولم تور.

(٦) أجادلها: صقورها. يريد الطائرات. بنودها: أعلامها.

القصيد الثانية

للإمام ابن عبيد الله في المباراة

تلك المعاني في حُلَى الفاظها عينُ البراعة في جميل جِحَاظِهَا^(١)
 نَصَعَتْ حَقِيقَتُهَا وَزَانَ مَجَازُهَا فَبِمُوقِهَا تُسَبِّى النَهَى وَلِحَاظِهَا
 والناس تَعْرِفُ فِي الْبَلَاغَةِ رَتْبِي وَتَفْرِدِّي فِيهَا بِفَخْرٍ عَكَظِهَا^(٢)
 وَلَقَدْ تَعَرَّضَ مِنْ يُمَنِّي نَفْسَهُ بَبَدَائِعِي لِحَرِيقِهِ بِشَوَاظِهَا^(٣)
 فَأَرَبًا بِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْقَاضِي عَنِ الْبِ بِيضِ الْمَوَاضِي وَأَخْشَ مَرًّا عَظَاظِهَا^(٤)
 وَلَقَدْ شَرِبْتَ مِنَ النِّجَاحِ بِنَعْبَةِ يَكْفِيكَ مِنْهُ تَمَتُّعٌ بِلِمَاظِهَا^(٥)
 وَاحْذَرِ مَقَارِعَةَ الْفُحُولِ وَلَا تَكُنْ كَابْنَ الزَّبِيرِ إِذَا صَطَلَى بِمَقَاظِهَا^(٦)
 فَأَنَا عَلَى مَهَلِّي الْمَجْلِي إِنْ جَرْتُ لَلْمَجْدِ فَرَسَانٌ عَلَى الْإِظَاظِهَا^(٧)
 وَتُذِيبُ بِإِدْرَتِي الشُّكِيمَةَ عِنْدَمَا تَهْفُو بِعَاطِفَتِي شَمُولَ جِفَاظِهَا^(٨)

(١) جحاظها: ظهورها وبروزها.

(٢) عكاظها: يشير إلى سوق عكاظ.

(٣) الشواظ: اللهب لا دخان فيه.

(٤) البيض المواضي: السيوف القاطعة. العظاظ: الشدة.

(٥) النغبة: الجرعة. اللماظ: الطعام يتلمظ ويتذوق باللسان.

(٦) بمقاظها: أي شدة حرها.

(٧) المجلي: السابق. الإظاظها: إلحاحها في الجري.

(٨) جفاظها: المحافظة على الحرم.

ومواقف فيها تقاصرت الخطا جلّيت بالبرهان غيمَ كِظاظها^(١)
وبذلت جهدي في نصيحة أمّتي لو ساعدَ التوفيق لاستيقاظها
طوراً أليئُ في الخطابة بينها وأعود أحياناً إلى إغلاظها
لم أدخِرُ وسُغماً ولكن صدّها عني وعلتُ سوءَ جِظاظها^(٢)
واسأل إذا لم تذر حتى حُسّدي عن فضل إرشادي وعن وعاظها^(٣)
ولك الهناء فأنت في الأشعار إن عُدت رواة العصر من حُقاظها

أما الشيخ اليماني؛ فجاء في نفس المدة؛ بأربعة وعشرين بيتاً؛ لا ترتفع إلى الإجابة؛ ولا تنحط إلى التقصير. واتفق اجتماع آخر؛ حدانا فيه الحاضرون للمباراة؛ واقترحوا البحر والقافية؛ ولم يعينوا الموضوع؛ فوقف حمار الشيخ في العقبة؛ وأما أنا فقلت القصيدة الثالثة:



(١) كظاظها. الكظاظ في الحرب الضيق في المعركة.

(٢) حظاظها: جمع حظ وهو النصيب والبحث.

(٣) إظاظها: مداومتي لها وإلحاحي عليه بها من الظ أي ألح ودام وفي الأصل وعاظها.

القصيدة الثالثة

للإمام ابن عبيد الله في المباراة الشعرية

أما والذي لا يعلم السرَّ غيره
 به تحصل الرُّحْمِي وينكشفُ البَلا
 لقد ساءت الشيخ العزوبةُ حسبما
 وبالأمس طاف الريفَ فاستقبلَ المها
 وحاشا وقد أمسى نزيلاً لسادة
 ولن يستريح الشيخُ إلا إذا ابْتُزِي
 فهاتوا له خُوداً أو اكووه كية الغد
 أديب خفيف العقل والروح لحظه
 ولولا ضياع الفضلِ لاستوجب الذي
 وخذ من قريع الشعر قرحةً أدهم
 ولا فضلَ إلا منه والخيرُ خيرُهُ
 ويُدفعُ مكروهَ الزمانِ وضميرُهُ
 يقول وآذاه من الشوق أئبرُهُ
 جلتها له دُمونُهُ وفُجَيرُهُ^(١)
 يخيبُ من الإقبالِ واليُمنِ طيرُهُ
 لراهبه القوَامِ بالليل دَيرُهُ
 رَامِ فإن لم تفعلوا ساءَ صَيرُهُ^(٢)
 وهيئتهُ تنبيك عنه وسَيرُهُ
 من ابنِ سنانِ كان لاقى زَهيرُهُ^(٣)
 نقرَ لها ذُبيانُهُ ونَميرُهُ^(٤)

* * *

- (١) الريف: الأرض الخصبة. المها: بقر الوحش. ودمون والفجير قرى في حضرموت.
 (٢) خودا: جمعه خود وهي الفتاة الحسنة الشابة. كية الغرام: أي العشق. وكان العرب يكونون أليتي العاشق ليذهب عشقه.
 (٣) ابن سنان: هو هرم بن سنان ممدوح زهير بن أبي سلمى.
 (٤) قرحة أدهم: الأدهم: الفرس الأسود والقرحة: بياض بين عيني الفرس قدر الدرهم فأقل. ذبيانته: هو النابغة الذبياني. نميره: هو الراعي النميري الشاعر الذي هجاه جرير.

القصيدة الرابعة

للإمام ابن عبيد الله في المباراة الشعرية

وفي جلسة رابعة ببيت الكاف أيضاً؛ أخذ اليماني يتفنج؛ واتفق حضوري؛
فاقترح الحاضرون البحر؛ والتمسوا المباراة؛ فأفحم الرجل؛ وقلت حسب
الاقتراح من لسان القلم؛ الأبيات التالية:

دَعُونِي فَإِن الشُّوقَ لِلْمَجْدِ مَالِكِي	وبالعلم تهديني إليه مسالكي
بحرمة أم المؤمنين خديجة	وبالمرتضى وابنيه وابن العواتك ^(١)
وبالحرّة الزهراء أرجو بجاههم	من الله كشف المظلمات الحوالك
فلي منهم حبّ صحيح ولم أزل	إلى نضد آوي بهم متشابك ^(٢)
وما زال قذحي عالياً بولائهم	وفي جاههم دخري العدا في المعارك ^(٣)
وكم رام هضمي الكاشحون وأجلبوا	فما ضرّني كيد ولا زور أفك
بفضل من الباري حتّى في وجوهم	غداة رهان القول نفع السنايك ^(٤)
وسل من تُردّ في قطرنا عن تفرّدي	فما لي في سوق العُلا من مشارك
عناية مولانا تحيظ وجوده	بجيش لنا من فضله المتدارك ^(٥)

(١) ابن العواتك: هو النبي ﷺ: والعواتك جداته. وأصل العاتكة المتضمخة بالطيب.

(٢) النضد. الشريف من الرجال.

(٣) القدح العلي: أفضل قداح الميسر.

(٤) نفع السنايك: الغبار المتصاعد من أطراف حوافر الخيل. جمع سنك.

(٥) المتدارك: المتتابع.

وشتانَ ما بين العوادي - جسارةً على القليل الكأداً - وبين الأوارك^(١)
 إذا لُزمتني ابنُ اللبُونِ ببازلٍ لدى ما قِطِ الفَيْتَه في الهوَالِكِ^(٢)
 وإنِّي لأرثى للمعرّضِ نفسَه بميدانِ حَرْبٍ فيه مجرى السوافِكِ^(٣)

ولما وصلتُ إلى هنا؛ قاطعني؛ واقترح تغيير الموضوع والبحر والقافية؛
 إلى ما يأتي؛ فأجبت؛ ولكنه مع ذلك؛ تعذّر عليه القول؛ حتى ارتاب الحاضرون
 مما جاء به في معارضة قصيدتنا الأولى؛ وظنوا الاقتراح السابق؛ كان بمواطأة
 معه؛ والله أعلم.

ولما نظمت من الآتية ثمانية أبيات على البديهة؛ لاذ الرجل بالفرار؛ فلزم
 التوقف؛ ولكنني أتممتها قصيدة بعد ذلك.



(١) العوادي: الإبل المقيمات في العضاء لا تفارقها. الأوارك. الإبل المقيمات في الحمض
 وهو الأراك لا تفارقه.

(٢) ابن اللبون: البعير إذا طعن في الثالثة وصار لأمه لبن والبازل: البعير إذا طعن في التاسعة
 وطلع نابه. قال جرير:

وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قرْنٍ لم يستطع صولة البزل القناعيس
 الماقت؛ بكسر القاف: المضيق في الحرب وجمعه مآقت.

(٣) السوافك: الدماء المهراقة.

القصيدة الخامسة

للإمام ابن عبيد الله في المباراة الشعرية

دعاني الهوى وهو الغريبُ صنيعةً فأسمع لكن ما أراني أطيعه
 وهل من تصابٍ بعد ما ابيضَّ عارضي ومرّ من العمر النفيس ربيعه
 لخمسين عاماً واثنتين تصرّمت غريقُ الهوى ينجو ويصحو صريعُه؟
 ولكن حسناً في «أزال» لو انجلى لعزهاة قوم لم يكن يستطيعُه^(١)
 فلا غرو إن أعطيته ثنيّ مقودي وقلت له عمري إليك جميعُه^(٢)
 مهاً تشتري العقلَ السليم بسيرها كمثل حباب الماء ثم تبيعه^(٣)
 ذكرت بها فضل الزمان الذي دنا لنا فيه من زهر القريض بديعه
 ويومٌ تُباريني الرجالُ لنظمه وتعرّف النقادُ أنني قريعُه
 وعن قذفاتي العُصم يقضُر خطوها فكيف يجاريني إليه رقيعه^(٤)
 ولو أن فكري ظالع فيه لاجتوى بياني الإمامُ الحقُّ وهو ضليعه^(٥)
 بعيدُ المدى لا يدرك الوهم شوطه منوّرٌ ما بين الضلوع وديعه^(٦)

(١) أزال: منطقة بصنعاء. العزهاة: الرجل لا يحدث النساء ولا يريدن ولا يلهو معهن. والمعنى أن الحسناء التي رآها في أزال بصنعاء لا يمكن أن يسلم منها حتى العزهاة.

(٢) فلا غرو: فلا عجب. ثني مقودي: طرفه.

(٣) مها: بقر الوحش. يريد الفتيات الخود. حباب الماء. تكسره.

(٤) العصم: الوعول. الرقيع: الأحمق.

(٥) ظالع: مائل أو متهم. لاجتوى بياني: كرهه. ضليعه: قوية العليم به.

(٦) المدى: الغاية. وديعه: قلبه المودع بين ضلوعه.

يَتَمُّ بِهِ مِنْ كُلِّ وَافٍ سُرُورُهُ
 بِهَ الْمَلَّةُ الْغَرَاءُ أَضَحَتْ وَسُورُهَا
 عَلَى حِينِ هَانَ الدِّينُ وَاضْطَّهَدَ الْهَدْيُ
 فَلَوْلَاهُ لِلْإِسْلَامِ مَا اخْضَرَ عَوْدُهُ
 بِهِ قَدْ تَأَوَّلْنَا مِنَ الْآيِ جَمَلَةً
 وَفِي السَّنَةِ الْغَرَاءِ وَعَدُّ بِمِثْلِهِ
 إِلَى نَصْدِ نَأْوِي بِفَضْلِ انْتِسَابِنَا
 وَمِنْهُ لَنَا عَهْدٌ صَحِيحٌ فَهَلْ تَرَى
 تَغَنَّى بِهِ السُّمَارُ بِلْ زَادِ شَهْرَةً
 وَقَدْ سَاءْنَا هَذَا التَّمَكُّتُ وَافْتَرَى
 فَإِنْ مَسَّنَا ضَرْبُ بِنَاتِ عَارِهِ
 وَأَشْمَرْتَهُ مِنْ نَحْوِ عَشْرِينَ حِجَّةً
 لَكِي يَتَلَانِي الشَّرَّ جَذْعًا فَإِنَّهُ
 وَمَا زَالَ لِلتَّدْبِيرِ فِي الْقَوْسِ مَنْرَعٌ
 وَإِنْ شَاءَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ رَهِينَةً
 وَيَهْمِي بِهِ مِنْ كُلِّ بَاغٍ نَجِيعُهُ^(١)
 يَرُدُّ الْعِدَا صُورَ الْعَيُونِ رَفِيعُهُ^(٢)
 وَلَانتِ أَوْأَخِيهِ وَذَلَّ شَجِيعُهُ^(٣)
 وَلَمْ يَلْتَمِ بِالْمَشْرِفِيِّ صَدِيعُهُ^(٤)
 وَمَا زَالَ لِلْقُرْآنِ سَرٌّ يُزِيغُهُ
 نَوْمِلُ أَنْ يُشْفِي الصَّدُورَ سَرِيعُهُ
 لَهُ وَهُوَ مَرْهُوبُ الْجَنَابِ مَزِيغُهُ
 عَلَى شَاوِهِ فِي الْمَكْرَمَاتِ يُضِيغُهُ^(٥)
 لَدَى الْحَيِّ حَتَّى كَادَ يَدْرِي رَضِيعُهُ
 عَلَيْنَا بِهِ أَعْمَى التُّهَى وَتَبِيعُهُ^(٦)
 وَاقَاهُ مِنْ عَابِ الْمَلَامِ شَنِيعُهُ^(٧)
 بِسْمِ عَلَى الْوَادِي يُخَافُ نَقِيعُهُ^(٨)
 إِذَا طَرَّ مِنْهُ النَّابُ أَعْيَا فِظِيعُهُ^(٩)
 لِمَنْ لَا يَزُلُّ الْحَزْمُ وَهُوَ ضَجِيعُهُ
 أَنَاهُ حَسِيبُ الْمَنْتَمِي لَا وَضِيعُهُ

(١) يهمني به: يسيل. نجيعه: دمه.

(٢) سورها يرد رفيعه العدا؛ صور العيون أي مائلها جمع أصور وهو المائل العنق لثقل حمله.

(٣) أوأخيه: جمع أخية. وهي جبل يجعل كالعروة تشد إليه الدابة. شجيعه. شجاعه.

(٤) صديعه: مصدره أي ما صدعه منه.

(٥) شاره: شأوه أي سبقه.

(٦) تبيعه: تابعه.

(٧) التاط عاره: التصق. عاب الملام: عيبه.

(٨) نقيعه: ما اجتمع منه.

(٩) جذعا: يريد في أول أمره وأصله بالتحريك وسكن للضرورة. طر منه الناب طلع وبرز.

وكم جاهل في الأجنبي له هوى ولا قَطَرَ إِلَّا يَسْتغِيثُ لِسِيَعَهُ^(١)
 يريدون منه النفع والضُّر ظاهرٌ على خُلُوهِ الممزوج فيه ضَرِيَعَهُ^(٢)
 ولولا تروُّ منك ما هبَّ واحد لشرِّ بوادي حَضْرَموتَ يُشِيَعَهُ^(٣)
 وقد كان إسماعيلُ جدُّك ضَمَّهُ ورؤي رِيَاه من نِداه مَرِيَعَهُ^(٤)
 أتاه صرِيخٌ منه من غير ذَمَّة فلبَّى وما يخفَى عليك صَنِيعَهُ^(٥)
 وكم سابقٍ في حَلْبَةِ الشعرِ سِفْتُهُ قبيح بمولانا الإمام يُجْبِعُهُ^(٦)
 وما لي وإلحاحي عليه ونفسُهُ إلى نفسِهِ في نَجْرٍ وعدي شَفِيَعَهُ



(١) لسيعه: لضياعه

(٢) الضريع: أخبث طعام وهو من أطعمه أهل النار.

(٣) تروُّ منك: تريت من الروية بمعنى النظر وعدم التعجل.

(٤) مريعه: غيئه المريع أي ذو المراعاة والخصب أي روي غيئه المريع رياه من عطائه وجوده.

(٥) صرِيخٌ: مستغيث.

(٦) سِفْتُهُ: ضربته بسيفي.

تعليق للمحقق

كانت هذه المباراة الأدبية متعة عظيمة لمحبي الأدب والشعر بحضرموت؛ وكان منهم إذ ذاك كثير بسيؤون وتريم؛ وتشهد هذه المباراة على عبقرية الإمام ابن عبيد الله الشعرية؛ وقوة قريحته؛ وسرعة بديهته؛ وما هذه المباراة إلا غيض من فيض فقد سمعنا بأمثالها مما يمكن أن يأتي في الجزء الثاني المخطوط من دواوين شعره.

ومع ذلك فإنني أعتقد أن شعرا الإمام ابن عبيد الله لا يقارن بخطبه؛ التي يتتابك عند قراءتها الشعور؛ بأن قائلها لا يعيش في عصرنا؛ بل يعيش في العصور الزاهية لعلوم العرب وحضارتهم ولغتهم؛ ولا تشعر حين تقرأها بالندم على فوات الاستماع لخطباء العرب المشهورين من أمثال سحبان أو قس بن ساعدة؛ فخطب الإمام ابن عبيد الله؛ بلغت في نظري؛ من البلاغة والبيان؛ ما يضعها في مصاف خطب أولئك الخطباء المشهورين. ولحسن الحظ؛ فقد حفظت لنا المخطوطات بعض خطب الإمام؛ ولكنها أوراق مخطوطة؛ والخطر على ضياعها عظيم. وقد أورد الإمام بعض خطبه في كتابه التاريخي الموسوعي العظيم (بضائع الثابوت في نتف من تاريخ حضرموت) والذي ما زال للأسف بأجزائه الكبيرة الثلاثة؛ مخطوطاً.

ويندهش القارئ لكتب الإمام ابن عبيد الله من سعة علومه؛ بل ويزيد اندهاشه؛ عندما يعلم أن الإمام ابن عبيد الله قد أملى أغلب هذه الكتب؛ إن لم يكن كلها؛ من ذاكرته القوية؛ غير مستعين بكتاب ولا ناظر في ديوان؛ والغريب قول الإمام: إنه لم يزد من العلم شيئاً بعد تعديده سن الخمس وعشرين سنة.

وإذا أمعنا النظر في أحوال العلماء السابقين؛ نجد أن القليل منهم؛ قد ماثل

الإمام ابن عبيد الله في سعة علومه؛ وتنوع فنونه؛ فهو علامة ضليع في الفقه الشافعي؛ بل يأتي في مرتبة كبار الفقهاء السابقين من أمثال الرملي وابن حجر الهيثمي؛ وما مصنفه الكبير صوب الركام في أدلة الأحكام؛ إلا شاهد قوي على ذلك؛ كما أن الإمام ابن عبيد الله إمام في النقد الأدبي؛ يشهد بذلك كتابه المطبوع؛ النجم المضيء في نقد عبقرية الشريف الرضي؛ وله أيضاً باع طويل في الأدب ومجالسه يشهد بذلك كتابه الذي أحدث ضجة بين الأدباء وطلبة العلم؛ وهو العود الهندي في مجالس الكندي؛ إلا أن جوهرة التاج في نظري هو كتابه المطبوع مؤخراً وهو بلا بل التفريد فقد جمع فيه الإمام لنفسه فلسفة الغزالي؛ وتأملات الفخر الرازي؛ ونظريات ابن خلدون؛ مع كثير من المباحث والاستنتاجات؛ وهو أعجوبة بين الكتب؛ إلا أن المؤسف؛ أن ما توفر منه هو الجزء الأول فقط؛ وبقي جزآن؛ لا يعلم أحد لهما مكان. ومن المؤسف أيضاً أن هذا الإمام العظيم لم ينل ما يستحقه من الشهرة والتعريف؛ بل عاش في وطنه المعزول منعصاً منكداً؛ كما قرأنا ما كتبه في قصائد هذا الديوان.

هذا ومن عاصر هذه المباراة الشعرية؛ الشاعر الحضرمي زين العابدين بن أحمد الجنيد؛ فكتب القصيدة التالية؛ معزياً فيها القاضي الحضرائي الذي خسر هذه المباراة الشعرية أمام عملاق حضرموت؛ وبيّن له فيها؛ أن مجرد وقوفه أمام ابن عبيد الله؛ يعتبر شرفاً كبيراً له. وقد جاءت هذه القصيدة؛ في ديوانه الشعري المطبوع بسنغفورا؛ والمسمى ديوان عابدين؛ صفحة ٥٥.

وقال في مقدمتها: إنه قالها بمناسبة المباحثة الأدبية والمباراة الأدبية بين فضيلة العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف العلوي وحضرة القاضي أحمد الحضرائي في بيت أبي تمام وقد قدمها للقاضي الحضرائي.

ويلاحظ أن الإمام ابن عبيد الله تجنّب أن يذكر الحضرائي باسمه؛ كما هي عاداته على ما يبدو في إغفال أسماء كثير من الأعلام الذين أنشأ فيهم قصائده. ومن أبيات هذه القصيدة التي يخاطب فيها الشاعر الجنيد القاضي الحضرائي ما يلي:

أعليت قصراً للبخار مشيدا
 أنت الذي نلت بالجد معارفا
 يكفيك فخراً أنك الرجل الذي
 وكلاكما بحر ولكن ابن عبيدال
 ما حازه بجموده لكنها
 ملك البلاغة فهي طوع لسانه
 وعلا ذرى الشرف الرفيع فعاش بيد
 وأتى إليه المجد يخطبه على
 من ذا يكون الآية الكبرى إذا
 من ذا يبارز سيّداً عشقته أب
 لو شاء شئٌ على الأعادي غارة
 وأثار حرباً باليراع وحوله
 كل المعاني في خزائن ذهنه
 بحر الخيال يمدّه بفرائد
 فلسانه وبنانه وخياله
 يا معشر الأدب الجليل ورهطه
 والقصيدة طويلة ونكتفي بما سبق.

إلا أن هذه المباراة الشعرية؛ أنشأت صداقة وطيدة بين الإمام ابن عبيد الله
 وبين القاضي الحضرائي؛ الذي بقي على مودته واحترامه للإمام ابن عبيد الله؛
 ولأبنائه بعد وفاته. ويقول والدي السيد محسن بن علوي السقاف: إنَّ الحضرائي
 هو الذي قام بتقديم الخال حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله إلى الإمام أحمد
 فيما بعد؛ والذي ذهب لليمن للعمل لطلب الرزق؛ وبقي الخال حسن على علاقة
 متينة بالحضرائي أثناء الفترة التي قضاها لطلب الرزق باليمن.

وقال لي والدي أيضاً: إنه خلال مرورهم باليمن؛ مع الخال محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله؛ والسيد العطاس؛ في طريق هجرتهم من حضرموت إلى الحبشة لاكتساب الرزق بها؛ وكان ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية؛ لم يجدوا من يستقبلهم بتعز إلا القاضي الحضرائي؛ الذي رحب بهم وأهل؛ وأنزلهم في بيته على الرحب والسعة؛ رغم ضعف حاله؛ وتواضع سكنه. بل كان الحضرائي هو الذي ذهب بهم لمقابلة الإمام أحمد حميد الدين؛ وقدمهم له؛ وعرفه بهم؛ فاحترمهم الإمام وأنزلهم في ضيافته الرسمية؛ وأكرمهم؛ واستبقاهم عنده لأكثر من شهر لأجل مزيد من الإكرام والاحترام؛ رغم استعجالهم السفر للحبشة؛ وعندما أذن لهم بالسفر؛ أمدهم بكل ما يحتاجونه من المال والزاد لرحلتهم الشاقة.



في الغزل العفيف (١)

(١) هذه القصائد الغزلية لم تكن مضمومة لبعضها بل أنت متفرقة في الديوان فرأيت أن أجمعها ببعضها لتسهيل الوصول إليها (مراجع التحقيق).

أبيات غزل أم نفاتح مصدور؟

وقلت متغزلاً في ريم «أزال»^(١):

تذكرت من صنعاء حمراً المعاجر
ويقتلن من لم تعرف الحب نفسه
ويظهرن أطراف البنان كأنها
سُفوح «أزال» مسرّح الحسن والهوى
رعى الله عهداً مرّ لي في ربوعها
إذا مرّ بي سربّ من الخود هاجر
وخفّف بمغسولٍ من القول غزبيتي
ويصدن الثهي من تحتها بالمحاجر^(٢)
إذا مسنّ زهواً بالقدود الشواجر^(٣)
خلال الرباط السود زهر الدياجر^(٤)
إذا قال قوم بين سلع وحاجر^(٥)
سدت به الطاقات في شهر ناجر^(٦)
أقول له ارفق بالغريب المهاجر^(٧)
وكن مطمئناً إنني غير فاجر

(١) أزال منطقة بالعاصمة صنعاء.

(٢) المعاجر: جمع معجر وهو ثوب تافه تضعه المرأة على استدارة رأسها ثم تتجلب فوقه بجلباها. المحاجر: جمع محجر ومحجر العين ما يبدو من النقاب.

(٣) مسنّ: تبخرن في مشيتهن. بالقدود الشواجر: الشبيهة بالرياح المتداخل بعضها في بعض.

(٤) الرباط: جمع ربطة وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين. الدياجر: جمع ديجور وهو الظلمة. وزهرها نجومها.

(٥) أزال: الموضع المعروف. قال قوم: استراحوا نصف النهار من القبلولة. سلع: حاجز ما يمسك الماء من شفة الوادي ويحيط به أو هو الجدار الذي يمسك الماء بين الديار.

(٦) شهر ناجر: هو شهر صفر وكان يسمى بذلك في الجاهلية وكل شهر في فصل الحر فاسمه ناجر.

(٧) الخود: جمع خود وهي الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفاً.

ولم أدر أن البخل فيهنَّ شيمَةٌ شملن من العَدوى به كلُّ تاجرٍ
لئن صدكُنَّ الشُّحَّ عني فإنَّ لي سواكُنَّ والإسلامُ عنكُنَّ زاجرٍ

* * *



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com

الفهرس

٥ نبذة من ترجمة صاحب الديوان
٩ التعريف بالإمام عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (١٣٠٠ - ١٣٧٥هـ)
١٣ مقدمة الناشر للطبعة الأولى
١٥ مقدمة محقق الطبعة الثانية
٣٣ مقدمة صاحب الديوان

الباب الأول

فيما كان من مديح الأرواح الطاهرة

وسادات الدنيا والآخرة النبي ﷺ وآل بيته وأصحابه

٤٣ القصيدة الأولى: والده وهو على فراش الموت
٥٦ القصيدة الثانية: يا نبي الهدى
٥٩ القصيدة الثالثة: إليكم يشتكي
٦٤ القصيدة الرابعة: فيم التريث؟
٦٨ القصيدة الخامسة: كمنا إلى بعد الضحى
٧٣ القصيدة السادسة: لمن غيركم
٧٦ القصيدة السابعة: يقلي جوى
٧٨ القصيدة الثامنة: قفي وتلظفي
٨١ القصيدة التاسعة: خطر الحبيب
٨٧ القصيدة العاشرة: فديتك
٨٩ القصيدة الحادية عشرة: ذكر العقيق

- ٩٥ القصيدة الثانية عشرة: لِأَلِ رَسُولِ اللَّهِ
- ٩٨ القصيدة الثالثة عشرة: زَارَتْ وَقَدْ جَنَحَ الظَّلَامُ
- ١٠١ القصيدة الرابعة عشرة: لَا تُنْكِرُوا
- ١٠٦ القصيدة الخامسة عشرة: فِي الرُّوضَةِ الشَّرِيفَةِ
- ١١٤ القصيدة السادسة عشرة: فَهَمْتُ عَنِ البَّرْقِ
- ١١٧ القصيدة السابعة عشرة: هَذِي مَلَاعِبُهُ
- ١٢٠ القصيدة الثامنة عشرة: بِأَسْرَتِهِ كُلُّ يَنَادِي
- ١٢٢ القصيدة التاسعة عشرة: تَوَهَّمَتِي قَرِيرًا
- ١٢٦ القصيدة العشرون: هَوَى صَانِنَا
- ١٢٩ القصيدة الحادية والعشرون: رَامَ التَّقَاطُ الدُّرَّ
- ١٣٢ القصيدة الثانية والعشرون: شَعُولٌ
- ١٣٣ القصيدة الثالثة والعشرون: مَرَّتْ لِيَالِي الشَّقَا
- ١٣٧ القصيدة الخامسة والعشرون: إِذَا ثِمْتُ
- ١٣٩ القصيدة السادسة والعشرون: مَا لِقَلْبِي
- ١٤٣ القصيدة السابعة والعشرون: أَطَارَ الكَرَى
- ١٤٦ القصيدة الثامنة والعشرون: بِجَاهِكِ يَا أُمَّ البَتُولِ
- ١٥٠ القصيدة التاسعة والعشرون: بِعَرِيضِ جَاهِ
- ١٥٥ القصيدة الثلاثون: يَا رَبَّنَا
- ١٦١ القصيدة الثانية والثلاثون: هَذِي مَاثُرُهُمْ
- ١٦٨ القصيدة الثالثة والثلاثون: لِأَلِ الكِسَا
- ١٦٩ القصيدة الرابعة والثلاثون: إِذَا عَنَّتْ
- ١٧٢ القصيدة الخامسة والثلاثون: خِيَالٌ مِنَ الأَحْبَابِ
- ١٧٣ القصيدة السادسة والثلاثون: أَيْبَتْ مِنَ الهَوَى
- ١٧٨ القصيدة السابعة والثلاثون: طَفِقَتْ تُعِيرُ

- ١٨٣ القصيدة الثامنة والثلاثون: أَيِّتُ يَنْشُرُنِي
- ١٨٦ القصيدة التاسعة والثلاثون: سَلُوها لِمَاذَا؟
- ١٩٠ القصيدة الأربعون: كَلَّمَا شَارَفْتُ
- ١٩٣ القصيدة الحادية الأربعون: إِذَا كَانَ شَكِّي
- ٢٠٠ القصيدة الثانية والأربعون: مَا الْكُونُ؟
- ٢٠٢ القصيدة الثالثة والأربعون: وَمُنْتَرِضٍ قَالَ

الباب الثاني

في الاجتماعيات والصوفيات

وما يناسبهما على ترتيب حروف المعجم

- ٢٠٧ القصيدة الأولى: كُثِفَ الغَطَا
- ٢٠٩ القصيدة الثانية: شُكْرًا أَقْدَمَهُ
- ٢١٣ القصيدة الثالثة: غُرَابَانِ زَارَا
- ٢٢١ القصيدة الرابعة: تَفْتَحْ لِي
- ٢٢٣ القصيدة الخامسة: يَلُوحُ بَدْرُ الأَمَانِي
- ٢٢٧ القصيدة السادسة: عَلَيَّرِي
- ٢٣١ القصيدة السابعة: أَيْنُ مِنَ الأَيَامِ
- ٢٣٣ القصيدة الثامنة: مَنَى كُلُّ امْرِئٍ
- ٢٣٦ القصيدة التاسعة: رِيْمٌ تَحَرَّشَ
- ٢٣٩ القصيدة العاشرة: تَعَاتِينِي
- ٢٤٥ القصيدة الحادية عشرة: إِلامَ وَأَنْتُمْ
- ٢٤٨ القصيدة الثانية عشرة: لَقَدْ لَاحَ
- ٢٥١ القصيدة الثالثة عشرة: كُلُّ لَيْلٍ
- ٢٥٩ القصيدة الرابعة عشرة: سُوِّقُ الفُضَيْلَةَ

- ٢٦١ القصيدة الخامسة عشرة: أسائلهم سِرّاً
- ٢٦٤ القصيدة السادسة عشرة: أثارث بناتُ الشوق
- ٢٦٨ القصيدة السابعة عشرة: كتابُ الله
- ٢٧٣ القصيدة الثامنة عشرة: تعرّض لي
- ٢٧٦ القصيدة التاسعة عشرة: طربٌ تهيج
- ٢٨٠ القصيدة العشرون: أرى الجهل
- ٢٩٢ القصيدة الحادية والعشرون: منكم إليكم
- ٢٩٤ القصيدة الثانية والعشرون: مقالٌ أتاني
- ٣٠٥ القصيدة الثالثة والعشرون: رقتُ
- ٣٠٨ القصيدة الرابعة والعشرون: لا يرأّم العجز
- ٣١٠ القصيدة الخامسة والعشرون: الرد على الأبيات المشؤومة
- ٣١٤ القصيدة السادسة والعشرون: المنشورُ الإصلاحيُّ الخطيرُ
- ٣١٨ القصيدة السابعة والعشرون: رُدُّوا عَلَيَّ لَمَتِي
- ٣٢٢ القصيدة الثامنة والعشرون: أين الحميئة؟
- ٣٢٦ القصيدة التاسعة والعشرون: أصبح
- ٣٣٠ القصيدة الثلاثون: أنا في انتباهٍ أو منامٍ
- ٣٣٥ القصيدة الحادية والثلاثون: عرَّكتُ بكفِّ الصبرِ
- ٣٣٦ القصيدة الثانية والثلاثون: أتزعم
- ٣٣٩ القصيدة الثالثة والثلاثون: تنكَّرُ دهرٍ
- ٣٤١ القصيدة الرابعة والثلاثون: نصيحة لابنه حسن
- ٣٤٤ القصيدة الخامسة والثلاثون: بجاء ابن عيسى
- ٣٤٧ القصيدة السادسة والثلاثون: تَوَجَّهْ إلى الباري
- ٣٤٨ القصيدة السابعة والثلاثون: تطاولَ ليلُ الهمِّ
- ٣٥١ القصيدة الثامنة والثلاثون: يا من بنورِ جبينه

قصائد

في مناقب العيدروس

- ٣٥٥ قصائد في مناقب العيدروس
- ٣٦٥ القصيدة الأولى: بِجِدِّ الْفَتَى الْقَاصِي
- ٣٧٠ القصيدة الثانية: لِمَنْ غَيْرِكُمْ
- ٣٧٢ القصيدة الثالثة: أَرَى الْحَبَّ
- ٣٧٥ القصيدة الرابعة: حَسَدُ الدَّهْرِ
- ٣٨٠ القصيدة الخامسة: إِلَى حِمَاكُم

القسم الثاني

من المديح وما يدل في بابه

- ٣٨٣ القصيدة الأولى: للسيد أحمد بن أبي بكر بن سميظ
- ٣٨٥ القصيدة الثانية: للسيد العلامة أبي بكر بن شهاب عند وصوله الشحر
- ٣٨٩ القصيدة الثالثة: جواب للسيد محمد بن شيخ المساوي
- ٣٩٢ القصيدة الرابعة: مهداة للسيد عمر بن محمد السقاف
- ٣٩٥ القصيدة الخامسة: في مادبة رئيس وزراء حيدر آباد
- ٣٩٧ القصيدة السادسة: اعتذار للشيخ محمد بن محمد باكثير
- ٤٠٠ القصيدة السابعة: قصيدة للزواوي قيلت بمسقط
- ٤٠١ القصيدة الثامنة: للشيخ حسن بن عوض مخدم
- ٤٠٤ القصيدة التاسعة: جواب لأصدقاء بجاوه
- ٤٠٧ القصيدة العاشرة: تهنئة بقدوم العلامة أبي بكر بن شهاب
- ٤١٠ القصيدة الحادية عشرة: في مدح الإدريسي
- القصيدة الثانية عشرة: وهذه تهنئة للسيد حسن بن عبد الله مرجعه من حَجِّهِ، لعله
- ٤١٣ سنة ١٣٣١ هـ

- ٤١٦ القصيدة الثالثة عشرة: بعزذك
- ٤١٨ القصيدة الرابعة عشرة: ردّ على مدائح السادة آل السقاف
- ٤٢١ القصيدة الخامسة عشرة: في مدح الإمام علي بن محمد الحبشي
- ٤٢٥ القصيدة السادسة عشرة: ما بين وجد
- ٤٣٠ القصيدة السابعة عشرة: في السيد الجليل أحمد بن حسن العطاس
- ٤٣٤ القصيدة الثامنة عشرة: مهداة للسيد عبد الله بن علوي العطاس
- ٤٣٧ القصيدة التاسعة عشرة: لصديق من يافع
- ٤٤٠ القصيدة العشرون: تهنئة بقدوم صديق
- ٤٤٣ القصيدة الحادية والعشرون: تهنئة بقدوم شاب نشيط إلى سيؤون سنة ١٣٣٢ هـ
- ٤٤٦ القصيدة الثانية والعشرون: في جماعة من أهل سيؤون
- ٤٤٩ القصيدة الثالثة والعشرون: في ابنه الأديب الشاعر حسن
- ٤٥١ القصيدة الرابعة والعشرون: لمنقطع الوصول

قسم التركيات

- ٤٥٥ قسم التركيات
- ٤٦٠ القصيدة الأولى
- ٤٦٤ القصيدة الثانية من التركيات: في الحرب الإيطالية
- ٤٦٧ القصيدة الثالثة: بمناسبة معاهدة (أوشي) لوزان الأولى
- ٤٦٨ القصيدة الثالثة: إلى محمود نديم باشا
- ٤٧١ القصيدة الخامسة: إلى قائد الجيوش العثمانية بلحج علي سعيد باشا
- القصيدة السادسة: إلى قائد الجيوش العثمانية بلحج علي سعيد باشا مع وثيقة
الولاء
- ٤٧٦ الولاء
- ٤٧٩ القصيدة السابعة: إلى قائد الجيوش العثمانية بلحج علي سعيد باشا
- ٤٨٢ القصيدة الثامنة: إلى قائد الجيوش العثمانية بلحج علي سعيد باشا

القصيدة التاسعة: يصف ما يحدث له ببلده وشوقه لمشاركة المجاهدين بلحج ٤٨٦

القصيدة العاشرة: بعد هزيمة تركيا في الحرب ومغادرة سعيد باشا للحج ٤٩٠

القصائد الإماميات

- ٤٩٥ سبب وقصة الاتصال بالإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن
- ٤٩٩ القصيدة الأولى: إلى الإمام يحيى حميد الدين
- ٥٠٢ القصيدة الثانية: إلى الإمام يحيى من سنغافورا
- ٥١٠ القصيدة الثالثة: إلى الإمام يحيى قيلت سنة ١٣٣٢هـ
- ٥١٤ القصيدة الرابعة: إلى الإمام يحيى بتجديد العزم على الزيارة
- ٥١٨ القصيدة الخامسة: إلى الإمام يحيى حميد الدين
- ٥٢١ القصيدة السادسة: من الإماميات ومنها يعرف الغرض
- ٥٢٦ القصيدة الثانية: للإمام يحيى بن حميد الدين
- ٥٢٨ القصيدة السابعة: من الإماميات
- ٥٣٣ ولم ترسل إلى تلك الحضرة
- ٥٣٥ القصيدة التاسعة: من الإماميات
- ٥٤١ القصيدة العاشرة: من الإماميات
- ٥٤٣ القصيدة الثالثة: من الإمام يحيى بن حميد الدين لابن عبيد الله
- ٥٤٥ القصيدة الحادية عشرة: ردّ بن عبيد الله على قصيدة الإمام يحيى
- ٥٤٨ ردّ الإمام يحيى على ابن عبيد الله
- ٥٥١ القصيدة الثانية عشرة: من الإماميات
- ٥٥٤ القصيدة الثالثة عشرة: من الإماميات إلى ولي عهد الإمام
- ٥٥٦ القصيدة الرابعة عشرة ملحقة بالإماميات: في مسألة القات
- ٥٥٩ القصيدة الخامسة عشرة من الإماميات: مرسله للسيد عبد الله بن أحمد الوزير ...
- القصيدة السادسة عشرة من الإماميات: إلى سيف الإسلام محمد ابن الإمام يحيى

- ٥٦٢ بن حميد الدين
 القصيدة السابعة عشرة من الإماميات: الرد على جواب سيف الإسلام محمد بن يحيى
 ٥٦٤
 ٥٦٦ القصيدة الثامنة عشرة من الإماميات: إلى العلامة ابن الوزير أمير تهامة
 القصيدة التاسعة عشرة من الإماميات: حين التوجه للمكلا لإتمام مهمة إنقاذ حضرموت
 ٥٧٠
 ٥٧٥ القصيدة العشرون من الإماميات: لأمير تعز علي بن عبد الله الوزير
 ٥٨٠ القصيدة الحادية والعشرون من الإماميات: إلى الأمير عبد الله بن أحمد الوزير ..
 ٥٨٣ القصيدة الثانية والعشرون: من الإماميات
 ٥٨٧ القصيدة الثالثة والعشرون من الإماميات: إلى سيف الإسلام علي ابن الإمام يحيى
 القصيدة الرابعة والعشرون من الإماميات: الرد على ولي عهد اليمن الإمام أحمد
 ٥٨٨ حميد الدين
 ٥٩٢ القصيدة الخامسة والعشرون من الإماميات: إلى وليّ العهد

المباراة الشعرية

- ٥٩٧ مباراة شعرية مع شاعر يماني وينتصر فيها الإمام ابن عبيد الله
 ٥٩٨ القصيدة الأولى: للإمام ابن عبيد الله في المباراة
 ٦٠١ القصيدة الثانية: للإمام ابن عبيد الله في المباراة
 ٦٠٣ القصيدة الثالثة: للإمام ابن عبيد الله في المباراة الشعرية
 ٦٠٤ القصيدة الرابعة: للإمام ابن عبيد الله في المباراة الشعرية
 ٦٠٦ القصيدة الخامسة: للإمام ابن عبيد الله في المباراة الشعرية
 ٦٠٩ تعليق للمحقق

في الغزل العفيف

- ٦١٥ أبيات غزل: أم نفثات مصدور؟